

مجلة الفكر والفن المعاصر

# القاترة

العدد (١٦١) أبريل ١٩٩٦

عدد خاص  
على أبواب الأنثى الثالثة

نهاية الفلسفة

من مفامرة العقل الأولى  
إلى أيديولوجيا المستقبل



---

الغلاف الأمامي:  
الفنان حلمي التوني  
«نغير الصباح»  
تفصيل من لوحة زيتية

# لِقاَعة

مجلة الفكر والفن المعاصر

شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

IBRAHIM AL-AZAB  
مكتبة الأديب

ذريعات إهداء

العدد (١٦١) أبريل ١٩٩٦  
التمن في مصر: جنيهان

رئيس مجلس الإدارة

سمير سرحان

رئيس التحرير

غالى شكرى

مديرا التحرير

عبد جبير

مهدى مصطفى

المستشار الفنى

حلمى التـونى

أمداء التحرير

عبد الرحمن أبو عوف

فتحي عبد الله

السماح عبد الله

سكرتارية التحرير والتنفيذية

كريم عبد السلام

المخرجان المنفذان

صبرى عبد الواحد

مادلين أيوب فرج

العراق - ١٥٠٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠ دينار - قطر ١٥ ريال -  
البحرين ١,٥٠٠ دينار - سوريا ٧٥ ليرة - لبنان ٣٠٠٠ ليرة - الأردن  
١,٢٥٠ دينار - السعودية ٢٠ ريال - السودان ٤٧٠٠ ق - تونس ٤  
دينار - الجزائر ٢٨ دينار - المغرب ٢٨ درهما - اليمن ١٧٥ ريال -  
ليبيا ١,٦ دينار - الإمارات ١٥ درهما - سلطنة عمان ١,٥٠٠ ريال -  
غزة والضفة والقدس ٢٥٠ سقا - لندن ٤٠٠ بنس - الولايات المتحدة  
دولاران.

الاشتراكات في مصر:

عن سنة (١٢ عددا) ٣٢,٤٠ جنيها مصريا شاملا البريد.

الاشتراكات من الخارج (عن سنة ١٢ عددا):

- البلاد العربية: أفراد ٣٠ دولاراً، هيئات ٥٢ دولاراً شاملة مصاريف البريد.
- أمريكا وأوروبا: أفراد ٤٨ دولاراً، هيئات ٧٠ دولاراً شاملة مصاريف البريد.

العنوان: مجلة القاهرة - جمهورية مصر العربية - القاهرة -

١١١٧ كورنيش النيل - فاكس ٧٥٤٢١٣ ت/ ٥٧٨٩٤٥٥.

المادة المنشورة مكتوبة خصيصا للمجلة، وتعبّر عن آراء أصحابها  
ولا ترد في حالة عدم النشر. المراسلات باسم رئيس التحرير.

# القاهرة

العدد ١٦١ أبريل ١٩٩٦

## فهرست

### المواجهات

نهاية الفلسفة

١٢ ذروة الفلسفة في عصر الهاوية ..... وائل غالي

٢٤ العودة إلى الجذور المهجورة ..... أومبرتو إيكو

ترجمة: ناصر الحواتي

٤٤ عصر التنوير: ..... روبرت سولومون

ترجمة: مالك سلمان

٥٦ كيف بدأت الحياة ..... جيه ماديلين ثايل

ترجمة: منحت مفرط

٦٢ فرويد ونظرية الإغواء ..... جيفري م. ماسون

ترجمة: آئين استرسون

٨٤ أيدولوجيا المستقبل ..... إيان مايرز

ترجمة: ريفيد ممدود قاسم

١٠٠ التحليل البنوي للأسطورة ..... سامويل كلارك

ترجمة: سيد المصطفى

### الفصول والفايات

النظام العالمي اليوم: الجديد

١١٢ بات روبرتسون ..... ترجمة: منحت طه

### المراجعات

نظريات الإبداع الغربي

١٤٨ الشعرية البنوية ..... جوناثان كاز

(١) الكفاءة الأدبية ..... ترجمة: السيد إمام

(٢) شعرية القصيدة الغنائية ..... ديفيد لودج

١٧٥ الروايات في مآثر الطرق ..... ترجمة: أحمد عمر شاهين

١٨٧ شعر دون بيت شعري ..... ترقيان تودوروف

ترجمة: أحمد عثمان

مستشارو التحرير

أنور عبيد الملك  
فؤاد زكريا  
السيد ياسين  
مراد وهبة  
حسن حنفي  
محمد سيد أحمد  
إدوار الفخراط  
سليوى بكر  
وائل غالى  
شهيدة الباز

١٩٥ نظرية التلكى وفلك الاستجابة ..... كين م. جيلون

ترجمة: سيد عبد الحلقى

٢٠٩ الأدب العبرى القديم ..... وينتون توماس

ترجمة: شاكر هيكل

### الإيقاعات والرؤى

٢١٦ ثلاثة كتاب من ألمانيا ..... ترجمة: ياقين: مسن البرناتل

٢٢٠ مختارات من شعر أمريكا اللاتينية ..... إيداد زارفا: حسن البرناتل

٢٥٠ قصائد صينية ..... ترجمة: سمير عبد ربه

٢٥٣ كتابة الله ..... خ.ل. بيررخيس

ترجمة: أحمد صلا الترسى

٢٥٦ الجدول الزمنى ..... ميشول برنور

ترجمة: فريزة الشماوى

٢٦٤ على حبة الحياة الجديدة ..... ألتاولى جاقريفوف

ترجمة: فؤاد أبو

### الإشارات والتنبهات

٢٧١ أمريكا ..... عبد الرحمن أبو عوف

ترجمة: زكريا محمد رضوان

روايات أمريكيات ..... جون ليونز

ترجمة: زكريا محمد رضوان

الرواية الأولى للكاتب المسرحى آرثر ميللر ..... رالف ويلز

ترجمة: بليلة رشدى

### الأمسا

٢٧٦ كارل بوبر - أى ميراث ..... آرنو سيير

ترجمة: كاماليا صحى

### فرنسا

٢٨٠ الحرب الصينية العربية ..... جيل كيل - ترجمة: ب.ر

الغيبات فى عالم اليوم ..... برنار ميشر

ترجمة: هالة صمت اللاضى

### تشيلي

٢٨٥ عشرون قصيدة حب وقصيدة بأس ليايلو نيرونا ..... إيلس رقت

إيطاليا

عن زحلات فارقتها أو الحاج يونس العبرى ..... السماح عبد الله



## على أبواب الألفية الثالثة

قدامى المسلمين خير ما عندهم ثم أبدعت قريحتها خير ما عندها فكانت الثورات الفنية والتكنولوجية والفلسفية والعلمية التي حطمت القيم السائدة وأحلت مكانها قيماً جديدة، هي التي تصمر أوروبا بالرخاء والتقدم إلى اليوم. ونحن الآن في أحد مسارات الطرق التاريخية التي يختلط فيها عطاء الشرق يعطاء الغرب وتتصهر متغيرات هذا بمتغيرات ذاك، فإن نحن أعطينا ظهورنا لما يجرى ويحدث أمامنا ومن حولنا فسوف يفوتنا قطار المستقبل ولا تلحق به. وحين ذاك لن يفلح البكاء وصرير الأسنان، فهي معركة للحياة بالنسبة لبعض الناس وهي معركة للموت بالنسبة لآخرين.

ونحن دعاءً للحياة والتقدم، أيضاً، نشعر بمدى حاجتنا إلى الحوار مع الآخر والتفاعل بين ذاتنا القومية والعالم المعاصر حتى لا ندخل في مرحلة جديدة من الانحطاط والتخلف، ولا نبدأ مرحلة جديدة من السباحة ضد التيار الإنساني الغالب، لذلك فهذا العدد بكل ما فيه وما ليس فيه هو دعوة حارة للحاق بقطار المستقبل. ■

في

فكرنا أو فكر غيرنا، وإنما لنا منذ مئات السنين دعاء تجديد، واجتهاد، والفتح على الحضارات الأخرى وعلى أصحابها، لذلك تبدو الهجمة الأخيرة للإرهاب باسم الدين وكأنها حملة من تدبير خصومنا، فهي تضر الانطواء على النفس والانعكاس على الذات بحيث لا يحدث احتكاك من أي نوع بين الذات والعالم فتنهض من جديد، بل لننا نخون أنفسنا والمستقبل المرتجى فينا حين نولى وجوهاً إلى عصور ذهبية قديمة بعيداً عن ضياء الحضارة الإسلامية العظيمة التي انفتحت على الآخرين والتقت بهم لقاء التفاعل والاحتكاك دون افتقادها لحظة واحدة للخصوصية أو الهوية والتمايز، والواقع إنه التراث الذي عاشه أجدادنا الأقربون حين نقلوا إلى العربية ثمرات اليونانية وتجارب الفرس والمعاني المسيحية، فكان أن هبوا وأقنن يحملون مشاغل العلم التجريبي ومقومات الفكر العملي مما أتاح لتهضة جديدة في مكان آخر فرصة الظهور والتأثير في مجرى التاريخ، تلك هي النهضة الأوروبية التي تأثرت غاية التأثير بالحضارة الإسلامية فأخذت من

ليس أفضّل من الأدب والفن في التعبير عن وجهة نظر الآخر وسلوكه إزاء القضايا والمشكلات التي تواجهه. وليس كالأدب للألم تعبيرا عن أفراد المجتمع وطوائف الشعب في سمعها الحديث نحو حياة أكرم وأفضل من الحياة السابقة. لذلك كانت قراءة الآخر في مظانه هي رؤية عميقة لأحد وجوه العالم، وكلما عرفناه استطعنا أن نختصر التجربة الإنسانية من خبرات عديدة إلى تجارب أقل تساعدنا على الفهم وتذكرنا الأمل.

ومن هنا كانت فكرة هذا العدد، بالرغم من أنها فكرة تلوح في بقية الأعداد، ففتح لم نلتقي قط عن الآخر منذ العدد الأول من «القاهرة»، فإن هذا العدد يكتسب أهمية خاصة، من تضمنه المادة الفكرية الدسمة بعد المتغيرات التي طرأت على العالم، وهي في الأصل الأسيل متغيرات فكرية قبل أن تكون سياسية أو اقتصادية أو ثقافية.

فالخيال الخلاق هو الذي يلعب دوراً أساسياً في تشكيلها، ثم في تجليها المادي حين تتبنى الأفعال المادية للتغيير.

لسنا في العصر الجديد تابعين لفكر قديم من أي نوع، سواء أكان

# نهائية



بآخر، ومن أجل أن نكون مشاركون وفاعلين في الحضارة الإنسانية يجب علينا أن نستنهض عقولنا، عبر التمازج مع الآخر، قراءة وتعلماً ودراسة، لا أن نكون مجرد ناقلين أو مستهلكين.

ومن هنا جاءت فكرة هذا العدد - وإن كنا نشرنا من قبل - عديداً من الدراسات المهمة عن الآخر وله، إلا أننا هنا نرصد له عدداً كاملاً، وبذلك نكون أول مجلة عربية تقرأ الآخر قراءة متأنية - عبر كتابه

هذا العدد من مجلة «القاهرة» هو محاولة أرادت أن تكون عميقة في قراءة الآخر، متجزاته، رؤاه، آفاقه وانعكاساته، علينا، بوصفنا - العالم الموسوم بالتخلف والتبعية - وهي نظرة كلاسيكية لم يغيرها العقل الأوروبي إلا نادراً، فالآخر - المركز الأوروبي تحديدًا الغنى مادياً وفكرياً، دائم التحول والبحث والتتقيب عن ماهياته ووجوده من أجل التقدم والرفاهية لأفراده، وهي الأشياء التي تؤثر فينا حتماً بشكل أو

# الفلسفة

من

مغامرة العقل الأولى

إلى

أبيولوجيات المستقبل

يطرح ويناقش فكرة «نهاية الفلسفة»، وهي الفكرة التي تشغل العقل الأوروبي لا بوصفها فكرة فلسفة محض، بل بوصفها فكرة عامة وشاملة للتاريخ والأنثروبولوجيا والثقافة والدين.

وهو هنا يتماس ويتفق و «روبرت سولومون»، صاحب مقال «عصر التنوير: الأبيولوجيا البرجوازية والادعاء المتعالى» والمنشور على صفحات هذا العدد، حول إعادة النظر في الادعاء المتعالى للعقل

ومنظريه دون الوقوع في براثن التبعية أو الانسحاق أو العدمية، أو الشك في قدرة استيعابنا للمنجز الحضارى الإنسانى.

وسلاحظ القارئ أننا اخترنا لهذا العدد عنوان : «نهاية الفلسفة»، وهو عنوان البحث الذى ناقشه وائل غالى فى رسالته: «نهاية الفلسفة فى أعمال هيجل»، وهو أول باحث عربى يناقش العقل الفلسفى الأوروبى فى بيئته وفى عقله نفسه، واستطاع وهو باحث من العالم الثالث أن

## نهاية الفلسفة



عصر، يتناسل فكريا، بشكل أو بآخر، عبر  
فلسفات عديدة، ويملك أوجهها عدة  
وتأويلات كثيرة، ولا يجيء هنا «هيجل» في  
خلفية هذا العدد اعتباطا، بل يأتي بوصفه  
تأريخا لأعمال الروح الأوروبية في الفكر  
الإنساني.

وكما يصرح «سولومون»، بأن الأفكار لا  
توجد في عالم خاص بها، إذ يمكن لفكرة  
ما أن تكون نتاجا مشتركا لعدد من الناس،  
فإننا نفكر على قدم المساواة، مع العقل  
الأوروبي، ندرسه، نتعلمه، ننتجه،  
«هيجل»، مثلا لم يصبح ألمانيا أوروبيا  
بالمعنى المحدود، بل أصبح ملكا للبشر  
كافة، وللحضارة وللتاريخ، وهو القائل بأن  
أفكاره هي أفكار الإنسانية، أو أفكار  
المطلق، ونحن - بدورنا - نشاركه هذا  
الرأي، كما نشارك «سولومون» آراءه حول  
ادعاءات المركزية الأوروبية.

الأوروبي على بقية الشعوب الأخرى، وهي  
خصيصة أوروبية، كونها الحضارة التي  
ضحت، عبر خمسة قرون أو أكثر، للبشرية  
مجموعة هائلة من الفلسفات والفلاسفة  
والعلماء والفنانين والكتاب والسياسيين،  
وقد تأثر مجموع البشر، ولا يزال، بتلك  
الأفكار مجتمعة طوال النصف الثاني من  
الألفية الثانية.

ومع تسليمنا بكل ذلك والعرفان له، إلا  
أننا بحاجة إلى أن نرى الآخر عبر نفسه  
دون أقنعة.

ولأن هيجل هو الفيلسوف الأصعب في  
تاريخ الفلسفة الأوروبية وأيضا حجر  
الزاوية في الفكر الأوروبي الحديث،  
والمتملق عليه من قبل التيارات الثقافية  
المختلفة، سواء أكانت يمينية أو يسارية أو  
دينية لاهوتية أو علمانية، فهو في كل



فريد



فريد



نيتشه



ميجل

بعد الحروب الطاحنة التي خاضها والدعاء والصراع مع سلطة اللاهوت - بنقد ذاته، والانقلاب على ثوابته أيًا كانت، وبالتالي الخلق والابتكار والتأويل، فمثلاً، هنا تيار فكري يتحدى التيار القائل بأن العالم الثالث مجرد سابح في التخلف مع سماته وخصائصه الداخلية المتمثلة في الموانع الثقافية للتجديد والافتقار إلى الدافعية للإنجاز، ويرى أن التخلف ليس حالة أصيلة، وهذا التيار يناهض التيار القائل بأن العالم الثالث، لابد أن يندرج تحت الغرب بوصفه قائداً، حتى يحاول اللحاق بعملية التقدم.

كما نرى لدى أومبرتو إكو، فالتاريخ قد يكون معيّنًا لنا، عبر تأويلاته في تغيير أو إزاحة ماهو راسخ، أو أن يكون مدعاةً لتثبيت بعض المعارف القديمة، أو التراثات المضمرة، أو المأخوذة على علّاتها، فكل ميلاد جديد، تاريخ معقد، حسب قوله، ولا

لقد كانت الفترة من (١٧٥٠ حتى ١٨٥٠) هي فترة السمو الأوروبي والسيطرة الكاملة على بقية البشر في العالم، وتحويل الأوروبي إلى أفق لانهاى تحت قوة الأنا الأوروبية، وهي الفترة التي أنتجت - بعد ذلك - الفلسفات التي حددت أو حذت من بقية أفكار الشعوب الأخرى، التي لم تنصت لها أوروبا طويلاً، أو اعتبرتها مخزناً هائلاً للميثولوجيا والرموز والأديان، مجرد وعاء للتاريخ، وعبر الاستلاب والهضم، استطاعت أن تجمد قوة العقل الأوروبي وسيطرته وتحديد أدوات إنتاجه، وبالتالي التعلل وفرض أنماط وأساليب الحياة من أجل المركز الأوروبي، بعيداً عن الهامش المتخلف.

ومع ذلك، فالعقل الأوروبي يجدد دائماً في أفكاره، فهو نشط خيالياً، يستطيع أن يضع يده على مواطن الضعف، فهو يتصف

## نهاية الفلسفة



روبرتسون، صاحب مقال: «النظام العالمى اليهودى الجديد، والمنتشور على صفحات هذا العدد، وأحد أهم المنظرين اللاهوتيين لنظام عالمى يعقوبى، خاصة بعد فشل الفلسفات المادية والإنسانية، من وجهة نظره، متمثلا انهيار المعسكر الشرقى وصعود نظام عالمى جديد، هذه الحالة الأصولية غير منفصلة عن روح وقوة الفكر الأوروبى الانقلابى على الثوابت أو الرموز حتى النهاية» هناك عديد من الألمان الجنازية التى تسلط المعنى الأسود لمصطلح النهاية، أكثر مما تركز على المعنى الآخر للمصطلح نفسه، وهو المعنى الذى ربما استطاع، أو كاد يرافق الفلسفة إلى مثواها الأخير، فقد تم الإعلان أيضا عن نهاية الأرض ونهاية الغرب وحضارته التى خلقت الفلسفة.

فمصطلح «نهاية الفلسفة، أو «نهاية التاريخ، أو غيرهما من المصطلحات التى

يمكن فصل «هرمس، عن «جاليليو، عن «فرانسيس بيكون، و «نيوتن، إلى «آينشتاين، فالعلم نشأ مع المعرفة الكيفية الهرمسية، وإعادة تأملاتها وتساخاتها فى المعرفة الحديثة، التى أنشأت بدورها «علم المستقبلات، «البازغ فى أوروبا آتيا، والقائم على مجموع الحداثة الأوروبية.

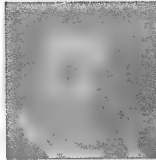
إذن، لم يكن بحث «نهاية الفلسفة فى أعمال هيجل، إلا فى صلب الحالة الأخرى، الحالة الأوروبية المشغولة دائما بالبحث، سواء فى العلوم البحتة، أو العلوم الإنسانية الأخرى، وبينها التيارات اللاهوتية، أو التيارات الأصولية التى تنشط أحيانا، لتعادل وتوازى قوة الفكر، وتؤثر فى المحيط الآخر، فهناك التيارات الأصولية الأنجليكانية فى أوروبا وأمريكا، الناشطة فى نهاية القرن، والتى سيطر القارئ على أحد رموزها فى أمريكا، «بات



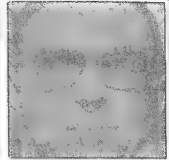
رامبو



شراوس



بيون



سارتر

وهمنجواي، وفوكنر، وفوكو،  
ودريدا، وسارتر، ودافنشي، ودينوار  
و رامبو، وهم الذين يتعالى بهم العقل  
الأوروبي الحديث.

ونشيرا أخيرا إلى أبواب هذا العدد:  
من نظريات الإبداع الغربي إلى القصة  
والشعر والرواية، وقد قمنا، بقدر الإمكان،  
بانتقائها من مراكز الإبداع في العالم،  
سواء في فرنسا أو ألمانيا أو روسيا أو  
الصين أو أمريكا اللاتينية، فكل هذه  
المراكز، ضخت كثيرا من الإبداع الإنساني  
العظيم.

أن هذا العدد محاولة للفهم والتعلم  
والإدراك، للحضارة، التي نود المشاركة  
فيها.

مهدي مصطفى

صكها الغرب، جاءت تعبيراً عن أزمة  
الإشباع العقلي والمادي، وعدم التسليم  
بالثوابت أو الرموز أو الأصنام، وسيرى  
القارئ هنا، مقالين عن «سيجموند فرويد،  
أحد رموز علم النفس الحديث وهو عارٍ  
تماماً، وكيف أنه تراجع عن بعض نظرياته  
وآرائه في الطب النفسي، وكيف أنه احتال  
على الفكر الإنساني. إذن، هذا هو ما نود  
أن يكون ضمن تفكيرنا، نحن في العالم  
الثالث، أن ندرس ما نملك من تراث ونعيد  
النظر مرات ومرات في الأصنام النهائية  
التي خلقناها.

كما يعيد الغرب القراءة من جديد  
لأعمال أهم رموزه: هيجل، و«كانط،  
وماركس، وفرويد، وشكسبير،  
وكافكا، وأسينوزا، وشينهور، وإنجلز،  
وبودليس، وجويس، وإليوت.



لوحة تكليد جيمس للتورس



# المواجحات

## نهاية الفلسفة

من

مغامرة العقل الأولى

إلى

أيدولوجيا المستقبل

١٢ ذروة الفلسفة في عصر العاوية، وائل غالى. ١٢ العودة إلى الجذور

المهجورة، أومبرتو إكو - ترجمة ناصر الحلواس. ١٣ عصر التنوير: الأيدولوجيا

البرجوازية والإدعاء، المتعالى، روبرت سولومون - ترجمة، مالك سلمان.

١٤ كيف بدأت الحياة، جيه ماديلين ناش - ترجمة، مدحت محفوظ.

١٥ فرويد ونظرية الإغواء، جيفرى م. ماسون. - فرويد المحتال، آلين

استرسون - ترجمة، مدحت ميخائيل. ١٦ أيدولوجيا المستقبل، إيان

مايلز - ترجمة وتعقيب، محمد عبد المنعم شلبى. ١٧ التحليل

البنفسجى للإسطورة، سايمون كلارك - ترجمة، سعيد العليمى.

## نهاية الفلسفة



## خزوة

## الفلسفة

## فى

## عطر

## الهوائية

## وائل غالى

**ف**ذلك فكرة بسيطة أؤمن أن القارئ  
سيمسك بها تسليماً حراً، وهذه الفكرة  
هى أنه لم يكن كافياً أن لاحظ طفلان محور  
«نهاية الفلسفة» فى أعمال ومؤلفات  
الفيلسوف الألماني الكبير جورج فريدرش  
هيردريش هيجل حتى أسرع لنفسى قبلياً  
للبحث الذى يتخذ، كما قلت، «نهاية الفلسفة»  
فى أعمال ومؤلفات هيجل، موضوعاً له.

ومن المسلم به أن هيجل يميز بين  
أمرين مسحين، هما الفلسفة من ناحية،  
وجميع العلوم الأخرى من ناحية أخرى،  
ويقوم هذا للتمييز على اعتبار أن العلوم غير  
الفلسفية تتمثل فيما أسماه هيجل - فى لغته  
الألمانية الأصلية واللغوية «الموضوعات»، أى  
GEGENSTÄNDE وبعبارة أخرى تتمثل  
العلوم فى معزل عن الفلسفة وتلقم موضوعها  
بوصفه موضوعاً يمثل بالضرورة أمام الذات  
أو بوصفه موضوعاً يتعارض بالضرورة مع  
الذات وبالتالي فهو يفاير الذات تمام الفارقة،  
ويختص بالهد العلوم المحتوى، أما الفلسفة  
فتحلقه خلقاً من عدم - حين تتمثل العلوم  
محتواها تماثلت الفلسفة (أو الفكر فى حقيقته  
أو الفكر التصورى) لنفسها فى إطار  
تحدداتها، ومن ثم تتخذ الفلسفة الحقيقية  
تحدداتها بتقيد الضرورة الداخلية لخطاب  
الفكر للتصورى، وليس بتقيدتين الموضوع  
الخارجى، وهكذا لا تلحظ الفلسفة - على  
عكس العلوم - سلفاً وجود موضوعات قائمة  
ومسلم بها قبلياً.

ويختلف تماثلي - فى عمومته الأعم -  
فحص مجموع الصلات التى تربط الفكر  
للتصورى بموضوعه.

ويشير عنوان الدراسة «نهاية الفلسفة فى  
أعمال هيجل» إلى كلام ما، ولا يثلث هذا  
الكلام - ولو ادعى اللطمية - من أن يهد نفسه  
ويفهد معنى خصلته وشرعيته.

تطور الدراسة سؤال «نهاية الفلسفة فى  
أعمال هيجل» وكان شراح هيجل لم ينفوا  
عندما بالتحليل والمعرض - أول تشريح  
لدراساتى هو أن هيجل ادعى امتلاكه  
المعرفة وبالتالي ادعى أنه ترقف عن البحث

الواقعية والمخالفة، فهذا التطور في الوقت نفسه، يفقد معنى مغايراً تماماً لمعنى السرد الساذج لجموع التبدلات السطحية الثابت لا يتحول في جوهره . بدني أن الفلسفة تكرر نفسها، لكن مع هيجل فحقت الفلسفة دورة بحفية عن توقف هذا التكرار .

بنى أبايونا :هيجلهم، الذي لم يكن بالضبط :هيجل أبايونا، ورقت إذن هيجل أبايونا، وعلى عكس فرنسا التي تميزت منذ فوكتور كوزان(٧) بالأحكام السلبية حول أعمال هيجل، عرف العالم العربي التيار الهيجلي ، في مرحلة متقدمة،(٨) كما حدث في ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا، لكنني ظلت أعرف أعمال هيجل لفترة طويلة من الزمان عبر خصوصه، كما سبق أن عرف دارسو الفلسفة فكر السنسلايين عبر محاورات خصمهم للردد أفلاطون، وهكذا ظل هيجل لفترة طويلة من الوقت ،متموعاً، كما يعبر فرويد. على كل حال نعيش كلها مرحلة تاريخية جديدة، وليس هدفاً على الإطلاق أن ندخل في تحليل تاريخي مفصل لمشكلة دخول الفكر المصري والعربي الفكري عالم هيجل، وإن كنت أقر بأنها مشكلة حاسمة في كثير من جوانبها.

كان موضوع :نهاية الفلسفة في أعمال هيجل، هو الفهم الرئيسي الذي دار حوله بحثي، فكلمة تقدمت في بحث موضوع نهاية الفلسفة زادت قناعتي بأن أعمال هيجل هي السمر للرأسمالية لمبور المشكلة، وكثيراً ما نتخيل أننا نخلصنا من أعمال هيجل أسي حين أننا غارقون فيها، وأحياناً دون أن ندري أوردى.

ومن ثم فهدف البحث النهائي هو نوع من التدخل إلى التلطف لحسانا، ومشكلة التدخل في الفلسفة هي محور الباب الثالث من الدراسة، سبب كيب أن نهاية الفلسفة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتجاهلها.

وأراد البعض ببديعة الحال أن يبرهنوا على صحة مقولة نهاية الفلسفة انطلاقاً من إعادة تحليل أعمال مارتن هيدجر وفريدريش نيتشه وكارل ماركس، غير



هيجل



جرت



دريدا

الأحداث التي عهده . ويوصل جميع هذه الأحداث تدريجياً إلى إنتاج تقدم ما في العمل الفكري، تخلف التفسيرات وتكثرت، لكنها تكسب من خلال هذا الاختلاف وهذا للتدريج مزيداً من الدقة والعمق، ومن ثم فإن للكسب غير قابل لأن ننحيز جانباً، وتكبدل المناهج وتتغير محاور البحث .

ومن هنا فإذا كان تطور الفلسفة في بعض جوانبها تكراراً لزيلا للمصراع نفسه بين

عنها كما فعل للفلسفة منذ أن ولدت الفلسفة، إلا أننا نجد أنفسنا مازلاً نبحث مع آخرين كخبرين . طبعاً موضوع :نهاية الفلسفة : في أعمال هيجل هو خلاصة استخلصها الشراح ولبيت نظرية مدبورة تماماً عند هيجل . هذه الخلاصة أو هذا الاستنتاج عرسي بالضرورة . وهذه العرسية ليست مصادفة، فأحد تلاميذ هيجل الأساسية تقول إن الفلسفة بقت الزمن، والتاريخ نفسه ابن الزمن والفيزياء بقت الزمن، والفيزياء الزاهة ليست فيزياء جاليليو، وفيزياء جاليليو لم تكن فيزياء أرسطو. هل يفيد ذلك معنى التقدم من فيزياء لأخرى؟ لا شك، لكن كل عصر ينشئ روحه حسب معايير الفاعلة ومقاييسه المتغيرة، ينشئ كل عصر روحه بكل لفظاته وشئ أبعاده، بكل الشروح وجميع البحوث في تاريخ الفلسفة ( الشروح للصحة والشروح الفاسدة على السواء ) التي ورثها أو التي اكتسبها لوه ، ينشئ كل عصر روحه بأفكاره الخاصة في البحث، بمميزاته وعيوبه، بمراهبه وقصوده وبكل ما يميزه عن غيره من العصور .

كذلك ينشئ كل عصر فكراً يمثله للماضي، لكن فيما يخص أعمال هيجل ليس المتصور أنني أعود إلى فكر قد مات، فأحد اللروض المركزية في الدراسة هو أن روح عصرنا لا تلت إلا بعصر شديد أو شبه محال من هيجل . ودراسة أعمال هيجل لا تليد معنى العودة إلى الماضي .

وإذا كنت قد درست هيجل فإن هذا العمل لا ينفد معنى العودة إلى هيجل بوصفه مفكراً لم يعد له حاضر، وإذا كان ضرورياً أن أسخدم كلمة العودة فإن هذا الاستخدم يفيد عددي معنى العودة إليه بلورة فهم أفضل لمصور العالم الحديث، وبالمداسية، وبدو فكره دائماً مصدر حياً للبحوث الفلسفية المعاصرة؛ فهناك مفكرون وفلاسفة معاصرون لا هم هيجليون ولا شراح أعمال هيجل يشهدون بالقيمة الراهنة لفكره (٩).

إنني بدني كل عصر، فكراً، تصوره الخاص حول أعمال هيجل . كيف؟ بواسطة

## ذروة الفلسفة



أن هيجل هو الأصل في كثير من الأفكار الجديدة التي بلورها كل منهم، وبالتحديد فيما يخص بمقولة: نهاية الفلسفة.

هيجل ليس فيلسوفاً من بين فلاسفة كثيرين أثروا في تاريخ الفلسفة للعام، وإنما هو فيلسوف عملاق فرض فكره فرضاً بحيث أصبح من المحال على الفكر أن يستمر في التفكير بالطريقة نفسها التي كان يفكر بها قبل أن يضع هيجل فكره. لم تكن الأنتروبولوجيا ممكنة قبل هيجل، ولم يكن علم اللسان ممكناً قبله أيضاً، كان هيجل فيلسوف التحول الجذري عن مضارب المنطق الأسطوي، ولم يكن تجاوز منطق أرسطو أمراً هيباً، إذن فما حارلت أن أبعث عنه هو تحليل نقطة انطلاق العملية المعاصرة الفكرية والدائرة حول نهاية الفلسفة.

ومن ثم فهذا افتراض آخر جوهري فرض نفسه على "هو أن هيجل أقدر في أعماله تمارزاً جدلياً، ويزعم أنه قام به في تاريخ الفلسفة، ويمكن أن أصف هذا العمل وأن أحمده بأنه مراد مضارب فلسفية جديدة وإيقاع على مضارب فلسفية قديمة، وبالتالي لم يكن التجاوز تجاوزاً مطلقاً، وبالتالي أيضاً نتج السؤال المعسوري في بحثي: كيف أتصور- هيجلياً- مجرى الفلسفة بوصفه تطوراً جدلياً دقيقاً بلا نهاية أخيرة، وأتصور في الوقت نفسه أن الفلسفة تنتهي إلى شاية هي في جوهرها افتراض الوجود- ولو خيالي- نهاية أخيرة؟

ويبين الاندساس على مستوى آخر هو أن هيجل يؤكد معايير محاكمة أخلاقية للتلف ويؤكد أنه حقق الشروع الفلسفي الأسمى، وبالتالي فهدف بحثي هو أن أحل التعمين الهيجلي لشروط الفلسفة الممكنة والواقعية والضرورية والتي تقود إلى تعمين ديناميكية الفلسفة غير الممكنة.

ويقوم تطور المفهوم الهيجلي لضرورة الفلسفة على تعدد تجارب المثقفة أمام أحادية الحقيقة الفلسفية. وهل هذا سؤال زائف؟ أليس هيجل مفكراً مسيحياً، عالماً لاهوتياً سارو بين الفلسفة وعلم اللاهوت؟ هل راجع هيجل

ببوسر امشطر العلم إلى التخلي عن تقديم معرفة تجعل الكون معقولاً وشافاً تماماً للإنسان، ولم تكن نشأة العلوم الإنسانية بعيدة عن التأثير في يقيننا في عقلانية المعرفة الطبيعية للشمس، ثم ظهرت عبارة فوئشه "مرت لله، وسبقها نهاية للفن، وإنلن التشكيلى والشعر والأدب، وسبقها أيضاً فكرة ذبول الدولة في المستقبل في صورة إسكاتولوجيا (أخروية) عثمانية تراكم نهايات للتكاتب في أشكال متعددة من مالارميه إلى بلونتشو وماكلوهان، أما الآن فالنهاية قد وصلت إلى الوقائع نفسها.

وبالفعل تم شطب الأمل في مجتمع مثالي تتحقق فيه الإنسانية الحرة والسعيدة . كان على المشجوعة أن تصح الأساطير الأيديولوجية السائدة منذ زمن طويل، لكن تم الإعلان عن نهايتها، ومع الإعلان عن نهاية المشجوعة تم، أيضاً، إعلان عن نهاية الصراع الطبقي والتاريخ والمستقبل، وهي نهايات أقت لتدعم نهاية الأيديولوجيات السابقة، ونهاية الإنسان والماركسية وعلم النفس التحليلي والثقافة، كل ذلك في إطار نهاية القرن العشرين والألفية الثانية .

وعلى كل حال هناك عديد من الأنماط للجانزية التي تملط الضمير على المعنى الأسود لمصطلح النهاية أكثر مما تركز المعنى على الآخر للمصطلح نفسه، وهو المعنى الذي- ربما استطاع أو كاد- يرافق الفلسفة إلى موارها الأخير، فقد تم الإعلان أيضاً عن فناء الأرض (٩) ونهاية الغرب وحضارته (٥) التي خلقت الفلسفة .

وقد كان شيوع الذرة الكلية- شيوعاً شبه كامل في الربع الأخير من القرن- العشرين بمثابة التخليص الفلسفي للنهائي لآخر سنوات الألفية الثانية من تاريخ تطور الإنسانية، فقد أوجزت هذه الذرة مجموع ظواهرها النهائية الفلسفية في فكر لا يقول إلا بالخاص، تقول (الكلية)، في وجهها العام، إنه إذا كان الكلام عن شيء فإنه ذو قول خاص به، وإذا كان القول عن الشيء حقاً فلا محل للتناقض، وأما أن يكون

الفلسفة مراجعة حقيقية إذن؟ ألم تكن الفلسفة على مدار تاريخها كله لاهوتاً على نحو من الأتساءل أو ديناً بمعنى من المعاني؟ لم أن هيجل شكاه بخفي وراء دفاع الدين ليقدم لعصرنا عقلاً شاكاً أصبح ضرورياً من تلك اللحظة إلى الآن، وهو العقل الأكثر مطابقة لطبيعة الإنسان والأكثر قدرة على أن يعيد له الفلسفة؟ أم أن هيجل لا يراجع الفلسفة أبداً ويقدم تصوراً جامعاً غير جدلي للفلسفة جرحه به الأزمة الحديثة إلى يقينيات المذهب العقلاني المطلق الأكويدة؟ إذن أعود من جديد إلى المعيرة: ماذا أختار وماذا أرفض؟

يبدو ويبدو أن إشكالية البحث- ثنائية غاية الفلسفة وموتها- مرتبطة بروح عصرنا، فاللبعض يتحدث عن أزمة البحث الفلسفي مشيراً إلى موت الفلسفة دون الحاجة بمراجعة الغايات، ما هي حال عصرنا بالتميز؟ انهارت مجموعة من الأوهام الرئيسية التي نشأت في القرن التاسع عشر ودفعت للفلسفة إلى فقد الثقة في قدرة الفكر على فهم الواقع .

أولاً، العلم:

تحت تأثير فلسفة العلوم الذين عرفوا كيف يستخلصون الدروس من أزمات العلوم نفسها من أمثال جاستون باشلار وكارل

الكلام عن شيء آخر فلا محل هذا أيضاً للتناقض والمقصود من وراء نقطة للنقض إلغاء التناقض، أى استعادة مطلق أسطو القديم .

وعلى هذا فلا كناية هناك، سواء أكانت النظرية أو الكين أو الممارسة أو الذات أو الجسد أو الدرع أو الدلالة أو الوجود أو عدم أو غيرها من الكائنات المعروفة، التي لا تمير عن ماهيات الأشياء بل عن آراء ذاتية أو عن تسجيل براجماتي للأمر الواقع دون سبر أغوار هذا الواقع .

الأساس إذن هو خلط للنقيض في النقيض دون تكوين وحدة أرقى فسلوات السلطة مقاليد الحكم العرفي، أى أن السياسة حلت محل المعرفة، إننا نميش عصر يتجسم فيه الأيديولوجيون على بعضهم بعضاً، وفي عصر تحديث الفدعة بتلصق الفيلسوف في عالم يزخر بالارغاعات ويشك شكاً كاملاً في قدرة الصدائء على أن تعيش ضمن تاريخ شامل، له معنى، يعود عصرنا عرباً أديباً - ربما عن الزمن - ويختزل الوجود كله إلى صورة معادة مكررة، كما يحذر من المشاريع الكبرى .

إذن عصرنا هو شطب لاس هيجل من تاريخ الفكر واختيارى لهيجل اختيار مآكس المصغر غير أن هيجل بدا لي الأكثر قدرة على وضع الجائزة الفلسفية في وضعها الصحيح، أى في علاقتها الجوهرية بإعادة تعيين غايات الفلسفة، كان هدفي إذن ليس التدليل من جديد على ارتباط هيجل بالفكر الحديث (٦)، وإنما محاولة دراسة مشكلات التجاوز الهيجلي للفلسفة، ويغلي مشروع البحث مجموع المشكلات الخاصة بالتجاوز الذي أحدثه هيجل في بنية الفلسفة وحركتها على السواء، ومن هنا أن يجد القارئ دراسة لتصريف هيجل للفلسفة، وإنما سيجد تعبيراً لجمصر صبح نهاية الفلسفة: غايتها، مداها، آخرها، عاقبتها .. ليس موضوع البحث دراسة وحدة الفلسفة، فحد الفلسفة ينفذ معنى تمييز الفلسفة من غيرها من نشاطات الروح المطلق كالدين والدين، أما غايتها على سبيل المثال فهو موضوع للباب الأول في للدراسة

كلها، وآخرها هو موضوع للباب الثاني، وأولها هو موضوع الباب الثالث والأخير .

ولننقد إذن أن البيولوجيا فيها الهيجلية حول مشكلات نهاية الفلسفة ضئيلة للغاية ومن هنا كان هذا البحث، وهو بحث يختلف عن البحث في مشكلات نقد الميتافيزيقا، كما يفهمه النصارى منذ نقد كانط للميتافيزيقا التقليدية.

وبالغفل ظل الدارسون والباحثون يحلون هيجل إلى كانط ويحلون مشكلات نهاية الفلسفة إلى مشكلات نهاية الميتافيزيقا (٧) . وهكذا تكون فلسفة عمانوئيل كانط قد سبقت ليس فقط هيجل، وإنما كذلك هيتشه وهيجر وماركس، لأنها لغت الميتافيزيقا القديمة وأطلقت عليها صفة «الفلسفة الجاعدة»، والوهم المتصالي، لكن مفهوم الميتافيزيقا ليس متماهاً مع مفهوم الفلسفة وإن كان مفهوم الميتافيزيقا بجوار مفهوم الفلسفة، وككتب هيجل يقول إن الرابطة وثيقة بين سقوط (sturz) الميتافيزيقا السابقة وبين السمر الرئيسي (Haupt Über Gang) لتقائد إلى الفلسفة الحديثة (٨)، وهكذا يشهد هيجل على أن المقصود هو «السمر» (Übergang) وليس المساراة بين الميتافيزيقا القديمة والفلسفة الحديثة، وإن جاز لي أن أستخدم استعارة مجازية غير أكاديمية استعملت أن أقول إن الميتافيزيقا القديمة تلاقى الفلسفة الحديثة في «مفترق الطرق»، أو على جسر، وفي المآلين تأتي كل منهما من طريق مختلف، تفك الميتافيزيقا للتقديم وللحقيقة الحديثة على شفتين بعيدتين للوحدة عن الأخرى، وهل هناك تشابه بين نهاية الميتافيزيقا ونهاية الفلسفة؟ وما هي شروط هذه المشابهة بل ما هي شروط تحويل نهاية الفلسفة إلى نهاية الميتافيزيقا؟ وعلى أن تتغير كيف تكون نهاية الفلسفة علامة دالة على نهاية الميتافيزيقا؟

أولاً: تعنى الميتافيزيقا، حسب تعريف باومغارتنر ألكسندر جوتليب (١٧١٤ - ١٧٦٧) في كتابه «ميتافيزيقا»، ط ٤ ، ١٧٥٧، إنها العلم الذي يدرس الأسس الأولى أو الهياكل الأولى لشيء تقوم عليها المعرفة

الإنسانية، وهذه الأسس هي أسس أنطولوجية (مفهوم الوجود) وكونولوجية (مفهوم الكون) ونفسية ولاموتية (لللاهوت العليوي) .

ثانياً:

من المعروف أن تعبير «ميتافيزيقا» يدل على مجموع مؤلفات أرسطو التي تتلوه عملياً المؤلفات الخاصة بالفيزياء، ومن هنا كانت الكلمة لا تشير إلا لقيمة التصنيف لكنها مستعملت فيما بعد إلى عبارة تدل على الطابع الفلسفي الذي يطبع به محتوى هذه المؤلفات، ومن هنا أيضاً كان الخلط بين الفلسفة والميتافيزيقا - من هنا أخيراً كان الخلط بين نهاية الفلسفة ونهاية الميتافيزيقا، وعلى كل حال كانت الكلمة في البدء تشير إلى «موضوع»، يتناولها أرسطو بالنقد والتحليل في مؤلفات تسمى عنوان الميتافيزيقا. إذن كانت تشير إلى فهم هذا الموضوع في علاقته بمجموع أعمال أرسطو وبعد ذلك، أي بعد أرسطو، استمر الخلط بين الفلسفة وبين الميتافيزيقا، وأشارت كلمة فلسفة لا إلى الميتافيزيقا، وإنما إلى علم المنطق والأخلاق والفيزياء، غير أن الرواقيين الذين صنفوا على هذا النحو الثلاثي (المنطق والأخلاق والفيزياء) مجموع العلوم الفلسفية، يستندون في واقع الأمر إلى التمييز الذي كان قد أقامه أرسطو في «الطوبى» (١، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩)، ويضاف إلى كل ذلك أن أرسطو استخدم لفظاً مغايراً للميتافيزيقا والفلسفة معاً ألا وهو لفظ «الفلسفة الأولى»، والذي كان يقصد به الفلسفة في معناه الحصري : بدوي فيلرسوفيا .

ومن هنا تبع السؤال : هل الفلسفة ميتافيزيقا أم هي فلسفة أولى؟ تقوم الفلسفة الأولى على دراسة الموجود بوصفه موجوداً، كما تقوم على دراسة المنطقة الأكثر ارتفاعاً أو علواً في ما هو موجود ويتحدد في ضووه هذه المنطقة العليا الموجود في كينته، ومن ثم فالميتافيزيقا مصطلح يشير إلى المعرفة الأساسية بالموجود بوصفه موجوداً وفي كينته .

## خزوة الفلسفة



أولاً: قال عمانوئيل كانط بأن التلخيص الموضوع في العقل بحكم محدثات ملكة الفهم هو تناقض جوهري وصوري. ثانياً: بين كانط أن الذات بوصفها إنزكاً محتملاً لم تعد نفساً أو شيئاً يحمل محمولات مونافيزية وإنما الذات هي الوعي بالذات وبحريتها .

ولكن هناك مجموعة من المحدود التي تعد عمل كانط، ومن ثم فهناك مجموعة من المحدود التي تعد حصر البحث في نهاية المونافيزيقا بدل البحث في نهاية الفلسفة . أولاً، يتميز فكر كانط بأنه فكر أحادي الجانب، فهو لا ينظر إلى محدثات ملكة الفهم في ذاتها وذااتها وبالتالي، فهو يرى نهائيتها لا في طبيعة محتوياتها وإنما في التحارص القائم في الوعي بالذات المفكرة في هذا التحارص وكتلق فلسفة عمانوئيل كانط والتجريبية على أن العقل عاجز عن معرفة الأشياء فوق الحسية والعقلية والإلهية، ومن ثم فهما سجدتا للإلهائي واللاحقوي، أي أنهما يصوراهن معرفة ذاتية محض مشروعة بتخارج وحيء في ذاته الذي هو التجريد عما هو بلا شكل قائم في لما بعد، في الفراغ ولكي تقف الفلسفة موقفاً علمياً نهائياً عليها أن تتكفي عن الأمور الذاتية:

أولاً: الصلاحية المثبتة التي تتحصى بها محدثات ملكة الفهم المحدودة والمتحارصة على وجه العموم .

ومن هنا نابع سؤال آخر: ما هي ماهية معرفة وجود الموجود؟ بأي معنى تنمو هذه المعرفة وتصير معرفة الموجود في كليته؟ ولماذا معرفة الموجود في كليته تنقود إلى معرفة معرفة الوجود؟

في ضوء سيادة الديانة المسيحية على رؤية السلام في صورته السامعة نشأت المونافيزيقا المتخصصة، وتدرس هذه المونافيزيقا المتخصصة علم النفس وعلم الكون وعلم الله، وأما المونافيزيقا العامة فهي أنطولوجيا تدرس الموجود على وجه العموم أو الموجود والمشرية، وتقوم المونافيزيقا المتخصصة، والمونافيزيقا العامة على نموذج البرهان المنطقي أي أنهما يقومان على المعرفة الرياضية.

وفي السؤال الذي أثارته أكاديمية برلين في العام ١٧٩٦ لينتاش في الجواب عليه الدارسون والباحثون والعلماء والفلاسفة المعنى التالي: ما هو التقدم المنطقي الذي أحرزته المونافيزيقا في ألمانيا منذ عصر لوبنتزل وفولف؟ وكان ردهه قد نشره عام ١٨٠٤، أطلق عمانوئيل كانط على المونافيزيقا المتخصصة صفة «المونافيزيقا الأولى»، وهي المونافيزيقا التي تبلغ المبلغ النهائي للمونافيزيقا: «Metaphisik im EndzWeck»، ويسجل عمانوئيل كانط في كتابه التأسيس «ثقل العقل المحض، أن المونافيزيقا، بوصفها معرفة نظرية يصورها العقل صياغة معزولة هزلة تامة تقفل تماماً فرق تعاليم الخبرة، لم تكن سوى بحث، سمه الأساسية، التردد، كيف تستطيع أن تعيش بدون المحسوس؟

وإذا ارتبطت بالمحسوس كيف نظل، المونافيزيقا مجاورة للمحسوس؟

وهكذا قيلت المونافيزيقا بنقد جذري من ناحيتين، أما الناحية الأولى فقد كانت الفلسفية التجريبية، ومازالت تلقى ما يفوق المحسوس حياداً، وتكفي أية معرفة يصورها ما فوق المحسوس عن نفسه .

وأما الناحية الثانية فكانت أن كانط قد امتحن قيمة مفاهيمه وتصورات ملكة الفهم.

ثالثاً: افترض الركنية للمعطاة سلفاً والجاهزة سلفاً، والتي كنا نقبس بها محدثات الفكر.

ثالثاً: للمعرفة بوصفها علاقة بسيطة وتبينها الفلاسفة بين المحمولات الجاهزة والذاتية.

رابعاً: للتحارص الثابت بين الموضوع والمحمول.

ومن ثم ليس موضوعي أن أبحث في الأنطولوجيا أو علم النفس العقلي أو علم الفكر العقلي أو اللاهوت العقلي، فهي العلوم التي أسست المونافيزيقا التقليدية، ومن ثم أيضاً لا يدور تعاليل حول مصطلح ماريين هيجر «التغلب» (Überwindung) الذي اجتاز («Schwierigkeiten» به المونافيزيقا التقليدية حين أن يجاوز (Aufheben) أفق الفلسفة نفسه وأفق المونافيزيقا نفسها (٩).

كذلك لا يدور تعاليل حول تنظيرات هيجل الشطب التي مهدت الطريق أمام نقد لودفيج فويرباخ وكارل ماركس للمونافيزيقا التقليدية، فقد قام نقدهما على الأنشورولوجيا (١٠) وقسا لا إن على المونافيزيقا أن تزول لكي تتركه مكانها خالياً لخدمة الإنسان، إنه محور نقد اغتراب الإنسان في الإله - الموضوع، الإله المتعالي أو المتأرق لعقل الإنسان.

بالطبع تستعيد مشكلتنا في وجهها الأعم بعضاً من مقاربات عمانوئيل كانط، لأن المشكلة في تبين كوف بفهم هيجل شرعية الفلسفة. ومن اللبديهي أيضاً أن يعترض المعترض ويقول إن فلسفة عمانوئيل كانط تشدد باستمرار على أن العمل التقني «كفن» محفوظ للأجيال التالية فحواه التحصين النهائي لغاية الفلسفة، وإشباع الرغبة العقلية إشباعاً كاملاً بعد عذاب دام القرون (١١). وكان عمانوئيل كانط قد استخدم مصطلح «موت الفلسفة» مرتين في مقال قصير من عشرين صفحة يحمل عنوان «حول تنمية استجمام تجريدياً في الفلسفة» (١٢٩٦).

وكان يقصد في المرة الأولى أن الفلسفة تموت حين تستحيل «رسالة فرق طليعية،

(UBERNATÜRLICHE MITTEILUNG, MYSTISCHE ER-) أو إضاءة تصوفية، (١٢) وقبل آخر المقال (LEUCHTUNG)، (١٣) وقبل آخر المقال سالف الذكر يحذر هيمانويل كانط من خطر «الرؤية المبهوسة» (Schwarmerische Vision)، التي لو سيطرت على الفلسفة قضت عليها (١٤).

ومن ثم فإن اللحظة الكانطية ليست بلا دلالة. إنها اللحظة الأولى في التاريخ الحديث لفكرة موت الفلسفة. وأقول إنها اللحظة الأولى في التاريخ الحديث لأنها فكرة في ذاتها وإرادة في تاريخ الفلسفة قبل ألفي سنة (١٥). والدليل على أن الفكرة موت الفلسفة ملازمة لفكرة الفلسفة نفسها، إنها ليست فقط مذكورة في الكتب الفلسفية منذ نشأة الفلسفة وإنما كذلك لأن الفلسفة ظلت بعد هيجل تبحث عن من يهبها. قال ماركس وأنجلز منذ الأديولوجيا الألمانية دون مواربة، إن نمط للتفكير الجديد الذي أقام التاريخ على أسس علمية يقضي على الفلسفة، فبعد أن تصغر عرض الفلسفة الواقع المعطى تفكير عن أن يعيش حياة مستقلة عن الواقع الفعلي (١٦). كذلك وضع هيردريش نيتشه في فم الفيلسوف الأخير في كتابه كتاب الفيلسوف كلاماً يكلم فيه الفيلسوف الأخير نفسه في وحدة مطلقة، «الفيلسوف الأخير، هكذا أسمى نفسه لأنني الرجل الأخير، لا أحد يكلمني سوى وصولي يأتي وكأنه صوت إنسان يحضر» (١٧). ونعزجها ماركس ونيتشه للتفكير لا للحصر.

ولذلك في أن هناك من يستطيع أن يعترض قائلاً إن أهداف بحثي عن نهاية الفلسفة في أعمال هيجل على هذا النحو ليست أهدافاً متواضعة، وقد صاغ البروفيسور جان فرانسوا كيرفاجيون والبروفيسور هولين بوليتيس هذا الاعتراض في أثناء مناقشة الرسالة. لم يبلغ هيجل بالفلسفة في الحاصل والمزلة غشاية ليس وإنما مطّلع لناظر، ولا يبلغ الفيلسوف الغاية لأن هيجل لم يكن في مقدوره أن يستنفد طاقة جميع محددات «نهاية الفلسفة»، وهذه القطيعة

هيجل. أقوى من التساؤل الشكلي أو الصوري حول «نهاية الفلسفة»، نزل الدراسة حول نهاية الفلسفة. وإن كانت مهمة. شكائية ولتتكم حول نهاية الفلسفة حتى ولو كان عميقاً يبعثنا عن محتوى الفلسفة الهيجلية. مهمة «التعميد» الذي يلي هذه المقدمة العامة، هي أن يبين - في سياق الحديث عن المنهج - كيف أن شكل التفكير وثيق الصلة بمحتواه. لأن موضوع الدراسة هو البحث في التحول المستمر من شكل لغاية الفلسفية إلى محتوى موت الفلسفة.

### المشكلة ومنهج حلها

لقد هذا أن أتطرق لمشكلة المنهج الذي اتبعت في حل لغز الدراسة، من المعروف سلفاً أن التقاط الفكر الحقيقي للفيلسوف ما أصبح أمراً عسيراً، وهذا للواقع أصبح أمراً مسلماً به على وجه العموم حين يكون الحديث عن أعمال هيجل في نهاية هذا القرن.

لأن أعمال هيجل جزء لا يتجزأ من مجموع من أعمال الفلاسفة المعدين التي تم تفسيرها في شتى الاتجاهات المتعارضة، بل من المعروف خير المعرفة أن أعمال هيجل أصبحت حتى قبل رحيل هيجل نفسه عام ١٨٣١، أعمالاً تميل نحو اليمين حياً، وإلى اليسار حياً ثانياً، وإلى اللاهوت حياً ثالثاً، وإلى النزعة التاريخية المتقدمة حياً رابعاً، وأصبح أيضاً من المتفق عليه بين دارسي هيجل على مستوى العالم أن هذه التناقضات التفسيرية تنبع من تناقضات فلسفة هيجل نفسه البهرية والظهورية، وأما من الناحية النظرية، فإن معجم هيجل الاصطلاحي لا يحري إلا جزءاً قليلاً من المقولات الفنية التي تجد نظيراً لها في المعجم التقني الفلسفي للغات الأخرى، ويبدو معجمه ليس فقط غير قليل لأن يترجم وإنما يبدو أيضاً اعتباراً مبالغاً.

غير أن البحوث الهيجلية العالمية الزائدة تبرهن على أن دارسي هيجل أصبحوا قادرين على تفسير وشرح نصوص هيجل كلمة كلمة وصفحة صفحة.

موشل فوكو



هيجل

للتفكير مع الفلسفة السابقة عميقة غاية في العمق، ولها دور أساسي وجوهري بحيث إنها غير قابلة لأن يخلصها فيلسوف حتى ولو كان من عيار هيجل. ومن جانب آخر سوف يتفق كل منا على أن الرغبة في التفكير هيجلياً أقوى من الرغبة في التفكير في التفكير. ويمارة أخرى تبدو الرغبة في التفكير الفلسفي حسب مقاييس نمط التفكير النظري للهيجلي - في سياق بحث عن

## ذروة الفلسفة



سباق كتاب يمسك فيه فكره ويدافع فيه عن نفسه (١٩). لكن السؤال لا يشهده فقط الفيلسوف الكهل، وإنما ويثيره أيضاً الفيلسوف الشاب. فقد أثاره **فريدريش فيلهيلم شلتج** (١٧٧٥ - ١٨٥٤) في أولى كتاباته (٢٠)، وحيث ركز على مفهوم «إمكان» الفلسفة، كما اقترب من المشكلة نفسها هولدرلين زميل شلتج وهيجل في معهد ترينجين، فقد أثار هولدرلين مشكلة واحدة الفلسفة وضياها (٢١).

وقد كانت مشكلة ثانوية لأن روح العصر لم يكن روح تفكير، وإنما كان روح ترصيد تمثل في السياسة في الثورة الفرنسية الداعية إلى المساواة بين جميع الناس في كل أرجاء الدنيا، وفي الزعرة القيصريّة التي تجسدها نابليون فحاول أن يضم أوروبا تحت لواء واحد ومن بعدها الصائم بأسره، وشملت الزعرة إلى التوحيد التكلي في الفن والشعر والطم والفلسفة: في الفلسفة برد المعرفة كلها إلى مبدأ واحد على أساسه يبني بناء الفلسفة، وهو ما فعله هيجلته في مذهب الطم حيث رد العلم كله إلى مبدأ واحد هو الأنا المطلق، وما فعله هيجل برده إلى المعرفة المطلقة. وفي الشعر يجعل الشعر ذا نزعة كالية، لأن الشعر هو تفسير الطبيعة الكلية والتاريخ الإنساني التكلي. وفي الدين اتجه بعضهم إلى الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة) لأنها هي الكنيسة الجامعة التي تمثل للزعرة الجامعة الشاملة الكلية. (٢٢).

ويقوم تفسير ث. لوث في آخر تطورات العملية النظرية الهيجلية لأنه يرى في آخر العملية التعمين الأخير والمطلق والمعتق لصيغة التفكير النظري الهيجلي (٢٤). لكن بعد أن تقوم الدليل على أن الفلسفة الهيجلية ليس عندما سلطة أو منفعة مباشرة وبالتالي فهي ليست معرفة مباشرة فإنه يصعب من السهل أن نكتب أن المفهوم الهيجلي للمفصلة يدل على أن الفلسفة هي العلم بامتياز. بمعنى أن الفلسفة هي علم مجموع للوساطات للفلسفة عند هيجل هي فكر «الوساطة» (VERMITTLUNG) الذي لا يقاها أحدًا ولا يظهر تلقائياً على مسرح التفكير.

العملية الشاملة، أي العملية الشكلية والمادية التي تجري عليها الفلسفة ضمن التمثل للمعنى بين غاية الفلسفة الذاتية وحقائقها الموضوعية.

ومن ثم فمن الواضح أنه إذا كنا لا نرى الطبيعة الموجبة (التحقق) للفكر الهيجلي في المعرفة المطلقة وإذا كنا أيضاً لا نرى الطبيعة السالبة للتعين الفلسفي وتحققها فإننا لا نستطيع أن نتلخص معرفة هيجلية بمقولة «نهاية الفلسفة».

هكذا كان منهجى: التركيز على أعمال مفكر واحد نظر في الفلسفة، ولخبرته ليس فقط لأنه جزء لا يتجزأ من عصرنا، بالسبب أو بالإيجاب، وإنما أيضاً لأن المراجع مغفورة لإعادة بناء فكره. ولأن قسماً بالعمى السطحي، SATZE، ودلالة فكره تزدهر ليكون مدار التفكير في مشكلة «نهاية الفلسفة».

غير أن هيجل لم يترك في كتاباته صفحات مخصصة بكاملها أو بصراحة لمشكلات «نهاية الفلسفة». لم يترك ما يمكن أن نطلق عليه اسم «نظرية» أو «مقيدة»، أو حتى «فلسفة» جاهزة حول «نهاية الفلسفة». أما **فريدريش هينريش يعقوب** (١٧٤٣ - ١٨١٩) فقد أثار السؤال حول جزئية غاية للفلسفة. وذلك في آخر حياته (١٨). ويتطرق **يوهان جوتليب فيشته** (١٧٦٢ - ١٨١٤) إلى الموضوع نفسه أيضاً في آخر أيامه وفي

ومن ثم فالدراسة المباشرة لأعمال الفيلسوف أصبحت ممكنة، وإن ظل هناك في نصوص هيجل ما يدعو ويثير الشرح والتفسير، فمعرض هيجل لم يزل تمام السؤال، وعلى أي حال فالهجت الملقى في ميدان فكر هيجل عدد كبير من الدراسات والشروح التي تتبع التطور المتصور لفكر هيجل ومقولاته، ومن ناحية ثانية تسعى هذه الدراسات الكثيرة وتصور أغوار حركية للنصوص الهيجلية، ويقر في اللغة الألمانية معجم المقولات الهيجلية الذي أنجزه هـ. جلوكس ونشره تحت عنوان هيجل لوكسبون (١٧).

ورغم أن شتى الدراسات والشروح والتفسيرات والتأويلات في كثير من اللغات العالمية يبني هناك غموض جوهري في فكر هيجل. فماذا هل يتبع هذا الغموض من اختلاف وارد وطبيعي في وجهات النظر وفي المعاني المتباينة التي تحملها المفردات نفسها؟ أم تستبدل بمقاييس السطح الهيجلي ونصه وراء المفردات التي يستعملها هيجل دلالات لم يقل بها هيجل؟ وقد يصير السؤال الشارح لإثارة سبلة سؤالاً مشاراً على نمو أفتدل. غير أنها مشكلة «نهاية الفلسفة» في مجموعها ومن خلال أعمال هيجل هي التي نعود تشكيلها ونعيد دراستها، وكلمة واحدة إن ما أعود التفكير فيه هو نهائية الفلسفة هيجلي.

ومن المؤكد أنني لا أستطيع أن أعود التفكير هيجلياً في مشكلة «نهاية الفلسفة» إلا إذا فكرت فيها بأدوات التحليل الهيجلي وبمقاييس الفكر الهيجلي. وبالتالي فإنني لم أستطع أن أثير مشكلة النهاية الهيجلية للفلسفة إلا بصياغة المشكلة بأسلوب التفكير النظري الهيجلي، أي أنني فكرت في المشكلة بالربط بين المحللين، لحظة التباين ولحظة الموت، ربطاً جوهره إعادة تأسيس الفلسفة. ولا تدل الوحدة الهيجلية النظرية بين غاية الفلسفة ومرورها على أنني أسعى لخلق معرفة نظرية بالغاية غير المحققة التي تريد أن تبينها الفلسفة في إطار تعارضها مع القيمة المتصورة لتحقيقها ومرورها، وإنما المقصود هو إنتاج



فلسفة هيغل الحركية والتحويلية بالذات البيدوى، وهي مفارقة بطبيعة الحال حجب مقاربات ديماميكية جاءت من آفاق فكرية وعلمية جديدة وعديدة، ومما لا شك فيه هو أن منطق التحليل الديناميكى كان يمشى فى المستويات مرحلة يطلب عليها طابع الأزمة، بل كان يمشى مرحلة نقد من قبل فلاسفة من أمثال جويل دواولز وجاك ديريديا وميشيل فوكو وغيرهم. ورأى بعض الدارسين لفكر هيغل ومن بينهم برنار بورجوا أن طريق الخلاص فى تحليل فكر هيغل هو إيراد المعاصر البيدوى الذى تدغمه أصمالة. واعتبروا أن التوفيق بين البيدوية الوليدة والجدل الهيغلى الأسلوب الوحيد لتجاوز البيدوية وتبديد الجدل.

والسلال المنهجى الذى يطرح نفسه هو التالى: هل نشأت البيدوية للبرهان على الجدل؟ هل هيمنت البيدوية لأنها وظفت مفاهيمها للبرهان على الجدل؟ أم جاءت البيدوية لتدفع الجدل دون أن تشوّه نفسها؟ أم أن التوفيق بين البيدوية والجدل أمر محال لأن البيدوية والجدل يتناقضان تناقضاً جوهرياً؟ وإذا كانت البيدوية تتناقض للجدل حقاً فما طبيعة هذا التناقض؟ أمر لتلخص فى اختيار موضوع البحث؟

أجبت البروفيسور برنار بورجوا أن لا تتناقض بين البيدوية والجدل وأن لكل منهما مجالاً للسلحية لحظة التحليل النظرى نفسه مما يعنى أن هناك حالات تسمح بتطبيق الجدل وحالات أخرى لا تسمح سوى البيدوية، وليس هناك بالضرورة تكامل بين البيدوية والجدل وإنما الأمر يتوقف على طبيعة كل لحظة من لحظات التفكير. فالرسالة تبدأ مثلاً على حق حين تبدأ بتحليل النهاية الغائية على اعتبار أنها تمثل أبسط علاقة نهائية، إلا أنه لا توجد غاية قبل أن توجد بالمثل فلسفة أو قبل أن توجد العلاقات بين علماء الدين والفلاسفة التى هى علاقات أكثر تعقيداً، والمقال فمن الصحيح أن تقول إن المنهج الطبى عند هيغل لم يتجاوز مرحلة الغاية أو أنه لا يحقق غاية الفلسفة،



أستور



جورج لايكا



بورجوا

ومعهم أبعاد الحياة الإنسانية، ويدت البيدوية منذ عقد الستينيات من هذا القرن وكأنها المنهج الذى لا يقبل النقد، بل وكأنها منطق الواقع نفسه، وأصبح من البيهيمى وصف الأنتروبولوجيا بأنها ببيدوية، وأصبحت عبارة «علم اللسانيات البيدوى» تحصيل حاصل، كما أصبح من الصحيح على الحق أن يتناقض أو أن ينقد هذه السيادة البيدوية. وفى الوقت نفسه ينظر البروفيسور برنار بورجوا إلى

إذا كانت الفلسفة فى معناها التقليدى قد ماتت من حيث المبدأ منذ تشكل المعرفة المطلقة المهيمنة فإن آخرها لا يدل فقط على الرحيل الساذج كما يتخيل أنباج الفلسفة الرومنسية، وإنما يعنى وصول الفلسفة للتقليدية إلى آخرها لأنها بلغت غايتها التقليدية.

وهكذا يحلّل الباب الأول من البحث كيف ينظر هيغل إلى غاية الفلسفة وكيف يراها محابة للفلسفة.

وأما الباب الثانى فأخصمه البحث فى مشكلة صيغة وجود الفلسفة وكيف يرتبط تخارج الفلسفة وتداخلها، مفهومها وموضوعها، افتراضاتها وتوقعاتها من نفسها.

وأما الباب الثالث فيناقش مشكلة وحدة غاية الفلسفة وموتها وكيف أن الجواب عن سؤال تأسيس الفلسفة هو الذى يجيب عن مشكلة وحدة غاية الفلسفة وموتها. وتلعب ضرورة الباب الثالث والأخير من أن غاية الفلسفة فى الباب الأول لا تعطىها سوى الضرورة الشكلية وتجعلها معرفة عرضية بلا أساس، وأما المقصود من تأسيس الفلسفة فى الباب الثالث فهو تعيين ضرورة الفلسفة الفعلية، ضرورتها المصددة، الواقعية أو تحققها المطلق.

ومن ثم يناقش الباب الأول غائية الفلسفة، ويناقش الباب الثانى التفاضل المعرفى والسياسى المهيكل، وأما الباب الثالث فيناقش مشكلة ضرورة الفلسفة المطلقة، وهى اللحظات الثلاث المكونة للإستكانولوجية، المهيمنة فى الفلسفة.

ومن هذا البناء يدفع منهجى فى التحليل وخلاصته الرّبط بين الدراسة التداخلية للنص والدراسة الخارجية، وقد طلب البروفيسور برنار بورجوا فى أثناء المناقشة أن يُختار بين هاتين الدراستين.

والحقيقة أنه بدا لكل باحث وطالب فى مختلف حقول العلوم الإنسانية والطبيعية على السواء أن منطق التحليل البيدوى هو المنطق الأروجد الذى على الباحث أن يستند إليه فى فهمه لموضوع البحث، وإدراكه للواقع

## ذروة الفلسفة



وقام خياري على أن كل كتاب من مؤلفات هيغل لا يمثل سوى لحظة من لحظات تطور فكره، وصحيح أن هيغل لم يتطرق في مؤلفات شبيهة إلى موضوع «نهاية الفلسفة»، وأن الموضوع يفرض اعتماد مؤلفاته التي كتبها في مرحلة متقدمة من عمره وعلى وجه الخصوص «قواهريات الروح» (١٨٠٧) و«علم المنطق الكبير» (١٨١٧ - ١٨١٩) و«دائرة المعارف الفلسفية» (١٨١٧)، ثانياً ما ألقى المشرف على رسائل البروفيسور برنار بورجوا في أعقاب اعتراض البروفيسور جان فرانسوا كورثوجان على وصف بورجوا بصفة الفيلسوف اليميني، فكان جوابي على النحو التالي: خياري في الدراسة هو أن أكون هيغلياً خالصاً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً دون أن أحاول أن أبرهن بتدقيق على صحة وجهة نظر دون أكرسي، غير أنه من المعروف تاريخياً أن موضوع «نهاية الفلسفة» ذاته قام بإشاعته والترويج له أنصار مدرسة اليسار الهيجلي، لكن القارئ للرسالة لن يجد برهاناً على وجهة نظر مدرسة اليسار الهيجلي وإنما سوف يتكشف أن الموضوع اليساري مصوغ صياغة هي في جوهرها صياغة اليمين الهيجلي، وبالتالي فالموضوع يساري والتداول يميني، وذلك لأن هيغل خدم تاريخياً مدرسة اليمين الهيجلي أكثر مما خدم اليسار، بل كان أحد مصادر فشل التجربة اليسارية في القرن العشرين، الاستناد - عملياً - إلى مقولات هيغلية كما يقول البروفيسور جوردج لا بيكا.

وفي النهاية لمدرسة اليمين الهيجلي أقرب إلى روح هيغل من مدرسة اليسار الهيجلي، فكان تعليق البروفيسور برنار بورجوا وجهاً دونت تأكيدها ما ذهبت إليه، وما ذهبت إليه دعش، في الوقت نفسه، لقراءة تراث لودفيغ فون هوبنهايم وجوشيل وكارل ماركس ومازلنا نتيكه وجانباور وجانز ومثيوله على منوه أعمال هيغل، كما فعل كثير من الباحثين والدارسين والمفكرين. إن الانتهاب العميق الذي يوجه قيار اليسار الهيجلي لا

بعض النظر عن روح عصر هيغل الذي تقدم فيه وعليه الفلسفة نفسها، كما أنه من غير المعقول أن ندرس روح العصر بصرف النظر عن خصوصية الخطاب الهيجلي (٢٥).

ويبقى أن التاريخ السياسي لا يحدد الفلسفة، لأن فرعاً من فروع شجرة ليس السبب في نشأة الشجرة.

ولما للفرع والشجرة أو للفلسفة والسياسة تقومان على مصدر مشترك هو «روح العصر» (٢٦).

ومن جانب آخر لا أدعي أنني فهمت هيغل أمعن من غيري، فقط حاولت أن أحلل وأن أفهم ما قاله في خطابه وعصر خطابه، وأخذت في عين الاعتبار مستواه الفاض، أي بنية محتواه وجرعته، ولا شك أنني كافحت ضد النزعة الذاتية التي كثيراً ما خاضها هيغل في كل ما كتب، لأن النزعة الذاتية تطلق الذات وتجرحها من المصادر الثموري لفحواها، غير أن تحليل فلسفة من الفلسفات هو في معنى من المعاني رسم لوحة من ذات المصل، أو قل جسده من ذات الدارس، ومن هذا المنطلق يبدو أكيداً أن دراستي ليست غير عادلة، وإنما ليست حيادية ولا حتى بريئة، وبالتالي فافتراضي أحادي الجانب حتى وإن أستم. من حيث المبدأ - على الوحدة الملموسة للشمول المرتبط. لأن افتراضي يعكس خياراً وزاوية اقتراب.

ومحتوى هذا الباب الأول لا يعرض للأساس التاريخي. وأما في الباب الثاني فمن بين تجليات الفلسفة تصفحتها في التاريخ والسياسة، مما حتم على الربط بين الفلسفة والتاريخ.

ومن ثم تقتضي السؤال العموري للبحث الربط بين الدراسة الداخلية للنصوص الهيجلية والدراسة الخارجية فكيف أدرس مشكلة التحقق الهيجلي للفلسفة وأفترض سلفاً أن هيغل عقل نقى؟ يرتبط منهجي إذن ليس بنسبها مسبق وإنما بطبيعة موضوع البحث.

ياخفت كثير من التحليل الخارجي حين يكون موضوع البحث الخطاب أو للكتابات السياسية. ونادراً ما نستحين بالتحليل الخارجي حين نتقرب من الخطاب أو الكتاب الفلسفي، وهو الخيار المنهجي الذي يفترض سلفاً أن الفلسفة منتج فكر لا يخضع إلا لنفسه وأنه من المعال تماماً أن نضع نظرية فلسفية متضمن سلسلة من تتابع اللغة والمعقول، وبالتالي لا نطلب منها ما الذي تفسره وإنما نطلب إليها أن تقدم لنا أسسها التي تراها متدببة في إنتاج موضوع البحث. وغالباً ما نتصلح ما إذا كانت صحيحة أم فاسدة. ومن ثم يصبح التاريخ الإمبريوتي لـ «جورج فون هيلم فريدريش هيغل بلا جدوى حقيقية في دراسة مقولاته ولعصره، ومن ثم أيضاً تصبح إعادة بناء عصره بلا فائدة جوهريّة في دراسة مبادئ فلسفته، وفي أفضل الظروف ينظر إلى ربط الفكر بعصره نظرة تبذل الربط عملاً مهماً لولا تأثير في مجرى التحليل وفي إدراك عمق البؤرة الهيجلية، وأما الجوهري فهو موضوع في النصوص وفي النصوص فحسب، إنه الخطاب سواء أكانت مذكّرة ككتاب «دائرة المعارف الفلسفية»، أو دروساً ككتاب «دروس في تاريخ الفلسفة»، لهيغل، وبيدق الخطاب اللحظة الحاسمة في التحليل.

إلا أنني أرى أن المنهج التفاسري لا بدائض محاربة الفهم من الداخل. كل فلسفة تفكر فيما هو قائم، وبالتالي فمن غير الكافي أن ندرس نظير هيغل إلى تحقق الفلسفة

علاقة له بهيجل، وذلك على الرغم من وجود بعض الالتباسات اللغوية. ومن هذا فقد كان لويس ألتوسر على حق في نقطة من اللغات وهي الفصل بين إشكالية هوسجل وإشكالية تيار اليسار الهيجلي عموماً وتيار فكر ماركس خصوصاً.

#### عناصر النقد الذاتي

تعدوى نتائج البحث على بعض نقاط المصنف الضرورية، فخطية نهاية الفلسفة لا تعرف فقط نفسها وإنما تعرف أيضاً تقويض نفسها أو حدودها، ومن ثم فقد تحدث هيجل في عدد قليل للغاية من الصلعات في مختلف المؤلفات التي كتبها عن فكرة نهاية الفلسفة، وهو أصر سيقنع به أي قارئ صبور لأعماله، ولأسباب ترجع إلى ضاغط البحث الإستعماري، ركزت على أعمدة ثلاثة من أعمدة مؤلفاته التي كتبها في من الرشد ألا وهي: «علم المنطق»، (١٨١٢ - ١٨١٩)، و«علم المنطق» يمثل حسب الترتيب الزماني ثاني أكبر كتب هيجل، وهو الكتاب الذي يور فيه الفكر المجرد للموس، ثانياً، استحدثت بأول كتبه وهو الكتاب المعروف تحت عنوان «فلسفيات الروح» (١٩٠٧)، وأما المرجع الثالث فهو «دائرة المعارف الفلسفية» (١٨١٧)، وهو يدور حول الفكر الملموس للموس، وتقدم هذه الكتب الثلاثة المادة للعام الرئيسية التي صغت بها البحث، ولما زيد من التحديد فإن فلسفة الروح، ثالث وآخر لحظة في منظومة هيجل، هي التي تقدم أكبر عدد من الأدوات التي تستند إليها فلسفة الفلسفة، ومن ثم فقد كتبت خط سير هيجل الشاب فقط لتحسين إستعماري للغاية للذاتية للفلسفة في الفصل الأول من الباب الأول، وبالتالي فالرسالة ليست شرحاً تفصيلياً لمجموع مؤلفات هيجل وإنما هي صياغة نظرية تقوم على فكر هيجل الكامل.

ثالثاً: لم يبين البحث في صورة واضحة استمرار محور نهاية الفلسفة في الفكر الفلسفي المعاصر، وعلى سبيل المثال،

فالتطرق لقد المقارنة بين هيجل وبنكوكية جاك ديريدا، بين هيجل وتغيير العالم عدد ماركس، بين هيجل والتخلف على الميتافيزيقا عدد مارتين هودجس، بين هيجل ومفهوم العمية عدد فريدريش هوبس، ولم يتناول البحث بالمصطلح مفهوم «الميتافيزيقا» ومصطلح «الهرست فلسفة»، كما لم يتناول البحث بين هيجل وبين هيجل وبين هيجل مع أن هيجل سبق هيجل في القول بأن الروح تعين لنفسها غاية نهائية منجدة وفعالة تنتج نفسها، وسبق هيجل هيجل في القول بأن هناك معرفة مطلقة، وكانت نزعة الشك عدد شولتز في خلقية فلسفة المثالية الألمانية على وجه العموم، وكانت للزعة التوكيد عدد رانكهولم موضع تماثل عدد شولتز.

ثالثاً: يقوم البحث على أدوات الهيجلية الأساسية والمقصود بالهيجلية الأساسية أن البحث يقوم على فكر هيجل كما تجلى في مجموع مؤلفاته المنطق عليها، وقررت أن أحصر دراسي في الكتب التي يتخذ الإجماع على أنها تشكل رؤية هيجلية حقيقية، ومن ثم لم أستعن بالمعاصرات والدراس التي أتقها هيجل إلا في حدود متبوعة للغاية.

رابعاً: لم تستند الدراسة إلى الهيجلية التاريخية كما تبنت في أعمال ميشيليه وجانيس وجايلير ومارهانكيه وجوشول وماركس وفويرباخ وغيرهم من يشكلون ما أطلق عليه للدراسون تيار المدرسة اليسارية الهيجلية، هذا وإن كان موضوع نهاية الفلسفة في ذاته موضوعاً رئيسياً من موضوعات اليسار الهيجلي، فاليامين الهيجلي لم يراجع قط ولو بشكل غير جذري للغاية اللاهوتية النهائية للفلسفة.

خامساً: تقوم دراسي على المدرسة الهيجلية كما تطورت في فرنسا منذ ربع قرن في إطار بحوث برنار بورجوا وجاه دولت وبيرجان فالابايرير ودونير سوش داج وريتر روسيه وجان فرانسوا كيرفوجان وهيلين بولوتيس -

وبالتالي فهي لم تستند لامن الهيجلية الإيطالية أو الهيجلية الإنجليزية أو الهيجلية الألمانية أو غيرها من الهيجليات الغربية أو غير الغربية، وذلك لأنه إذا كانت ألمانيا قد أصعبت للعالم الفلسفة، فقد أصعبت فرنسا للعالم المعسرون القادرين على شرح الفسوف الفلسفية والدليل على ذلك أن الأستاذة الألمان يستلكن في شروجههم لفلسفاتهم إلى شروح الأستاذة الفرنسيين وترجماتهم.

#### هوامش:

- (١) موريس ميرلوبولتس، «المعنى واللماضي»، الطبعة الخامسة، باريس، دار نشر ناهل، ١٩٦٦، ص ١٠٩.
- (٢) برنار بورجوا، «دراسات هيجلية»، العقل والتفكير، باريس، دار المطبوعات الجامعية الفرنسية، ١٩٩٢، ص ٣٧٤.
- (٣) د. كمال عبد الطيف، «طبقة الحضور الفلسفي الغربي في الفكر العربي المعاصر»، في الفلسفة في الوطن العربي للمعاصر الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥، ص ٢٠٦.
- (٤) جاك ديريدا، «حول نعمة نهاية العالم»، تبنى حديثاً في الفلسفة، باريس، جاليليو، ١٩٨٢، ص (٦٠).
- (٥) بول فالنوي، «أزمة الروح»، في مجموع أعماله، الجزء الأول، باريس، جاليليو، ١٩٥٧، ص ٩٨٨.
- (٦) جاك دولت، «هيجل والفكر الحديث»، مجموعة محاضرات حول هيجل ألقاها جان ميشال دولت وجاه دولت في الكوليج دي فرنس، ١٩٦٧ - ١٩٦٨، باريس، دار المطبوعات الجامعية الفرنسية، ١٩٧١.
- (٧) بياتريس لوجيناس، «هيجل ونقد الميتافيزيقا»، باريس، جان فرانسوا، ١٩٨١.
- (٨) هيجل، «علم المنطق»، في مجموع أعمال هيجل، المجلد ٣، الجزء الأول، المنطق الموضوعي، انتخاب الأول، الهيزنج، هيلينكس مايلان، ١٩٣٢، ص ١٨٣.

- (٩) سارتن هيجر، محاضرات ومقالات،  
بغداد، ١٩٥٤
- (١٠) هيجر، كتابات هيجر الشاب  
اللاهوتية، ترميزيون، هرتل، ١٩٠٧،  
فراكتورت، شركة ميونخ، محدودة  
للمطباعة، ١٩٦٦، ص ٧٠-٧١ وص ٢١٩-  
٢٢١.
- (١١) ي. يوفيل، كانط وفلسفة التاريخ،  
باريس، ميريدان - كلينيكسك، ١٩٨٩، ص  
١٩١.
- (١٢) صاهيل كاط، «مجموع المقالات»،  
برلين، ب. كاسبر، ١٩١٤، الجزء  
السادس، ص ٤٨٧.
- (١٣) المرجع السابق، ص ٤٩٥.
- (١٤) أ. د. د. دوريس، «النسوان  
والعقلاني»، باريس، فلمازيون، ١٩٧٧،  
ص ١٨٩.
- (١٥) ماركس وانجلز، «الأيديولوجيا  
الألمانية»، مقالات ماركس وانجلز، برلين

(٢٢) عبدالرحمن بدوي، المثالية الألمانية، ١، شلج، دار النهضة العربية، ١٩٦٥، ص ١٨١.

(٢٤) يطلق د. ت. ليت، في مستهل تصليفه من منطق هيجل كما يبين ذلك من كتابه هيجل: محاولة في التجدد النقدي، هيدلبرج، كفل ومير، ١٩٥٣، ص ١٣.

(٢٥) يقوم مشروع البحث على إعادة النظر في دراسات أ.ب. كرويتشكا وآله، لواقع وآخري حول طبيعة الماخلة الهيكلية في الموار الدائر علم، مثل تاريخ الفلسفة كله.

(٢٦) ج. ألف. ف. هيجل، «محاضرات في تاريخ الفلسفة»، في مجموع مؤلفات هيجل، ليزنغ، ف. ماينار، ١٩٤٠، المجلد ١٥، ص. ١٥٤.





لوحة للفنان: حلمي الدوي

## نهاية الفلسفة



بنقله لقاعدة الفصول أو لقائون  
تحصيل الحاصل، يحطم أومبرتو إكو،  
- الروائي والمفكر الإيطالي -  
مجموع الصيغ الأساسية للاستدلال  
وجوهر التمييز الصادق منطقياً،  
وذلك لصالح منطق يقاير المنطق  
التقليدي، اليوناني القديم، ويقدم على  
مفهوم العلامة المتناقضة والمنقسمة  
إلى غير نهاية.

لذا جاء أسلوبه مغايراً لأسلوب  
الاستدلال المعتمد في الكتابة النظرية  
المعتادة، رغم تناوله لقضية نظرية  
هي قضية «أساس التأويل».

**ق** في عام ١٩٥٧ أنجز ج. م.  
كاستيل كتاباً بعنوان «ساعة  
القارئ» (١) كان نبياً بحق، وفي عام ١٩٦٢  
أنجزت كتاب «العمل المفتوح» (٢) ودافعت في  
ذلك الكتاب عن الدور الفعال للمسؤول في  
قراءة النصوص بالقيمة الجمالية، وعندما  
كتبت هذه الأوراق، ركز قرائي اهتمامهم  
بشكل أساسي على الجانب للمفرد من بين  
مجموع الطرح، فضاءوا من شأن حقيقة أن  
القراءة ذات النهاية المفتوحة، والتي كانت  
أدعما، إنما هي فاعلية مستخلصة (تهدف  
إلى التأويل) بواسطة كلمات أخرى، كنت  
أقوم بدراسة الجدل القائم بين حقوق  
النصوص وحقوق مؤوليها، وقد تولد لدي  
انطباع بأن حقوق المؤلفين، خلال العقود  
الأخيرة، قد ازدادت أهميتها.

وفي كتاباتي الأكثر حداثة زمنياً  
(نظرية في السيميوطيقا، دور القارئ  
والسيميوطيقا ولفظة اللغة) (٣) قمت بدراسات  
دقيقة حول الفكرة الهيكلية للعلامة  
اللامحددة (٤)، وحاولت أثناء حضوري  
لمؤتمر بهرس الدولي بجامعة هارفارد  
(سبتمبر ١٩٨٩، توضح أن فكرة العلامة  
اللامحددة لا تؤدي بنا إلى الاستنتاج بأن  
ليس للتأويل محايير، فالقول بأن التأويل  
باعتباره الملحم الأساسي للعلامة

# العودة إلى الجذور المهجورة

[١]

## التأويل والتاريخ

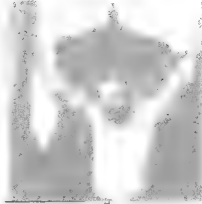
**أومبرتو إكو**  
ترجمة: ناصر الطوانى

للامحدودة)، اللامحدود من الوجهة  
الإمكانية لا يعنى أن التناوُل لا يملكه  
موضوعاً، وأنه يجرى جريان الدهر لا شيء  
سوى ذاته (٢)، والتناوُل بأن النص لا يملك  
نهاية من الوجهة الاحتمالية، لا يعنى أن كل  
فعل للتناوُل يمكنه أن يحوز نهاية سعيدة.

وتؤكد بعض النظريات النقدية المعاصرة  
بأن لقراءة الوحيد لنص ما والتي قد يكون  
عليها هي قراءة خاطئة، حيث إن الوجود  
الوحيد للنص ممضى بواسطة سلسلة من  
الاستجابات التي تلدها، مثلما اقترح  
شودوروفسكي (نقدس من لويشيتنبرج  
من «بوهيم») فإن النص مجرد رحلة خفية  
يجب فيها للكاتب الكلمات بينما يجب للقراء  
التمنى (٣).

حتى لو كان ذلك حقيقياً فإن الكلمات التي  
يستخدمها المؤلف هي بالأحرى بقاكة مريكة من  
الفرامد العادية التي لا يمكن للقارئ تجاوزها  
في صمت، أو في ضجيج، وحسبما أذكر،  
فرأه هذا في بريطانيا، كان شخص ما قد  
اقتصر منذ سنوات، أنه بالإمكان إنجاز أشباه  
بواسطة الكلمات. أن تكون نصاً بمعنى أن  
تضمر ماذا يمكن لهذه الكلمات أن تفعل أشباه  
شئ (لا غيرها) عبر الرسالة التي يتم تأويلها  
بها، ولكن إذا أخبرنا جاك الصفاح (٧) بأنه  
قد فعل ما فعله على أسس من تأويله للمعد  
الجديد بحسب القديس لوقا، فإنني أشك أن  
عديداً من نقاد الترجمة نحو القارئ سوف  
يميلون إلى التفكير في أنه قرأ القديس لوقا  
بطريقة متلافية للعقل، وربما يقول نقاد عدم  
الترجمة نحو القارئ إن جاك الصفاح مجنون  
للخباية، وأنا أصرّف أنه على الرغم من  
الاشعر بالمتخلف الشديد مع شروخ الترجمة  
نحو القارئ، وعلى الرغم من أنني قد قرأت  
كوبلر، لايتج وجاتاري، ويوسني كثيراً  
القول إنني سوف أتفق مع أن جاك الصفاح  
كان في حاجة إلى عناية طبية.

أعلم أن نموذجي لا عقلاني إلى حد ما،  
وأن حتى أكثر التفكيرين ثورية، سوف يثق  
(أمل لذلك، ولكن من يعلم؟) معنى، وعلى  
الرغم من ذلك، أصرّف أنه ينبغي حتى لعل  
هذا الجدل المتناقض، أن يؤخذ بجديّة، فهو



أبو



نيتشه



جويس

يؤكد على أن هناك حالة واحدة على الأقل  
يمكن القول فيها إن التناوُل المعطى تأويل  
فاقد، فيحسب نظرية بوهير في البحث  
العلمي، يصبح هذا كافياً لدمحض الفرضية  
للقائلة بأن ليس للتناوُل معيار عام (على  
الأقل من الوجهة الإحصائية)

يمكننا أن نعرض على أن البديل الوحيد  
لنظرية الدرجة نحو القارئ في التناوُل هي  
تلك التي تحظى بالمعجود من قبل أرنلث،

الذين يقدرون بأن للتناوُل الوحيد للصالح  
يهبط إلى الكشف عن اللية الأصلية للكاتب،  
وفي بعض كتاباتي الأخيرة كنت قد اقترحت  
أنه ما بين قصص الكاتب (ومن المصعوبة  
الكشف عنه، وكثيراً ما يكون غير ذي  
موضوع بالنسبة لتناوُل نص) وقصص المؤلف  
الذي (وأقدس هنا من ريتشارد روبري)  
يقوم ببساطة، بطرق النص لتشكيله بحسبما  
قد يساعد على خدمة أغراضه، ثمة إمكانية  
ثالثة (٨). هناك قصص النص وخلال  
محاضرتي الثانية والثالثة سأحاول توضيح ما  
أعنيه بقصد النص (أو قصد العمل كمقابل أو  
متقابل مع قصد المؤلف وقصد القارئ).

وفي هذه المحاضرة أرد على النقض،  
أن أعود إلى الجذور المعجورة للجدل  
المعاصر حول معنى (أو تعدد معاني، أو  
غواب أي معنى مقارب) في النص، وبعرضي  
الآن ألم بطمس التمايز بين الأدب ونصوص  
الحياة اليومية، كمثل الفارق بين النصوص  
كخيالات عن العالم والعالم الطبيعي باعتبارها  
(بحسب التراث اليهودي) نصاً عظيماً مطروحاً  
لفك شفرته.

سأقوم الآن ببده رحلة أركيولوجية،  
ستقودنا من الرحلة الأولى، بعيداً عن نظريتنا  
للمعاصرة لتناوُل النص، وسوف ترون في  
النهاية أنه على النقض، فإن كل ما يطلق  
عليه فكر ما بعد حداثي سوف يتبدى لنا  
بشكل كبير سابقاً على ما هو قديم.

في عام 1987 كنت قد دعيت من قبل  
مصرفي معرض الفكتوري للكاتب كي ألتي  
محاضرة تهنيدية، وقد اقترح على مسؤولي  
المعرض (ربما استغناءً منهم بأن ذلك  
موضوع معاصر) أن ألقي النصرة على  
اللاعتلائية المعجدة، بدأت محاضرتي  
بالإشارة إلى معصية تعريف «الاعتلائية»،  
من دون امتلاكنا لتصور قسفي ما «للعقل  
reason، وأسوء العظ، فإن سجل تاريخ  
الفلسفة الغربية يؤكد على أن مثل هذا  
للتعريف خلائي، فأى نهج للتفكير يرى دلماً  
كنج لا عقلاني من جانب النموذج التناوُل  
للهج آخر للتفكير، والذي يمتدح نفسه  
عقلانياً، إن منطق أرسطو ليس هو منطق

## الجذور المجبورة

ولكن الجهة THE MODUS هو أيضاً حد،  
تقوم.

إن هاجس اللاتين تجاه الحدود المكانية يعود بالضبط إلى خرافة تأسيس روما: لقد رسم رومولوس خط الحدود ثم قتل أخاه لأنه لم يعدم هذا الحد. فإذا لم تكن الحدود مضمرة - ولا يمكن لأن تكون هناك موازنة - فقد أصبح الوطن شيئاً بلا سبب أنه استطاع أن يحدد العدو عند الحدود. جسر يمتد بين الرومانيين والآخرين، والجسر كذلك حرمة التقسيم لأنها تدلّ الأخاديد، وخنادق الماء التي ترسم حدود السفينة، ولهذا سبب فإنها تبقى، فقط، تحت الزعامة القوسية والمباشرة للحد. إن أيديولوجية السلام الروماني والتخطيط السياسي للتقسيم أو جُمُطس تكاسان على التعريف الدقيق للحدود: فترات الإمبراطورية على علم عند أي خط حدود، عند أي مدخل لimen أو مفد، ينبغي لذلك النطاق أن يقام، وإذا لم ترتق، ولم يكن هناك تعريف واضح بعد للحدود، وأتى البرابرة (بدو هجروا أرضهم الأصلية وتركوا في الأراضي الأخرى، وكأنها تخصهم، مثاليين نهجها، بدورها) تتكلموا عن فرض نظرتهم البدئية، عنصرون تفككها روما، وتصبح عاصمة الإمبراطورية عليها مثل أي مكان آخر.

بـبـور يـولـيـوس قـيـصـر مـجـرى  
الـرومـيـون (١٣) ، لم يـنـظـر كـوـنـه مـنـتـهـكاً  
عـرـصـة المـنـقـصـات ، و لـكـن إـنـه أـبـغـضـه لـهـذا  
الإـثـم لـن يـمـكـن الـرـجـوع عـنـه أبـدً و بـقـيـع الأـمـر ،  
أـن هـذا كـم أـيـضاً حـدوداً لـلـزـمـن ، فـمـا تـم إـجـازـه لا  
يـمـكـن مـصـو أبـدً ، فـالـمـن لا يـسـتـعـد ، كـان هـذا  
و لـكـن يـحـكم بـهـا ، فـالـزـمـن الـلـاتـيـنـي ، و بـجـل  
أـتـمـاه و قـسـل الأـرـمـة ، الـلـاتـيـنـي ، يـمـد يـ حـط  
كـوـنـي مـن نـفـسـها نـظـامـاً مـن الـلـاتـيـنـيـة المـنـطـويـة  
فـي الـحـوالـي الزـمـنـي و تـقـرـر كـلـك الـنـصـبـة  
أـصـليـة لـلـواقـعـة المـعـقـبـة و الـتي هـي صـيـغة  
جـر مـطـلـقـة ، بـأنـه حـيـن يـمـ شـئ مـاء ، أو  
يـفـرـض مـسـبـقاً ، فـيـنـه لا يـمـكـن لـه أبـدً أـن  
يـوضـع مـوضـع الـتـأـنـيـة .

في كتابه «المسائل»، (١٤) يتسامل توما  
الإكوييني هل يستطيع الإله أن يعيد  
اللعنونة؟ (١٥) وبعبارة أخرى، ما إذا كان



اتجاهين تأويليين، أي مسجلين لحل رموز النص كعالم أو العالم ك نص، بالنسبة للعقلانية اليونانية، من أفلاطون حتى أرسطو، وغيرهما من الفلاسفة، فقد كانت المعرفة حتى فهم العالم، وبهذه الطريقة فإن تعريف الإله يعنى تعريف فعل، حيث هو المعرفة الأولى لى تأتى بمعناها. ولكى تلك قدرة تعريف العالم بحسب فكرة العالم، فأمسر جوهري أن تطور فكرة السلسلة الأخلاقية: فإذا كانت الحركة تنجم من أ، إلى ب، فينبذ أن تكون هناك قوة حلى الأرض تجعلها تنجم من «ب» إلى «أ». ولكى نصير مؤهلين لتبرير الطبيعة الأخلاقية لأسئلة الطبيعة، من الضروري ألا نقرض عددا من المبادئ: مبدأ الهوية ( $A = A$ )، مبدأ عدم التناقض (فمن المستحيل لشيء أن يكون أ، ولا أ، في الوقت نفسه)، ومبدأ الثالث المرفوع (إما حقيقي أو زائف، الثالث وغير المسمى)، ومن هذه المبادئ نشق النموذج المطابق للتفكير في العقلانية للخرية، قانون تصنيف الحاصل<sup>(١٧)</sup>، «إذا  $p$  ثم  $q$ ، ولكن  $p$ : بالمثل،  $q$ ».

وحتى إذا لم تكن تلك المبادئ مؤهلة لإدراك النظام الفيزيقي للعالم، فإنها تزودنا على الأقل بعدد اجتماعي، فقد نبهت العقلانية اللاتينية مبادئ العقلانية اليونانية ولكن بتحويلها وإغفالها بالمعنى القانوني النقادى، فالمستوى القانوني هو الوجهة MODUS،

هيجل، Ratio في اللغة الإيطالية، Reason في اللغة اللاتينية، Raison في اللغة الفرنسية، Vernunft في اللغة الألمانية<sup>(٩)</sup> لاتعني الشيء ذاته.

إحدى وسائل فهم التصورات الفلسفية هي، عادة، بالرجوع إلى المعنى العام في المعاجم، وفي الألمانية وجدت أن المرادف لـ لا عقلاني، Irrational هو unsinnig لا معنوي، unlogisch لا منطقي، unvernünftig مجنون، sinnlos السعسي المنقود، وفي الإنجليزية فمرادفاته هي inconsequential، غير المتتابع منطقيًا، disconnected المنفصل، illogic لا منطقي، exorbitant المتجاوز للحد، senseless لا معنى له، trivializing التزبد على الحد، skimping السكيلي، absurd عيبي، nonsensical والتفويش، incoherent لا تماسك، delirious خياني، farfetched لا عقلاني، تبدو هذه المعاني وقيرة أو قابلة لأجل تعيين وجهات نظر فلسفية محترمة، ومع ذلك، تشير كل هذه المصطلحات إلى شيء ما يصري فيها وراء الحد المرسوم بحسب المعتمد. أحد مرادفات مفردة unreasonable، لا عقلانية، (بحسب قاموس روجيتس للمردفات) هو -moderateness الوجلل وتحيى أن يكون ضمن الوجهة (١٠) modus، بمعنى فيما بين الحدود وضمن القياس. وتذكرنا الكلمة بقاعدتين توارثتهما عن اليونان القدماء والمضارة للاتينية: قانون تحصيل الحاصل أو قاعدة الفصلات: MODUS PONENS (ب) (ص) MODUS TOLLENS وبالمبدأ الأخلاقي الذي سأعنه أولاً:

EST MODUS IN REBUS, SUNT  
CERTI DENIQUE JINES QUOS UL-  
TRA CITRAQUE NEQUIT  
CONSISTERE RECTUM. (11)

عدد هذه النقطة أعلم أن الفكرة اللاتينية  
عن MODUS مهمة إلى حد ما، إن لم يكن  
من أجل تحديد الاختلاف بين العقلانية  
واللاعقلانية، فط، الأقل لأجل عزل



بمقدور المرأة التي فقدت عذريتها أن تعود إلى حالتها الأولى غير المفضة. وإجابة توما الأكويني واضحة، قد يفر الله، فينبغ عليها نعمته، وقد يبعد إليها، بفضل معونه، كمالها الجسدى، ولكن حتى الرب لا يمكنه أن يسبب ما كان يجب ألا يكون لأن مثل هذا الانتهاك لقوانين الزمن قد يكون مناقضاً لمحبته. إن الرب لا يمكنه أن يهلك المبدأ المطلق الذى بمقتضاه تبدو عبارة «حدثت» ولم يحدث» فى تناقض، المتصادفة والنظام فى آن.

وهذا النموذج للعقلانية اليونانية واللاتينية، هو النموذج الذى، مازال، يهيمن على الرياضيات، المطلق، العلم، والديمقراطية الحاسبات الآلية. ولكن ذلك لا يمثل مجمل قصة ما سمىه الإرث اليونانى، لقد كان أرسطو يونانياً وكذلك «أسرار إميليس»<sup>(١٦)</sup> لقد كان للعالم اليونانى منجذباً على الدوام إلى (اللا متناهى)<sup>(١٧)</sup>. وللا متناهى هو ما لا يدخل فى صيفه، إنه يخلص من الصعبار، وقد أسست الحضارة اليونانية، مفرقة باللا متناهى، بالإضافة إلى مفهوم الهوية وعدم التناقض، فكرة التحول المستمر، ورمز إليها بـ «هيرميس»، وهيرمس مثقوب، وبغامض، هو رب جميع الفنون، ولكنه أيضاً رب اللصوص، فى الوقت نفسه الشاذب، والحجوز فى آن<sup>(١٨)</sup>. وفى أسطورة هيرميس نجد تمثيلاً لمبدأ الأهرية، ومبدأ عدم التناقض، والثالث للمرفوع، وتتمسك سلسلة أطل عائدة على نفسها فى مورات حلزونية: بعده، تسبق «قبل»، والرب لا يعرف حدوداً فضائية، وربما يتخذ أشكالاً مختلفة فى أماكن متباينة فى الوقت نفسه.

كان هيرميس ملتصقاً فى القرن الثامن بعد الميلاد، كان القرن الثانى فترة لانتظام السياسى والسلام، تجمع كل أفراد الإمبراطورية كما يبدو لغة وثقافة وأحديين، ونظام مثل هذا، لا يأمل أن شخص فى آن وغيره أو يستبدل به شكلاً من أشكال التغيير العسكى أو السياسى، كان هو الزمن الذى تحدد فيه مفهوم التربية العامة والغاية منها إنتاج نمط إنسان كامل، صنوع فى كل النظم، تلك المعرفة، على أية حال، تصف عالماً تاماً ومتماسكاً، حيث كان عالم القرن الثانى بوقته

للأجلاس واللغات، تقاطع الشعوب والأفكار، فيه متسع لكل الأنهية، ألنه كانت لها معانٍ عميقة لدى الشعوب التى عيبتها، ولكن باستبعاد الإمبراطورية لبلادهم، وأدت هوياتهم لئحداً، فلم يعد هناك فارق بين إيزيس وعشتار وديمترى وموسول وأنتينوس ومايا.

لقد سمعنا جميعاً بحكاية الخليفة الذى أمر بتدمير مكتبة الإسكندرية<sup>(١٩)</sup>، مدحياً بأنه إذا كانت الكتب تقول ما يقوله القرآن نفسه، فإنها فى هذه الحالة غير ضرورية، وإذا ما كانت تخبر بما يخلف معه، فإنها فى هذه الحالة خاطئة وضارة، لقد عرف الخليفة ومعه الحقيقة، وحكم على الكتب على أساس من هذه الحقيقة، ومن ناحية أخرى، فإن هيرميس<sup>(٢٠)</sup> القرن الثانى كانت تهت عن حقيقة لا تعرفها، بينما كل ما شكله هو كتب. وبناء عليه، فإنها تصورت أو أسلت أن كل كتاب سيحوى ومضة من الحقيقة، معاً ستمثل هذه الموضات على تأكيد بعضها بعضاً. بهذا البعد الترفيقي، يدخل واحد من نماذج العقيدة اليونانية. مبدأ الثالث المرفوع. فى أزمنة، فغداً ممكناً لمحمد من الأسر أن تكون حقيقة فى الوقت نفسه، حتى عندما تناقض بعضها البعض، ولكن إذا كانت الكتب تخبر بالحقيقة، حتى حينما تناقض بعضها بعضاً، حينئذ ينبغي لكل كلمة فيها أن تكون كناية، مجازاً، إنهم يخبرون بشيء غير ما يبدو أنهم يخبرونه، كل من هذه الكلمات تتضمن رسالة لا تدور لإحداها وحدها القدرة على البوح بها، وإكى نتمكن من فهم الرسالة الغامضة التى يضمحلها الكتاب، كان من الضروري البحث عن وحى يقبع فيما وراء المصطلحات الإنسانية، وحى معانٍ من قبل الإله ذاته، عن طريق الرؤيا، العلم، أو النبوة، غير أن مثل هذا الوحى غير المصبرق، والذى لم يسمع عنه قبلاً، كان عليه أن يعبر عن إله لم يعرف بعد، وعن حقيقة لا تزال سرية، للمعرفة السرية معرفة عميقة (حيث إن ما يقبع تحت السطح فقط يمكنه أن يبقى غير معروف لآمن طويل).

وهكذا تصبح الحقيقة محددة بأنها ما لم يقل، أو ما قيل بشكل غامض ويدعى فهمه فيما

وراء أو تحت سطح النص. فالألوهة لتحدث (والقوم قد نقول: الوجود يتحدث) عبر وسائل غامضة أو مبهمه.

وبالمعاصرة، إذا تولد البحث عن حقيقة مغايرة عن عدم الثقة فى التراث الكلاسيكى اليونانى حينئذ فإن أية معرفة حقيقية ينبغي لها أن تكون أكثر قدماً، إنها تقع بين أطلال الحضارات التى تجاهلها آباء العقلانية اليونانية، الحقيقة هى شيء نعيشنا معه منذ بدأ الزمان، غير أننا نسيدها فلاد وأن شخصاً ما قد حفظها لنا، ولابد أننا غير قادرين بعد على فهم كلمات هذا الشخص، وبناء عليه نحن الممكن أن تكون هذه المعرفة دخيلة. وقد فسر لنا (بولج) كيف أنه حينما تصبح الصورة الإلهية مألوفة لنا وفارقة لإلفاظنا تصبح فى حاجة لأن تحول إلى صور تفصح حضارات أخرى، حيث إن الرمز الغربية فقط هى القادرة على الاحتفاظ بشذا الفلسفة، وبالنسبة للقرن الثانى، فإن هذه المعرفة السرية تصير فى متناول اليد سواء لدى (الدريوز)، (القاسوس الكليخين)، أو لدى حكماء الشرق، الذين يتحدثون بلغة لا يمكن فهمها، لقد هزرت العقلانية الكلاسيكية البرابرة بأنهم أولئك الذين لا يستطيعون التحدث بشكل صحيح (فأصل كلمة برابريس - الشخص الذى يتأذى)، ولأن، بقاب الأسر، فإن الأمانة المفترضة للغرباء التى أصبحت اللغة المقدسة، زاهرة بالوحد، والإلهامات الصامتة، وبينما يكون الشيء حقيقةً بالنسبة للعقلانية اليونانية إذا أمكن تفسيره، أصبح الشيء العقيبى الآن، وبشكل أساسى، الشيء الذى لا يمكن تفسيره.

ولكن ما كانت تلك المعرفة الغامضة التى امتلكتها القصارسة البرابرة؟ بقول رأى الشائع إنهم عرفوا الروابط السرية التى تصل العالم اللورى بعالم النجوم، وعالم النجوم بعالم ما تحت القمر، مما يعنى أنه بالعمل وفق نجم يمكن التأخير فى مجموعة النجوم، حيث تؤثر مجموعة النجوم فى قدر الكائنات الأرضية، بأن العمليات السرية للوندة حول صورة إله سوف ترغم هذا الإله على اتباع إرادتنا، مطاعاً هو هذا، كذلك فى السماء،

## الجذور الممجورة



ومثال على نمط الموقف هذا، الطريقة التي برهن بها مفكر عصر النهضة أن المخطوطات الهرمسية لم تكن تحتاجاً للثقافة اليونانية، بل كتبت قبل الأفلاطون؛ وحقيقة أن المخطوطات تتضمن أفكاراً كانت متداولة بشكل واضح في عصر أفلاطون تدعى وتؤكد مما أنها قد ظهرت قبل الأفلاطون.

إذا كانت تلك أفكار الهرمسية الكلاسيكية، فلماذا تعود إلى حين احتفلت بالتصاريح الدلالية على عقلانية سكرلاتي للصور الوسطى، وخلال القرنين التي حاولت فيها العقلانية المسيحية إثبات وجود الرب بواسطة نماذج الالتصاق مستلهمة قانون حصول الحاصل فإن المعرفة الهرمسية لم تكن قد ماتت، لقد استمرت كظاهرة هامشية بين الصياليين والقبلايين اليهود<sup>(٢٤)</sup> وفي طوايا الأفلاطونية الصورية الوسطى الجديدة الألفية.

ولكن، في قاع ما أسسناه بالصالح الحديث، في فلورنسا، وفي أوقات ذاته حين أُلحِق الاقتصاد المصرفي الحديث، فإن المخطوطات الهرمسية، ذلك الخلق الخاص بالقرن الهولندي الثاني - قد أعيد اكتشافها كبنية على معرفة شديدة القدم، تعود إلى ما قبل عصر موسى وما أن أُعيد لها فاضليها بواسطة بيكو ديلا ميراندولا، فيوشينو، ويوهانز روتشليين، بمعنى آخر، بواسطة الأفلاطونية الجديدة لمصر النهضة والقبلاية المسيحية، فقد بدأ النموذج الهرمسي في تغذية قسم كبير من الثقافة الحديثة بمدن من السحر وحتى العلم.

إن تاريخ ذلك السيلال الجديد تاريخ معقد؛ واليوم، أظهر لنا التاريخ أنه من المستحيل فصل الخيط الهرمسي عن الخيط العلمي أو فصل بابا أليكسانس عن جاليليو. لقد أثرت المعرفة الهرمسية في فرانسيس بيكون وكوبرنيكوس وكبلر ونيوتن، ومن جملة الأمور الأخرى، نشأ العلم التكملي الحديث في حوار مع المعرفة الكلاسيكية للهرمسية.

وفي الشرح الأخير، فإن النموذج الهرمسي يفترض إمكانية نقض فكرة نظام للكون التي وضعها العقلانية اليونانية، وأنه

يصبح الكون بهواً كبيراً للمرايا، حيث إن أي شيء مفرد يمكن ويدل على الأشياء الأخرى جميعها.

من الممكن فقط التحدث عن تعاطف كوني وشائج، إذا ما تم في الوقت نفسه، نفي مبدأ عدم التناقض، يحدث التعاطف الكوني بسبب فيض إلهي في العالم، غير أن في أصل الفيض يقع واحد غير قابل للمعرفة، الذي هو الأساس الخالص للتناقض ذاته. سيحاول الفكر المسيحي الصلبي للأفلاطونية الجديدة، شرح أننا لا نستطيع تعريف الإله بمصطلحات حاسمة الموضوح بسبب من العجز في لغتنا، ويقرر الفكر الهرمسي بأنه كلما كانت لغتنا أكثر غموضاً ومعمدة السمائي، وأنه كلما زاد استعمالها لرموز والسمازات، كانت أكثر ملائمة بشكل خاص لتسمية الراحدة التي يتجلى فيها توافيق المتناقضات. ولكن حين يتحصر توافيق المتناقضات، فإن مبدأ النهية بهيار، الكمال مترايط.

والحقيقة أن التصوير يكون لا نهائياً، إن محاولة البحث عن معنى نهائي، ولا يمكن إصراره، تؤدي إلى قبول ركام أو انشلال لا ينهي من المعاني، ثبات لم يعرف بسبب سماته المورفولوجية واللغوية، بل على أساس من مثاله وإن يكن جزئياً، لنصير آخر في الكون، إذا شابه على آخر منهم جزءاً من الجسد الإنساني، حينئذ يكون له معنى حيث إنه يشير إلى هذا الجسد، ولكن لهذا الجزء من الجسد معنى لأنه يشير إلى نجم، واللجم معنى لأنه يشير إلى مقاييس موسيقية، والمقياس الموسيقي معنى لأنه يشير إلى ترتيب من الملائكة، وهكذا إلى ما لا نهاية كل شيء، أرتو أن كان لم سماء، يعني سراً. وكلما اكتشف من، فإنه يشير إلى سر آخر في حركة تتقدم صوب السر النهائي، السر النهائي في المشروع الهرمسي أن كل شيء هو سر، ومن ثم فلا بد أن السر الهرمسي فارغ، لأن كل من يزعم كشف أي من أشكال السر إن يكون هو نفسه، إذ بدأ وانتهى عند المستوي السطحي للمعرفة بانز الكون ويحول الفكر الهرمسي مجمل السحر للعالم إلى ظاهرة لغوية، وفي الوقت نفسه يحرم اللغة من أي قدرة على الاتصال.

في النص الأصلي للمخطوطات الهرمسية<sup>(٢٥)</sup>، والتي ظهرت في حوض البحر المتوسط خلال القرن الثاني، تلقى هرمس وحيه خلال حلم أو رؤيا، وفيه نهى العقل، بالنسبة لأفلاطون كان العقل الإلهي هو القدرة التي ولدت الأفكار، وبالنسبة لأرسطو فإنه الذهن، ويعود العقل في ذلك لما نعرفه بالجواهر وبالتأكيد، فإن رشاقة العقل الإلهي قامت بعملها بشكل أفضل، خلافاً للعمليات الأكثر تعقيداً المعرفة الجديية والتي كانت (منذ أفلاطون) تأملاً، فاعلية عقلية، في مقابل المعرفة كظم، وفي مقابل للتبصر phronesis<sup>(٢٦)</sup> كدأمل للحقيقة، غير أنه لم يوجد ما يعجز عنه الوصف في طريقة عقلها، وعلى النقيض من ذلك، ففي للقرن الثاني أصبح العقل هو القدرة على الحدس الصوفي والتدوير اللاعقلاني، وللرؤيا العقلية غير المبررة، فلم تعد هناك ضرورة للعقلية، للتحليل، وللحق، علينا فحسب للانتشار شخص يتحدث عنا، عندئذ سرعان ما يفرج البر بالظلمة، هذا هو البدء الحقيقي لما قد لا يتكرر البادئ.

وإذا ما تعد هناك استعالة موقفة منتظمة في روابط سببية، حينئذ قد يحدث الأكثر فطه على أسبابه ذاتها، ويحدث ذلك بالتقل في سحر القوة الروحية ولكنه يحدث أيضاً في فقه اللغة وبدلاً من المبدأ اللغائي «بأن يحد إن يأتي بسببه، أصبح يعقبه «إن يسبقه،

من الممكن اكتشاف صلات وعلاقات جديدة في الكون يمكن بمقتضاها للإنسان أن يؤثر في الطبيعة وأن يغير مسارها، غير أن هذا التأثير يتدرج مع اتساع الحقيقة بأن العالم لا يتسنى له أن يوصف بحسب المنطق الكيفي بل بحسب المنطق الكمي، وهكذا يسهم النموذج الهرمي بخلق مفارق في ميلاد غريمه الجديد، العقلانية العلمية الحديثة وتلارجح الاعتقالات الهرمية الجديدة بين التصوف الكيميائيين من ناحية، والشراء والرفاسة من ناحية أخرى، من جرته إلى جواربه **دي نثران** (٢٥) ويختص من شيلنج إلى **فرائز فولنباور**، من هيدجر إلى **يوانج**. وفي بعض المفاهيم القديمة ما بعد الحداثة، ليس صعباً إدراك فكرة الانزلاق المستمر للمعنى، وقد عبر بول أسليري عن الفكرة فيالديسة له لا يوجد معنى حقيقي للسن وهو تعبير هرمسي.

وفي أحد كدبه (علم الإنسان والتراث) والسرب بشكل كبير بسبب من المعاصرة الإنسانية (٢٦) وأن لم يخل من النقاشات المعرفية. يرى **جيلبير دوران** Gilbert Durant أن الفكر المعاصر بمجمله، يناقش النموذج الآلي الراقي يرضى عبر نغمات هرمس الباطنة للحياة، وأن قائمة العلاقات التي عرف بها تستدعي التأمل: **شيجلر**، **دلتاي**، **شيلر**، **نيشيشه**، **هوسرل**، **سيرييني** cerenyi، **بلانك**، **باولي**، **أوبنهايمر**، **أونشتاين**، **باشسلار**، **سوروكين**، **لشفي شتراوس**، **فوكو**، **ديريدا**، **بارت**، **تودوروف**، **تشومسكي**، **جروسمان**، **دولوز** (٢٧).

غير أن هذا التخطيط للفكر والذي يشذ عن معيار العقلانية اليونانية واللاتينية سيكون غير تام إذا ما كنا سنخفق في الأخذ في الاعتبار ظاهرة أخرى تشكل خلال الفترة نفسها من التاريخ، ومنهجر بالروى المذهلة، بينما يتحسس طريقه في الظلام، طور إنسان القرن الثاني وعوا متوتراً بدوره في قلب عالم مبهم، الحقيقة سر، وفي بحث في الرمز والتسلط أن يكشف أبداً حقيقة مطلقة ولكنه، ببساطة، يسير للسر إلى مكان آخر وأكانت تلك حالة الإنسان، فلنأخذ لحظي

أن العالم هو نتاج خطأ، وللتعبير الثقافي تلك الحالة السيكونولوجية هو الغنوصية (٢٨).

في تراث العقلانية اليونانية، كان معنى «الغنوص» المعرفة الحقيقية للوجود (كلاماً من الحواري والجنلي) كقابل للمعاصرة (aisthesis) أو اللط (doxa). ولكن في القرون المسيحية الأولى كان للكلمة معنى المعرفة بعد العقلية، الهندسية، الهبة وتفتح من قبل الإله أو تلقى من وسيط سملي، وشك القدرة على حماية كل من يمزجها.

إن الكشف الغنوصي يخبرنا في شكل أسطوري كيف تكون الألوئية ذاتها، كونها غامضة وغير قابلة للمعرفة وتضمن بالمثل بذرة الشر وتكررة تجعلها متناقضة منذ البداية، حيث إنها غير مماثلة لذاتها. ويمنح الرومي الصانع لها، نصف الإله Demiurge (٢٩)، العناية للخاص، العالم المتفكك، حيث يسقط قسم من الألوئية ذاتها إلى سون أر مثلي، وعالم مخلوق بطريق الخطأ هو كون مجهول، ومن بين التأثيرات الأساسية لهذا الإجهاد يكون الزمن، محاكاة مشرفة للأبدية، وخلال القرون نفسها كان آباء الكنيسة يسعون إلى التوفيق بين المذهب اليهودي للمسيح المخلص وبين العقلانية اليونانية وابتكروا مفهوم الدليل العقلي والحياة الربانية للتاريخ. ومن ناحية أخرى فقد طور المذهب الغنوصي أعراساً ترفض الزمن والتاريخ.

لقد نظر الغنوصي إلى نفسه باعتباره منفذاً في العالم، وكأنه صنعية جسده الخاص، ولذا يحدده كمجد وسين، لقد أتى به إلى العالم، حيث عليه أن يجد سبيل خروجه. الوجود مرض - ونحن نعرفه، وكما زاد إحساناً بالإجهاد هذا، أخذنا بهذين القدرة الكيفية ورغبات الانتقام، ومن هنا فإن الغنوصي يميز نفسه كوصية إلهية، أتى بها مؤقداً إلى المعنى كدجاج للحبكة الكونية، وإذا تدبر الإنسان عروفته إلى الرب، فمن يجد نضاده بهداياته وأصله قصب، بل سوف يساعد أيضاً على تجدد هذا الأصل للخالص وأن يحرره من خطيئته الأولى، وعلى الرغم من كونه سجيناً في عالم مريض، يضر الإنسان نفسه كمكباً بقرة إنسانية فاققة،

ويمكن للألوئية أن تقوم ببعض التعديلات في انكسارها الأولى، يعود الفصل في ذلك إلى مساهمة الإنسان.

يصور الإنسان الغنوصي إنساناً أصلي على النقيض من المعقدين بالهيويلي فقط، ومن يحصلون بالروح فقط هم القادرين على التحرر من الحقيقة، وبالتالي إلى الخلاص وعلى خلاف المسيحية، فإن الغنوصية ليست ديانة للعباد بل للأسياء.

من الصعب جذب إغراء رؤية الإرث الغنوصي في عدد من مظاهر الثقافة الحديثة والمعاصرة، فحمة أصل تطهري وبالتالي غنوصي تمت ملاحظته في علاقة الحب اللطيفة (ربانالي الرومانية) يرى كخلف كخلفان المحبوب، وفي كل الوقائع كملاقة روحانية خاصة تستدعي أي اتصال جنسي، إن الاحتيال الجمالي بالأثم كخبرة كطوية هو غنوصي بالتأكيد، كما هو الأمر في عدد من القصائد الحديثة، البحث عن العبارة الخيالية خلال إنفجارك الجسد، بواسطة الإسراف الجنسي، النشوة الصوفية، المعذرات، الهواج للفظي.

وقد رأى بعضهم جذراً غنوصياً في المبادئ الحاكمة للعقلانية الرومانية، حيث أريد تقدير الزمن والتاريخ، لكن فقط لأجل جعل الإنسان الضائع عن إعادة توحيد الروح، ومن جهة أخرى، فضلاً عن ادعى لوكاتشي أن العقلانية الفلسفية للقرنين الثامن عشر وأحد عشر البرجوازية في محاولة منها لتفادي مع الأزمة التي تراجعتها، وأن تقدم تبريراً فلسفياً لإزالتها الخاصة لقوة وإمساقتها الاستعمارية، فقد كان، ببساطة، يدرج الأعراض الغنوصية إلى لغة الماركسية، يوجد هناك من تحذروا عن العناصر الغنوصية في المذهب الماركسي، بل وحتى في المذهب الفينيني (نظرية الصراع كمراسل المربية، جماعة مخدرة تلك مفاتيح المعرفة وبالتالي الخلاص)، وقد رأى آخرون الإلهام الغنوصي في المذهب الوجودي وبشكل خاص عند هيدجر للوجود بمعنى Dasein أو الوجود الملقى في العالم، والملاقة بين الوجود العالمي والزمن، تضام - وسونغ، بانضاده نظرية

## الجذور الممجورة



مقاوية إلى المحطات الهرمسية القديمة، أجاد طرح المشكلة الهرمسية على أسس اكتشاف الأنا الأصلية، غير أنه بالطريقة نفسها تحين المنصر الهرمسي في كل إدانة للمجتمع الجماهيري من قبل الأرستقراطية، حيث نتج رسل الأجناس المتفسخة - لأجل إحداث الترحيد النهائي - إلى إرقاة الدماء، المذابح، الإبادة الجماعية للبيد، ولهؤلاء المفكرين بشكل لا فكاك منه إلى الهولوى.

ويفتح الإثنان سماء الإرث الهرمسي والهرمسي، علامات السر إذا كان الهائى شمساً بفهم السر الكرنى، ومن ثم للمعارف النموذج الهرمسي الذى قاد إلى الاقتناع بأن القوة تقوم على جعل الآخرين يعتقدون أن للرد سر سواسيا.

وحسب جوردج زمل:

«فإن السر يحظى للرد وضعاً متميزاً، إنه يعمل كجاذبية محددة اجتماعياً وخاصة، هو بشكل أساسى استقلال السياق الذى يحمله تكن، بالطبع، منزادى للعالمية بالقدر الذى يكون الامتلاك الخاص له ربحاً وذاً مغزى.. ومن السرية التى تظل كل ما هو صديق وذل، وهو القطب الهرمسي الذى يحسبه يكون كل شيء عامتاً شيئاً مهما وجوهرياً قبل الفاعل تعاون الفاعل الطبوعى للإنسان كالمكان وخوفه الطبوعى معاً لأجل الهدف ذاته: لإبراز الفاعل بواسطة الخيال، وأن يهيم به مع التأكيد أنه لا ينصم حادة مع الواقع الهوى» (٢٠).

أحاول الآن اقتراح بأى معنى يمكن لتأنيج رحلتنا تجاه جذور الإرث الهرمسي أن تكون ذات أهمية لهم قدر من النظرية المعاصرة لتفسير النص، بالتأكيد، أن وجهة النظر الصادقة ليست كافية لرسم أى ارتباط بين أبولون وستاين وبالثجة نفسها، أشك فى إمكانية عزل السمات المشتركة بين لوتشة وتشومسكى، على الرغم من احتفال جولييه دوران بالإطار الهرمسي الجديد. ويظل، أنه يمكن أن يكون مشرقاً بالنسبة لمصاضرائى أن أضغ قبالمة بالعلامج الأساسية لما أحب أن أسميه المقاربة الهرمسية للتصور، تجد فى المنحج

للمعنى إلى الإدراك بأن المعنى لا نهائى - لابد للصارى من أنظ بأن كل سطر فى النص يخفى معنى سرياً آخر، كلمات، بدلا من التصريح تخفى ما لم يقل، ومجد القارئ يكون باكتشاف أنه يمكن للتصور أن تقول كل شيء، عدا ما يريد مؤلفوها أن تحليه! ومجرد أن يزعم اكتشاف المعنى المزعوم لتكون على يقين من أنه ليس المعنى الحقيقي، حيث يكون المعنى الحقيقي هو الأبعد، وهكذا صعداً، الضممن للهولوى - الفاسرون - هم الذين يهتمون عملية القراءة بقرلهم .. فهم «I understand»

القارئ الحقيقي يومن يدرك أن سر النص هو خلاؤه، أعلم أننى رسمت صورة كاريكاتورية لكثير نظريات التبرج نمو القارئ جذرية، بالإضافة إلى ذلك، أعتقد أن الصور الكاريكاتورية هي غالباً برترزيهات جيدة: ليس «برترزيه»، لما عليه العالة، ولكن على الأقل لما يمكن أن تصبح عليه، إذا ما كان هناك شيء ما يفترض أنه العالة.

ما أريد قوله هو أن هناك على الأرجح محياراً للتأويل المحدود، وإلا فإننا نخطأ برماجية مجرد مفارقة لغوية من ذلك النوع الضماغ من قبل ماسيدونيو فون ناديل، فى هذا العالم هناك كثير من الأشياء غير الموجودة، بحيث إذا كان هناك شيء آخر مفقود فلان يكون هناك مكان له، أعلم أن هناك تصوراً شعرياً هدفها إظهار أنه يمكن للتأويل أن يكون مطلقاً، أعرف أن رواية Finnegan's wake (٣١) قد كتبت لقارئ مثالى مثلاًر يساهم مثالى، ولكنى أعرف أيضاً أنه على الرغم من أن مجمل مؤلفات ماركيول دى ساد قد كتبت لأجل بيان ماذا يمكن أن يكون عليه الجنس، فإن معظماً أكثر اعتدالا.

فى بداية مؤلفه «الممجزة أو السر والرسول المتأرجح» (١٦٤١) بقس جيون ولكن القصة التالية:

«كم بدا شيئاً غريباً فى الكتابة عند بدء اختراعه، يمكننا التخمين أنه اخترع بواسطة الأمريكيين المكتشفين مؤخر، الذين دشروا برويتهم للإنسان متحارباً مع الكتب،

الهرمسي لتقديم كما فى كثير من المقاربات المعاصرة بعض الأفكار الشبيهة الشجية أعلى، أن...

١ - للنص عالم مفتوح النهاية ويمكن للصور أن يكشف ما لا يحصى من الترابطات.

٢ - اللغة غير قادرة على التقيض على معنى سابق على الوجود ونادى: على للتقيض، فإن مهمة اللغة أن تظهر أن ما يمكننا التحدث عنه هو فقط زمان الأضداد.

٣ - للغة تمكن قصور الفكر: إن وجودنا فى العالم ليس سوى وجود غير مؤهل للتطور على أى معنى متصل.

٤ - أى نص، يدعى تأكيد شيء واضح للمعنى، هو كون محيط، بمعنى، عمل نصف إلى مشروع للتفكير (الذى يحاول أن يقول هذا هو هذا، وعلى التقيض من ذلك فقد أثار سلسلة متصلة من التأويل اللانهائى حيث: «هذا ليس «هذا»

المنحج الهرمسي النصى المعاصر سخى للغاية وعلى أية حال: فأى شخص، شرط أن يكون متحشاً للفرض قصد للقارئ على قصد غير الممكن إحراره المؤلف، يمكنه أن يصبح الإنسان الأعلى الذى يدرك الحقيقة، بمعنى، أن المؤلف لم يعرف ماذا كان هو أو كانت هي تقول، لأن اللغة تحدثت عنه أو عليها، لإنقاذ النص - أى تحويله من توم

وجعلتهم عزلة،هم يحقدون في إمكانية الورق على التحدث...

هناك ما يتصل بهذا بشكل لطيف، حول عهد هندي، أرسل من قبل سيده رسالة من اللين ورسالة، وفي الطريق أكل قدرًا كبيرًا من حمله، وسلم ما تبقى إلى الشخص الذي أرسل إليه؛ والذي قرأ الرسالة، ولم يجد لكمية المذكورة في الرسالة من اللين، فاتهم المبد بالتهاهما، وأجبره بما جاء في الرسالة بخصوص ذلك، غير أن الهندي (بعض النظر عن هذا الدليل) أنكر الواقعة، بقية، لأعنا الورقة للعامة للرسالة، باعتبارها ضاها زلفا وكاذبا.

بعد ذلك، أرسل ثانية بحملة شبيهة، ورسالة تتضمن عدد حبات اللين المرسل، والواجب تسليمها، ومرة ثانية، وبحسب تجربته السابقة، اتهم جزءًا كبيرًا منها في طريقة، وقبل أن يتعرض له أحد، (ربما يجب بحصة أية اتهامات)، أخذ الرسالة أولا، ورغبًا تمت حجر ضخم، مؤكدًا لنفسه، أنها إذا لم تفرح بأكل اللين، فإنها لا يمكن أن تضي به، ولكن لكونه الآن متهمًا أكثر من ذي قبل، فقد أقر بقطعه، معجبًا بالروحية الزرقاء، وبالنسبة للمستقبل فقد وعد بأن يكون في مديته الإخلاص في أي عمل يقوم به (٣٣).

يمكن لشخص ما أن يقول إن اللين، ما إن يفصل عن ناطقه (مخلصًا عن قصد الناطق) وعن الظروف المحيطة لناطقه (ونتيجة لذلك عن مغزاه المقصود) يظل (إذا جاز القول) في فراغ مضي مطلق إمكانية من الأوليات المحتملة، وقد يكون ويمكن Wilkin قد قصد ذلك في الحالة التي ذكرها، لقد كان السد موقفاً من أن السلة المذكورة في الرسالة هي نفسها التي حملها إليه المبد، وأن المبد الحامل لها هو نفسه الشخص الذي أعطاه صديقه السلة، وأن ثمة علاقة بين التعبير ٣٠، المذكور في الرسالة وعدد التلويث التي تحدثها السلة، طبوعي، سيكون كافياً أن نتصور أن المبد الأصلي قد قُتل أثناء الطريق رحل محله شخص آخر، أو أن حبات اللين الثلاثين قد استبدلت بها

حبات أخرى؛ أن تكون للسلة قد أرسلت إلى شخص مختلف، أن المرسل إليه الجديد لا يعرف صديقاً يهيمه أن يرسل إليه بحبات لين. لن سيقال في الإمكان تحديد ما الذي كانت تقصده الرسالة؟ ومع ذلك، يجوز لنا افتراض أن رد فعل المرسل إليه الجديد كان سيكون بهذا الشكل: «شخص ما، والله أعلم من، أرسل لي كمية من اللين هي أقل من لكمية المذكورة في الرسالة المصاحبة ليها. دعنا نفترض الآن أن حامل الرسالة لم يقتل فحسب بل إن قاتله أكل اللين كله، حلم السلة، ووضع الرسالة في زجاجة والتي بها في المعبود، ثم عثر عليها رويغسون كروول بعد ذلك بسبعين عاماً، لا توجد سلة، لا يوجد عهد، ولا توكيات، فقط الرسالة، وعلى الرغم من ذلك، أراهم أن رد الفعل الأول لرويغسون سيكون: «أين اللين؟».

والآن، لنفترض أن الرسالة الموضوعة في الزجاجة قد عثر عليها بواسطة شخص أكثر حكمة، دارس للسانيات، والهرميوطيقا أو السيميوطيقا. ولكونه شديد الذكاء، فإن هذا المرسل إليه الذي جاء بالمصادفة يمكنه تقديم حديد من الافتراضات، أعلى:

١ - يمكن أن يكون المقصود بالتيدي: FIG: (على الأقل اليوم) بالمعنى البلاغي (كما في تلك التمبرات مثل To be in good fig في حالة صنة، To be in full، To be in poor، ما على الحبل، To be in حالة سيئة، (٣٤) ويمكن للرسالة أن تدعم تأريلاً مختلفاً، ولكن حتى في هذه الحالة فإن المرسل إليه سيخفى على التأويل التقني، وللمقدم والسابق التأسيس ل FIG، والتي تختلف عن قولنا Apple، Cat،

٢ - أن الرسالة الموضوعة في الزجاجة هي قصة رمزية، كتبها شاعر: يشم المرسل إليه في هذه الرسالة رائحة معنى ذات مستقر يناس على شجرة شعرية خاصة، صيغت لأجل هذا اللص فقط، في هذه الحالة يمكن للمصالح أن يقدم افتراضات عديدة متناقضة، ولكني أعقد بشدة أن ثمة مجازاً اقتصادياً في خلفية هذه الافتراضات المحددة سيكون أكثر إثارة من غيرها، ولكن يجوز افتراضاته، سيقدم المرسل إليه على الأرجح

بتقديم افتراضات سابقة محددة فيما يتعلق بالمرسل للمحمل والفترة التاريخية المعتمدة التي أنتج فيها النص، وليس لهذا علاقة بالبحث في قصيد المرسل، ولكنها مهمة بالنسبة للبحث في الإحراز الشافي للرسالة الأصلية.

من المحتمل أن يقرر المزل السهل أن للنص الذي عثر عليه في زجاجة قد أشار ذات مرة إلى تولدات موجودة بالفعل، وأنه كانت له دلائل إشارية إلى مرسل بعينه وكذلك إلى مرسل إليه بعينه وعيد بعينه، ولكنه الآن قد فقد كل قوة إشارية. ويظل، أن الرسالة ستبقى نصاً بلا أي منا استخدما لعدد لا نهائي من السلائل الأخرى، وإسعد لا نهائياً من تمردات اللين، ولكن ليس التمرات لنجاح أو للأصحة السجدة، يمكن للمصالح أن يعلم بهؤلاء القاعين غارقاً بشكل شديد الغموض في تغيير الأشياء أو الرمز (ربما قصد بأن ترسل تباداً، في لحظة تاريخية معينة، أن تقوم بمحاولة لتأليب غور مأولة بالأنطاف) ويمكن أن يبدأ من الرسالة المجهولة المصاحبة لأجل أن يجب تدعى في المعاني والتمولات، ولكن لن يكون مقتدره أو مقتدرها القول بأن الرسالة تملئ كل شيء، ويمكن أن تضي عدداً من الأشياء، ولكن ستكون هناك معانٍ من السعال اقتدرلها، بالتأكيد، إنها تقول إنه ذات مرة كانت هناك سلة ملوثة بخرمات اللين، لن تضمن أي من نظريات التوجه للقرائن من إغفال هذا الإيجاب.

بالتأكيد، هناك فرق بين مناقشة الرسالة المذكورة من قبل ويلكن ومناقشة رواية Finnegan's wake، فالرواية تساعدا لكي تلقى في شكك حتى حالة الحس العام المزهوم في مثال رواية ويلكن. ولكن لا يمكننا تجاه وجهه نظر المبد الذي شهد في المرة الأولى مجزأة للصور وتأويلها، إذا كان هناك شيء لتأويله، ينبغي أن يعبر عن شيء ما يمكن الظور عليه في مكان ما، وأن يكون محتمراً بشكل ما، وهكذا، فلي الأقل لأجل محاضرتي القادمة، اقترحي: دعونا أولاً نتف في صف المبد: فذلك هي الطريقة الوحيدة لكي نصبحوا، إن لم تكونوا السادة، فلي الأقل لخدم المخلصين للملأمة.

## الجذور المجبورة



١٤ — Quæstio quoadlibetalis: هي مؤلفات

توما الإكويني تحت عنوان «مسألة» والبقية في شكل حروف حرة، حيث تقسم مؤلفاته. إلى «الشرح» وفي المؤلفات القديمة، والملاحظات وهي لمعها، والمساكن. (م)

١٥ — ما إذا كان بإمكان الرب أن يعيد إلى الحياة عذريتها. (م)

١٦ — طقوس سرية دينية كانت تقام في اليونان القديمة في «البرسيس» في سرية تامة وكانت تشغلها بعض للتراثيم وبعض الأمامات الموكية ولكن الطقوس نفسها لم تعرف أبدا. (م)

١٧ — الإبهرون: قال به الفيلسوف اليوناني الكسمندروس (القرن السادس ق.م) بمعنى اللا نهائي، وهو العلة الأولى التي يصدر عنها الوجود يشبه الكس والكمي. (م)

١٨ — للهاب والكحول (م)

١٩ — على الرغم من الآراء المتباينة حول مسألة لصقاري مكتبة الإسكندرية إلا أن الرأي الأرجح أنها قد دمرت في عهد بطليموس فيفسر أثناء معركة في الإسكندرية 47 ق.م. وقد تذب بعض المؤرخين إلى جعل المصنفين السابقين الإسكندرية إحقاق الشكبة إلا أن «بيلس» أمد مزيه ذلك الصبر، يذكر في كتابه له (يتحدث فيه عن جمال المعمار وروعة تنظيم وبهاء خدائق وأندرة الإسكندرية مختصراً على سطرطها) ما يثبت زيف هذا الادعاء بالإضافة إلى أنه لم يرد ما يؤكد ذلك في أي من مصادر التاريخ الإسلامي أو للبيزنطي أو القبطي التي كتبت في القرون التالية للفتح. وربما أثر إحقاق الرأي الذي يذكره في مقاله لقيته الاستدسية له كمال يدعم به أطلرحته. (م)

٢٠ — نسبة إلى Hermes Trismegistus وهو الاسم الذي أطلقه الأفلاطونيون الجدد على الإله المصري ثوت Thoth الذي تدعى إليه الأعمال الهرمزية الفاصضة وهي الثان وأربعون كتاباً تبحث في الحياة والفكر في مصر القديمة في أسلوب يتميز بالمفوض والإبهام. (م)

٢١ — أعضاء فرقة كبريتية كاتبة قديمة (م)

٢٢ — مجموعة المؤلفات المكتلة لتحتوت. (م)

٢٣ — phonésia: في ترجمته لكتاب «إيرانيديفويس» دعوة للفلسفة، يذكر د.

الجزية في لندن، وقد أصبح للقيمة الزمنية لحد كبير من الأعمال الأدبية والدرامية (م)

٨ — Richard Rorty, consequences of pragmatism A (Minneapolis Uni- فلتاحك البراجماتية) verality of Minnesota press, 1982), p. 151.

٩ — Raegione (إيطالية) = Ratio (لاتينية) = Reason (إنجليزية) = Raison (فرنسية) = Vernunft (ألمانية) = عقل (م)

١٠ — ويعني modus صيغة من صيغ الاستدلال الأساسية وولادة من أهم التحيزات الصلصة منطقاً.

١١ — 1.1.106-7. هجلايات Horace.

١٢ — يشير تعبير «Modus Ponens».

(١) إما إلى قانون تمصيل الحاصل المنطقي.

(٢) أو إلى المقابلة بعد للمنطقة والذي تقود إلى نقول بالانفصال على النحو التالي:

هو ACB, AIB, رمز يشير إلى الإنتاج الشكلي.

١٣ — (الرويكين: نهر مشير يصلح إيطاليا القديمة عن Cialpine Gaul (إقليم خصص لوريوس قوسر) ويعود لوليوس فيفس لهذا السجدي في عام 49 ق.م تجاوز حدود إقليمية أصبح بذلك غازياً لإيطاليا ومن ثم معجلاً بالحرب مع بومبي وجلس فيلورخ. وفي الإنجليزية يعني للحميدور To cross the Rubicon أن تخطو خطرة غير قابلة للإلغاء. (م)

١ — ساعة (التاريخ) J.M Casuller, le hors du lector Barcelona, 1957).

٢ — العمل المصحح Translated as The Open work (Cambridge, MA, 1989)

٣ — All published by Indiana University press in, 1976, 1979, and 1984.

٤ — Semiosis: في كتابه «السيموطيقا وفلسفة اللغة» يقول إكس. بيلي لعاليم السيموزيس، أمتى... عالم للثقافة الإنسانية أن بيلي على نمط متأخذ من النوع الثالث:

(أ) صمم بناؤها بمعبد شبكة من المفردات in- terpreants.

(ب) أنه لا نهائي بالمثل بسبب أنه يأخذ في اعتباره التاريات المتعددة المتحركة من قبل ثقافات مختلفة... هو لا نهائي بسبب أن كل حديث حول الترميزية يجرى إلى ثقافة البناء السابق الموسوعة لئلاها.

(ج) أنه لا يصلح الصالح، فمستبعد، بل بالآخرى، ما قيل عن الحقيقة أو ما اعتقد أنه حقيقي.

وفي ترجمته لكتاب «السيمياء والتأويل» لروبرت شولز يترجمها بمعهد الفاعني بالمستقة أو التأويل السيمولي ويذكر أن تعريفه يجهي بسبب استعمال ولفظها لها بمعنى توليد المعاني السجالية للنص المزل في مقابل القراءة الهرمية المستقيمة، ويضيف أنها تتضمن عودة إلى البنية الجدانية التي تربط الكلمات المفردة وفيه الخاص التي تصبط نسا شعرياً مميماً.

كما يذكر قاموس أكسفورد للمصطلحات الأدبية أن السيموزيس هي العملية التي تتم بمقتضاها صياغة العلامة وكذا أنها عملية لتداول بواسطة العلامة.

— See now Umberto Eco, The Limits of interpretation forthcoming

٦ — T. Todorov, Viaggio nella Critica americana, Letters, 4 (1987), 12.

٧ — مقال إنجليزي لراس مستشار، كل على الأقل سبع لساء، كلون داعران، في صياغة ولت شابل بلندن فيما بين السابع من أغسطس والعاشر من نوفمبر 1888 في واحد من أكثر الجرائم عموصاً، والتي لم تدل في تاريخ

# نصوص التأويل الإعلاني

لكي يقرر أن المذبح يمكنه أن يؤثّر في  
المقبل، كان على التطبيق السيميائي الهرمسي  
أن يحدد معنى التمثال، غير أن معياره  
للتماثل قد أظهر صومعية بالغة التسامح  
والمرونة، فلم يتضمن تلك الظواهر التي قد  
لنصنعها اليوم تمتع عنوان التمثال  
المورفولوجي أو التشابه اللبني فحسب، بل  
كل نوع من النجاشات الممكنة والتي أجازها  
الثرائ البلاغي، بمعنى: مقارنة الجزء بغيره  
عن الكل، الحدث أو المثل، وهكذا فصاعداً.

لقد استلقت القائمة التالية من المعايير  
الموضوعة لربط الصور أو الكلمات لا من  
مقالة في السحر بل من أساليب ترقية الذكورة  
في القرن السادس عشر أو فن التذكّر.  
والمقتطفات مشروقة - بعيداً شاملاً عن الفرضية  
الهرمسية، بسبب أن المؤلف قد كشف في  
سواك ثقافته الخاصة عن آليات متلازمة شاع  
قبيلها كآليات فعالة.

في محاضرة :التساويل  
والتاريخ، نظرت إلى ملهوج  
لتأويل العالم والنصوص وتأسس على تفرّد  
علاقات التعاطف التي تصل الكون الصغير  
والكون الكبير أحدهما بالآخر، ويلبني لكل  
من ميتافيزيقا وفيزيقا الأجسام الكونية أن  
يقوما على سيموطيقا (مروجة أو مضمرّة)  
التمثال. لقد تعامل موشول فوقه بالفعل مع  
النموذج التجاذلي للتمثال في كتاب  
«الكلمات والأشياء»، ولكنه كان مهتماً  
بشكل جوهري بتلك اللحظة الاستهلالية بين  
عصر النهضة والقرن السابع عشر، والذي  
يؤزب فيه النموذج التجاذلي للتمثال في  
النموذج التجاذلي للعلم الحديث، ومن الوجهة  
التاريخية فإن اقتراضني يرمي إلى إبراز  
معيار تأويلي (والذي أسميه التطبيق  
السيميائي للهرمسي) ذلك الذي بقي ويمكن  
تقبه عبر القرون.

عبدالغفار مكاوي أن «فيلويزيس» تعني  
الحكمة أو التبحر والتأمل النظري الخالص  
من ناحية، كما تعني اللغة العملية في أمور  
السلوك، والعناية العملية والأخلاقية من ناحية  
أخرى، وأنها تدل على أحد المعنيين حسب  
السياق التي ترد فيه، وفي مقالنا نجعلها  
ترتبط سياقياً بتأمل الحقيقة لجاءت بمعنى  
التبحر. (م)

٢٤ - طريقة صوفية باطنية يهودية تعود إلى  
القرن الحادي عشر، ويكتف لنصوصها شكلاً  
رمزياً يقوم على الدلالة الشكلية للحروف  
وتبادلاتها. (م)

٢٥ - جوبار دي لورفال، (١٨٠٨-١٨٥٥) شاعر  
فرنسي من رواد الشعر الرمزي والصوفي  
في الأدب الفرنسي، وكتابه تأسلات  
وتصليات لغزاته الذاتية وأحلامه. (م)

٢٦ - Fideism: مذهب يعتمد الإيمان لا العقل أو  
الشواهد العملية سبباً إلى الحقيقة الدينية.  
(م)

Gilbert Durant, Science de l'homme (paris, 1979).  
et tradition علم الإنسان والتراث Berg.

٢٨ - Onosis: المعرفة الوجدانية بالمخالفات الزوجية،  
أفرتها اللغوية ويمتصها يكون خلاص  
الإنسان. (م)

٢٩ - «صانع الماهر أو الخالق» استخدم  
أفلاطون المصطلح في محاضرة «طيماروس»  
للإشارة إلى مبدأ الخلق في الكون، وفي لغة  
أفلاطونيين هو الفاعل الفاعل الذي يصنع  
العالم وما فيه، هو للرجس أو الكلمة. (م)

٣٠ - The secret and the secret society,  
The Sociology of the secret society,  
of Georg simmel, trans. and ed. by Kurt H.  
wolff (New york, Free press, 1950), pp.  
332-3.

٣١ - رواية جمهورية لثروالي الإيرلندي جيمس  
جويس نشرت عام ١٩٣٩ (م)

٣٢ - John wilkins, Mercury, or, the secret and  
the Messenger swift المصممة أو السر والرسول المطروح  
3rd ed. (London, Nicholson, 1707), pp.3-4

٣٣ - أن تكون في لحن حال / أن تكون في كامل  
حالتك / أن تكون في حالة سوية. (م)

## نصوص التآويل الأعلى



بين المبادئ الفيزيقية للخنزير Swine والمبادئ الأخلاقية للديكتاتور، يمكن استكمال الكلمة خنزير للإشارة إلى أحد الصائد المتكسرين سلفاً. يمكن للتحويل السيميوطيقى لمثل هذه الفكرة المركبة كالتمثيل (انظر تحليلى فى نظرية السيميوطيقا) أن يساعدنا على عزل أوجه الخلل الأساسية للتطبيق السيميالى الهرمى وخلاها أوجه الخلل الأساسية فى عديد من إجراءات التآويل الأعلى.

إنه ما لا يمكن تلخيصه أن الكائنات الإنسانية تفكر (أولاً) على أساس من الهوية والتماثل، وفى الحياة اليومية، على أية حال، فإنه حقيقى أننا نحرف عادة كيف نميز بين التماثلات الدالة وذات الصلة بالموضوع من جهة وبين التماثلات المتروكة والاتفاقية من جهة أخرى. قد نرى شخصاً على البعد نذكرنا ملامحه بالشخص A، الذى نعرفه، محققين أنه الشخص A، ثم ندره أنه فى الحقيقة الشخص B، شخص غريب، ومن ثم، عادة، نخشى عن اقتدارنا بهمية الشخص، فلا نجد مصنفين للتماثل، الذى نسله كصناعة، ونحن نعلم ذلك لأن كل ما يضع فى ذهنه - أو ذهنها - تصوراً لحقيقة لا تقبل التخليد، أعلى، أنه من وجهة معينة النظر فإن كل شيء يتضمن علاقات تشابه، مقاربة، وتماثل لكل شيء آخر، قد نصل بهذا إلى مداه ونقرر أن ثمة علاقة بين الحال while - أحياناً - والإسم crocodile - نضاح ألهماء. على الأقل - يظهران معاً فى الجملة التى نطقها نوى، غير أن الفرق بين التآويل العقائلى والتآويل الهرمى Par-anoic يقع فى إدراكه أن تلك العلاقة تشكل الحد الأدنى، وأنه، على النقيض، لا نستدل من هذه العلاقة الأدنى، الإمكانية القسوى، والشخص المهرس ليس هو من يلاحظ أن "while" و "crocodile" يظهران على نحو غريب فى السياق نفسه: إن المهرس هو الشخص الذى يبدأ فى التساؤل عن الدوافع الغامضة التى تدفعنى إلى جانب تلكا التكمين بالذات

لتأويل قريلى آخر، فى كل مرة يعتقد فيها المرء أنه قد اكتشف تماثلاً، فإنه سيستمر بدوره إلى تماثل آخر، فى توالى لا نهائى. وفى كرن يهيمن عليه منطق التماثل (والتعاطف الكونى) فإن المسؤول للعق ووجب التنب فى أن ما يحال المرء أنه معنى علامة هو فى الواقع علامة لمعنى آخر.

ويوضح هذا مبدأ مهماً آخر فى التطبيق السيميالى الهرمى: إذا تماثل شيان، فهنك لأحدهما أن يكون علامة للآخر والعكس صحيح، ومثل هذا المسار من التماثل إلى التطبيق السيميالى لا يتم على نحو كلى، هذا لقلم مماثل لقلم الآخر، ولكن هذا لا يردى بنا إلى استنتاج إمكانية استخدام الأول لتصين الآخر (باستثناء حالات معينة للتدليل المباشر وحسبها، فنقل: أرىكم هذا القلم كى أطلب منكم أن تعطينى القلم الآخر أو شيئا ما يردى الوظيفة ذاتها، ولكن التطبيق السيميالى بواسطة التماثل أو المباشر يتطلب اتفاق سابق)، الكلمة كلب dog ليست مماثلة للكلب، ويرتبه المكلة (الزوايه) على طابع بريد إنجليزى يماثل (بحسب توصيف محدد) إنساناً معيها هو ملكة المملكة المتحدة، وخلال سكتها بها يمكنه أن يصبح شعاراً للمملكة المتحدة، والكلمة خنزير Pig لا تماثل لها من الخنزير أو قوربيها أو تشاوشيسكو ومع ذلك، فإنه نظراً إلى التماثل المؤس ثقافى

١ - بالمقارنة، التى تنقسم بدورها إلى تشابه فى الجوهر (الإنسان كصورة كونية مصغرة)، الكيف (العلامات المعثر للوصايا المعثر)، بالكيفية والتناقض (الأطلس للتكوين أو علم الفلك، الخدب The bear الرجل سريع الفضنب، الأسد للكرياء، شوشرو Cicero لفن الخطابة).

٢ - المجانسة اللغوية: الميران dog للمجموعة النجمة Dog.

٣ - بالسخرية أو التباين: الغنى للدلالة على الفقر.

٤ - بالعلامة: الأثر للدلالة على الثقب، أو المرأة التى أصعب فيها تيتوس Titus بنفسه للدلالة على تيتوس.

٥ - بكلمة ذات نطق مختلف: Sanum ل Sane (١).

٦ - بتماثل الاسم: Aristotle ل Arista.

٧ - بالروح والجنس: نمر لحيوان.

٨ - بالرمز الوثنى: نسر للإله جوبيتر.

٩ - بالشعوب: الفرس للسهام، Scyth- ians للفرس، للتونيقون للأبجدية.

١٠ - بالرموز الفلكية: العلامة للمجموعة النجمة.

١١ - بالملاقة بين الأداة والوظيفة.

١٢ - بزية شائعة: الغراب للأوروبيين.

١٣ - بالعلامات المعمدة: النملة للملاية الإلهية.

١٤ - وأخيراً، ارتباط فردى خالص، أى مسخ لأى شيء يرد تذكره (٢).

وكما نرى، فأحياناً يكون التشيخان ممثليين بسروكمو، وأحياناً بشكلهما، وأحياناً أخرى بمقارنة أهما يظهران معاً فى سياق محدد، ومادام هناك علاقة ما يمكن تأسيسها، فإن المعيار يصبح غير دى أهمية. فما إن توضع آلية التشابه موضع الفعل فن يكون هناك ما يتضمن توقعها، وبدورها، الصورة، التصور، الحقيقة، المكتشفة تحت حجاب التماثل، سترى بدورها كعلامة



معا، إن اليهود يرى سراً، يضمرة المثال الذي أفكر، وأصح إليه.

ولكى نقرأ كلاماً من العالم والنصوص بارياب فلي لمره أن يحد بنحو مفصل شكلا من أشكال الملتهج الاستحواذي، الشك، في حد ذاته ليس حالة مرضية: كل من الصخر الجذلي والعالم يشك وفق مبدأ أن بعض العناصر، الواضحة وإن تبدو غير مهمة، قد تكون بيئة على شيء ما آخر غير واضح. وعلى هذا الأساس فإنهما يشبان فرضية جديدة لاختبارها، غير أن البيئة قد تعتبر علامة Sign على شيء آخر فقط بطروط ثلاثة: إنها لا يمكن أن تكون مفسرة بشكل أكثر اقتصاداً؛ إنها تتورق إلى علة مفردة (أو إلى مجموعة محددة من العلة الممكنة) وليس إلى عدد غير محدد من العلة غير المتجانسة؛ وأنها تلائم للبيئات الأخرى. إذا حدث أن عرفت في مسرح لجرمية قتل على نسخة من أكثر المصنف اليومية انتشاراً، يبنى على "لولا أن أسأل (معيار الاقتصاد) ما إذا كانت لا تخص الضحية، إذا كان ذلك، فسوف يشهر مفتاح اللغز إلى مليون متهم محتمل، وإذا عرفت، من ناحية أخرى، في مسرح الجريمة، على موهرات نادرة، تشير فريدة في نوعها، ومعلوم أن شخصاً بعينه وملهماً، يصبح مفتاح اللغز مثيرة؛ وإذا تبين لي عندئذ أن هذا الشخص غير مستطوع لإظهار هذه الموهرات لي، حينئذ يتوافق مفتاح اللغز مع بعضها بعضاً. لاحظ، على أية حال، أنه عند هذه النقطة فإن جنسي لم يتأكد بعد، إنه يبدو بالكاد محتملاً، وهو معقول لأنه يسمح لي بتأسيس بعض الشروط الممكنة حصتها؛ إذن، على سبيل المثال، كان بإمكان المتهم التأكيد ببطلان لا يقبل الخلاف بأنه كان قد أصلي هذه الموهرات للضحية منذ زمن، حينئذ لن يعود ظهور الموهرات في مسرح الجريمة مقنعاً ذا أهمية.

إن التفكير المفرط لأهمية المفاتيح ويؤاد غالباً عن النزوع إلى النظر إلى أكثر العناصر فورية في الظهور، في حين يبنى للحقيقة الفالصة بأنها مفاتيح ظاهرة أن ضلعا

الإدراك، بأنها مفاتيح قابلة للتفسير بحسب مصطلحات أكثر اقتصاداً بكثير، ومثال على الإضاد المتصل بالمحصن لفظاً وزيناً به المظنون للاستقراء الطبي، وهو كالتالي: إذا لاحظ طبيب أن كل مرضاه الذين يعانون مرض تشعب الكبد Cirrhosis of liver ويحتسون للخصر بشكل منتظم سواء كان (ريسي) مع الصودا، (كونياك) مع الصودا، أو (جين) مع الصودا واستلج من ذلك أن الصودا تسبب تشعب الكبد، هو مخطئ لأنه لم يلاحظ أن هناك عنصر آخر موجوداً في الحالات الثلاث، أمضى للتوصل، وهو مخطئ، لأنه تجاهل كل حالات المرضى الذين لا يشربون الخمر، ويشربون الصودا فقط ولا يعانون من تشعب الكبد. والآن، يبدو المثال سخيفاً تماماً لأن اختيار الطبيب وقع على ما يمكن تفسيره بطرق أخرى، وعلى ما يجب أن يتعامل حوله، وقد فعل ذلك، لأنه من الأسهل أن تلاحظ حضور الماء الواضح، بأكثر من حضور الكحول.

ويذهب التطبيق التسميائي الهرمسي بعيداً جداً، وبالتحديد في ممارساته التأويل الفني، بحسب مبادئ السهولة والتي تظهر في كل نصوص هذا التراث، أولاً، طريقة في التساؤل تقود إلى التفكير المفرط لأهمية المصادفات القابلة للتفسير بطرق أخرى. كانت هرمسية عنصر النهضة تروم «ترقيتها»، أتصد مفاتيح مرآية تكشف العلاقات للفاصلة، وعلى سبيل المثال، فقد اكتشف التراث أن الديات التسمي أوركيده له بصيلاان كرويانان، وهما تبهوان في هذا متباهتين على نحو مورفولوجي<sup>(3)</sup> ملحوظ مع الخصيتين، وعلى أساس من هذا التشابه يتابعون نمو تشابه العلاقات المتباينة: فمن التشابه للمورفولوجي ينتقلون إلى التشابه الوظيفي، فزهر الأوركيد لا يمكنها إلا أن تعزز ممتلكات سحرية مع الأخذ في الاعتبار الجهاز التناسلي (وهي معروفة أيضاً باسم خصية اللطيف Satyrion).

في الواقع، وكما فسر بيجون<sup>(4)</sup> لاحقاً (تمهيد التاريخ الطبيعي والتجريبى في ملحق

كشابه «الأورجانون الهندي» ١٦٢٠)، فإن للأوركيد بصيلاين لأن بصيلة جديدة تشكل كل عام وتتم جوار البصلة القديمة، وبينما تنمو الأولى فإن الأخيرة تنبت. وهكذا قد كتبت البصليتان تشابهاً شكلياً مع الخصيتين، غير أن لهما وظيفة مختلفة مع الأخذ في الاعتبار عملية الإخصاب. وحيث إن العلاقة السحرية يجب أن تكون ذات طابع وظيفي فإن التشابه لا يحويها، فلا يمكن للظاهرة المورفولوجية أن تكون بيئة على علاقة لطية والتأثير لأنها لا تتوافق مع المعلومات الأخرى الفالصة والعلاقات السببية، وقد استخدم الفكر الهرمسي مبدأ أصدى التروم الزائف والذي افترض بحسبه أنه إذا كان A يجعل العلاقة X مع B و B تجعل العلاقة Y مع C، فإن يبغي أن تكون A حاملة للعلاقة Y مع C، فإذا كان للخصيتين علاقة مثالية مورفولوجية مع الخصيتين وكانت للخصيتين علاقة سببية في إنتاج البني، فلا يتبع ذلك، أن البصليتين ترتبطان سببياً بالفالسية الجسدية.

ولكن الاعتقاد بالقوة السحرية للأوركيد يتمحز بعبداً هرمسي آخر، أصلي الدائرة للتصور «بعينه» إن يسبقه: لقد افترضت نتيجة وتم تأويلها كحالة لملتها، ذلك أنه تم إثبات أن زهرة الأوركيد تحمل علاقة بالخصيتين بحسب أن الأولى تحمل اسم الأخيرة (أوركيد = خصية)، وبالتأكيد، يعتبر اشتقاق الكلمة Bryology<sup>(5)</sup> ذاتها عن مفتاح زائف، ومع ذلك، فقد رأى الفكر الهرمسي في اشتقاق اللفظة البيئية التي كتبت للعاطف الفاضل.

لقد اعتقد هرمسيو عصر النهضة أن المخطوطات الهرمسية قد كتبت بواسطة تعوت الأسطوري الذي عاش في مصر قبل موسى، لقد برهن إسحاق كازابون في بداية القرن السابع عشر، ليس فقط على أنه ببنى للنص الذي يحمل آثاراً للفكر السحري أن يكون قد كتب بعد المسيح، بل كذلك برهن على أن نص المخطوطات الهرمسية لا يحسنوى على أي أثر للإصطلاحات

## نصوص التأويل الأعلى

الأولى، ستكون مهمة التراث التفسيري (في حالة الإنجيل) أو الشعر (بالنسبة لأعماله) لتغيير المساحات، هذا ما فعله دانتي في مؤلفه Convivio وفي مؤلفات أخرى مثل -Epi- tula X III.

وهذا الميل إلى الدصوص المقدسة (بالعلمي العرفي للمصطلح) قد انتقل، في شكل علماني، إلى نصوص أصبحت مقدسة من الترجمة المجازية أثناء تلقيها، لقد حدث ذلك في عالم المصور الوسطى للفن حيث وحدث في فرنسا لرابايوليه Rabelais، وحُث لشكسبير (تحت راية «مناظرة بيكون» - شكسبير حشد من القاصين السريين الذين استباحوا نصوص الشعراء، كلمة بكلمة وحرراً) بحرف لاكتشاف جناس القلب(١٠)، anagrams، قصائد الترتيب الخاص(١١)، acrostics، ورسائل سرية أخرى خلال ما قد يكون فرانيسيس بيكون جملة واضحاً من أنه المؤلف الحقيقي لـ Folio 1١٢٣ ويحدث ربما بشكل زائد، لجويس، وكون الحالة هكذا، فمن الصعب أن يكون دانتي قد أغفلها.

وهكذا نرى أنه، بدءاً من النصف الثاني للقرن التاسع عشر وحتى الآن، من الأعمال الأولى لمؤلفي الأنجليز - إيطالي جابرييل روسيتي Gabriele Rossetti (وولد مصور ما قبل الرافائيليين المشهور دانستسي جابرييل) ولفرنسي أبوجيوني أو - Eu- gene Aroux أو أعمال الشاعر الإيطالي العظيم جيوفاني باسكولي وحتى رينيه جيون، قام عدد من النقاد بشكل استعراضي بقرأة وإعادة قرأة مؤلفات دانتي الهائلة لأجل الطور على رسالة مضمنة فيها.

لاحظوا أن دانتي، كان هو أول من قال إن شعره يتكلم معنى غير حرفي، كي يتم اكتشاف ما وراء وتحت السطح الحرفي ولكن دانتي لم يؤكد ذلك بوضوح قط؛ بل زدنا كذلك بالمفاتيح التي تساعد على اكتشاف السطح غير الحرفي. ومع ذلك فإن هؤلاء اللغويين، الذين سوف ندرجهم مقلّي الحجاب يعينون في أعمال دانتي لغة سرية



كلماتي المتناقضة، فما إن أصبح النص مقتبساً، بالنسبة للثقافة معينة، فإنه يصور موضوعاً لعملية القرأة الارتبابية وبناء عليه لما هو، بلا شك، شطط في التأويل، لقد حدث ذلك، مع الجهاز الكلاسيكي، في حالة النصوص الهرمسية، وما لا يمكن ولكنه حدث في مراحل آباء الكنيسة والمكرّنين مع الكتاب المقدس Scriptures، كما حدث في الثقافة اليهودية مع تأويل التوراة لكن في حالة النصوص المقدسة، الحق، فلا يمكن أن نسمح لأنفسنا بالكثير، حيث إنه عادة ما تكون هناك سلطة دينية وتراث يسمي إلى الاحتفاظ بمفتاح تأويله، وثقافة المصور الوسطى، على سبيل المثال، قد فعلت ما بوسعها لتوزيع لتأويل مطلق من الوجهة الزمنية ولكن على الرغم من ذلك، محدود العمل الأدبي المكتاب المقدس فهو أن معاني الكتاب المقدس (و بالنسبة لدانتي، معاني الشعر العلماني كذلك) كان عددها أربعة؛ غير أنه كان على تلك المعاني أن تتحدد بحسب قراء معينة، وعلى الرغم من إخفاء تلك المعاني تحت المظهر الحرفي للكلمات، قم نحن سرية على الإطلاق، ولكن، على النقيض من ذلك - بالنسبة لأولئك الذين يقرءون النص بشكل صحيح - كانت واضحة، ولذا لم تكن واضحة عدد النظرة

المصرية. قد أعمل التراث الغامض كله بعد كما أن يكون الملاحظة الثانية واستعمل الملاحظة الأولى «يقبح إن سبقه» Post hoc ergo ante hoc تأييد بعد ذلك، بالفكر المسيحي، فهذا يعني أنه قد كتب قبل المسيح وأثر في المسيحية.

وصف أبين بعد قليل أنه يمكننا العثور على إجراءات مماثلة في الممارسات المعاصرة للتأويل النصي، وقضيتنا، على أية حال، هي كما يلي: نحن نعلم أن التشابه بين نبات خضبة الخلب satyrian والخمسينين هو تشابه خاطئ حيث برهنت الاختبارات التجريبية أن ذلك للنبات لا يمكنه التأثير في أجسادنا.

يمكننا الاعتقاد منطقياً أن المخطوطات الهرمسية لم تكن بهذا التقدم بسبب أننا لا نملك أي دليل فيلولوجي(١٢) على وجود مخطوطات قبل نهاية السائون الأولى بعد الميلاد، ولكن بأي معيار يمكننا أن نقرر أن تأويل نسبياً مسطح هو نموذج التأويل الأعلى؟ يمكن الاعتراض على أنه كي نحدد تأويل فاسداً فنحن نحتاج إلى معايير لتحديد التأويل الجيد.

أعتقد أنه على النقيض من ذلك، يمكننا قبول نوع ما من قبول المبدأ البويري(١٣). وبمقتضاه، إذا لم تكن هناك قراء نساعدنا لتأكيد أي للتأويلات هو الأفضل، فهذا على الأقل قاعدة لتحقيق بمقتضاها من أي هذه التأويلات هي السوية. فحين لا يمكننا القول إذا ما كانت فرضيات كسبلر هي الأفضل تماماً، ولكن يمكننا القول إن للتفسير الباطمي للنظام الهرمسي كان خاطئاً بسبب أن أفكار تلك التحوير(١٤) epicycle والصادر الباطميومي(١٥) de ferent قد تتوحد معايير الاقتصاد والبساطة، ولا يمكننا أن نعاين مع للترغيبات الأخرى التي ثبت إمكانية الاعتماد عليها في تفسير ظواهر لم تفسرها المعايير الباطمية. دعوني الآن أقترح معياراً للاقتصاد النصي بدون تضديد سابق له.

ولأخير حالة صاخرة للتأويل الأعلى، أقصد نصوصاً علمانية مقدسة، اغفروا لي

أو لغة اصطلاحية وعلى أساس منها فإن كل إشارة إلى الأمور العنصرية وإلى أشخاص حقيقيين تحول كخمس مشفر ضد الكنيسة، هنا أن المثلثي أن نساء لماذا كان على دائتي أن يذهب بنفسه لمل هذه المشكلة بإغواء رغبات جيبييلين Ghibelline مبيهاً أنه لم يفعل شيئاً سوى نشر خم صريح للكرسي البابوي، وبمقدسى مقنن العجايب شخصاً يقول له «سجدي، أنت لست، مسخني، فبرد: ماذا تعني بمسختي؟ هل يعني ذلك رغبتك في أن تدعى بالثاني شخص إرتيبي».

إن قائمة مقنني العجايب كبيرة بشكل لا يصدق، وهي لا تصدق إلى حد أن للتيار الرئيسي للثقة الدائتي قد تجاهلها أو أمهتها. وقد شجعت مؤخرًا مجموعة مخدرة من الباحثين الشباب على قرأة - ربما للمرة الأولى - كل هذه الكتب<sup>(١٧)</sup>. لم يكن الهدف الأساسي من البحث تحديد ما إذا كان مقنن العجايب لمختلين أم لا (ورصدت في عديد من النماذج بواسطة حالة مناسبة من قدرة اكتشاف اللغز من الأشياء دون سعي، إنه من السهل أن كانوا محققين بل بالأحرى إعادة تقييم القيمة الاقتصادية لفرضياتهم.

لتجدر الآن مالا متحدثاً تعامل معه روسييتي، واحداً من أعظم الأفكار لمختلي العجايب<sup>(١٨)</sup>. وبصحبهم فإن دائتي يصور في نسوهم عددًا من الرموز والتماريات الطقسية المطابقة للترانين لمارسولي وجمعية الصليب والوردية<sup>(١٩)</sup> Rosicrucian. ولكنه سؤال مخبر يتخلل المشكلة الفيلولوجية-التاريخية: يوجد ترجيح المخطوطات التي تصدق على بزوغ أفكار جمعية الصليب والوردية في مطلع القرن السابع عشر-ويظهر أول محافل الماسونية الرمزية في بداية القرن الثامن عشر، لا يوجد أحد - على الأقل من قبلهم السكروالكون الجادون - يصدق على الوجود المسبق لهذه الأفكار و/ أو لمنطقت، على القيقص، فإن المخطوطات الموجودة والموردت بها تشهد كيف أنه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اختارت محافل وجمعيات متنوعة وذات نزعات مختلفة

ملقوبن ورموز قد تكتبت نسبهم إلى جمعية الصليب والوردية وجماعة فرسان الهيكل<sup>(٢٠)</sup> Templor، وبالفضل، فإن أي منظمة تدعي انتمائها إلى تراث أسبق تختار لشارتها تلك التي تشير إلى ذلك التراث (الذي، على سبيل المثال، اختيار الحزب الفاشي الإيطالي — lectors fasces<sup>(٢١)</sup> كعلامة على رغبتهم في اعتبار أنفسهم وراثي روما القديمة). مثل هذه الاختبارات تزودنا بدليل واضح على مقاصد المجموعة، ولكنها لا تعيدنا بدليل على أي انتماء مباشر.

بدأ روسييتي وإدانة دائتي بانتمائه إلى الماسونية وفرسان الهيكل وكرهه عشرين في جمعية الصليب الوردية، ومن ثم افترض أن رمز الصليب الوردية - الماسوني سيكون كما يلي: زهرة في قلبها صليب، تحت طائر جمع والذي، بحسب الأسطورة الترانائية، يفخض صخره بدم يسلم من صدره، وبهمة روسييتي الآن هي إثبات أن هذا الرمز يظهر أيضاً عدد دائتي، حقيقياً أنه يستمر في مخاطرة إثبات للفرضية المعقولة الوحيدة، أجنى، أن المخطوطة الرمزية الماسونية قد استُخدمت بواسطة دائتي، ولكن عدد هذه للغة يمكن تقديم فرضية أخرى: تلك التي للصليب الأصلي الثلاث، تلك الطريقة وضرب روسييتي عصفورين بحجر واحد: سيكون قادراً على إثبات ليس فقط أن التراث الماسوني قديم، ولكن أيضاً أن دائتي قد استلهم ذلك التراث للقديم.

طبعه أن نقبل فكرة أنه إذا كانت المخطوطة B قد أنتجت قبل المخطوطة C والتي تتشابه الأولى من حيث المتضمن والأسلوب، يكون صحيحاً أن نفترض أن الأولى لكرت في إنتاج الثنائية وليس العكس. يمكننا على أقصى تقدير أن نصيغ فرضية أن المخطوطة الأصلية، A، أنتجت قبل الاثنين الآخرين، ومنها استُخرجنا كل على حدة، إن فرضية للصليب الأصلي قد تكون مفيدة كي تفسر ما بين الرئيكتين المعرفتين من تشابهات والتي قد تكون من جهة أخرى غير قابلة للحل: ولكنها ضرورية فقط إذا لم

يكن ممكناً للتشابهات (المفاهيم)، وبالتصادفة أكبر، أن تفسر، إذا عثرنا على نصين يرجعان إلى مرحلتين زمنييتين مختلفتين وكلهما يذكر واقعة مقتل پوليبوس فيفسر قلن تكون في حاجة إلى افتراض أن الأول قد أثر في الثاني ولا إلى أن الاثنين قد تأثرا بنص أصلي، لأننا هنا نتعامل مع حدث كان، ومازال، حاضراً في عدد لا يحصى من النصوص الأخرى.

يمكن حدوث ما هو أسوأ، على أية حال: لكي تظهر امتياز النص C، ستكون في حاجة إلى النص الأصلي A والذي يتكئ عليه كل من النصين B و C، وحيث إنه على أية حال لم يطر على النص الأصلي A عدداً فإنه يتعرض بدو إيماني أنه مائل من الوجود كافة للنص C، التأثير البصري أن النص C أثر في النص B، وهكذا يكون لدينا تأثير «بعيد» إذن يسبقه، إن مأساة روسييتي أنه لم يجد في أصل دائتي أي تشابه واضح مع المخطوطة الرمزية الماسونية، كما لم تكن لديه تشابهات تقوده إلى نص أصلي، بل أنه لم يكن يحضر في أي النصوص الأصلية يبحث.

إذا ما كنا بصدد تقرير ما إذا كانت العبارة "the rose is blue" تظهر في نص مؤلف ما، فمن الضروري أن نجد في النص العبارة الكاملة "the rose is blue" إذا وجدنا في الصفحة الأولى الأداة "the" وفي صفحة 50 وجدنا التابع "rose" في الصفحة للتعبير rosary وهكذا، نحن لم نكتب شيئاً، لأنه من الجلي أنه مثل هذا المنهج، وبهذا العدد المحدود من الحروف في الأبجدية والتي يتألف منها النص يمكننا العثور على أي تعبير نختاره في أي نص أيا كان.

لقد فرجم روسييتي بأننا نجد في أصل دائتي إشارات إلى الصليب cross والوردية rose، وطائر البجع pelican، وأسباب ظهور هذه الكلمات واضحة بتألفها، فهي قصيدة تتحدث عن أسرار الدانة المسجبة أن يكون محشفاً، عاجلاً أو آجلاً، أن يظهر رمز الآلام<sup>(٢٢)</sup>، على أساس من تراث

## نصوص التآويل الأعلى



طائر البجع؛ ولكنه سيخدم جميعاً بعيدين عن الوردة.

وتذخر أعمال روسيتي بأمثلة من هذا النوع؛ ويوسف أشتهد بمثل آخر قتل، والذي يظهر في الأثودية اللدانية والتي تعتبر بشكل عام واحدة من أكثر الأناشيد الفلسفية والمذهبية في مجمل (الفردوس)، وتستخدم تلك الأثودية أداة هي عنصر أساسي في مجمل الكتاب الثالث؛ إذ قُضت الأسرار الإلهية، أو بالأحرى، غور القابلة للتعبير عنها، على أساس من الضوء - باتفاق تام مع التراث الصوفي والفولكلوري، وبالتالي، فُتحت أكثر المفاهيم الفلسفية صعوبة يجب أن يُدبر عليها بأمثلة بصرية، ويُدعى أن يكون ملحوظاً هذا أن دانتي قد اقتنيد إلى هذا الاختيار بواسطة مجمل آداب علمي اللاهوت والطبيعة في عصره، كانت الوثائق العربية التي تبحث في البصريات قد وصلت إلى العالم الغربي قبل عدة عهود؛ كان روسيت جروسيتستي Robert Grosseteste قد فسّر ظواهر نشأة الكون بحسب مفسّلات للطاقة الضوئية؛ وفي حقل اللاهوت كان بونا فينتورا قد ناقش مسألة الاختلاف بين "وحدة الإنارة Lux" (٢١)، ووحدة قياس مقدار الانبعاث الضوئي "Lumen" (٢٢)، واللون color؛ وقد احتفلت رواية اسم الوردة، بسمر المرأيا ووصفت ظواهر الانعكاس، انكسار الضوء، تكبير الصور؛ وكان روسيتي يكون قد قرر لحمل البصريات منزلة العلم التأسيسي الرائدة، ملقياً اللوم على الباريسيين لعدم اهتمامهم الكافي به، فيما يدرس الإنجليز مبادئه، ومن الواضح أنه باستخدامه للتشبيهات البلاغية للماسة المعرّضة لضوء الشمس، وللجوهرة، ولقدر الماء الذي يخترقه شعاع ضوء كي يصف عدداً من الظواهر الفلكية، ووجه دانتي بضرورة تفسير الانعكاسات المسطحة للنجوم الشاذة، وكان عليه أن يلجأ إلى تفسير بصرى وأن يقترح نموذجاً شاملاً للثلاث التي وضعت على مسافات مختلفة، تمكن أشعة آتية من مصدر مفرد الضوء.

رمزي قديم، أصبح البجع رمزاً للمسيح في التراث المسيحي المبكر (وقصص الحيوانات والشعر الديني في العصور الوسطى زاخرة بالإشارات إلى هذا الرمز)، وفيما يخص الوردة، فيسبب من تلتصقتها السعد، نعيمها، تنوع ألوانها، وحقيقة أنها تزهر في الربيع، فإنها تظهر في جل التراث الصوفي كرمز، مجاز، استعارة، أو تشبيه بلاغي للزجاجة، الشباب، الطلقة الأنشوية، والجمال بشكل عام. لهذه الأسباب جميعها يظهر ما يطلق عليه روسيتي "الوردة الطازجة عطرة الرائحة، كرمز للجمال الأثري في قصيدة أخرى في القرن الثالث عشر، جيو لوديو الكامرو Giulio d'Alcamo، وكريمرز شهباني لدى كلا من Apuleius (١٨) وفي نص يصفه دانتي جيداً؛ رواية (الوردة) (١٩) والذي استخدم قصداً المنظومة الرمزية الوثنية. وهكذا، عندما كان على دانتي أن يقدم الجدل الفائق للكلمة المسطرة بتعبيرات الروعة، الحب، والجمال، فإنه يلجأ إلى شكل الوردة الصافية (الفردوس، أنشودة 31)، بشكل عرضي، وصيحت إن للكلمة المسطرة هي عروس السبع ككلمة مباشرة للألام، فلا يمكن لدانتي أن يتجنب ملاحظة أن "المسيح قد جعل (الكلمة) عروسه بواسطة دم؛ وهذا التصور للدم هو الحالة الوحيدة من بين النصوص التي قدمها روسيتي، والتي يسببها، وبالأستدلال، يمكن الوردة أن ترى مشوَّدة (تصورياً)، ولكن ليس أيقونياً) إلى الصليب، وتظهر كلمة وردة في الكوسيدو الإلهية ثمانية مرات في حالة التفرد وثلاث مرات في حالة الجمع، وتظهر كلمة صليب، سبع عشرة مرة، وكلهما أبداً لا يظهران معاً.

وقد بحث روسيتي كذلك عن طائر البجع، وهو يعثر عليه، مفرداً، في الفردوس، الأنشودة 36 (ظهوره الوحيد في القصيدة) مرتبطاً بشكل واضح بالصليب، حيث طائر البجع هو رمز للدهاء، وإسراء الحظ، لا توجد الوردة هناك. لذا يستمر روسيتي في البحث عن طائر ببع آخر، وهو يعثر على واحد في Cecco d'Ascoli (مؤلف آخر أجهد مقتر

المجانب عقولهم حوله لذات السبب أن نص L'Acetba نص شامض قصيداً) ويظهر طائر البجع الفصاح Cecco في السياق المعتاد للألام بالإضافة إلى ذلك فإن طائر البجع في أعمال Cecco ليس هو طائر البجع في أعمال دانتي، رغم أن روسيتي يحاول أن يرمي هذا الاختلاف البسيط بتفريش الموشى السلفية، يعتقد روسيتي أنه وجد طائر ببع آخر في الكلمة الاستهلاكية Paradiso XXXIII، حيث نقراً عن الطائر، الذي يسكن منتظراً بقلاد صبر بزوغ النجوم، يقف بين أوراق يرقب أشعة الشمس على فرع ذاخر بالأوراق يرقب أشعة الشمس في رحيلها كيما يخرج إلى معالم صفاءه، والآن، يبحث هذا الطائر، نحو الشمال بالफल، عن الطعام بالتحديد بسبب أنه ليس طائر ببع، ولا أما كان في حاجة للخروج للفض، حيث أنه يستطيع، بسهولة أن يطعم صفاءه بألمه الذي يسلمه من صدره، ثانياً، إنه يظهر كتشبيه بلاغي لهباتريس (٢٠)، وكان سيصبح لتغار شامراً إذا ما كان دانتي قد قدم محبوبته، بالاملاح القاسية للطائر ذي المنقار الكبير، وقد استطاع روسيتي في رأسه وبالأحرى في قصصه الشعر أن يعثر في القصيدة الإلهية على سبعة طيور لدجة وأحد عشر طائراً وأن يسببهم جميعاً إلى عائلة

بالسببية لروسيوتى، على أية حال، فإن دانستسى فى هذه الأنشودة سيكون نزغاً "whimsical" إذا لم نأخذ فى الاعتبار أن ثلاثة أمتواء تتكلم فى مثلث - ثلاثة مصادر للضوء، لا محظراً، وهى ليست مثل ثلاث مرابا تمكن ضوءاً بأنبيها من مصدر آخر- تظهر فى القلوب الماسونية (١٣). وحتى إذا قبلنا مبدأ "يعقبه إذن يسبقه"، على أية حال، فسوف نلصق تلك الفرضية على الأكثر لمانا اختصار دانستسى (حارفاً بالقولوس الماسونية لتاريخ لاحقاً) صورة المصادر الثلاثة للضوء، ولكنها لا تفسر بقية الأنشودة.

لاحظ توهايمس كوهن أنه كى يتم قبول النظرية كمفهوم يجب أن تبدو أفضل من للنظريات القاسمة، ولكنها لا تحتاج بالضرورة إلى تفسير كل الوقائع التى تخلص بالتفسير لها، وأضيف، على أية حال، أنه لا ينبغي لها أيضاً أن تفسر وقائع أقل من النظريات السابقة. وإذا قبلنا أن دانستسى يتحدث هذا بمعارف علم بسريرات القرنين الوسطى، يمكننا أيضاً فهم التسبب فى أنه يتحدث فى النيتين ٨٩، ٩٠ عن اللون الذى "يصدر عن زجاج - يلقى طبقة من الرصاص خلفه، وإذا كان دانستسى، من جهة ثانية، يتحدث عن الأمواء الماسونية فإن الأمواء الأخرى فى الأنشودة تبقى غامضة.

لأقم الآن بدراسة حالة يبدو فيها صواب التأويل أسراً لا يمكن حسمه، ولكن من الصعوبة البالغة تأكيد أنه تأويل خاطئ. يمكن أن يحدث أن تستدعى الممارسات التأويلية القاسمة على فئة معينة تلك التى لنقاد تفكيكين معينهم. ولكن فى أكثر الحالات فلنجد لهذه المدرسة أن اللعبة الهلنوميوطيقية لا تستبعد القواعد التأويلية.

ها هو ذا مثال على كيف يختبر أحد زعماء تفكيكى يهيل Yale، جوفلى هاريمان بعض أسطر من قصائد "Lucy" لـ وورلدزوت وفيها يتحدث الشاعر بوضوح عن موت فتاة:

I had no human fears.  
She seemed a thing that could not  
feel  
The touch of earthly years.  
No motion has she now, no force.  
She neither hears nor sees.  
Rolled round in earth's diurnal  
course.  
With rocks and stones and trees

ما كان لى من مخاوف بشرية

إذ بدت كشيء لا يمكنه الإحساس

فمنه الأرواح الأرضية لا مشاعر لها  
الآن، ولا قوة

لاسمع لها ولا إحصار تدرجت على  
الأرض مدى يوم

مع الصغور والأحجار والأشجار.

وهذا يرى هاريمان سلسلة من المرتبفات الكلية تحت سطح النص، قد يرى البعض أن لفظة وورلدزوت تحللها تويديت pun لراعية غير ملائمة. فنقسم كلمة diurnal (السطر السادس) إلى "die" و "urn" وربما تستدعى كلمة "course" لللفظ القديم "corps" غير أن هذه التكتيفات مزهجة بأكثر منها معبرة؛ فقرة لقطع القصصى الثانى تقوم بشكل مهيمن فى الإزلة التطليعية لكلمة "grave" بواسطة الصورة المجازية لـ Rolled Round in gravitation (earth's diurnal course). وعلى الرغم من أن ليس هناك انفلاق على نفسة ذلك لقطع القصصى، فمن الواضح أن كلمة مضمرة للفظ subvocal قد نطقت دون أن تكون مكتوبة، وهى كلمة تكفى فى القافية مع كلمة "fears" و "years" و "hears" ولكنها تنتهى بالقطع اللفظى الأخير فى القصيدة "trees". نقرأ "tears" فنعود الحياة للاستحارة المعوية لتكوينه، ويتردد نواح القاع فى أنماط الطوبية كما فى مرتباً رفيعة. ينبغي لكلمة "tears" أن تصح لما هو مكتوب، لصوت باهت لكن حاسم، جناس القلب لـ "trees" (١٥).

ينبغي أن يكون ملحوظاً، أنه بينما يشار، بشكل ما، إلى الكلمات، "corpse"، "urn"،

"die" و "tears" بمفردات أخرى تظهر فى النص (أعني، "fears"، "years"، "diurnal"، "course"، و "hears") فإن كلمة "grave" فى النقيض من ذلك، يشار إليها بواسطة gravitation وإلى لا تظهر فى النص، وإنما يتم إنتاجها بواسطة قرار القارئ بإعادة صياغة النص. بالإضافة إلى ذلك، فإن كلمة "tears" ليست جناس القلب لكلمة "trees" إذا رغبتنا فى إثبات أن النص البشرى A هو جناس القلب للقصيدة B يكون علينا أن نبين أن كل حروف النص A قد أعيد ترتيبها كما ينبغي، منتجة للنص B. إذا بدأنا فى طرح بعض الحروف جانباً، فإن عدد اللحية صالحة. top هو جناس القلب لـ pot ولكن ليس لـ port، وهكذا يوجد تآرجح مستمر (لا أحرف إلى أى مدى هو مقبول) بين التماثل الصوتى للمفردات فى المصنوع والتماثل الصوتى للمفردات فى الغياب وعلى الرغم من ذلك، فإن قراءة هاريمان تبدو إن لم تكن مقنعة تماماً، فطى الألق ساهرة. من المؤكد هنا أن هاريمان لا يتقن أن وورلدزوت يرغب بالفعل فى إنتاج هذه الارتباطات. مثال هذا البحث فى مقاصد المؤلف لا يوافق مبادئ هاريمان النقدية، إنه يأمل ببساطة فى القول بأنه من الجائز للقارئ العاص أن يعثر على ما يعثر عليه فى النص، بسبب من أن هذه الروابط، على الأقل وبشكل محتمل، يستدعى النص، وكذا بسبب احتمال أن يكون الشاعر (وربما بدون وعي) قد أبدع بعض التآلفات الإقافية للنص الأساسى، إذا لم يكن المؤلف، لنقل إنها اللغة التى خلقت ذلك التأثير المتكرر، ويعد ما يعنى وورلدزوت، رغم أنه لا شيء، من ناحية يؤكد أن النص لا يقترح tomb ولا tears، ومن ناحية أخرى، فإن شيئاً لا يستخدم ذلك، قد نلصق على تأويله أنه وافر للفاية، لكنه ليس منافقاً من الوجهة الاقتصادية، قد تكون البؤنة ضئيلة، ولكنها ملائمة فعلاً.

فى النظرية يمكننا دائماً ابتكار منظومة تقدم مفاتيح clues غير مترابطة ولكن مقبولة، ولكن فى حالة النصوص، فهناك

## نصوص التأويل الأعلى



«يقصد النص، ويقصد النص لا يعرض على سطح النص، أي، إذا عرض فسيكون ذلك في شكل رسالة مختصة، على المرء أن يقرر أن «براهم» هكذا يكون ممكناً الحديث عن قصد النص فقط كتدبير للتحسين من جهة للقارئ، وتقوم مجلدات القارئ أساساً على القيام بتخمين حول قصد النص.

النص هو أداة مختصة لإنتاج قارئة المثالي. وأكرر أن هذا القارئ ليس هو القارئ الذي يرقم بالتخمين «الوحيد الصحيح». يمكن للنص أن يندبأ بقارئ مثالي مؤهل لتجربة تخمينات لا نهائية، القارئ التجريبي هو مجرد فاعل يقوم بالتخمينات حول طبيعة القارئ المثالي المستعرض من قبل النص، وحينئذ إن قصد النص هو أساساً إنتاج قارئ مثالي قادر على القيام بتخمينات حوله فإن مبادرة القارئ المثالي تقوم على تصور المؤلف التجريبي حيث يتوافق في البداية، مع قصد النص. هكذا، فإن أكثر من مخبر يستخدم لكي يجعل التأويل صالحاً فالنص موضوع يشبه التأويل خلال الجهد الدائري لمثل نفسه صالحاً على أساس ما يكره كتدبير له. لذا لا أخجل من أن أعترف بأنني أصعب، الدائرة الهرميوطيقية، القديمة والصاعدة مازالت.

إن أدرك قصد العمل يعني أن أدرك الاستراتيجية السيميوطيقية، وأحياناً ما تكون الاستراتيجية السيميوطيقية قابلة للاكتشاف بناء على المبادئ الأسلوبية المؤسسة. إذا ما بدلت القصة بـ "Once upon a time"، كان وأما كان، فهناك احتمال كبير أنها حكاية خرافية وأن القارئ المثالي المستدعي والمفترض خلل (أو شاب) راغب في معايشة حالة طفولية، يمكنني، بطبيعة الحال، أن أشهد حالة مفارقة ساخرة، وأمر واقعي أنه ينبغي للنص أن يقرأ بطريقة أكثر حكمة، ولكن على الرغم من ذلك يمكنني أن أكتشف في القسم الثاني للنص والمادة هذه، أنه كان مما لا غنى عنه إدراك أن للنص وخطاها بالبدء مثل حكاية خرافية.

كيف يمكنني للبرهنة على تخمين حول قصد العمل؟ الطريقة الوحيدة تكون باختباره

لأن كلامها شجاع وجسور، سكرن قد تمت استمالتها إلى رفض للتخمين للجزء الأول، بقية إذا كان مجرداً على أساس من مبدأ أن كليهما من ذرى القدمين، هناك بعض الآخرين ممن هم في شجاعة أخجل وأبعد في حين أن ذلك كشيئين جداً ممن هم ذرى قدمين مثل أخجل والبطلة، وسهما كان وضعه الإستيمولوجي، يكون التماثل أو التشابه مهما إذا كان استثنائياً، على الأقل بحسب وصف ممدد، إن تشابهاً بين أخجل والساعة مؤسس على حقيقة أن كليهما موضوع فيزيقي هو تشابه غير ذي أهمية أيًا كان.

لقد اتجه للنقاش الكلاسيكي إلى المحذور في النص على أي مما قصد مؤلفه قوله أو ما قاله للنص مستقلاً عن مقاصد مؤلفه، فقط بعد تقى الإنذار للذاتي السمن للمبرة يمكن للمرء أن يسأل إذا كان ما تم اكتشافه وهو ما يقوله النص بفعل ترابطه النصي ويفضل منظومة دلالية ضمنية أسلوبية، أم أن ما اكتشفه السامعون في النص يرجع إلى نظمهم كقاعدة بالترفع.

من الواضح أنني أصال الإيقاع على اتصال ديالكتيكي بين قصد للعمل وقصد للقارئ. والمشكلة هي، إذا ما أدرك المرء ما المقصود به قصد القارئ، فسيؤد الأمر أكثر صعوبة أن يحدد على نحو مجرد المقصود

على الأقل دليل يعتمد على عزل النظير isotopy الدلالي المتصل بالمرسوخ. ويعرف جرحاً من النظير "isotopy" باعتبارها مركباً من المقولات الدلالية المتعددة يجعل من القراءة المنظمة تقصصاً ممكناً<sup>(١٦)</sup>. والمثال الأكثر جلاءً وربما الأكثر ادعاء للمعرفة للقرارات المتكافئة يترى إلى إمكانية عزل النظائر النصية المختلفة، هو الحالي: رفيقان يتحادثان أثناء حضورهما حفلا، يقف الأول على الطعام، للخدمة، كرم أصحاب المثل، جمال الضيفات، وأخيراً، the excellence of the toilettes، فيرد الثاني إنه لم يدخلها بعد، تلك نكتة، ونحن نضعه من الرفيق الثاني، بسبب أنه يفهم اللغة الفرنسية "toilette"، المستحددة المعاني، بمعنى دورة لشهارة لا يعنى الأزياء والمروض، هو مغطى، حيث إن مجمل حديث الرفيق الأول يتفق بحدث اجتماعي وليس بمسألة مراسيم، إن التحرك الأول تجاه إدراك النظير الدلالي هو تخمين حول مرسوخ الخطاب للطرز؛ إذا ما تمت محاولة هذا التخمين، فإن إدراك النظير الدلالي الثابت والمتصل يكون هو الدليل النصي على التصور التفريحي aboutness للخطاب موضع التواصل<sup>(١٧)</sup>. إذا كان الرفيق الثاني حاول أن يستنتج أن الأول كان يتحدث عن مظاهر متنوعة لأحدث اجتماعي، كانت مستوحاة له إمكانية تقرير أنه يجب تفسير للفظ toilette وفقاً لذلك.

إن تقرير ما يحدو حوله المتحدث، بالتاكيد، نوع من الزمان التأويلي، غير أن السواي يسمح لنا بالقيام بهذا الزمان بتأكيد أكثر من زمان على الأحمر والأسود في عجلة الروايات، لقد حاز التأويل للكتيب لها زماناً موزة الزمان على تغير ثابت. للزمانات على النظير هي بالتأكيد مميزات جيدة، ولكن فقط بقدر ما تكون النظائر غير شديدة العمومية، وهو مبدأ صالح أيضاً بالنسبة للمجاز، فالجواب يوجد حينما نستبدل الوسيلة بالفضى على أساس من واحد أو أكثر من السمات الدلالية الشائعة لكل من المرادفين اللغويين؛ ولكن إذا كان أخجل أسداً

على النص ككل مناسباً، هذه الفكرة أيضاً، قديمة وترجع إلى أوجسطين (في العقيدة المسيحية)؛ يمكن لأي تأويل معطى لجزء محدد من نص ما أن يكون مقبولاً إذا تأكد بواسطة، ويوجب أن يرفض إذا ما تم رفضه بواسطة، جزء آخر من النص نفسه، بهذا المعنى فإن التماسك النصي للبائلي يتحكم، على خلاف ذلك، في الانزياحات غير القابلة للتحكم للقارئ: أشار بورشوس - (قاصداً شخصية «بيير مينار» إلهه سيكون مثيراً) قراءة «حكاية المسيح» كما لو أنه كتب بواسطة سوليون، Celine (١٩٧٨)، للعبة مسلية ويمكن أن تكون مشمرة عتيقاً، لقد حاولت، واكتشفت عبارات يمكن أن تكون مكتوبة بواسطة سوليون (بهيرو جراس Grace الأشياء الراضية ولا يشمذ من الأفياء الصيرة وحب الملايس للقرنة) غير أن هذا النوع من القراءة يقدم شبكة مناسبة للمباراة القليلة للمحاكاة. أما كل ما بقي، معظم الكتاب، فيقرأ هذه القراءة. وإذا قمت على النقص من ذلك بقراءة الكتاب بحسب الموسوعة المسيحية القروسطية، فيسيرد الكتاب مناسباً نصياً في كل أجزائه.

أذكر أنه، في هذه الجدالات بين قصد القارئ وقصد النص، فإن قصد المؤلف التجريبي قد تم تجاهله تماماً، هل نحن صرغون لأن نسال ماذا كان القصد «المعقبي» لورديزوت حين كتابة قصائده الممدونة لوسي Lucy؟ إن رأسي عن التأويل للنص كإكتشاف لاستراتيجية قصد بها إنتاج قارئ نموذجي متخيل كتنظيم مثالي لمؤلف سرديجي (الذي يظهر فقط كاستراتيجية نصية) تجعل من فكرة قصد المؤلف التجريبي عبودية الفائدة بشكل جزئي، نحن مستزمنون باستخدام النص، لا المؤلف باعتباره شخصاً كذا وكذا، ومع ذلك، يمكن أن يبدد الأمر فقط، إلى حد ما، عندما نستبعد المؤلف المسكين كشيء لا علاقة له بالموضوع بالنسبة لقصة التأويل، فوجد، في عملية الاتصال، حالات ولكن فيها الاستدلال حول قصد المتحدث ذا أهمية بالغة، حيث إن ذلك يحدث دائماً في

علاقات الاتصال في الحياة اليومية. إن رسالة مجهولة المرسل تقرأ فيها «أنا سعيد، يمكن أن تشير إلى نطاق لا نهائي من الموضوعات المحتملة للمنطوق، أصلي، بالنسبة لمشهد كامل من الأشخاص الذين يحسبون أنفسهم غير حزائي، ولكن إذا قمت أنا، في هذه اللحظة بعينها، بطلق العبارة «أنا سعيد، فمن المؤكد ضمناً أن قصدي كان أن أقول إن ذلك الشخص السعيد هو أنا وليس شخصاً آخر، وأنتم مدعوون لتقييم بمثل هذا الانحياز، لأجل بهجة تقاعنا المتبادل، هل يمكننا «باللح» أن نأخذ في اعتبارنا حالات تأويل لموضوع مكتوبة حيث يظل المؤلف التجريبي، موجوداً، ينفصل قليلاً، لا، لم أقصد ذلك؟، سيكون هذا هو موضوع محاضرتي التالية ■.

## هوامش

١ - sane = sanum = عاقل. (م).

٢ - (الكثير للنصائح للذكورة). Cooma Roselli, Theasaurus artificiosae memoriae (Venice, 1589)

٣ - مورفولوجي morphology أمد لزوج علم الأحياء، ويبحث في شكل وبنية كل من الكائنات الحيوانية والنباتية. (م).

٤ - فرانسيس بيكون (١٥٩١-١٦٢٦) (فيلسوف بريطاني، رائد لقراءة الإنجازية، نادى بعدم تدخل اللاهوت في ميدان المعرفة العلمية، هدد على التقاليد الأفلاطونية والأرسطية، وقدم في مؤلفه الأساسي «الأورجانون الجديد» ١٦٢٠، منهجه البديل لمنطق أرسطو. (م).

٥ - Etymology: العلم المتعلق بدراسة وتأسيس الكلمات والبحث التاريخي في نشأة وتطور المسبقة اللغوية وفي أصل الكلمة وأصلها الاشتقاق منها. (م).

٦ - Philology، فقه اللغة: للدراسة لتاريخية واللغوية لغة بوصفها أداة للتعبير في الأدب. (م).

٧ - كسارل بورر (١٩٠٢ - ١٩٩٠) فيلسوف نمساوي، تركزت إسهاماته الرئيسية في مجال منطق لغوي. في كتابه «منطق الاكتشاف» ١٩٣٤، يعرف العبارات الضمنية بأنها تلك التي تنكر على شيء ما يمكن تصوره منطقياً أن يتحقق بالفعل، ونجماً لذلك لا يكفى لكي تعد

المعاراة عسبية أن تكون هناك بنية من المشاهدات التي توجد، إذ إنه من الضروري لنقل هذه العبارة أن تكون قابلة لأن تحسن بواسطة حادث ما ممكن الحدوث وذو مكان وزمان محددين، وهو حادث يجب بترجمته مسبقاً على «إمكان، لا يندرج تحت تلك العبارة. (م).

٨ - epicycle قلة التحوير: في النظام البطليموسي، مدار صغير لكوكب، يدور مركزه (المدار) على مسار دائرة كبرى. (م).

٩ - deferent المدار البطليموسي؛ دائرة مدارية كبرى حول الأرض افتراض بطليموس أنها المدار الذي يتحرك عليه الكواكب. (م).

١٠ - anagram جناس اللقب: إعادة ترتيب حروف كلمة أو كلمات عبارة لتكوين كلمة أو عبارة أخرى (لقب، لقب). (م).

١١ - acrostic: قصائد ذات ترتيب خاص تدل أولئك أو أولئك حروف كلماتها أو أبياتها على كلمة أو جملة ذات معنى. (م).

١٢ - M.P. Pozzato(ed), Lidea de- forme: Interpretazioni estetiche di Dante (الفكرة الشعرية: (تأليف جيماليه (لاتاني. (Milan, Bompiani, 198)

١٣ - Gabriele Rosso La Beatrice di Dante, ninth and final discussion, part 1, art. 2 Rome, Atanor, 1982), pp. 519 - 25.

١٤ - Rosicrucian جمعية الصليب والورد؛ جمعية سرية ظهرت حوالي ١٦١٤، أعضاؤها من الهولنديين والفرنسيين الذين قدسوا للصليب والورد باعتبارهما رمزين لقيام السبع من الموت والقيامة. (م).

١٥ - فرسان الهيكل Tempeiar؛ جماعة نظامية عسكرية دينية تأسست في أورشليم خلال الوجود الصليبي بها، وكانوا يقومون بحماية حجاج الأرض المقدسة وهيك سليمان ومعاراة أعداء الرب تمت نذر لقتل الطهارة والطاعة. (م).

١٦ - fasces؛ هزمة من الميدان يحيطها حزام أحمر رفيع من قنبها يخرج بلمة. كانت ترمز في روما القديمة إلى السلطة العليا،

٢٤ - die = يموت / urn = جرة يحفظ فيها رماد  
الجسدي / course = شوط / corpse =  
جثمان / grave = قبر / gravitation =  
جاذبية بين الأجسام . (م) .

٢٥ - Geoffrey H. Hartman, Easy pieces (New York, Co-  
lumbia University Press, 1985), pp.  
149 - 50 .

٢٦ - (عن المعنى) A.J. Greimas, Du sens (Paris, Seuil, 1979), p. 88 .

٢٧ - Cf. Umberto Eco, The Role of the (Bloomington, In-  
Reade (مركز القارئ) - diana University Press, 1979), p. 1 .

٢٨ - Jorge Luis Borges, Ficciones (Buenos Aires, Sur, 1944) .

مرة وهو في القلعة من عمره، ويُعد للتعبير  
الأعظم لهذا اللعب في مؤلفه العظيم  
«الكوميديا الإلهية» حيث تقوم بدور الشفع له  
في «الهميم» وهدفه في الترحال عبر  
السطور، ويرشده في «النردوس» . (م) .

٢٩ - Lux وحدة استعارة: هي الاستعارة التي  
يلتجها منوه من مصدر له وحدة شدة شمع  
دوالية، بحيث يسقط عمودها على سطح يحد  
مائلة من واحد . (م) .

٣٠ - Lumen وحدة للعرض الضوئي: هي كمية  
الضوء الماقطة على السطح المربع من سطح  
كرة نصف قطرها قدم واحد ومضاءة بواسطة  
شمعة دوالية تصدرت مكوناتها في انقلاعية  
دوالية ولها شدة إشعاع مميّنة موضوعة في  
مركز الكرة . (م) .

Ibid, p. 406 - ٣٣

وكان يحملها موظفو الدولة المسلمون عن  
محاسبة المسلمين من الرعية رمزاً للسلطة  
المفرقة لهم، وقد أخذها الحزب القاتلي شعاراً  
له . (م) .

٣١ - Passion: آلام ومعاناة المسيح بين ليلة  
للشاء الأخير وموته . (م) .

٣٢ - Apuleius: (124 - 170) فيلسوف  
أنطاكي وعالم بلاغي ومؤلف النص  
سردى بعنوان The Golden Ass كان له  
تأثير كبير في الكتابات التالية له . (م) .

٣٣ - Roman de la Rose رواية المروعة:  
واحدة من أكثر القصائد شعبية في فرنسا في  
نهاية مرحلة العصور الوسطى في التاريخ  
الأوروبي . (م) .

٣٤ - بياتريس: المرأة التي كرس لها دافني معظم  
أعماله الشعرية رجل حياته منذ راعاً لأول







لوحة للفنان: حلمي الدرنى



# عصر التنوير: الأيدولوجيا البرجوازية والإدعاء المتفالى

روبرت سولومون

ترجمة : مالك سلمان

مقاربة فكرية لـ روبرت سولومون من كتابه: «ثقافة الهيمنة: التنوير. الرومانتيكية، والادعاء المتفالى ١٧٥٠ - ١٨٥٠» (١٩٩٣). ويتناول سولومون في هذا الكتاب أيديولوجيا الهيمنة والثقافة المهيمنة ويدين إقراطاتها وادعائها. ويركز على فترة ساحرة من التاريخ والثقافة الأوروبيين الحديثين (١٧٥٠ - ١٨٥٠)، عندما بدأ المثقفون الغربيون ينقلون إلى التقاليد والقيم الثقافية الغربية على أنها المنقذ والمرشد للحضارة الإنسانية بأكملها. ومن خلال دراسته لأهم الفلاسفة والفكرين والفنانين الغربيين، ومن خلال الكشف عن ادعائهم البرجوازية المتفالية باسم «الإنسانية»، يخلص سولومون إلى أن الوقت قد حان لكي يدرك الغرب كم كانت حضارته متجذرة، ليس في كونيتها وإنما في ادعائها بهذه الكونية، وأن على الثقافة الأوروبية، والغربية بشكل عام، أن تدرك أنها مجرد واحدة من الثقافات المتعددة، وأن مفهومها للطبيعة الإنسانية ليس إلا أسطورة من بين أساطير متعددة. ويختتم سولومون كتابه بالقول إن هذه الأساطير الهوميرية، التي نسجها فلاسفة من أمثال روسو وكايت وهيجل وماركس، قد انتهت أو يجب أن تنتهى، وأن الوقت قد حان لكي تبدأ الحضارة الغربية بالاستماع إلى الضعوب والحضارات والثقافات الأخرى بشكل جدي.

... بما أن المثقفين هم الذين يكتبون التاريخ فمن الطبيعي أن يعتبروا نشاطهم أساس الحركة الإنسانية برمتها، شاماً كما هو من الطبيعي أن يكون لدى التجار والخبراء الزراعيين والجنود الاعتقاد نفسه (وإذا كان التجار والجنود لا يعبرون عن هذا

الاتفاق فذلك لأنهم لا يكتبون التاريخ).

تولستوى الحرب والسلام،

**ق**تحل أوروبا الحديثة والفلسفة والمفكرين الذين نصبوا أنفسهم ناطقين باسم التاريخ الإنسانى حتى قبل أن القرن التاسع عشر قد اخترع التاريخ، وقد أصبح هؤلاء، من فلاسفة ومنظرين وشخصيات مهمة، عيوننا التي نرى بها الماضى، برأينا الذي نسمع بها إليه، ولكن بما أن دراستى هذه مبنية على سلة من الدراسات الطبقيّة، فسوف أسفل هذه المقدمة لكي أوضح بعض المفاهيم التي أتيت على ذكرها في التقديم، وأهم هذه المفاهيم هو مفهوم الأيديولوجيا، والأيديولوجيا البرجوازية بشكل خاص. ولكن أريد أيضا أن أتحدث عن الادعاء السعالي، محاولا تقديم توصيف غير تقني لإصرارى على أن الفصول التالية تشكل نوعا من الدلائل الكوكبة. غاية مقارئة لتاريخنا تفكك هذه المفاهيم ستقودنا بسهولة بالغة إلى الوقوع في المصيدة المتعالية التي تصبها لنا.

### مفهوم الأيديولوجيا:

إن نوعية الفلسفة التي يختارها الإنسان تعتمد على نوعيته هو، فالنظام الفلسفى ليس قطعة من الأثاث الهائى يلتفتها الإنسان ثم يرميها متى يشاء.

يوهان جوتليب فيشته

لا توجد الأفكار في عالم خاص بها (تاريخ الأفكار) حيث تكون في بعض الأحيان، ملهسة للثورات والحركات، والكوارث، كما يعتقد بعضهم، فالأفكار هي بنى التاريخ المفاهيمية، وذلك قبل أن يعبر الفلاسفة عنها ويعملون على تعميمها في أغلب الأحيان، فالفلاسفة لا يتمتعون بيزرة خاصة تشكهم من القبض على هذه الأفكار، إذ إنهم مجرد أوصياء عليها أو حراس لها، وذلك لأن الفلاسفة لا يمكن ترخيصا مميذا

بمساعدة من الفلسفة أو بدونها، وغالبا ما يتأخر للتعبير النفسى بعد أن تتغلغل فكرة ما في جيل كامل أو تعمل على تغييره، وفي بعض الأحيان يحقق أحد الفلاسفة المتطرفين فتحا نفسيا سابقا لأوانه، ولكن هذا نادر الحدوث، فالفلاسفة يرسمون الفكرة، والموسيقيون يذوقونها، والثقافة الشعبية تصورها إلى شيء مبهكل ورخيص، والسياسيون ينادون بها، وهذا كله يحدث قبل أن يبرى الفيلسوف هذه الفكرة في شكلها المجرد الواضح، فالنفسه أيضا هي تعبیر عن شيء أساسى يتجاوز الفلسفة نفسها، وهذا الشيء الأساسى هو للنظام المكون من الأفكار والرغبات والصور والرموز، والذي سوف أسميه الأيديولوجيا.

يقول محام حريق النشز والتأليف، على سبيل المثال، إن الفكرة ليست ملكا لأحد، ويطلق هذا الكلام على الأيديولوجيات أيضا، فالأيديولوجيا، مثل المفاهيم المتشابهة لـ الإرادة العامة، عند روسو وروح المحسن عند هيغل والوعى الطبقي، عند ماركس، تدل على مجموعة من الأفكار العامة التي لا تكون حكرًا على شخص معين، فعندما نتكلم عن «استياء الطبقة العاملة»، فإننا لا نشير بالضرورة إلى مواقف أشخاص محددين، فليس كل عامل مستاء، كما أننا لا نتكلم عن موقف منفصل يمكن وصفه بمعزل عن الناس الذين يتخلرون، إذ يمكن ألا تكون نظرة فيلسوف معزلة، مهما كان حجم لقمته واستوائها، فتعبير عن موقف عام بل مجرد موضة مهيبة مثلا، حيث يمكن لإياداة بسيطة أن «تبر عن كل شيء» وفي الوقت نفسه، يمكن أن يجر فيلسوف واحد عن أيديولوجيا معينة يعزى إليه اختراعها، مثل «الأيديولوجيا الماركسية».

ولكن لا تنحصر الأيديولوجيا في التعبير النفسى عنها، فالفيلسوف المعلى ليس سوى ممثل لها، على الرغم من ريشته النافذة وقدرته الإبداعية، فقد أسر هيغل بزيغ من التراموش والخيلاء، على أن أفكاره لم تكن له، وإنما أفكار «الإنسانية»، أو حتى أفكار



بيلهوف



ماركس

بالخصوصية الأيديولوجية في الاجتماعات المهيبة، كما أنهم لا يتمتعون بسلطة توطيهم لأن يعبروا هذا التاريخيين للمؤرخين لكي يملأوا في كعبهم للفجوات الفاصلة بين الممارك المتعالية. إذ يمكن لفكرة ما أن تكون لناجا مشتركا لعدد من الناس، كما يمكن للتعبير عنها بطرق متعددة لا يشكل للتعبير النفسى سوى واحدة منها، فالتاريخ بشكل طريقة أخرى من طرائق التعبير هذه، وذلك

## عصر التنوير



لا يتحدى كونه ضريبا من الهراء، فحتى  
مباركمن لم يقل إن «البنية القوقية، زائدة  
وغير ضرورية، ولذلك، وقبل البدء بالحديث  
عن الأيديولوجيا، من الضروري أن ندافع  
عن معنى محايد، أو إيجابي بالأحرى، لـ  
«الأيديولوجيا، التي لا هي لثوية ولا هي  
محافظة في الأصل، وإنما تصدد الواقع  
وتعزفه أكثر مما تعمل على تشويهه، إضافة  
إلى أنها تسبق التعبير اللغوي وتبعد كل البعد  
عن التصنع والزيف.

فالأيديولوجيا، كما سنفهمها هنا، هي  
صورة مصغرة تشكل من أشكال الحياة، أي  
لشكل من أشكال الوعي، وحيث يكون التركيز  
على النظرية والمعرفة تظهر الأيديولوجيا  
بصفتها «إطارا مفاهيميا، وطريقة منظمة  
لتأويل تهادينا وتكوين نظرية متماسكة عن  
العالم، ولكن الأيديولوجيا ليست معلنة  
بالملاحظة السلبية والمهم السلبى فقط، فهي  
تتطور أيضا على التقويم والعمل (الفعل).  
ومن خلال هذا التركيز، تحمل الأيديولوجيا  
على تحديد ما يمكن أن نسميه «أسلوب  
الحياة». وهو مجموعة من المواقف والبرامج  
الناظمة السلوك، وحيثما يكون التركيز ثقافيا  
سوسيولوجيا، تكون الأيديولوجيا ما أسماه  
هيجل «روح العصر أو Zeitgeist» (١)، وما  
أطلق عليه كارل بيوكر مؤرخا «مناخ  
السر»، (وهذا الانتقال من «الروح الفعالة  
إلى المجال الأرصدي مهم بحد ذاته)، وفي  
منزه ذلك، تكون الأيديولوجيا مجموعة من  
الأفكار حول الحياة والثقافة الإنسانيين، كما  
أن لديها ما تقوله في معظم الحالات عن  
أشكال الحكمة ومفاهيم العدالة. ولكن هذا  
لا يعنى أن هذه الأيديولوجيا سياسية في  
المقام الأول: إذ يمكن أن تكون السياسة  
عرضية كما يمكن استبعادها بشكل كامل،  
كما هي الحال في بعض أشكال الفوضوية  
والجمالية. ولكن معظم الأيديولوجيات تتطلب  
لمساوينا بنية معينة نظرية وسلوكية وثقافية  
وشخصية.

فالأيديولوجيا نظام. ولكنه ليس متماسكا  
بالمضرورة. من المفاهيم والنظريات  
والمصالح والصور والرغبات والقيم

محبوبتنا فرنسا كلها... إلى الأيديولوجيا، هذا  
لفكر الميتافيزيقي الحديث».

لقد تمت ألبهة الأيديولوجيا إلى درجة  
أصبحت معها الآن ذلك المصطلح الذى  
يطغى على الفجور والاستياء، أكثر مما يدل  
على صف ثنائى وفلسفى أساسى،  
فالمحافظون يستخدمونه لتسفيه المتقنين  
اليساريين المثاليين وتشويه أفكارهم للنزوية  
الظفرة؛ والماركسيون يستخدمونه بصيغة  
«الاحتقار كجزء من مجرمهم على عقائد  
الطبقة الحاكمة، الاستبدادية، وغفل  
الاستخدام السلبى لهذا المصطلح، فى  
الحاليتين كليهما، تكمن فكرة تسم هذا  
لمصطلح منذ القرن الثامن عشر ومفادها أن  
الأيديولوجيا هي تشويه بالضرورة، هي وهم  
لمطرح اليساريين الثوري وعقلنة لسطوة  
للمحافظين القائمة (الهيمنة) والإيمان بأن  
لواقع يبقى كما هو، بعض النظر عن طريقة  
تفكيرنا فيه، ليس إلا افتراضا مائليا، أو ما  
يطلق عليه الفلاسفة «واقعية ساذجة»؛ ولكن  
عندما نتكلم عن المجتمع الإنسانى والثقافة  
والرموز، فمن الواضح أن الطريقة التي ننظر  
بها إليه، هي فى غاية الأهمية: فالذي يحدد  
الواقع (الواقع الإنسانى) هو الأيديولوجيا  
الذى تفهم من خلالها، كما أن الافتراض  
القالل إن الأيديولوجيا مجرد زخرفة ثقافية  
زائفة - أو ما أسماه مباركمن «البنية  
القوقية، المتعمدة على «قاعدة اقتصادية.

لكون نفسه (المطلق)، وأنه لم يكن سوى  
ناطق بها، وكذلك لم تكن الأفكار التي عبر  
عنها كل من روسو ومباركمن من صنعها،  
بل كانت نتاجا للاستياء السائد في زمانيتها،  
حيث كانت في مرحلة الحضانة قبل أن  
تصنع وتجلى في تعبير واضح، ونتيجة  
لذلك اكتسب الفلاسوفان المذكوران سمعتهما  
بصفتهم مهندسي أوروبا الحديثة.

لقد كانت كلمة «أيديولوجيا، نتاجا للفكرة  
التي ندرسها هنا رمزا لها، فقد قدم هذا  
المصطلح ببراءة الفلاسوف الثوريين أنطوان  
ميسنت وثوريسى الذى جاء ليؤكد الثورة  
الفرنسية، فقد استخدمه للدلالة على «علم  
الأفكار، الذى كان يعبر بدوره عن اللغة  
الجديدة بالعقل والبحث عن المعرفة، ولكنه  
كان أيضا هجرما ضمنييا على الإيمان  
والميتافيزيقا، وعلى «الخرافة، والتعامل».  
كانت الأيديولوجيا تمثل روح اللقد الذى أتى  
على فرنسا التقليدية، والذي تحول فيما بعد  
وأصبح سلاح طبقة واحدة هي الطبقة  
البرجوازية، ولذلك وصف مفهوم  
الأيديولوجيا على أنه برجوازي في الأصل،  
ولا يشكل هذا نصف الحقيقة في أفضل  
حالاته، ولأنها بدأت كـ «أجوبة» بصفحتها  
دراسة وتعبيرا واضحين عن الأفكار، فغالبا ما  
تم خلط الأيديولوجيا بلغتها «الواهي»، حتى  
من قبل بعض أفضل المنظرين، ولكن خلف  
الكلمات هناك مجموعة أساسية من المفاهيم  
التي يعتمد عليها الناس في تحديدهم لواقعهم  
وحياتهم، لأن «المثاليين، كانوا يبالغون، في  
أغلب الأحيان، في ادعائهم ويعملون على  
تشويه الحقائق ويعساقون مع خيالاتهم  
وتطلعاتهم، فقد تم وضع الأيديولوجيا مقابل  
العلم والحقيقة ورفضت على أساس أنها «غير  
واقعية، وغير عملية»، إلى درجة أنها  
رفضت بصفتها «مجرد أضغاث أحلام».  
وبعد سنوات قليلة من اختراع ثوريسى لهذا  
المصطلح تحول نابليون إلى كلمة تنطوى  
على التشويه، إذ سرعان ما رأى أن للتنوير  
يتدخل في سياسته البرلمانية الصرفة، وفي  
٢٠ كانون الأول ١٨١٢، يعود للجزيرة  
الروسية، أعلن قائلا: «يجب أن نزعزح هؤلاء

والخوف والخرافات والمبادئ الأساسية والأمزجة والأوهام والتفاهات والرموز والانفعالات والكلمات المتفحشية والاضطرابات الداخلية - وبكلمة واحدة «الكائن» - التي يحدد الناس وجودهم على ضوئها. وعندما يتم التعبير عن الأيديولوجيا في الطقوس والسلوك العام (كأفكار عصر التنوير الفلسفية والممارسات البايرونية في الشرق، مثلا) فإنها تعبر عن ثقافة ما، أما عندما يتم التعبير عنها بالكلمات فإن الأيديولوجيا تكسب الشكل اللغوي الذي يحدد من خلاله عادةً، أي أنها تصبح فلسفة. وسواء تم التعبير عنها أم لا، وسواء كان هذا التعبير قسريا أم لم يكن كذلك، فإنها بهجان مهمان وماسمان للأيديولوجيا. وما يحدد الأيديولوجيا البرجوازية بشكل جزئي هو تأكيدها الأساسي والمالي على التعبير اللغوي.

يشكل التعبير الخطرة الأولية للتقدم العقلاني، والتعبير بمفاهيم كونية هو الخطوة الأولى في الدفاع اللغوي. وهذه الاتصالات الكونية هي ميزات تخصصا نحن دون سواها. ففي حقيقة الأمر تتكون بعض أكثر طقوسنا أهمية من التعبير والتصرف الأيديولوجيين، بعض النظر عن الأعمال المرافقة لها. ومن هذا المنطلق اعتبرت كاسافين المنظومة الروسية جزءا من عصر التنوير. حتى من قبل الفلاسفة ديدرو وفولتير، تقررنا على التحدث عن طقوس هذا العصر. ولا تتشأ كل أيديولوجيا بصفتها فلسفة إذ لا تلتوى كل أيديولوجيا على مفاهيم كونية بالضرورة. وما أن أيديولوجيتنا وصفهونا عن الأيديولوجيا مهيوسا بالمفاهيم الكونية، فإن ذلك يعكس تفصولنا للتاريخ، وهذا هو أن نفهم طبيعة هذا الفصل.

وإذا كانت الأيديولوجيا عامة بالضرورة، وإذا كانت أيديولوجيتنا تنبأها بصفتها الكونية، فإن اهتمامنا بهذا العدد الكبير من الأفراد (ريسو، وفولتير، وكانت،... الخ) بحاجة إلى تقسيم. إنني أنظر إلى الأفراد الذين تتناولهم الفصول التالية من هذا الكتاب<sup>(١)</sup> بصفتهم ممثلين لأيديولوجيا معينة. ولذلك تحلل السمات التعبيرية عن حياتهم الشخصية مكانة ثانوية وهامشية.

ومع ذلك، فقد ائترحت أيضا أن الشخصية ليست مسألة متعلقة بدوم من الإيمان الأيديولوجي. فالشخصية لا تنحصر في نموذج من المزايا والصور التي تميز شخصا من آخر، ولكنها تتطوّر أيضا تمييدا لحظيا لشعور معين من الأشخاص: فرنسي، أو أجنبي، أو إيطالي، ساخر أو مثالي، متوج أو كئيب، كلاسيكي أو رومانتيكي، قروسي أو مكتور، متوازن أو مهزول. فخصيتنا فولتير وريسو، على سبيل المثال، تتقارن الصورة على البني الأيديولوجية لمصدر للتنوير أكثر من فلسفة كل منهما. كما يوضح فابريون وبيكهوفن، للذنان لم يكن عندهما «فلسفة» بهذا المعنى الأيديولوجيات علمها مقاما يدل أي فيلسوف آخر، بما في ذلك هيجل الذي تصب نفسه متحدا باسميهما. وما يبدو أحيانا على أنه شخصي جدا، وتجلى فيما بعد بصفته شيئا عاما أيضا. فالفيلسوف أو الفنان الذي «يرغم» في الأحقاد، يمكن أن يدر متحدا بأوسع وأرقى أنواع السمر والفن، حتى حين يكون متحدا من قضايا للعالم وشرونه.

في معظم الأحيان، يتم الحديث عن الأيديولوجيا وكأنها شيء مختلف تماما من شخصية أو ثقافة معينة، بحيث تبدو لنا قاعا ثقافيا يمكن للمرء أن يرتديه إلى اجتماع سياسي أو حفلة كوكيتول. ولكن الأيديولوجيا صورة مصغرة من الحياة، من المنظور نفسه الذي جعل فوشته يصر على أن فلسفة معينة - أو بشكل أوسع، أيديولوجيا معينة - ليست قطعة من الأثاث القالي يقتنيها الإنسان لم يرميها متى يشاء. فخرج الأيديولوجيا التي نعيشها يحدد هويتنا الإنسانية.

#### الأيديولوجيا البرجوازية والأداء المتقالي:

إن المجتمع الذي يمتنع بأكبر قدر من الليبرالية، ويطوى بالقالي على الخصومة الشاملة لأقرانه، هو الوحيد الذي يمكن أن تتحقق فيه الأهداف العليا للطبيعية في حالة الجنس البشري؛ أي تطوير كافة مقدراتها للكامة.

#### إيمانويل كانت، «فكرة التاريخ الكوني»

لا يندرج مصطلحا «برجوازي» و«برجوازية» ضمن تعريفات مسارمة، شأنهما في ذلك شأن معظم المصطلحات التاريخية. فهما يشيران إلى عائلة من المفاهيم التي يرتبط بعضها بالبنس الآخر من خلال تطورها المشترك، وفي الواقع، هناك عديد من الخصائص البرجوازية. مثل التركيز للأولف على البضائع المادية والراحة والأمان - التي يمكن سمبها أيضا على الطبقات والشقات والأيديولوجيات الأخرى، وغالبًا ما تتعارض الأفكار الأيديولوجية مع بعضها البعض، كما هو الأمر في حالة الأدعية الواقعية للصارمة والرومانتيكية الرقيقة، على سبيل المثال، ولكن الأيديولوجيا البرجوازية تشكل نمطا حياتيا مميزا ومحترما على الرغم من تحولها واستخداماتها المتطورة طيلة فترة طويلة من الزمن، كما أنها محددة بتحولها وتفاضلاتها الداخلية، كما هي محددة بصلاصها الأكثر ثباتا واستمرارية، وقاعدة تلك التحولات هي فترة المراهقة الأيديولوجية التي يطلق عليها اسم «عصر السنوس»، حيث كانت تلك الزمر الأيديولوجية المصارنة لمصدر للتنوير برجوازية صرفة حتى القرن العشرين، وتتضمن هذه الزمر الرومانتيكية والماركسية واليهودية، التي كان مصطلح «برجوازي» بالنسبة إليها - يطوى على مفهوم الإزداء.

قبل ثلاثة قرون مضت، كانت البرجوازية مجموعة متطورة ومتمجرة من الناس الذين يعيشون في مجتمعات لم تعرف كيف تصنفهم، وكما يوحي الاسم، كان هؤلاء الناس يعيشون في المدن الأوروبية حيث نشأت الحاجة إلى أشخاص يلعبون دور الوسطاء: لتجار بين الزارعين والمستهلكين؛ والموظفين المندوبين بين الحكام والراطين؛ والمحامين بين القانون والراطين؛ وبين المالكين والأعمال؛ والمعلمون بين المعرفة والطبقة، لقد كان هؤلاء أكثر من «أيد عاملة»، وأكثر تخصصا من «تقوى العاملة»، ولكن

## عصر التنوير



البرجوازية، لا ترفيقان إلى تحديد هذه الأيديولوجيا وتعريفها. (وفي الواقع، لم تكونا ضروريين أو مقبولين في عصر التنوير بشكل عام). وعندما أحاول تحديد الروابط التي تجمع الشخصيات التي يتناولها هذا الكتاب، فإني أجد استحالة في الإشارة إلى عقيدة واحدة أو موضوع واحد يهمها جميعاً. ومع ذلك، وبدون أن أعصر هذه الشخصيات في أفكار فلسفية مقبولة، أعتقد أنها تظهر - دون استثناء - هذا الاندفاع المتعالى الذي يميز - أفضل من أي اقتراح قبلي - تلك الفترة الحديثة من التاريخ الأوروبي التي انتحروا منها مباشرة.

يتجاوز الاندفاع المتعالى للزعم القاتل إن الناس متشابهون في الأساس، فهو أيضاً طريقة من طرق التجديد التي تستخدم تلك المفاهيم الخاصة والمميزة، التي أشرنا إليها آنفاً، بصفاتها ميزات كونية، والميزة الكونية مفهوم يزعم أنه يشمل طبقة كبيرة لاستثنائية، ويسبغ بعض الخصائص للجمهورية على أعضائها كافة، لمفهوم «الإنسانية»، مثلاً، هو الاندفاع - غير البني على الملاحظة - الذي يقول بوجود خصائص فردية وجمهورية تشترك فيها الكائنات الإنسانية كافة، سواء في باريس أو في براين أو بكين أو في أقصى مجرة أندروميدا.

وهذا يتجاوز المعادلة القبلية الشائعة - كالقول مثلاً، «أنت كائن إنساني، إذن أنت جاري» - التي تسبغ ميزة مفاهيمية على مجموعة تكاد تكون محدودة. ومع ذلك فإن مفهوم «الإنسانية» ليس محاولة للتمييز بين مجموعة وأخرى وإكله، على النقيض من ذلك، محاولة لاستبعاد هذه التصنيفات جميعاً. ولذلك، فهو مفهوم لم يتم اختراعه إلا مؤخراً، بعض النظر عن المفاهيم التي سبقته في العالم القديم والكنيسة القروسطية وعصر النهضة؛ وأن فقط أخذ بالاتصاف بالحقيقة المحيية للاختلافات الثقافية.

وايست الإنسانية (الجنس البشري) سوى أب لعائلة الميزات التكونية التي تشكل الأيديولوجيا البرجوازية. والشيء المشترك بين هذه الميزات كلها هو ظهور المصطلحات

المحددة والأكدية، وهذا لا يعني أن كل منظر برجوازي قد أعلن للزعم بهذا الاندفاع بذلك الكلمات للتكررة (على الرغم من أن حديثاً منهم قد فعل ذلك، مثل هوبز وكاماند). ولكنني قد استخدم، فعلاً، كل شخصية وكل حركة في قسما هذه بصفاتها أساساً ومضراً دائماً للدمع، حتى عندما كانت نقاشاتها تتحول إلى اختلافات إنسانية وثقافية، ومن طبيعة هذا الاندفاع أنه يحتفظ بغموض معين عندما يضبط عليه لتحديد ادعائاته الكونية بشكل دقيق. ولذلك لكي يترك للمجال مفتوحاً للاختلافات السطحية وليتجنب تزيينها معق ومجرد، وإذا أردنا أن نفهم الاندفاع المتعالى والأيديولوجيا التي يحددنا ويبرهنها، علينا أن ندرك مرواغاته وأوجه القصور فيه، إضافة إلى إنسانيته الجذبة والسطحية.

من الناحية التجسدية، لا تشكل الإنسانية أو الفردانية موضوعاً ثابتاً ومستمر في الأيديولوجيا البرجوازية، على الرغم من أن الاثنين تشكلان للمفتاح الأساسي لعصر التنوير. (فعلى سبيل المثال، رفض بعض الرومانتيكيين، الاثنان معاً، بينما رفض ماركس الفردانية ورفض كوبركجارد الإنسانية). وحينما فإن عقائد محددة مثل المادية والعقلانية، للذين غالباً ما يشير إليهما اللقاد بصفتيهما مفتاح الأيديولوجيا

كانت تنقسم الرسائل الطبيعية كالإراث والسلمة والمكانة التي يحوز عليها المرء بالولادة فقط، وفي المدن. أصبح هؤلاء الناس منفصلين عن الطبيعة. (ومعنى هذه الظاهرة فيها بعد «الغراب»، حيث كانت الحرية إحدى للشقات الزمنية في القرن التاسع عشر). كما أنهم اكتسبوا شعوراً جديداً بالاعتماد على أشخاص آخرين، وعلى الحكمة والرقى، والحقائق الاجتماعية، والتحويلات السريعة (والكثيرة منها بشكل خاص) التي جعلت وجودهم ضرورياً إلى هذا الحد في تصدعات المجتمع ما بعد الإقطاعي، كما أنهم استمروا من خلال مواهبهم الفردية، واعتدوا في شرم على المنافسة، كما كانوا يتجاهلون بحدرائهم بصفاتهم «مواطنين أساسيين»، لقد أنجزوا أعمالهم على أكمل وجه؛ فازدهروا نتيجة لذلك، ولكلهم لم يكونوا قد شكلوا طبقة همد في القرن السابع عشر، إذ لم يكونوا ينظرون إلى أنفسهم بصفاتهم طبقة، ولم يبدوا تلك الأكيدة الصاعدة التي تتفقد إلى الروابط السياسية وتعالى الجمود السياسي. ولكن بدما من القرن الثامن عشر، ومع قديم عصر التنوير، أصبحوا مدركين لأعدائهم المتزايدة وواعين لأموئهم وعدم قدرة المجتمع على التحلي عنهم. ونتيجة لذلك، أخذوا يرضون مطالبهم ويشكلون المبادئ الملائمة لمواهبهم وطموحاتهم وفمايلهم وفرديتهم التنافسية. وهي مبادئ قائمة على لفظة «الإنسانية» و«حقوق الإنسان»، وهكذا استبعدوا. بشكل بدى - أولئك «المصلحين» الذين لم يوافقهم الرأي.

وهذا الاستبعاد الهمي (أو الدجمائي، بالعربية الفصحى) لأى شخص يحمل آراء مختلفة - أى مختلفة في المفاهيم الأيديولوجية الأساسية - هو ما أطلق عليها هنا تسمية «الاندفاع المتعالى». وحتى لو لم يكن هناك موضوع واحد يحدد الأيديولوجيا البرجوازية ويخطئها من عصر التنوير إلى انحطاط هذه الأيديولوجيا في منتصف للقرن التاسع عشر، فإن الاندفاع المتعالى يشكل ميزته الأساسية هذا إن لم يكن بشكل ميزته

الوصفية التي تبدو وكأنها تثور ببساطة إلى شيء ما، بينما هي في الحقيقة مجرد ادعاءات (عقائدية) سبقة - أي مجموعات أخلاقية واضحة من نوع قوى ومميز، فعلاً، يمكن أن يبدو مصطلح الإنسانية مصطلحاً تصنيفياً بربما يصف جميع الكائنات التي تنتمي إلى صنف معين، ولكن الانتماء إلى هذا الصنف لا يكفي لأن يكون المرء إنسانياً، حيث كان امتلاك بعض أكثر الإنسانويين تعصباً للعبيد، في المراحل الأولى من حياة أمريكا، كان يطلق من شيء يتجاوز مفهوم الدفاع، وبالنسبة للمظنرين البرجوازيين واليبراليين من قديم، كان مصطلح «إنساني» مصطلحاً تقييدياً، كما أن «الإنسانية» لا تصف طبقة معينة بقدر ما تقدم مصدراً غامضاً يفسح المجال، مصدراً لا يختلف كثيراً عن الحكمة في رواية كسافكا المحاكاة، ويمكن على منزه تبرير الأفكار والأفعال كافة، هذا بالإضافة إلى مفهوم «الطبيعة الإنسانية» وتبدو مصطلحاً وصفيًا بالتأكيد، إذ إنه يشير إلى جميع الخصائص التي يجب أن تشترك بها كافة الكائنات التي تنتمي إلى هذا الصنف، ولكن الافتراض القائل بوجود خصائص مشتركة كهذه هو افتراض غير معقول، وخاصة عندما يقول به القرويون الفرنسيون والألمان الذين لم يجهز بعضهم حدود منطقته، أو الذين لم يسبق لهم أن قابلوا أمالي الشرق الأقصى أو الفارسيين الذين يمزون إليهم إحساسهم بـ «الإنسانية» وفهمهم لمعناها، ومن السهل جداً الإشارة إلى نقاط التشابه البيولوجية التي يشترك به الأطفال الرضع كافة - عشرة أصابع، قلب مكون من أربع حجرات، عدم القدرة على تصنيع فيتامين سي، خصائص القدرة... إلخ - ولكن لم يسبق لفكر إنسانوي واحد أن اعتقد بأن كل إنسان عاقل هو بالضرورة «إنساني» فعندما يتحدث الناس عن «الطبيعة الإنسانية»، فالمهم في الأمر يتحدثون هذه الميزات الواضحة إلى الأفكار الترفيعة للفلاسفة الأخلاقيين: هل الإنسان لائق في جوهره (هوبز)، أم فضيل في جوهره أيضاً (روسو)؟ هل الشفقة شعور طبيعي، وهل

الحسد شعور حمي؟.. إلخ، ولا يزال هذا السؤال مستمراً إلى يومنا هذا: هل للناس عدوانيون بشكل فطري (لورنز)، أم أنهم متعاونون بالفريضة (ليكي)؟ هل بني اللغة محددة بيولوجياً (تشومسكي)، أم أن هناك مقدرة عامة على تعلم اللغة (جولدسمان وآخرون)؟ هل تتمتع بني القرارة والأنظمة الرمزية الأخرى بأساس بيولوجي جوهرى (فولي شراوس)، أم أن الأمر على خلاف ذلك (فيتش وآخرون)؟ وللمرض تحت هذه العوارات المألوفة والساحرة أحياناً والتي تبدو بلا نهاية، علينا أن نسأل: كيف نتوضح أسئلة كهذه في الدرجة الأولى؟ لماذا نفترض وجود جواب أساسي على هذه الأسئلة، جواب يصح على الناس والثقافات كافة؟ أو بالأحرى، لماذا نسأل أسئلة كهذه؟

يبدأ الجواب بالتاريخ الطويل لذلك الضخامات القديمة لبقاء أخلاقية - ما - ماذا يجب على الناس أن يفعلوا - قائمة على أساس بيولوجي لما يريدون أن يفعلوا بشكل طبيعي ولكن عبارة «بشكل طبيعي» هذه مخيرة للغاية. فمرونة التطور الإنساني تكل الإنسان من تعلم الصبي الحصول على كل شيء تقريباً؛ وحتى لو كانت هناك غرائز طبيعية (على سبيل المثال، نظرية فرويد القائلة إن الأطفال الذكور يرغبون بشكل طبيعي في قتل آبائهم)، فهذا لا يعني أنه يجب على كل شخص الانصياع لهذه الغرائز. إذ يمكن لكلمة «طبيعي» بعد ذاتها، أن تخدم أي هدف كان، وتجب عن أي إغراء أو رغبة - شأنها في ذلك شأن «الإنسانية» تماماً، كلمة «طبيعي» لا تلج دوراً بيولوجياً بل أخلاقياً، ويطلق هذا أيضاً على الطبيعة الإنسانية التي لا تشكل إلا فيما ندر، موضوعاً للفضول الأنثروبولوجي، بل كانت على الدوام سلاحاً أخلاقياً وتسريعاً كونياً لأهوام ربما تكون خاصة بنا فقط.

وكلمة «طبيعي» تعلى في معظم الأحيان، كلمة «عقلاني» حيث يلب مفهوم «العقل» دوراً كبيراً في الأيديولوجيا البرجوازية. إن القدرة على التفكير بشكل عقلاني هي بالتأكيد جزء مميز ومميز

للإعجاب من الطبيعة الإنسانية؛ ولكن النقاشات العقلانية لا اكتسب قوتها إلا من خلال الافتراض القائل بوجود قواعد متفق عليها تتعلق بالاستنتاج والمبادئ المشتركة (الواضحة بعد ذاتها) والادعاءات، هذا إن لم تكن مرتبطة بالمخدمات المنطقية أيضاً. وهكذا فإن «العقل» «طبيعي»، ليس بالمعنى الجبري للكلمة فقط، وإنما بالمعنى المعنوي أيضاً، مع الادعاء باتفاق كونى حتى عندما يتم إثبات المكس. (يمكن استبعاد المنطق الصوري، مثلاً، لافتقاده إلى طرائق استنتاج مماثلة لطرائق المنطق الأوروبي، كم وصفت طرائق التفكير «الباشادية» بأنها «ما قبل منطقية» وسحرية»؛ بالإضافة إلى أن أولئك الذين حادوا عن الجهاز المنطقي الأوروبي لم يكونوا «عقلانيين»، وبالتالي فقد كانوا أقل من إنسانيين أيضاً) ولكن لم يتوقف هذا الادعاء المعنوي عند قواعد المنطق ومبادئه. فاستناداً إلى دليلى نادر ومتناقض في معظم الأحيان، لفترض هذا الادعاء أن الكائنات الإنسانية كافة تشترك في معتقدات ومبادئ جوهرية انطلاقاً من «الطبيعة الإنسانية»، أي ببساطة انطلاقاً من حقيقة أن هذه الكائنات عقلانية. ولذلك كان الإيمان بالمعادلة والمعالية والتسامح الدينى. بالنسبة إلى هؤلاء، مسائل تتعلق بـ «العقل» وتنطبق على كل كائن إنسانى، وإذا فُحلت الغالبية العظمى في الاتفاق على ذلك، فإن هذا يدل ببساطة على «لا عقلانيته». أما بالنسبة إلى كسائط، كانت العقلانية تطهى على وجود الاتفاق، من قبل المنطوقات العقلانية كافة، على تلك المبادئ الأخلاقية التي صعد أن تعلمها في ألمانيا الريفي بصفته رومانتلياً برجوازيًا. لقد بدأ «العقل» والعقلانية، في بادئ الأمر - شأنهما في ذلك شأن «الإنسانية» والطبيعة الإنسانية - وصوراتٍ بريئة لمكاتب إنسانية، ولكنها لمحت في الحقيقة دور الإمبريالية الأخلاقية الأكثر ادعاءً.

غالباً ما يتم الافتراض بأن مفهوم العقل هذا قد ميز المرحلة المبكرة من الأيديولوجيا البرجوازية حصراً، وروحاً واحداً فقط من أوجه عصر التنوير. فعلى سبيل المثال، يعتقد

## عصر التنوير



معظم مؤرخي هذه الفترة، وبشكل بدهي، أن الرومانتيكية كانت متعارضة مع عصر التنوير بشكل مباشر وأساسى نتيجة رفضها للعقل. ولكن في معظم الأحيان كان رفض العقل هنا مسبباً على فساده في إرضاء الادعاء الشعالي، ولكن الادعاء نفسه لم يرفض. ولذلك فإن روسو الذي كان رفضه المزعم للعقل ملمحاً في أفضل حالاته، قد لُكِد على أهمية المشاعر دون سواها لأنه كان يؤمن بإمكانية الدفاع عن مشاعر معينة على أساس أنها طبيعية وكونية. وقد لُكِد الرومانتيكيون الألمان، للذين ساروا على خطى روسو أكثر من أى منظر آخر، على الفكرة القائلة إن العاطفة - وليس العقل - هي جوهر الطبيعة الإنسانية كما استمر عدد من الفلاسفة الرومانتيكيين (مثل شيلينج وشوبنهاور) في تجديد «العقل» بصفته مطلقاً ميتافيزيقياً. كما للزج جوته، الذى يستحيل تصنيفه وفقاً لهذه المفاهيم، بهذه الفكرة بالترابى الأسطورية. وقد تبعه في ذلك هيسل الذى كان العقل يمثل الروح بالنسبة إليه كما كان يمثل أعظم ميزة كونية على الإطلاق، أى «المطلق». وبكلمات أخرى، استمرت الوظيفة الكونية للعقل بعد ديالكتيك الأيديولوجيا البرجوازية دون أن يطرأ عليها أى تغيير، في الوظيفة إن لم يكن في الاسم. وهذه الوظيفة كانت (ولا تزال) هي الادعاء الشعالي، وحتى كيركجارد سلم في استمرارية هذا الادعاء. منذ العقل ربما - وإذا كان هناك افتراض واحد يمكن خلف هجوم كيركجارد على عصر التنوير فهو ليس زيف العقل بل غولاه واستحالة تطبيقه على الحالة الفردية، وهذا بعد ذلك تصديد للعقل وليس رفضاً له. فالمطلوب هو مصطلح أكثر كونه؛ ومن دواعي السخرية أن الميزة الكونية عند كيركجارد هي «الفرد» ولا يوجد مؤلف آخر في دراستنا هذه يقدم معنى أخلاقياً أقوى من ذلك للوجود الإنساني، وأيضاً للطريقة التي يجب على الإنسان أن يعيش بها.

وهذا الادعاء موجود في مكان آخر أيضاً. فابن يمكن للميزات الكونية التي تحكم العلاقات الاجتماعية أن تجد تعبيراً أفضل من

ذلك الذى تجده في القوانين التي تخلف عن المبادئ والأعراف والأمال المشتركة والثقة المشتركة بهذه الكونية بالتحديد؟ وتحافظ للقوانين على وجود مجرد، بغض النظر عن الأفراد والجموعات؛ كما أنها تطبق على أفراد المجتمع كافة، بما في ذلك أولئك الذين لم يولدوا بعد. وقد كان شعار «حكومة القوانين، لا حكومة الإنسان» أكثر شعارات التنوير الأمريكي زهواً. وهي الخطوة الأولى التي قادت إلى ذلك الشعار الذى يشير للكرهية والاستهتاف في أيامنا هذه، أى «حكومة للمحامين، من قبل المحامين»، و«صالح للمحامين».

كما نجد هذا الادعاء في مفهوم «التجربة»، هذا المفهوم الذى كان يمثل مكانة مركزية في عصر التنوير وما تلاه. فكل طالب من طلاب الفلسفة يدرس ذلك الخلاف الكبير، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، بين أبطال «العقل» («المثاليين») وأبطال «التجربة»، («ال empiricists»). ولكن ما يميز ذلك العصر بشكل أفضل هو ادعائهم المشترك. إذ لم يكن للجزء إلى التجربة، شأنه شأن اللجوء إلى «العقل»، ليكتسب قوته دون الافتراض القائل إن تجربة جميع الناس متشابهة، وأنه يمكن إعادة التجربة نفسها أو الملاحظة نفسها في «لندن» أو في «فلنزيار»، وأنه يمكن تصديق التشبيهات والأوامر

وإصلاحها. وبالطبع يمكن استبعاد التجارب للشفادة، مثل عمى الألوان أو الصوفية، بطرق ملائمة. ومع ذلك، فإن الزعم القائل بإمكانية اكتشاف الحقيقة كلها من خلال التجربة لم يكن مبدئياً يمكن الدفاع عنه من خلال التجربة، كما تمت معارضة الافتراض القائل إن تجارب جميع الأشخاص متشابهة جوهرياً من خلال التجربة. فقد ادعى جون لوك أنه يهاجم «العقل» باسم التجربة، ولكنه كان يلجأ إلى العقل كلما نشأت الحاجة إلى الدفاع عن مبدأ لا تجريبى. فوجود الله، على سبيل المثال. كما امتدح فولتير تجريبية أسوك وهام عقائدية ديكلارت ولكنه لم يحاول أبداً أن يفهم اختلافاتهما حتى عندما كان يستخدمها دون تنوير. وقد وضع ديفيد هوبس هشاشة «العقل» مستخدماً أكثر الجمع عقلانية ومفرضاً، في الوقت نفسه، مع روسو كونية المشاعر الأخلاقية والتجربة أيضاً. كما بقى الادعاء الشعالي قائماً ومستمر حتى عند أشرس معارضى «العقل»، حيث كان «العقل» أيضاً أحد أدوات هذا الادعاء، ولم يكن أساساً بشكل كامل.

كذلك استمر الادعاء الشعالي؟ لقد تم دعمه وتسويفه، على ما يبدو، في المجال الذى بدأ فيه غير قابل للنقاش: أى في مجال العلم. ففي العلم، بدأ مثل الكونية راسخاً لا يتزعزع؛ فما هو صحيح الآن كان بالذات صحيحاً في بابل (بغض النظر عما كان يؤمن به أولئك السحرة). وفي مصر في أيام يوسف أيضاً. فإنا لن نتصارع العناصر ٣٢ قديماً في الثانية، وإما أنها لا تفعل ذلك، وقد كان الجواب قابلاً للاختبار بشكل متكرر، كما كان مقياس واضحاً بشكل لا يدخله الشك ولا تمكن مناقشته. وإذا كان الدين في وقت من الأوقات قد زعم إسطارته بـ «الحقيقة»، فقد تصمم ذلك الزعم من خلال تفتت السلطة، وهجوم عصر التنوير على السلطة. واستعصاء لتعقيد الدينية على الاختيار، هذا إن لم يكن غموضها. ولكن العلم الذى أخذ من الدين تقيضاً له أخذ يعتبر نفسه معزولاً عن أعظم الإنجازات الإنسانية، وأنه للسلطان الوحيد الذى بدأ فيه التمتع بحقيقة، لا يمكن



تكرانها، والحقل الذي لم يتم فيه تحدى السلطة السائدة فقط بل واختبارها أيضاً. فلم يكن العلم مجرد وسيلة (لتصريف الأضواء، وصنع الأشياء)، بل كان التوسيع المطلق للعقلانية الإنسانية والبرهان على أنه يمكن لشخص بمفرده أن يكشف آليات عمل الكون نفسه. وبناءً على ذلك، كان مقتدره أن يعمل بصفته نموذجاً للأخلاق والمجتمع على حد سواء، ويصفته عرضاً للكرنية التي يمكن أن يكتسبها في الوقت القريب. وبعد وضع سورات فقط، زعم جون لوك، وديفيد هوم بأن هذا ما يعللته بالحدود.

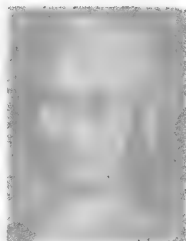
إذا كنا لا نتحدث كثيراً عن العلم في الفصل الثاني، فذلك لأنه، بصفته أرفع نتاج للدعاء - النشاط الإنساني الوحيد الذي لا تكم مساهمته إلا فيما ندر - وهذا صحيح حتى بالنسبة إلى الرومانتيكيين الذين لم يهاجموا العلم هو فرياء نيتون. فقد فصل جوته البيولوجيا على الفيزياء، ولكنه لم يرفض العلم بصفته نموذجاً مطلقاً، حتى بالنسبة إلى الميكولوجيا والأدب. وبلغ كسانط عن نيتون بصفته أساساً للتجربة الإنسانية؛ ولم يستطع هيجل أن يمتدح عمله إلا من خلال إطلاقه صفة «العلم، عفيه» والأمر يخلق على ماركس أيضاً. وحتى كيركجارد نفسه أحياناً بقوله: «لماذا أقول إن السلطة كلها للعلم... كما أنه أعفى هذه السلطة من النقد، إلا في حال التركيز (مقابل عصر التنوير) على ما لا تقدر على فطه. وبالتالي أكدت كانت هناك نزاعات حادة حول الطرائق الملائمة للعلم؛ فقد كانت النماذج في حارب مع بعضها البعض (وخاصة البيولوجيا والفيزياء) ولم تكن وحدة العلم واضحة بالقدرة الذي زعمه المدافعون للتنويريين عنه. ولكن الادعاءات العامة - القائلة إن العلم موضوعي وعيد من الأهواء الريفية، ومستخرج من السلطة السائدة، وكوني بشكل منهجي ومنظم، وناجئ بشكل حتمي - لم تكن قابلة للنقاش. ومن خلال أخذ هذا الحال بعين الاعتبار، لم يبق للمفكرين إلا أن يروا أن كان بالإمكان تعميم الادعاء وسجبه على جميع الوجود الأخرى للحياة الإنسانية.

استقاط فضائل الفرد المدنية على المدينة «الكونية (العالمية)». أما من الناحية السياسية، فسرعان ما غدا سلاحاً في يد الجماعات المضطهدة أو المهيمّة؛ فمن خلال رفض هذه الجماعات للزواقات كافة، استطاعوا تصف أي سبب لعدم «حصولنا على هذا أيضاً، أو، في حال فخلهم في ذلك، كان بمقدورهم تجديد الزواقات وإعلان أنفسهم بصفته ملطين للإنسانية، ورفض من هم في مسرتبة أعلى منهم على أنهم «مضطرون» و «لا إنسانيون» أو «رجوازيين». (وتصلح أديولوجيا الرومانتيكيين الأمان هذا كمثل محدد عن هذين المرفقين) ومن الصعيل الآن أن الصمراع على السلطة والمكانة يندرج على المجتمعات كافة (وليس الإنسانية، منها فقط ويمكن حتى أن يكون حقيقة «طبيعية»، ولكن الأديولوجيا البرجوازية تصنف مبادئها الفعلية على هذا الصمراع، مسموعة للانعصارات ومعلقة للزلف؛ فهي تقدم لتسويات أخلاقية كزنية للمصالح والأهواء الشخصية، ليس من خلال تجاوزها والتمالي لرفقها (كما زعم عصر التنوير) وإنما من خلال الانغماس فيها، رضى (بشكل خاص) في حالة الهزائم، يوفر الادعاء للتمالي لمره رفاية التفوق الذي يشعر به من خلال الاستياء، وهو شعور على بالادعاء ولا يمكن تخيله عملياً إلا في للمجتمعات التي تحكمها علاقات فلسفية ونفسية معقدة ومضطرة.

ومع ذلك، لا يجب أن ينفعا اهتمامنا بالادعاء للتمالي إلى إهمال الفردانية. فالزعم القائل بتضاليع الجميع بشكل أساسي وتضعهم بثل كوني يعنى أن فرداً من الأفراد - على درجة مناسبة من المعرفة، ربما كان قادراً على النضول «إلى ذاته واكتشاف الحقائق التي تنطبق على الجميع، وبالطريقة نفسها التي اكتشف بها إسحاق نيتون قوانين الكون اعتماداً على ذكائه. ومن خلال استخدامه لهذا النموذج، زعم روسو - من خلال النظر إلى روحه الصعنية الشاذة - أنه اكتشف الطبيعة الداخلية «الطبيعية» في الإنسانية كلها. بينما قام كائط، مسلحاً بكمه



كيركجارد



جان جاك روسو

بالادعاء للتمالي إذن كان ولا يزال جوهر الأديولوجيا البرجوازية، من ناحية الطريقة إن لم يكن من ناحية المبدأ، التي زعم بوجود طبقة، أو إنسانية، كبيرة بشكل لا متناهٍ ومجهولة بشكل كبير، ويقدم هذا الزعم على تحديد لا تقدي لصف بيولوجي، وعلى الافتراض القائل إن فضائل الفرد تصد طبيعة ذلك الصنف نفسه. ومن الناحية الاجتماعية، أصبح هذا الادعاء «كونياً» أي

## عصر التنوير



ليس بصفتها مصطلحات فردية وإنما بصفتها خصائص المطلق، وهوية الإنسانية مكتوبة على نطاق واسع، كسان الفردى والكرنى معتمداً أحدهما على الآخر، وعندما وضع أحدهما مقابل الآخر تم ذلك بصيغة صراع عنيف، حيث كان الدورين بينهما يتعد كلا منهما، وفي بعض الأحيان كان من الصعب تمييز أحدهما عن الآخر.

وقبل أن نتركة هذا الصراع العنيف الرودد بين الفردانية والادعاء للمعالي، دعونا نرجع بشكل سريع إلى أحد اغفالات الأيديولوجية البرجوازية والذي كان قوة رئيسية في تطورها. فبين شذ الانتهاب إلى الفرد والتعلق إلى الكرنى (الإنسانية) عالت مكانات العلاقات الشخصية والهمامية من الارتباك والخط. فقد أخذ بعض الفلاسفة النظام الاجتماعى ببساطة وذهبية وقبلوه بصفته أساساً لايديولوجيتهم، ولكنهم لم يروا حاجة في التكلم عليه إلا لإصلاحه وجعله أكثر عقلانية. فحولتهم مثلاً. أما الآخرون من أمثال روسو فقد أدركوا ضروريته وحاولوا بملء المجتمع استناداً إلى اتفاق أفرادهم على أساس المبادئ الكرنية وهكذا جعلوا المجتمع ثانياً أكثر مما مجرداً رئيساً، ومسالمة متعلقة به (الصراف) (إن لم تكن مرتبطة به «الفلسفة كما قيل قبل ذلك) ولكن كان روسو، شأنه في ذلك شأن بعض المتحمسين باسم الإنسانية، يحقر الرجال الآخرين حتى وهو مسموم بـ «الإنسان»؛ حيث إنه لم يهتم حميمية العلاقات الشخصية أبداً ولم يستطع قبولها، وقد حاول بشكل مرتبط وريء تصنيفها في الضبابية الرائعة التي خلفها بين الأقنابل الآمنة للوجود الفردى والتجريدات الكرنية. (وأخيراً، كان هناك فلاسفة يرغبون برفضها باسم لايدولوجيتهم، على الرغم من إدراكهم للعائلة «الطبيعية» إذ لم يحاول كويركجارد، مثلاً، حتى تأمين ظهور الحس الخيرى، ورفض بشكل كامل الحياة الاجتماعية التي كانت الأساس الموليد للمجتمع البرجوازي الدماركى.

وتبعاً لذلك، لم تهتم الفلسفة بالعائلة إلا في حالات نادرة، وعلى الرغم من أنها

للفلسفة ماركس في الفصل ١٥) كانت للفردانية تطلبت الإنسانية كشرط أساسى لفهمها. ولذلك فإن حقيقة اعتماد معظم المصطلحات الفردانية لعصر التنوير على المفاهيم الكرنية وتحولها إلى هذه المفاهيم، كانت أكثر من مجرد فضول، فمفهوم الذاتية نفسه، مثلاً، (والذى أوحى به كائنات بشكل رئيسى) والمفاهيم الأبركر - «الفكر» - «التفجيرة»، (والتي كان بطلاها ديكرارت ولسوفه، على التوالي) أصبحت تعدد من خلال ارتباطها بالموضوعية والادعاء للمعالي. وقد لخصت أفكار كائنات هذه النقطة العامة: الذاتية وحدها تجعل الموضوعية ممكنة، ولكن وجود الذاتية مرتبط باحتمال وجود الموضوعية. كما أن مفهوم «الحرية» وهو فكرة فردية أصلاً في عصر التنوير. أصبح ملكية لمجتمعات بأكملها، حيث شارك فيها الأفراد (وهذا سبب وجود روسو وهيجل وماركس)، قبل أن يسترجع كويركجارد مكانتها الفردية. ويشكل مماثل، تنقل مفهوم الكرامة الإنسانية بين الانقراض الكرنى وإنسانية الإنسان وكرامة الفرد. ولكن الثنائى كان مستلداً إلى الأول (كما هي الحالة عند كائنات) لقد اعتمدت الكرامة الإنسانية على إنسانية الفرد أكثر مما اعتمدت على أية ميزات أو إنجازات فردية. وحتى مفاهيم «الذات» المهمة، كاحترام الذات ووعى الذات، ظهرت عند هيجل والرومانتيكيين

«المتنورة» بأن كل شخص هو كائن عقلانى بشكل طبيعى، بالدفاع عن استقلالية الفرد ليكتشف بشكل مستقل المبادئ الكرنية للأخلاق وحقوق الإنسان، لقد فحمت الأيديولوجيا الجديدة اتفاقاً جديدة تم تخطير ببال الإنسانيين القدماء، ولم يعرفها الفقه المسمى سابقاً إلا بشكل غامض وسطحى؛ أى الشخصية «الدخالية» وحياة العقل، والروح الإنسانية التي لم تعد كنزاً ميثاقية عصية على الوصف بل أصبحت مسيداً لثيوسولوجيا، وعالم شخصياً وخاصة هو عالم الذاتية. وفي هذا الميدان يمكن إيجاد معنى جديد لكلمات «الحرية» و«الكرامة» و«السعادة» فقد كان الفرد عالمه الصغير الخاص، ومهما كانت الصعارة في العالم العام الأكبر، يجب إيجاد الحرية والكرامة والسعادة في الداخل أولاً، وقد لعب عالم الذاتية: الداخلي، هنا دوراً كبيراً في عصر التنوير، دوراً كذلك الذى سرف يلعبه عند الرومانتيكيين، و كويركجارد. الذين جعلوا مصطلح «المعققة» الذاتية، مصطلحاً مشهوراً نفسياً، وقد قدم هذا المصطلح قاعدةً للتخيل الأيديولوجى الأكثر راديكالية، ونقطة لروميدية يمكن من خلالها تهديم رضاء المجتمع التقليدى بأكمله.

إن إفراطات الفردانية المبالغ فيها، مثل الرأسمالية الحرة، والفوضوية، وغوابة احترام السلطة وفقدان الحس الجمعى، والرومانتيكية المتكاملة - يجب أن ننظر إليها من خلال حقيقة أن الفردانية، في عصر التنوير وما تلاه، قامت على دعائم الافتراضات القائلة بربود العقل الكرنى والطنية الطبيعية للطبيعة الإنسانية. فعلى سبيل المثال، تصامم الموزخون وعلماء الاقتصاد كيف يمكن لآدم مسجون أن يكتب «ثروة الأمم» ونظرية المشاعر الأخلاقية، معاً، فانكتاب الأول يشكل إنجيل للرأسمالية «الحرة» بينما يتناول الثانى - وهو عمل غير معروف جداً - للمشاعر الأخلاقية «الطبيعية» ويصمم روح معاصريه روسو و هيجوم. ولكن كان هذين الكتابان يكمل أحدهما الآخر، حيث كان استخدام الكتاب الأول من الفقة الأخلاقية للكلمة في الكتاب الثانى شيئاً يبحث على الرعب. (وقد حاولت الدفاع عن زعم مماثل

كانت مرشحاً ممتازاً لوحدة الإنسانية الطبيعية. - ويمكن القول إنها أكثر من الفرد. إلا أن العائلة لم تلق سوى اهتمام قليل في الأيديولوجيا البرجوازية، كما عانت تغيرات حادة في مكانتها الأيديولوجية. وخلال المراحل الأولى من التطور البرجوازي، كانت صورة المواطن المثقف، والمثالي، باحترام الحياة الشخصية الخاصة والمعتقدات المركزية لـ «الأخلاقية البرجوازية» إلى جانب العائلة النووية المصممة حتى لو كانت مبذورة، وكان أحد الانتقادات البرجوازية الأكثر شيوعاً للأرستقراطيين والفلاحين مركزاً على فقرهم لوحدة العائلة (أي وحدة العائلة النووية)؛ فحتى ماري أنطوانيت أذعنت لهذا الهجوم البرجوازي، لفترة لا بأس بها على الأقل، حيث حصلت على لوحة لها مع أطفالها في سنة (١٧٨٧) ولكن بما أن الطموح البرجوازي كان ذاتياً وفردانياً بشكل كسبي، وما أن تطور المراهب البرجوازية قد أحمط على يد التأكيد القديم على الولد والأصول العائلية، فقد انهارت العائلة. كما اتخذ المصير منذ النصف الثاني جديداً من الفعلية، وذلك من خلال إقصاء نصف القوة المندافسة. ولكن إذا كان هذا التمييز ضد النماء سوف يصبح مسألة مبادئ في بعض الأحيان، فقد كان بالقدر نفسه مسألة إسمائي أيديولوجي. فقد صيرفت الأيديولوجيا البرجوازية معظم اهتماماتها على الكونيات المجردة إلى درجة أنها نصوت الأسس الاجتماعية والخصية للحياة اليومية. وإذا كان هناك إغفال وحيد يجب أن يسمنا باستمراره، فهو الغياب الكلي للمرضى الواضحة بالعائلة أو الجماعة المحلية في أيديولوجيا مهتمة، انطلاقاً من وعي ذاتي، بالعبء الإنسانية اليومية والسعادة فقد كانت مثلاً يمكن وصف مجمل نسيج الأخلاقية الإنسانية والمنطق العملي دين تمثيل واحد للعلاقات القائمة بين الأشخاص.

وهذا نوع مختلف تماماً من الأمثلة وهو موقف عصر التنوير الذي لا يزال سائداً تجاه ما نسميه الشخصية الطبيعية. ونتيجة اعتقاده الدوم بأروية الفرد وتهانس

الإنسانية، فقد أبدى عصر التنوير استياءً عدوانياً من للخصيمات حول «السلطان الألماني» أو «الخصائص الفرنسية»؛ وإيضاً بذلك، من ناحية الصيدا ما يعرفه كل سائح عرشي أو مسافر متمرس أو عالم لأثروبولوجي بشكل لا يدخله الشك. وعلى الرغم من أن السبب المتقدم في أغلب الأحيان هو أن تعميمات كهذه تحجب الاستعدادات الفردية، إلا أن السبب الأصعب هو تقييد ذلك، وهو أن تعميمات كهذه ليست عامة بما فيه الكفاية، بما أنها محدودة في جماعة جزئية إنسانية واحدة ومحددة بشكل اعتباطي. خذ، مثلاً، الفرق الهائل بين موقف عصر التنوير من اللغة وموقف اليونانيين للقدماء منها؛ فقد افترض الإغريق أن مجرد الجهل باللغة الإغريقية كافٍ لتحديد الاختلافات المهمة بينما ينطوي الاقتراض في العصر الحديث على أن اللغات كافة تقول الشيء نفسه، ولذلك يمكن ترجمتها دون ضياع المعنى، كما يمكن استبدالها في النهاية بلغة كترية واحدة (وهذا اقتراح جاء به لينينغز في القرن السابع عشر).

إن رفض الشخصية القومية (العرفية، واللدينية، والإثنية، والجزرية) هو جزء من رفض عام للشخصية نفسها. ولهذا السبب أصر على أهمية الشخصيات أيديولوجيا، وعلى أن الهوية الشخصية مسألة تتعلق بالأسول وأدوار الجماعة (العائلة) أكثر من ارتباطها لها بالوجود الخاص المجرد أو المشاركة في التجريد الكبير للإنسانية. ومهما تحدثنا عن كورنا مجرد أشخاص طوبيين و«نحن» محابلتا بصفتنا كائنات إنسانية فردية، فإن هذه المطالبة الفارغة لا نفردنا إلى أي مكان، سواء سلمنا بموافقة الجماعة الثقافية أو رفضناها بشكل كارثي. ولا عجب في أن رد الفعل الأكثر توقفاً على تفكير «مقترن» كهذا هو الحلف الإكثري. أي إعادة تأكيد الاستقلالية المحلية، وسلامة العائلة، والفرق الثقافية، والاحتكامات الرومانتيكية إلى الروابط «الفامصنة» (وحتى «الروحية») بين الناس، والتي تبدو هكذا، لأن عصر التنوير قد أغفلها أو رفضها بشكل كامل. وقد

كان هذا الصدام جلياً حتى في القرن الثامن عشر كما هو الأمر عند الفيلسوفين الألمانين لومينغ وهيردر. فتنجية لصغرهما من سيطرة الدولة الفرنسية فقد أصدر - على اللقيض من الفرنسيين - على كمال الثقافات المختلفة وشرعية الأعراف والعادات المحلية. ومع ذلك فقد تمسك الفيلسوفان بالادعاء المتعالي، دون رغبة منهما في دفع إيمانها بالـ Volkgeist اللخثالي (أي «الروح للشعب»؛ نشب معين) إلى نهايته المتضادة للكونية. ولكلها على الأقل يستبدان خلا أيديولوجيا كبيراً في التفكير البرجوازي. فحتى أكثر الأيديولوجيات قدرة على التعبير والوضوح يمكن أن تغفل في رؤية ما هو جلي وواضح.

وإذا كانت هناك ميزة أخيرة مأفوة لدى جميع قراء المؤلفين والفنانين والشعراء والسياسيين البرجوازيين، فهي الأنا الذي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الأيديولوجيا البرجوازية؛ إنه إيمان بأهمية الذات بجولي في سبيل الذات الفردية، كما هو الأمر في الإيمان الرومانتيكي بالعجوبة، وفي الادعاء المتعالي حيث يرى المرء نفسه في شخصية الإنسانية جماعاً. ولكن مقال هذه العجوبة، هناك دائماً شعور بفقدان الأمان وأحياناً بالعمق الذي يشير الشفقة والذي تخفيه العجوبة. ففولتير لم يشك قط بمقلانيته، ولكنه كان يشعر في منظم مراحل حياته بأن الآخرين لا يأخذونه على محمل الجد، وكأنه مجرد مهرج برجوازي في مهرجان أرسطقراطي، مهرج فطن ومضحك. ولم يشك روسو مرة واحدة بكماه الداخلي الشخصي حتى عندما كان يلزم المجتمع بأكمه لإفصاده له وحقه إلى شخص كتاب وخطيب. ولكن كم يبحث على شخصية هذا الكائن الإنساني الذي يحتاج إلى دفاع من هذا النوع؛ أما إيمانويل كانت. الذي كان يجلس في شقته متشطحاً وعازباً في شرق بروسيا النائية. فقد عوض عن عزله تلك بسفره من الكون كله في دراساته النقدية الفلسفية. وإذا كان هيجل قد تماثل مع «السلطان» وإمعن التشايع كله في فكرة

## عصر التنوير



واحدة، فوجب أن ننظر إلى تكبره من خلال عقم فيلسوف ألماني مجرد من السلاح ورائع وسط الحروب النابليونية في وقت لم يكن لألمانيا (بما في ذلك بروسيا العظيمة) أي تأثير فعال.

بضع كلمات حول الديالكتيك:

كل فعل يقابله نقي، يبدو أن هذا قانون حتمي من قوانين الطبيعة.

### جوته

كانت الأيديولوجيا البرجوازية تؤمن بالتقدم، إضافة إلى الإنسانية والتاريخ. وبما كانت الاختلافات بين فئات ووجوه وكنائز وهيجل وماركس وحتى كوبرنكاري (على الرغم من أنه لم يكن مهذباً بذلك) فقد أمرو جميعاً بالتقدم. ولم يرفضه سوى شوبنهاور، ولكنه كان يعتقد أنه في غاية الأهمية لأن غيابه يدل على الضلال أي معنى للحياة. ويسمى الشكل المختلف للفلسفة لهذا التأكيد على النزاع والتمرد هو الديالكتيك. إنه مطلق يمتد ويتوسع ويغير مفاهيمه، ومن هذه الناحية يختلف عن المنطق الكلاسيكي الذي يصير على المعنى الدائم، والضمين الصارم، ويتجاهل السياق، ويكره للتناقض. وإذا كانت الرياضيات نموذج المنطق الكلاسيكي، فإن نموذج الديالكتيك هو البرولوجيا ومراضعها المنطقية بالطور والدم. إن الديالكتيك - الذي ينطلق من فكرة بسيطة وساذجة ربما، مثل فكرة الإنسانية - يحاول تطوير تلك الفكرة من خلال تغيير المفهوم لكي يجعله مناسباً لحقائق العالم ومليحاً مع أفكار أخرى، وتعديله بطريقة تجعله يكافئ عن كونه شعار مرافقين (كما حدث في بداية عصر التنوير) ويتحول إلى نظام أيديولوجي أساسي وجوهري. ومن خلال استخدامه بهذه الطريقة، يكون الديالكتيك تقنية ليس لاستكمال جذور للتناقضات داخل النظام (مثلاً، التوازن المتناسق بين الفردانية والاستبدادية السلطوية، والناقي عن النظريات السياسية البرجوازية)، وإنما لاستكمال جذور التناقضات الخارجية أيضاً (مثلاً، فشل الأيديولوجيا البرجوازية في

التحديثات علماً استخدمه نابليون مرة أخرى، ولم تكن أسطورة الفرد الطوبى في جوهريه، لتتحكم أمراً (١٧٩٤). إن خط سير التاريخ، الذي رسمه هيجل بدقة وعناية في سنة (١٨٠٦)، كان قد تلاشى في سنة (١٨٢٠)؛ كما أن ماركس في سنة (١٨٢٤)، الذي كان يكتب في فراغ من الرعي الاجتماعي، لم يكن على الإطلاق ماركس نفسه الذي رسم خطط الكومونات التجريبية الواقعية بعد ذلك بعدة عقود. الديالكتيك، بكلمات أخرى، هو تطور الأفكار من خلال تنقلها في التاريخ. ويمكن للمرء أن يسمي هذا «تقدماً»، ولكن أيضاً يمكن لأي طالب جامعي متشائم أن يشير إلى أن كل حقيقة من حقائق النمو في خطوة أخرى باتجاه الموت. ولكن هذا لا يجعله يرتد ولا ينقلب إلى شيء ملعن ثل الآخر.

إن لشيء الأفكار وتغييرها نتيجة واحدة تركب للدافعين عن المنطق الكلاسيكي بشكل دائم: وهي تكرار التناقضات الداخلية. ولكن كلما نزلت الاشتراكيين الشباب الذين يلجئون إلى آي إن آي راند بلا تردد، مؤمنون بأورثوكسوسيون يعتقدون بالإعدام الشديد، إلى آخر ما هنالك، وحقيقة أن أكثر البدائل وضوحاً لأية فكرة هي عكسها فحقيقة تنطق بالمنطق. وفي ديالكتيك التاريخ، إذن لا يجب أن يهدأ تحول فرنسا الثورية من للشعبوية الهامسة التي تتناغم حدود الفوضى إلى تكنانورية نابليون المطلقة التي تعطي بتأييد شعبي كامل، كما لا يجب على تحول ماركس الباكر من الشريعة الرومانية إلى الشريعة الثورية أن يدهش أحداً سوى أولئك الماركسيين الأكثر حداثةً للديالكتيك (وهناك كثير منهم). وغالباً ما يقال إن الديالكتيك يعني النزاع، ولكن هذا يغفل طبيعة ذلك النزاع بشكل كامل، حيث تشارك البدائل في قاعدة مشتركة وهدف مشترك. كمعصر التنوير والرومانتيكية، مثلاً، اللذين يهاملان على أنهما عدوان في معظم الأحيان. ومع ذلك، فهذا لا يعني أن لكل «أطروحة - طباق، «تركيب»، أكثر مما يعني الديالكتيك، «يسير إلى غاية محددة، بالتأكيد». فهو في الغالب الكشف المزعج عن قصورنا وإدعائنا.

تطوير توصيف مناسب للعلاقات الشخصية والمثالية، والجمعية). وبشكل مثالي، فإن الديالكتيك نظام يقدم توصيفاً لكل شيء، ولكن - كما بين ماركس وكوبرنكاري - من المرجح أن تتضمن هذه المثالية، بالنسبة إلى هيجل، خداع للذات أكثر مما تنطوي على الكمال. ولهذا السبب فإن الادعاء الضعيف هو ادعاء بالفضل: فالديالكتيك لانهاية له. إذ لا توجد ضمانات على الاتفاق لانهاية للاتصالات. فالعامة «الإنسانية» - أي الحياة - سوف تكون على الدوام متسامداً بين الاختلافات.

ومع ذلك، فكلما تناول الديالكتيك بصفته «مطلقاً»، فأنا لا أعني أن الفيلسوف يمشي ويرسم مخططاً لخطوط مختالية. فالمناطق الذي يسمي وراه هو منطق الأيديولوجيا، منطق يتطور عبر التاريخ، ليس تبعاً لنزوات الفلاسفة وأهوائهم، وإنما تبعاً لحاجاته وقبوه هو. إذ يمكن لنظام من الأفكار أن يبقى كما هو في كتاب ما لمدة قرون، ولكن الأفكار في التاريخ تخضع لواقع نتائجها. ويمكن لكتاب روسو - المعقد الاجتماعي، أن يصر بعد محاضرات عديدة في جامعة أكسفورد، ولكن لم تكن هناك طريقة يسممر من خلالها أكثر من الثورة الفرنسية التي كان إلهاماً لها واستخدمه روسو سيور وآخرون بصفته إنجيلاً تقريباً. ولم تكن أفكار هذا الكتاب إلى تصمد في وجه

وبناءً على فكرة الديالكتيك قمت بتكوين هذا الكتاب حول شخصيات وحركات، بدلا من أن أسمح لنفسى التمتع برفاهية مقالة فلسفية مطولة. فالفلسفة أيضاً تميل إلى ما هو محتمل وكوئى، أما الدراسات التاريخية للتعريفية فهي محدودة بطبيعتها. وإذا كان الأمر كما أزع، أى أن الادعاء المتعالى بشأ بصفته موقفاً مميزاً لمائلة متباينة من الشخصيات، فخطية إذن أن يظهر هذا بنفسه. لقد حاولت تقديم كل شفعية وكل حركة فى سياقها، بما فى ذلك كثير من التفاصيل التى لم تكن لتظهر مرتبطة بموضوع فلسفى أولاً ذلك، لى تعرض أيدولوجيا الادعاء، وعزلة المدافعين عنه وشذوذهم، والإيمان الكوئى بالإنسانية الذين يشتركون به. ومع ذلك أعترف أيضاً أن هذا الكتاب تجريد وحجب ردىء لقرن من الانقطاعات والانمرافات؛

وإذك فإنه يشكل جزءاً من الادعاء الذى يحاول دراسته وتحليله. ■

## هوامش

### \* من كتاب:

Robert c. Solomon, *The Bully culture; Enlightenment, Romanticism, and the Transcendental Pretense 1750-1850* (Maryland: Littlefield

Adams, 1993) p.3-19.

(١) بالنسبة لقراء غير الألمان، يخلق مفهوم Geist عدد هيجل صعوبات كبيرة تبدأ من ترجمته. فالكلمة معروفة وشائعة فى الألمانية، ولكنها تحمل معنيين مختلفين شاملاً على الرغم من ارتباط أحدهما بالآخر. فهى الكلمة التى يستخدمها الألمان للإشارة إلى، العقل بمعنى أن عقلنا مختلف عن

جسداً. فالمرض العقلى، مثلاً، هو Geis-teskrankheit. ومع ذلك يمكن أن تعنى Geist «الروح» أيضاً بمعانيتها المختلفة. وهكذا فإن «روح العصر» هى der Zeitgeist، بينما تنحصر الثالث من الثلاث المسيحية، أى «الروح للقدس»، هو der Heilige Geist. والمشكلة تكمن فى استخدام هيجل للكلمة؛ لى بعض الأمثلة يستخدمها كما تستخدم كلمة «عقل» رلى سياقات أخرى يستخدمها كما تستخدم كلمة «روح»، وفى أماكن أخرى يكون استخدامه لها حاملاً للمعنيين معاً، أى «العقل» و«الروح». (م).

(٢) للشخصيات التى يتناولها سولومون فى كتابه هى: فولفجر، رومر، هوبم، ساد، كائط، جوت، نابليون، داليد، جريا، هيجل، بوشهوفن، إنجرس، ديلاكروا، ماركس الشاب. وكيركجارد. (م).



## نهاية الفلسفة



تبين الدراسة المترجمة لهيه ماديلين ناش أن الحياة ترسخت على الأرض بعد مليون واحد من السنين بعد تكوّن الأرض ، أي أن التطور كان أسرع بكثير مما كان متوقّداً من قبل. ولم تنبثق الحياة من أحوال هادئة وإنما تحت سموات جحيمية لتكويب تضنيه البراكين. وكانت القوى التي أعطت البزوغ للكانات العضوية الحية الأولى من العفوان بحيث إن الحياة لم تبدأ مرة واحدة وإنما على مراحل حتى استولت على الكوكب واستعمرته. لذا ليست البداية ولا النهاية فصلاً فجائياً وإنما هما عملتان متصلتان متواصلتان أيضاً.

**ف**لم يكن الجزء شيئاً حياً، على الأقل بأى معنى معاد للحياة. إلا إن سلوكه كان مشابهاً لسلوك الأحياء على نحو مذهل. عندما ظهر هذا الجزء فى أبريل ١٩٩٥ فى معهد بحوث «سكريس» فى «لاكروا» بولاية كاليفورنيا، ظن العلماء أنه أفسد عليهم تجربتهم. إلا إن هذه القمصاة الموثقة معبأً من الآن إن إيه RNA J الممض الدوى الرايبوزى Ribonucleic acid - الرايبوز نوع من السكر\* ، الذى هو أحد الجزيئات الأساسية الحاكمة فى ترات جميع الخلايا، برهنت على كونها موهوبة على نحو غيرمألوف. فى خلال ساعة من كونها تولت قيادة المادة العضوية الموجودة فى أنبوب الاختبار ذى حجم قمع الخياطة، وبدأت فى عمل نسخ من نفسها. ثم بدأت النسخ تصنع نسخاً. بعد قليل بدأت النسخ فى التطور، مبدية التفرقة على أداء حيل كيميائية جديدة وغير متوقعة. ووجد العلماء الذين تفكّهم للمفاجأة والإثارة، ممن شهدوا هذا الحدث، وجدوا أنفسهم يتساءلون: هل هذه هى الكيفية التى بدأت بها الحياة؟

إنه سؤال يُعاد طرحه مرات ومرات كلما انتشرت أخبار مثل هذا الجزء البارز وأمثاله عبر العالم العلمى. فلم يحدث من قبل قُبَدَ أن كانت المخلوقات المخترية بالغة للتقرب من عبور العتبة الفاصلة ما بين الحياة والإلا حياً، ما بين اللرب والموت، كما هى هذه

# كيف

# بدأت

# الحياة

## جيه. ماديلين ناش

## ترجمة: مدحت محفوظ

الدوى الرايبوزى اللاأوكسينى deoxy ribonucleic acid، الشفرة الوراثية فى جميع المخلوقات عظيمة كانت أم صغيرة.

يعتقد **جويس** وغيره من العلماء أن مثل ذلك الجزيء بزرغ فى منطقة الشفق المظلمة، حيث تنقش، إن لم تختف فى نهاية المطاف، إمكانية التمييز بين الحياة وللحياة. صحيح أن العملية السحرية الكيميائية التى تنتقل من إحدى الصفتين إلى الأخرى، لا تزال غير معروفة بدقة، إلا أن العلماء عبر العالم يحاولون على نحو محموم تفهيمها طبق الأصل. ويتنبأ **جويس**، إنه فى وقت ما ربما قبل نهاية القرن، سيكشف، واحد أو أكثر منهم فى خلق الجزيء، «الحى» وعندما يحدث ذلك فإن أحد أكثر الأسئلة إلحاحاً على الإطلاق، سيحول إلى نفس حاد للسماء: هل كانت الحياة محجزة بعيدة الاحتمال حدثت مرة واحدة لا تتكرر؟ أم أنها نتيجة لإجرائية كيميائية ما، بالغة الشروع، بل حتى يصعب تقاوى وفهمها، بحيث إن الحياة لا تكف عن الإبداع طوال الوقت عبر الكون الجامع كله؟

بين جميع الأحاسيس التى رجّت الخيال الإنسانى، لم تستغل أبداً منها التأملات العاطفية الشعرية، أو الرغبة الدنيوية، أو منطلقات لا تتسوق أبداً، أعظم من هذه الأهمية. إن فى كل الزمن - وباستثناء لحظة الانفجار للكبر، التى بدأ بها التكون الجامع - لا توجد برهة يمكن أن تكون أكثر مركزية لفهم الطبيعة، من لحظة بدء الحياة. إن النظريات العلمية، فى هذا الموضوع ترجع فى التقدم إلى بداية الحضارة نفسها. لقد آمن المصريون القدماء بأن الضفادع والعلاجيم فيزغ من الطمي المشرىب عن فيضان النيل. وكان من تلاميذ الفيلسوف الإغريق أرسطو أن الحشرات والديدان قد ولدت من قطر الندى والطين، وأن الفئران تولدت من القربة المسلطة، وأن ثعابين الماء والأسماك قد أُلهمت خاراجة من الرمال والبرمل والمخالب المتعنتة. فى القرن التاسع عشر كان يعتقد أن الكهرباء والمغناطيسية والإشعاع لها القدرة على تنشيط المواد غير الحية.



داروين

لقد دفع تصور أن الحياة بزرغت بسرعة وسهولة، العلماء لأن يحاولوا للقيام بمأثرة متعمقة: إنهم يريدون خلق الحياة - الحياة الحقيقية - فى المختبر.

إن ما يدور فى أذهانهم ليس شيئاً من قبيل مسخ فراكتشتاين، عبارة عن قطع ملمعة من أجزاء الجسم، ترتج إلى الوعى من خلال زخات البرق، لكن شيئاً أكثر شبيهاً بذلك الجزيء فى أبواب الاختبار ذى حجم قمع القياطة فى معهد بحوث «سكرين». إنهم يريدون الرجوع بمقارب الزمن كل ذلك الطريق عروبة إلى البدايات، وخلق كيانات يقارب أول وأكثر أشكال الحياة الأولية. ربما كان هذا السلف الأقدم - كما يعتقد **جويس** - هو بشير أبسط وأضعف من الآر (إن - إيه) المعاصر، الذى يحمل بالمشاركة مع ابن عمه (دوى إن إيه) (D.N.A) للحمض

المرء. لقد بدأ الأمر كما لو كان أشد أسلماً قاعدية عن تكون وكيف جلتا هذا، قد تمّ تطويرها إلى مجرد كيانات أشبه بفنل رفيقة أصغر من عبارة تراب. فى زهوة البحوث الجارية حالياً والمناظرة الفلسفية التى لا بد حتماً وأن تبنيها. وجد العلماء أنفسهم وجهاً لوجه فى مجابهة أحد أقدم ألغاز الأرض - ما هى بالضبط الحياة؟ وكيف بدأت؟

الإجابة العلمية عن هذين السؤالين لم تكف عن التغير، بل والتغير السريع. ذلك أن الدلائل الطازجة لا تكف أن تصب قائمة من حقول بالغة اللبائين، مثل ترسيم المحيطات والكيمياء الجيولوجية وعلم الفلك. وهذا الصيف بزرغ اختلاف. وإن كان بعد سطوحاً بين الأفكار الجديدة، ذلك فى لقاء دام أسبوعاً فى برشلونة بأسبانيا حول أصل الحياة. ما أصبح بادياً الآن، إن الحياة لم تكن تتسكع عند رواية البداية، بل انفتحت للأمام بأنصى ركض ممكن. قدم **جيه. ويليام سكوف**، عالم البيولوجيا الفائرة من جامعة كاليفورنيا بولس أنجيليس (أركلا)، تقريراً عن المدور على طبقات حفريات لجماعات ميكروبية زاهرة، على هيئة شطيرة ما بين طبقات صخور عمرها ٣,٥ بلون سنة - هذه - وجانب الألة الأخرى - تبين أن الحياة شيء قد ترسخ على الأرض بعد بلون واحد فقط من المئتين بعد تكون الأرض، أى أن التطور كان أسرع بكثير مما كان معقفاً من قبل. إن الحياة لم تنبثق تحت أحوال هائلة حنون، كما قد افترضت ذلك مرة، بل تحت السماوات الجحيمية كركب يعتبه اندلاع البراكين، ويشير فزعه قصف للمذنبات والجليمات المستمر له. بل فى الواقع ربما حمل هؤلاء التدخل معهم من الفضاء الخارجى المواد الخام الضرورية للحياة. لقد كانت القوى التى أصطت البزوغ لتلك كانت العضوية الحية الأولى من العفوان، بحيث كان من الممكن كما يعتقد كثير من الباحثين أن الحياة لم تبدأ مرة واحدة، بل مرتت ومترت قبل أن «تستولى» على الكوكب وتسيطر نهائياً.

## كيف بدأت الحياة

الجديدة. إن النسخة السوارة من قصة الحياة، هي حكاية معقدة تحفل بالعديد من الحقائق الجامدة، وعديد من الفجوات، لكن لا يوزعها أبداً النظريات المتناقضة التي تريد من القطع المفقطة من الصورة.

كان يا ما كان ..

كان يا ما كان، قبل 500 مليون سنة أو نحوها، أن تشكل النظام الشمسي داخل شريحة من الغاز والغبار. بعض الأجسام الصغيرة تشكلت أولاً، ثم راحت تصطق بعضها البعض لتشكل الكواكب. في ذلك الوقت المبكر، حوت الطاقة المطلقة نتيجة هذه الصدمات، الأرض على كرة منصهرة.



في البليون عام التالية، راح مجال الجاذبية الثقالية لهذا الكوكب الشاب، يجذب صنوف القمامة السماوية كافة. وراحت المذنبات comets مزمنة البرودة تزعق من أبعد أطراف النظام الشمسي لتهوى إلى هذا الكوكب، بينما تطلب النجوم astro-ids والبروزيكات meteorites لتقصفه كما قابل مليونية الأطنان.

رما كان حجم بعض هذه النجوميات يوازي قارة بكاملها من قارات اليوم، كما يقول عالم الكواكب كريس توفلر كايبة، أحد متسببه هذه النجوميات كان كافياً لتجخير التصفّر، وعلى المحيطات، وأن يطرح إلى للغلاف الجوي بأكثان مسجلة لتهايا بمرارة بغار لاه. مثل هذه الذكيات رما محقت الأشياء الحية السابقة عليها كافة.

لأنه لا يمرور هذه البليوسون الأولى للعصيبة، كان قد تم كس كل النظام الشمسي، وصار شبه نظيف بالكامل، وتوقف التصفّر الأولى، وكانت الحياة قد ازدهرت بالفعل. لقد ميز سكوف الدايغ لأركلا، طيمات لأجد عطر نمطاً معظماً من الكائنات العنصرية الفيكروبية في صخور غريب أستراليا البالغة من العمر 3.5 بليون سنة. إن عذبنا من هذه المفقريات مماثل عن كسب للدوع الحوي species للمتطلبات للضخماء المزعقة التي توجد عبر العالم كله اليوم. لكن

جول كامل، تكمض الآن للهجوم. فالزيتي الجديدة حول تشكل الكوكب جعلت موضع شك متزايد أن سحب السيلان والأمونيا قد هيمنت أبداً على جو الأرض الأولى. وبالرغم من أن تهرية سيولر الشهيرة قد أنتجت مركبات بروتينية، إلا أن المزيد والمزيد من الباحثين يذموا ويعتقدون في أن جزيئا وراثيا أستاذيا. من المحتمل أنه الأثر. إن إيه. قد بزغ قبل أن يوجد البروتين نفسه.

في الوقت ذاته برهنت المفقريات الأقدم والأقدم على كل شيء، إلا أن تكون الحياة قد تطورت بذلك الإيقاع المسترخي الذي تخيله داروين. رما كان أكثر الاكتشافات خائفاً للكواب، هو اكتشاف تلك الكائنات العنصرية التي تعيش في البيئات الساخنة في قاع المحيطات، والتي أمنت ببدول ستايكوسكي للصورة الدارونية الهائلة (ستايكوسكي Styan- gian نمبة إلى نهر ستايكس في الأساطير اليونانية، المدون المقيض والسخيف. المسترخم.

وكما يقول كارل ستيفن من جامعة رويجنسبورج في ألمانيا، فإن الحياة ربما لم تتشكل في بحيرة راكدة دافئة لطيفة، لكن في حلة طهو عالية الضغط ملاهية.

لكن إذا كان الطعام قد طرحوا جانباً، وعلى نطاق واسع، تلك الأفكار القديمة، فإنهم لم يصلوا بعد إلى تراخي حول الأفكار

واحتجاج الأمر للجبروت الفكري والمفهمي لتشارلز داروين، لتحويل سيناريو بيولوجي متقن لانتقال الحياة. وفي خطاب له كدور ما يستشهد به، كتب داروين عام 1871، مقترحاً أن الحياة بزغت في بركة راكدة صغيرة دافئة، حيث إن الاختصار الثري للمواد الكيميائية العنصرية عبر حقب زمنية بالغة الطول، رما دبا بالبقطة في الكائنات العنصرية البسيطة الأولى. وعلى مدى قرن كامل توسعت فرضية داروين المقبولة هذه، من خلال عدد من المنظرين، وتحولت إلى التفكير المهيمن على الموضوع ككل. وقرر الباحثون أن تلك «البركة الراكدة» ليست في الواقع سوى السميط، وراحوا يحاولون تشخيص من أين جاءت اللبانات الأولى البالية للحياة.

في عام 1953م، جاء ستانلي ميللر طالب ما بعد التخرج في جامعة شيكاغو، بأول دليل تجريبي مقبول على نطاق واسع. لقد خلق في برطمان زجاجي نسخة القصص التكميلية المصورة من الأرض البدائية: الماء عوصاً من المحيط، والبيثان والأمونيا والهيدروجن عوصاً عن الغلاف الجوي، زائد شر كهربائي عوصاً عن البرق والصيغ الأخرى من الشحنات الكهربائية، بعد أسبوع وجد ميللر في برطمانه كتلة لزجة من الكيمواويات العنصرية، تضم كميات ضخمة من الأحماض الأمينية، التي هي اللبانات البنائية الأولية البروتين التي تصنع منه الخلايا الحية. وهكذا أطلق ملف القضية، أو على الأقل بدحو شبه كامل، ذلك حسب ظن معظم العلماء الدواعي أنهم أنفسهم كانوا واقعين بدرجة أو بأخرى، تحت إرباب الفكر العلمي الذي يعتبر الحياة معجزة، وبالتالي كان مجرد إسماهم بخيف ما، كافياً في نظرم كحل أبعد وأخير للفرز اليوم على الممكن وماي العلم من فائض في نظريات نشأة الحياة، بل وحتم أن تكون جميعاً صحيحة. المخرج.

هذه الصورة المدرسية لنشأة الحياة، والتي صارت مألوقة لدى طلبة الكليات منذ



الصخور الأقدم في جرينلاند تومى، إلى وجود حياة خلوية وجدت قبل ذلك بـ ٣٠٠٠ مليون سنة، أى ربما منذ ٣٠٠٠ مليون سنة.

ويعتقد العلماء، أنه في ذلك الوقت، كانت النجوميات المهددة للحياة لاتزال تنكم الأرض. ويقدّر فُهرن أوبهريغ وزملاؤه من مركز بحوث «آسوس» التابع لإدارة الطيران والفضاء القومية للولايات المتحدة، أن النسخة ما بين ٣.٣ سنة، وهي فترة أقصر بكثير من أن تضع الحياة فترة حضانية مسترخية كافية. هذا يعنى كما يقول أوبهريغ: إن الكيمياء الضرورية لاختزال الكربون لابد وأنها كانت سريعة، ولابد وأنها كانت بسيطة أيضاً. ويسأل: إذا كان هذا ما كانت عليه الحال، فما المانع أن تبرز الحياة مراراً وتكراراً؟

#### نقطة الأصل

لكن أين يمكن أن تكون الحياة قد أُنشئت، وظلت في أماكن نائية من كل شيء، إذا ما استثنينا النجوميات الباقية للشمس؟ بحثاً عن الإجابة راح باحثون عديدون يظلعون إلى بلى غريبة لتُجيب بالداخلين وجدت في أعماق المحيطات، هذه البلى تجلس فوق قمة شروق في قاع المحيط، تعرف باسم الكرات الحرارية المائية - hydro-thermal vents، التي تفر إلى غرف تحت أرضية من الصخور المنصهرة. النتيجة هي فواررة تحت مائية؛ ماء بارد يغطى صخر بعض للتشقق، وماء ساخن يندفع من أخرى. قبل ١٥ عاماً، عندما بدأ العلماء يستخدمون الفواصات لارتقاء هذه البيئة بأداة الصاعدة، ذهلوا لاكتشاف نظم بيئية كاملة ومعقدة، حافلة بالكائنات العضوية الغريبة، بما فيها ديدان أنبوبية عملاقة، وجمبريات عمياء، وغيرها. بل وكان الأكثر مدعاة للإثارة طبقاً لتحليل الآثر. إن إسهامها، إن كانت تلك الكائنات العضوية الميكروبية أشكال الفسفور، التي تلوث بالسلال الغذائية هذه المحيطة بتلك الكرات، هي أقرب همزة وصل لأول كائنات وجدت

على الأرض (في الحفريات). المصيح الوحيدة الأخرى من الحيوانات البائدة، هي للميكروبات التي تعيش على سطح حمامات البخار مثل بويور أوكوتوبوس في حديقة ييلوستون القومية في أمريكا (نقح في اللقاء ولايات داكوتا ونيويورك ووايادو، وتضم أنظم مختلفة للفرارات في العالم، وتبلغ مساحتها ٩٠٠٠ كيلومتر مربع. للترجم).

هل يمكن أن تكون هذه البقع زائدة السفوية هي الأماكن التي استجلت الحياة على الأرض وجودها فيها؟ الواقع أن فرضية «العالم الساخن» هذه، وجدت عديداً ممن حولوا عقيدتهم إليها. يرى نورمان بيس عالم الأحياء الميكروبية في جامعة إنديانا، أن القشرة الأرضية الرقيقة كتركيب الأرض الأولى، كانت عرضة للكسر شاماً كما فترة البينة. ومن ثم ربما ألقت للفتحات الحرارية المائية، أكثر بكثير مما هي عليه الحال الآن. ويمسب الكيميائي الجيولوجي إيفيسريت شوك من جامعة واشنطن أن الكائنات العضوية عالية الحرارة يمكنها الموصول على الطاقة الإضافية من المواد الغذائية. ويقول: «كلما كانت الحياة أسخن، كلما كانت أسهل، (حتى نقطة معينة بالطبع، فلم يجد أحد حتى اليوم ميكروباً يعيش في ظروف أسخن من ١١٢ درجة مئوية).

لكن يظل السؤال: هل نشأ أصل الحياة في تلك الفتحات، أم مجرد أنها هاجرت إليها؟ ربما لم تكن الفتحات مهداً، إنما مجرد مأوى من العفائر الجارية، لجأت إليه الكائنات العضوية، التي تولدت بالقرب من سطح المحيط، ثم انتشرت للقاء. وهناك، وتحت حصى آلاف الأمتار من المياه، ربما نجح هؤلاء الهاربين المحظوظون في البقاء على قيد الحياة، عبر سلسلة من الصدمات القادمة من خارج الأرض، والتي قُلت آثارها الذين كانوا أقرب إلى السطح يسعون للاستمتاع بضوء الشمس، فأباندتهم عن آخرهم.

#### المكونات

أوحث تجربة برطمان ستانلى مزلل للزجاجي قبل ٤٠ عاماً، أن مكونات الحياة قد تم تصنيعها بسهولة من غازات الجو.

والظروف التي أعاد ميلل خلقها في المختبر، عكست بأمانة الحكمة المائدة في عصره، والتي كانت تتمسك بأن الأرض قد تشكلت على نحو تدريجي، يكاد يكون تكافؤاً رقيقاً ما بين الصخور وبقع صفيرة من الأتربة ترسبت عليها بفعل الجذب التفاضلي، تباً لهذا النموذج، بدأت الأرض باردة، ولم تدب الثيران في طبقاتها السفلية إلا بعد ذلك بكثير، بعد أن أدى بوهل تعال العناصر النشطة إشعاعياً، إلى تشفير «ثرموسفات» للرب المعيق للأرض. من هنا، فإن العناصر الثقيلة كالحميد لم تنسهر من فوراً وتغوص إلى اللب، لكن بقيت قريبة إلى السطح لمئات الملايين من السنين.

لكن لماذا يعتبر هذا مهماً؟ السبب هو أن الحديد يتشرب الأوكسجين، ويحميه من التآكل مع الكربون لتكوين ثاني أكسيد الكربون. بدلاً من هذا استغرقت الأرض الكربون. وبكذا الهيدروجين. في خلاصها الجوى، عبر البراكين الأولى، وبات متاحاً بالتالي للكربون أن يتفاعل مع الهيدروجين. النتيجة كانت مصسفة سديدة: تكون الميثان والأمونيا، الغازات التي أنتجت لتجربة ميلل أن تشق طريقها.

يقول كاهيا: إن ذلك كان «تصويرة جميلة»، إلا أنها سره الحظ قد تكون خاطئة. وحيث إنه يعتقد حالياً أن الصدمات الخفيفة لازمت ميلاد الأرض، فإنها قد تكون تسببت في صهر الحديد وأرسلت به لهالوة الأعماق. وتنتيجة هذا فإن الغلاف الجوى المبكر للأرض، ربما كان مكوناً على نطاق واسع من ثاني أكسيد الكربون، والمركبات العضوية شيء لا يسهل توليده في وجود هذا الغاز.

من أين إذن جاءت اللبانت البانسية للحديد؟ يعتقد كثير من العلماء، أن من المحتمل جداً أن المركبات العضوية نقت عبر المنيات وللجيمات والفريزكات، هذه نفسها وبالتحديد، التي جفت من وجود الحياة شيئاً بالغ الصعوبة آنذاك. في جامعة كاليفورنيا في ديفيز، استخرج عالم الحيوان ديفيد فرييهر من اللوزيات مواد عضوية تشكل غشاء أشبه بغشاء الخلية. كما أنه عزل

## كيف بدأت الحياة



icles، ربما وفرت التهيئة المثالية للتفاعلات الكيميائية، وربما كانت بشائر الخلايا الأولى. ويؤكد مورفويتش: «بمجرد أن تحصل على هذه الحويصلات المنفصلة، فأنت في طريقك للحياة».

رغم هذا، أيهما جاء أولاً الغشاء الخلوي أم الأضواء؟ يعتقد وكول برامات الاختراع من ميونيخ جوتشر فاكترزهاوس الذي هو أيضاً كيميائي نظري، في أن ما نسميه حياة، قد بدأ كمسألة من التفاعلات الكيميائية بين جزيئات عضوية مفكحة معينة. وبدلاً من أن تنطلق على نفسها داخل غشاء، يقول: إنها ربما التصقت كما مجموعة دبابيس غرزت في مخدة فوق سطح مادة ملائمة. والمفاجأة التي يرضعها فاكترزهاوس لذكرن مادة لهذه المسألة كلية الأهمية هي الهيرابرات أو ذهب الصمقي. إذاني كبريتات الصديد والمستخدم في تصنيع حمض الكبريتيك، فيما إن تلك البلورات الالاحة تعمل شحنة كهربائية موجبة، فإنها تستطيع جذب الجزيئات العضوية سالبة الشحنة، وتضعها قريبة من بعضها البعض بما يكفي للتفاعل معاً. ويعتقد فاكترزهاوس أن تلك التفاعلات قادت لتعصية شيء ما أشبه بالتركبات الانتحالية العضوية - photosyn- thesis [وأشهرها الكلوروفيل].

على أن أحجية كيف وصلت تلك الجزيئات إلى إعادة إنتاج نفسها، لا تزال بلا إجابة حتى الآن. يعتقد إيه. جي. كايبرتز-سميث من جامعة «جلاسجو»، أن الإجابة قد لا تقع في ذهب الصمقي المتخالي، إنما في النظمي للصادق. الذوائق أن كشيبر من الفرصيات الواردة في هذا المقال ليست جديدة كما قد يستلح بعض القراء. مثلاً النظرية التي وضعها العالم الأيرلندي جون برنال في أركان الستينيات. وهي واحدة نشت زخماً من النظريات في الفمسيديات. كانت تدمج معاً فرصيات المذنبات الكربونية، والرماد الكوني، والغازات. استظمها عن أبحاث النيوزيلاندي ويلسون، فضلاً عن التخرم البلوري وتجربة ميللز، وأخيراً النظمي جوهر نظريته. أما أفكار أخرى كالبيرايت،

التهلث في مختبر لورانس بيركلي، أن فقااعات السحيط قامت بدور مفاد كيميائي معتم. ويلاحظ لورمان أن الفقااعات شيء كلي جامع. في أي وقت، نجد أن ٥٠ ٪ من سطح السحيطات مغطى بالغازات. بالإضافة لهذا تمل الفقااعات للعلمة وتركيز عدد من الكيمويات الجوهرية للحياة، بما فيها المعادن متفيلة للذهب مثل النحاس والزنك، والأملاح كالنوسفات وغيرها. وأفضل شيء إله عندما تتفقق الفقااعات فإنها تلفظ الجزيئات المتراكمة فيها إلى الجو، إلى المكان الذي يشعر كخبر من لطماء أن أهم عمليات الكيمياء إطلاقاً تقع فيه.

يشك عالم الأحياء هارولد مورفويتش من جامعة جورج ميسون في فيرفاكس بولاية فوججيا، في أن الحياة برغت في مختبر كيميائي أقل زوالية من فقااعة تتفقق. ويركز البورة على الجزيئات جانوسية الوجوه لنسبة إلى جانوس الإله الروماني ذي الوجهين [الموجودة في الطبيعة والسماة محبات الير- ماء amphiphiles. لهذه الجزيئات جانب وثيق الألفة مع الماء، وآخر شديد النفور منه. وعندما كانت هذه الجزيئات تتفقق في السحيطات البدائية، فإنها ربما ألغت الجوانب لكارة للماء فيها، من خلال التكرر لدخل كريات دقيقة. هذه الكريات المعروفة باسم الحويصلات Ves-

أصباحاً صفراء باهتة قادرة على امتصاص الطاقة من الضوء، يعتقد ديريير أنها إحدى بشائر الكلوروفيل.

على أن كمية المادة العضوية التي يمكن أن تعملها الدوزيكات، هي بالغة السفر جداً. كما يعتقد كثير من العلماء - من أن تفرح حياة على الأرض. لهذا السبب يجادل كايبا، بأن المورد الأكثر أهمية بما لا يقارن، ربما كان الجسيمات بين الكوكبية الطافية هنا وهناك وقت تشكلت الأرض. ويلاحظ أنه حتى اليوم لا يزال عدد لا يحصى من هذه الجسيمات الدقيقة العائمة. أو القادرة على حمل - حمولة كاملة من المركبات العضوية، ويسقط إلى الأرض كندف جليد كونيية. والكتلة المصمعة لها تفوق وزن الدوزيك الصغرى الموائى لجم كرة القدم بسبة ١٠٠٠٠٠ إلى واحد. ومن الجائز أيضاً أن المذنبات - وهي سوداء بفصل الكربون - كانت تملل فيضاً أسهم في تكوين تلك المادة الخام. لكن ما إذا كانت المذنبات قد ساعدت في إطلاق شرارة للحياة أم لا، فإن أحداً لا يعرف، ذلك أن الاختلاق wakeup الكيميائي لها مازال لغزاً لحد كبير.

أيضاً ثمة إمكانية أخرى: أغراض [أجسام] كبيرة ترتبط بالأرض، أمكن لها أن تغير تركيب الغلاف الجوي على نحو ذي شأن، وإن كان مؤقتاً. ويدفع كهيون زانلي من مركز بحوث «آسيو، الدابع، للناسا، قائلاً: «دع نجمة حديدية كبيرة تضرث الأرض، وسوف تجد تأكيداً عدداً من الأشياء المبدرة للاهتمام، ذلك أن الحديد سوف يتفاعل مع كل الأشياء التي سيضرب فيها. ويتراعى لمزائلي أن مثل تلك الأحوال ربما خلقت مؤقتاً الغلاف الجوى المعيا بالميذان الذي تغيله ميللز.

### المختبر الكيميائي الأولي

لم تعط بدايات الحياة بمناقع كالتي حظى بها ميللز مثل القوارير الزجاجية وأنباب وقان الاختبار. إذن كيف جلبت الطبيعة المكونات الصحيحة للحياة معاً وفي موال مرتبط؟ اقترح مؤرخاً لويز لورمان -

والقوارات، والحياة تحت قصف الحجمات العملاقة، فهي أحدث نصيباً. المترجم، إن بداية أنواع محبوبة من الطمى تكرر ذات التورالب البلورية مراراً وتكراراً. والأكثر أهمية، أنه عندما يحدث قصور معين، فإنه يتكرر من أنفد فصاعداً، وكأنه أقرب للنظر mutation في إحدى فعل الد (دى) إن. (إيه). وبينما يعتقد بعض قليل من العلماء، بأن مثل تلك المواد غير العضوية هي محمل حية في الواقع، يأخذ عدد منهم على محمل الجد تماماً فكرة أن الطمى أو البللورات المعدنية، قد قامت بدور تورالب السب الجزئية التي تصانرت فيها اللبانات البالية للحياة، وأنها هي التي نظمتها في مصفوفات باقية الدقة.

### الأسلاف الجزئية

حتى لو قبل المرء حقيقة أن الجزينات العضوية يمكن أن تنظم نفسها عفوية، والأبعد أن هذه الجزينات يمكن أن تعيد إنتاج نفسها عفوية، فإنه نفل هناك مشكلة الدجاجة - و. البوصة الأساسية. الفلخايا المصاصرة مصورة من البروتينات، والطحبات للزرقاء ذات الرسوم المفسكة الدهائية) من هذه البروتينات، توجد في الفلل الطويلة الد (دى إن إيه) والد (آر إن إيه)، لكن هذين المصممين لا يمكن تصليهما بدون مصدر راف من البروتينات، التي تقوم بدور العامل المساعد في إجرائية الإنشاء. كيف إذن يمكن للأحماض النووية أن تبدأ بدون بروتينات، والعكس بالعكس؟

تم وضع أحد الحلول قبل عقد من السدرات، عندما اكتشف الباحثون أن جزيات محبة من الد (آر إن إيه)، يمكن أن تقشط كطبعات زرقاء وكوماول وسبطة، حافظة لفعالات تجرى بينها هي نفسها وبين جزيات أخرى. حتى تلك اللحظة، كان العلماء يعتقدون أن أحماض الد (آر إن إيه)، لا تعتمد مجرد رسل جزئية تحمل التعليمات الوراثية من الد (دى إن إيه) إلى مصانع بروتين الخلية. لكن فجأة بدأ للنظر (لسلار إن إيه) تحت ضوء مختلف بالكامل. إذا كان ممكناً (لئار إن إيه) أن

يكون عاملاً مساعداً للفعالات، ربما يكون في لحظة ما في ماضيه، قد همز صورة طبق الأصل من نفسه. وبالتالي أصبح أكثر من مجرد وسيط لحساب الدى إن إيه: لقد أصبح السلف الأكبر له!

طبقاً لخط الإرشد والاستنتاج هنا، فإن الكائنات العضوية الأولى عاشت في عالم الأثر إن إيه، أما (الدى إن إيه)، فلم يلمى إلا عندما أصبحت الحياة تسمى لتخفيض سرعة المرور في بوابات طريق التطور غير منضبط السرعات.

بينما كان جويس من معهد بحث سكرابس، يبحث عن البشور الأقدم للحياة في أربيل الماضى، تصحر في ذلك الجزء الذى راح ومليه بالآمال. فجأة تملقت قطعة صغيرة من (الأثر إن إيه) الموثق معلناً، والتي كانت ترتطم جيئة وذهاباً في أنبوب الاختيار، تملقت في قطعة من البروتين، وراحت تخوض سباقاً طويلاً من خلق نسخ لا نهائية طبق الأصل من نفسها. ونهله ما، بدت بداية هذا الجزءء قريبة من الانطلاقة التي كان يبحث عنها جويس.

فالجزءء. كما يقر- ليس حياً. ورغم أنه يبدو شيئاً سحرياً، إلا أنه لا يستطيع حمل نسخ طبق الأصل من نفسه بدون مصدر ثابت من البروتينات سابقة للتصنيع. ولوصيف جزئية ما بأنه حى، فإنه يحتاج للقدرة على إعادة إنتاج نفسه بدون مساعدة خارجية. إحدى الخطوات المهمة في هذا الانتهاء قام بها مؤخرًا جاك زوستاك عالم الأحياء الجزئية في هارفارد، وتلميذه الفرج ديفيد بارثل، للذان حاكيا الكيمياء النجيبة لأرض البدائية، من خلال التوليد العشوائى لبروتينات من فتل (الأثر إن إيه) - وفى وقت ما حصل العلمان على خمس سمات جيدة منها، قادرة على إلحاق نفسها بفتل أخرى عاتقة في ذات أنبوب الاختيار. لإجرائية الرسل هذه كما يشرح زوستاك، هي عملية حرجة ولا بد منها لتشكيل جزينات معقدة من اللبانات البدائية البسيطة، والتقدير حسب قوله، إن هذا الجزءء من لغز أصل الحياة، لم يعد يبدو مبهماً للزلم بالكامل كما كان من قبل.

ويعتقد كل من جويس وزوستاك، إنه في يوم ما من أيامنا هذه، عندما يملأ شخص ما أنبوب اختبار ما بالمادة السحبية، فإن جزينات تتخلق نسخاً طبق الأصل من نفسها ذاتياً، سوف تتكاثر خارجة منها. إذا حدث ذلك للشئ، فإن هذا الإنجاز سوف يكون مزمعاً بقدر ما سيكون مذهلاً. فهو سيمثل تحدياً لأكثر الفاعول أساسية حول ما تعنيه الحياة برمتها. إن الحياة في نظر أغلب الناس - هي الحيوانات أو النباتات أو البكتريا الأقل صفلاً ووضوحاً هو الفيروسات، لأنها ليست أكثر من فتل من الأحماض النووية مختلفة في البروتين، ولا يمكنها إعادة إنتاج نفسها خارج خلية حية.

وبينما يتدرب العلماء من أصول شديدة، سوف يعاد التفكير في التعريف السارى للحياة، وسوف يكون محلاً للمناقشات، بل قد ينهمى الأمر بتوسيعه، فإذا كانت طفلية من جزئية (آر إن إيه) متمثل الرضائل، قد برزت في أنبوب اختبار، وبدت بناء بروتيناتها الخاصة، فمن دى يستطيع القول إنها آكل حية من أية فئة (دى إن إيه) أخرى تفلت ذلت للشئء داخل خلية.

دالماً سيظل بعض الناس متحسكين بالاعتقاد القائل بأن الحياة شرارة مقدسة، وليست كيمياء بارعة قادرة على جلب الحياة للجماد. ويقول لزاماً على العلماء إنتاج أى شئء في أنبوب اختبار قادر على حل هذا الاعتقاد الأسى Fundament alist. فجزيءه مختبر جويس، ليس رغم كل شئء بذات استحقاق sophistication للبروتينات، ويقول أقل تعقيداً من البكتريا بعدد من الرقب الضخامية Orders of magnitude هى الرقب الأسوية للحد 10<sup>10</sup>. في الحقيقة إنه كلما زادت معرفة العلماء عنها، بدت الحياة شيئاً فائقاً للامدة. تماماً كما أن نظرية الانفجار الكبير لم تنزع صفة الغموض عن الكون الجامع، فإن اللتقدم في فهم أصل الحياة، لا بد وأن يرتقى - لا أن يلاشى - من أعينها. ■

الهامش:

•• الأقواس المربعة من المترجم.



## فرويد ونظريته الإغواء

جيفرى م. ماسون

ترجمة: مدحت ميخائيل

**ق** فى عام ١٩٧٠، بدأ اهتمامى بأصول التحليل النفسى وبملاقة «سيجموند فرويد» بطبيب الأنف والحنجرة «فيلهلم فليش» Wilhelm Fliess الذى كان أقرب أصدقائه خلال السنوات التى صاخ فيها فرويد نظرياته الجديدة.

وظلت بعض الوقت على اتصال بابنة فرويد، «آنا فرويد» Anna Freud، بشأن إمكانية إعداد طبعة كاملة لخطابات فرويد إلى «فلايس»، والتى كانت قد نشرت مختصرة من قبل فى عام ١٩٥٠ بالألمانية، وفى عام ١٩٥٤ بالإنجليزية تحت عنوان (أصول التحليل النفسى)، وفى عام ١٩٨٠ التقيت مع آنا فرويد ودكتور هـ. ر. إيسلر K.R. Eissler مدير أرشيف سيجموند فرويد، وصديق ومستشار آنا فرويد، وقد تم هذا اللقاء فى لندن حيث وافقت الأئمة فرويد على الطبعة الجديدة المقترحة لخطابات فرويد - فلايس. ونتيجة لذلك، وضعت يدي على هذه المراسلات التى تمثل أهم مصادر المطربات فيما يتعلق ببدايات التحليل النفسى.

بالإضافة إلى تضمين كل الخطابات والافتراضات التى كانت قد حذفت من قبل (والتي تمثل أكثر من نصف الممل)، فكرت أنه من الضروري أن يكون له حواشٍ كاملة، وبالتالي فقد اهتمت المصادر الأخرى المتعلقة بالموضوع. وقد أبدت آنا فرويد تعاونًا كاملاً، حيث أعطت لى المربة فى زيارة للسكان الذى قضى فيه فرويد العام الأخير من حياته فى لندن، وهناك وجدت مكتبة فرويد الشخصية الرائعة، وكان كلور من الكذب وخاصة من المرحلة المبكرة - تصوى حواشٍ بخط «فرويد»، واكتشفت فى مكتبه كراسة - كانت «مارى بولناهارت» تحتفظ بها بعد شرائها مجنوعة خطابات «فرويد» إلى «فلايس» فى عام ١٩٣٦، حيث سجلت فيها تعليقاتها على رد فعل «فرويد» تجاه هذه الخطابات التى كان قد كتبها قبل ذلك الوقت بسنتين، كما وجدت سلسلة من الخطابات تتعلق بشخص «ساندور فريدمان» - San-dor Ferenczi الذى كان فى السنوات

الأخيرة من حياة فرويد أقرب زملاكه وأصدقائه، كما تتطرق بأخر بحث قمعه «فيروينيزي» في مؤتمر التحليل النفسي الدولي الثاني عشر المنعقد في «فيسبادن» Wiesbaden في عام ١٩٣٢، وكان هذا البحث يتطرق بمسألة الإغواء الجنسي للأطفال، وهو الموضوع الذي كان مستمرراً على تفكير فرويد نفسه خلال سنوات صداقته مع فلافين.

وفي دولا ب أسرد كبير خارج غرفة حته فرويد، وجدت عددا من الخطابات الأصلية من وإلى فرويد كتبت في المرحلة المبكرة من حياته، وقد كانت هذه الرسائل مجهولة من قبل، وهي تتضمن خطاباً من فلافين إلى فرويد، وعدداً من الخطابات الموجهة من طبيب الأخصاب للفرنسي الشهير شاركو Charcot إلى فرويد، وخطابات أخرى من فرويد إلى زميله جوزيف بروير Josef Breuer وإلى أخت زوجته ميسا براونر وإلى زوجته مارثا وإلى عدد من مرضاه السابقين.

ويعد هذا بوقت قصير، طلب منى إيسلر أن أخذه كمدير لأرشيفات فرويد فوافقت وتم تعيينه مديراً مؤقتاً، وكانت إدارة الأرشيفات قد قامت بشراء منزل فرويد في «مارسفلد جاردنز» في لندن، وكان على أن أحرك المنزل إلى متحف ومركز أبحاث. وقد أمكنني أنا فرويد بالوثائق المصدرة التي كانت قد رجعها بالفيل إلى مكتبة الكونغرس حتى أمكن من إعداد كاتالوج لكل الوثائق المتعلقة بفرويد في المكتبة (ويعظمها من الأرشيفات) ويقرر عددها بأكثر من ٧٥٠٠٠ وثيقة وقد وافقت المكتبة على إصدار المتصفح المزمع إنشاؤه بنسخ من هذه الوثائق. كما إنني أصبحت واحداً من أربعة مسؤولين عن حقوق النشر لكتابات فرويد مما مكنتني مع مؤسسة نشر جامعة هارفارد من نشر خطابات فرويد في طبعة علمية كاملة.

وأثناء قتراتي للرسائل وإعدادي للمواشي من أجل الجزء الأول من المسئلة (مراسلات فرويد وفلافين) بدت ألاحظ ما

وفلافين في المرحلة المبكرة، والتي يبدو أنها كان لها علاقة على نحو ما بنظرية الإغواء. قد تعرض للحذف، ولقد فوجئت بمسلة خاصة بجزء من خطاب كتب في ديسمبر صام ١٨٩٧ يلقي المنوه على حقيقتين لم تكونا معروفين من قبل: أن إما إكشتين كانت تناظر بنفسها بعض المرضى في التحليل النفسي (نصت إشراف فرويد على مايفيد)، وأن فرويد كان يميل لأن يعود للاعتقاد بنظرية الإغواء مرة أخرى.

ولقد سألت أنا فرويد لماذا حذف هذا الجزء من الخطاب؟ فقالت إنها لم تعد تذكر لماذا فعلت ذلك، وعندما سألتها عن خطاب غير منشور من فرويد إلى إما إكشتين قالت إنها تستطيع أن تفهم هذا. في الأمر حيث أن إما إكشتين قد لعبت بالفيل دوراً مهماً في التاريخ المبكر للتحليل النفسي، ومع ذلك فإن الخطاب لا يجب أن ينشر. وفي مناقشات ثالثة، أوضحت الأئمة فرويد أنه مادام والدها قد تخطى في النهاية عن نظرية الإغواء، فإن عرض شكوكه وتريده في المرحلة المبكرة لن يؤدي إلا لثوب الأرتباك والتشويش للقراء. وعلى الرغم من ذلك، فقد كتبت أصحفاً أن هذه الفقرات لم تكن على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية فمضب، بل إنها كذلك قد تعيد صياغة الحقائق بصورة أخرى قليل من حق أي شخص. في رأيي. أن يقرر نيابة عن الآخرين. عن طريق تغيير السجلات. ما هو الصواب وما هو الخطأ، والأكثر من ذلك أنه، أيا كان قرار فرويد النهائي، إلا إنه. على ما أعقد. قد ظل مشغولاً بنظرية الإغواء طوال حياته.

وقد عرضت على الأئمة فرويد الرسالة المكتوبة عام ١٩٣٢ التي رجعها في مكتب فرويد، والتي تتطرق ببحث فيروينيزي الأخير الذي يناقش هذا الموضوع تصديقاً وكان واضحاً أنني أن اهتمام فرويد المتواصل بنظرية الإغواء وشرح النصرة عن فيروينيزي وقد وجدت الأئمة فرويد، التي كانت موجهة جداً بفروينيزي، أن قراءة هذه الخطابات مديرة للأهم ولطابت إلى ألا أنشرها، غير أنني أصررت على أن النظرية



شوينهور

بذلي أنه أسلوب ثابت للتحقق للبحثه أنا فرويد في الطبعة الأولى المختصرة. في الخطابات التي كتبت بعد ديسمبر ١٨٩٧ (وهو الوقت الذي يفترض أن فرويد قد تخطى فيه عن نظرية الإغواء)، كان يتم حذف كل روايات الحالات المرضية التي تتطرق بالإغواء الجنسي للأطفال والأكثر من هذا، أن أي ذكر لخصيصة إما إكشتين Emma Eckstein إحدى مرضيات فرويد

## فرويد ونظرية الإغواء



نفسه بالسلطة المطلقة والحق في العقاب ويستطيع أن يتسلق من أحد هذين الدورين إلى الآخر من أجل إشباع أهوائه - ومن ناحية أخرى اللطفة التي تقع في قلة حيلة تحت رحمة استخدامه المتصف لسلطته، والتي تعرضت قبل الأوان لكل التجارب الحسية وجميع أشكال خيبة الأمل - جميع هذه التناقضات المتنافرة بشكل متناهي ومأساوي في الوقت نفسه تترك علامات واضحة على نمو اللطفة في المراحل التالية وعلى حالتهما للتصايب محدثة عددا لا نهائيا من الآثار المستديمة التي تستحق أن توضع للبحث بالتفصيل الشديد.

لقد كان لدى مريضات فرويد الشجاعة لكشف ماحدث لهن في طفولتهن - وبغالبها ما كان ذلك يتضمن التعرض للاغتصاب القسري بواسطة أبائهن - ولأن يصرخن لفرويد بماهاتهن النفسية، ولأنه أنهن كن محشكتات في تحقيق ذكرياتهن، وغير راضيات في استرجاع المشاعر النفسية بالألم والتشوش اللذين أحسسان بهما، وقد أسس فرويد لهن وتلمهن وأعطاهن الضوء الأخضر ليتذكرن ويحدثن عن هذه الوقائع الرهيبة ولم يعتقد أنها مجرد خيالات كما شرح في بحثه:

«يمكن فحص أية شكوك تتعلق بحقيقة المشاهد الجنسية الطفولية بأكثر من حجة: أولا فإن سلوك المريضات أثناء استعادتهن لهذه الذكريات يتناقض من جميع النواحي مع احتمال أن تكون هذه المشاهد أي شيء سوى حقيقة واقعية بما تظهر من مشاعر الألم، وما يلقاهن تذكرها من رفض عنيف».

ولقد توقع فرويد أن يرفض زملاؤه تصديق مثل هذه الحقائق حيث إنه قد لاحظ رفضا مماثلا في نفسه ورأى أساتذته:

«.... إن اختيار العامل الجنسي كمسبب لهستيريا لايعن من فكرة مسبقة من جانبي، فأناباحثان اللذان تطمعت على ديهما في دراستي لهستيريا - شاركو وهورير - كانا أبعد ما يكونا من هذا المعتقد، وفي الواقع قد كان لديهما رفض شخصي له....»

تأثيرا مدعرا ودائما على حياة أولئك الأطفال الذين عانوا منها.

وفي هذا البحث المبكر، ما من شك في أن مسكان فرويد يتلبه بمباراة الإغواء الجنسي هو فعل جنسي حقيقي أجبرت عليه طفلة صغيرة دون أي رغبة أو تشجيع من جانبها وبهذا التعريف، فإن لفظ «الإغواء» يدل على عمل من أعمال التفسر والتلف ويؤذي اللطفة في كل جانب من جوانب حياتها (أو حياتها على الرغم من أن فرويد قد أصرح أنه غالبا ما تكون الضحية طفلة صغيرة) فمسكانا ليس مستعدا للمواجهة الجنسية (غالبا ما يكون «الإغواء» عبارة عن اغتصاب فني مما يكرن له آثار مدمرة تهدد حياة الضحية)، ولهمت مشاعرها بأكثر استعدادا سواء للأحاسيس الجنسية البالغة، أو للمشاعر اللاتالية - والتي لا مفر منها - بالنبت والتوتر والرفض. ويوضح عدم التوازن والسلوك السادي من جانب الشخص البالغ، في ممارسة قوته على الطفلة، من خلال كلمات فرويد الضرورية التالية:

«جميع الظروف القوية التي تستمر فيها للعلاقة بين هذين الشخصين المتناقضين - من ناحية للشخص البالغ الذي لا يستطيع أن يهرب من نصيبه في التدبعية المتبادلة التي توجد بالضرورة في العلاقة الجنسية، والسلم في الوقت

لما تكن مجرد خطأ تلقاه تراجع عنه فرويد ببساطة كما ألفر في اعتقادنا من قبل.

وقد رجحت أنا فرويد أن أربحه اهتماماتي وجهة أخرى، وخلال مناقشاتي مع عدد من المحللين النفسيين المقربين لصاحبة فرويد، بدأت أفهم أنني قد اتعمت نفسي في موضوع من الأفضل عدم التعرض له (وقد بدأ هذا الموضوع أكثر عندما ألفت فجأة كل صلة لي بأرشيفات فرويد). وإن نظرية الإغواء كانت حقيقة مجرد منطقت خطأ في الطريق إلى الحقيقة كما يعتقد كثير من المحللين النفسيين، لربما كان من الممكن أن أربحه اهتمامي لأمر آخر. لكن نظرية الإغواء - في رأيي - كان ينبغي أن تصبح الفكرة الرئيسية في التحليل النفسي. ففي عامي ١٨٩٥، ١٨٩٦، عرف فرويد - أثناء استماعه لمريضاته - أن أمرا مخيفا وعليقا قد وقع لهن في الماضي. وقد كان الأطباء النفسيون قبل فرويد، حين يسمعون قصص الإغواء، يهيمون بمريضاتهم بالكتب الهستيرية، ويخضون النظر عن ذكرياتهن باعتبارها من نتائج الخيال، وكان فرويد أول طبيب نفسي يصدق أن مريضاته كن يقن الحقيقة.

أعلن فرويد اكتشافه في بحث تحت عنوان «أسباب الهستيريا» قدمه في أبريل ١٨٩٦ إلى جمعية الطب النفسي والعصبي في فيينا، وكان هذا أول إعلان عام لزملائه عن نظرياته الجديدة المتعلقة بالجنس، وكما وصف فرويد الأمر فيما بعد، فإنه كان يعتقد أنه بتقديم هذا البحث سيصبح وادعا من أولئك الذين يتقنون راحة العالم، فقد كان البحث يقدم وجهة نظر ثورية فيما يتعلق بالمرض العقلي، وكان عنوانه يشير إلى نظرية فرويد الجديدة المثالية بأن سبب الهستيريا يكمن في صدمة نفسية جنسية مبكرة، وهو الأمر الذي أسماه «الضحايا الجنسية المتعلقة بالطفولة» أو «الجماع الجنسي» في سنوات الطفولة وهذا هو ما تبلور فيما بعد ليصبح «نظرية الإغواء» - أي الاعتقاد بأن هذه الذكريات الجنسية المبكرة كانت حقيقية وليست مجرد خيالات، وأن لها

واعترف فرويد بأنه كان عليه أيضاً أن يتغلب على كثير من المقاومة قبل أن يقبل النتيجة الفريدة. وعلى هذا فهو لم يكن غير مستعد لرد فعل زملائه، ومع ذلك فإن المدى الكامل لشعر فرويد بالجزلة يتضح من قراءة كتاباته إلى فـلايس في ٤ مايو، أي بعد أقل من أسبوعين من تقديمه لبحثه، ولقد تم حذف الكلمات التي تحتها خط من النسخة المنشورة لطبائبات فرويد - فـلايس: «إنني أشعر بالجزلة بأكثر قدر تنفيذه: لقد صدر الحكم علي بالصلابة، والآن لا يحيط بي سوى الفراغ».

ولابد أنها لم تكن مفاجأة لفرويد حين قرأ عدد مجلة Wiener Klinische Wochenschrift توجد أن بحثه لم ينشر عنه سوى عدوانه فقط دون ملخص عنه أو مناقشة له أو حتى ملحوظة بأنه سيتم نشره، وفي ٣٠ مايو كتب فرويد إلى فـلايس «في تحد لزملائي، قمت بكتابة النص الكامل... لمصاحبتي عن أصل الهستيريا».

وقد قام بنشرها بعد ذلك بأسابيع قليلة، ومن حسن حظنا أنه فعل ذلك، على الرغم من أنه بعد ذلك بخمس سنوات، شنى فرويد نواله لم يكن بهذا التسرع، فالنصوص الفلسفية المبكرة التي كان لدى مريضاته الشهادة لأن يولجهن بها، تخاصي عنها فرويد فيما بعد باعتبارها خيالات لساء مريضات بالهستيريا، وأظهر شجاعة في الحديث عن هذه الاكتشافات باعتبارها طبعاً:

«لقد صدقت هذه الحسنة، وباتتاني اعتقدت إلى قد اكتشفت جذور المرض النفسي المرتب عليها، باعتبارها تكمن في تجارب الإغواء الجنسي في سنوات الطفولة... فإذا وجد القارئ في نفسه رغبة في أن يهز رأسه متعجباً من سذاجتي، فلا أستطيع أن أنومه».

وقد سحب فرويد نظريته عن أسباب الهستيريا، فقد أسس الآن أن مريضاته كن يخدعن أنفسهن ويخدعن:

«... وجدت نفسي في النهاية مضطراً للاعتماد بأن مشاهد الإغواء هذه لم تحدث على الإطلاق، وإنما لم تكن سوى خيالات ابتدعتها مريضاتي».

وفي عام ١٩٠٥، قام فرويد علناً بصحب نظرية الإغواء. ماذا حدث؟ ما الذي تسبب في هذا التغيير المفاجئ؟ للذي أثر في حياة عدد لا نهائي من المرضى الخاضعين للعلاج النفسي منذ عام ١٩٠٠ وحتى الوقت الحالي؟ لم يهتم المحللون النفسيون بصورة خاصة بأسباب تغيير معتقدات فرويد، على الرغم من إقرارهم - وإقرار فرويد نفسه - بأن التراجع عن نظرية الإغواء كان مقصداً لمبادئ التحليل النفسي. للتفسير المتداد. بأن النظريات الاكتينية قد أربحت لفرويد بطلته - ليس كافياً كما سدرى فيما بعد. لم أعتمد أبداً أنه من المصواب - حتى لثلاث دراستي - ألا يصدق فرويد مرضاه، ولم أوافق مطلقاً على أن مشاهد الإغواء لم تكن سوى خيالات، أو تذكيرات لخيالات، لكن لم يدر بخدي أن أشك في دوافع فرويد - التي تكررت كثيراً في كتاباته - لتغيير رأيه. ومع ذلك فحين قرأت خطابات فـلايس دون حذف (والتي كان فرويد بلاشك ليراقبها) فقد أخبرني بقصة غريبة ومختلفة تماماً.

ما بين عامي ١٨٩٠ و ١٨٩٤، كان فيلهلم فـلايس أقرب أسنقاء فرويد، وربما كان الشخص الوحيد الذي يستطيع فرويد أن يناقش معه اكتشافاته الجديدة عن مصيبتات المرض النفسي - وكان فـلايس يشاطر فرويد وجهة نظره فيما يخص بالخصية بعض الأمور الجنسية. كالمادة للمرية، وإجماع المتقطع Coitus interruptus، واستنخلم «الوقاية للذكري» - كمصيبتات لما يعرف باسم «الأمراض الصلبية الحقيقية: actual neurosthe- roses، وخاصة «الوراثانية، nia (الإنهاك العصبي)، وبعض الأعراض الجسمانية الناتجة عن التوتر النفسي. ولقد أدى تقارب اهتماماتهما إلى تعاون امتدت نتاجه إلى كل مكان وزمان بحيث كان له

آثاره على أسلوب تفكير كل المحللين النفسيين فيما يتعلق بالعلاقة بين الخيال والواقع.

وفي عام ١٨٩٥ أجرى فـلايس عملية جراحية على واحدة من أولي مريضات فرويد وهي إم أكشتين (١٨٦٥ - ١٩٢٤)، ولقد سقط اسم إم أكشتين من تاريخ التحليل النفسي، ولولا أنه قد أعتمد خطأ أنها هي المريضة التي أطلق عليها فرويد اسم «إرساء» في مناقشته لمبنة من الأحلام في كتاب «تفسير الأحلام»، لما ورد لها ذكر على الإطلاق اليوم. ولقد احدثت إم من أسرة بارزة ذات توجهات اشتراكية، ويبدو أنه كان لها نشاط في حركة المرأة في فيينا. وعندما بلغ عمر أكشتين حوالي السابعة والعشرين بدأت في التحليل النفسي مع فرويد، ويقول عديد من أقرانها إنها كانت أول مريضة تفسخ التحليل النفسي مع فرويد، ويبدو اهتمام فرويد بها واضحاً من المكانة البارزة التي شغلها في مكتباته مع فـلايس، والفتنرات التي تتعلق بإم أكشتين هي بلا شك أكثر كتابات فرويد إظهاراً للعاطف والإهتمام فيما يخص مريضاه، ومن غير المعروف ماذا كانت طبيعة شكرها بالمشيد، لكن يبدو أنها كانت تعاني من اضطرابات بالحمدة ومشاكل في الحيض، كما كان لديها صعوبة في النوم، وكانت تقضي معظم وقتها (على الأقل في الفترة الأخيرة من حياتها) على أريكها، وليس من الواضح السبب الذي جعل فرويد وفـلايس يترزان أنها تحتاج لإجراء عملية جراحية، وكان فـلايس قد زار فرويد في فيينا أثناء أمياه الفيلاد في عام ١٨٩٤، ومن المعتقد أنه قابل إم أكشتين آنذاك واقتدر على فرويد إجراء الجراحة لها.

وفي النسخة التي تخص فرويد من كتاب فرويد المنشور عام ١٩٠٢ (عن العلاقة السببية بين الأنف واللحن الجلسي) über den ursächlichen von Nase und Geschlechtsorgan، وضمت علامة على الفترة التالية: «عادة ما تعاني الفتيات اللاتي يمارسن للعادة المورية من الأم الحيض Dys-menorrhoe، وفي مثل هذه الحالات فإن علاج الأنف يحقق نجاحاً بشرط أن يخالفن

## فرويد ونظرية الإغواء



خروج قطعة عظم في حجم قطعة نقود معدنية صغيرة، واليوم قابلتنا صعوبة في محاولة تمييز موضع الجراحة، ربما أن الألم والورم قد ازدادا، فقد مسحت للنفسى بأن أسندنى جويسلى، وقد شرح أن السدخ إلى موضع الجراحة قد صاق بخرجة كبيرة ولا يكفى لتصريف الإفرازات، ووضع أنبوبة لتصريف، وأذن بأنه قد يضطر إلى كسر العظمة مالم تستقر الأنبوبة في موضعها. أرجو أن ترسل لى نصيحتك القيمة فأنا لا أبلى أن أعرض هذه القصة لجراحة جديدة.

وفي فترة تالية، ذكر فرويد أن جوزيف بروير (١٨٤٧ - ١٩٢٥)، وهو معاون فرويد (وناصحه): «فى أسبعية الأحد كسبته إلى صفي مرة أخرى. ربما لمدة قصيرة. بأن أنهاته بنتائج تعاطي النفسى لحالة اكتشئين، كان فرويد يريد أن يكسب بروير إلى جانب وجهة نظره عن أهمية الجنس في الأمراض العصبية، وبلا شك قرئ أنه قد يستمتع بذلك إذا ما أخبر بروير عن حالة اكتشئين، وأصدنا له الأعراض الجنسية التي تعانيها. وهكذا تعد هذه الفقرة أول إشارة إلى أن مشاكل اكتشئين كانت ذات طبيعة جنسية، وبما يظهر الاهتمام في هذه الفقرة أيضاً أن فسرويد اعترف بأنه سلم مريضته إلى فلايس دون أن يوافق معه حالتها بالتفصيل أولاً.

بعضها بأربعة أيام (٨ مارس ١٨٩٥) كتب فرويد إلى فلايس خطاباً مهماً. ولهذا الخطاب - الذي تم حذفه من الطبعة المنشورة لخطابات فرويد إلى فلايس أهمية جذرية لهم الأحداث التالية على ذلك في حياة فسرويد الفكرية ففى هذا الخطاب يتضح أن فلايس كان قد ترك (عن طريق الخطأ) نصف متر من الشاش الطبي في التجهيز الناتج عن إزالة العظمة المشروطية - Turbi من أنف إماما وقد حاول فرويد nate bone للتقليل من أهمية هذا الخطأ، وحماية سمعة فلايس فكتب أنه «ممن أحد يلومك، ولا أجد سبباً لأن يفعل أحد ذلك» ومع ذلك فإن إماما اكتشئين كانت على وشك الموت فيما وصفه فرويد (مشهد اللزف حتى الموت).

للمعلومات الطبية لدى يشغل على مرة أخرى... ما كنت لأجرو على ابتداء هذه الخطوة في العلاج بنفسى، ولكنى أشاركك فيها بمنتهى الثقة، ومراجعة كتابات فلايس يدور لى أن هذه الجراحة كانت أولى جراحاته الكبرى في هذا المجال (كان في العرات السابقة يقتصر على كى الأنف أو مسه بمادة الكوكاين)، ولعل فسرويد كان يشعر بالتردد حيث إنه قد اقترح في الخطاب نفسه أن يعاون فلايس في العمل روبرت جويسلى لئلا كان جراحاً شهيراً في فيينا في ذلك الوقت.

وصل فلايس إلى فيينا في فبراير، وأجرى الجراحة لإماما اكتشئين ثم رحل بعداً بفترة قصيرة، وأول خطاب من فرويد إلى فلايس بعد الجراحة موزع بتاريخ ٢٥ فبراير ١٨٩٥، لكنه يحتق فقط بتقرير من عمل فلايس في العجلة الطبية، Wiener allgemeine zeitung وليس فيه أى ذكر لإماما اكتشئين، وفى ٤ مارس ١٨٩٥ كتب فرويد إلى فلايس عن إماما اكتشئين:

«لا تزال حالة اكتشئين غير مرضية، فهذه ك تورم دائم يزداد حيناً وينقص حيناً، وألم مبرح بحيث لا يمكن الاسترخاء عن «السرفين»، وقد بدلت الإفرازات الصديدية نفل منذ أسب، أما أول أس (السيبت) فقد حدث لها نزف شديد ربما يكون ناتجاً عن

حقيقة عن هذه المادة السيخية. وأعتقد أن فسرويد قد وضع علامة على هذه الفترة في سرائته الأخيرة لأنه اعتقد أنها نصف حالة إماما اكتشئين، ولقد كانت - كما نعلم من خلال كتاباتها - مهمة للغاية بالمعتقدات التي كانت شائعة آنذاك عن خطورة ممارسة العادة السرية، وهو الأمر الذي ناقضه بلا شك مع فسرويد خلال علاجها، ولابد أن أعراض الطمث غير المنتظم أو آلام الحيض التي كانت تعانيها قد أعزيت إلى ممارستها للعادة السرية، وبمجرد أن قابلها فلايس، كان من الطبيعى أن يوصى بإجراء عملية جراحية في أنفها حيث إن فلايس كان يؤمن باعتقاد غريب جداً مزده أن الأنف والمضو للتغالى على صلة وثيقة أحدهما بالآخر، وأن المشاكل الجنسية يمكن شفاؤها عن طريق جراحة الأنف.

وإذا كانت موافقة فسرويد على هذه الجراحة تدهو محيرة، فيجب أن نضع في الاعتبار تقديره الكبير لفلايس كمتعالج عظيم، والأهم من ذلك أن فسرويد - الذى كان يمرض فلايس منذ عام ١٨٨٧ - كان يشد تعارفاً أرق معاً. فقد كان الرجلان كلاهما يؤمنان بأن المشاكل الجنسية - وبصفة خاصة العادة السرية تلعب دوراً محورياً في أسباب المرض النفسى. فإذا كان فسرويد قد أخبر فلايس بأن المشاكل التي تعانيها إماما اكتشئين تلحق بالملث وأنها تمارس العادة السرية، فقد كان من الطبيعى أن يقترح فلايس إجراء جراحة في أنفها بجمعها علاج نفسى لمنع عودتها لممارسة هذه العادة باعتبار أن هذا هو الأمل الوحيد في شفاها. ولقد كانت هذه فكرة ثورية بلا شك، وكان من شأنها أن تهدو زملاء فسرويد في مثل غرابة أفكار فرويد نفسه، ولعل خروج وسائل فلايس للعلاجية عن المألوف قد شجع فسرويد على الاعتقاد بأنها تمكس حقيقة غير معروفة، وعلى أى حال لا يهوى أنه قد تردد في تسليم إماما اكتشئين ليد فلايس.

وفى ٢٤ يناير عام ١٨٩٥ - فى خطاب غير منشور - كتب فرويد إلى فلايس: «الآن لم يبق سوى أسبروخ واحد على الجراحة». وفى الخطاب نفسه تنمى من أن «نقص



وقد قام **فرويد** الذي كان من البداية يرغب في مشاركة **جبرسنى** في العملية (ربما اعترض **فلايس** على ذلك) - باستدعائه الآن، وإذا لم يكن **جبرسنى** يعتقد أن الهجامة ضرورية، فليس من المرجح أنه كان - على حد قول **فرويد** - «محتفظاً نوعاً ما» ويصوم هذا التحفظ إلى استهجان حين أدرك **جبرسنى** مدى إيمان **فلايس** بالهراسى. ويتضح من خطاب آخر أن **فلايس** قد أدرك هذا وأنه لم يكن متفكلاً بالدرجة نفسها التي كان **فرويد** بها حين اعتقد أن أحداً لا يلزمه، ولقد طالب خطابه من الجراحين بدمى سامحة (ولم يحصل عليه)، وعلى هذا فحين قال **فرويد** في خطابه، «إننا قد أسأنا إليهما، (أى إما **اكشتين**)، إليهما لم تكن غير طبيعية إطلاقاً». فقد كان يشير إلى اكتشافه الذي لا يستطيع الحديث عنه، ففي هذه الحالة كان يجب البحث عن الفطأ في **فلايس** وفيه هو شخصياً، فقد كان (غير طبيعى) من جانب **فرويد** أن يسلّم إما **اكشتين** ليدى **فلايس**، وكان (غير طبيعى) من جانب **فلايس** أن يجرى الهجامة من الأصل، ناهيك عن أن يخطئ فيها، وقد كان رد الفعل عند إما **اكشتين** - أى الخرف - استجابة طبيعية تماماً للذيف الجرامى على الرغم من أن **فرويد** في مرحلة لاحقة قد تراجع عن هذا الرأي الصائب وزعم أن نرف إما **اكشتين** كان ذا أسباب هستيرية نتيجة للقلق الجسمى.

والنمرة التالية التي يأتي فيها ذكر إما **اكشتين** هي في خطاب غير منشور بتاريخ ١٣ مارس ١٩٨٥:

«أخيراً سارت الأمور بصورة طيبة بالنسبة لـ **اكشتين** كما كان يجب أن يكون. نولا الانتكاسة التي حدثت منذ ثلاثة أسابيع، وما يذكر أنها لم تغير رأياي في أى منّا، وتذكرك بالخبر على الرغم من الحادث المرفس»

ولابد أن الانتكاسة التي يشير **فرويد** إلى حدوثها قبل ١٣ مارس بثلاثة أسابيع هي النرف الذي عانته إما. أما عن صحة احذرهما للرولين، فقد كتب **شور schur**

فقرة غامضة في صفحة ٦٧ من كتابه (**فرويد**: حياته وموته):

«يمكن الاستدلال على موهبة **فلايس** في التأثير على أصدقائه ومرضاه بغنى مطبوعته البيولوجية، وخياله الجامع، وإيمانه الذي لا يزعزع بقدراته العلاجية من خلال ولاء مرضاه الشديد له والذي يبدو واضحاً من مراسلات **فرويد** معه وحتى تلك المريضة التي.. عانت نوبات خطيرة نتيجة لفعلاً ارتكبه **فلايس**، وظلت على ولائها له مدى حياتها».

وفي ٢٥ مارس أكمل **فرويد** الخطاب السابق نفسه:

«**اكشتين** المسكونة سادت حلفتها. وقد كان هذا هو التسبب الثاني لتأجيل إرسال الخطاب. فبعد مرور عشرة أيام من إجراء العملية للثانية، وبعد أن كانت الأمور طبيعية، بدأ ظهور الألم والتورم مرة أخرى لسبب غير معلوم. وفي اليوم التالي حدث نرف، وأم عمل حشو أنلى لها بسرعة، وفي الظهيرة عندما أزالوا الغشو لفحصها، تجدد اللزيف مرة أخرى حتى أنها كانت على وشك الموت. لقد شققت الأمل في هذه الفلانة المسكونة، وما يزيد على أنى قد رطلتكم معى وتدهبت لك في مثل هذا الأمر المروع. كما إنى أفسر بقلتي الألف من أجلها، فقد أصبحت ممججا بها جداً».

وفي خطابه للثالثى بتاريخ ٢٣ مارس كتب **فرويد**:

«لم أستطع أن أرسل الخطاب قبل أن أعطيك أخباراً مؤكدة عن (I). تأجلت لتساية الجراحية إلى السبت، ولقد انتهت لنوما، ولم تستمر عن شيء ولم يتم عمل شيء. لقد فحص جوسنهاور التجريف وأعان أن كل شيء طبيعى، وهو يعتقد أن اللزيف كان من الأنسجة التي تغطي للجرح، ولقد نجت من أى تشوّ. سوف يواصلون حشر أنفها، وسوف أحاول أن أسمع «السرفين» عنها. إنى سعيد لأن التوقعات السهلة لم تتحقق».

لكن ليس مسيحياً أنها «نجت من أى تشوّ»؛ فبغلاً لـ. [إما إليهما طبيب الأطفال

المميز، وابن أخ إما **اكشتين**، فقد ظلت تفاصيل وجهها مشوهة منذ ذلك الوقت.

وفي ٢٦ أبريل كتب **فرويد** «إنها (إما **اكشتين**) مخدبة ومعدنك. تبدو الآن بصحة طيبة»، وفي ٢٧ أبريل «**اكشتين** تفكر من الألم مرة أخرى، هل ستعاني من اللزف بعد ذلك؟ ولم يكن السؤال بالأسانجة التي يبدو بها لأن **فرويد** كان يعد للعدة لشخص اللزيف - بعدها ينام - على أنه نرف هستيرى كما لو كان يقول: إن ألامها ليست حقيقية، واللزف المكرر الذي ربما بدا كما لو كان ناتجاً عن عطفك الجراحية كانت أسبابه هي الواقع نفسية، فقد كان ناتجاً عن رغبات مكتوبة وليس عن إيمان جراحى. ويأتى آخر ذكر لإما **اكشتين** في هذا العام في ٢٥ مايو «إما **اكشتين** بصحة جيدة جداً أخيراً. ولقد نهجت مرة أخرى في التنظيف من عدم قدرتها على المشى، والذي كان قد عاردها دائماً».

هناك تدخل بين قصة «نظرية الإغواء»، وعلاقتهما بالجراحة التي أجراها **فلايس** على إما **اكشتين**، وإنكار **فرويد** للنظرية بعد ذلك، وبين علاقة **فرويد** مع **فلايس** الذى لعب دوراً رئيسياً في حياة **فرويد** الفكرية والعاطفية والطبية على مدى الأعوام الخمسة عشر التالية وربما بعد ذلك ومن المصحح أن ندرك على وجه الثقة مدى التأثير الذي كان **فلايس** يمارسه على **فرويد** أثناء لقاءاتهما وغلباتهما حيث إنه ليس لدينا سوى الخطابات المرسلة من جانب **فرويد** فالخطابات المرسلة من **فلايس** إلى **فرويد** لم يتم العثور عليها مطلقاً.

في البداية، كان يبدو - بصلة خاصة لـ **فرويد** - أن كليهما يفكران في خطين متوازيين، وفيما بعد تباعدت بسبب الاختلاف حول أولوية الأسباب النفسية في مقابل الأسباب الجسدية. في ٨ فبراير ١٩١٣ أرسل **فرويد** إلى **فلايس** خطاباً معه مسودة مقال بعنوان: «أسباب الأمراض العصبية» "The Etiology of the Neurosis" ويضمن أول ذكر لفرع اعتداه (جسمى على ما يبدو) على إحدى مريضات **فرويد**، في

## فرويد ونظرية الإغواء.



حالة تعاني وسواس المرض hypochon-  
dria منذ سن البلوغ، تشكلت من أن أثبت  
وقرر اعتدائه في سن الثالثة، لكن فرويد لم  
يرى الأمر أي أهمية نظرية عميقة قائلا إن  
هذه «الصددمات النفسية» "Psychic traumas"  
ليست سوى «أسباب معجلة»  
"Precipitating causes" لمحدث مرض  
الاكتئاب الدوري Periodic clepressions  
وفي عيد الفصح من عام ١٨٩٣ زار فرويد،  
فلايس في براين.

في وقت ما بعد هذه المقابلة، أرسل  
فلايس لفرويد بحثاً تحت عنوان «العصاب»  
المتضمن عن الأنف، "the Nasal Reflex"  
"Neurosis" والذي كان يولي تقدسيه في  
المؤتمر الثاني عشر للأمراض الباطنية في  
«فايسبادن» في يوليو عام ١٨٩٣، ولقد علق  
فرويد على البحث في خطاب إلى فلايس  
يذكر تاريخ تمت كتابته في وقت ما بين عيد  
الفصح وشهر يونيو:

«أعتقد أنه لا يمكن أن تتجنب ذكر  
الأسباب الجنسية للعصاب دون أن تلغس  
الموضوع. لذا أظن هذا فوراً بطريقة مناسبة  
للطبيب ثم بالإعلان عن دراسات المستقبل،  
وبوصف النتائج المترتبة على حقيقتها. أظهر  
للناس السخاخ الذي سبقكم يلمح كل الأبواب  
المغلقة: المسببة السببية الكاملة Ctiologi-  
cal formula، وإذا قمت بالمناقشة بإعطائي  
مكاناً في هذا الأمر يتضمن إشارة من قبل  
«زميل وصديق» فسوف أكون سعيداً، ولقد  
وضعت لك لفكرة من هذا القبيل عن الجنس  
لمجرد اقتراح».

في العمل نفسه الذي نشر في أعقاب  
المؤتمر، يبدو أن فلايس قد أخذ بصيغة  
فرويد مصدماً بحثه بصفاً ما كثر. في ذلك  
الوقت كان فرويد لا يزال مهتماً بالموقف  
المرضية لممارسة للمادية السرية، وكان  
لا يزال يأمل في أن يجد فلايس حلاً طبيياً  
لمشكلة الدوراسيديا، وبالتالي كان من  
الممكن أن يذهب فلايس أفكار فرويد، وكان  
للتعاون لا يزال ممكناً.

وتم نشر الكتاب الذي تطور إليه بحث  
فلايس عام ١٨٩٣ تحت عنوان (إشغالات

مبهمة)، وقد تم نشره في عام ١٩٠٢  
لكنه يقدم وجهات نظر فلايس في الفترة  
من عام ١٨٩٣ وما بعده (يرجع تاريخ عديد  
من الحالات المذكورة في الكتاب إلى الفترة  
من ١٨٩٣ إلى ١٨٩٧) وفيما يلي الفقرة التي  
وضع فرويد عليها علامة في نسخته، وهي  
تتعلق بلافك بالمناقشات التي دارت بين  
الرجلين في عامي ١٨٩٤، ١٨٩٥.

«إن السبب الرئيسي للدوراسيديا، في  
الشباب من الجنس هو ممارسة العادة  
السرية (فرويد).... وبالطبع لا تؤثر  
الممارسات الجنسية السوية (العادة السرية)،  
إلخ... على الأنف فمصب، بل إن لها تأثيراً  
مباشراً على الجهاز العصبي، ومع ذلك  
فإن الأنف يتأثر بصورة ثابتة من جراء  
الإشباع الجنسي غير الطبيعي، ولا تقتصر  
تنتائج هذا التأثير على مجرد تورم وزيادة  
حساسية «المراكز التناسلية genital spots»  
بالأنف، بل إن كل مجموعة الأعراض  
المتعلقة عن الأنف التي وصفها باسم  
«العصاب المتضمن عن الأنف the nasal  
neurosis»، reflex neurosis، تعتمد على هذه  
التغيرات السلبية للأنف العصبية، وهكذا فإن  
هذا التركيب من الأعراض الناتجة من هذه  
المراكز يمكن إزالته عن طريق العلاج  
بالكوكايين، ويستمر عدم الشعور بالألم طالما  
استمر مفعول الكوكايين، كما يمكن التخلص  
مهما لفترة أطول باستخدام الكي أو التحليل  
الكهربي clecro lysis، لكنها تتركز للظهور  
طالما ظلت أسباب الإشباع الجنسي غير  
الطبيعي موجودة ولا تتوقف إلا بعد ممارسة  
الإشباع الجنسي بالطريقة الطبيعية. وتماثل  
التدنيات الثلاث يمارس العادة السرية عادة  
من آلام اللعنت، وفي هذه الحالات، فإن  
علاج الأنف يحقق نجاحاً في حالة ما إذا  
توقف حقيقة عن هذه العادة السوية. وبين  
الآلام الناتجة عن العادة السرية، أود أن أركز  
بصفة خاصة على أحد أنواعها بسبب أهميته  
ألا وهو آلام «معدة العصبية neuralgic  
stomache pain» فالمرء يراها في سن  
مبكرة جداً في النساء اللواتي يمارسن العادة  
السرية، ومعدلات حدوثها بين «السيدات  
الصغيرات» يتألف محلل ممارسة العادة

جديدة إلى نظرية وعلاج للعصاب المتضمن  
عن (الأنف) وقد وجه فلايس هذا الكتاب إلى  
الأطباء النفسيين كما قال في صفحة ٤٤،  
وما من شك أن هذا كان بدويته من فرويد  
الذي رأى في الكتاب وسيلة لفرويد التعاون  
بينهما وتوضيح فائدة أفكار فلايس بالنسبة  
لتخصص فرويد. وهناك ١٣١ حالة  
«عصاب حقيقي actual neurosis»،  
مذكورة في الكتاب يمكن من ٧٩ صفحة،  
وفي كل حالة كان العلاج بسيطاً إلى غير  
جرامي: من الأنف بالكوكايين، أو الكي، أو  
على الأفكار الكي عن طريق مكه يتم تسخينه  
برأسه تيار كهربائي جلفاني galvanic  
current وهو ما أسماه فلايس galvan  
kautische، وليس هناك دليل في الحالات  
المسجلة في الكتاب على أن فلايس قد  
أجرى جراحة كبرى كما فعل فيما بعد في  
حالة إم أكشتين.

لكن في وقت ما بين كتابة هذا الكتاب  
في عام ١٨٩٣ وإجراء الجراحة على إمسا  
أكشتين في بداية ١٨٩٥، قرر فلايس أن  
هناك احتمالاً لتدخل أكثر حدة، ولكي تعرف  
أكثر عن أفكار فلايس بالنسبة لموضوع  
العادة السرية، والأنف، والعصاب، علينا أن  
نرجع إلى آخر كتاب أرسله إلى فرويد:  
Über den ursächlichen Zusammen-  
hang von Nase und Geschlechtsor-  
gan (مع أهداء نصه) إلى عزريزي

السرية، وقد واصل فلايس بالقول بأن العادة السرية تغبر من تكوين العظمة المخروطية الوسطى اليسرى lejt middle turbinate bone في الثلث الأمامي منها، وأنه بالتالي قرّر أن يسمى هذا الجزء «مركز آلام العدة»، وأضاف أن النزف الأنفي أمر شائع بين النساء اللاتي يمارسن العادة السرية، وقد كان لهذه الآراء آثارها التأسسية على إحصاء أكشئين ويواصل فلايس:

«أتذكر حالة مريضة تم تحويلها لي من عيادة أمراض النساء الملكية بسبب نزف شديد من الرحم حيث فشلت كل الوسائل المعروفة في طلب أمراض النساء في علاجها، وفي اللحظة التي أزلت فيها العظمة المخروطية الوسطى اليسرى المتضخمة، توقفت نزيف الرحم تماماً،

وقد تم نشر أكبر أعمال **فلايس** «العلاقات بين الأنف والأعضاء التناسلية» للأنثى، في عام ١٨٩٧، والإهداء الذي على لسانه **فرويد** يقول: «إلى عزيزي سيغموند - مع إعزائي، وبالكلفة، وبناقش الجزء الأخير من الفصل السادس (مراكز آلام العدة) وأيضاً (تحقيق شفاء دلم عن طريق استئصال هذه المراكز)»، وتوضع تراويج الحالات المرضية المذكورة في الكتاب أن آراء **فلايس** هذه ترجع إلى فترة إجراء جراحة إما أكشئين، وفيما يلي نص فترة مهمة وردت في صفحة ١٠٨:

«لا يعد وصف تأثير العادة السرية على هذا العضو (أي الأنف) كاملاً بالقول إن النتيجة هي إحداث تغيرات في المراكز التناسلية بالأنف، وبخاصة إذا اعتبر المرء أن المراكز التناسلية هي العظمة المخروطية الوسطى septi middle turbinate bone والسلي lower turbinate bone والحاجز الدرني septi middle turbinate bone. فهناك منطقة أخرى من الأنف يحدث لها تغير ملحوظ نتيجة ممارسة العادة السرية وهي العظمة المخروطية الوسطى Middle turbinate bone على الناحية اليسرى وخاصة في الثلث الأمامي منها... قرأنا قماً بإزالة هذا الجزء من العظمة المخروطية الوسطى الأمر الذي يمكن القيام به بسهولة باستخدام جفت

علمي bone forceps مناسب - يمكن شفاء آلام العدة شفاء «مستديماً».

وهكذا فإنّه ما بين عامي ١٨٩٣، ١٨٩٧ كان **فلايس** قد خطا خطوة جديدة في العلاج عن طريق الأنف مستخدماً وسائل جراحية، ومن المحتمل أن أول شخص يتم علاجه بهذه الوسيلة الجديدة هي إحصاء أكشئين.

في ٣٠ مايو عام ١٨٩٣ كتب **فرويد** خطاباً إلى **فلايس** واقترح فيه - لأول مرة - احتمال حدوث إغواء جنسي في سلوك الطفولة المبكرة، وفي الطبعة المنشورة من خطابات **فرويد** إلى **فلايس**، نجد أن الفقرة التالية قد تم حذفها دون أسباب واضحة:

«هناك أواسل - لأتذكر الآن - لتسهيل الكتابة بسهولة أكبر - تقديم التساؤل التالي لك: بلا شك هناك حالات من «الوراثة» تحدث بدون ممارسة العادة السرية، لكن ليس بدون الظروف المواتية للنفس - أي الظروف نفسها التي تقع فيها ممارسة العادة السرية. وإن لدى بعض التحقيقات غير المثبتة لتفسير هذه الحالات:

١ - وجود ضعف خلقي طبيعي في الأجهزة العصبية والتناسلية.

٢ - إساءة الاستخدام الجسدي Abuse في فترة ما قبل البلوغ.

٣ - أليس من الممكن أن تكون التأثيرات العصبية في الأنف هي التي تتسبب في الميل للنفس وبالتالي «الوراثة» بحيث تحدث الأخيرة نتيجة للانعكاس الأنفي؟

ما هو اعتقادك، وهل تعلم شيئاً عن هذا الأمر؟

وحيث إن كلمة Abuse (إساءة الاستخدام) لا يمكن أن تشير إلى ممارسة العادة السرية (فإن **فرويد** يتحدث هنا عن «الوراثة» غير العصبية بالعادة السرية) فلا بد إنها تشير إلى إساءة استعمال جسدي من قبل شخص آخر - أي صدمة جسدية أو إغواء - حيث إنه حسب اعتقاد **فرويد**، دالماً ما تكون أسباب العصب القويقي جسدية،

وفي جميع أعمال **فرويد** المعروفة، تستخدم كلمة Abuse دائماً لتشير إلى إساءة استعمال جسدي واقعة من الغيور ولا تستخدم أبداً للإشارة إلى ممارسة العادة السرية، ويتضح هذا الاستخدام بصورة أكبر في سنو خطاب ثالث سيتم ذكره فيما بعد.

وهذه هي أول إشارة لدينا عن بدء **فرويد** استكشاف مناطق تقع خارج دائرة اهتمام **فلايس**، فعلى حين كان المرض النفسي الناتج عن ممارسة العادة السرية يسمح بحدوث تعاون بين **فرويد** و**فلايس** (يحدث) يقوم **فرويد** بتضخيم المرض على التفرق عن هذه العادة، على حين يستخدم **فلايس** مهاراته الجراحية لإصلاح الأضرار التي وقعت بالفعل) فالأمر يختلف في حالة ما إذا كان سبب المرض يتبع في صدمة حقيقية وقعت على الشخص من العالم الخارجي، حيث لن يكون هناك أسباب مخطئة لتدخل **فلايس** طبياً في هذه الحالة.

والأهم من ذلك أن رجحان كفة التعامل النفسي (في كل من الضرر الذي وقع، وطريقة العلاج اللازمة) كان من شأنه أن يصرق أي تعاون وثيق بينهما فلم تكن تسيطرانهما - الجسدية والنفسية - متوافقة أساساً، على الرغم من أن هذا الأمر لم يكن واضحاً لأي منهما في الفترة السابقة ومع ذلك فإن **فرويد** على ما يبدو كان في طريقه الآن لمباشرة نوع جديد من الأبحاث.

والخطاب الذي سرد جزءاً منه هنا - بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٨٩٣ - قد تم حذفه من الطبعة المنشورة لمراسلات **فرويد** - **فلايس**، وعلى عكس الخطابات وال فقرات المحذوفة الأخرى، فإن هذا الخطاب لم يعرض مثلاً على أرفقت **كرويس**، ولم يتم حذفه بعد عمل النسخة الأولى للكتاب، وقد وقع تحت يدي بالمصادفة في مكتب **فرويد** في ماريشيلدا جاردن، وفيما يلي نص الفقرة الواردة بنهاية الخطاب:

«أما عن باقي الأمور، فإن مسألة أسباب الأمراض العصبية تلاحتني في كل مكان كما تتجبع أغنية «ماربورو» - The malbo- rough song الرجل الإنجليزي في رحاله.

## فرويد ونظرية الإغواء



علما كان فرويد يقول إنه كان يخشى ألا يتمكن من إثبات النظريات المتعلقة بالجنس كان يخشى أنه قد يتم منعه من إعلان اكتشافه الجديد بأن السلف الجنسي الذي يتعرض له الطفل هو سبب الهستيريا والصابا الوسواس، ومن الممكن جدا بالتالي أن يكون فرويد قد أجرى تصويراً في رواية الحالة المرضية لنيكاشاريوشا في كتابه بالتفاوض عن تحديد هوية الشخص الذي قام بإغوائها على إنه أبوها - بناءً على طلب بروير.

فإذا كان أحد شروط بروير للمرافقة على الاشتراك في نشر الكتاب هو حذف نظرية فرويد هذه منه، فإن بعض الحالات المرضية المنشورة فيه تتخذ معنى جديداً، لأنها تستطيع أن تفسر أن فرويد كان قد كتبها في البداية ولي ذهنه أنها لتتحقق بالإغواء. وبالتالي فإن المشهد التالي من رواية الصالة المرضية لإحدى مريضات فرويد يصبح الآن ذا معنى:

... أخبرتها أنني مكتفٍ بما بأن موت ابن عمها ليس له علاقة مطلقة بحالتها بأن هناك شيئاً آخر قد وقع لها ولم تذكره وعندما بدأ أنها على وشك البقع بجملة واحدة على درجة كبيرة من الأهمية، لكنها ما كادت تنطق بكلمة حتى توقفت، على حين الخطر أبوها - الذي كان يجلس خلفها - في بكاء مرير. وبالطبع لم أواصل الضغط عليها للوصول إلى الحقيقة، لكني لم أرَ هذه المريضة بعدها.

ويبدو أن فرويد كان يصف مشهداً للثقة صديرة تتهيم بأبها بالتقادم باغتصابها الأمر الذي جعله يخطر في البكاء اعتراضاً بذنبه وكانت قراءات فرويد في ذلك الوقت تتحقق بموضوع الإغواء، ففي مكتبه الشخصية أربع نسخ من كتاب كرافت - إيبينج Kragft - Ebing (الاضطراب النفسي الجنسي) - Psycho Pathia Sexu - Elis: للطبعة الخامسة (١٨٩٠)، والطبعة (١٨٩٢)، وللتاسعة (١٨٩٤)، والحادية عشر (١٩٠١)، وإذا تفحصنا الفقرات التي علق فرويد عليها في طبعة ١٨٩٤. وهي الطبعة

الأمراض للصابا الثنائية، وكان في هذا قد بدأ - دون أن يدري - يلج حقلاً بحثياً جديداً ما كان أحد على استبعاد لأن يتجه فيه.

وفي عام ١٨٩٤ كان اهتمام فرويد مخصصاً على جمع حالات من أجل كتاب (دراسات عن الهستيريا - studies on Hysteria) بالتعاون مع زميله جوزيف بروير. ونحن نعلم من مصادر أخرى كيف كان بروير متحمساً بشأن نشر هذا الكتاب، لكن ليس هناك مكان وتضيق لنا منه سبب هذا التحفظ بقدر ما يتضح من فقرته محذوفة أخرى من المخطاب الموزع بتاريخ ٢١ مايو ١٨٩٤ ولذا كتب فرويد فيه قائلا:

أليست حالة ماريون ديولوم بمثابة جوهرية مثلية؟ لكنها لن تدرج في السجوعة المزمع نشرها مع بروير لأن المستوى الثاني منها [stockwerk] والمتعلق بالنافع الجنسي ليس من المفترض للتصريح به في هذه السجوعة. إن هذه الحالة المرضية التي أقوم بكتابتها الآن، ولتي ثم شفاؤها، تعد واحدة من أصعب الحالات التي صادفتني في عملي، وسوف أرسله إليك قبل أن يطلع بروير عليها بشرط أن تعيدها على وجه السرعة. من بين الأفكار المتظمة التي راودتني خلال الشهر القليلة الماضية، كانت تروقني فكرة أنني لن أتمكن من إثبات نظرياتي المتعلقة بالجنس...

ومؤخراً، باشرت حالة ابنة صليح خان في الرأكن Rax وكانت حالة مفيرة للاهتمام بالنسبة لي.

ولعل فلايس لم يدرك وقتها مغزى هذه الفقرة المهمة، وكان قد رأى بحث فرويد وأسباب الأمراض العصابية، ولذا أشار فيه إلى الأمراض العصابية الحقيقية أي «النوراستينيا» (خلافًا للأمراض العصابية الذاتية Psychoneuroses - أي للهستيريا والصابا الوسواس - obsessional neurosis والتي تكن أسبابها - في رأى فرويد - في ممارسة العادة السرية. لكن فرويد في هذا الغفاب لم يمد يده إلى العادة السرية والجماع المنقطع (الانحرافات الجنسية من وجهة نظر فلايس) باعتبارها أسباب الأمراض العصابية، فقد كان يتقرب الطريق لنشأ أهم بكثير: الإغواء الجنسي في سولات الطفولة فلم تكن «ابنة مساحب الخسان في الرأكن» سوى كاثارينا التي وردت قصتها في كتاب (دراسات عن الهستيريا) والذي لم يتم نشره إلا في مايو ١٨٩٥.

ومضى الرواية الفريدة لتاريخ المرضي لهذه الحالة - بشكل غير مألوف في الأدبيات النفسية لذلك الوقت - على هيئة (ديالوج) وتضح منه أن كاثارينا كانت قد تعرضت للاغتصاب الجنسي في سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر، لكنها لا تعرف أن أباهما هو الذي قام بإغوائها إلا من خلال ملحوظة أضافها فرويد في طبعة عام ١٩٢٤ من الكتاب:

«استطيع أن أجازف بعد مرور كل هذه السنين بإزالة النقاب عن السر الذي كتمته، وأظهر حقيقة أن كاثارينا لم تكن ابنة أخي صاحبة الخان بل ابنتها، وهكذا فقد أصبحت الفتاة بالمرض نتيجة محاولات الاغتصاب عليها جنسياً من جانب أبيها. إن تشويه الحقيقة - من قبول الأمر الذي قمت به في هذا المثال - هو أمر يجب تجنبه كلية في رواية الحالات المرضية».

لقد قال فرويد بوضوح إن كاثارينا كانت تعاني من الهستيريا (وبالتالي ليس من عصاب حقيقي) وهكذا كان فرويد قد بدأ يمد نطاق نظريته السببية الجديدة لتشمل

الوحيدة التي كتب تطبيقاته فيها - لاتصبح لنا أن معظم هذه التطبيقات كانت تدور حول الاعتناء الجسدي على الأطفال (على الرغم من أن كرافت - إيبينج نفسه لم يقدم أية نظريات خاصة عن هذا الموضوع).

وهكذا فقد كان هناك عاملان رئيسيان يؤثران على فرويد وريشهانه على الضنى قديماً في نظريته الجديدة عن أهمية الإغواء الجنسي: أحدهما هو التمرات التي كان منغمساً فيها، والثاني هو العمل الإكلينيكي الذي كان يقوم به مع مرضاه (والذي نستطيع أن نقرأ عنه في خطبته إلى سلايس)، على حين كان يخطب من هذا التأثير رفض زميله وصديقه في ذلك الوقت جوزيف بروير. ربما كان لمرق فلايس من هذا الموضوع تأثير كبير على فرويد، حيث كان فرويد حينئذ يستعد للإقرار علناً بالتعاون العلمي مع فلايس.

قام فرويد عام ١٨٩٥ بالتطويق على كتاب قام بكتابته موبوس Mobius عن الصداق النصلي، وفي هذا التطويق نجد أول إشارة منشورة لإصابة فرويد بعمل فلايس وتقول آخرقرة في التطويق:

"أود أخيراً أن أؤكد على العلاقة بين الصداق النصلي والأنف.... [الأمر الذي أذكره بسبب] سمرافتي للذمة بأعمال باحث معروف جيداً لقراء هذه المجردة، وبالذات الممثل لملاجه أولاً وهو د.و. فلايس في برلين وطبقاً لما يقوله سلايس الذي ذهب إلى مدى أبعد من مله هاك Hack في استخدام (التركابين، كوسيلة تشخيصية، بتبني أسلوب جريء في العلاج وأصداق وجهات نظر مثيرة - إنه يجب إعطاء الأنف دوراً مهماً في نشأة كل أنواع الصداق بما في ذلك الصداق النصلي، ليس في حالات استثنائية فحسب، بل كقاعدة عامة،

وقد كان فرويد في ذلك الوقت على علم بطبيعة العلاج الجديد: الجراحة - وربما كان هذا هو السبب في وصله باعتباره (جريء). وهكذا فإن فرويد - بالإضافة لتسليمه إما

إكشستين ليدى سلايس من أجل إجراء الجراحة - كان أيضاً يبدى إعجابه بـ سلايس كطبيب حتى بعد إجرائها.

إلى اعتقد أن إما إكشستين قد حفزت فرويد على صياغة نظرية "الضولية"، ومكتشف أسباب هذا الاعتقاد فيما بعد، لكن هل هناك أية أدلة على أن إما إكشستين نفسها قد تعرضت للاعتناء في طفولتها؟ في كتاب "أسباب الهستيريا، الذي شت كتابه عام ١٨٩٦، أي حين كانت إما إكشستين لا تزال مريضة، كتب فرويد قللاً:

"إذا أخذت تأكيد بأن سبب الهستيريا يقع في الحياة الجنسية للاختبار الحقيقي، لوجته مؤيداً بحقيقة أنه في ثلثي عشرة حالة من حالات الهستيريا استطعت أن أكتشف هذا الارتباط. في كل عرض من أعراض المرض، وأن أثبت هذا الارتباط - حين كانت الظروف تسمح - بنجاح العلاج.... وهذه الحالات الثماني عشرة هي جميع الحالات التي قمت فيها بإجراء تحليل نفسي للمرضى... وبالتالي، فإنني أقدم هذا الطرح العملي بأنه في خلفية كل حالة من حالات الهستيريا هناك نورية جنسية مبكرة أو أكثر [إغراء]...."

وقد كان فرويد بالتأكيد يتذكر إما إكشستين مريضة بالهستيريا، ومن الواضح بالتأكيد أنه كان يعتقد أنها قد تم إغواؤها في طفولتها.

ويوجد المزيد من المحرمات عن هذه المسألة في كتاب فرويد "خطة من أجل علم نفس بالأسلوب العلمي، Project for a "Scientific Psychology" الذي كتبه في عام ١٨٩٥، ويصل الفصل الرابع من الجزء الثاني من "الخطوة" محاولة لتفسير ما يبدو أنه شكوى غامضة لمریضة تدعى إما، وكانت المريضة في الواقع هي إما إكشستين. بدأ فرويد (في الترجمة التي قام بها جيمس ستراكي) قللاً:

"تعرض إما في الوقت الحالي لنفص قهري Compulsion يمنها من التوجه إلى الحرائث بمفردها، وقد علقت ذلك بذكرى

تلوح لها من وقت أن كان عمرها اثنتي عشر عاماً (أي بعد سن البلوغ بقليل)، فقد ترجعت إلى حالات لشراء شيء ما ورأت البائعين يضحكان معاً، فجرت من حالة من القزع ومن لحظة هذه الذكرى تبينها لأن تسترجع أن الاثنين كانا يضحكان من ملابسها، وأن أحدهما كان قد أمتعها جنسياً قبل ذلك.

وسمى هذا أن إما إكشستين قد شرحت بنفسها شعورها للاماض بالإشارة إلى هذه التجربة المبكرة، لكن فرويد يستمر في التذوق:

"أظهر الفحص الأصم ذكرى ثانية، وهي ذكرى تذكر أنها كانت أديها وقت استرجاعها للشهد الذي قمت.... فعلى مرتين مختلفتين، حينما كانت طفلة في الخامسة، ذهبت إلى محل صغير لشراء بعض الحلوى، وقد لاسك صاحب المحل بأعضائها التناسلية من فوق ملابسها، وعلى الرغم من حدوث هذا في المرة الأولى، ذهبت هناك مرة ثانية، لم ترفقت بعدها عن الذهاب إليه، وفي الآن فريخ نفسها على الذهاب في المرة الثانية، كما لو كانت قد أرادت بهذه الطريقة أن تعرض على الاعتناء عليها.

وفي نهاية النص يستنتج فرويد:

"نحن هنا أمام حادثة تحرك شعوراً لم تكن قد تسببت فيه حين وقعت بالفل، لأن التغيير الذي حدث بعد سن البلوغ قد أتاح فهماً مختلفاً للذكريات وهذه الحالة تمثل بوضوح عملية الكبت Repression في حالات الهستيريا.

وهكذا، فقد استخدم فرويد حالة إما إكشستين لشرح كبت الذكريات، ونحن لانظـ ما هو سبب مشاكل إكشستين النفسية في رأى فرويد، لكن موقفه النظري - الذي عبر عنه كدوراً - كان يقول بأن أعراض الهستيريا في فترة الكبت latency (أي بعد سن الخامسة) أو في المرافقة تظل بصورة شبه دائمة آثار اعتناء جنسي في فترة مبكرة.

وكان فرويد مقتنعاً في ذلك الوقت أن ذكريات إما إكشستين حقيقية، كلمة "مشهد، "Scene" التي استخدمها في هذه الفقرة،

## فرويد ونظرية الإغواء.



الخطابات عدة روايات لعالات مرضية قام الأب فيها بإغواء طفله، مما حرم الأجيال التالية من الفرصة لتقويم، أو حتى معرفة الدلائل التي كان **فرويد** يجدها في عمله الإنكليزي، والتي أدت إلى اعتقاده بصحة وقوع الصدمات الجنسية المبكرة، وكان هذا الحذف يتم بصورة منتظمة للخطابات التي كتبت بعد ٢١ سبتمبر ١٨٩٧ (الوقت الذي يفترض أن **فرويد** قد تراجع فيه عن نظرية الإغواء)، والفروض أن سبب هذا الحذف يكمن في أنه سالماً **فرويد** قد تخلى عن نظريته باعتباره خطأ وقع فيه، لمسوف يكون أسراً مشوشاً بالنسبة لمتعلمين في المستقبل أن يقرروا أفكاراً ترجع إلى الوقت الذي كان **فرويد** لم يترك فيه بعد الطبيعة الخارقة للخيال Fantasy وأحدى الوثائق الصعبة في هذا المجال هي رواية الصالة المرضية التالية والتي تم حذفها من النسخة المنشورة لخطاب بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٩٦:

«لدى إحدى مرضياتي، والتي يلعب أبوها لمتصرف لأقسي جد دوراً روسياً في تاريخها المرضي، أخ أصغر يظهر إليه باعتباره غداً، وفي أحد الأيام ظهر هذا الأخ في عوداتي ليوهان - ولدمروغ في عيونه - أنه ليس رغباً بل مريض، وهو بالناشئة يشكو أيضاً من نوبات صدادع أفني ثلاثاً، ولقد قمت بتوجيهه إلى أخته زوج أخته فزارهم بالفضل في ذلك المساء لتصفيت الأخت بي لأنها كانت في حالة سيئة، وفي اليوم التالي علمت أنه بعد أن رحل أخوها من عندها انتابها نوبة صدادع مزلة للغاية، وهو الأمر الذي لم نمان منه من قبل. السبب: أخبرها أخوها أنه حين كان في الثانية عشر من عمره، كان نشاطه الجنسي يتركز في تقبيل (لعق) أقدام أخواته في الليل. ويخاضه للخطوط، استجابت الأخت من اللامعة تذكري مشهد (من من الزاوية) حيث كانت تراقب أباه - في ختم الهواج الجنسي - وهو يقوم بلعق قدمي مربية مخمورة. وبهذه الطريقة، استلججت أن ميول الابن الجنسية تابعة من الأب، وأن الأخير هو مغوى الأول. والآخ، فقد سمعت لنفسها أن تتحد مع، وتشعر بنوبات الصدادع التي يعاني منها وقد

الجنسي التقدم إلا باستخدام أشد الضغوط المتلحقة في عملية التحليل النفسي، وفي مواجهة مقاربة هائلة.

والأكثر من هذا أن للكرسى يجب أن تصحرج من هؤلاء المرضى جزءاً بعد جزء، وأثناء إيقاظها في وعيهم يصيحبون نهياً لمشارقة نفسية يصعب جداً استلحها.

وأخيراً **فرويد** هذا البحث بقوله:

«لدى مقتنع أن عوامل الرواية في حد ذاتها لا تتلجج للعصاب اللغواني مالم يترافد للسبب بالرائجي: وقوع إثارة جنسية قبل الأوان Precocious sexual excitation».

وفي وقت ما خلال عام ١٨٩٥ أو ١٨٩٦، أصبح **فرويد** مقتنعاً بأن الأشخاص المسؤولين عن الاعتداء الجنسي على الأطفال الصغار (وخاصة للفتيات) هم في الأغلب آبائهم (في خطابه بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٨٩٧) كتب **فرويد** إلى فلافيس: «والصفاة إنه في جميع الحالات كان يجب أن يتهم الأب بارتكاب هذا الجنس، لكن **فرويد** لم يقل ذلك على السأ، ويبدو أن الخطر الأخلاقي على الحديث عن الآباء الذين يغويون أطفالهم تم تسليمه من جول إلى جول بين المحللين النفسيين منذ عصر **فرويد**، وهكذا فإن تشارلي (أصول التحليل النفسي) أرست كروسي وأناً **فرويد** قد حذفنا من

مثل دون أدنى شك شيئاً قد وقع بالفعل وتبين هذه الفترة من «الخطبة» أنه في أعقاب جراحة إما «مكتسبة» كان **فرويد** مهتماً بالأحداث والصدمات التي وقعت بالفعل في المراحل المبكرة من العمر، وتأثيرها على الحياة النفسية للضحية فيما بعد.

ظهرت نظرية **فرويد** الجديدة على السأ لأول مرة في الدورية العلمية الفرنسية Re-vue neurologique في ٣٠ مارس ١٨٩٦ وكان عنوان المقال «رواية وأسباب الأمراض العصبانية، L'Hérédité et l'étiologie des névroses»، ويضمن أول استخدام لكلمتي «التحليل النفسي» و«العصاب اللغواني» psychoanalysis، وقد ذكر **فرويد** أنه أجرى تحليلاً نفسياً كاملاً، على ثلاث عشرة حالة من حالات الهستيريا وليس هناك حالة واحدة لم أجدها وأقنع من النوع الذي ذكرته سابقاً [الإغواء في من الطفولة]، وكانت هذه المراتب تمثل إما في اعتداء وحشي ارتكبه شخص بالغ، أو [إغواء أقل مرة واحدة لكنه يؤدي إلى النتيجة نفسها.

ومعنى **فرويد** قال:

«كيف يمكن الاكتناح بحقيقة وقوع هذه الاعترافات للكتاتبة من التحليل النفسي والتي يزعم أصحابها أنها تذكريات من من الطفولة المبكرة؟ وكيف يصلح للمرء أسام قبول للكذب والاختلاق الذي يصيب للأشخاص الهستيريين؟»

الإجابة التي قدمها **فرويد** عن هذا السؤال صحيحة الآن بقدر ما كانت صحيحة آنذاك، وهي أن الأحاسيس التي تكثرها تلك التذكريات لا يمكن أن تكون نتاج الاختلاق، بل هي مشاعر تم إصابتها منذ أمد طويل حيث ظلت مسجورة لمدة سنين ثم تصادد للظهور مرة أخرى.

«الواقع أن هؤلاء المرضى لا يتكفرون هذه التروايات من تلقاء أنفسهم أبداً، ولا يقومون فجأة بتقدم وصف كامل لمشهد من هذا القبول الصالح، بل لإيجاج المرء في إيقاظ الآثار النفسية السردية على الحدث

تمكنت من ذلك، بالمداينة، لأنه أثناء المشهد نفسه قام الأب بركل الطفلة التي كانت مخبئة تحت السرير) بخذله في رأسها.

وحتى إن لم يكن قد ذهب إلى حد أن يمان على السائل أن الأب هو الطرف المذبذب، إلا أن فرويد - في عام ١٨٩٦ - كان على أعقاب التوصل إلى حقيقة الإغواء.

في الوقت نفسه، كان فلايس يتحرك في اتجاه مخالف تماماً ولقد ساهمت بعض الآراء التي أبدتها خلال تلك الحقبة في تغيير موقف فرويد في النهاية، إذ إنني أعتقد أن آراء فلايس تجاه أسباب الأمراض العصبية قد أثرت في فرويد تأثيراً كبيراً بحيث جعلته يتخذ موقفاً جديداً يتسم بالاشك إزاء حالة إكشتين ونكباتها، وفيما بعد تجاه مريضته بدءاً من عام ١٨٩٧ فصاعداً، ففي كتابه المنشور عام ١٨٩٧، قدم فلايس حالة الطفل فريزل البالغ من العمر ثلاثة أعوام كالآلا:

«على مدى عام لاحظت زوجة الأب أن الطفل الصغير لديه شعور واضح بالفزع، وإنه مهتم جداً بالجمد الأنثوي العاري، ويسعى للمسح به... ومنذ ذلك الحين وهو يعاني من نوبات فزع ليلية وتوتر في فترات المساء، وفي المصاد، تسبب هذه الأعراض نوبات من البكاء والصراخ لمدة يومين مصحوبة بالانصباب».

كيف شرح فلايس هذه الملاحظات؟ لقد قال إن أول نوبة من نوبات الصراخ وقعت في ١١ أكتوبر، والثانية في ٢٩ فبراير، والثالثة في ٢٨ مايو، أي أن الفارق بين كل نوبة والثالثة ١٢٨ يوماً أي ستة أشهر تقريباً (Male Period، الدورة الذكرية).

وفي الخطاب غير المنشور الذي كتبه فرويد إلى فلايس في عام ١٨٩٦، يخلص أن «الخاصية الدورية periodicity قد بدأت تلعب دوراً مهماً رمزياً، فقد كان فرويد يتقرب باستمرار في حياته الخاصة لوجد ما كان فلايس يدعوه «Terminé»، أي للتواريخ ذات الخصبة الخاصة في حياة الشخص، وفي رأي فلايس، كانت هذه التواريخ ترتبط دائماً بالأرقام ٢٨، ٢٣، والأرقام المحيطة بهما على نحو ما (على

سبيل المثال الرقم ٥، للفارق بينهما) وكان فلايس يؤمن أن كل الأحداث في حياة الإنسان تنصرف على هذه للتواريخ العرجة، كما كان يعتقد أن نظرياته تلك تصليه خرافات خلسة توهمه لتوقع وفي وفاة شخص ما:

«لاحظت في عدد من المرات أن الأم تلفظ آخر أنفاسها في الوقت نفسه بالاضطراب الذي تبدأ فيه الدورة الشهرية لانقطاعها، وفي حالات الأمراض المستعصية التي تبلغ مراحلها النهائية، كان بمقدوري أن أكتأب يوم الوفاة بالارتباط بينه وبين حدوث الطمث: «سوف تموت الأم في اليوم الذي تبدأ فيه الدورة الشهرية عند ابنتها، وبالفعل كانت صحت في ذلك اليوم».

وفي ٢٤ نوفمبر ١٩٣٧، عندما زارت ماري بونايرت فيينا لتطلع فرويد على الخطابات العرجة منه إلى فلايس - والتي كانت قد اشترتها - ناقشت معه أمر فلايس وكتبته قائلا:

«إذا كان فلايس يعتقد بشدة في نظرية الدورات التي تتحدد موعد وفاة الناس، فلابد أن ذلك - في رأي فرويد - يرجع إلى نذمه على وفاة أخيه الصغير، فقد ماتت بسبب الانصباب الزفوي في الوقت الذي كان فلايس يفي فيه دراساته الطبية، وقد لام نفسه على إنه ربما لم يولها الرعاية الكافية. فإذا كان الإنسان يموت في يوم محدد سلفاً، فإن فلايس يستطيع أن يخلص من الشعور بالذنب».

وفي الواقع فإن كلمات فلايس نفسه تؤيد ذلك بشدة:

«في ظهيرة يوم ٢٤ مارس ١٨٩٩، بدأت أخت زوجتي مهلاان رنظم بالأم الرضيع، وبحدها بست ساعات أوجبت إبنتها مارجريت، وفي الظهيرة نفسها بدأت لدى زوجتي الدورة الشهرية، وكما علمنا فيما بعد، فقد كانت هذه آخر دورة لها (حيث أصبحت بعدها حاملاً). وهكذا، تكلمت إحدى الأخنتين حالة العمل لدى الأخرى، وهذا الأمر أكبر من كونه مجرد حالة قريبة، فخلقه ويقع قانون خفي من قوانين الطبيعة، فإذا حسينا ٢٨ يوماً من تاريخ ٢٤ مارس (أي ١٠

أشعاف ٢٨)، لأصبحنا في تاريخ ٢٩ ديسمبر، وهو اليوم نفسه الذي ولد فيه أكبر أبنائي قبلها بأربع سنوات (٢٩ ديسمبر ١٨٩٥)، وفي اليوم نفسه قبل ذلك بعشرين سنة. أي في ٢٩ ديسمبر ١٨٧٩ - أصبحت أختي بمرضاها القاتل وتوفيت بعدها بثلاثين ساعة».

وكما هو متوقع، ففي حالة إما إكشتين كان رد فعل فلايس الفوري تجاه اللزيف هو البحث عن تفسير له في الأرقام ٢٨، ٢٣ بدلاً من البحث عنه فيما قام به مع المريضة، وعلى الرغم من أن فرويد لم يستطع أن يماري فلايس في هذا الأمر في حالة إما إكشتين - دون أن يتخلى عن نظرياته حول أصول الأمراض العصبية - إلا أنه، مثله في ذلك مثل فلايس، رجح بحته بعيداً عن الجراحة - أي بعيداً عن سبب خارجي - وبدأ يبحث عن السبب في اللزيف في إكشتين نفسها (كما كان بلا شك في مصلحة فلايس) أما بالنسبة لإكشتين، فالحقيقة أن مصدر نزيفها لم يكن يتبع في الدورات المتعددة المفكورة في ٢٣ يوماً و٢٨ يوماً، ولا في التنبؤ الهستيري، بل في جراحة غير ضرورية أجريت لها بسبب خطأ مشترك من طبيبين أعنتها الضلالة.

ولقد كان لدى فرويد الخيار بين أن يدرك ذلك ويعترف به لإما إكشتين، ويواجه فلايس بالحقبة متعملاً بالتواب، أو أن يحمي فلايس باختلاق عذر لما حدث، لكن لكي يفعل ذلك، ولكي يطمس معالم الأذى الخارجى الضملي في السلبية الجراحية، كان من الضروري أن يبدلي نظرية تعتمد على التحيزات الهستيرية - Hysterical Jan-tases، أي نظرية يمكن بمقتضاها اعتبار أن أحداث الأذى الخارجى التي عانت منها المريضة لم تحدث مطلقاً، بل كانت من اختلافاً. فإذا لم تكن لمشاكل إما إكشتين (اللزيف لأصاها) علاقة تربطها بالذنب الحقيقي (جراحة فلايس)، فمن المحتمل جداً كذلك أن ما ذكرته سابقاً عن إغوائها كان من صنع خياله. مرفوما بعد، سيكون

للعمل الذي قام به فرويد - من قبول الولاة للفلايس - نتائج أهد كثيراً من هذه الحالة اللرية.

وفي منتصف عام ١٨٩٦، كان فرويد يواجه صراعاً داخلياً: فمن ناحية هناك مريضاته اللاتي يستعمن بهزيد من الألم ذكريات المدمات التي تعرضن لها في طفولتهن، والتي لم يكن هناك داع لعدم تصديقها، والتي نشر عليها سلسلة من المقالات النظرية والإكلينيكية الدقيقة تسمى اكتشافاته الحديثة، ومن ناحية أخرى، كانت إحدى مريضاته - التي أسمته بمعلومات قيمة في هذا المجال، قد تعرضت لسنن بالغ من جراء عملية جراحية تمت بتوصية من فرويد وعلى يد أقرب صديق شخصي له. وكان من الطبيعي أن تصل للمواجهة بين هاتين المجموعتين من الأحداث حيث لم يكن من الممكن التوفيق بينهما - إلى نقطة اللاعودة، وحيث يصبح فرويد في مواجهة الاختيار الصعب.

وفي ١٦ أبريل ١٨٩٦ (في خطاب تم حذفه من «أسس التحليل النفسي») أخبر فرويد فلايس أنه قد وجد:

«تفسيراً مطابقاً لما في التحليل لكششتين، وسرف جعله سبباً جاداً، قد درست بالمثل لمعامل القصص، لكدي سرف أفنظر حتى أسمعها من المروضة نفسها قبل أن أبوح بها».

وفي ٢٦ أبريل كتب فرويد مرة ثانية:

«بادئ ذي بدء، موضوع «كششتين، بإمكانى أن أثبت أنه كنت على صواب، وأن نوبات اللزف التي ابتليها كانت ذات أسباب هستيرية وترتبط بالمشيق الجنسي، وربما كانت تحدث في المراحل المبكرة بالجنس (لم تخبرني المرأة بمدى من قبول المقاومة بالتحليل)».

ويوضح من هذه الفقرة أن فلايس كان قد أخبر فرويد أن اللزف الأفي الذي وقع لإما «كششتين بعد الجراحة لم تكن له علاقة بقطعة الشاش التي تركها في الجرح، بل كان ذا طابع هستيري، وصيب أرواحها وليس

## فرويد ونظرية الإغواء



بسبب الإهمال الطبي. وكانت الكلمة التي استخدمها فرويد لتصور عن المراحل المبكرة بالجنس هي Sexualtermine، وهي مستمدة من اعتقاد فلايس بأن الأحداث الجنسية ترتبط بتاريخ معية، وعلى ما يبدو كانت ترايخ حذرت اللزف هي أكثر ما يهم فلايس.

وفي ٤ مايو، قدم فرويد شرحه للحالة:

«أما بالنسبة لكششتين، فإن ما أمسه حتى الآن هو أنها تلزف بسبب المشيق الجنسي، ولقد كانت دائماً تلزف بغزارة عندما كانت تخرج لنفسها وفي الأحوال المشابهة، وفي طفولتها، عانت من نوبات لزف أنفي شديد. وفي السنوات التي سبقت بدء الحيض لديها، كان يتأهبها صداد ثم تفسيره على أنه من قبول التمارين، وكان في الواقع ناتجاً عن الإجماع، ولهذا السبب فقد استقبلت بفرح للزف الطمهي الشديد باعتباره دليلاً على أن مرضها كان حقيقياً، كما اعتبره الآخرون أيضاً دليلاً على ذلك، ولقد وصفت لي مشهداً يرجع إلى وقت أن كان عمرها خمسة عشر عاماً، حيث بدأت فجأة في اللزف من أنفها عندما لتأهبها رغبة في أن يعالجها طبيب شاب كان موجوداً وقتها (وكان الطبيب نفسه يظهر لها في أحلامها). وعندما رأيت كيف تأثرت بشدة عندما شاهدت أول تلزف لها عندما

كانت بين بدى روزانس، استقبلت ذلك باعتباره تحقيقاً لرغبة قديمة في أن تجد الحب أثناء مرضها، وعلى الرغم من الخطر الذي تعرضت له في الساعات التالية، إلا أنها شعرت بسعادة لم تشعر بها من قبل، وبعد ذلك - أثناء وجودها في المصحة - لتأهبها لتلق خلال ساعات الليل بسبب رغبة غير واعية في أن تمتصني على الشفاة إليها، وحيث إنني لم أعقب إلى هناك خلال الليل، فقد نودت نزفها مرة بعد مرة كوسيلة مؤكدة للإثارة عواطفى. قد تلزفت من لقاء نفسها ثلاث مرات، واستمرت كل مرة أربعة أيام - الأمر الذي لا بد أن له دلالة ما. ومازلت أفنظر منها التفاصيل والتواريخ بالتعدي».

كان فرويد متفهماً على أن يمكن من إمداد فلايس بالتاريخ التي ستخلصه نهائياً من أي مسؤولية عن تلزف إما «كششتين، ويستطيع أن نجد تفهوماً مهماً في استخدام فرويد لكلمة «مشهد Scene»، حيث أصبحت تتضمن معنى التحليل وترتبط به «تحقيق» الرغبات Wish Juidlillment، وليس بالأحداث الحقيقية، وفيما بعد سوف يصبح هذا التغير كاملاً.

وفي ١٧ يناير عام ١٨٩٧، كتب فرويد خطاباً إلى فلايس، وفي فترة مده - تم حذفها من المخطبات المنشورة، على حين ضلها شور - أتى ذكر إما «كششتين:

«تدري إصاً مشهداً يقوم فيه الشيطان برشق ذبابيس في إصبعها ثم يضع قطعة من الحلوى على كل نقطة دم. وعندما كان فرويد يستخدم كلمة مشهد في أبحاث عام ١٨٩٦، ففكان يشير إلى حدث حقيقي، لكن استخدام الكلمة قد تغير الآن، ويكتب ماكس شور عن هذه الفترة قلائ:

«إن استخدام كلمة «مشهد» هذا ذو دلالة مهمة جداً، فحين نظم من مراسلات فرويد مع فلايس أنه كان لم يزل يؤمن بكون الإغواء سبباً للهستيريا. ومع ذلك، ففي هذا الجزء من الخطاب يصف بوضوح ما أسماه فيما بعد خيالات Fantasies، ويطبق هذا على «مشاهد» إصاً، مما يجعلنا نعتقد أنها كانت واحدة من أولى المروضات اللاتي



أصطلاحين **فرويد** الفرنسية لكي يدرك أن ملكات مرضانه وصفه باعتباره إغواء حقيقيا لم يكن سوى خيالات.

وبعدا بأسبوع، في ٢٤ يناير ١٨٩٧، كتب **فرويد** ثانية إلى **فلايس** عن الساعات والدماغ والجنس في فترة (نشرها **شور**) لا يمكن إلا أن تكون منطقية بإكشتين:

«تخيل إنني تلقيت وصفا لمشهد يصور ختان فداء، وفيه يتم اجتياز قطعة من إحدى الشفرين الصغيرين Labia minora (والتي لا تزال أقصر من الأخرى حتى الآن)، وإعصاف الدم السائل منها، وبعدا أعطيت الفتاة قطعة من الجلد لتأكلها».

مرة ثانية، كان **فرويد** يعنى بكلمة «مشهد» الطحال، وكان يزود **فلايس** بالأدلة على كون إكشتين شخصية مستيرية تختلق أحداث التعرض للأذى، وكان المغزى من ذلك هو أن يؤكد **فلايس** أن قيامه بإجراء الجراحة لا غبار عليه بالمرّة؛ فقد زُفّت إكشتين لأنها كانت مخفية بالخيالات، وبمعنى آخر كانت إكشتين مستحسنة للزنايب سواء أجريت الجراحة أم لا، فما من يوم يقع على **فلايس** إذن. قد كانت تقوم أثناء الجراحة بتخيل مقوسها المستيرية سراً، مستخفة من الجراحة التي أجراها **فلايس** عذراً جسدياً، وبالتالي لم يكن زفها نتيجة لما قام به **فلايس**، بل استجابة لمسرح الخيالات السري الذي يصرى أمدائه داخل عقلها. إذن فإذا كانت قد زُفّت لدرجة اقترابها من الموت، فلم يكن ذلك بسبب **فلايس**، بل بسبب خيالاتها الدنس.

ومنذ عام ١٨٩٤ وحتى عام ١٨٩٧، كان **فرويد** مشغولاً بحقيقة الإغواء، وبمصور إكشتين، وبدأ أن الموضوعين مرتبطان ببعضهما، وليس من قبيل المضادفة. من وجهة نظري - أنه بمجرد أن قرر **فرويد** أن حالات اللزف التي انتابت إكشتين كانت مستيرية ونتيجة عن خيالات جنسية، أصبح لديه السرورية في أن يتخيل عن نظرية الإغواء، وظاهر الأمر أن نشاطه بالإغواء قد انتهى بصورة حادة في ٢١ سبتمبر ١٨٩٧ في خطابته السهم إلى **فلايس**. وبسبب

الأهمية القصوى لهذا الخطاب بالنسبة للتأريخ لتفكير **فرويد**، سننقل هذا أجزاء كبيرة منه: «عزيزي **فيلهلم**:

هناك مرة أخرى، لقد عدت صباح أمس منتعشا وسعيداً، وبدون عمل حاد، وبمجرد أن استقررت ثانية، شرعت في الكتابة إليك،

وألأن أود أن أفتنى إليك في الحال بالسر العظيم الذي ظل على مدى الأشهر القليلة الماضية ويصنع لي رويداً رويداً؛ فأننا لم أجد أومن بنظريتي الخاصة بالأمراض العصابية neurotica، ولعل هذا يكون أمراً غير مفهوم، فأنت نفسك - على الرغم من كل شيء - رجحت ما أخبرتك به جديراً بالصدق، لهذا سوف أبدأ من البداية وأخبرك من أين أتت أسباب إنكارى لصحة نظريتي، فخيبة الأمل المستمرة التي تقهقها جهودي للوصول على استنتاجات حقيقية من التحليل النفسي، وهروب الأشخاص الذين ظلت على مدى فترة من الزمن مستعوزاً عنهم (برأسطة التحليل النفسي)، وغباب النجاح لكامل الذي كنت أرحبه، وإمكانية أن أضر نفسي للجراح الجزئي الذي تصق بطرق أخرى - كانت هذه هي المصروعة الأولى من الأسباب، ثم تأتي السفاجاة المنطقة في أنه - في جميع الحالات كان الاهتمام بارتكاب الفعل المشين يجب أن يلقى على عاتق الأب. مع الأخذ في الاعتبار الكثرة العددية غير المتوقعة لحالات الهستيريا، على حين أنه بالطبع ليس من المعمل أن يكون التحلل اللغوي لدى الآباء بهذه الدرجة من الانتشار (بل إن (معدل) التحلل اللغوي يسويح في هذه الحالة أكبر بكثير من حالات الهستيريا لأن المرض لا يحدث إلا مع وجود تراكب للأحداث في وقوع عامل مساعد وضيق المقاومة لدى المريض)، وثالثاً: علمي الأكيد بأنه ليس هناك أدلة على صحة الأحداث المستفزة في اللاوعي، بحيث لا يمكن للمرء أن يفرق بين الحقيقة والاختلاق المقترن بالباطلة (ويتلصالي يبقى للحد المتمثل في كون الخيالات الجنسية بلا استثناء تنطق بالآباء.

وربما: هناك الحقيقة القائلة بأنه في أكثر حالات الذهان تأملاً، لا يمكن استرجاع التكريرات غير الواضحة، بحيث لا يتسنى اكتشاف أسرار التجارب التي مر بها المريض في طفولته حتى في أشد حالات هذيله، وهكذا، إذا أخذ المرء في اعتباره أن اللاوعي لا يتخطى مطلقاً على مقاومة الوعي في هذه الحالات، فإن احتمالات حدوث العكس أثناء العلاج - بأن يفتح اللاوعي كتيبة لسلطة الوعي - يتضامن أيضاً.

لو كنت أشعر بالكتابة والمعرفة والإنهاء، لأمكن تفسير هذه الملاحظات باعتبارها من هجمات الضيف، لكن بما أنني، على العكس، في حالة مغايرة شاماً، فمن الترابج على أن أعتبر أن ملاحظاتي ما هي إلا نتيجة إعمال عقلي بمطابقة وأمانة، ويجب على أن أكون فخوراً بلأني لا أزال قادراً - بعد هذا التوغل العميق - على إعادة انتقاد عملي، ومن الغريب أيضاً إنه ما من شعور بالفشل انتابني، بل إلى على العكس أحس بشعور المتعصر وليس المهزوم، لقد كان عليّ حفاً أن أشعر بمنتهى الأسى، فترقعات الشهرة العالمية، والثناء الأكيد، وتجنيد أطفاي الصغار والمثنيات التي يسبتي ضبابي، كل هذا كان يتوقف على مدى صحة نظرية الهستيريا، أما الآن، فما على سوى أن أرفع في هدوء وكرامته، وأستعمر في التلق والتفكير،

وعلى الرغم من التحقيقات العديدة التي تقبها هذا الخطاب من جانب المحللين النفسيين، إلا أنه لم يزل يحصل موانع الفهم، حيث تهدد الاعتراضات التي ساقها **فرويد** في خطاب منذ واقعية هناك عرض الأطفال عمالة لذلك التي سبقها فيما قبل زملاؤه المعاصرون للنظرية من البداية، وكان **فرويد** قد أجاب عن هذه الاعتراضات في أبحاثه الثلاثة عن الإغواء عام ١٨٩٦، وهي الأبحاث التي أعلن فيها **فرويد** إيمانه بحقيقة إغواء الأطفال، مؤكداً ذلك بالذلال والإجابات عن الاعتراضات التي من المعمل إثرائها. ولندقق الآن باختصار اعتراضات **فرويد** الأخرى: فهل من

## فرويد ونظرية الإغواء



يشغلي عن فكرة الدور المهم الذي تلعبه وقائع الإغواء، لصالح اكتشاف الظروف الطبيعية والضرورية لتطور الأطفال، والحياة للخوالية لديهم، وهو يسجل انطباعات جديدة في خطباته، لكن لا يورد أى ذكر للاختلاف بين هذه الانطباعات وبين نظرية الإغواء، حتى حدث في أحد الأيام - وبالتحديد في خطاب بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٨٩٧ (الخطاب رقم ٦٩) - أنه قام بوصف كوفية اكتشافه لخطئه.

وفي شرحه لهذه الخطوة الهامة يكتب كريس في إحدى المحررات: «لقد اقترب بشدة من مركب أروبيد»، حيث تعرف على ميول الأطفال العدوانية ضد آبائهم، ولكنه ظل مع ذلك مؤمنا باعقاده، «بصفة مشاهد الإغواء، ويبدو أنه من الممكن الافتراض بأن النقد الذاتي الذي قام به في هذا الصنف هو الذي أدى إلى أن يتمكن من أن يلفظ نظرية الإغواء».

إن كريس على حق، فقد بذل فرويد اجتهاد تفكيره، فبقا قبل تعرف فرويد على الأعمال العدوانية التي يقوم بها الآباء تجاه أبنائهم - حيث إن الإغواء يمثل عملا عدوانيا - وفي عام ١٨٩٧، برز اكتشاف جديد، فالأطفال لديهم ميول عدوانية تجاه آبائهم: «الميول العدوانية تجاه الآباء (تمنى موتهم) هي أيضا جزء مهم من الأمراض العصابية، حقا، لماذا لا يشغلي الأطفال اللذان من جرأهم ارتكبت في مخيمهم؟ إذا كانت وقائع الإغواء قد حدثت بالفعل، فليست هذه الميول العدوانية سوى علامات صحية على الاحتياج، لكن ما دام فرويد كان قد قرأ وقائع الإغواء لم تحدث سلقا، وأن الآباء لم يهتقوا ضررا بأبنائهم في الواقع، فقد حلت هذه الميول محل الإغواء في نظريات فرويد حيث استبدل الفعل والميول، والحدث الرمزي بالذاتيات، وأصبحت هذه «الحقيقة» الجديدة مهمة جدا بالنسبة لفرويد حتى أن ميول الآباء تجاه أبنائهم تم نسيانها ولم يحد تلقى اعتماسا في خطباته وكتاباتاته، ففي خطاب أرسله إلى آنا فرويد - ردا على وجهة نظري القائلة بأن فرويد قد أخطأ بتخليه عن نظرية الإغواء - كتب قائلة:

شراكتها لمجموعة خطابات فرويد إلى فلايس - أول من سجلت هذا الرأي، وكانت تحتفظ بكراسة مذكرات عن الخطابات حيث كانت تخلص فيها محتويات كل منها، وشغل هذه الشخصيات بالموضوعية والدقة لأقصى درجة، لكنني اكتشفت مرة واحدة فقط إساءة لفهم ملاحظات فرويد في الخطابات، وكانت هذه المرة الوحيدة تتمثل في تعليقها على الخطاب المؤرخ بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٨٩٧، والذي يوضح مرة أخرى حدة الشحنة العاطفية التي يوجهها هذا الموضوع لدى السطون للفنسيون، فقد كتبت مساري يوناهرت: «لقد سلط فرويد الضوء على (كذب) المصابين بالهستيريا - إن القصة المذكورة عن الإغواء بواسطة الآباء ليست سوى (خيال)». وفي الواقع، كما نستطيع أن نستنتج من قراءة الخطاب، فإن فرويد لم يقل إن المصابين بالهستيريا (يكذبون)، وعلى مدى الأجيال المتعاقبة من هذا الخطاب - وعلى سبيل المثال، كتب أرنست كريس Ernst Kreis - الذي قام بالمشاركة مع آنا فرويد بانتقاء خطابات فرويد إلى فلايس للنشر - في مقدمته للكتاب: «في ربيع عام ١٨٩٧، وعلى الرغم من تراكم المحرمات عن طبيعة الذاتيات التابعة من التروغيات في سن الطفولة، إلا أن فرويد لم يستطيع أن يتخذ قرارا بأن يخطئ الخطوة الهامة التي تستوعبها ملاحظاته، وأن

المدمحل حقا أن الأشخاص الخاصين للتحليل النفسي «يولون بالقرار، بعد الكشف عن تلك الأسرار المؤلمة في ماضيهم؟ وقد يكون لشركه فرويد عن كثرة التماثلات التي يكن فيها الآباء متحمين بارتكاب الفعل أهمية إحصائية، ولكن هل لها أية أهمية نظرية؟ لقد أصاب فرويد بقره إن انتشار الانتحال الخلقى يجب أن يكون واسع لمدى حسنى تكون نظرية الإغواء صحيحة، لكن هذا الاحتمال يصبح ممكنا إذا ما نحينا جانبا ذلك النوع من التقديس المحير لمفهوم «العائلة»، والذي لم يترقب فرويد مقلتا من تعريفه في نواح أخرى من الوجود الإنساني، لقد قال فرويد إنه ليس هناك من دليل قطعي على صحة الأحداث المتخزنة في اللاوعي، ومع ذلك فإن هناك وسائل لتفريق بين الحقيقة والاختلاق في العالم الحقيقي، أما عن اعتقاد فرويد بأنه في حالات «الظان» يجب أن يتم تذكر الصدمة المسجلة للمرضى دون تشويه أو مقارعة فهو اعتقاد لا مبرر له، والأكثر من ذلك، أنه يتحدث عن «الذكريات غير الراجعة» اعترف فرويد ببساطة بوجود حقيقة تتبع منها هذه الذكريات وأخبار، فإن فرويد كان يتمكن من استخراج الذكريات الهشة من خلال عملية التحليل النفسي عن طريق الإيدان لمرضاة بأن يتذكروا، ومشاركته إياهم وجدائيا في مأساهم المصانية، وبمجرد أن بدأ يشك في صحة الأحداث التي تصبها ذكرياتهم كان من الطبيعي أن يقابل بالتراجع والابتعاد، ويأخذ هذه الأمور كلها في الاعتبار، فإن هذا الخطاب يرمز بوضوح لبدائية عملية توافق داخلي مع زملائه، ويبدو الأمر كما لو كان فرويد يقف أمام زملائه في جمعية الطب النفسي قائلا: «لقد كتبت على حق بالرغم من كل شيء - لم يكن ما ظننت أنه الحقيقة سوى مغالطة علمية مخفية».

لقد أصبحت الفكرة القائلة بأن فرويد قد اتخذ قرارا نهائيا وحاسما بشأن حالات الإغواء - بأنها لم تكن حقيقية، ولأنها كانت نتاج خيالات تتساء مصابات بالهستيريا - بمثابة أمر مفروغ منه في فكر المحللين النفسيين، وكانت ماري يوناهرت - بعد

إن العودة للاعتقاد بخطورية الإغراء تعلى إنكار «مركب أوديب»، وصحة أهمية حياة الخيالات، سواء الخيالات الواعية أو غير الواعية، والواقع، أعتقد أنه لن يكون هناك تحليل نفسي بعد ذلك.

وهذه هي وجهة النظر السائدة - إنه ما لم يتراجع فرويد عن نظرية الإغراء، - لما توصل إلى إدراك مدى أهمية الخيال، ولما تمكن من مواصلة الاكتشافات التي قام بها، بما في ذلك «مركب أوديب» وهي الأمور التي أدت إلى خلق التحليل النفسي من الوجهتين العلاجية والعلمية، بالطبع لا يستطيع أحد أن يهرب ما كان سيحدث لو لم يتخل فرويد عن نظرية الإغراء، أما ما نعلمه على وجه التحديد فهو أن الرأي الذي تملكته أنا فرويد وبمعا كل المحللين النفسيين تقريباً راسخ بعمق.

إنني أزعج أمه ما بين عامي ١٨٩٧ و١٩١٣، أقنع فرويد على الاعتقاد بأن حالة مريضته السابقة إما إكسشين شغل حالة شومدية، وأن معشر (وليس كل) مريضاته كن يخدعن أنفسهن ويضلن، وأن ذكريات الإغراء لم تكن أكثر من خيالات أو ذكريات لخيالات، ولقد كانت هذه الذكريات ناتجة عن «مركب أوديب» الذي يمثل جزءاً من الحياة الجنسية الطفولية الطبيعية ولقد فتح هذا «الاكتشاف» عالماً خصباً أمام فرويد، وعيد الطريق لعند كبير من الاكتشافات العلمية المهمة التي توطدت أهميتها عبر السنين: الأحاسيس العاطفية والجنسية في الطفولة، وحقيقة اللاوعي، وطبيعة الحالة trans-jor-ence والمقاومة resistance، والكتب re-pression، وللتخيلات غير الواعية، ومدى قوة الأحاسيس غير الواعية، والاحتياج لاستعادة الأحزان السابقة، إلخ..

ويبقى المحللون النفسيون بدماء من فرويد نفسه، على أن التراجع عن نظرية الإغراء كان المنطق الرئيسي لاكتشافات فرويد التالية. فهناك اتفاق عام على أن وجود التحليل النفسي من الأصل، واستمراره بعد ذلك، مرتبط بالتحلي عن هذه النظرية، ولقد عيت الصفحات السابقة ببحث التأثيرات

التي وقعت على فرويد وأدت به إلى التراجع عن اكتشافاته الأولى المتعمقة بحقيقة الاعتقاد الجنسي والجنسي على الأطفال، ولقد قدمت عدداً كبيراً من التوقُّع التي لم تكن معروفة أو ببساطة لم تجذب الانتباه فيما قبل، والتي تؤد رأياً في أن فرويد قد تخلى عن هذه النظرية، ليس لأسباب نظرية أو إكلينيكية، بل لأسباب شخصية متعمدة ليس لها علاقة بالعلم. إنني لا أعتقد أن فرويد قد اتخذ مطلقاً قراراً واضحاً بتجاهل اكتشافاته المبكرة، وما من شك في أنه كان يعتقد أنه يقوم بالعمل الصائب والصعب في الوقت نفسه عندما حول اهتمامه عن السدنة للخارجية إلى الخيالات الداخلية كمسبب للمرض العقلي، لكن ذلك لا يعنى أن هذه هي الحقيقة.

في رأيي أن فرويد قد تخلى عن حقيقة مهمة: أن العطف الجسدي، والجنسي، والعاطفي جزء مهم وحقيقي وأساسى في حيوات عدد من الأطفال، وحتى يتم طمس هذه الحقيقة النفسية من تاريخ التحليل النفسي (وقد كانت بالطبع موجبة في البداية)، كسان يجب أن تزال آثارها من النظرية اللاحقة، وهي المهمة التي أنقذت على عالق المحللين النفسيين الذين أتوا بعد فرويد، وأعتقد أنهم نجحوا في القيام بها. إن يشاركني معظم المحللين النفسيين الرأي في أن الاكتشافات التي تضمنها بحث فرويد عام ١٨٩٦، «أسباب الهستيريا» والتي تفترض أن عديداً من (وربما معظم) مرضاهم قد مروا بطفولة قاسية وقصة، ليس بسبب أنماط الشخصية character trait الخاصة بهم، فإذا كانت هذه المصادفة السببية حقيقية، وإذا كان صحيحاً أيضاً أن هذه الأحداث تمثل موقع لقب من كل حالة عصاب شديدة، لأصبح من المستحيل التوصل إلى علاج ناجح للمرض العصبي طالما يتم تجاهل هذه الأحداث الحسيرة، وإنني لأسأل للمرافقة على آراء عدد من العلماء المحندين - فلورنس راش Florence Rush، وأليس ميلر Alice Miller، وجوديث هرمان Judith Herman، ولويس آرمسترونج Louise Armstrong، وديانا روسول Diana Russell، وآخرين - والقائلة بأن

معزل وقبح الاعتقاد الجنسي على الأطفال في السنوات المبكرة من حياتهم أعلى بكثير مما يعتقد عادة. في دراسة حديثة، وجدت ديانا روسول أن المعدل يصل إلى واحدة من كل أربع نساء، أو شك أن المعدل أعلى من ذلك بكثير بين النساء اللاتي ولجان للعلاج النفسي). إن العمل الذي يرى مريضة لديها ذكريات عن وقائع اعتدائه جنسي مدرب على الاعتقاد بأنها مجرد خيالات، والعمل المدرب بهذه الطريقة - مهما كان مدى تعاطفه مع المريضة في التواصي الأخرى - يوقع ضرراً بالصحة النفسية لمريضته، وهو متواطئ بصورة غير مباشرة في أسباب مرضها الأصلي.

إن اكتشافات علم النفس الأستية - حقيقة اللاوعي على سبيل المثال - لا يمكن استغلالها بشكل مرضي في هذا المناخ، فما من شك أن الكثير من مشاعر المهانة والألم والغضب لدى الطفلة المعذبة عليها يتم كبتها حتى تمكن هذه الطفلة من مواصلة الحياة، فإذا لم يعتقد المحلل في صحة الأحداث التي أنقذت هذه المظاهر فسوف يرجع هذه الأحاسيس إلى عامل شخصي في المريضة نفسها (على سبيل المثال رغبة مبالغ فيها في أن تحظى بالتعاطف) وبالتالي يتم تشويه التحليل النفسي كله، كما لن يكون هناك تفسير واضح للأحاسيس غير العقلانية التي تراهج بها المريضة المسك (الإحالة - Trans-jerence)، حيث يمكن تفسيرها في الغضب من المحلل لسلوكه مسك الأب الذي أنكر ما فعله بالطفلة، وفي هذا المناخ لا يكون العلاج «ناجحاً» إلا إذا واصلت المريضة (أو المريض) كبت ما تمر به (أو يمر به) عن الصامت، وإنقاذت تمت تأثير المحلل للاعتقاد بأنها واقعة تمت تأثير مشاعر غير سوية. وحتى تتخلص من مرضها، ستجد المريضة نفسها مضطرة لمشاركة المحلل النفسي رأيه - أي أن تصبح مثله، أو مثل ما يريد منها أن تكونه، ويتضمن ذلك إنكار مذكرات شخصية المريضة لنفسها، وهو ما يعنى شهادة وفاة لمحيرة المريضة واستغلاليتها. إن الصمت الذي يفرض على الطفلة بواسطة الشخص

# فرويد المحتال

ألسين إسترسون

الذى اعتدى عليها يتم تعزيزه بواسطة الشخص الذى لجأت إليه لمساعدتها، ويتم ترسيخ الشعور بالذنب، وتعمق التشوش فى ذهن المريضة بشأن ماضيها، وتقويض إحساسها بذاتها.

إن الاسترجاع للمر والأمين للتكريرات المولمة لا يمكن أن يتم فى مواجهة التشكك والخوف من الحقيقة، فإذا كان الحال النفسى يخشى من التاريخ المتيقن لملمه، فمن يكرن قادراً بالتالى على مواجهة ماضى أى من مرضاه، إن إعلان فرويد عن اكتشافاته الجديدة فى عام ١٨٩٦ لم يلق تقبلاً حقيقياً أو مناقشة علمية بل قيل بالأزدرام والإنتكار فحسب، فقد كان لفكرة وقرع اعتداء جنسى فى نطاق العائلة وقع الصدمة، وبحث كانت الاستجابة الوحيدة التى لقيتها تلك الفكرة هى التفسير الخالى من المتعلق، وعندما توصل فرويد لـ Ferenczi فى الجبل اللالح للاكتشافات لنفسه بأرواحه من خبرته مع مرضاه، قرىل باستجابة مماثلة، لكن فى هذه المرة لعب فرويد الدور الذى لعبه قبلها بأربعين عاماً كرافت - إيبينج، ولقد حاولت أن ألقت نظر المعلقين النفسيين إلى الألة الجديدة التى تصبإ إعادة النظر جدواً فى «نظرية الإغواء»، وكما حدث لفرويد وفرويديتسى، قوبلت بالمعارضة والنقد دون أسباب عقلانية، ولقد لقيت تلك المعارضة نوس على أساس تقليد محججى، بل امجرد إظهارى لتلك «الصحيح» من الواضح إذن أن هذا العداء المتكرر لم يكن بسبب كراهية مسبقة لأى شخص مناصر لنظرية الإغواء، بل كان ينبع من بغض عاطفى مبالغ فيه للنظرية نفسها.

لقد حان الوقت للترقب عن التواريخ عما يبعد - بالرغم من كل شيء - أهدأ أهم الموضوعات فى التاريخ الإنسانى، لأنه لا يمكن التغاضى عن أن يقوم أولئك الملوطين بهم المصلولية عن حياة الأشخاص الذين باتون إليهم بمعاناتهم الماعطوية الناشئة عن تعرضهم لجراح حقيقية فى طفولتهم باستخدام تفهم المصاى فى تراجع فرويد عن «نظرية الإغواء» حتى يستمر المدحان الذى عانى منه مرضاهم فى ملوثاتهم. ■

فى نوفمبر الماضى، أوردت مجلة New York Review of Books عرضاً لكتاب من تأليف فريدريك كروز Frederick Crews أسحاذا اللغة الإنجليزية فى بيركلى Berkeley، وقد أدى هذا المرض - على حد تعبير أحد أساتذة الطب النفسى بجامعة كولومبيا - إلى «إثارة مغلوب وغضب عديد من المعلمين النفسيين Psychoanalysis»، وقد بلغت حدة عاصفة الاعتراض والغضب درجة جعلت مجلة «تايم» Time، الأمريكية تقدم تغطية صحفية لهذه المسألة، كما أدى وصول موجات الصدمة إلى هذا الجانب من المحيط الأطلنطى (١) إلى ظهور عديد من المقالات الصحفية حول الموضوع، وقد كانت هذه المقالات تميل لهجوم استنتاجات كروز، فى الوقت الذى أظهرت فيه مشكلة مطومات كتابتها عن الكتاب الأصلى الملو عن فى السجلة، ولذى يقدم إعادة تقييم فرويد بصورة جذرية.

على مدى العقدين الماضيين، كشفت الدراسات العلمية الدقيقة النقاب عن أن كثيراً مما كنا نعتقد أننا نعرفه عن فرويد لا يربطه سوى خيط رفيع والمقائى المؤكدة، وقد ظهر أن كثيراً من الأساطير التى أحاطت بهيائه وأعماله كانت مجرد أكاذيب نسجها بنفسه، ومن بين هذه الأكاذيب ما أطلق عليه الفيلسوف فرانك سوفي Frank Cioffi - الذى ظل مدة طويلة يلتفتد نظرية التحليل النفسى - اسم «أسطورة نزاعة فرويد الطفمية المعلقة». ومع تعرب الدلائل إلى أنحاء العالم على أن كلمات فرويد لا يمكن دائماً الوثوق بها، فإن التقليل من الناس مستخدمون الآن للتأكيد على نزاعته وبالدرجة المطلقة نفسها التى كانت شائعة سابقاً، ومع ذلك، فإن مدى تقليل الأبحاث الجديدة من قيمة إنجازاته المزعومة هو أمر لم يزل يعد (دراكاً كافياً) حتى من بعض أشد منتقديه.

## ومن بين الاتهامات الموجهة إلى فرويد:

● تعرضت المزاعم الإكلينيكية التي ساقها في الوقت الذي تبلى فيه ما أطلق عليه اسم «نظرية الإغواء» Seduction theory، والتي أدت مباشرة إلى ميلاد علم التحليل النفسي، إلى شكوك جديّة، ومدين كتب في فترة لاحقة مستعرضاً تلك التجارب المبكرة، جاءت كتاباته مليئة بالمغالطات والمناقضات والأكاذيب.

● إن الوسائل التي استخدمها في مرحلة ثانية للحصول إلى «أسس التحليل النفسي» معاملة تلك التي استخدمها في فترة نزوة «نظرية الإغواء»، ولقد كان كثير من الأكاذيب التي ساقها بشأن هذه النظرية في كتاباته المتأخرة تهدف إلى إلهاء هذه الحقيقة.

● لم تكن كتاباته ونظرياته في التحليل النفسي المتعلقة بالجنس معقولة مباشرة كما ادعى - من علاجه لمرضى من المصابين بneurotic Patients في عيادته في فيينا (يلاحظ أن مرضاه كانوا من الإناث في الأغلب على حين كانت صياغة نظريات التحليل النفسي تتصل بالذكور) - فقد كان يفتن مرضاه أفكاراً مطابقة للمصاغات السعد سلفاً ثم يزعم أنها اكتشافات إكلينيكية.

● كانت الأساليب التحليلية التي استخدمها مطاطة بدرجة كبيرة تجعلها في الواقع مجرد وسيلة لدعم لتبذله للحقيقة لمصالحه الشخصية، وإن كان يقدمها باعتبارها «اكتشافات» أو «نتائج الأبحاث التحليلية النفسية».

● زعم أنه قد تم شفاء حالات معينة ثم ظهر الآن كتب هذه المزاعم، فطى سيول المال، هناك حالة برثا باينهايم أو «أنا و Anna O، المصابة بالهستيريا، والتي كان فرويد قد وصف علاجها عن طريق التطهير بواسطة زميله جوزيف بيتر Josef Bieuer باعتبارها «السبب في مولد علم التحليل النفسي» وفي عدة مرات، زعم فرويد أن المريضة قد تم شفاؤها نهائياً، وفي

الواقع، فقد ظلت في حالة سيفة وتعالى من عديد من الأعراض الأصلية التي كانت تصيبها مدة طويلة بعد انتهاء العلاج. وهناك حالة مماثلة تتعلق بالمذمو سورجي والكجيف Serge Pankejeff، وهذا الشخص هو موضوع الحالة المرضية المشهورة للمصروفة باسم «الرجل الذئب» Wolf Man، والتي تمثل مكانة مركزية في أدبيات التحليل النفسي، فقد زعم فرويد أن علاجه قد كمل بالنجاح، إلا أن المريض نفسه قد أفكر ذلك واعتبر العلاج فاشلاً..

● منذ البداية كان يطلق مزاعم عامة من نجاح طريقته العلاجية الجديدة، الأمر الذي يتعارض مع ما كان هو نفسه يقوله في جلساته الخاصة، كما كانت تأكيداته في مرحلة ثانية على فعالية العلاج عن طريق التحليل النفسي تتفقر إلى الأدلة، وهي موضع شك كبير (وفي خطاب له موجه إلى يونج Jung في عام ١٩٠٦، ذكر بوضوح أنه كان - لأسباب تكفيكية - يفتي الحقائق المتعلقة بدراىي القصور في رسلته اللاجبة).

● لا يمكن التوفيق بالتاريخ المرضي لحالاته ووصفة خاصة ذلك المنطق «بالرجل الذئب» و «الرجل الفأر»، وكثيراً ما نهد له من الصعب أن يفرق بين الاستنتاجات التحليلية وبين المعلومات المباشرة، وبذلك ما يوحى بشدة بأنه قد تم تشويه للمعاق بل واختلاق بعض الأحداث.

● كانت شروحه العامة للتحليل النفسي، والتي لمبت دوراً مهماً في نشر أفكاره، زاخرة بالمزاعم المضللة والتبرهن للكتابة، وكثيراً ما كان يلجأ لإغفاء ضعف هذه البراهين عن طريق استخدام لغة خطابية ملتنة.

ويختصار، إذا قُيِّمت الأعمال التي قام بها فرويد في حياته - مع استبعاد المستندات الخاطئة التي درأكت خلال القرن الحالي - يتضح أنها عبارة عن مبنى ضخم تم بناؤه على أساسات هشة للغاية، بحيث يكون الوهم السائد بأن هذه الأعمال مدعومة بقدر معقول من الأدلة هو الشيء الوحيد الذي يمكنه من

أن تظل على ساحة المدافسة فيما يتعلق بمجال البحث النفسي.

فلذا كان الاتهام بالإنالف بكرة صحيحاً، كيف إن تسمى أن يندفع عديد من الأكاديميين من مناصري فرويد لهذه الدرجة؟ لعل أفضل وسيلة لتوضيح كيف حدث هذا الضخام الرابع الذي هي مراجعة القصة المعجبة للزوة «نظرية الإغواء» الشهيرة.

فالواقع أنه إذا فحمت صفحات أى كتاب عن فرويد، فسوف تجد، بروى كيف أنه في التسعينيات من القرن الماضي قررت معظم مريضات فرويد أنهن قد لمرعن للتحريش الجنسي في سنوات طفولتهن المبكرة من قبل آبائهن، وعلى الرغم من ذلك فقد اكتشف فرويد بعداً برقت فسير أن معظم حالات الإغداء الجنسي المدعاة لم تحدث بالفعل، ولديجة لهذا الاكتشاف أدرك أهمية الحوالات غير الواضحة (الفانازى) Fantasy في حياتنا. وقد ظلت هذه القصة - كما رواها فرويد بنفسه في (دراسة للسيرة الذاتية) An Auto biographical Study (١٩٢٥)، وفي (محاضرات منهجية جديدة حول التحليل النفسي) New Introductory Lec- (١٩٣٣) - تعتبر حقيقة تاريخية مدة طويلة، لكنها في الواقع مزيفة، أما الوقائع الحقيقية المؤكدة فهي كما يلي:

في فبراير وأبريل من عام ١٨٩٦، نشر فرويد ثلاثة أبحاث قدم فيها نظرية تقول إن الهستيريا hysteria والنصاب الوسواسي ob- sessional neurosis هما نتيجة لتعريض جنسي وقع في مرحلة الطفولة، وزعم أنه قد برهن على هذه النظرية إكلينيكياً، وركزد للفترات التمهيدية للبحث الثالث (مسببات الهستيريا Aetiology of Hysteria) أن فرويد قد حصل على براهينه باستخدام أسلوبه الجديد في الاستدلال والاستنتاج العلميين على التحليل النفسي، وأيس من أحاديث مرضياته مباشرة وفي البحث نفسه يشير إلى أن مرضياته كن «يسدعين إلى الذاكرة» مشاهد التحريش الجنسي بهن في

## فرويد المحتال



الأغراب الباليين، والمعارف الباليين (على سبيل أمثال السرديات والمدرسون وأتى ذكر الباليين من الأقارب المقربين في البحث الثالث دين البحوث الأولين)، والأخوة الأكبر سناً بقليل. وكان هذا الأمر مناسباً حينما كان عليه أن يثبت «نظرية الإغواء» حيث كان من المحتمل أن يكون المعتدى أى شخص، ولكن الأمر لم يعد كذلك بالنسبة لنظريته الجديدة، وبالكفى لم نجد كلاً للتقسيم الأول للشخصيات.

إن من الذى كان عليه أن يقوم بدور المعتدى الجنسي (الآن، فى معظم الحالات، الاعتداء المتخيل)؟ فى عام ١٩٠٦، كتب فقط أن عدداً من مرضاه قد تخيلوا الإغواء الجنسي كوسيلة «لإلقاء الذكريات» (المختزنة فى اللاوعى)، المتعلقة بممارسة العادة السرية فى سنوات الطفولة، وهذا الوصف مماثل لذلك الذى نشره فى عام ١٩١٤ وكان هذا الأمر متناقضاً مع الأهمية الكبيرة التى أضفها على ممارسة العادة السرية فى سلى الطفولة فى البحث الذى قدم عام ١٩٠٥ تحت اسم ثلاث مقالات عن نظرية الجنس (Three Essays on the Theory of sexuality، ومع ذلك، فى عام ١٩٢٥ ظهر عامل جديد فى مقالاته التى تسترجع أحداث الفترات السابقة، فقد كان فرويد قد بدأ فى تكوين أفكار عن الجنس لدى الإناث، واقترحت نظريته عن «مركب أوديب» Oedipus Complex، أن التفتيات فى مرحلة الطفولة ينجبن جنسياً لأبائهن، والآن أصبح الفكرة معروفين. إنهم الآباء كما تصور الفحالات الشهوانية لبلاتهن السفار، وقد تم تثبيت هذه النسخة النهائية للقصة فى «محاضرات منهجية جديدة» New Introductory Lectures، «فى الفترة التى كان جل اهتمامى موجهاً لاكتشاف المصداقات ذات الطبيعة الجنسية فى سنوات الطفولة، أخبرتنى جميع مرضياتى تقريباً لهن قد تعرضن للإغواء من قبل أبائهن... ولم أدرك إلا فى مرحلة لاحقة أن هذه الفحالات المتعلقة بالإغواء من قبل الأب ما هى إلا تعبير عن مركب أوديب عند النساء.

طفرلكن، ويسجل أيضاً أن مريضاته، لم يكن لديهن الرغبة فى تذكر هذه المشاهد (الجنسية) ويؤكد له على «عدم تصديقهن لها على وجه قاطع».

وتجد هذه الملاحظات تفسيراً لها فى شرح فرويد للأسلوب الذى كان يتبعه فى ذلك الوقت لتكشف النقاب عما يفترض أنه من الذكريات المؤلمة المختزنة فى اللاوعى، فى كتاباته فى (دراسات حول الهستيريا) Studies On Hysteria الذى نشره بالتعاون مع جوزيف بروير عام ١٨٩٥، وصف كيف أنه أثناء تطويره لمرضاه لتذكر الخبرات المهمة. كان كذا ما يضطر لأن «يخبر المريض ما يجب أن تكون عليه أفكاره» التالية، وفقاً لنظريته المبكرة، وأحياناً ما كان يضطر لأن يستخلص بالتقصير إحدى المعلومات، منه، وما كان يؤكد مدى حماسة «مسكان» يظهر على المريض من اضطراب والقلق أثناء محاولته لإتقان هذه الذكرى الخارجة من اللاوعى، وقد كانت ثقته بقدرته على أن يتكهن بما يتبع فى اللاوعى فى عقل مريضه من الدرجة التى لا يرضعها قوامه له، «لكنى لا أستطيع أن أتذكر إلى فترة فى هذه، فما كانت هذه الاعتراضات إلا لتوضيح قوة مقاومة اللاوعى لاستخراج الذكريات المخفية.

وفى أكتوبر ١٨٩٥، ضمن فرويد أن كلا من الهستيريا والمصاب الوسواسى يرجعان للعرض لمصداقات ذات طبيعة جنسية فى الطفولة المبكرة (ولم يكن قد ذكر حالة واحدة من هذا القبول قبل ذلك الوقت)، وفى خلال بمتعة أشهر، أثنى على الشئ أنه قد أثبت حدوث تعرض جنسى خلال سنوات الطفولة لجميع مرضاه البالغين. ومع ذلك، فى عام ١٨٩٧، بدأت تصديده الشكوك فى نظريته، ويؤكد أرقعه هذا فى مازق على نموها ليس فقط لأنه كان عليه أن يواجه الشهادة الكثيفة عن اعتدائه بأن ادعاءه باكتشاف «منبع النشيل» (Caput Nili) فى علم الأستراس الصعبة، كان خاطئاً، بل أيضاً لأنه طهر أن أسلوبه فى التحليل النفسى قد أدى إلى نتائج زائفة، وعلى ذلك فقد أهدى التحاميل مع

للمعوية الأولى مدة تسع سنوات، ثم احتال على الأمر بحيث يقدم «خطأ» بصورة لاصحى إليه أما المشكلة الثانية، فقد عمد إلى حلها بأن أعلن أن «الذكريات» المختزنة فى اللاوعى كانت حقيقية. فقد كانت فى أغلبيتها «خيالات» (فاندازى) أو أفكار من اللاوعى لبتدعها المرضى بأنفسهم.

\*\*\*

ولم يكن الأمر أبداً بهذه البساطة، ففى أبعثه الأصلية كان فسرويد قد قدم الاعتراضات المحتمل إثارتها على «نظرية الإغواء» وقام بدحضها بقوة ووضوح، ولكنه فوما بعد، قام - دون ذرة من التجمل - بتقديم ثلاثة من هذه الاعتراضات نفسها باعتبارها الأسباب التى حدث للخلل عن نظريته هذه كما أنه كان قد قرر أن فى حالة مرضى الوسواس، فقد وجد أنهم تعرضوا لتجربتين جنسيتين، الأولى سلبية دون رغبتهن، والأخرى إيجابية مسببة للمحبة فى سلى طفرلكن المتأخرة ومع ذلك، فإن هذا التفسير بين التجارب التى مر بها كل من مرضى الهستيريا ومرضى الوسواس لم يكن له أى مكان فى اكتشافاته الجديدة التى تعيد هذه التجارب مجرد خيالات، وهكذا لم يعد يتذكر هذه «الاكتشافات» مطلقاً فيما بعد. كذلك كان فرويد قد ركز على شخصيات المتجهين بالأعضاء الجنسي، مصداقاً أيام ثلاث فئات:

ومن هذا الخليط من الأخطاء والالتباسات والأكاذيب (لم يتم تسجيلها كلها هنا) خرجت جذور نظرية التحليل النفسي، ولقد نددى سيوفي Cioffi هذه النظرية في بدايات السبعينيات من هذا القرن، ولكنه ظل عدة سنين صوباً وحيداً، ولأن، فإن عدداً من الباحثين قد نشروا أبحاثاً تختلف عن الخط التقليدي.

إن أحد الأخطاء التي كان يجب تنبيه الباحثين لها هي أن فرويد كتب أنه فقط في أثناء فترة اعتاقه لنظرية الإغواء، كان معظم مريضاته من الإناث يتكررن أنهن قد تعرضن للإغواء من قبل آبائهن في الطفولة، لكن إذا كانت هذه القصص إسقاطات خيالية «لشبق الأروبيين»، فلماذا لم يتم ذكرها من مريضاته فيما بعد بهذه الأعداد الكبيرة نفسها؟

وتشير الأبحاث الأصلية إلى أخطاء أخرى، فزعم فرويد أنه قد قام بعمل فذ حين تحقق من وقرع التحرش الجنسي في سن الطفولة لكل حالة على حدة من مريضاته العاليات (١٨ حالة مستديراً بالإضافة لعدد من حالات الوسوسة)، على الرغم من حقيقة أن كشف الستار عن الذكريات المفضلة في اللاوعي في كل حالة كان يتم بعد مقارعة شديدة من جانب المريض. ويلاحظ المرء أيضاً أن بعض الاعتمادات الجنسية كانت ذات طبيعة مروعة طبقاً لكلام المريضات، وهو الزعم الذي لا نجد له أقر في أي من كتاباته في المراحل المتأخرة، وتناقض القائمة التفسيرية لفئات المتهمين بالاعتداء مع النسخة النهائية التي كان الأب يمثل فيها الجاني الرئيسي.

إن الذين تأثروا بالاعتقاد - الذي نشره على نطاق واسع كتاب جيفري ماسون Jeffery Mason (الدخان على الحقيقة (The Assault On Truth) (١٩٨٤) - بأن مريضات فرويد في المراحل المبكرة كن بالفعل يقررن وقوع اعتداء جنسي عليهن من قبل الأب - يؤكدون أن فرويد قد أخفى هذه الحقيقة لأنه كان من اللباقة أن يسل هذا في ذلك الوقت، وهذا الزعم لا يتفق مع الواقع.

فالأعتقد السائد بأنه في التسعينيات من القرن الماضي كانت كهبرات من مريضات فرويد يقصص عليه قصصاً مروعة تصف الاعتداء الجنسي عليهن في سنوات طفولتهن ما هو إلا أسطورة ماء، ويمكن تتبع السجري الحقيقي للأحداث من الخطابات التي كتبها فرويد لصديقه فلهلم فلايس Wilhelm Fliess، وبشكل أكثر تحديداً من أبحاث نظرية الإغواء نفسها، فلقد شبه فرويد الأساليب التي اتبعها لكشف النقاب عن «المساعد الجنسية» بذلك المرافف الطبية التي يتمكن فيها الطبيب من التوصل لتشخيص المرض دون أي مشغولات (مباشرة) من مريضه (بل وحتى في مراحله «اعراضات مريضة»)، وبعد هذا مؤشراً واضحاً على أن هذه «المشاهدة» قد استلجها فرويد بنفسه بدلاً من أن يسمعا من مريضه.

ولا نستطيع أن نؤكد هذا أن لياً من مريضات فرويد لم تتعرض للاعتداء الجنسي من قبل أبويها في الطفولة المبكرة، فربما تعرض بعضهم لهذا هذا الاعتداء، ولكنك لنأ في موقف يهولنا للتأكد من ذلك. وعلى هوله الذين يقتبسون كلمات فرويد باعتبارها أدلة أن يكونوا حذرين فمن لا تعلم ما إذا كانوا يصفون «استخراج» الذكريات من المرضى تحت تأثير أسلوب فرويد (متمسداً الإجهاد والإلحاح) لم يصفون تجارب حقيقية موثوقة بها.

ولتضمن في أسلوب فرويد في الخداع فيما يتعلق بذلك الفترة يؤدي بنا إلى الاعتقاد بأن كتاباته لللاحقة في شرح التحليل النفسي ما هي إلا أكاذيب تهدف إلى خدمة أغراضه الشخصية، وحيث تخفي الأسس الفلسفية التي بنيت عليها آساليبه الطبية واكتشافاته. قلماذا إذن لم يدرك عديد من الأكاديميين والمثقفين ممن قرعوا هذه الكتابات أن قصته هذه تدعو للشك؟

يرجع هذا جزئياً إلى أن فرويد بعد واحد من أفضل رواة (الحكايات)، وهو متمكن تماماً من استخدام المبررات الفلسفية والأساليب البلاغية الممنعة، وبالإضافة إلى هذا، فإنه من خلال كتاباته - مستخدماً

أسلوبه الناعم الماكز، ومدحياً صفات الترفع والسمو - يخفي على نفسه صورة ذروة الزمالة الإلهية، فإذا نظرنا لقراريه التي أوردتها خلال مرحلة نظرية الإغواء كل على حدة - يعزل عن مرفأته أنه يناقض كتاباته الأخرى حول الموضوع نفسه - يبدو كما لو كان صوباً أميناً وصادقاً للواقع كما حدثت بالضبط، وأى شخص لويس مدركا تماماً للحقيقة المرة - المحتملة في الأكلة المولقة الكاملة - سيجد أنه من المستحيل تقريباً أن يصدق أنه كان ضحية لخدعة كبيرة.

وهين تكم مراجعة الفرويديين بالأدلة التي تشكل في المزاعم الإكلينيكية التي وكتبت مولاد التحليل النفسي، فإنهم يعمدون إلى القول بأن صحة الاكتشاف العلمي لا تستمد بالضرورة على صحة الأصول النظرية، لكن هذا الجدل تضعه حقيقة أن كتابات فرويد التداينة لا تقل إغراقاً في التخمين عن تلك المتعلقة بنظرية الإغواء. ولتوضيح ذلك، دعنا نبحث «اكتشافات» التحليل النفسي خلال فترة متأخرة جداً في تاريخه، ففي عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥، ألقى فرويد أعضائه لظهور نظرياته عن هوله عدد الإناث، وفي عام ١٩٢٥ أعلن لكشاف أن الاتصال للشهرى الأول للطفلة يكون مع أمها وليس مع أبويها كما كان يعتقد سابقاً. وفي مقالة الثانية حول الموضوع نفسه، أعلن للمرة الأولى - لأحدث خيالات بدرجة «شديدة الشروع» تنطق بالإغواء من قبل الأم بين مريضاته. وهكذا، وفي خلال فترة قصيرة، تحول الأمر إلى أن مريضاته «كثيراً مايتهمن» أمهاتهن بإغوائهن جنسياً، وللشابه بين هذا وبين نظرية الإغواء.

هل من الممكن أن تكون «اكتشافات» أحد أعظم مفكرى القرن العشرين مجرد مهارات نتجت عن أسلوبه المظبوط في الاستدلال؟

يجب على المرء أولاً أن يلاحظ أن الاكتشافات المدعاة تختلف على نحر ما من القواعد العلمية المتعارف عليها، فكثيراً ما مستمدة من تصايفات اللاوعي بحيث لا يمكن الاستدلال عليها بالطريق الكندي

## فرويد المحتال



باستخدام وسائل التحليل النفسي، وكما أعلن فرويد نفسه عدة مرات، فإن تعاليم التحليل النفسي تعتمد على عدد لا نهائي من الملاحظات ولا يمكن الحكم عليها إلا براسطة شخص قام بتكرار هذه الملاحظات على نفسه وعلى الآخرين عدة مرات.

وما يؤكد هذا (الفرمان) أنه لا يصح إلا لمن يقرر بوسائل نظرية التحليل النفسي في الاستقرار والاستبصار أن يبدى أى رأى فيما يتعلق بمصادقية مزاعمها، ولكن إذا كانت هذه الوسائل معيبة بشكل ما، فإن أى «اكتشافات» تنجم عن استخدامها تكون موهمة للشك، وما أن هناك حجباً موضوعية تشكك في مصداقية طريقة فرويد في التحليل النفسي، فإن إعلانه السابق ذكره أقرب لأن يكون معتقداً دنيئاً من كونه حقيقة علمية منطقية.

وإذا أخذنا في الاعتبار خصوص «الملاحظات» الإكلينيكية للتحليل النفسي، وعبقرية فرويد في أن يجعل حتى أقل المزامع وأهمية تبدو مستعصية، فإن الأمر يستطيع أن يصل إلى تصور عن كيفية إقناعه لهذا العدد الكبير من الناس بأنه قد توصل إلى اكتشافات مهمة في علم النفس، على الرغم من أن هذه الاكتشافات معيبة على أسس استنتاجية متعاقبة، ومن أنها في معظمها صادرة من خياله الشخصي أكثر من كونها مستقاة من عقول مرضاه.

ويزعم المحللون النفسيون ومناصري فرويد أن عديداً من اكتشافاته قد ثبتت صحتها بالممارسة الإكلينيكية، لكن المشكلة أن هذا الاتهام يعتمد على استنتاجات وتفسيرات تحليلية ذات طابع شخصي، وليس على أسس موضوعية، ومن أشهر الأمثلة على ذلك أن كلا من أتباع فرويد يبدون ما يؤكد انطباعات كل منهم في أحلام مرضاهم، ويصل تلازمة العالم كلين - klei- nians إلى سبرغور حياة موفقة بالتحال في مفردات الطفولة الأولى، الأمر الذي لاتجده في اكتشافات المحللين النفسيين من المدارس الأخرى، ولاتوجد المحللون من المناصرين لحقوق المرأة عقدة حمسد الرجل على

للخصيب، Penis envy في نفسيات مرضياتهم، على حين يجهدا الفرويديون الأرنولكن بسعة شبه دلالة.

وقد حاول أنصار حقوق المرأة تفسير أفكار فرويد عن المرأة بقولهم إنه كان محاسناً بالأفكار السائدة في المجتمع البطريركي (الأبوي)، لكن هذا لا يبدى قدراً ما حيث إن «اكتشافاته» فيما يتعلق بالنساء قد أجبها باستخدام الوسائل التي أدت إلى اكتشافاته المزعومة الأخرى نفسها.

لقد أنتج فرويد بالطبع قدرًا هائلاً من المادة الطمعية من الناحية النظرية، فما هو الحجم الحقيقي لهذه المادة في ضوء المناقشة السابقة؟

على الرغم من أنه لا يمكن فصلها عن لومى القصور في أساليب فرويد، إلا أنه يتعين النظر في أمر هذه المادة أيضاً في حد ذاتها، وقد قام بهذه المهمة على خير وجه مالكولم ماكميلان - malcolm macmilan من قسم علم النفس في جامعة مونتريال Monash في أستراليا، وذلك في كتابه للتقديم: فرويد - Freud Evalu- ared الذي نشر في عام ١٩٩١. ورأى شخص يعتقد - تمت تأثير سمعت فرويد - أنه قد تمت إسهاماً مهماً للمعرفة، سوف يتحرر من هذا الزعم بعد قراءة هذا العمل العلمي الدقيق، وكما لاحظ ماكميلان فإنه - ليس في

التحليل النفسي كنظرية لتفسير الشخصية الإنسانية سوى القليل مما يحظى بالتأييد... إنها ليست بالنظرية السليمة، ولكنها تفتقر إلى بعض الحقائق.

ومادامت أساليب فرويد العلمية معيبة لدرجة كبيرة، ونتائج العلمية موضع شك، ومادامت استنتاجاته النظرية مبنية على براهين ركيكة، وأحياناً متضاربة، ومادامت كتاباته حافلة بأساليب الإقناع الملغوية، وما يصنفه الطبيب النفسي توماس ثال - Thom- as Szasz «في الخطابة السبورية»، فكيف استطاع إذن أن يكتسب ويحتفظ بسمعته كواحد من أعظم رموز الفكر الغربي؟

إن أحد العوامل التي ساعدت في هذا هو أن عديداً من الاكتشافات المهمة - مثل التحريف على دور الدافع غير الراضية في السلوك البشري - قد نسبت إلى فرويد على الرغم من أنها تتبني ظهور مدرسة التحليل النفسي. أما عن أفكاره هو شخصياً، فقد كانت لدوره موهبة إعجابية في أن يجعل الأمور غير المنطقية تبدو مستعصية وتروى كتاباته فيما يتعلق بحمله الإكلينيكي بالمصادقية - كذلك فإن أي شخص تعرف جيداً على أعماله سيمسرف لماذا استسلم سعيداً من الناس لما دهاء لودفيج فيوتجنشتاين - Ludwig Wittgenstein «سمن كتاباته على حين انتبه الفليون لتحذير فيوتجنشتاين أنه تحت تأثير هذا الصغر، يمكن أن تتخذ بسهولة،

ويجتاح المدافعين عن فرويد بأن تركيز الاهتمام على مثل هذه الاعتبارات يعنى إغفال أهم جزئية في إنجازاته، ففى كتاب ظهر حديثاً يقول بول رينشون أنه (أى فرويد) المصدر الرئيس للاتجاه الحديث في البحث عن المعاني التي سعت طبع السلوك كما يمدح الفيلسوف توماس نوجيل - Thom- as Nagel «فرويد باعتباره قد فتح لتفسيرات علم النفس آفاقاً غير مجدية، ولكن هذه التحج لا تجوز على أولئك غير المسحورين بطرق التحليل النفسي في الاستدلال.

إن البشر يشعرون باحتياج شديد لتفسير العالم من حولهم، الأمر الذي يجعلنا نبحث



عن المعاني الكامنة خلف الأحداث، وبدرجة أكثر أهمية خلف سلوك الآخرين، وللأسف، كثيراً ما يؤدي هذا إلى سرعة تصديق أي مقولات تدعى بتقديم تفسيرات للسلوك البشري، ويمكن الاعتراض على فرويد في أنه قد قدم أكثر من اللازم من هذه التفسيرات، وعلى حد تعبير عالم النفس الشهير ويليام ماك دوغال - William McDougall - فإن طريقتيه في التفسير، تتاجر بفلس بكل نقائص الكلام والتفكير المعتادين، فلذا نظرنا لأمر من هذه الزاوية، فإن إجاز فرويد عبارة عن صورة مبثولة للاكتشافات التي كانت واضحة من قبل في كتابات شوبنهاور ونيتشة ( في تمثيل مشابه كتب الفيلسوف كارل جاسبرز إن فرويد قد بسط لدرجة الخفاة الاكتشافات السامية التي قام بها كل من كيركجارد ونيتشة .

ما هي النتائج المترتبة على كل ما سبق ذكره بالنسبة لطرق التحليل النفسي التي تعتمد على نظريات فرويد؟

من الممكن أن تكون هذه الطرق قد ابتعدت لدرجة كبيرة عن وسائل فرويد الأصلية بحيث تكون قد اكتسبت الآن وجوداً مستقلاً يجب فحصه تفصيلاً في حد ذاته، الأمر الذي لا يمكن القيام به في هذا المقال . ومع ذلك، فيقدر ما يفضل للمعالجون النفسيين في إدراك أن وسائل فرويد، ونظرياته محيية لدرجة كبيرة، يتدر ما وزاد احتمال أن يسلوا أهمية لقدرة وإمكانات علاجهم بدرجة أكبر كثيراً من الحقيقة .

وماذا عن المستقبل ؟

لقد أخذت سمعة فرويد في الانحسار على مدى السنوات القليلة الماضية، ومن المتوقع أن تخبر بدرجة أكبر. بلا شك سوف

يستمر للمعالجون النفسيون في استخدام عدد من التطبيقات فرويد القابلة للتكيف بدرجة كبيرة طبقاً للموقف من أجل "النفاز لأعماق" سلوك ودوافع مرضاهم، كما يحتمل أن تظل المفاهيم الفرويدية تبسط سلطانها على مناطق معينة من البحث الأكاديمي، حيث لا يتوقع أن يتم التخلي عن الأسلوب الخطابي لمدرسة التحليل النفسي بما يحمل من قدرات غير محدودة على التأويل، ومع ذلك، فإن المرشحين قد يصلون في المستقبل إلى اعتبار صعود علم التحليل النفسي إلى تلك الدرجة السامية خلال القرن العشرين أحد أغرب الأخطاء العلمية في تاريخ الفكر الغربي. ■

ت : مهدت موهانيل



تقوم أيديولوجيا المستقبل حسبما يذهب العالم الإنجليزي إيان مايلز على مجموع عناصر الحداثة الغربية منذ عصر التنوير وهي النزعة التاريخية والمركزية والعلمية والوضعية والتقنية والتخيلية والتجهيلية. وأما النزعة التاريخية فأصبحت بلا جدوى لأن محاولة التنبؤ بالمستقبل على أساس من قوانين مفترضة للتطور التاريخي لم تعد قادرة على ضبط المستقبل لأن الحاضر والماضى كذبا الخفية والحتمية والتغير الشامل. لكن النمط المعيارى الذى يدعو إليه البروفيسور مايلز هو نمط من أنماط الأيديولوجية غير المستقبلية، أى الماضوية والوعظية، وأقصى ما يمكن الوصول إليه فى ميدان ضبط المستقبل هو استخلاص النتائج المفككة لمجموعة مفترضة من المحددات كما يعبر جونسون، وأما أسئلة: ما هى صورة المستقبل المتوقع؟ أين ستذهب؟ ما هى صورة المستقبل التى ينبغى تحقيقها؟ أين ينبغى علينا أن نذهب؟ فهى أسئلة أضحت بلا جواب، على الأقل على المستوى العلمى المتواضع، والعالم المتواضع الآن لا يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة بسبب بعد الإرادة البشرية الذى كان قد فقد موضعه فى النظريات الحتمية والخفية الاقتصادية والاجتماعية. والخلاصة أن مايلز ومترجمه هتمان رغما عن النقد المسبق للحتمية التاريخية.



## أيديولوجيا المستقبل

### إيان مايلز

ترجمة: محمد عبد المنعم شلبي

**ق** يطرأ إلى (بحث المستقبليات - Fu-tures research) على أنه يمثل محاولة من أجل أن نضيق، الآن، إلى المتغيرات والنتائج المستقبلية لقرارات السياسة العامة للراحة وذلك من أجل أن نتوقع مشكلات المستقبل، وأن نبدأ فى تصميم الحلول البديلة، وذلك يحرز مجتمعا مزيدا من الخيارات ويمكن من صنع خيار أخلاقى،...

إننا مهتمون ليس فقط بتوقع أحداث المستقبل وبمحاولة أن نجعل المرغوب أكثر احتمالاً واللامرغوب أقل احتمالاً، بل إننا نحاول أيضاً أن نضع صناع السياسة في موضع يسمح لهم بالتعامل مع مستقبل يبدى قلمياً، ولكن يتروا قادرين كذلك على أن يضعفوا ما هو مسمى وأن يتقوا ما هو حسن ويجود وعند ممارسة ذلك، لا يمكن لأحد أن يكون مشعباً من خلال إسقاطات خطية أو بسيطة، إن مدى المستقبليات يجب أن يكرن في موضع الاعتبار.

إن عديداً من هذه العبارات قد تكررت في مقدمات ممارسات علم مستقبلية مثالة وعمليا يعد الجزء رقم 4 من كتاب (البشرية ٢٠٠٠ Mankind 2000) المرجع الروائي لها.

وفي عاصمة مهمة هيبت على المجري الرئيسي لبحث المستقبلات، قرر جولدثورب Goldthorpe (١٩٧١) إلى أنه الزرع من الكسارات (D.Bell) (و.كاهن - H. Kahn)، فإن كماً كبيراً من هذا للشاش البحثي يتبين من مدى المستقبليات البديلة المناقشة أو الصممة إن ذلك تأكيداً على نمط واحد وحيد لمجتمع المستقبل، إنه النمط ما بعد الصناعي - Post-Industrial، المعالي لمجتمع الشمال الأمريكي. وإذا ما كانت نقائص المجتمع المعاصر ترجع إلى نقص المعلومات، الملائمة، فقد قرر بأن المجتمع ما بعد الصناعي (هذا) سيكون موسوماً بتقنيات اجتماعية (كنظم المعلومات، وعلم المستقبل، وكذلك المحاسبية الاجتماعية) مضمعة بشكل هائل، وهي التقنيات التي تسمح للسياسات الاجتماعية بأن تكون مترشدة بالعقلانية التكنيكية، هذا وقد لاحظ (جولدثورب) معشاً أن التكنولوجيا تخلق علق هذا التحليل، وذلك بأن تربطه بأفكار ومسمات نهائية الأيديولوجية، وتقارب المجتمعات الصناعية، تلك الأفكار التي ذات بشكل موسع، خصوصاً خلال عقد الستينيات.

وهناك كذلك نزعات تقنية مشابهة ذاعت من خلال محالين أمثال كلينبيرج Kleinberg (١٩٧٣)، وكومار Kumar (١٩٧٢) إلى جانب مايلز Miles (١٩٧٥)،

ولقد اهتمت شخصياً - مايلز - بادعائيات تتعلق بالتأثير الثوري المفترض - الممنهج للكمي على التنوع الاجتماعي والتخطيط، وفي كافة مجالات البحث الاجتماعي موضع الاعتبار - كالمؤشرات الاجتماعية، والمنهجية التنبؤية، والتدويع - بالتفسير السياسي، ومستقبلات علاقات المجتمعات الصناعية والنامية - اهتمت بالنزعات التقنية المشابهة لتلك السابق فكرها، وذلك من أجل أن تكون - للنزعات التقنية هذه - أكثر قوة.

وإذا، فإذا ما كان بحث المستقبلات يعد نفسه علماً، فإن عليه أن يواجه مخاطره، وإذا ما عد نفسه تقنية اجتماعية، فربما يكون تقدير هذه التقنية لدى النظام أن المخاطر المرتبطة بالعلم والتكنولوجيا (S&T) قد تدرى بوصفها ذات شقين، فهي (أولاً) قد تكون مادية، وذلك يعني أن جماعات اجتماعية ما قد تدفع عن طريقهما - أي العلم والتقنية - بمصالحها الخاصة في طريق يعد جالراً على مصالح الآخرين وإنه يدفعهم لمصالحهم قصيرة المدى، قد يتسببون في إحداث نتائج ضارة على المدى البعيد حتى على أنفسهم. (ثانياً)، قد تكون هذه المخاطر أيديولوجية، ذلك أن معظم التكنيكات والنظريات المستخدمة في العلم والتكنولوجيا قد تستند أو تنتشر تأريلاً للعالم، وهو التأويل الذي يدعم من هيئة جماعة اجتماعية بعينها.

هذان النمطان من أنماط الخطر - المادي والأيديولوجي - غالباً ما يكرنان مترابطين بشكل وثيق، مثال ذلك: أن كثيراً استخدم بغرض أن يحدد سياسة بعينها قد يقدم أيضاً الدلالات الضرورية لنزع المشروعية عليها. هذا وبينما نهد أن دراسة قد تقدم أسباباً للمفاضلة بين خوارات مختلفة (دفاع Ad-vocacy)، فإنها - من ناحية أخرى - قد توظف المشكلة أيضاً بالطريقة التي تجعل من باقي القرارات الأخرى خوارات مهمة تماماً (ما وراء الدفاع Meta-Advocacy).

**التاريخانية (اللزعة التاريخية): Historicism**  
وتشير التاريخانية إلى محاولة التدوير بالمستقبل على أساس من قرانين مفترضة

للتطور الداريني، حيث إن هذه الصلية قد يتم إسقاطها إلى الأمام لكي تقدم لنا رؤية المستقبل. إن التاريخانية تتجلى في الاشتقاق للمستقبلي للممارسات، أو في الترتيبات والانتظامات التاريخية، وهي تتجلى كذلك في تطبيق النظريات الميكروسوسولوجية التي تشق التقدمية المحتملة لمجتمعات بالانتقال من شكل إلى آخر، وتتجلى أيضاً في استخدام الشوصيليات الضمنية (التكولوجية)، أو الاقتصادية، أو الأخلاقيات أو الممارسات البشرية قد فرضت ظواهر لاحقة أو لنقل دورا ميكانيكيا في صناعة الماضي وتاريخ المستقبل. ونجد في دراسات المستقبلات أن نمطا أو آخر للمستقبل غالبا ما يأتي مرموما بوصفه محتملا بشكل جوهري، وبمصاب هذا النمط (الأساسي) إمكاناته الوحيدة القاصية بالتغيير والتي تتضمن الإصلاح المحدود والمرحلي. وقد ينشر كذلك بحدود من البديل الكارثية بوصفها «مستقبلات بديلة - Alternative Futures، إن قابلية تتفق للمستقبلات البديلة (المرغوبة) مفتقدة بوصفها حلماً يوتوريا، وذلك لأنها أثرت مشروعية التحليل العلمي. وكما أغار (أوجلي A. Ogilvy)، إنه حتى عمل (مايكل مارينجتون) نوده متفندا هو الآخر لهذا التحليل العلمي، وذلك بوصفه عملا صحافيا بأكثر منه بحث مستقبليات، على الرغم من استخدامه للعلم الاجتماعي ومناقشته للبدائل المستقبلية.

وعلى الجانب الآخر، نجد أن تقديرات المؤرخ قد تكون مستخدمة لمعامضة اقتراحات بتغيير اجتماعي كبير، في الوقت نفسه الذي تؤكد فيه فضائل الإصلاح الجزئي والمرحلي، وهكذا فإنها - أي هذه التقديرات - تقرر أن المؤسسات التي قد تم تأسيسها عبر عصور تاريخية طويلة تحوز قيمة تقود إلى اختيارها طبيعياً Natural selection، وهو الاختيار الذي قد يفسد من خلال البحث.

إن كلا من تكتيكات علم المستقبل ومتعضنات التنبؤات نغمر لنا في الغالب الاهتمام بأن بحث المستقبلات يجه نحو أن

## أيديولوجيا المستقبل



يكون مهيئاً عليه بواسطة التاريخانية. إن دراسات المستقبليات تركزت بشكل بالغ الاتساع حول جوانب محتومة لمستقبلات محتملة بأكثر من أن تتركز حول صور مصاعة، مستقبلات مرغوبة، وقد وعد جانتش Jantsch عن ذلك بقوله: إن تكيكاتهم اصطلاحية بأكثر منها معيارية (استهدافية). ومثل التكيكات الاصطلاحية هم: الاشتقاق المستقبلي للمصار - Trend extrapolation والمحييات الملائمة للبيانات التاريخية Fitting curves to historical Data وأحكام للخبر Expert Judgment المطورة بواسطة مناهج دلفي Delphi methods إلى جانب كثير التأثير المتقاطع Cross-impact forecasting وعديد من المغامرات في مجال النمجة للمستقبلية (نماذج المحاكاة) Simulation Mod-eling. إن عملية الاشتقاق المستقبلي للمسارات وكذلك محييات البيانات ترتكز على التاريخانية حينما تكون هذه الإسقاطات على المستقبل غير واضحة أو مفسرة وذلك في حالة ألا تشير إلى عملية تصديق القوى تحت شروط مقترضة. إن معرفة ما بالحدود التي تستمر هذه القوى فاعلة خلالها بأسلوب (أو بطريقة) خاصة لخدم جوهريّة في حالة قيام المورخ بتريسم مسار قد يمثل قوة تاريخية محتومة قد تكون محجبة. بالإضافة إلى ذلك، ويسبب أن غمامات Clouds الحكم الخاص تغلف مخبرجات دراسات دلفي، فإنها قد تكون مخترقة. كذلك نجد أنه من المحتمل أن تكون للتنبؤات المعتمدة على هذا التكيك هي الأخرى. بالإضافة إلى الاشتقاق المستقبلي للمصار، ومنحنيات البيانات. تاريخانية بشكل جوهري، وبخصوصاً عندما يتناول القهراء المشاركون أحياناً بعيدة عن نطاق سيطرتهم، إن تنبؤاتهم من المحتمل أن ترتكز على الاشتقاقات المستقبلية الجسمية، وللنظريات الدلورية في مجالات كالتمويل والأساليب أو الأنماط، وما شابه. (إن نقداً متكاملاً تماماً لدلفي يمثل فيما قدمه Sackman، والذي ينتقد تفصيلاً كيفية

اختيار القهراء وكيفية توليد الإجماع على للتنبؤات).

بالإضافة إلى ذلك، نجد أن شارين للنمجة تتيح في الأساس لاختبارات الحساسية Sensitivity Tests أن تناقض التنبؤات المختلفة الناتجة عن تعيين قيم داخلية مختلفة للمتغيرات، أو حتى أشكال مختلفة للعلاقات الجسدية في النموذج. ولكن أي من هذه النمازين يمثل غالباً محصوراً لدخل نطاق التاريخانية (انظر على سبيل المثال نقد حدود النمو الذي قدمه كويل، وفريمان، وجاهودا، وبافيت ١٩٧٣).

هذا وقد روجبت مشكلات مشابهة عدد ممارسة للنمجة الحضورية، حيث كان (مدخل للفزياء الاجتماعية) مسيطراً بشكل موسع.

إن النماذج هنا قامت على تجسيد الانتظامات في سلوك يتسم بالاتساع، وذلك بوضعه لدخل تشكيلات (جامدة) مثل نموذج لوري Lowry Model، وهي التشكيلات التي تصف، أكثر من أن تفسر هذا السلوك.

### (تعديل التاريخانية)

لقد ظهرت ثلاثة اعتراضات على التحليل السابق، لقد قرر أن التكيكات الاصطلاحية قد أشارت إلى المزيد مما فعله

حوال العملية التنبؤية متيقة للملاق والنشاط التخيطي السطحي، بأكثر من أن تتناول بحث المستقبلات، وعملية رسم الصور الكرونية للمستقبل. كذلك، هناك إقرار بأنه لو كانت هذه السطحات، أو لم تكن، تاريخانية، فإن التنبؤية تمثل فيما إذا كانت للتنبؤات المطروحة تتمتع بالصحة أم لا، أما الاعتراض الثالث فيطلق بالسخرية من الفارق ما بين التكيكات الاصطلاحية والتكيكات المعيارية: كيف تصبح دراسات المستقبلات شيئاً ما آخر غير التاريخ، متى تكون ملتبس بين بالوجه إلى مسفل (أو مقارنات) اصطلاحية ما (مع) التسليم بأن المستقبل المخطط كلمة بعد خارج نطاق تساؤلنا)؟

وعد مراجعتنا للنقطة الأولى يمكننا أن نقرر بأن ريتق ويريق عديد من دراسات المستقبلات. كالمساريوهات، وقولم تأثيرات النظام الثاني، والتقديرية العقلية للهدال. يومه ويخفي ما بعد في جوهري ترويدا على عملية وضع وتصوير نتائج اتجاهات (أو مسارات) متعددة، وعلى سبيل المثال، فإن العالم السياسي، كاهن Kahn، وقدر Wiener، قد تم اشتقاقهم من إسقاط لمسار متعدد لأوجه ثلاثة عشر عنصرًا.

هذا ولا نستطيع أن نذكر أن للتنبؤات الاصطلاحية للمورخ قد برهنت غالباً على كونها لتنبؤات صحيحة، ففي بعض الحالات، نجد أنها. أي تنبؤات المورخ. تؤكد على نبؤات الإنجاز الذاتي، (وأحياناً قد تكون التنبؤات أكثر من فعله، فطدما أشار سياسيو الجراح اليميني البريطاني إلى اتجاهات الهجرة من جزر الهند الغربية كمؤشر على التحم للمصارح للكان السود، فإن عديداً من هرد هذه الجزر انتدز الفرصة للهجرة قبل أن توضع القيود على عملية الهجرة. والوجه التالية للهجرة جعت من مهمة تمرير القانون السعيد للهجرة مهمة أكثر سهولة).

وبما يكون المثال الأولي للتنبؤ الاصطلاحى الجديد يمثل في عمل أوجبورن Ogburn خلال حقبة العشرينيات

والثلاثيات، ولعله يكون من الصعب أن نحدد في أي من الإسقاطات المركزة على التنبؤات التكنولوجية البعيدة أو الدور الذي تملّقه التكنولوجيا في حد ذاتها وفي استغلاليتها، ولينجد أن الدور الذي تملّقه أنواع التغيير المدركة ولقيا بوصفها متروقة على استمرار شكل محدد لتنظيم اجتماعي معين. فعلى سبيل المثال، نجد أن تنبؤات التقدم المتسارع في السفر الفضائي، ظلت صحيحة تماما طالما ظلت (ناسا Nasa) تنقل ما يكفيها من تمويل.

هذا ومن ناحية أخرى نجد أن صعوبات جمة قد واجهت حديثا المستخدمين للتنبؤات الضيقة (Microforecasts) والتي كانت موجهة نحو تفسير أهداف السياسة الشاملة. وقد أشار كول: Cole إلى أن التنبؤات الاقتصادية القومية قد ارتكزت أساسا على الافتراضات (التاريخانية) الدائمة إلى استمرار الاتجاهات السائدة نفسها، وهي الاتجاهات التي غدت غير ملائمة بشكل متزايد، وذلك كنتيجة للكامل المتنامي للاقتصاد العالمي، وكذلك للتأثير الهائل الذي تمارسه القوى الدولية على الاقتصاديات القومية، وقد تضمنت مجلة حديثة للتنبؤات الاقتصادية البريطانية ما موله: إن أخطأهم (بالفة للفتايل صادة) قد عكست تأكيداً مبالغاً فيه على التغير كشيء، قام على تغليب متزايد ليس إلا، على إسقاطات خطية لمسارات أو اتجاهات الماضي (Chapman, 1976, p: 254).

ولأن المناقشة تتخطى بالتحفة ما بين تنبؤات التنبؤ الاستطلاعي والآخر المعيارى، فإلّا نجد أنه من الممكن الإقرار بأن جميع دراسات المستقبليات - متضمنة تلك التي تدل على كونها استطلاعية خالصة - تعد محما مخفونة قيمياً، ذلك أن اختيار المعايير للحلول، والافتراضات المتبعة بأى العوامل يعد ثابتاً ولها يد متغيرة، والحكم بخصوص ما يعد وما لا يعد ممكناً، ووضعية الخبراء والاتجاه الغالب بينهم، والحكم الفعلى بخصوص التطلع نحو (النتائج المحتملة) للتغيرات المستقبلية بأكثر من التطلع نحو (الأهداف المرغوبة) التي قد يكون النشاط البشرى متوجها نحوها. إن ذلك كله يتضمن

بعضاً من الاختيارات القيعية، والتي يكون من غير الممكن التخلص منها بسهولة من خلال إعادة الدوجه نمو تنبؤات أكثر موضوعية، وبالتأكيد، فإن الإسقاطات الاستطلاعية لمختبرات خاصة وشركات سببية سوف تكون مرتبطة بتطوير تصورات المستقبل من خلال للتبؤ المعيارى، ولكن أياً من التحليلات ليس فى حاجة للتدوير فى افتراضات تاريخانية.

### التمركز حول الذات (النزعة المركزية) Ethnocentrism:

إن نزعة التمركز حول الذات ترتبط بشكل وثيق بالنزعة التاريخانية فى دراسات المستقبليات، وكما بدت التاريخانية معلقة برامجياتها فى عصر الدجبات والاستقرار الاقتصادى المتواصل، فإن أطروحة الثلاثى والاتفاق (والتي تركز على التاريخانية) قد أُنشئت فى زمن الهيمنة الاستعمارية الراسخة بشكل لا ليس فيه.

لقد قرر بأن (التصنيعية - Industrialization) تعد الشكل الأكثر قابلية للنجاح كتنظيم اجتماعى فى العالم الحديث. إننا نجد أن (صورة المجتمع ما بعد الصناعى التكنولوجى السخلى) تعد الصورة المهيمنة فى المجتمعات المصنعة، أما بالنسبة للمجتمعات النامية، فإن هناك طموحاً للتقدم عبر مراحل للتطور السياسى إلى القدر نفسه، أو فرصة أخرى - محاسنة - للانعزال أو التفرغ Bantustanization والتحول إلى مخاطر الخلف للريفى.

- وفى المقعد المصنوع، بزغ خط (تكرى) مخاطر قوى ليبرالى الصورة الكلاسيكية للعالم الثلاث بوصفه ساجماً وحياداً فى الخلف برقعة سماته وخصائصه الداخلية التي تتمثل فى الموانع الثقافية للتجديد، والتفجر السكانى، والافتقار إلى النافعية للإنجاز. إن هذا الخط المناظر يخالف الرؤية التي مؤملا أن المسار المستقبلى الوحيد للبلدان الفقيرة يتمثل فى اتباع قيادة الغرب، وذلك من خلال استيراد التقنيات الغربية واقتفاء أثر استراتيجيات النمو الاقتصادى

للغربي، هذا الخط المناظر غالباً ما يطلق عليه اسم نظرية التبعية Dependency Theory، وهو خط لا يعالج الخلف بوصفه حالة أمثلة غير متغيرة، ولكن بوصفه نتيجة للنزعة الإمبريالية الأولى والاستغلال النيوكرونيالى الحالى للعالم الثالث، وفى هذه العملية، تم تدمير الاقتصادات والتكنولوجيات غير المتوافقة مع مآرب الجماعات المهيمنة فى البلدان الغنية.

إن باحثى المستقبليات قد فطروا إلى حد كبير فى التصديق لتفسير المهيمن على العلاقات الاقتصادية العالمية والذي مؤداه أن هذه العلاقات تمثل مكافأة متبادلة للبلدان الغنية والفقيرة على حد سواء، ولذا وجدنا أن أفكار النساط إلى أسفل Trickle down من خلال نمو الأمم الصناعية قد أصبح لها الصدارة، فى حين يتعامل المتداول بشأن الفرضية الفاسدة بأن الرلالات المتحدة يجب أن تظل المستعبد لكسبب الأعظم من الموارد الطبيعية للعالم... إن نطاق التسامح والشفاء البشرى المرتبط بالخلف يعد أكثر اختصاصاً من أن يفسر، مادياً كان أو أيديولوجياً، مصاغ من خلال علم المستقبل ومديداً فقط رجداً باحثين للمستقبلات، ذوى تأثير، قد انتقدوا سلبية الدراسات المستقبلية المتبدية للنزعة التاريخانية، والنزعة المتمركزة حول الذات كروى للتنمية الصناعية. وبالتسراى مع الأفكار الماكروسوسولوجية الخاصة بانتقال الأمم عبر طريق تنموى وحيد من التقليدية إلى الحديثة نجد كذلك التصور السوسولوجى لمصالح واتجاهات الفرد متجمعا فصار مشابه أى أنها تتنقل هى الأخرى من التقليدية إلى الحديثة.

ومن المفترض - وفقاً لهذه الرؤية - أن يقوم السكان المتحضرون فى البلدان المتخلفة باستعراض مزايا الحديثة، وذلك من خلال ترحبهم نحو استخدام التقنيات الجديدة، ونحو السلطات التقليدية، ولعمرو أى شيء يجب أن يكون متغيراً لكى يتشابه مع الرؤى الغربية، وفى المستقبل من المفترض أن تكون هذه الاتجاهات أكثر انتشاراً وذووعاً.

## أيدولوجيا المستقبل



كذلك كان للتطورات في نظرية النظم طريقاً للظهور المتسارع في علم المستقبل، فعلى سبيل المثال، نجد أن (إمري Emery) في كتابه بمستقبلات العالم قد أشار إلى استخدام عمل جاردنر Gardner وأشبى Ashby (١٩٧٠)، والذي افترضنا فيه أن النظم بالغة التعقيد قد تصبح سريماً لنظام غير مستقرة، ذلك أن الارتباطات قد تشكلت داخل النظام في إفراط وتبقى بنقطة المدخل Threshold Point. ويشابه ذلك سماعنا نظرية الكارثة Catastrophe لرونييه فورم R. Thorm، والذي كان قد تحدث عنها بوصفها إمكانية قسوى توضع في الاعتبار كأحد المخلفات في عملية التدوير وإدارة الاضطرابات الاجتماعية.

إن هذه التطورات بالغة التعميم لم يتم فهمها البينة بواسطة المتخصصين في مجالاتهم الأصلية. وهناك انتقادات عديدة لعمل جاردنر. أشبى قد فحصت براسلة ماكلين، وشيفس، وكارنو (١٩٧٤) الذين لم يستطيعوا أن يجابوا مع ما أطلق عليه جاردنر، مؤثر المدخل. (لقد أشاروا إلى أن هذا المؤثر قد نتج عن الأخطاء في معالجة المعلومات المتوافقة المستخدمة في التحليل الأصلي). أما (كرويل Croll) فقد أشار إلى الراج السالب فيه لنظرية الكارثة، وفي مرفود أضيف إلى مقال كرويل، (بتر (ثورم) نفسه بأنه قد كان هناك تهوس بمبالغ فيه، بشأن هذه النظرية. إن النظرية قد لاقت تطبيقاً لها بشكل متسارع في عدة مجالات، منها على سبيل المثال، إدارة شعب السويون. كذلك نجد أن استيراد الرياضيات وجلبها إلى بحث المستقبلات قد لاحظته (هوس Hoos)، والتي قامت بانتقاد المزاعم والادعاءات التي صيغت من أجلها. أي الرياضيات. بشكل غير مباشر.

إن هذه النزاعات نوحى بالعلمية بشكل بالغ، إنها تقدم وتطرح بحيث الناس متقادون إلى صور وأفكار مشتركة تتعلق بالجمعية العلمي وممارساته، وذلك من أجل إضافة

هذا ويبدو أن باحثي المستقبلات قائلين للتسايق وراء إغراءات «النظم الصارم Hard Science، والتي تبني ليس فقط الانتباه السالب فيه نحو الرياضيات والتصور القيمي للفاصل بالنظم الكبير Big Science، ولكن لدبي بمضا من أكثر الأمثل خطيرة للنم للنظم للتلعب للتلعب، Pop Science، وكذلك البدع متضعة للمصداقية للمصداقية العلمية أيضاً. إن عددا من هذه البدع تتعلق بالمناجم والآلية.

وإن نمذجة التمثيل Simulation Modeling وتحويل النظم -anal Systems ysis، المتواجدين تقليدياً في هذا المجال ولها صلات وثيقة بالمناجم، يمثلان حاليين أو نموذجين في هذا المقام هذا وعلى الرغم من أن الممثلين والأدوات قد وضعا الإنسان على سطح للتمر فإنهم قد بدوا متحيزين ومنصفين إزاء مشكلات البير The Ghet، to، إن مداخل التمثيل براسلة الحاسب المستخدمة في التنبؤ بثورات الأعمال والديناميات الصناعية قد تحولت سريماً نحو مستقبل المدن، والبلدان، والعالم بران غموض لخراطة التدفق والتقارير المعقدة، إلى جانب صورة الكمبيوتر بوصفه عقلاً فائقاً Super-brain موضوعياً، وغير عاطفياً، قد أربطت بالانتخاب للساحر غير النقد لأى من المجالات التي من الممكن أن تتصل به.

هذا ويتخذ كلا من (آرمر Armer) (شنيبرج Schnaiberg) مقاييس الاتجاهات المستخدمة في هذه الدراسات والمركزة على منظور الافتراض سوبله أن الحدالة تمد شيئاً أقرب للأصطورية.. إن أطروحة مشابهة لنظرية الحدالة قد تم تطويرها من أجل الطبقات العاملة في المجتمعات الغربية: تطبيقاً للتنبؤات الخاصة بالبرجزة Embourgeoisement، فإن هذه الطبقات سيبتدى عليها بشكل مزايد ما تبدى فيما معنى من قيم واتجاهات الطبقة الوسطى، إلى جانب تفاديهما الرافر، إن الدراسة الكلاسيكية التي بفت الشك في هذا للتنبؤ نجدها في دراسة لـجولدثورب Gold-thorpe وآخرين (١٩٦٩)، والأكثر حدالة، نجدها لدى رينههارت Rinehart (١٩٧١)، وقد قررت هذه الدراسات أن هذا التقارب، لو تم، فإن الأكثر احتمالاً أن يقع من خلال تدهور في أحوال الطبقة الوسطى.

إن الأفكار الفاصلة بالزراعة التاريخية ونزعة التمرركز حول الذات، والتي سبق توصيلها، ازدهرت في مناخ التوسع الذي ساد عقود ما بعد الحرب. ومع التحديث التي واجهت الإمبريالية الغربية والمؤثرات المثيرة لعدم الاستقرار في النظام الرأسمالي العالمي، برز مفهوم حاد على الأفكار التي كانت قد وظفت لمساندة وتدعيم الاستغلال الاقتصادي للعالم الثالث. إن الخطر ظل متحتملاً في أن بحث المستقبلات سوف يهتق على الفرضى والعريضة العالية للنظرية وذلك بأن تصبح أكثر من مجرد عقيدة خادمة للوضع القائم The status quo، ذلك أنها سوف تعمل على صيانة وإسقاط Project الأيديولوجيات التي ضلع المشروعية وترشد الأفعال لنظام جالز.

### العلمية Scientism

تعرضت العلوم الاجتماعية حديثاً لحشد من الانتقادات، وتركز شديد من تلك الانتقادات على نقطة معينة، وهي التي تتعلق بالإخفاقات المرتبطة بمحاولة اتباع نموذج ومسمى للتطور العلمي مرس على خبرة العلوم الطبيعية.

وإن مرجع تقريراتهم التي يذافعون عنها، أو لممارساتهم التي يطورونها، أو للقيم التي يذافعون عن تبليها،

إن الاستحواذ على الاستمارات الأعدى وقعا والمذهبيات المعقدة للمعلم للمعاصر، والتي تمثل محاولة لتأمين مكانة التحليل المستقبلي، قد تخدم عددا من الأهداف، منها: زيادة التقدير الذاتي والسكان المهنية، وتأمين تدويل ثابت، وإحراز أقصى تأثير على آراء الفرد، وكذلك لدوال مصرية وصلاية التحليل العلمي بواسطة استخدام تكتيكات تدل على توصلها إلى مصرية وصلاية مماثلة.

إن العمليوة تولت بطرق أخرى، ليس أقلها ذلك المنطق بالاستخدام التقدي للبيانات الإحصائية والتحليل في بحث المستقبلات في العلم الاجتماعي المستقبلي. إن إغلاقات مقاييس (إجمالي الناتج القومي GNP) بوصفه مقياسا للرفاهية هي إغلاقات معرمة جيدة، ومع ذلك فقد ظل هذا المقياس مستخدما بشكل موسع في دراسات المستقبلات كما لو كان مقياس القيمة التقدي للنشاط الاقتصادي القومي يفتى بالفعل حقا إلى معرفة حقيقة ثابتة بخصوص مستويات المعيشة ونوعية الحياة. وقد كانت (هوس Hoos) مستخدمة بخصوص: «الهوس الكمي Quantomania، بالنسبة الزائفة لدراسات عائد التكلفة Cost-benefit studies وما شابه، إنها تقرر أن البيانات المستخدمة في عدد من الدراسات التنبؤية تجمع بدرجة كبيرة من التله وغالبا ما تتم معالجتها لصالح جماعات مصالح بعينها. ولقد أشير أيضا إلى أن عددا من الإحصاءات الاجتماعية المستخدمة في دراسات المستقبلات نادلا على الحيادية كما قد يظهر مستخدموها ذلك. ونفسا عن ذلك فإن الإحصاءات وتحليلات النظم هي أدوات تمثل في ذاتها قوة عظمى، أنها قد تخدم وظيفة إخفاء علل وجوهر مصالح القوى العظمى والهيروفرطيات. لقد تم الإقرار بأن أحد أسباب الاهتمام بالإحصاءات الاجتماعية والذعة الإمبيريقية المجزأة Abstracted

empiricism للخيار للرئيسي للمعلم الاجتماعي في فترة ما بعد الحرب كان متمحلا في عدم رغبة المشاركين في هذا النم - الاجتماعي - في مواجهة تساؤلات تتعلق ببناء القوة في المجتمعات الحديثة. وتتضمن: هل علمية بحث المستقبلات هي مجرد مسابقة لأخوته من التخصصات الأخرى جيدة للتأسيس، أم هي خدمة مرغوبة لمطالبات ومجاهات القوة التي لا تتطلب أكثر من الكفاءة إزاء ما شارسه؟

#### المالر التكنولوجي والعلمية للتكولوجية:

تعد وصفة «المقررات التكنولوجية ذات أولوية في عدد من سيناريوهات المستقبل وهي تكتسح بذات الأولوية قسيما بين المستقبلين: فمعالجة عطف الهيون (الصار) «الصيفيات المارة للطوية، تم بواسطة تركيب مكيفات الهواء، والاهتمام بإمكانات الجراحة النقية psycho surgery والحدارة النفسية Psychopharmacology لو تحول الطب والاحتجاج إلى حالة مرضية، العقول من أسباب حوادث الطريق بلنكار سيارات سوبر supercars فائقة الأسان، إبطال إيمان الهيويون بإنتاج حصار مخلق أكثر قبولا، الإسراع من للتظمة الاقتصادية من خلال ضبط للنمو السكاني بواسطة وسائل منع الحمل ولو أن مستقبلا ما أخذ في مضايقة وإزعاج باحث المستقبلات قم لا يتم عدلها للتخفيف من هذه المضايقة وهذا الإزعاج من خلال التمل والتفكر (ربما يتم ذلك باستخدام وسيلة للتغذية المرتدة الحيوية لإتقاد المهدي، إذ لم يكن المال ؟).

- إن هذه المهرجة من الأدوية التي تصرف لكل داء لا تبت شكا في الإمكانية الصلية للتكولوجيات التصميمية (أو بالأحرى التنظيمات الاجتماعية) من أجل تدعيم مجتمع أكثر إنسانية، وكما يقرر (مارشز Barns) (وسايدو Studer) في تحليلهما لعمل (وينبرج Weinberg) (الرفلغ الرئيسي عن المقررات التكنولوجية. تكوير للهواء، السيارات السريعة، ووسائل منع الحمل، الخ) على الرغم أنه من المحتمل أن

يكون وينبرج مشهورا بوصفه مدافعا عن الركيزة الدورية من أجل مشكلات الطاقة العالمية، فإن تساؤلاته الاجتماعية والتكولوجية غالبا ما جاءت مشوشة، وإذا فالمشكلات التي صورت من خلال تعبيرات تكولوجية ومقررات اجتماعية ظلت مجعولة - لقد رأينا - بارنل وسايدو. هذا التشرى مقترنا بالاعتماد الدخوى على العلماء بوصفهم المشخصين الأكثر ملاممة للمشكلات الاجتماعية .

إن واحدة من أكثر الصراعات واسعة النطاق أهمية للاتجاه إلى الركيزة للتكولوجية تتمثل في «الشرة الخضراء Green Revolution، والتي تعلقت عليها آمال عديدة من أجل المستقبل. إنها كانت محاولة لمواجهة مشكلات الغذاء العالمية - مادة عددا من التنبؤات المتعلقة بالنقص والجماعة التي أجريت في بدايات حقبة الستينيات - من خلال استنباط زرعيات غزيرة الإنتاج من الأرز والقمع آسيا وأمريكا اللاتينية. وقد كانت نتائجها تأكيد مشوشة. هذا ويقرر (جريفين Griffin) أنه قد كان هناك تخفيف مباهر ضئيل لأمراض سوء التغذية، عوصا عن أن الأفراد والأرباح المالية قد منحت لمن يعدون أثرها نسبيا بينما ظل العمل في حالات عديدة مفتقد والعمال معوزين فقراء. إن زراعة العالم الثالث مرتبطة، في صيغة تشغيلها، بذرة الأعمال الزراعية التفرية من أجل التزود بالمضخبات، والعبيدات المخرية، وكذلك الميكنة. وإذا لحد أن العمل الذي تقسم من أجل المشكلات الفعاسة بإنتاج وتوزيع الغذاء العالمي تنتظر إصلاحات اجتماعية جوهرية .

- وإذا ما كانت (السمات التكنولوجية) ناجحة في حل المشكلات التي زعم مواجهتها، فإنها ستجتمعت عندئذ بجاذبية واسعة ولن تكون مظاهر الاغتراب، والبلادة، والوهن خافقة ومتدنية فقط، بل أيضا إن الانتقادات الفعاسة بحالة الاستقرار سوف تكون أكثر قابلية للتلاشي بوصفها

## أيديولوجيا المستقبل



كعبه كخبراً من الحتميات التكنولوجية) والمجتمع ما بعد الصناعي، أو المجتمع فائق التصنيع (توفلر Toffler، 1970) إنها تتشقق بالحتمية التكنولوجية. إن التغيرات في تكنولوجيا الإنسان - هذا - تضم الأشكال المستقبلية للتنظيم الاقتصادي والسياسي، والبرص المطلوب للخطط طويلة المدى، وبزوغ قوة البناء التكنولوجي، وصسفرة المعرفة، أو ما شابه.

فصل عن ذلك، فإن صورة المستقبل المشتمل الأكثر وضوحاً تنبع عن الحتمية للتكنولوجية البغيضة لكتاب مالن: (الأول - BI-III) (ورواكه Roszak) إن هؤلاء الكتاب يناقشون إلى التكنيكات والتكنولوجيا بوصفها تقعان تقريباً فيما وراء السيطرة البشرية. كذلك، نجدهم يصرون على أن عملية اختراق التفكير العلمي هي عملية بالغة الانتشار في أعمالنا، ذلك أن الأحكام تصاغ بشكل متزايد على أسس كمية وحيدة ومفردة، متضمنة بشكل استثنائي عمليات عقلانية للمعاني والمقاصد التي قد يكون الحصول عليها أكثر أهمية ونفعاً لأهداف بعيداً. بالإضافة إلى ذلك، نجد في الصورة اللطيفة للمجتمع ما بعد الصناعي، إن التكنيك والتكنولوجيا قد قسمت إلى كيانات تفق في انفصال عن النشاطات البشرية، وهما - أي التكنيك والتكنولوجيا - يصدان أحد لتناجج النشاطات البشرية بشكل فطري.

إن هؤلاء الكتاب يقدمون رؤية إصلاحية مفيدة بتركيزهم على اللامساواة والعزلة في المجتمع التكنولوجي، ولكن، إن رؤية كهذه قد تنجم من النزعة التقديرية، إنها قد تفقدنا الدراية ونكلم بانجاهات الخشخنة التكنولوجية البديلة الكامنة التي قد تحدث، وبالأهداف الأخرى للنشاط العلمي، وبالأجواء الممكنة المختلفة العقلانية، وبالدور الحقيقي من أجل إعادة تشكيل التنظيمات الاجتماعية.

إن كلاً من شكل وأداء «التكنولوجيا» والتكنولوجيا، محكوم بالقرى المهمة في المجتمع. إن الخصائص التكنولوجية، التي لها تأثير طاق على التنبؤ، فطنت في أن تلتف إلى / أو / تتمازج وتتحد مع

بخصوص العمليات التنظيمية التي أعطت الفرصة لميلاد المجتمع التكنولوجي الذي قاد إلى الترتيبات غير المتوازنة لقوى التدمير، إنه يربط ما بين التكنيكات المستقبلية لإدارة الدفاع - مثل بحوث المسافات، وتحليل النظم - وصعوبة تقديم الأساس لمركزه - The Center - الization التحليل والنظمية - The institutionalize المبادئ والعقائد الاستراتيجية التي تمكن داخل المجتمع التكنولوجي المستجلى. إن كتاب ياناريلا (1976) يمد كتاباً (أو تقريراً) فيما في هذا القسم من التاريخ الحديث.

وهناك حتمية تكنولوجية من نوع آخر تتعلق بالفرصية التي مؤهلها أن تكنولوجيايات جعلها سيكون لها نتائج متشابهة موسعة عندما تطبق داخل أنماط متباينة. بشكل واضح - من المجتمعات، والفرصية المقاربة تتعامل في إقتران هذه الفرصية بشكل من الحجم التكنولوجي: فقد تم التنبؤ بأن مجتمعات الشرق والغرب - تصبح متشابهة بشكل متزايد، ذلك أنها تتغير بذاتياً بمعونة تكنولوجيايات الصناعة الجديدة، والاتصالات، والاستهلاك. إن إمكانات تصميم التكنولوجيا وفقاً لأهداف مجتمعية مختلفة تدم إمكانات مجهولة أو مفقودة في هذه الأمثلة.

وهذا أبعثنا هو ما تفعله للتصورات والأفكار الخاصة بالدولة الصناعية الجديدة (جالبرايت 1967 Galbraith، ويظهر في

معدل انحرافاً عن جادة الصواب أو دلائل للإعراج، والقلق، ويكون بالإمكان العمل - في المقام الأول - عندئذ على التخلص من البذات الاجتماعية التي تولد هذه المظاهر -

إن الرؤية المتطرفة بخلق المستقبل الذي يتشابه ويجادل تماماً مع عقليّة السعادة التكنولوجية هي رؤية توسم بأنها نتاج عقليّة الحتمية التكنولوجية.

وإننا ما نفقد الحتمية التكنولوجية بوجه: اعتقيدة، الأمر التكنولوجي، (Technological Im, erative)، التي تؤكد أن هو ممكن، سوف يقع، والعقيدة أن التنبؤ التكنولوجي يتضمن أساساً طريقاً وحيداً، كما هو منظم بواسطة الترتيبات المعقدة لصناعة الطيران من أجل طائرة أكثر سرعة وفخامة، والتكنيك التنبؤ الذي يعد مثلاً كاملاً لهذا الاتجاه يتمثل في منهج «التنبؤ بواسطة تحليل الأحداث - Forecasts by analysis of pre-cursive events، حيث يتم التدبؤ بالتغيرات في التكنولوجيا أو الإنجاز في مجال متقدم (مثل - سيارات السباق، والطائرات العربية) ليظهر ويقتضي بعد فترة ملائمة محسوبة في تنبؤات أو استحداث أكثر صرامة (مثل: سيارات العائلية والطائرة التجارية).

وربما يكون النجوم الأكثر سوءاً وشراً لنظرية (الحتميات التكنولوجية) متروكاً في الحقن العسكري، ولقد حاك ياناريلا Yanarella، مسار التضيق النقابي الأمريكي خلال سباق التسليح الاستراتيجي في حقبة الستينيات، وعلى الرغم من الفرصية الرسمية (التي حددتها مكالسار وأخرون)، والتي وصفت سباق التسليح بأنه نموذج للفعل - رد الفعل، كما هو بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فإن كل رد فعل لتطوير الأسلحة - من جانب يواجهه تطوير النظم أسلحة - مضادة جديدة، هذا وقد وجد ياناريلا - أن مدخل الخصائص التكنولوجية يجب - شكل فطري في تخطيط الولايات المتحدة. فيما يخص بأبحاث المستقبلات نجد - ياناريلا - يقدم استخلاصاته



هذا التأثير الأساسي في حاضره ومستقبل التغيير الاجتماعي، إن ذبوح هذه النخلة في التدبير، ومدرست، Schooling وتنشئة عدد من علماء المستقبليات في مؤسسات التدبير للتكنولوجيا (و/أو العسكرية)، يترافق مع مصالغ وأهتمامات الأعمال والبيروقراطيات في التدبير للتكنولوجيا المستمرة بأكثر من أن تتوافق مع مصالغ وأهتمامات جماهير الناس الذين تعد حياتهم في أسس الحاجة لهذا التغيير، ولكي نذهب إلى ما وراء اعتذارات كتابات ما بعد الصناعة، تركة (إلوت Elliot) ومشاركين من الأمريكيين، أو للذهاب فيما وراء اللغة النخبية اللطيفة في ثورة الرعي عبر خطوط شارلزل ريتش Reich، فإن ذلك يتطلب شكلا مختلفا لبحث المستقبليات، يجب أن يكون بحث المستقبليات الذي يصوغ صورا لتكنولوجيا (سوسيو-تكنولوجية - Sos- iotechnical) قابلة للتدماج عمليا، إلى جانب أن تكون مرتبطة بعملية تقييم وتقدير لكل من المتغيرات بالتقنيات البديلة، وكذلك التخيرات في علاقات القوة التي تكون منصفة في عملية تحقيقها.

### التجهيل والتخبوية Mystification and Elitism

كما أشرنا سابقا، فإن نقاد الزراعة التكنولوجيا في المجتمع ما بعد الصناعي يشيرون إلى تقنيات بالغة الأهمية في بحث المستقبليات، والتكنيك Technique، لا بعد إشارة واضحة للخلل في العديد من عمليات التدبير والتخطيط. إن بعض المداخل التي تصور المستقبل لا تحصر فقط داخل حدود الاعتبارات والأهتمامات الكممية، ولكنها بالإضافة إلى ذلك تعتم بتقيد وحصر اتجاهات المستقبل داخل نطاق التقديرات النقدية Monetary فقط، ولشال البارز على ذلك يمثل في (تحليل التكلفة والعائد Cost-benefit)، حيث نجد أن الجهود تتم فيه من أجل حصر وتحديد جميع الأهتمامات والاعتبارات داخل مقياس نقدي يقود إلى محارلات لتكرين قيم المال في حياة الفرد، ومماته، وإلزامن ذي التلمية والأهمية باللمبة إليه. وبعده من المحارلات التي بذلت من

أجل أن يقدم (تحليل التكلفة والعائد) التقديرات الموضوعية للنتائج الاجتماعية المخلفة نوعيا غدت أقل من أن تحوز قبولا بشكل عام.

وفي معاناة التحليل الكمي المطول يكون الاحتمال هو أن تتدأري وتختلبي العديد من أحكام التلمية والتي أن تحظى بأي اختبار عام كما يحدث لكثير من الاسقاطات طويلة المدى الأكثر تعرضا للجدال والمناقشة.

إن ما يجمع التعليمات بادية التعقيد حيث تتكرر التقيم الاجتماعية بوصفها عمليات علمية هو طريق وحيد يقوم فيه بحث المستقبليات. غالبا - بتفويض، وأكثر من إرضاح، عمليات التدبير الاجتماعي والاختيارات المؤثرة في المستقبل، وفي الأقسام الأولى من هذا المقال، تمت محاولة لتفيزات أخرى، أحدها ما تمثل في تطوير نماذج للكمبيوتر متزايدة التعقيد، والتي تعد عملياتها متنامية الصعوبة حتى على فهم صانعيها، دج جانبها غير المتضمن لهذا السجال في محاولتهم للتكف عن الاختيارات للمعاري المضمنة في عملية صياغها.

إن العديد من تكنيكات بحث المستقبليات قد تجعل من عمليات صنع القرار عمليات أكثر غموضا. إن ذلك حتى قد يكون حقيقة كتابة السيناريو والذي من المفترض أن يقدم مدى من التبدل، وفي العملية التي قد تتم داخل حدود منصفة. إن صانع القرار المتنامي إلى الصنف قد يطلب سرا من خبره (الخاص) أن يتخير له السيناريو الأكثر احتمالا للتحقق، وهو قد يستخدم هذا السيناريو من أجل أغراض التخطيط، وهكذا فإنه يعمل من عملية التخطيط عملية قليلة الوضوح، غامضة، وأكثر من أن يكون هناك إقرار صريح بأن صورة واحدة للمستقبل كانت موضع الاستخدام الفطري في عملية التخطيط هذه.

فعلنا عن ذلك، فإن علم المستقبل يبدو تقريبا ذا بعد واحد One-dimensional في قبوله للنموذج الاسترشادي اللببرالي The Liberal Paradigm المتمسك بصورة واحدة هي صورة المجتمع ما بعد الصناعي

للتكنولوجيا، تماما كما وصف نقاد المجتمع القري المصاصر (أمثال ماركوس Mar-cuse، وميلبان Miliband) للقرن الذي تنفع النظم الاجتماعية نحو شكل ذي بعد واحد، كذلك يقر (وين Wynne) أن التقدير البالغ للتكنولوجيا يضيئ من مدى الصراع داخل البنى الاجتماعية الحاضرة، إنه يصوغ المشكلات الاجتماعية في تعبيرات تتعلق بالتكنيكات، ونهاية الأيديولوجيا، وإن ذلك قد ينظر إليه بوصفه محاولة نظرية لإيلاج اللامعة ضمن رؤية للمجتمع تخدم مصالح لثة الضئيلة.

وهكذا نجد أن هناك خطرا يتولد من جراء تعميق أيديولوجيا البعد الواحد، والأيديولوجيا للتكنولوجيا، وهي الأيديولوجيا التي تقتصر الخطاب السياسي على مجموعة منقاة من البدائل.

هذا وتتمثل هذه المخاطر في التبول واسع النطاق لروى هذه الأيديولوجيا التكنولوجيا التكنولوجية بشكل جوهري. وهي الأيديولوجيا التي تلتصحن روى للطم وللتنوير بوصفها محايدتين، وكذلك للسياسة البذخية المرتبطة بها بوصفها شيئا حسيما يستلزم درجة عالية من التقدير والاهتمام، كما هي - أي السياسة البذخية في احتياج لخبراء ومهنيين متخصصين (رسميين) تكونهم أساسا ذوي قابلية ومقدرة على الترفيع على صراعات المصالح في المجتمع، ويبدو أنه من المحتمل في الحقيقة أن الخبراء العقلاني المباد ظاهريا غالبا ما يحمي ويدعم عملية التحكم التي تعد (تكنولوجيا) بالمعنى الذي يكون فيه استخدام الطم والتكنيك متزامنا مع المحافظة على وضع المشروعية لموضع المهين لجماعات القوة الموجودة (Elliot and Eliot, 1976).

وقد يكون من الممكن الإقرار بأن الضغوط على معظم الباحثين العاملين في الدراسات التدبيرة هي من أجل أن تجعلهم أكثر ارتباطا وتعلقا بتطوير التقنيات لصالح مموليهم (أو عملائهم Sponsors)، بأكثر من أن تكون من أجل محاولة فهم الظواهر الاجتماعية التي وتنبئون بها، أو الدور

## أيديولوجيا المستقبل



بإنجازات المجتمع التي تتحدى الغيار الأوفورنكي بين الرأسمالية الصناعية من ناحية، والبرورية الارتقادية من ناحية أخرى. إن هذا البحث يواجه مشكلة أن التكنيكيات والأفكار الجذابة والتي تطورت وتقدمت في عزلة وانفصال قد تكون قد طرحت من أجل الوضع القائم، وهو القدر الذي واجهه عدداً من المركبات الاجتماعية والتجديدات الواعدة.

إن الأفكار - حتى صور المستقبل - لا تبرز قوة في ذاتها لتغيير العالم، إن قوتها المؤثرة تعتمد على وجود الناس، مع إرادة ومنهم داخل الحدث والقدرة على فعل ذلك،

وغير ذلك، تحلل الأفكار على مستوى اليوفوريا، ولقد حاول المستقبلون شديدي الداس الذين قد يحولون تذبذبتهم إلى واقع، وتتضمن

ترشيحاتهم: الطبقة العاملة الجديدة، والطبقة، والأقليات الإثنية، إلى جانب صفة المعرفة التكنوقراطية. وغالباً ما وصفت وكالة هذه الجماعات على أنها قدرية، بوصفها حتماً لتاريخ المستقبل، ومع ذلك، فقد يكون هناك تساؤل عما إذا كان المستقبل الذي يسيطر فيه الرجل والمرأة على أقدارهم ممكن لتفلسفه بدون الارتباط بالقدرة الإنتاجية لطاقم العمل. وعما إذا كان بإمكان جماعات محددة بعينها ككل الموصوفة سابقاً بإمكانها إزلال هذه السيطرة إلى الناس من حل.

ومن أجل مشاركة واسعة للطلاق في تصور المستقبلات وخلق المستقبل لمصبح مشروعا واقعياً وحقيقياً، وأكثر من أن يكون شكلاً من أشكال المشاركة الزائفة، فإن دعم ومساندة الحركة السائدة والمتنشرة من أجل ديمقراطية شعبية يكون شيئاً جوهرياً. إن أخطار بحث المستقبلات تتمثل في أنه قد يؤخر ويقلل تطور كهذا، وإن باحلي المستقبلات ربما يستمرن في الجهاز من أجل التنبؤ بتاريخ المستقبل بأكثر من أن يكافحوا من أجل أنصـة Human-ization هذا المستقبل، ومن هنا، فإنه إذا ما ومنعنا في الاعتبار القدرات المتنامية في السباق البشري من أجل التحسين الذاتي، فإن إمكانية أي مستقبل على الإطلاق قد تكون معرضة للخطر. ■

وتعميق الجدل للام بشأن المستقبل في نقد الأبعاد الأيديولوجية لبحث المستقبلات للاماصرة. إن دور لخيال البشري يجب أن يكون هنا في موقف متضاد للحمات للغة بجميع أوضاعها، كذلك عليه أن يحال الالتزامات التاريخية المرتبطة بذلك الفناء، وعلى الجماعات الاجتماعية التي من اللازم أن تصنعها بظلمة، أن تحمي عملية صياغة المستقبلات البديلة من أن تلحق وتترك إلى مجرد نزعة يوتوبية.

إن نقد للممارسات الزائفة لبحث المستقبلات المتضمن هذا سوف يخدم في محاربة كلا النمطين من للفطر والموصوفين في الجزء الأول من هذا المقال، (الفطر الصادق والفطر الأيديولوجي)، أين ما هو ضروري... إن الناس قد يلجئون إلى هذا النقد من أجل تصدى التنبؤات التي تستخدم من أجل تحرير أنفسهم من قرابة صور المستقبل المبروكة عليهم.

هذا والمطلب الأول من أجل التصحيح يتمثل في تشجيع النزعة الجمعية المنهجية Methodological Pluralism في بحث المستقبلات، والسمة الأخرى المتطلبية من أجل الإصلاح تتمثل في الابتكارية، والرمز، إلى جانب دراسة التقنيات والتطبيقات الاجتماعية للبديلة، وهي السمة التي قد تشجع الفكر والجارب المرتبطة

الاجتماعي لبحث المستقبلات، وعلى الرغم من ذلك فإن باحلي المستقبلات الموجهين ديمقراطياً وكذلك الموجهين شعبياً لتفكيك ما- بعد الصناعي في علم المستقبل (أمثال تولفر) بفكرهم وجود أعظم مشاركة عامة في عملية تخيل المستقبل، وفي تقدير التكنولوجيا، وكذلك في صياغة الأهداف الاجتماعية والمؤثرات الاجتماعية، وهم ينظرون إلى ذلك العمل بوصفه يعمل على كبح مخاطر «صناعة المستقبل Future Shock»، والتكنوقراطية، ويبدو أنه من المعقول أن نقرر أن مشاركة الجماهير الواسعة من الناس في خلق المستقبلات وصور المستقبل أن تكون توجبها أن الناس موزعين مزيداً من السيطرة الواسعة على أقدارهم، ولكنهم سيذهبون أيضاً نحو إنتاج مستقبلات تستجيب لعدد مرموع من الحاجات أو المتطلبات بأكثر من أن تتم الهيمنة على المستقبل بواسطة أهداف الترامك الرأسمالي والاستقرار المشترك، أو بواسطة متطلبات بيروقراطية الدولة (الاشتراكية أو ما شابه).

إن رؤى المجتمع المعاصر وعلم المستقبل دخلته تصنف ويهون شأنها في مقابل أي اهتمام عام مرموع. عقابان هناك إمكانية حتمية تتمثل في أن بعضاً من المداخل (المشاريات) التي فحصت بوصفها مساهمات كاملة للمشاركة العامة قد تخدم فعلياً كأدوات معاونة لإنشاء الشريحة على الوضع القائم من خلال مشاركة وهمية Pseudo Participation، ولغيبور الذي يستطيع التحكم في نشر المعلومات وتوليد الخطط البديلة والمؤثرات المؤثرة يحرز قوة هائلة في ظل بعض هذه التكنيكات.

في علم المستقبل (للتواجد)، نهاجم النزعة التاريخية التي قد تصنع تصورات الناس للطرق البديلة للفعل وللتنظيمات البديلة في المجتمع، وفي علم المستقبل (التشاركي The Participative) الذي تصوره بعض علماء المستقبلات، هناك خطر يتمثل في أن القدرة والبلادة قد حلت محل الناس.. بمشاركتهم في القول بأكثر من إنجازهم لمآثرهم الخاصة.

هذا ويتمثل الإكمال الجوهري لتوسيع

## نهاية الفلسفة



**ق** في هذا السعال الذي بين أيدينا  
يطرح للكاتب - إيان مايلز -  
مجموعة من الانتقادات المرحجة أساساً إلى  
بحث المستقبلات وما يطوى عليه من  
أيدولوجيا، فهو يذهب إلى ما قد يمثل عقيدة  
لدى القائلين على هذا النوع من البحوث في  
المجتمع الغربي، وهي العقيدة - الأيدولوجيا -  
التي أوضحت أن أهم سماتها تتمثل في :

- ١ - للتاريخانية Historicism
- ٢ - للمركزية Ethnocentrism
- ٣ - العلمرية Scientism
- ٤ - للتجهل والتخيرية Mystification and Elitism
- ٥ - للتقنية Technologicism

ولذا أن نذكر أن هذه السمات  
الأيدولوجية وإن كان مايلز قد خص بحث  
المستقبلات بها في هذا المقام فإننا نستطيع  
أن نمد نطاقها إلى مدى أوسع حتى إننا قد  
نذهب إلى حد القول بإمكان انطباقها على  
قسم لا يستهان به من تراث الفكر الغربي،  
وبحث المستقبلات بطبيعة الحال.

وإذا ما كان مقال مايلز يتخذ بحث  
المستقبلات وأيدولوجيته، فإننا نعلم من  
تعليننا هذا تحقيق هدفين هما :

- ١ - إيمتاح بعض المفاهيم والمصانيف التي  
تعرض لها العقل.
- ٢ - مناقشة بعض آراء الكاتب ومراجعتها  
بشكل نقدي .

وذلك مع الوضع في الاعتبار أن تحقيق  
الهدفين لن يتم بشكل منفصل ولكن يتم  
تحقيق كل منهما بشكل متصل، كل في  
حينه.

(١) كانت أولى السمات الأيدولوجية  
لبحث المستقبلات الغربي التي طرحها  
(مايلز) هي سمة التاريخانية، وهي نزعة  
مؤسمة على فلسفة للتاريخ مؤيداً: محاولة  
التنبؤ بالمستقبل على أساس من  
قوانين مفترضة للتطور التاريخي،  
وإذا فهي نزعة تجعل من تنبؤات

**تعقيب :**

# علم أيدولوجيات المستقبل

## أيدولوجيات المستقبل



(المستقبلي The Futurist) تتوأت خطية وحتمية لا تخرج عن إطار تاريخي بعينه، وإن تم في بعض الأحيان إضافة القليل من التعديلات، دون إخلال بالروية (المستقبل - تاريخانية) الجوهرية.

- إن هذه الرؤية تصارع كل فكر تحرري، حيث إن الرأي فيها أن المؤسسات التي تم تأسيسها عبر عصور تاريخية طويلة تحوز قيمة تقود إلى اعتبارها طوبىما، وهو الاختيار الذي قد يفسد من خلال صبت الأفكار التحريية التي تبغى التغيير للتمام.

ولقد (مايلز) في موضع لاحق ينتقد قوى الزعرة التاريخية (التاريخانيين) في بحث المستقبلات لكونهم يركزون جل اهتمامهم وشاغلهم البحث الاستطلاعي (الخط الاستطلاعي Exploratory Type) في بحث المستقبلات مبهمين بشكل واضح للخط أكثر إيجابية هو (الخط المعيارى Normative Type). وهو يرى أن ذلك يعد من أهم أسباب سلبهم إزاء المساهمة في خلق المستقبل. إذ إن هذا الخط أى الاستطلاعي - قد يسم لكى يظهر النتائج الممكنة لمجسوة مطبوعة من المحدثات<sup>(١)</sup>. وهو يقدم لنا نوعا من التنبؤ القائم على الاشتقاق الخطى نسبيا ومنهجيا لتطورات الماضي والحاضر ولتكماسها على المستقبل، ويضمن هذا المستقبل المنطقى في مجملته: التنبؤ التكنولوجى، وبعضا من بناء السيناريو، وكثير من الأنماط المعتمدة للتنبؤ الاقتصادى الاجتماعى<sup>(٢)</sup>. - في حين أن الخط الآخر - الاستدلالى هو خط يهتم برسم وتصميم المستقبل المرغوب. فإذا ما كان سؤال الباحث في الخط الاستطلاعي من الدراسات المستقبلية موله: ما هي صورة المستقبل المتوقع أو ربما محبور آخر، أين سنذهب؟ فإن سؤاله في هذا الخط - المعيارى - يكون مفاده: ما هي صورة المستقبل التي يلغى تحقيقها؟ أو بقول آخر، أين يلغى علينا أن نذهب<sup>(٣)</sup>.

إن الاستدلالية تحطى: أن نضع بعد (الإرادة البشرية) في موضعه الصحيح

بوصف هذه الإرادة هي الصانع الحقيقي للمستقبل، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. ودور هذا الخط هو التركيز على هذه الإرادة المتفردة، واستجلاء كوامنها. إن الباحث في هذا الخط يتطلى المستقبل المتوقع الممكن تحقيقه، إلى رسم صورة المستقبل المرغوب في تحقيقه Desirable future، وهذا تكن مزية هذا الخط حيث - التدخل الراعى لتغيير المسارات المستقبلية في ضوء أهداف وأحكام محددة سلفا<sup>(٤)</sup>.

ولذا وجدنا (مايلز) ينتقد بحث المستقبلات الفرعى لغلبة الجانب الاستطلاعي فيه على الجانب المعيارى الاستدلالى الأكثر إيجابية.

- بالإضافة إلى ذلك، يرى (مايلز) أن تكتيكات بحثنا يستخدمها المستقبلين تطعم استطلاعيين بأكثر من أن يكونوا استدلاليين (محياريين)، وهي تكتيكات تفرض عليهم النمطية والحتمية فلا تخرج استطلاقاتهم عن نطاق الزعرة التاريخية المتوقعة غير المودعة.

- هذه التكتيكات الاستطلاعية - كما يرى مايلز - تكمل في :

- ١ - الاشتقاق المستقبلى للمسار Trend extrapolation
- ٢ - أحكام الغيبير (أسلوب دلفي) Delphi

## ٣ - مصفوفة التأثير المتقاطع

Cross impact matrix

## ٤ - النمذجة للتنبؤية (المحاكاة) :

Simulation Modeling

وقد يكون من الأفضل في هذا المقام لو أننا استعرضنا هذه التكتيكات بشكل مبسط ومختصر بفرض التحريف عليها بصورة أوضح، لدرى سوف (مايلز) منها بشكل أكثر قربا:

## ١ - الاشتقاق المستقبلى للمسار :

ويرتكز هذا التكتيك على عملية اشتقاق المسارات الفاعلة التي يمكن أن تكون مؤثرة في المستقبل ويكون لها أساس في الماضي أو الحاضر. «إن هذا المنهج الاشتقاقى يفترض، بشكل واضح، أن القوى التي كانت فاعلة في المستقبل<sup>(٥)</sup>، وهكذا، وعلى سبيل المثال، فإذا ما تصاعف سكان العالم خلال الأربعين عاما الماضية فلماذا ستوقع من خلال هذا الأسلوب الاشتقاقى، أنهم سوف يتضاعفون مرة ثانية خلال مدة مشابهة في المستقبل. وغالبا - كما يذكر جوردون - ما يتم إنجاز هذا الاشتقاق المستقبلى للمسار من خلال أشكال ترضعية، كالأعمدة والمنحنيات.

## ٢ - أحكام الغيبير (أسلوب دلفي) :

وهو تكتيك (أو أسلوب) مستقبلى آخر أدرجه (مايلز) ضمن التكتيكات التي تميل إلى الاستطلاع المستقبلى بأكثر من الاستدلال.

وأسلوب دلفي في مبدئه الأصلية يتضمن إعداد (أداة رئيسية) تتمثل في الاستخبار (أو مصوفة دلفي الاستشرافية). هذا الاستخبار يوجه أساسا إلى جماعات مختارة من الخبراء المتخصصين في مجالات تخدم أهداف البحث، موضع الاهتمام، مع الوضع في الاعتبار عدد اختيار هؤلاء الخبراء أن يكونوا ممن يتمتعون بالرؤية الشاملة القدرة على تجاوز الأوضاع الزائدة، فضلا عن الماضوية، واستشراف المستقبل، وفي هذا الشأن وجدنا (روبرت يونج R. Jungk) يقول : «يجب ألا يكون

هؤلاء الخبراء ممن يتمتعون بقدرة عالية في إطلاق تخصصاتهم فقط، ولكن بالإضافة لذلك يمتلكون قوى حسسية Intuitive powers<sup>(١)</sup>، يستطيعون من خلالها الإفادة في رسم تصورات مستقبلية تتسم بالخيال البديع المرسس على أرضية علمية يطلقون منها أساساً.

ويتم تطبيق هذا الأسلوب من خلال ثلاث جولات أو أكثر، يتم خلالها عمل تنفيذية مرتدة بمتكدة Feed back غير مباشرة فيما بين الخبراء للخروج بأهم الاتجاهات والصورة الرئيسية للمستقبل، وتتفق ما يشبه الإجماع فيما بينهم إن أمكن.

#### مصنوفة التأثير المتقاطع :

ويقوم هذا التفكير في الأصل على عملية تتضمن إقامة علاقات متبادلة بين الأحداث والتطورات باحتمالاتها المختلفة. والمثال المبسط لهذا التفكير يتضح لنا إذا افترضنا أن مجموعة تطورات Developments قد تم التنبؤ بوقوعها مسبقاً في مدة ما في المستقبل، مع مستويات متصورة من الاحتمالية، وإذا ما أطلقنا على هذه التطورات رمز (DI)، حيث يعبر (D) عن رمز لتطور ما، ويعبر (I) عن مستويات مقدرة ومحتملة لوقوعه: (1, 2, 3, ...)، مع (احتمالات Pro-babilities) مشتركة تتخذ رمز (PI)، فعندئذ قد يطرح السؤال: لو أن الاحتمال  $P(M) = 1$  (وهذا في حالة حدوث التطور M)، فكيف يتغير إذن الاحتمال (P, I)، وكذلك وعلى الجانب الآخر: كيف يتغير التطور (D, I) ؟

بتعبير آخر، إننا نتحدث عن علاقة (التأثير المتقاطع) لو أن احتمالية وقوع حدث ما مفرد يتصل إما إيجاباً أو سلباً بوقوع أو عدم وقوع أحداث أخرى<sup>(٢)</sup>.

- وللإيضاح، نفترض أننا مهتمون بمجموعة التطورات الكامنة: D1, D2, D3, ..., مع الاحتمالات القليلة P1, P2, P3, ...، عندئذ فإن المنهج يتكون من صياغة جدول مزدوج (مصنوفة تأثير متقاطع) كما هو

مبين بالشكل

	P <sub>1</sub>	P <sub>2</sub>	P <sub>3</sub>
D <sub>1</sub>			
D <sub>2</sub>		*	
D <sub>3</sub>			

حيث إن هذه (التطورات) و (الاحتمالات) تكون مصنوفة أنبياً

ورأسياً، ويوجد في هذه المصفوفة على سبيل المثال، أن صف D2 وعمود P3 يتقاطعان، فالمعلومات التي

ستتخذ مصبوبة في وفرع D2 سوف تؤثر في احتمالية وقوع P3، ولو كان ذلك؛ كذلك، يحدث التأثير في الكم وفي زمن الحدث<sup>(٣)</sup>.

- إن التفاعل بين الأحداث يعد بالغ التعقيد بالطبع، بأكثر من ذلك ولكن المثال للتوضيح.

#### المعجزة التمثيلية (المحاكاة) :

تعد النمذجة التمثيلية (المحاكاة) وسيلة لإنتاج نماذج ديناميكية تعد تهربنا لواقع معقد، هذه النماذج قد تتغير مع الزمن، وهي تكون مفيدة عندما يكون التدريب على الأنماط الحقيقية مكثفاً للغاية، أو مستحيل أخلاقياً، أو لتضعضع دراسة مشكلات بالغة للتحديد حيث تخرج الحلول التحليلية الأكثر إحكاماً غير عملية<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد تتخذ عملية المحاكاة هذه شكل المباريات The games، هذه المباريات التي يمكننا اقتفالها تاريخياً في مباريات الحرب، حيث كانت تستخدم في القرن الثامن عشر لتحليل مواقف المعارك الممكنة في العالم الواقعي، ومنذ الحرب العالمية الثانية، أصبحت المباريات الحربية معقدة بشكل متزايد، هذا وقد تجلت أهميتها كذلك بوصفها أداة لصنع السياسة، أن لعبة التمثيل تستخدم - عامة - من أجل كسب رؤية تتعلق بأنماط معقدة، وكذلك لتوضيح واستكشاف المواقف البديلة<sup>(٥)</sup>.

وتقوم الفكرة المبسطة لأسلوب المحاكاة (أو تمثيل الأدوار) أساساً على توزيع الأدوار المختلفة للتي تمبر عن القوى والأطراف المرتبطة بالمشكلة موضع الرصد والتدقيق، فإذا كان الموضوع (مثلاً) أزمة دولية، وكان

المطلوب هو التعرف على أرجح التوقعات والاحتمالات الواردة لتطور هذه الأزمة مستقبلاً، يتم توزيع الأدوار بأن يقتسم كل باحث دور أحد الأطراف الضالعة في هذه الأزمة أو المشاهدة عليها أو المؤثرة فيها أو المتأثرة بها. وتبدأ عملية (التمثيل) من واقع معلومات وبيانات معينة يجمعها صاحب البحث، سواء كان فرداً أو مؤسسة، ويتأزم أطراف اللعبة في أرائهم ومناقشاتهم وقراراتهم بهذه المعلومات والبيانات المعطاة؛ ولذلك فإن العمل الرئيسي في هذا الأسلوب يقع على كفاية ودقة ورقة المعلومات المجمعة سابقاً قبل بداية اللعبة من قبل الأبحاث.

هذا وغالباً ما تنشأ مؤسسات متخصصة في تخزين المعلومات اللازمة لمثل هذه البحوث ويطلق عليها "بنوك المعلومات"، أو "مخازن الأفكار"، ولعل أشهرها مؤسسة رائدة أمريكية، ومؤسسة I. B. M. ومركز ماساتشوستس للمعلومات الفنية.

هذا ويمكن مزاولة وسيلة تتمتع الأدوار باستخدام الحاسب الإلكتروني بمفرده، أو استخدامه بالاشتراك مع الحصر الإنساني، أو الانفصال على الحصر الإنساني فقط<sup>(٦)</sup>.

تلك هي التكتيكات أو الأساليب المنهجية التي رأى مايلز أنها استطلاعية بأكثر من أن تكون معيارية، وأن هذه الاستطلاعية تنبع بها إلى التاريخانية، ولكن لنا أن نعلق على ذلك بأن نذكر بحقيقة جوهرية مؤداها: أن العبرة ليست بصحة الدراسة، استطلاعية كان أم معيارية، ولا بالأسلوب المستخدم، وإنما بكيفية استخدام هذه الأساليب، والأساليب والأدوات، هنا إن استطلاع المستقبل يعد أقل إيجابية من استوداقه، ولكن يظل للاستطلاع أهمية لا يمكن إنكارها، ويقال السؤال الحاسم: ما صور المستقبلات التي يمكن استطلاعها؟ هل هي مستقبلات محافظة خطية، أم أنها تنويرية تحولية؟

- إن المستقبلات تنطوي على كثير وكثير، ولكن العبرة بالباحث وبوصية توجهاته ومطلقاته والقيم التي يتبناها.

## أيديولوجيات المستقبل



- فضلا عن ذلك، وإذا ما تركنا نمط الدراسة المستقبلية بين الاستطلاعية والتعبيرية، فلنبدأ نجد أنفسنا في مواجهة ضرورية مع الأساليب التي طرحها ماويلز بوصفها استطلاعية، ومن ثم نشجع على التفرع في فرع التاريخانية.

نبدأ بأن نقول إن (الاعتقاد المستقبلي للمسار) هو أسلوب يميل بطبيعته - حقا - إلى المحافظة والتزوع إلى التاريخ بأكثر من النظر إلى المستقبل، بهذه المسارات لها أساس في الماضي نحو المستقبل، ولكننا نعامل هذا أوشا؛ ما نوصية المسارات التي قد يقع عليها اختيار الباحث لتمثيلها من الماضي والعاصر نحو المستقبل؟ هل هي التي تخدم استقرار الأوضاع ومصالح جماعات المصالح في المجتمع؟ أم أنه يركز على مد خطوط ومسارات متاركة، لها سمة نقد الوضع الراهن، ينهيه إلى وجودها وإلى أن لها قولها التي تعمل على تدعيمها بشكل مستمر ومتزايد؟.

إننا قد نستخدم الاشتقاق المستقبلي للمسار في كلا الاتجاهين - المحافظ والتقدمي - ولكن للدراسة العلمية للمستقبل، يجب أن تحكم إلى الموضوعية - بمعنى أن يحاول الباحث النظر - بشكل موضوعي - إلى كافة المسارات المتاحة ويشق منها مستقبلا ما يحد الأرجح لأن يشكل مستقبل المجتمع، سواء كانت هذه المسارات مدعومة أم لا هو قائم بالفعل أو مضادة لها وبمثل تيارا جديدا يعمل على تحويل المجتمع بشكل جذري.

هذا بخصوص (الاشتقاق المستقبلي للمسار)، أما بخصوص (أسلوب دللي) وما ذهب إليه ماويلز بشأن وقوعه في التاريخانية في حالة تلول الخبراء المشاركين أحيانا تقع بعيدا عن نطاق سيطرتهم، ومن ثم نلجئهم إلى الاشتقاقات الحسية، والتطبيقات الدلرية، فإن لنا أن نلقت النظر إلى ضرورة الالتزام بشروط (دللي) الخاصة بعملية اختيار هؤلاء الخبراء حيث يوجب أن يكونوا ممن يتمتعون بالرؤية الشاملة للقادرة على تجاوز الأوضاع الراهنة - فضلا عن اللامستمية -

أما (مصنوفة التأثير المتقاطع) فتعتمد أكثر ما تعتمد على نوعية المعلومات المدخلة إليها، وكذا طريقة تشغيل المصنوفة وإتاحة الفرصة الكاملة لعمل العلاقات المتبادلة داخلها بغرض تصديق المفترض من الأسلوب. وإذا فإذا ما كانت المعلومات والاستشراقات المستقبلية المدخلة أساسا إلى المصنوفة قد روعي فيها شروط الكفاية، فإن مخرجاتها ستتمتع بالدقة نفسها والعكس بالعكس.

يتحرب من ذلك (أسلوب المحاكاة) فالاعتماد الأكبر فيه يكون على مدى اللداج في تقرير أكبر قدر ممكن وملام من البيانات والمعلومات بخصوص الموضوع محل الاهتمام، ذلك أن الورقة التي يعدها الباحث - أي الباحثين - في هذا الأسلوب هي التي تمثل الدور الرئيسي في هذا المقام، وذلك مع عدم إغفال الدور الذي يقوم به من يؤدون العبارة الأكاديمية الخاصة بالمحاكاة من حيث درجة استيعابهم للبيانات والمعلومات والمواقف التي بين أيديهم.

وهي ذلك أصبح من المعلوم لدينا أن النزعة التاريخية (التاريخانية) لا ترتبط باستخدام نمط مستقبلي ما، استطلاعي كان أم تعبيري، ولا ترتبط كذلك بأسلوب أو تكديك محين، إنما العامل الرئيسي في هذه العملية ويمثل في (الباحث المستقبلي) ذاته، فهو قد يبدع لنا رؤى مستقبلية منفردة مبدعة، وقد يغرقنا في الماضوية والتاريخانية مدعيا أنه يقدم عملا مستقبليا، هذا فضلا عن كونه يوجهه أساليب الوجهة الصحيحة ويصح مسارها في حالات انحرافها، فهو يختار المسارات في الاشتقاق المستقبلي للمسار، ويختار مجموعة الخبراء في دللي، ويجمع للبيانات والمعلومات الثلاثة الدقيقة الكافية لمصنوفة التأثير المتقاطع والمحاكاة، وغير ذلك كثير يعتمد على مجهوداته وقدراته، لكي لا يزلق بحله المستقبلي إلى التاريخانية.

وفضلا عن التاريخانية في بحث المستقبلات، تناول الكاتب بالتفد لزعمة أخرى على درجة كجسيرة من الخطورة، وهي

واستشراف المستقبل. هذا فضلا عن كونه غير منحصرين داخل نطاق تخصصاتهن للمنية، بل يبدون المنخل البولي - inter-disciplinary. A. برصقه المنخل الرئيسي في مجال المستقبلات، وهو المنخل الذي تخلص فلسفته في «النظرة لكيفية غير للجزئية للوجود، بمعنى أنها تسمى رؤاه التكاملية بإزالة الحواجز الظاهرية. بحد المستطاع بين العلوم المختلفة بحيث تمل مكان العلوم المتباعدة العلوم المتداخلة للمستمية» (١٢).

- إن الاختيار الصحيح لمجموعة الخبراء يعد من أساسيات تطبيق هذا الأسلوب، وذلك مع الاعتراف بوجود نسبة مئوية من الأخطاء التي قد تقع عند تطبيقنا الفعلي للأسلوب.

- هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ويوجب علينا أن نذكر بأن (أسلوب دللي) أسلوب مرن في يد الباحث في مجال المستقبلات، فليس هو بأسلوب استطلاعي على طول الخط، بل بإمكان الباحث أن يوجه للخبراء أسئلة عن المصنف تحقيق مستقبلي، ليطرح الخبراء تصوراتهم المستقبلية بهذا الشأن، ولذا فليس شرطا أن يخصص مدى الأسلوب داخل نمط الاستطلاع والسؤال عن المتوقع والسكن، بل ويجاوز إلى الاستهداف والسؤال عن التفرع والمستهدف.

المنظمة في (اللزعة المركزية)، وهي اللزعة التي ينظر من خلالها الفرد (أو الجماعة) إلى ثقافته على أنها الثقافة الراقية بطبيعتها، ولذا فهي تتضمن حكماً بالندية على اللزعات الأخرى، ويعكس هذا التصب السلالي عدم القدرة على تقدير وجهة نظر الآخرين ذوي الثقافات المختلفة بما تتضمنه من لغة ودين وأخلاق، كما يعكس الانحياز إلى النظرة الإنسانية الشمولية أو فهم المشاكل التي تواجه البشر في كل المجتمعات، باختصار، نجد أن مصطلح (المركزية) قد استخدم لبشور إلى نظرة للأشياء تنحيز إلى أن الجماعة التي ينتمي إليها الفرد تعد هي مركز كل شيء، وما عداهما ثانوي أو في مركز أدنى (١٢).

وقد استعمل (مايلز) حديثه عن هذه اللزعة بالربط بينها وبين اللزعة التاريخية في بحث المستقبليات حيث ذكر: إنه كما بدت التاريخية مغللة برجمانيا في عصر الثبات والاستقرار الاقتصادي المطرد، فإن أطروحة التناقض والاتقاق - المركزية - قد ازدهرت في زمن الهيمنة الاستعمارية بشكل لا يلبس فيه.

- وهذا، في رأينا، أمر منطقي، فكما كان هناك استقرار ولبات اقتصادي واجتماعي وسياسي... لا يفكر الإنسان في تغيير مستقبلي يذكر، وكذلك عندما سادت الهيمنة الاستعمارية على الدول المختلفة، ظن الإنسان في العالم المتقدم أنه ومجتمعه الذي ينتمي إليه يحدان مركز الكون، والذي من السهم - من مركز الأفضلية - أن تدور بقية المجتمعات الإنسانية في فلكه.

وبسبب هذه اللزعة (المستعصبة) نجد أن معظم الدراسات في مجال المستقبليات تتحدث عن وجوب الحديث عن وجود مستقبليات عديدة ومتنوعة بديلة، ولكنها هيئتها تقدم تصوراتها الخاصة بهذه المستقبليات. وليس المستقبل (الوحيد) المستند إليهم - لديهم يقدمون ترويعات لأصل وحيد... هو المجتمع الغربي (خاصة الشمال الأمريكي) المثالي.

- ويعرض لنا (مايلز) السوريتين المستقبليتين الأساسيتين اللتين يقدمهما معظم

علماء المستقبليات في الغرب، الأولى يقدمونها لمجتمعاتهم، حيث يرون أنها تسير - أو من المرجح أن تسير - في اتجاه يردى إلى: المجتمع ما بعد الصناعي للتكنولوجيا (المعظم).

- والأخرى يقدمونها للمجتمعات المختلفة، حيث يطرحون على هذه المجتمعات خيارين لثالث لهما: فلما السور في طريق التصنيع الرأسمالي الغربي، أو للحصول للمزلة والرفق (bantu-stanization). والتحول إلى خمائر للتخلف الريفي.

هذا وعلى الرغم من حماسة (مايلز) لشكوكه في نقد توجه المستقبليين الغربيين (المركزية)، وله كل الحق فيما قرره بهذا الشأن، فإننا من جانبنا يجب أن نقرر أن المستقبليين الغربيين يرون أن مجتمعاتهم هي مجتمعات متقدمة (سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وعلميا...)، ولذا فهي منطقيا وبالمقاييس الموضوعية، وفي نظر قطاع واسع من مثقفي الدول النامية كذلك، تعد مجتمعات ناجحة، ولذا فإن الطريق المستقبلي الأكثر احتمالية، والأكثر مرغوبة بالنسبة لهم سيكون اشتقاقيا، أي تواصليا، وعلى هذا الأساس فربما المستقبلي للعالم المتخلف أن تخرج من هذا الإطار الذي لا يعرف طريقا ناجحا غيره.

وعلى ذلك - ومن وجهة نظري الخاصة - لا يحق لنا نحن أن نلزمهم على عدم تقديمهم رؤية متوافرة لمستقبلنا (نحن) بوضوحا عافا ناميا، فالرؤية المغايرة هذه تحتاج إلى دراسة متعمقة لواقعنا بإمكاناته وتحدياته الحالية والتشورية، لئلا نكون الأولى بالقيام بها، حتى نستطيع رسم وتصميم المستقبليات الخاصة بمجتمعاتنا.

ولذا نتساءل: أليس من الأولى أن يكون النقد موجهنا لنا أنفسنا لأننا لم تكف بعدم اكتراثنا وسلوبنا إزاء مستقبلنا، وإنما انتقدنا الآخرين في الغرب لأنهم لم يقوموا بالتفكير لنا ورسم الصور المستقبلية البديلة لمجتمعاتنا (وفقا لمصوحياتنا الاجتماعية - الثقافية) ؟

- وبعد، نجد مايلز يختم حديثه عن اللزعة المركزية بالإشارة بمدرسة التبعية كخط نظري يقدم رؤية مخالفة للرؤية الغربية التقيدية، وهي المدرسة التي كانت تعد الدولة العهد وقت كتابته للمقال في المبعوثيات.

وحينما انتقل (مايلز) إلى مناقشة الطموية (اللزعة العلمية) في بحث المستقبليات بدأ مناقشته بتذكيرنا بإخفاق محاولات العلوم الاجتماعية في اتباع نموذج وضعي للطور العلمي مؤسس على خبرة العلوم الطبيعية، ولذا فهو يلتزم لزوع المستقبليات إلى الارتباط بالعلوم الصارمة (hard. s). ويرد هو لذلك أسلوبين من أهم الأساليب المستخدمة - حاليا - في بحث المستقبليات يتمحزان بقدر كبير من التعقيد والصرامة وهما: نمذجة التمثيل، وتحليل النظم.

ومسائل - يخلق على ذلك بأن هذه الأساليب العلمية لم تضمن بعد لدى الشخصيين فيها، فكيف يتم الاستعانة بها داخل مجال المستقبليات في ذلك الحين ؟

- وزعم وجهة النقد (مايلز) فإننا - الآن - نجد أن هذه الأساليب بالرغم من تعقيداتها فإنها قد أصبحت من أهم الأساليب المستخدمة حاليا في مجال المستقبليات. بيد أنها تحتاج بالطبع إلى تدريب على مستوى عال من التقدم لا يتوفر لدى كثير من باحثي المستقبليات في الدول النامية والذين لا يزالون يعملون فرادى وباجتهادات ذاتية في مستم الأحياء، في حين نجد هذا التدريب الرقائي متوافرا لدى مراكز الأبحاث المستقبلية العالمية كما في الولايات المتحدة واليابان وفرنسا.

- وبالإضافة إلى انتقاد مايلز لتعقد نمذجة التمثيل وتحليل النظم، نجد يشارك (هوس Hoos) انتقادا لدراسات (عائد التكلفة Cost - benefit) حيث يرى - مايلز وهوس - أن مثل هذه الدراسات المعقدة، شديدة الطموية، تنوء الصداق بأكثر مما تكلف عنها.

## أيديولوجيات المستقبل



ولكن كيف تتسم عملية التجهيل؟ وكيف يطلع مجال المستقبليات إلى أن يكون تخمينياً؟

- يرى (مايلز) أن التجهيل يتم بحصر وتقييد صور المستقبل داخل حدود كمية، فضلاً عن الاتجاهات التي تركز بشدة على النواحي السلبية مثل تحليل التكلفة والعائد، ومن خلال مناهة التحليلات الكمية المعطلة تتوارى كذلك عديد من أحكام القيمة إلى جانب العقاقير..

إن بحث المستقبليات يقوم بتلغيز عمليات التفكير الاجتماعي والاخبارات المؤثرة في المستقبل من خلال التقديرات الكمية بوصفها تمثل عمليات علمية. إلى جانب ما تقوم به للفتية (العلمية) من تبسيط من خلال اختزال البناء الاجتماعي وصراعاته ومشكلاته في عبارات غامضة وتكنيكية، بالإضافة إلى الدخول للمفاهيم والتقدم التي يراد تكريسها لغرض مستهدف، والتي من أشهر أمثلتها: نهاية الأيديولوجيا، ونهاية التاريخ، والنظام العالمي الجديد..

- هذا وإل من أهم وأخطر ما تذكره (مايلز) كان ما ذكره بشأن عملية صنع القرار، لقد قرر ما مفاده أن هذه العملية تعد عملية غامضة بشكل واضح، فعملية صنع القرار هذه تقوم بها نخبة ظاهرة وخفية. في

ولذا تجد مايلز يستدعي في هذا المقام ما سبق أن قرره (رايت ميلز - C. R. Mills) في كتاباته - وخصوصاً الخيال السوسيولوجي - من أن أحد الأسباب الجوهرية للأغماص بالإحصاءات الاجتماعية والنزعة الأمبريقية المجتزأة Abstracted empiricism للسياسات الرئيسية للعلم الاجتماعي في فترة ما بعد الحرب كان متجسلاً في عدم رغبة المشاركين في هذا العلم في مواجهة تساؤلات تتعلق ببناء القوة في المجتمعات الحديثة.

ومن جانبه يتعامل (مايلز) - هل علمية بحث المستقبليات هي مجرد معايرة لإخوانه من التخصصات الأخرى جيدة للتأسيوس، أم أنها خدمة مرغوبة لمطلوبات وإحصاءات القوة التي لا تتطلب أكثر من الكفاءة إزاء ما تمارسه؟

ولا تلتصق النزعة العلمية في بحث المستقبليات الغرى عن نزعة أخرى ملتصقة بها أشد الالتصاق وهي الغمضة في نزعة التجهيل Mystification والغبوبية Elitism فإذا ما كانت (النزعة الطورية) هي نزعة تهدف إلى التحصيل وإحراز مكانة علمية غير مستعملة، فإن للتجهيل والتصمية وزيوه الحقائق هدف أساسي آخر، هو جعل الواقع المعاش غامضاً ملتصقاً وبالتالي تصعب عملية التعامل العلمي والموضوعي معه ليتحول إلى لغز وثابو مقدس، لتستط مشروعية تناوله بالتقيد والمراجعة يفرض تقييده، وبذلك تستقر وتستمر أوضاعه على ما هي عليه، فضلاً عن ذلك نجد أن من يقومون على شكن هذا الواقع هم أوتوقراطية سياسية وأوتوقراطية علمية، فالمحافظة على الوضع القائم تتطلب حصر مصابره - بكافة أنواعها، وخاصة المعرفية - داخل نطاق محدد محدود، حيث يصبح توسيع نطاق المعارف أمراً مرفوضاً، فيظل العلم تخمينياً، يتجسد بتجميد النظام ويشيع معه، مفتقداً لجره التمييز كعلم يتصف بالحبوبية الدائمة والمقدرة على التجديد الخلاق.

الوقت نفسه، الظاهرة هي التي يعرفها الشعب عامة بشكل رسمي، وللخفية هي الغمضة في مستشاري (الفتية الحاكمة الظاهرة) وخبرائها المقربين - إلى جانب الزوجات والأسنداء المقربين في بعض الأحيان، إن صنع القرار الذي من المفترض أن يصنع لتقواعد بالغة الدقة والصرامة يفقد تبعاً لذلك شروطه الجوهرية - هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد أن صنع القرار الذي من المفترض أيضاً أن يتم من خلال سيناريوهات عديدة تتضمن بدائل متنوعة، يتم من خلال (سيناريو (وحيد) - في أغلب الأحيان - للمستقبل، ولكن ذلك يعد سراً خفياً بين صانع القرار وخبرائه الخاص، مع ما يصاحب ذلك من أخطار جمة والتي لعل من أبرزها أن القرار يتم اتخاذه وفقاً لمنظر واحد، وهو بذلك يضيق من مدى البدائل المستقبلية وقد يخضع لرغبات وأهواء ومصالح تكون لها سلباتها على المدى القريب والبعيد، وبذا تتجلى أسوأ ما أطلق عليه (الكتاب): أيديولوجيا البعد الواحد، والأيديولوجيا للتقوراطية، وهي الأيديولوجيا التي تهيمن عليها الفتية المسيطرة والتي تفرض نزعتها التجهيلية بوصفها السابق تناوله.

نزعة أخرى، وأخيرة، ناقشنا (مايلز) تتعلق بالحمية التكنولوجية، أو ما يمكن أن نطلق عليه: النزعة التقنية (التقديرية).

- والواقع أن للجره المكثف للتقنيات كحل يواجه جميع المشكلات البشرية قد جعل من هذه الطول التكنولوجية حلاً فاجة، تعالج المرض دين المرض. وأسئلة الكتاب على ذلك كثيرة، منها: أن البعض عندما وجهه بمشكلة العنف في الأزقة الحارة قد اقترح اللجوء إلى أجهزة تكيف النهاراء وعندما عرضت عليه مشكلة إيمان الهريرين أقترح اللجوء إلى إنتاج عقار آخر مخفق مضاد، أما التلمية فلا تتحقق في رأيهم إلا من خلال ضبط النسل... الخ.

هذه الفجاجة التي يرى (مايلز) أنها قد تولدت كنتيجة للاعتماد التكنولوجي على



الطماء. ومن جانبنا يجب أن نوضح أن مايلز لم يكن يقصد الطماء على إطلاقهم بطبيعة الحال، ولكنه كان يقصد بالطبع نوصية من العلماء المعتمدين عن الناس والجمهور، والمقررين داخل تخصصاتهم لا يخرجون عن نطاقها المحدد، وإذا تأتت حلولهم غير واقعية، لا تستند إلى بناء اجتماعي تشق من سياقه، ولذا فهي لا تتمتع بالقبول.

- نقطة أخرى نلفت إليها الانتباه تتمثل في أن اللجوء إلى الحلول التكنولوجية بهذه الطريقة قد يكون بفرض خداع الجماهير خلال فترة راحة بتجاوز مفهوم في المستقبل لأوضاع غير مرغوبة، وذلك من خلال تكنولوجيا تحمل جميع المشكلات فتمسح بمطابقة النواة لكل داء!!!

ويختتم إيان مايلز حديثه بالدعوة إلى الوقوف في موقف مضاد للمحتمات الفجة بجميع أنواعها. وإن على (الجماعات الاجتماعية) أن تضع الخيار البشري بالتزاماته التاريخية المرتبطة به موضع تنفيذ، فضلا عن أن تقوم بحماية عملية صياغة المستقبلات البديلة من أن ترتد إلى أن تصبح مجرد يوتوبيا مفرطة في الخيال.

والطريق إلى تحقيق ذلك يكون بتطبيق (النزعة الجمعية المنهجية - Methodological Pluralism) في بحث المستقبلات كما يلزم التركيز على سمات بعضها تتمثل في: الابتكارية، والوضوح، والتركيز على إيجاد تنظيمات اجتماعية بديلة.

ولكي تصبح عملية تصور وحلق المستقبلات عملية واقعية فإن دعما ومساندة للحركة المنتشرة والداعية إلى 'ديمقراطية شعبية' يكون مطلوبا، من أجل أن يصبح المستقبل مرسوماً ومحققاً من خلال الناس أنفسهم بدلاً من مشاركة زائفة وتجريبية تخطط مستقبلاً وحيداً لا يخدم سوى مصالحها.

وأخيراً لذا أن نذكر أنه من البدهي القول بأن هذه السمات الأيديولوجية التي عرمتها لها من خلال مقال مايلز هي سمات في اتصال عضوي وقيمت مجرد سمات ماقصية، فالأديولوجية تركز على صورة بعينها للمستقبل الأتري مصالحتها إلا من خلالها فهي تكرر لوضع سابق راء في الوقت نفسه، والمركزية تفعل الشيء نفسه بيد أنها تزيد على أنها تصير نطاق المصلحة داخل نطاق جماعة بعينها بحيث يصبح لها كل الحق وليس للأخرى أي حق، وتأتي الضرورية لتعني نطاق هذه المصلحة لجهة أكثر تحديداً، فالعلوم والمعارف لا تخرج من نطاقها، ثم هي بعد ذلك تقوم بدورها في تجهيل الواقع وتقليص المستقبل لخلق الأرواح كما هي دون تغيير أو تبديل، والحل الذي تقترحه هي حلول تقنية غير واقعية ينظرنا الواحدة المنيفة، الناجمة عن إغفال البناء الاجتماعي ومشاركة الناس في تصور الحلول لمشاكلهم.

ولذا فالسمات الأيديولوجية لبحث المستقبلات والتي طرحها مايلز، هي سمات يجب أن تكون في موضع اعتبارنا بشكل دائم عند التعامل مع التراث الغربي بشكل عام وبحث المستقبلات بشكل خاص، وكذلك أيضا حتى تطور - من جانبنا - دراساتنا المستقبلية متلافين السمات والقيمت كافة التي يمكن أن نتوقنا عن بلوغ غاياتنا دون أن ندرى. ■

## هوامش:

- (١) D. Johnson, Forecasting Methods in social Sciences, (in): A. Somit, political Science and the Study of The Future, The Dryden press, illinois, 1974, P: 72.
- (٢) J. Michal, the emergence of Future research, in: J. Fowles, Handbook of futures research, Green Wood, London, 1978.

(٣) انظر: هاد صالحي: المنهج في البحوث المستقبلية، عالم الفكر، الكويت، يناير-مارس، ١٩٨٤.

(٤) إبراهيم سعد الدين وآخرين، مسود المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٤.

(٥) T. Gordon, Current methods of Futures research, (in): A. Somit, political science (op.cit), P: 92.

(٦) R. Jungk, Imagination and the Future, International Social science Journal, Vol, XXI, no. 4., 1969.

See: T. Gordon, Current methods of Futures Research, (Op. cit).

See: Olaf Helmy, political analysis of the Future, (in): A. Somit, Political Science, Ibid,

(٩) T. Gordo n, Current methods of Futures research, in: A. Somit, Political science, Ibid, P:103

See: R. Duke, Simulation gaming (١٠) (in): J. Fowles, Hand Book of Futures Research, (op. Cit).

(١١) انظر: هاني عبد الحليم هالاب، المستقبلية والجمعية المصدري، كتاب الهلال، أبريل، ١٩٨٦.

(١٢) خالد قدرى إبراهيم: تطوير قدرات كليات الزراعة في ضوء أساليب الدراسات البديلة، دراسة مقارنة بين مصر والولايات المتحدة والمكسيك، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٩٢، ص ٢٨.

(١٣) انظر: لفرج في مصطلحات العلوم الاجتماعية، تأليف نخب من أساتذة قسم الاجتماع جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(١٤) الكلمة مشتقة في الأصل من الاسم (Bantu) وهو الاسم الفلاس بشب إفريقيا بدائي، يعنى في شبه عزلة تامة عن العالم محفطاً بكافة سماته وتقاليد المتوارثة منذ زمن بعيد. (للملق).

يمثل هذا المقال ترجمة للفصل الثامن من كتاب سايمون كلارك «أسس البنيوية» - نقد لوي شتراوس والحركة البنيوية الصادر عن هارڤستريس في بريطانيا ١٩٨١.



# التحليل البنيوي للأسطورة

سايمون كلارك

ترجمة: سعيد العليمي

قا

نقد التحليل البنيوي للأسطورة  
تتم لوي شتراوس من اللسانيات  
درسين: أولاً، أن منهج التحليل البنيوي الذي  
طوره في دراسة لأنظمة القرابة يمكن مد  
نطاقه لدراسة كل الظواهر الثقافية باعتباره  
المنهج الأمثل في للدراسة الموضوعية  
للمعنى. ثانياً، أنه خلف المعنى والثقافة  
لكمن قدرة اللاوعي الإنساني على التنبين.  
وقد قاد الدرس الأول لوي شتراوس لأن  
يطور تحليله البنيوي للأسطورة. وقاده الداني  
لتطوير فلسفته الإنسانية المميزة.

إن تحول لوي شتراوس إلى دراسة  
الأسطورة أعقب اكتشافه اللسانيات وترافق مع  
تعميقه في المدرسة العملية، لقد أملى ذلك  
جزئياً رغبته في تطبيق المنهج الجديد على  
الظواهر الثقافية غير اللسانية، ولكن بشكل أكثر  
جوهرية بسبب اعتقاده لوي شتراوس بأنه  
من خلال دراسته الأنظمة الرمزية سيكون  
قادراً على الوصول إلى العقل الإنساني.

ورغم أن لوي شتراوس يستفيد من  
كثير من المصطلحات المستعارة من  
اللسانيات ويشير مراراً إلى اللسانيات، إلا أن  
الاستعارات الخاصة نادرة، وهكذا فقد لاحظ  
كثير من المعلقين أن إشارات لوي  
شتراوس إلى اللسانيات ذات طابع مجازي  
إلى حد كبير، ومن ثم فإن علينا أن نقوم  
دراساته وفق مصطلحاتها الخاصة. وهكذا  
فيأني سأبرهن هنا على أن تناول لوي  
شتراوس للتحليل الموضوعي للمعنى  
الأسطوري يصطدم بالمشاكل نفسها التي  
أوجزتها في القسم الأخير من الفصل السابق.

لا شك أن لوي شتراوس يمكن أن  
يسترد المعاني من المادة، على أي حال فإن  
هذه المعاني من وجهة نظر تحليله هي  
محض تحكيمة، وهكذا فإن للتنبية التي  
سوف أخلص إليها هي أن المعاني التي

يستخلصها لويلي شتراوس من أنظمة الأسطورة موضع البحث ليست أكثر من تشكيل لجمهور خصوصية المعاني التي كشلتها المادة للويلي شتراوس.

#### (1) معالجات مبكرة للأسطورة

بالرغم من أن لويلي شتراوس قد سر على ضوء مواجهته مع التفسيرات الهيكلية الأولية كعمل بحث عن علامة الارض في البنى الاجتماعية التي ولدتها، إلا أنه لم يكن وقتاً تماماً بأن هذه البنى كانت تدلنا للمثل فقط، حيث إن الأطر موضع البحث يمكن أن تكون «مجرد انعكاس في ذهن البشر لبعض المطالب الاجتماعية التي توضع في مؤسسات» ولذلك فقد حول لويلي شتراوس انتباهه لدراسة الفكر الرمزي من أجل أن يكشف ضوابط الارض التي رادت أنظمة دون أي «وظيفة صليبة» ظاهرة.

يستهدف لويلي شتراوس في دراسته للفكر الرمزي تسمية الارض من خلال تحليل البنيات البادية في هذا الفكر، والفكر الرمزي يقدم ما وراء لغة ليس لها صيرها معنى محدد في حد ذاتها، ومعناها يشق تصديداً من العلاقة بين هذه العناصر.

إن الفكر الرمزي ببساطة يرتب ويعيد ترتيب مجموعة ثابتة من العناصر. إنه فكر تركيبى يستجيب لمطلب النظام، غير واع، ويبحث إن معنى الفكر الرمزي مستلطف ببنيته الصلبة فإنه قابل لتحليل محايد يقتصر على العلاقات البنوية بين أجزائه، ولا يشق المعنى النهائي للفكر الرمزي من خلال أي إشارة وراء ذلك، إنما من خلال العلاقة للحدائق التي عملها للمقارنة الإنسانية الذي يتجها.

«تستهدف البنوية الحقيقية.... قبل كل شيء إدراك الخصائص الجوهرية لأنواع محددة من الأنظمة، وهذه الخصائص لا يمكن أن تبصر عن شيء يمكن أن يكون خارجاً عنها. وفي حالة ما إذا صمم أحد أنها ينبغي أن تشير إلى شيء خارجي، فإنه ينبغي الاتجاه إلى التنظيم العقلي الذي يمد شبكة تترجم من خلالها هذه أو تلك من الخصائص عبر أكثر الأنظمة الأيديولوجية



كلود لويلي شتراوس

إن هذا السقط يظهري بوضوح بالغ، للعلاقة الوثيقة بين الأطروحات المائدة في بقوة لويلي شتراوس: أي محاولة لكشف محلي موضوعي محايد في الموضوع المحدد دون إحالة إلى شيء خارج الموضوع، الاختزال البنوي، لذلك المعنى إلى العلاقات الشككية بين أجزاء الموضوع ومن ثم اختزال التفسير إلى الشكل ونظرية الارض. إن محور هذه الأطروحات هو محاولة استبعاد الشروط الصلبة لمعنى النظام الأسطوري.

ويستبعد لويلي شتراوس لأي تفسير ثاني من نظام الفكر الأسطوري فإنه يعامل هذا النظام باعتباره موضوعاً جامداً وكوضوع خارجي، وهذا أن يظهر أن معنى هذا الموضوع محدد ببنيته، وإنجاز ذلك كان عليه أن يعزل عناصر هذا الموضوع، ومن ناحية أخرى للعلاقات بينهما، وفي الواقع لا يمكن عزل الجانبين عن بعضهما ما دامت عناصر الأسطورة تظهر فقط ضمن البنية التي تعطيها معناها الأسطوري، تماماً مثلما توجد العناصر المحددة في التكنولوجيا (علم الأصوات للكلية) فقط في ممارستها لملاحم أخرى.

وهناك طبعات مختلفة من نظرية الأسطورة تقوم على تفسيرات متباينة للعناصر المكونة للبنية، وفي الصياغات الأولى للنظرية تم تصديق العنصر المكون باعتباره تيمة الأسطورة وهو جزء من نصها.

كان يطلق عليها في عام 1953 «الفكرة الرئيسية أو الفكرة المكونة» والتي لا معنى لها في حد ذاتها، ولكن التي يشق معناها فقط من خلال اشتراكها في نظام وكان ينبغي اكتشاف هذه الفكرة بتطبيق المعايير الموضوعية، وبالأحرى التبادل.

ولم تصديق العنصر فوجاً بعد باعتباره تيمة الأسطورة وهو جزء من نص في شكل الموضوع وهو، «يظهر أن وظيفة معينة ترتبط في وقت معين بفعل محدد. إن تيمة الأسطورة يجرى تصديقها هنا من خلال العلاقة بين اللغز والوظيفة.

لقد قيل لنا في الحقيقة إن تيمة الأسطورة ذاتها تتردد عبر الأسطورة، وعلى ذلك فإن

تدعى، إلى مصطلحات بنية معينة، وحيث يكشف كل نظام منها على طريقته أنماط التراب الداخلي في هذه الشبكة.

.... وهكذا يمكن للمرء أن يرى كيف أن إسما لذات يمثل ضرورة، إذا جاز للقول، لنظام منهجي: إنه يتجنب بمزج توضيح أي شيء يتعلق بالأسطورة بغير مصطلحات الأسطورة، ومن ثم فهو يستخدم وجهة نظر اللامعنى الذي يفسح للأسطورة من خارجها، ويمنح لهذا السبب لأن يبحث عن الأسباب الجوهرية لها، وعلى التقيض من ذلك فإنه من الضروري أن ينفذ إليها بيقين تام بأنه خلف كل نظام أسطوري هناك أنظمة أسطورية أخرى، باعتبارها عناصر محددة ومهيمنة تبدي مؤلفها:

إنها تتحدث من خلالها ويردد كل ملها صدى الأخرى».

## التحليل البنيوي للأسطورة



إن التحليل ليس مباشراً، خاصة إذا كنا نتعامل مع ثقافة بعيدة ونفتقر للمعلومات الإثنوجرافية. ولن يكون تحليلاً محدداً أبداً ماامت قاعدته للفسورية واسعة، على أي حال فإنه ليس تمكيداً لأن لدينا الوسائل التي يمكن من خلالها اختبار الوجود الموضوعي للعلاقات التي افترضتها التحليل.

ويبدو أن بوليفي شتراوس يمتق هذه النتيجة لا بسبب بل بالأحرى برغم أسلوب معالجته للأسطورة. ما يحدث هو أن الحاجة لتحقيق الاقتراب من الأسطورة باعتبارها نتاج ثقافي واسع يقوده على نحو عفوي لفحص الأسطورة في علاقتها بالثقافة التي وجدت فيها، ومن ثم للنظر إلى الأسطورة بالأحرى كأداة للثقافة أكثر منها كإستقاص لقوانين اللاوعي، وبالرغم من أنه ينبغي التحريص بمثل هذا التطور باعتباره انفصالاً عن المفهوم المثالي للظواهر الثقافية ويقدر ما يتعلق الأمر ببوليفي شتراوس فهو بالضرورة يمثل متغصاً، لأنه يسمي بالتحديد إلى تطوير المفهوم الأخير.

إننا أفضحت الأساطير لتحليل محابو، وجرى تحديد معنى عناصر الأسطورة دون الرجوع إلى المعتقدات الثقافية أو الدلالية الذاتية، فإن من الضروري اكتشاف طريقة ما تكشف معنى العناصر دون الذهاب إلى ما وراء العالم الأسطوري، إنه من الضروري اكتشاف القواعد ما وراء اللغوية للأسطورة التي تحدد المعنى الأسطوري للعناصر على نحو صرف في علاقتها الواحدة بالأخرى «وذلك من خلال وضع الحد في كل إطاراته الممكنة... ويمكن تدريجياً تحديد «عالم الحكاية» القابل للتحليل إلى زوج من المتغيرات التي تدفق في إطار كل شخصية على نحو مغاير، وهي إن كانت بعيدة عن أن تشكل كلية شاملة فهي، وفقاً لأسلوب الفرونيمة، (الوحدة الصوتية) كما يرى رومان جاكوبسون، «شبكة من العناصر المتفاعلة». إن هذا البحث عن القوانين ما وراء الفسورية للفكر الأسطوري توجد في الطوطمية والفكر البري وهي الأعمال التي مثلت انفصالاً ليس فقط عن نظريات

وهو بمعنى من المعاني عكسه، فثانياً، يظهر للنظام البديول وكأنه لا يطلق من خلال البرهان غير المباشر.

تؤدي هذه التحليلات المبكرة إلى عديد من خطوط البحث المشيرة، لكنها لا ترسب تحليلاً محابو تماماً يحدد معنى الأسطورة في هذه بديعتها. إن خصائص الأسطورة في هذه الحالات تعبر عن شيء خارجي لأن المشاكل التي تتناولها هي مشاكل أمثلها حاجة ثقافية لحل للتناقض بين المعتقدات، أو لاجل النظام القائم فرعياً. إن بنية الأسطورة تتطور استجابة لهذه المشكلة الثقافية، وعلى ذلك فإن البنية في العمل الأول لا تعبر عن قوانين العقل بل بالأحرى عن وظيفة الأسطورة. إن معنى الأسطورة لا يشق على وجه العصور من بديتها، بل يشق من محمولها الخاص، من التناقض الذي استدعت له.

إن استغلال التناقض هذا هو ما يحل التحليل في المبدأ قبلاً للملاحظة التجريبية، حيث إننا نستطيع أن نتجه إلى كوسمولوجيا المجتمع ونرى ما إذا كانت العقائد العنصرية إليه توجد وتؤدي إلى تناقض. ويمكننا عندئذ أن نرجع إلى الأسطورة ونرى ما إذا كانت ترمز الأسطورة لها المعنى الثقافي الذي يصب إليها من قبل المحلل، وأخيراً يمكننا أن نحكم عما إذا كانت الأسطورة تعبر حقاً، وتعرض، وتترسب للتناقضات موضع المناقشة.

كشف الأسطورة لا يعد كشفاً لحكاية وإنما كتكرار، إن تيمة الأسطورة الحقيقية ليست، نتيجة لذلك «علاقات معزولة، بل حزمة من هذه العلاقات.

ونجد في التحليلات التالية للفكر الأسطوري أن العصور يشير ثانية بعد اختزاله من عرض إلى إشارة مفردة كما سدرى ذلك حين نقيم ميتولوجيات.

بترافق هذا التغير مع تغير في فهم الأسطورة، ففي التحليلات الأولية للأسطورة فإن بنية الأسطورة يجري توضيحها بالإحالة إلى وظلية الأسطورة وهي بمثابة تطور جدال منطقي يرتدي شكلاً خبيراً.

تحل الأسطورة للتناقض بين عقائد أيديولوجية متصارعة:

«إن هدف الأسطورة هو أن تقدم نموذجاً منطقياً قادراً على تجاوز تناقض (إنجاز مستحيل إذا كان كما هو الحال، التناقض والقياس):»

إن التناقض عند بوليفي شتراوس يخفى بواسطة برهان بالقياس. والتناقض الأولي سوف يتحول إلى آخر، ويمكن له هو نفسه أن يكون مترسباً، إن توسط تناقض مظاهر كذا «حل» التناقض الأول. والعلاقة بين الاثنين أو أكثر من التناقضات المتخالية هي علاقة رمزية يمكن أن تكون استعصائية أو مجازية. لأن التناقض الأولي لم يحل أبداً «بالفعل»، وسوف يتوسط الزمن وسيرة أخرى في محاولة متواصلة لحله من خلال تبديده. يؤسس التناقض الأولي من ثم سلسلة لا متناهية من الأساطير في مواجهة مشكلة أيديولوجية واحدة.

يقع التناقض الأساسي في أسطورة أوديب خارج الأسطورة ويشق من تعارض عقيدة كروية في الأصل المحلي للإنسان مع الملاحظة التجريبية حول الإنسان الذي يولد من اتحاد رجل وامرأة. وتحليل أسوديهول يأخذ أيضاً مشكلة أيديولوجية كمتعلق بديوته. وتحلق المشكلة في الحالة الأخيرة بإسقاء الشرعية على النظام الاجتماعي، للشرعية التي تم تحقيقها بواسطة ابتكارين، أولاً، يرتبط النظام القائم بنظام افتراضي سابق،

القرابة والأسطورة، بل لفحصها أيضاً في نطاق دراسة الأسطورة نفسها.

## (٧) منطق الفكر البري

تحل في الطوطمية والفكر البري البنيوية العقلية تصديداً لمحل الوظيفة السوسيولوجية في تحليل التمثلات الجماعية هنا يجري تحليل هذه الأخيرة ككليات تستجيب إلى مطلب للنظام، لا وعي. إن المشاكل التي تسيطر على الفكر الأسطوري لم تعد بعد مشاكل أيديولوجية، بل مشاكل عقلية طرحها اللاوعي، أو الأسطورة، على نفسها.

تسمى «الطوطمية» إظهار أن الفكر البدائي، له قوابله الخاصة وله عقله مثله مثل الفكر العلمي الذي نقره عالياً، وهذا أمر مهم لأن الطوطمية قد تم تفسيرها غالباً بطرق لا عقلية، إن تبنى عشرة لطوطم قد تم تفسيره ببعض مفاهيم العلاقة الماطفية أو النفعية بين العفيرة والطوطم، ويريد لويش شتراوس تقديم تفسير عقلي لممارسة الطوطمية ليس فقط من أجل أن يكشف قوانين الفكر البدائي، بل أيضاً حتى يظهر أن هذه القوانين هي نتاج لعقل قادر على التفكير التحليلي.

يفترض لويش شتراوس أن التصنيفات الطوطمية تمثل من خلال استخدام تلمس طبيعي لتحلل على تلمس اجتماعي، وتستخدم نموذجاً طبيعياً للتخرج لتأسيس مفهوم من تفرع الجماعات الإنسانية. إن الطواطم لا يجري اختيارها فردياً من جانب كل عشيرة، وإنما يجري اختيارها على أساس التقدير العقلي للتشابه بين سلسلتين، النظام الطبيعي للطوطميات، والنظام الاجتماعي للمجموعات الاجتماعية. إن أهمية الطوطم تكمن في قدرته على الإشارة إلى أن العشيرة هي جزء من كل، وإبعاد الماطلي للطوطم، وهو أمر بعيد عن أن يكون في أصل الطوطمية، هو استجابة له.

فالتنظيم الاجتماعي والنظام الطوطمي هما بناء على ذلك نتاجان مستقلان للمثل اللذان يرتبطان بأحدما بالآخر باعتبارهما تحولات. وعلى ذلك فإن الطوطمية هي بسطة أساسية وسيلة لتأسيس مفهوم العلاقة

بين المجموعات الاجتماعية. وهذا يعني أن الطوطم ذو مغزى فقط باعتباره جزءاً من النظام، وأن خصائصه الإيجابية لا علاقة لها بالموضوع، مادام أنه مغزى فقط بقر ما هو واضح: إن الطوطم يماثل للفونيمية وهكذا يستحداً المحسوس والشكل ويفتح الطريق «للتحويل بلوي حقيقي».

إن للفرد الذي يمكن أن يوجه إلى تحليل الطوطمية هذا هو نقد مزدوج. في العمل الأول، يتخذ لويش شتراوس للزعمه لانتقام واختزال كل مضمون المؤسسة أجل أن يركز فحصب على تميز الطوطم وهكذا يبرر تحليل بلوي. وفي هذا الصدد يفترض لويش أن لويش شتراوس، وهو يركز فقط على العلاقة التماثلية للتصنيف فإنه يختزل أي إمكانية لتوضيح الأبعاد التنبؤية للطوطمية. ويفترض كل من آر. و. آل. سكاربوس أن هذه اللزعة الانتقائية «تهدد الإثنوجرافيا من مضمونها الرافقي». وذلك باختزال كل شيء إلى مجرد كونه لتحليلات، مما يستبعد إمكانية فهم سوسولوجي.

وللنفذ الذاتي يشكك في الأساس العقلي لتصنيف الطوطمي، وللفرد الأكثر إقناعاً هو نقد ورمسي. إن موضوع البحث هو عما إذا كانت السلسلة الطوطمية تشكلت في العقل باستقلال عن السلسلة الاجتماعية. ويبرهن ورمسي تأسيساً على عمله للعدلي، أن السلسلة الطوطمية لم يجر تحويلها استقلالاً، بل إن الطواطم معززة إلى مجموعات ذرية بالآخر ومن ثم فإن التنظيم الاجتماعي هو الذي يقدم للفرع لنظام طوطمي مثق.

يدرك لويش شتراوس بوضوح أن الطبيعة المنتظمة للنظام الطوطمي هي بحد شك ظاهرة، ويفترض لويش شتراوس أن الأنظمة لا تظهر باعتبارها منتظمة لأنها شيل إلى أن تتحدل عبر الزمن، خاصة في مواجهة للتغيرات السكانية، وهو يقدم من ثم ما يسميه «بالعوقف النظري» الذي يعيد فرض نظام بعد التثقت. إن مشكلة الطوبية المنتظمة حادة على وجه الخصوص، بسبب مرونة منطق التصنيف البدائي إلى حد كبير

كما سوف نرى، لدرجة أنه من الصعب أن نعد مجموعة باعتبارها غير نظامية وفق مصطلحات لويش شتراوس. لقد جادل لويش شتراوس بقوة حقاً منذ نشأة أي مغزى منظم للطوطمية تأسيساً على عمله الشيداني.

يوسع لويش شتراوس في «الفكر البري» منظوره المرتبط بالتصنيف الطوطمي إلى ما يتخطى بالفكر البدائي، بمسبة عامة، وعلى الأخص يركز على نطاق «منطق» التصنيفات «البدائية» حتى يوسع مكانة الفكرية.

يستخدم الفكر البدائي، وفقاً للويش شتراوس كل مصادر الرمزية، بينما يدبر الفكر العلمي ظهور للرمزي، يستخدم الفكر البدائي من ثم بشكل مكثف للمصالحات السجاية والاسمائية التي يمكن أن تكون ممتدحة من قبل العلم، ترد الموضوعات إلى تصنيفات ليس فقط على أساس امتلاكها القياسية المحددة للغة ما، كما هي الحالة بالنسبة لتصنيف العلمي، بل أيضاً على أساس الأرباطات الرمزية مع الأعضاء المبرورة فعلاً للغة، إن اللغات هي إذن ببساطة أحكام، من الموضوعات غير المؤسسة على توريد خاصة واحدة شائعة بالنسبة لكل عنصر في هذه اللغة، وهكذا يمكن التصنيف أن يكون دائماً شاملاً بالرغم من أن اللغات أن تكون بأي حال كلية متجانسة. ليس للتصنيف منطق كلي، بل سلسلة من «الناطق الموضوعية» مادام من الممكن ربط الموضوعات الواحد مع الآخر طبقاً لمعايير شديدة الاختلاف. إن لقرارد موضوع البحث عديدة ومتجانسة ويمكن أن تختلف من مجتمع إلى آخر.

إن قراود الفكر البدائي، عقلية، وفي هذا الصدد فهي مؤسسة على القدرة على «معارضة الحدود» أهدفاً بالآخر وهي تطور علم تصنيفات مؤسس على التفرع الذاتي المتكالي الذي يتضمن «تعارضات لغالية»، ويبدو أن تلك الخاصية للامراضية لهذه العلاقات أكثر منها طابعها اللغائي هي التي تحي أكثر لويش شتراوس.

## التحليل البنيوي للأسطورة



هذا بالرغم من حقيقة أن التوقعات المنضمة للقواعد، تجعل من الصعب - إن لم يكن من المستحيل، - تمييز الفكر الذي يمكن أن يفصل القواعد عن الفكر من ذلك الفكر الذي لا يفصلها. وبين ثوبى شتراوس أن الفكر «البنيائي» يمكن أن يخطر إليه باعتباره فكراً عقلياً إلى حد بعيد. إن هذا لا يعنى، على أى حال، أنه بالفعل عقلى. فمن جانب، فإن عدم تحدد القواعد يحمل الزعم غير قابل للاختبار، ومن جانب آخر فإن الاستبعاد الأركي للموتير يحمل النتيجة بمثابة تكرار.

ليس من الواضح عما إذا كان لى شتراوس يستهدف إثبات أن القواعد المؤسسة لهذه التصنيفات هي نفسها تلك التي تشكل أساس التصنيف العلمى، أو ما إذا كان يريد أن يبرهن على أنها مختلفة، بدون أن تنطوى على أى قدرة عقلية أضعف لدى «البنيائي»، ومن المحلل أن ثوبى شتراوس يتردد بسبب مطابقة لقوانين الفكر مع قوانين العقل. إن هذه المطابقة تؤدي بسهولة إلى النتيجة التي مفادها أنه خلال التعامل مع نظامين مختلفين للفكر فإننا نتعامل مع عقليتين مختلفتين، عقلية «برية» حيث ينكر العقل بطوريه، وعقلية «محصنة» حيث يضم العقل بعض اللادرييب.

ونتشأ المشكلة بسبب وجهة نظر لى شتراوس حول التصنيف باعتباره نتاجاً للعقل، وبدلاً من معارضة الفكر الرمزي بالفكر العلمى باعتبارهما تدرجين مختلفين من الفكر «الرمزي»، ينظر ثوبى شتراوس إلى الأول باعتباره نتاجاً عقلياً للعقل، عند تحليل «مناطق» مختلفة، على أى حال فإننا لا نحلل عقليات مختلفة، بل موضوعات معقدة اجتماعياً ومصادق عليها اجتماعياً، حيث جرى تنظيم مختلف أنواع الأفكار. إن الاختلافات الحادة بين أنظمة مختلفة للتفكير يجب أن تحذرننا من أن ثوبى معالجة عقلية، ويجب أن نقترح نظرة من التمثللات الجماعية كنتاجات ثقافية.

لهذا السبب فإن «قوانين» أى نوع خاص من التفكير يجب أن تكون مرتبطة بالغاية التي صمم هذا الفكر لتحقيقها، وإنه فقط

إن قوانين التصنيف «البنيائي» كما وصفها ثوبى شتراوس، تضمي بشرط الفئات الكلية المتبادلة من أجل مطلب الشمولية. وتحدد قواعد تعيين الموضوعات إلى فئات يتضمن أن أى موضوع يمكن إدخاله فى أى عدد من الفئات. إن هذا الإجمال للمطلب العلمى الذى يستلزم أن تكون الفئات كلية متبادلة لا يفسر بالعناض بين عقلية علمية أو غير علمية، بل بالأحرى بالعناض بين أنظمة التفكير المرتبطة بغايات مختلفة متطورة. إن التصنيف «البنيائي» ليس مصمماً لإسعاد فى تزايد الخصميات، وهكذا فإن الفئات لا تحتاج لأن تكون كلية متبادلة. إن المطلب المفروض على التصنيف يبدو وكأن كل شيء يجب أن يجد مكاناً فى نظام العالم فقد، وهكذا فإن الكلية المتبادلة يجرى هجرها من أجل ضمان الشمولية.

بالرغم من أن الفكر «البنيائي» هو فكر عقلى، فإنه ليس فكر تحليلياً، فهو ليس فكر رمزي بمعنى الكلمة، يستخدم الصور المعينة ليعبر عن مفاهيم مجردة. ويسمى لى شتراوس عناصر هذا الفكر «علامات»، وهي تختلف عن المفهوم من زاوية قدرتها الإشارية. إن معنى هذه العناصر مكون من التعارضات الرمزية التي تدخل فيها، ولا يمكن أن تفصل عن هذه التعارضات.

وتحت تصرف الفكر «البنيائي» مجموعة مصطلة من الرموز، يمكن للمفكر أن يستعملها بتركيبتها وإعادة تركيبها. على أى حال، يعنى الأساس المعيني للرمز أنه لا يمكن اختراع عناصر جديدة لأداء أشياء جديدة. وهكذا فإن الفكر الأسطوري هو نوع من «المنطق» العقلى، وعليه فإن المفاهيم تظهر وكأنها مؤثرات تكشف المادة التي جرى العمل عليها والمعنى كمؤثر لإعادة تنظيمها، والتي لا ترسمها أو تحددها وتصر ناتجها فى الحصول على مجموع تعولاتها. وهكذا، فإن المختزل قد اختزل إلى ترتيب، كما يجرى الحال فى المنشور، الذى «يمكن التعبير عنه فى حدود العلاقات الصارمة بين أجزائه ..... ليس لهذه العلاقات محتوى بمعزل عن النموذج ذاته».

بالارتباط بهذه الغايات يمكن تقويم مختلف أنواع التفكير. إن ثوبى شتراوس يجد نفسه وقد وقع بين شقى الزمى، لأنه حال بحسه بالأحرى عن الأسس العقلية لا الاجتماعية لقوانين التفكير فإن ذلك يقوده مباشرة إلى النتيجة التي يحاول أن يجدها، الاستنتاج الذى مؤده أن مختلف الثقافات مطبوعة بعقليات مختلفة. إن مطابقة «البنيائي» مع العقلية الطفولية من الصعب لاعتباره - مادام - كما لاحظ ذلك ورسلى - أن قوانين الفكر «البنيائي» طبقاً للثوبى شتراوس مماثلة لفكر الطفل ما قبل - للصورى بشكل ملحوظ.

إذا ما قارنا التصنيفات العلمية مع تخصيص ثوبى شتراوس للتصنيفات «البنيائية» فإننا نستطيع بسهولة أن نجد لاختلافات وظيفية كامنة خلف القواعد المختلفة للتصنيفات. تحاول التصنيفات العلمية أن تصف كل شيء على نحو شامل إلى فئات كلية متبادلة. ومن الصعب جداً بناء مثل هذه التصنيفات على أسس من المعرفة غير الكاملة، حيث ستكون هناك دائماً بعض الموضوعات التي لا يمكن نسبتها إلى فئة دون للجناس. ونحن نهد أن هناك بعض الشذوذ فإننا ندرك أن تصنيفنا غير ملائم، مادام الهدف النهائي هو استخدام التصنيف لتوليد تعميمات لا تسمح بطريقة مثالية بأى التباس أو استثناءات.

بمثل التصنيف اختياراً للمخرج، حيث ترتبط الرموز بعضها بالآخر. إن معنى التصنيف، أي «خطابه» قد أسس على واقعة أنه يدور على القصور انجذاباً إلى الكلية، و «الكلاكية» وهكذا يمكن أن يشير إلى الوحدة والاختلاف. ولذا فإن التصنيف الطوطمي يمكن أن يجر من وحدة المجتمع، من خلال المتناظر الذي يوسمه بين الأنظمة الثقافية والطوطمية. بينما يشير في الوقت نفسه إلى اختلاف المجموعات الاجتماعية بالتمييز بين أنواعها.

وهذا الخطاب، هو في الوقت نفسه تعبير عن العلاقة بين الثقافة والطبيعة، والطوطمية تقدم الرسائل (أو الأمثلة) لتجاوز التعارض بينهما، وهكذا تبدأ الطوطمية بمعارضة الطبيعة والثقافة، مبرزة انقطاعهما، ولكنها تميد ربط الوحدة بالأخرى بتأسيس علاقة متناظرة بين الاثنين.

لقد ولدت هذه التصنيفات عبر تقسيم ثنائي ملاحظ، «بتطبيع المصنفين المعينين أيضاً.... في صيغتهم الشفوية على أي حال، أن يظنوا أن هناك مشكلة منطقية قد جرى حلها أو أن تناقضاً قد جرى تهاوياً، وهكذا يصبح الانقسام الثنائي في لفظ الأحادي «أولياً» لحوار العقل مع مطالبه ذاته التي تعمقت على نحو متخالف والتي تقود لولبي شتراوس إلى وصله بأنه «جذلي». وتؤدي دراسة التصنيف مباشرة إلى دراسة الأسطورة.

### (٣) ميتولوجيات

تهدف السجلات الأرمسية من ميتولوجيات لتحليل مجموعة من الأساطير من شمال وجنوب أمريكا. وتشكل هذه الأساطير عالماً مغريباً يجري تحليله باعتبارها كلاماً تعدد الأساطير تعبير وكأنها تدرى ببساطة من التعارضات، ولكنها بالتدري كتحولات في أساطير المجتمع نفسه أو المجتمعات المجاورة. إن سلسلة التعارض والوسط والتحولات لا توجد من ثم في أي أسطورة بذاتها، ولكنها تفرقت خلال عالم الأساطير. فربما تأسس تعارض في إحدى

الأساطير، وتوسط أو تصول في أسطورة مجتمع بحد.

ويجادل لولبي شتراوس بأن هذا التغيير في المنظور هو ببساطة تغيير من طريقة «الإحلال الميتولوجيات»، إلى «الإحلال الميتولوجيات»، وهو تغير يجر على أسس أن الأخير ملائم فقط في بداية التحليل. لتفسير إذن على أية حال ذو مغزى أكبر من ذلك، لأنه يتضمن أن التعارضات التي تصي الأسطورة لها مضمعة في عالم الأساطير، للذي يقدم من ثم علماً بالزعم من أن هذا العالم نفسه لامتناهات مدامت إمكانية تأسيس تحولات جديدة ممكنة في أمر وارد كلاً. لا يمثل عالم الأسطورة إذن سوى إعادة ترتيب للمحدود. ويمكن أن نجد ظلال الأساطير بنية ثابتة تولدها. «إن نموها يمثل عملية مستمرة، بينما نحل بنيتها غير مستمرة».

ويبدأ تحليل ميتولوجيات من أسطورة جرى اختصارها عشوائياً ويتوسع تدريجياً ليقدم المزيد والمزيد من الأساطير من ثقافات أكثر بعداً. ويقدم كل أسطورة جديدة، وتؤسس علاقات تحولات جديدة مع الأساطير التي جرى فحصها، يتمك تحليل الأخيرة على نحو متصاعد.

وبالرغم من إصرار لولبي شتراوس على أن نقطة الانطلاق ليست ذات امتياز، حتى وإن تكن تكتمية، فإننا نجد في نهاية ميتولوجيات أن قسماً من الأسطورة تشير إليها هو المصور الموضوعي لكل نظام الأساطير في شمال وجنوب أمريكا وتبني تدريجياً صورة للنظام ككل حيث «إن كل أسطورة مأخوذة بالتفصيل توجد كتطبيق محدود للمؤرج يكشف عنه تدريجياً بواسطة علاقات التبادل الواضحة التي بدت بين عدة أساطير.

وحيث إن الأساطير تأتي من مجتمعات ذات بواطن مختلفة، فإن هذه المجتمعات المستقلة سوف تستخدم «صوراً» مختلفة لرموز المفاهيم ذاتها. ومن ثم سوف تتحد كل أسطورة بواسطة تحول مزدوج، أحدهما يحول المضمون المفاهيمي لأسطورة أخرى، والآخر يأخذ في حسابه الاختلافات

الأساسية بين المجتمعات والذي يعنى أن المفهوم نفسه قد جرى التعبير عنه بواسطة مواد مختلفة:

«وهكذا تنشئ كل طبيعة من الأسطورة بأثر حتمية مزدوجة: أحدهما تربطها ببطبات متعاقبة أو بمجموعة من الطبقات الأجنبية، والأخرى تمثل بدور من الطريقة المستخرجة، عبر تقوييدات الأصل الأساسي التي تفرز تحديلاً لهذا العنصر أو ذلك حيث تتقدم النتيجة في إعادة تنظيم المنظومة لتحتوى هذه الاختلافات لتصورات نظام خارجي».

وعلى ذلك فقد أعطيت الأساطير الآن تحليلاً محايداً، الأمر للذي لم يجر في تحليل عام ١٩٥٥. فلم تعد الأساطير ترتبط بأى شيء خارجها، هذا السمات الموضوعية للعالم التي أخذت منه أدركت تعبيرها.

«ليس التحليل الميتولوجي ولا يمكن له أن يتخذ كغاية له كيف يفكر البشر.... إنني لا أزعج أنني قد بيوت كيف يتشكل البشر الأساطير، وإنما بيوت كيف تتشكل الأساطير من خلال البشر، بدون رضى منهم».

«إنما ما طرح سؤال الآن يطلق بأى معنى نهائى تشير إليه هذه المعاني ذات المغزى المتبادل.... فإن الإجابة الوحيدة التي تتخضع من هذه الدراسة هي أن الأسطورة تدل على العقل الذي يشهد بتوظيف العالم للتي تشكل هي نفسها جزءاً منه».

إن فكرة أن الأساطير هي بمثابة نتاج لتحولات أساطير أخرى تعيدنا إلى هذه اللغزيات الانتشارية عن الأمريكيتين التي على بها لولبي شتراوس طوال ممارسته المهنية، والتي قدمت الإهمام الأنثروبولوجي المباحث الإيثنويك. رغم أن هذه المفرضيات تكبدت فقط في مقدمة «الإنسان عاري، إلا أنها حاضرة منذ بداية «ميتولوجيات»، ويقتصر التحليل في البداية على العلاقات بين مجتمعات أمازونية قديمة، وهكذا ترى ميتولوجيا «البربر» كنتاج للتفاعل بين ميتولوجيا «توبى» و «جيه». ويقدمنا ما يطور «ميتولوجيات»، تتسع الشبكة لتصل كامل

## التحليل البنيوي للأسطورة



تختلف في أن لها بنية غير معكوسة. وتبوز الشعائر، التي ترتبط بوثوق بالأسطورة وفق التصور الدوراكسي التقليدي بمسارعة عن الأخيرة في ميثولوجيات، فاللغة الشفوية تربط بالأسطورة، إلى الحد الذي تعرف فيه الشعائر فقط باعتبارها شكلاً للسلوك. هنا تتحسد الأسطورة مع الشعائر على أساس بديتها.

وهكذا يبدو أن لوهي شتراوس يحدد الأسطورة شمعاً بأنها تلك التي لها بنية الأسطورة. فإذا كان يمكن أن نجد للموضوع محل البحث بنية من التعارضات المفكرة، وتوبس، وصولات، فهو إذن أسطورة. ويقود هذا التعريف الضمني لوهي شتراوس لأن يقيم تفسيرا حاداً بين الأساطير التي لمعها وتلك التي لها أبعاد تاريخية، حيث تتطلب الأخيرة «تحليلاً بنيوياً معولاً وخالصاً». هذا إذا كانت في الواقع قابلة لمثل هذا التحليل على الإطلاق وعليه، فإن لوهي شتراوس يدون أن يعتبر الأسطورة كموضوع جاهز الصنع، فإنه لا يقدم تحريفاً أصلياً بقوله تصديقاً لتفسيرات الأسطورة باعتباره جزءاً من كل، بينما يستبعد شواهد اعترت تقليداً أسطورياً.

إن تعريف الأسطورة، لا يستفد مشكلة تعريف لكل، حيث إن التقارير الإثنوجرافية التي لدينا لا يمكن الاضداد عليها بأي حال. فضلاً عن ذلك لم يأخذ لوهي شتراوس هذه التقارير كما هي كتقطة انطلاق في ميثولوجيات ولكنه يلخص عادة هذه التقارير إلى حد بعيد قبل أن يضمها في مصنفه. وهكذا فإن الأسطورة قد تقويت مرتين قبل أن نتحصن في الكل الذي يجري تحليله: مرة من قبل الإثنوجرافيا الذي التقى ما اعتبره التفاصيل الجوهرية، ومرة ثانية من قبل لوهي شتراوس. ولكن حتى هذا لكل التقى غير ملائم للتحليل، ولم يكن أمراً نادراً أن يشتر لوهي شتراوس لأن يكمل أو يصوب النص حتى يسمح لتحليله بالانطلاق. وهذا التصويب والإكمال يجعل التحليل قابلاً للتداول.

مزال على السهل، بعد أن يتحدد الكل، أن يعين ما الذي يقوم بتفسيره. ينبغي على

قوة الأسطورة هذه معنى الأسطورة، وهكذا فإن المعنوي النوعي للأسطورة هو مسأله لا أهمية لها.

إن الشهمة للتحليلية الأولى هي تحديد موضوع التحليل، للعين ما الذي ينبغي تفسيره، وما الذي لا ينبغي تفسيره بالتحليل. وعليها في السهل الأول أن نتخذ من الأسطورة وما ليس بأسطورة. وليست هذه مسألة تجريبية وإنما مسألة نظرية. ولكلها أمر فحل لوهي شتراوس في أن يكلف نفسه به فحلاً ذريعاً. ويبدو أن لوهي شتراوس يعتقد أن الأسطورة تقدم نفسها عبر السمات التجريبية للتحليل بصفتها كذلك، وهكذا يجري الاعتماد على حدس السهل.

إذا فحصنا ممارسته على أية حال لبات من الواضح لنا أن الأسطورة تمتد ببنيوتها. وليس هذا مما يشير الدهشة، لأن تحليلاً معادياً يتطلب تحريفاً معادياً للموضوع، وتعريف كهذا لا يشير، على سبيل المثال، للوظيفة الثقافية للأسطورة. ولا المفاهيم البديهية للأسطورة، وتتميز المكابات الشعبية عن الأسطورة ببنيوتها الأضعف، وتعل الأشكال الوصفية محل بليات للعارض برأسمة بليات التكرار، وهكذا تتخذ شكلاً تمثيلياً. وللتاريخ مثال الأسطورة، ولكنه يختلف في تكييفه مع الزمان، حيث إن الأساطير هي «أدوات لقمع الزمان، وهكذا

القارة، وتستبعد إلى حد كبير المرافقات والتحفيزات التي ريجها لوهي شتراوس في الماضي بتصوراته الانتشارية.

إن فكرة أننا نتعامل مع حقل أسطوري فسمرت وحدته بالإشارة إلى للفرسية الانتشارية تؤدي بالطبع إلى البحث عن الأسطورة البنيائية، التي ادعى لوهي شتراوس أنه كشفها في بعض الأساطير من «أوريجون»، التي ربما كانت بقايا الأسطورة الأصلية، أو التي ربما مثل نزعة إلى الشعور في العقل بمجمله، بيد أنها تقدم لنا مصادقة على التحليل الذي لم يكن مخسراً لو أنه كان على لوهي شتراوس أن يعتمد فقط على مخطط الأرواح مفترض باعتباره مواد عالم الأساطير.

حددت كل أسطورة في تحليل أو هيب باعتبارها مخلصاً لكل تنوعاتها، استهدف حل تناقض نوعي. مهما يكن من شيء فإن هناك مشكلة واحدة فقط نهضت على ميثولوجيا القارة بأكملها، الآن.

«ليست الأسطورة شيئاً سوى مجهود لتصبح أو لإخفاء عدم تماثلها التكويني».

يحقق ميثولوجيات البرنامج البديوي في إخضاع عالم الأسطورة لتحليل محايد حيث خصائص الأسطورة لا تبرز عن شيء خارجاً عنها، ولم تعد الأسطورة ترى كنظام ثقافي مطور قابل للتفسير بمصطلحات الوظائف الأيديولوجية المحددة ثقافياً، ولكنها تبرز عن عمل اللاوعي ما قبل الثقافي. تبرز الأسطورة عن قوتين العقل، إذا كان بمقدور لوهي شتراوس أن يبرهن على أن البديات التي أنتجها تحليلها لها صفة موضوعية، وكان لدعواه بأنه قد اكتشف شيئاً عن العقل بعض المصداقية. وحتى نقيم نظرية الأسطورة فإنه من الضروري أولاً أن نبين بوضوح أكثر ماذا تتضمن النظرية.

إن الفرضية الأساسية لنظرية لوهي شتراوس المطورة عن الأسطورة بسيطة وواضحة: توظف الأساطير «العلامات» للنوس، وتوسط وتحول التعارضات. وتستفد



التحليل أن يكون شاملاً وفقاً للمنهجية  
شتراون ويمكن التحليل أن يكون شاملاً  
إلا في العلاقة بتوصيف ملامح الموضوع  
الذي يجري تفسيره. ولا يقدم لمنهجي  
شتراون - على سبيل المثال - وسائل إعادة  
بناء نظام تسلسل النص، ولا العلاقة التحليلية  
بين الحدود، ولا العناصر المعجمية التي  
يجري التعبير عن خلالها عن المفاهيم. لقد  
اعتبرت مظاهر الأسطورة هذه ركناتها  
عارضية تماماً ومن ثم ليست قسماً من  
التفسير. وكل ما يلزم لتفسيره هو بنية  
الأسطورة والعلاقة القائمة بين الحدود.  
وعليه، رداً على نقد ريكور بشأن منهجي  
شتراون يركز على «تركيب» الأسطورة  
على حساب «دلائلها»، يشير لولي شتراون  
إلى أن (يقدر ما أرى فليس هناك خيار. ليس  
هناك خيار كهذا لأن الضرورة المنهجية....  
تتحدى على اكتشاف أن المعنى هو ذلكما  
نتيجة ربط للعناصر التي لا دالة لها في حد  
ذاتها... ومن وجهة نظري فإن المعنى قابل  
دائماً للاختزال. بمعنى آخر، خلف كل معنى  
هناك لا معنى، بينما العكس غير قائم، ويقدر  
ما أرى فالمعنى ظاهرياً».

إنّ، فهو التأكيد النظري بأن معنى  
الأسطورة مستند في العلاقات الشكلية بين  
أجزائها التي تشكل أساس عزل وتمايز  
موضوع تحليل الأسطورة كجسم من  
النصوص التي لها نوع خاص من البنية،  
ومن هذه النصوص باعتبارها العلاقات  
الشكلية فيها. ويرتكز التأكيد النظري ذاته  
على ادعاء متميز حول طبيعة النقل وطبيعة  
المعنى الذي لم يلمس، ولكنه نقطة انطلاق  
فيلسوفية في «التحليل»، وعلى ذلك لا يثمر  
التحليل في اكتشاف الطابع البنيوي للمعنى،  
مادم هذا الطابع البنيوي قد افترض سلفاً  
كأساس يركز الانتباه فقط على الخصائص  
البنيوية للموضوع.

بعد أن جرى تحديد موضوع التحليل  
باعتماد العلاقات الشكلية التي تتضمنها  
الأسطورة، مازلنا نحتاج بعض المبادئ  
النظرية التي سوف تساعدنا في التعرف على  
هذه العلاقات. وعيناً في السجل الأول أن

تكشف ما الذي توكبه هذه العلاقات. كما  
رأينا في تحليل أوديب، فإن عنصر  
الأسطورة هو قيمة الأسطورة التي تقم علاقة  
بين فاعل وخطيئة في جملة من النص.  
والعلاقات القائمة بين قيمات الأسطورة  
تتضمنية. في مثولوجيات ترقف الفاعل  
عن أن يكون جزءاً من قيمات الأسطورة،  
واختزال الأخيرة إلى مسند إليه ومن ثم فإن  
المعصر هو «العلاقة» التي حددت في الفكر  
المعصر كتماص بين مفهوم وصورة، وأن  
الصورة هي وسيلة للتعبير عن المفهوم الذي  
يدخل في تناقضات وتحولات الأسطورة.

وهذا المسند إليه، فضلاً عن ذلك، ليس  
هو نفسه قسماً من النص، كما كان الحال في  
تحليل أوديب ولكنه اكتشف كامناً خلف  
الصورة. ومرة أخرى نقدر لولي شتراون  
تجريبته ببساطة لأن يؤكد أن هذا هو عنصر  
الفكر الأسطوري، وليس هناك من تفسير  
واضح لأسس مثل هذا للتأكيد.

يوجد عنصر الأسطورة فقط في إطار  
للتعارضات التي يدخلها. وعلى ذلك فإن  
مسألة تطابق القيمة الأسطورية لعناصر  
نوعية، هي مسألة تطابق التعارضات المتكونة  
للأسطورة.

وقبل أن نتمكن من تحديد التعارضات  
عيناً أن نحدد ما الذي يمكن أن نسمه  
تعارضاً. يتجدي في هذه المرحلة بوضوح  
طابع التحليل التحكمي وشكله القصوي.  
تطورت الأسطورة في تحليل أوديب على  
أساس التناقض. وفي مثولوجيات فإن  
عنصر الأسطورة مفهوم وإس حقيقة، وهذا  
لا يمكن للعناصر أن تتكبد شكل  
تناقضات. كما لا تتخذ التعارضات شكل  
نقل من منطقية يمكن أن تؤدي للتناقضات إذا  
ما اكتشفت موضوعات ذات محمولات  
متناقضة. بمعنى آخر لا تتخذ التعارضات  
شكل هـ/ ولا هـ، ولكنها تتخذ شكل هـ/ و.  
والأسف لا يقوم لولي شتراون بالتمييز  
الأساسي بين المفاهيم ذات العلاقة الثنائية،  
والتعارض الثنائي، والتناقض الثنائي. وكما  
أشارت لورا مكارويوس: «إن التعارضات  
الثنائية... التي يكشفها البايويون تقطى

العقل بكامله من التمارض للتناقض حتى  
أكثر التعارضات التي يمكن أن يرسمها خيال  
جامع هشاشة وتحكمية.

ويبدو أن الأسطورة تتطور نتيجة لتقديم  
الانقطاع إلى عالم متصل تأثر بمولد الثقافة.  
ويقدم مولد الثقافة معنى للعالم بتأسيس نظام  
للمعاملات، ولكن على حساب شيز أجزاء  
العالم عن بعضها الآخر فمضب وهذا يحدد  
الوحدة الأساسية للعالم. ولذا يربط الفكر  
المعصر، على سبيل المثال، بين النخاع  
والسحب، لأنه يفترض تخلياً متلباً بينهما  
كسره عدم الاتصال التام في عملية  
التصور. ولا يبحث الفكر المعنى عن الهوية  
بالإشارة إلى خصائص أكثر جوهرية للنخاع  
والسحب، يبحث الفكر المعصر عن الهوية  
بافتراض علاقة رمزية بدلاً من علاقة  
واقعية. وذلك بسبب حقيقة أن الخصائص  
«الأولية» غالبيتها ما ترتبط بخصائص «ثانوية»،  
إلى الحد الذي يمكن للفكر «البديهي» فيه أن  
يستقبل دائماً نتائج العلم.

وهكذا فإن الفكر الرمزي يهدف إلى  
إعادة الوحدة إلى عالم جرى التمييز بينه  
برسالة الذهن.

«ترتكز كل العمليات السحرية على  
استعادة الوحدة التي تكون... لا راعية أو  
غير راعية بالقدر نفسه أكثر من العمليات  
نفسها».

يجري تحقيق هذه الوحدة سباتيكياً في  
التصنيف، وديناميكياً في الأسطورة والسحر.  
وقد جرى التعبير بوضوح عن وجهة  
نظر مشابهة جداً في «الإنسان هاربا»:

«تحققنا عبر هذا الجزء الأخير من أن  
بعض مئات من القصص، التي تخطف عن  
بعضها البعض بوضوح، وكل منها معتدة في  
حد ذاتها، تتلقت من سلامة من تصريعات  
متراصة: هناك السماء، وهذا الأرض، وما  
بين السطيلين المتراطين لا يمكن تصوره،  
ونتيجة لذلك فإن محور هذا الشيء السماوي  
في الأرض وهو للدار يحسوى على سر.  
وأخيراً، منذ اللحظة التي توجد فيها الآن النار  
السماوية هذا تمت في شكل موقد مثالي لا بد

## التحليل البنيوي للأسطورة



شكراوس انتباهاً عظيماً للمحيط البيئي للثقافات التي ويحدها، وبالأحرى انتباهاً أقل للخصائص البنيوية الاجتماعية، من أجل أن يكشف الارتباط الموضوعي الذي يمكن أن يقدم الأساس للتعارضات الرمزية. وبهذه الطريقة تكشف التعارضات دون الاستمرار للإشارة إلى المعقدات الزاوية للثقافة موضوع البحث.

وهين تذكر كيف أن مصطلح التعارض، قد حدد بالتأخر فلنأه نواجه مباشرة مشكلة النزعة الاحتمالية. يمكن للأسطورة أن تفرز أي عدد كبير من الخصائص التي ترتبط بموضوع معين وأن تعارض هذا الموضوع بأي موضوع آخر، في داخلها أو حتى في غيرها. وعلى ذلك، فإن كل موضوع يظهر في الأسطورة يمكن ربطه بأي موضوع آخر ضمن عالم الأسطورة ودخل، تعارض ثنائي، وحين نتذكر أيضاً أن المعلومات الأنثوجرافية هزلة، فإن الإضافة إليها ضرورية على الأغلب، وحين نتذكر أيضاً أن التعارضات قد جرى التعبير عنها على مستوى شاية في التجريد، فإن شكوكنا تتزايد لحسب.

ويقدم لوهي شتراوس بالمثل ضماناً منهجياً يجب أن يحد من إمكانية التحليل. ويمكن للملاحظة الأنثوجرافية أن تقدم، نقياً خارجياً، مادام ربط المفهوم مع ترجمة معقولة ليس تمكينا وإنما يجب أن يؤسس في العالم الموضوعي.

مهما يكن من شيء، فإن هذا المضمون قد تفرزع بشكل لاحق بتقديم مفهوم «الاستدلال الضارق» الذي تكتب فيه الخصائص إلى موضوع على أساس من «الضرورة المنطقية» لتخفيف اتساق الصلات الموسعة بواسطة «الاستدلال التجريبي» بالاستدلال إلى الأحكام التجريبية. وبهذه الطريقة تخلق الأسطورة بشكل متلاق قريبا رمزية جديدة من أجل أن تحافظ على ضامكها.

يأمل الناقد غير الموقر إلى أن هذه «الضرورة المنطقية» ناجمة عن تحليل ناقص وليست ناجمة عن نقص في

«اللاوعي هو العدو السري لطعم الإنسان في جانيه، أولا بسبب أن اللاوعي المعرفي ماضيت في موضوع الملاحظة، وثانيا بسبب اللاوعي التماسكي (الوعي اللاوعي) لدى المالم».

وقد أبرز لوهي شتراوس على نحو متزايد ودون أن يفحص الكوسمولوجيا وجهة النظر التي تفيد بأن التعارضات هي ما قبل تصورية، وهي تشق من الطبيعة أو من الآليات الطبيعية للأدراك:

«كل شيء يحدث لأن بعض الممولات كانت أكثر استمعدا من غيرها لتعلا هذا الدور» سواء بفصل مظهر خاص لسوكها، أو بفصل نزوع يمكن أيضا أن يكون طبيعيا، يدرك الفكر الإنساني على نحو أسرع وأبسط خصائص النمط المحدد، ويصل كلاما إلى الشيء نفسه، أنصف إلى ذلك، مادام لا يوجد هناك طابع خاص في حد ذاته، وأنه تحليل إدراكي..... الذي..... فسيته يمنح محكي لظواهر ويفكها باعتبارها تيمات».

يستكمل هذا التطوير تنويع الثقافة في الطبيعة، لأنه حتى الصليات المفهومية للثقافة الآن هي بحساسة تمبير عن آلية طبيعية. للثقافة الآن هي «ازدواج تركيبي للأليات التي وجدت ملأ».

يمكن تأسيس معنى التعارض فقط بغض مضمون الحدود ثلتها. ويكرس لوهي

أن ولحدا كان عليه أن يذهب من الأرض إلى السماء من أجل أن يجمعا.

وهكذا، فإن الأسطورة تعالج أن تستعيد الصلة بين التدرج والوحدة بتوسيط وتحويل «التعارضات» التي أسست على أساس الفلاغات.

فلذا ما قبلنا موقفاً أن عنصر الأسطورة قد جرى تعديده بصواب، فإن علينا أن نسأل بمد ذلك كيف اكتشفت فعلا التعارضات القائمة.

ويالزم من أن لوهي شتراوس يشير إلى الصور التبادلية، وإلى التبادل، والإحلال، فإن هذه الصور لا يمكن أن تكشف للقيمة الرمزية للعناصر المتعارضة.

لن التبادل والإحلال يمكن أن يحددا الأخر التي يمكن أن تسمى فيها أشكال خصوصية في إطار معين، ولكنها على أية حال لا يمكن أن تؤسس للقيمة الرمزية للفعل، ليس على الأقل بسبب أن الشكل نفسه له معان مختلفة في أطر مختلفة اعتقادا على الوظيفة التي خوله إياها الثاقان الذي يحكم هذا الإطار. وعلى ذلك فإن معنى تعارض ما يمكن أن يؤسس فقط حاشا عينا الثاقان الذي يخدم في إعطاه معنى له.

وهكذا، فإن معانيها يمكن أن تكون معاني «مكانية» فقط، ويذهب ذلك أنها لا يمكن أن تكون في متناولنا إلى الأساطير نفسها، ولكن فقط من خلال الإشارة إلى الإطار الأنثوجرافي، أي، إلى ما نعرفه عن نمط الحياة والثقافة، والاعتار، والتنظيم الاجتماعي للمجتمعات التي نرغب في تحليل أساطيرها.

ريما يبدو أنه بالذخاب إلى ما وراء الأسطورة لاكتشاف التعارضات، أن المشروع التجريبي مهده، لأن علينا أن ننظر إلى ما وراء الأسطورة إلى الثقافة لتكشف مبادئها التجريبية. وتنجذب هذه المشكلة فقط باكتشاف التعارض في العقل اللازمي. ولا يمكن أن يكشف معناها بالإشارة إلى المعقدات المتمفصلة بوعي الأسطورة الثقافية، أكثر مما يمكن اكتشافها بالإشارة إلى شلالات وعيا الخاصة:

الأسطورة. ويتأكد مثل هذا الشك حين نتذكر قاندياً منهجياً آخر، وهو أن مظهر للتناقض لا يشير إلى خطأ التحليل، ولكنه وبهيت بالأحرى أن التحليل لم يتعمق بما فيه الكفاية وأن هناك ملاحح خاصة مميزة قد أفلتت من الاختبار، إن تقديم الاستدلال للمفارقة، نتيجة لذلك يجعل من الممكن استنباط تحليل لا يمكن تدعيمه، أو الذي يتناقض حتى مع الملاحظة الإثنوجرافية.

يفترض أن تطابق التعارض يحسم من التحكم لأن التعارضات لا توجد في عذلة وإنما يرتبط واحدها بالآخر من طريق التوصلات. إن الأسطورة تأخذ تعارضاً واحداً ثم تولد آخر عبر التحول المتتابع:

«حتى يمكن للأسطورة أن تتولد بالفرق، وحتى تولد بدورها أساطير أخرى، فإنه من الضروري والتكافئ لتعارض أولى أن يدفع إلى التهجيرة حتى يترتب على ذلك تولد تعارضات أخرى بدورها».

ويلاحظ ريتشارد بلاكول:

أن تطبيق «البنائية» التي تقدم كأساس للتحليل البنيوي، (١٩٥٨، ص ٢٣٣) لا يبدو أنها تضمن تماماً كون الأسطورة لم تقتصر على أن تهيئ عن الأفكار التلقائية للعالم.

«على أية حال إن تكوين الجماعي الباراينجمي، من عدد محدود وإن كان يحتوي على علاقات متعددة، على أساس سلسلة ميتاجمائية يقلل المخاطرة».

ههنا يكمن من أمر، فإن المخاطرة مستقل فقط إذا لم تكن للحوالات بدورها تعكمية. وإسره العطف فإن ما يصدق على التعارضات يصدق سواء بصراه على التحولات، حيث توجد الأخيرة بسهولة مثلها مثل الأولى.

يستعمل ليوبي شتراوس مصطلح «التحويلات» ابتداءً شديد مشهور إلى علاقات التحول عندما يمكن نسبة الأسطورة إلى أسطورة أخرى. ويوجد أبسط شكل للتحول حينما تتشارك أسطورتان في عنصر عام، وحسبما يدعى أن هناك خلافاً أو اثنين متراطبان. وسوف يكون مدحها للغاية ألا نستطيع اكتشاف علاقة التحولات هذه.

فضلاً عن ذلك فإن علاقات التحول لا توسع أبداً قبل أن تكون الأسطورة قد فسرت وأفقرت إلى حد معين، وغالباً إلى حد بعيد جداً. لقد حالت أرو. آل مكارويوس هذه المجموعة المفترضة من الأساطير، الأسطورة ١٢-٧، الأسطورة ١٤ والأسطورة ٢٣، التي نوشت في «من الفصل إلى الرماد» وهو العرض الذي قام به ليوبي شتراوس لإشره وليجدل الأساطير بفضلة تامة من أجل أن يؤسس فكرة مفترضة من التحولات. لقد أظهر ماي بوروي ليوبي شتراوس تحولات أخرى مفترضة.

بالرغم من أن هناك بعض المجموعات التي تبدو أكثر ارتباطاً على نحو معقول (على سبيل المثال الأسطورة ٢٢-٢٤ والأسطورة ٢٦، والأسطورة ٥٥ والأساطير ١٢-٧، من ١٥-١٦، والأسطورة ٢٠، والأساطير ١٨٨، ١٨٩، ١٩١)، إلا أن ليوبي شتراوس يبدو وكأنه يستمتر التحولات من لا شيء من أجل أن يكمل تحليله (على سبيل المثال في الأخير والمختبر من ص ١١٨، ١٦٤).

ولأن ليوبي شتراوس يصر على أن الأسطورة هي نتاج لأرضي قديم لدى السحال أية وسيلة للوصول إليه إلا من خلال الأسطورة، ولا يمكن السحال الوسائل التي شكته من اكتشاف ما هي للعناصر وما ليس بها، وما هي التعارضات والتحولات، توجيه لذلك لا توجد الوسائل التي تبين عما إذا كانت تراكيب السحال في الحقيقة تتطوق بالأسطورة، أو هي ببساطة من خلقه أو خلقها. أضف إلى ذلك أن مصطلحي «تعارض وتحويل» يجري تطبيقهما بإطلاق شديد لدرجة أن البنيات التي تكشف يمكن كشفها في أي مكان. وعلى ذلك ليس هناك من وسيلة لاكتشاف ما إذا كان لكل موضع البحث مولداً أو غير مولد بواسطة الآليات البنيوية من النوع الذي أشرنا إليه. وربما يمكن تحويل أن هذا هو الحال أي أنها متذبذبة لأقصى حد، ولكن لا توجد على الإطلاق أية وسيلة لاكتشاف ذلك. وعلى ذلك، أخيراً، لا يوجد هناك أي تبرير كان

لاستنتاج أن البنيات التي جرى كشفها يمكن أن تخبرنا بأى شيء عن العقل.

إن النتيجة التي نختهي إليها هي أن تحليل الأسطورة الذي يقدمه ليوبي شتراوس هو بالضرورة تعكمي. وليس معنى هذا القول بالضرورة بأن التعارضات ليس لها بعض الوجود الموضوعي، ولكن، «الشكك» في التقرير بينها وتعدد مفرى أي منها، وما دامت لا توجد هناك وسيلة يمكن بها لليوبي شتراوس أن يجعل تحليله شريعياً، فإن التعارضات التي يكشفها يمكن أن تأتي فقط من عقله الخاص. وكما يلاحظ ويلسون فإن «كليات المادة، وعلاقات المادة، التي يوظفها ثنائي التحليل محددة سلفاً، وليفي شتراوس هو الذي حددها. فإذا كان السحلي يحال إلى اللاوعي، فليست هناك وسائل لاستعادة السحلي، ويشق التفسير بدلا من ذلك من «العقل، والإدراك الجمالي، وشكل معين من العنصر العقلي، للعقل».

يلتج من العقل أحياناً نوع من الإلهام يمكن للوعي به حتى إننا ندرك نفسها من ضمن شيء ما ما أدركناه حتى وقتها بدوره.

إن الجدل بأن التحليل البنيوي للأسطورة، كما مارسه ليوبي شتراوس، يقدم تفسيراً تعكمياً، مفروض من العقل قد مسور بأنفسه شكل ممكن بالإشارة إلى التعارض الذي يستمر ليوبي شتراوس المكون لكل الفكر «البدائي» الذي يفرض بين الطبيعة والثقافة.

وبالرغم من الأهمية الجبرية للتعارض بين الطبيعة والثقافة، فإن ليوبي شتراوس بإصراره على الأساس اللاوعي للمعنى، لا يستطيع أن يذهب أن لهذا التعارض في الحقيقة أهمية، أو أنه حاضر حتى في فكر الشعب الذي يدرس.

يفترض أن الطوبية تملك سلاسل طوبية، سلاسل اجتماعية، مع أن الطراطم هي على كل حال وبالضرورة كيانات طبيعية. واللغة تعال أيضاً باعتبارها مؤسسة على التعارض بين الطبيعة والثقافة، وبالرغم

## التحليل البنيوي للأسطورة



«الواقع ينتقل من المضمون ناحية الشكل، أو بشكل أكثر تحديداً، نحو طريقة جديدة في إدراك المضمون الذي - دون تجاهله أو إنكاره - يترجمه إلى حدود بديوية».

وهذا الاختزال يستبعد من الاعتبار ما يبدو لأغلب الناس أجزاء جوهرياً من الأسطورة. وللمظهر شديد الوضوح لهذا الاختزال هو أن تستبعد من الاعتبار البديوية الوصفية للأسطورة، ومن ثم يعمد الزماني. وعلى ذلك، فإن التحليل البنيوي لا يمكن إلا أن يكشف الأساطير باعتبارها لا زمانية.

باختزال الأساطير إلى بنيتها الشكلية دون أي أساس، فإن لويجي شتراوس قادر حقاً على اختزال المعنى إلى لا معنى، ولكنه بقيامه بذلك فإنه يستبعد من الاعتبار ببساطة مظاهر الأسطورة ذات المعنى. وهكذا لا يقدم لويجي شتراوس تحليلاً موضوعياً للمعنى، وإنما يرد ببساطة كل المعاني الخاصة باختزال كل الأساطير إلى بنية شكلية (مثل مجرد طمس خواصها الدروعية كافة، في تجريدها من كل معنى خاص، إن لويجي شتراوس في ترجمه إلى أصناف لارعية الشكل فإنه يتراجع إلى عالم الصحة، إلى عالم اللاوعي، عالم عدم الاتصال، أو عدم التبادل. وهكذا فإنه يرد الثقافة بدءاً إلى الطبيعة.

تعد هذا الآن إلى نقطة الانطلاق مرة أخرى لا تبحث فهم الأسطورة بل إلى الأسطورة بهدف فهم الطبيعة الإنسانية، ليس بهدف فهم هذا الإنسان أو ذلك، ولكن بهدف فهم ما هو عام وشارك فيه كل البشر. ويمثل ميشولويجيات محاولة أخرى لرد كل الاختلافات، كل الثقافة، كل التاريخ، كل التجربة، إلى بنية شكلية لارعية، يفترض أنها مرتكز إنساني. إن محاولة لويجي شتراوس لاختزال معنى الأسطورة إلى لارعي ما قبل ثقافي موضوعي يؤدي إلى انحلال كل المعنى، ولكن هذا هو المعنى الذي نخس به الأسطورة لويجي شتراوس؛ إن ميشولويجيات هو محاولة لتفسير عالم الأساطير على منتهى فلسفة لويجي شتراوس الإنسانية البديوية الممزقة. وإلى هذه الفلسفة ينبغي أن نترجمه الآن. ■

للظواهر الثقافية التي تهذب إلى قلع الموضوع الثقافي عن أي تحديد ذاتي مما يقود إلى تحليل تعكسي، وفي هذا السند لا توجد وسائل لتحديد ما إذا كانت الخصائص التي حددت كخصائص للموضوع هي في الحقيقة كذلك، وهي من ثم شكلية، وفي هذا السند فإن أي اعتبار للمضمون الذي يشير إلى ما وراء العلاقات الشكلية الداخلية في الموضوع مستبعدة ليس استناداً على أية أسس نظرية مبدئية، وإنما على أساس قرار منهجي تعكسي لاستبعاد اعتبار الروابط العرضية.

إن اكتشاف أن الموضوع يمكن أن يختزل إلى بنية شكلية هو كامن سلفاً في القرار المنهجي لتحديد الموضوع بواسطة بديته (بالنسبة لتشومسكي اللغة هي أي شيء يتخذ شكل بنية للغة، والأسطورة عدد لويجي شتراوس هي أي شيء يتخذ شكل أسطورة) بينما عزلة الموضوع عن أي بنية يكون له فيه معنى ضمهها بحرم البديوية المكتشفة من أي مغزى. وحيث إن التحليل تشومسكي للغة فضيلة الصرامة، فإن له بعض الاستعمال المعلى، ولا يملك تحليل لويجي شتراوس للأسطورة مثل هذه القابلية المحدودة.

ويحكر لويجي شتراوس نفسه تهمة الشكلية، ولكنه يفعل ذلك باختزال مضمون الأسطورة في شكلها؛

من أن دومون، في تحليل بديوي يجادل بأن «التعارض، التصوري الذي يحكم نظام اللغة هو الذي يتوسط بين المقدس والمفسد وتذهب لورا مكارويوس بعيداً إلى الحد الذي تجاهل فيه بأن التقويض، الذي يغسل ويعارض كل من المجتمع والطبيعة بالآخر هو أمر غريب جذرياً على الفكر البديوي وتقص مكارويوس تحليلاً للأساطير الجورجية قام به ج. شار أشفوردز الموسس على تعارض الثقافة/ الطبيعة. وهي تتجادل بإقناع شديد بأن نقل التعارض هذا يشوه المفهوم الطبيعي، وهي تبين في الواقع أن التعارض الأساسي يقدم بين المحظورات المستحزمة التي تشكل أساس المجتمع، وبين انتهاك هذه المحظورات.

كما تنظر إلى ذلك مكارويوس، وكما نجد مراراً، فإن التعارض المفترض بين الطبيعة والثقافة يهيمن على فكر لويجي شتراوس أكثر مما يهيمن على فكر الشرب التي يدرسها. إن التراجيديا التي تواجه لويجي شتراوس هي أننا قد فقدنا احترامنا للطبيعة، ولزعمنا أنفسنا منها، وإنما مستعدين للموت في ظل حكمها. وقد كانت النتيجة أننا قد وصلنا إلى أن نهيمن على الطبيعة وأن ننكحها أحكامها. إن البديوي، هو من يستمر في العيش بتناغم مع الطبيعة، مؤسس أنظمة من التبادل والتوافق مع ما ضل به الطبيعة الإنسانية، ناسجاً الأساطير تحت حافز اللاوعي الطبيعي. إن دور تعارض الطبيعة/ الثقافة في تحليل لويجي شتراوس يكشف موضوع كما يمكن لأي شيء آخر أن المعنى الذي يفرضه على الأساطير ليس موجدًا بالمرّة في لارعي البديوي، غير القابل للاختراق، وإنما يشق من الفلسفة التي طورها لويجي شتراوس لنفسه.

### (٤) الوضعية والشكلية.

بعد أن نظرنا في تحليل لويجي شتراوس البديوي للأسطورة وصلنا إلى النتيجة نفسها التي وصلنا إليها حين نظرنا في إسمائيات تشومسكي البديوية. في الحالتين كليهما نلاحظ المقاربة الوضعية

# الفكر والعقائد

النظام العالمي اليهودي الجديد

من

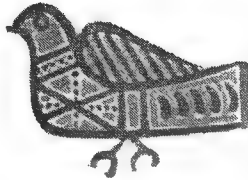
العقائد الراديكالية

إلى

تعاليم الإنجيل الثوري

بات روبرتسون، ترجمة، مدحت طه

# النظام العالمي



هـ ماذا يخبر المستقبل لي  
ولأمري؟

ولعل هذه الأسئلة وطريقة  
صياغتها تكشف عن مكونات الإطار  
النظري الذي يصدر عنه المؤلف  
والتيار الديني الذي ينسب إليه  
وكذلك عن رؤية للعالم.

ومن المعروف أنه بالنسبة لهذه  
الأطر الدينية التي تحاول تفسير  
الأحداث السياسية، غالباً ما نجد  
تطبيقات لنظرية المؤامرة بمعنى أنه  
كثيراً ما يشار إلى بعض الأحداث  
الدولية وكأنها مؤامرة متفق عليها،  
والهم هو الكشف عن أطرافها  
المشاركين فيها.

ويبدو هذا واضحاً في تفسير  
المؤلف لوقائع حرب الخليج.

وهو يقرر أن حرب الخليج بالشكل  
الذي وقعت به، تؤدي دور الخلفية  
بشكل متفق لأحداث إعلان عن بدء  
نظام عالمي جديد. وبالرغم من  
الانتصار الباهر، فإن هناك من  
الحقائق المتضاربة ما يثير تساؤلات

ويحت جدولة النتائج للوصول إلى  
الاهتمامات العشرة الأولى التي  
تصدرت قائمة الاهتمام للشعب  
الأمريكي، وبعد ذلك تمت الاستعانة  
ببعض الشخصيات العامة من أصحاب  
الرأي المعروفين وعديد من المفكرين  
لمصرفة اهتمامات الناس في  
خمسة أسئلة، والتي تشكل عقل  
ووجدان الشعب الأمريكي، وفي الوقت  
نفسه يحاول الذين يتبنون فكرة النظام  
العالمي الجديد الوصول إلى إجابة  
لهذه الأسئلة الحيوية بالأساليب  
السياسية.

والأسئلة الخمسة التي توصلنا  
إليها هي:

- ١- لماذا توجد معاناة في العالم؟
- ٢- لماذا يوجد الشيطان في العالم؟
- ٣- هل سيكون هناك سلام عالمي دائم يوماً ما؟
- ٤- هل سيحب الإنسان أخاه الإنسان يوماً ما؟

ف من بين عشرات الكتب التي  
صدرت عن النظام العالمي  
الجديد والذي دعا لإقامته الرئيس  
الأمريكي السابق جورج بوش،  
يكاد ينفرد هذا الكتاب بتقديمه  
رؤية مسيحية لانهيار النظام القديم  
وولادة النظام الجديد، تركز على  
وجهة النظر الدينية للعالم. فمؤلفه  
من أبرز عناصر شبكة الإذاعة  
المسيحية. وهو على علاقات وثيقة  
برجال السياسة في الولايات المتحدة  
الأمريكية.

ومما يعبر عن الاتجاهات الرئيسية  
التي يصدر عنها المؤلف والتيار  
الديني الذي يمثلها حقائق تليفزيونية  
خاصة تذاخ تحت عنوان «الإنسائي»،  
أسأل الرب، وقد قامت شبكة الإذاعة  
المسيحية بإجراء استطلاع للرأي من  
خلال معهد جالوب للقطاع عريض  
ومثل الشعب الأمريكي للإجابة عن  
سؤال الافتراضى متباه: «إذا كان عليك  
أن تسأل الرب سؤالاً واحداً، فماذا  
يكون؟»

# اليهودى الجديد

من

المقائد الراديكالية

إلى

تعاليم الإنجيل الثورى

بات روبرتسون

ترجمة : مدحت طه

(رب مكتوب) فى مواجهة النظام العالمى الذى يعلى مملكة الشيطان.

ويات روبرتسون مؤلف الكتاب هو مؤسس ورئيس مجلس إدارة شبكة الإذاعة المسيحية CBN ورئيس مؤسسة الإعلام الأمريكية ورئيس قناة الأسرة التلفزيونية ورئيس حملة البركات التبشيرية وهو أيضاً أحد مرشحي الرئاسة عن الحزب الجمهورى أيام انتخاب الرئيس كارتر.

والمؤلف من المسيحيين الأنجليكان بيتر بدولة دينية تحو عن العالم آثامه، من خلال التحالف العفالى بين أنصار المسيحية الإنجيلية المتعصبة مع أنصار اليهودية المتعصبة، ويرى الطرفان ضرورة التحالف للقضاء على كل فكر مناهض لهما.

كانت هذه الأفكار، وما يحتوى الكتاب من تأسيس تاريخى لفكر الأممية والكونية، كما يروج لها الآن، دافعا لترجمة الكتاب كى يلقى الجميع فى المنطقة العربية - على حقيقة

وسط إعصار التفسيرات الدولية، وانهيار النظم والقيم على نطاق واسع، وبعد انتهاء حرب تحرير الكويت إلى ما انتهت إليه ثم الدعوة إلى مؤتمر مدريد، وغسرها من التذاعيات على المستوى الدولى الإقليمى، صدر كتاب النظام العالمى الجديد فى أكتوبر سنة ١٩٩١م لمؤلفه بات روبرتسون.

وهذا الكتاب يقوم بتحليل لحقيقة ما بعد الحرب العالمية الثانية مشيراً إلى جذور النظام العالمى القديم الذى انهار مع انهيار الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة ثم يطرح رؤيته للنظام العالمى الجديد الذى أعلن قيامه الرئيس جورج بوش عقب انتصار قوات التحالف فى حرب الخليج وهو فى تطيله للنظام القديم وفى رؤيته للنظام الجديد وخاطب المواطن الأمريكى محذراً إياه من مقبة النظام العالمى الجديد ثم يروج الفصل الأخير من الكتاب لأفكاره التى تمثل دعوة مسيحية أصولية لنظام إلهى، مبشراً بهذا النظام الذى يعلى مملكة الرب

شديدة الأهمية عن اكتمال جذور تلك الحرب وتتائجها المطلقة، هل من الممكن أن تكون حرب الخليج فى حقيقتها مذبحة؟ فكر ملياً فى هذه الحقائق التى لا يمكن رفضها.

ويسترد المؤلف فى سرد وقائع حرب الخليج فى ضوء نظرية المؤامرة الدولية.

وأياً ما كان الأمر، فإننى أعتقد أن ترجمة هذا الكتاب المهم إلى اللغة العربية مسألة بالغة الأهمية، لأنها تكشف عن رؤى التيار المسيحى الأمريكى فيما يتعلق بالنظام العالمى الجديد، ومستقبل الإنسانية فى القرن الواحد والعشرين.

وقد بذل الصديق الدكتور مدحت طه جهداً فائقاً فى ترجمة النص الإنجليزى بلغة عربية سلسة وهو بهذه الترجمة يضيف إلى المكتبة العربية كتاباً مهماً يستحق أن تقرأه ونحلته، لكى تكتمل صورة الرؤى المتضاربة للنظام العالمى الجديد

السيد يس

دعاوى الأممية والكونية بما تحمله من شرور وتدمير للشخصية الوطنية.

وكان إصرار المؤلف على إبراز الوصايا العشر كمستور، يجب، كما يرى، أن ينهى عليه النظام العالمي الذي يقترحه على الأمريكيين كملأة، وطريق أوحده للخلاص من تبعات النظام العالمي الجديد دافعا لترجمة هذا الكتاب الذي نشر منه في مجلة «القاهرة» جزءاً مهماً، لتسلط الضوء على وجهة النظر تلك كي تتعرف على بعض مما يدهم توجهات الكونية والشعورية في عالمنا المعاصر، والدعوة إلى الفكر الإنساني المجرى من الصناسبات - التي تختلط بمفاهيم الشخصية القومية، والسيادة الوطنية.

#### مدرسة الاقتراء (الفضيحة)

في كتاب «من القوة» الذي أصدره مجلس العلاقات الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية بقليل، وضع مجموعة من صفوة المحللين بالجلس بقيادة هانس بولدوين فناعة مفادها: «إن هذا النهائي، حتى وإن كان بعيداً بعشرات السنين أو حتى قرون، يجب أن يكون عالمياً واحداً، ويجب أن نحاول دائماً أن نتخارى، ونحجب الفخايا، ولنتوحد لمنع تقسيم أوروبا إلى معسكرين».

وقد سيطر رعب نشوب حرب نووية حقيقية إلى حد كبير في عام ١٩٤٨، وكان الخوف من التدمير الشامل يبدو موضوعياً وبالغ الأثر، وقد أدت تلك الرؤية - لسوء الحظ - إلى ردود فعل شريرة. وللأسعير عن المعطيات السيئة وراء ذلك، كتب بولدوين «يبدو وجه الغد خالياً من السلاح، فنحن محاسرون في «زمن الأزمات». إن صور التدمير الشامل التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية، جلبت إحساساً مغزيباً بالفرع المذهل، والذي تغلب على المنطق، وتبدى في المخاوف غير مبررة من نهاية العالم».

ويمعنى بولدوين يقول: «لقد فتحنا غطاء الصندوق السحري للشيطان، ولا نستطيع الآن أن نعيد الجلي إلى الصندوق. قد لا نحبب بهذا، أو نقبل به، ولكن يجب علينا مراجعته». إن القنابل الذرية، والبيولوجية، وغيرها من أسلحة التدمير الشامل تعيد الآن جزءاً ثابتاً من تكوين المجتمع الإنساني، ولا يوجد نظام عضوي مثالي للتحكم في كل هذه الأسلحة».

ثم يضيف: «ولكن حرب اليوم - الحرب العالمية المتروكة - يمكن أن تؤدي إلى كون مشوش وهلامي. ولذلك فإن وجه الغد هو وجهه الخطر، ويجب أن نتسوق «زمن الأزمات» بينما يطمح الإنسان أن يكون في سلام مع نفسه».

المحققة، أن هذه الرؤية لعالم متأزم تراجعت بصعوبة خلال الأربعين عاماً الماضية. وقد كتب المحامي العام السابق روبرت كينيدي، شقيق الرئيس جون كينيدي، ذلك «عاطفياً بكاد يكون إنجليكياً» للسلام العالمي، ونظاماً عالمياً جديداً في كتابه الذي صدر عام ١٩٦٧ بعنوان «البحث عن عالم جديد».

ويعتبر جوهر هذا الكتاب بمثابة أنشودة للتسبيح بانقصار وحدة الإنسان، واندماج جميع الأجناس والثقافات، وضرورة «بناء مجتمع جديد للعالم».

وكان في هذا الكتاب، إعلان ترشيح للشقيق الأصغر، لسباق الرئاسة في الولايات المتحدة، وفيه أيضاً نادى بمطلة ومخالفة الشباب (أم القوى المنطوية في المستويات وأرسل التسبينية) لمعارضة أي شعور بالملاجرى أو التبع، والظرة للفعية، والجن، وحب الراحة، وذلك لجلب قوة تستطيع أن تعيد تشكيل مصير العالم. ولكن هذا المصير، كان تحدياً لم يرض المؤلف لتحقيقه.

#### من داخل البيت الأبيض

بعد سنوات قليلة، في ١٤ فبراير سنة ١٩٧٧، في خطابه لمصلى دول عديدة، ممثلاً للمجتمع الدولي - قال الرئيس المنتخب **جيمي كارتر**:

«أريد أن أؤكد لكم أن علاقات الولايات المتحدة مع الدول الأخرى، وشعوب العالم سوف تسترشد - خلال إدارتي لشئون البلاد - برغبة في تشكيل نظام عالمي أكثر استجابة لمصالحات الإنسان. وسوف تلي الولايات المتحدة بالتزامها للمساعدة في خلق نظام عالمي مستقر وعادل، وفي سلام».

وقد لاحظ معظم الأمريكيين - بصعوبة - تصريح الرئيس الجديد المتميز، أو أدركوا أنه كتلميذ لدايفيد روكفلر، وعضو سابق في اللجنة الثلاثية ومجلس العلاقات الخارجية، ذلك الديموقراطي الجنوبي، الذي ولد ثانية كان يرسل تصريحاً متعمداً وديقاً عن رؤية خاصة لحكومة عالمية.

وفرجه معظم الأمريكيين، وبالتقدير نفسه، عندما علموا أن فكرة نظام عالمي جديد، واستخدام المصطلح نفسه، ليس بجديد على الإطلاق بالنسبة لمئات المثقفين، وأساتذة الجامعات، ورجال السياسة العامة في هذا البلاد.

إن أقساماً بأكملها، وبرايم الدرجات الجامعية في عشرات الكليات والجامعات، بنيت حول هدف بناء مستقبل بديل للعالم، وحمى القضاء على النظام الحالي، والدولة المستقلة ذات السيادة، من أجل حكومة واحدة للعالم.

ويالتحالف مع أنصار المستقبل، وأنصار البيئة، والاقتصاديين، والمتخصصين في مجالات أكاديمية أخرى عديدة، خلق هؤلاء المعترفين من أنصار النظام العالمي، صناعة كاملة قاضة بذاتها وفكر عقائدياً شاملاً.

وهناك العشرات من المراجع، والأدلال، والصادر للبحافية التي نشرت عبر السنوات الاثنتي عشرة الماضية، لدعم هذه الدراسة، والمساعدة على تسهيل خلق نظام كامل من المصطلحات والمفردات اللغوية انبلاعية لخدمة أهداف السلام، والعدل، والبيئة.



نستلج أن ماركوبه تركدوتقيل خلال القرن  
الماضى، مازال قابلاً للتطبيق.

إن العالم الذى يتصاعد للوجود، مازال  
معرفاً ببقايا العالم الذى يتلاشى من الوجود،  
ويوسط للشئون الإنسانية المتزايدة، لا يستطيع  
أى إنسان أن يقول كم من المعاهد القديمة،  
والمعادن المألفة من الماضى سبقتى، وكم  
مهما سيخفى تماماً؟ فإذا لم تخف بعض  
من معاهدنا القديمة، - ويطلق الكتاب فى كآبة  
- فإن فرصنا فى البقاء ستكون ضئيلة  
لغاية،.

ومن بين كل التطبيقات المرعبة لمثل  
هذه التحصينات، فإن أكثر الدلائل إثارة  
للخطر، والتي تؤثر فى جميع أرجاء الأرض،  
وخطورة هذا النوع من الفسحة المثالية على  
المستقبل من خلال الثغرات الأكاديمية التى  
نجدها فى الكتب ذات الدلالة التى نشرها  
معهد سياسة العالم للقائم فى مبنى الأمم  
المتحدة ببنوبورك، تمت عنوان «دراسات  
السلام والنظام العالمى: دليل  
المنهج».

إن هذه الكتب تعطى نظرة متكاملة  
لأكثر من مائة موضوع رئيسى عن النظام  
العالمى، به برامج دراسية فى الكليات  
والجامعات الأمريكية، مع المؤتمرات  
التدريبية، وللصحف الخاصة بالأهداف،  
وتؤكد هذه الكتب الدرجة التى لا تصدق من  
الانحياز بتنفيذ فكر النظام العالمى الجديد فى  
الأكاديمية.

#### تعاليم الإنجيل الثورى

بالنسبة لمعظم هذه البرامج، لم تعد لغة  
النظام العالمى الجديد مجرد نظرية أو محض  
بلاغة - بل إنها صارت بمثابة إنجيل ثورى،  
وفى أى من الكتابات التى عرضت فى هذه  
الكتب، كان التردد الوحيد فى التعبير صراحة  
عن شعورهم للواضح أن القومية (أو للكرامة  
الوطنية للدولة أو لولاية أو منطقة معينة)  
مسورة زائفة للأيدولوجية، وديداصور  
سياسى.



تروفسكى



لينين



روزنفلد

ولكن علماً نحن الانقراضات نفسها،  
أو حتى الحقائق المذكورة، لم تكن أقل تزمناً  
فى الماضى عن طبيعة النظام الكونى، وعن  
تفوق جنس على بقية الأجناس، وطبيعة  
دونية المرأة بالأسوة للرجال، وكذلك عن  
النظام الإلهى للمجتمع الطبقي، والضرورة  
المطلقة لتكثيرة الدولة، كل هذا مهد الطريق  
للمخطط المتزايد للعلم والواقع، ويمكننا أن

#### من البرج العاجى

فى السنوات القليلة الماضية، اندثقت هذه  
الأحلام المثالية عبر تيار مستعمر تنفق من  
برج عاجى - فى كتابهم الصادر عام

١٩٨٣:

استقراء السياسة الخارجية الأمريكية  
(رؤية طبقاً لعلاقاتها الصحفية)، قام  
الأساتذة، شارلز ديلوى، كيجلى، ورايوجين  
آر. ويتكوفت، بسلسلة من البحوث المبدئية  
بواسطة نخبة من المثقفين، والرواد (أصحاب  
المهوبة والشهرة فى مجالاتهم) حول فكرة  
دولة عالمية عظمى.

يندعم من هذه الرؤية الأبوكاليسية  
لنفسها (لنهاية العالم) - عن أزمة العالم  
والمستقبل المتوتر - ألح هؤلاء الأساتذة  
الجامعيون بكل جرأة، ودون مقدمات على  
إقامة حكومة واحدة للعالم، والتي يمكنها أن  
تتجاوز الهوية الوطنية فى مقال واحد، يقول  
هنرى ستيل كوماجر:

«إن الحقيقة التى لا مفر منها، والتى  
تؤكدها أزمة الطاقة، وأزمة السكان، وسباق  
التمسح، إلخ، هى أن القومية كما عرفناها فى  
القرن التاسع عشر، وأغلب أصوام القرن  
العشرين، تبدو مفارقة تاريخية كما كانت  
حقوق الولايات عندما روج لها كالمهون،  
وحارب من أجلها جيفرسون دافيس».

وكما نعلم تماماً، أو كما يجب أن نعلم،  
فإنه ليست هناك مشكلة من مشاكنا الداخلية  
يمكن أن تدخل داخل الحدود المصطنعة  
للولايات، كذلك فليست هناك واحدة من  
المشاكل العالمية يمكن أن تدخل داخل الحدود  
المصطنعة للدول - المصطنعة فى صيرون  
الطبيعة أكثر منها فى وجهة نظر التاريخ».

ويستطرد الكتاب قائلاً:

«من كل الافتراضات التى ناقشناها، فإن  
تلك التى تؤيد الذرة القومية هى أكثرها  
تجوراً، والتى تمتد جذورها فى العمق».

## النظام العالمي اليمودي الجديد



الروح الشجعية في التعليم العالي. وبالإضافة لذلك سوف تضع الجامعة درجات علمية أعلى على مختلف الموضوعات الدولية من أجل تخريج الجامعيين الشجعين للنظام العالمي الجديد، ووضعى الإستراتيجيات في المستقبل.

جداً إلى جذب مع القراءات المطلوبة لأعمال، ريتشارد فولك، ويومينستر فولس، يدرس الطلاب كتابات نورمان كوليتس، ومارجريت مود، ورونيال إلمبرج، وغيرهم من المشاركين في صنع الأدب والفكر المعقادي لهذا النظام الثوري.

إنها أصوات أولئك الذين يدركون أبعاد الرؤية الدولية. وفي المقابل يقرأ الطلاب أعمال أولئك الذين أدبروا النظام العالمي للقيم، أمثال هنري كيسنجر، وبريونسكي، وسيروس فانس.

### العقائد الراديكالية

تقوم كريستين سولمستر بتدريس فصل دراسي تحت عنوان: بذلك المستقبل للعالم، في كلية جيتسبرج في بنسلفانيا. وهي تكتب قائلة:

«إننا معرضون للخطر من كيانات تشجع قيام حرب عالمية، والتمرد للخطر الشامل غير المتسامي، وسوء استخدام البنية، وانتهاك حقوق الإنسان، كما أن رؤيتهم عن الكائنات تتناقض رؤيتنا. ونحن أيضاً ناهبون لخطر يدير في عدم قدرتنا أو كرامتنا للتفكير بشكل حاسم وخلاق في الخيارات المطروحة علينا. نحن، في الحقيقة، محاصرون في عالم من الظلم المزمن، والشلل الفكري».

إن هدف فصلها الدراسي هو:

(١) أن تنشئ سياسات تشكيل هوية الكائنات.

(٢) التركيز على المصادر الكلية للخطر المحيط بنا.

(٣) كسب تقدير الدارسين للمداخل البديلة للإدارة الدولية للعالم.

ويصبر هدف واضعي البرامج في «يوس.إل.إيه»، وغيرها من التجمعات لتقنين مبادئ المعرفة لجعل جديد من الأمريكيين، عن طريقة تفكير دولية، غير ستانوكية. إن هذا ببساطة يعني خلق كيانات تعليمية لتعديل طرائق التفكير (اقرأ الآتي: «التحكم في عملية للتفكير»)، وقبول النظريات المثالية، والتي تؤدي في النهاية بالضرورة لنشاط ثوري.

ويصرح أحد مديري هذه البرامج، أن متطلبات الالتحاق المبدئية بهذه البرامج، هي توفير «هقل مفتوح»، ويمكنك تذكر مثل هذا الانفتاح العقلي الذي كان هدف المعلمين الذين وصفهم «الآن بلوم» في كتابه الذي يفتح الأذهان للمتيقنة، غلق العقل الأمريكي.

إن الطلاب مستفتحى العقل، هم هؤلاء الذين يؤمنون أن كل شيء نصيبي، وأنه ليست هناك حقائق مطلقة، وأن الرؤية الاشتراكية هي المدخل الواقعي الوحيد للحياة والمجتمع.

وحسب قول الأستاذ/ والكرويش، إن الهدف بعيد المدى لبرنامج النظام العالمي الجديد في جمعية الشبان المسيحيين «يوس.إل.إيه»، هو تقديم برنامج تمهيدى في التفكير الدولى لكل طالب. إن هدفهم باختصار، هو إلقاء الضوء مرة أخرى على

ويصرخ بيترديل سكوت، الأستاذ بجامعة بيركلي، وممثل كندا السابق في الأمم المتحدة، في مقدمة الطبعة الرابعة، «إن دراسات السلام، بينما هي ليست بالضرورة مخصصة للإتراحات الراديكالية لتقضاء على المشاكل الدولية، فإنها مازالت تدين بالولاء لوجهة نظر أشمل للمفكرين والتي تطرى على هذه الانشقاقات الراديكالية للوضع الدولى الراهن».

ويبقى المؤلف على الإثارة في مثل هذه البرامج البعيدة، حيث تشجع كلا من «الإدراك العالمي»، و«موقف النقد الذاتي»، وللذين يفران التغيير.

وتعتبر مصطلحات مثل، النظام الذاتي، والقانون السلطوى، أفكاراً ندية في هذه البرامج، بينما أفكار مثل الوحدة الكونية (العالمية)، والفوضى السياسية مخالوات فوضي محل تهويل.

وقد نعت الطبعة الثالثة من سلسلة أدلة للدورة خطوطاً عامة ذات مغزى لدورات واسعة المجال في موضوعات الأسمية (الدولية)، والتي تدريس حالياً في المدن الجامعية، وحسب قول المؤلف، من سائناكلارا وحتى هارفارد.

وكانت المحاضرات للسنة التي نشرت في تلك الطبعة الأكثر دلالة على ما يزيد على أربعمائة إطار لدورات وبرامج وضعها رفاق الجامعات والكليات من كل أنحاء أمريكا.

وفي «يوس.إل.إيه» بوصف هدف «برنامج الموضوعات الدولية» في الطبعة الرابعة للدليل، بأنه لإختبار للموضوعات، والتي حوت الكرة الأرضية إلى كوكب مترابط يعتمد على بعضه البعض، وأيضاً لإعداد الطلبة لتحمل فكر العالمية، وتعمل تبعاتها، وفيهم حقوق المواطن، والقيم الشخصية، حتى يمكنهم النعيش في القرن العادى والعشرين في قرية عالمية.

(٤) تشجيع التفكير الخلاق والملمح في المستقبل.

ومن بين القرارات المقررة على الدارسين كتاب «الموجة الثالثة» لـ ألفين توفلر، ورواية «الطريد» لأوسولا لوجيون، و«نحو نظام عالمي عادل» لريتشارد فولك و«صمويل كيم» وماثيو مندلوغيتش، و«الجلس البشري في نقطة التحول» ليجالو ميساروفيك و«ادوارد هيسنت» و«البوان الشيعي» لكارل ماركس وفريدريك إنجلز.

وتشمل القرارات الإضافية «الدين» والمستقبلية، و«نماذج التفكير الاجتماعي» لإيليزو بولنجر، و«بناء نماذج الحواضر» والمستقبلية، والتحويلات مدخل لمستقبلات العالم البديلة، لهاري آر. تارج.

من الحلول التي استكشفتها الطلاب في فصل سيلمستر هذا، إعادة النظر في أيدولوجيات المدينة الفاضلة، مثلما نراه في قصص الخيال العلمي لـ «لوجيون»، ومراجعة النماذج الهندسية للمسكوكين والاجتماعيين، ومراجعة معمقة للكتابة عن مبادئ التحول الإنساني.

وفي كل من «أمهرست» و«سنّي» وشايل هيل، و«برنس تاون» تركز فصول النظام المالي بشكل خاص على الموضوعات النسائية.

ثم في جامعات فلوريدا، وكورنيل، وفيرمونت، واليوري الشمالية، وكولومبيا، تركز الفصول الدراسية مباشرة على الفكر العقائدي، لتعليم كل من الأساندة والطلاب لغة وتعليم النظام العالمي الجديد كمعتقد.

ولإتمام الرؤية الدولية، يعتقد واضعي النظام ضرورة تدريب زعماء المستقبل من لقاع إلى القمة.

وفي برنامج الإدراك العالمي لجامعة فلوريدا الدولية، والذي استضافه كلية التربية، كان السلوك العام، وكان الجامعة

المسئول عن تشكيل مستقبل العالم، وذلك بحث طلابها على التفكير من زاوية دولية.

وكان الهدف المطلق للبرنامج، تدريب جيل من الأساندة يمكنهم رؤية الأشياء من منظور دولي، بدلاً من النظرة القلتيدية للأمسور من زاوية المجتمع، أو الأمة، أو المنطقة.

ويقول الأستاذ آرثر نيومان من جامعة فلوريدا:

«إله من الفضاء، دون شك، أن نعرض بمذاجة أن الكليات في العالم يمكنها تمزيكه عصا سحرية لتشارك في الألف عام الجديدة التي سيملك فيها المسيح الأرض».

وعلى الجانب الآخر، فإنه لا يفكر اقتراح العكس، أي أن الكليات الجامعية عقيمة في إحداث إدراك لضرورة الاندماج في الهوية، والارتباط بالجلس البشري في العالم كله.

في التطبيق، يهدف بحث نيومان إلى التقليل من قيمة المولطف، والمعادات والتقاليد، والمعتقدات التاريخية المرتبطة بالقرمية، والسيادة الوطنية، والشعر الوطني، من أجل تشكيل جيل جديد من المؤمنين بالأممية.

وتركز الفصول الدراسية في كل من «سيراكيوز»، و«فيرجيليا»، و«ديوك» و«تافتس»، و«دنفر»، على موضوعات حقوق الإنسان، وإصلاح السياسات الاجتماعية للبلا.

وفي «سانفررن» و«كولجيه»، و«بوسطن»، و«براون»، و«سنّي»، و«برنس تاون» وغيرها، فإن الطلاب يمكنهم أن يركز على العسكرية وسباق الصلح.

### زلام الدراسة الأميون

تقوم برامج أخرى بالتركيز على الاهتمامات البديلة، وعلى ظاهرة الجوع وسياسات توزيع الغذاء، والنظريات المتعلقة بالاقتصاديات الجديدة الدولية. لكن وجهة

النظر تظل مستقبلية، وتطبق رؤى بديلة، وغيرها من المعاني الوهمية لاستكشاف النظرة الموعودة للعالم الأمي، والذي يملون أنه أقرب ما يكون إلينا.

وتقوم حوالي مائة وخمسين مؤسسة، ووكالة تمويل، ومجالس البحوث من منظمة المغو الدولية إلى جمعية مستقبل العالم، بتدعيم البحث والتطوير لكل هذه البرامج.

ويوجد عشرات الأفلام، والمصادر الإعلامية جاهزة وتحت التصرف. وتتضافر جهود عدد غير قليل من الجامعيين المرموقين، ورجال الإحصاء، والطعام، مع آخرين من مجالات الطب، والتشريع، والنشر، والعقائد، لجعل المجتمع الأمي بأكمله واحداً من الصداقات الحديثة للهائلة، وغير المسبوقة في عالم اليوم.

ويحذر الأستاذ/ ريتشارد فولك، من جامعة «برنس تاون»، من المساهمين الأساسيين في وضع المعجم الجديد لدراسات النظام العالمي.

ففي كتابه «نهاية النظام العالمي» - ساهم فولك في إيضاح الأهداف والغاية من سياسات النظام العالمي، داعياً لإعادة توجيه السياسة القومية والفيدرالية من أجل تحقيق حكومة أممية واحدة للعالم.

إن التصريحات في مثل هذه الأعمال، تبدو مدققة وغير عاطفية إلى حد بعيد، ويصعب على المرء ملاحظة تلميحاتها الثورية المكشوفة.

في وصف جوهر الدراسات للنظام العالمي يكتب فولك:

«يمكننا القرن - بناءً على عدم الرضا بالنسبة للحلم الهمني - إن مدخل النظام العالمي يقتدر بشكل حساس قابلية وإعالية الإنسانية في سياسات العالم، ويفترض أطراً سياسية بديلة، واضعاً في الاعتبار إستراتيجيات وسيناريوهات يمكنها أن تسهل

الانتمثال لشكل النظام العالمي لما بعد الإستراتيجية.

علاوة على ذلك، فإنه يعتبر إدراك قيم السلام، والرخاء الاقتصادي، والعدل السياسي والاجتماعي، والتوازن البيئي، والحكم الإنساني على أنها المعيار المحدد لمدى التقدم في الشؤون الإنسانية، أكثر من مجرد المكاسب المادية والتكنولوجية. في كلمات أخرى، يساعد هذا الأسناد على تطوير وتحديد نظام أكاديمي يلمحس قيام ثورة على مستوى العالم كله، ضد الشعور الوطني كما عرفناه في مقابل حكمة الاشتراكية واحدة للعالم. وبهذا يقل من شأن التقدم التكنولوجي، والملكية الخاصة كمعطيات للنظام العالمي المعسرى القديم، المبني على فكرة القومية، فهو يدعو لزيادة نفوذ شئون البيئة، وحقوق الإنسان والأنشطة الاشتراكية.

تماماً مثلما حدث في ثقافة المهيز، في الستينيات، فإنه في هذه الحركة كانت ثلاثة اعتمادات عليها محوراً لجميع المناقشات.

(١) النشاط المناهض للحرب واستخدام الطاقة النووية.

(٢) البيئة، وحماية البيئة.

(٣) مبادئ ديانة جديدة لمعهد جديد من الأهمية.

ويقول فولك:

إن هذه الحركة تعرض المضطهدين ضد الصلوة المندوبة على حقوق الآخرين داخل وخارج الحكومة، والذين مازالوا مستمرين، في ترسيخ مستقبل نووي، مهما بدا ذلك مقنعاً.

إنني أفتأ، وليست هذه بدعوة، أن هذا الصراع سوف يتساعد في المستقبل، وسيؤدي الاهتمامات المناهضة للحرب النووية، مع غيرها من الموضوعات الأكثر شمولاً من مناهضة القوة العسكرية، وإرساء القيم البيئية.

## النظام العالمي اليهودي الجديد



للحرب، والذي كان مستعداً للإصلاح عن أفكاره، وتحمل المعاناة من معتقداته غير المألوفة. وما هو أكثر أهمية من ذلك، أنه أيضاً نموذجاً للزعيم الديني في المستقبل، والذي يعتقد فولك أنه سيظهر في المستقبل لقيادة العالم، فهو يقول:

«رما كنا في انتظار جروتشوس، والذي يمكنه أن يعلمنا كي «نرى» أرض الظلال (للحول السواسي)، دون فقدان القدرة على الاقتناع، والذي يوائم ظروفاً دولية تؤمل للتنمية الدولية، والتي يمكن أن تنطلق من المقدمات المطلوبة لنظام الدولة».

لقد جاء جروتشوس من بلد مستقل في الشمال الهولندي في أوروبا.... إن العالم الرابعد المرتقب يتسوق أيضاً أن يكون جروتشوس في زماننا، إذا ما ظهر أو ظهرت سوف يجيء من دول العالم الثالث، أكثر من احتمال ظهوره في الدول الصناعية المتقدمة.

إن أرض الظلال (للحول السواسي) أكثر قرى لمن هم ضحايا للنظام القديم، والرواد العظام للنظام الجديد.... وبدون شطحات خيال أو أوهام، أنا أستقدن الأمل (الجروتشوس) يبقى أفضل أماناً.

ويقوم معهد النظام العالمي - الذي أنشئ عام ١٩٦٨ - بالتحقيق والدراسة فيما يسمونه «البدائل المستقبلية، لتحديد كيفية إزالة المصالح القومية. وفي صميم مشروعاته لنماذج النظام العالمي، عديد من الموضوعات السياسية التي تتعلق بالحد من التسليح النووي، وأنشطة حقوق الإنسان، والرخاء الاجتماعي، وتطبيقات نظام اقتصادي دولي جديد.

وتتشابه المصطلحات والأيديولوجيات لمراكز الفكر في كل البرامج بالاعتماد المختلفة. ومرة بعد أخرى يتم اختيار النماذج والأبطال بواسطة هذه الجماعات من المفكرين المستقبليين أمثال لينين، وماركس، وتروتسكي، جذباً إلى جنب مع هابستس، تونج، والمهاثما غاندي، وأدولف هتلر.

## صراع الطبقات مرة أخرى؟

إن ما يصفه فولك، هو زمن الحرب. وهو ليس بمختلف عن صراع الطبقات الماركسي. بين المضطهدين، الذين يحملهم قسائهم المأساليون، وبين من يراهم «الإمبرياليين، والسكريين في العالم.

ومما يثير الفضول، كيف أن مثل هؤلاء المستحدثين (المستعدين للحروب) أو ليس لديهم أي الكلمات المعادية للحروب، والذين لديهم أي درجة من التردد في التهديد بالعنف لتحقيق أهدافهم. وهذا يفتح عيننا كي نلاحظ أن هؤلاء الملاحين، يرون بعين المستقبل، احتمال قيام حركة دينية جديدة في دولهم، حيث يكتب فولك:

«في النهاية، هناك تساؤل يطرح نفسه، إذا ما كان هناك من وراء كل هذه المفاوضات، ديانة جديدة عالمية ستولد لخلق معتقدات، ورموز جديدة ويظل هذا محل شك رئيسي، وربما مصيري أيضاً».

ولكي يرسم نموذجه الفاس في للزعامة، يمد المؤلف للقرن السابع عشر، إلى هوجو جروتشوس، أحد المعلمين الأمان من ألباغ مذهب كالفن، والذي سجن بسبب أفكاره.

بالنسبة لطلبة الجامعات، يمثل جروتشوس النشاط المتطرف المعادي

الوحدة الأسطورية بين الروح والجسد،  
ويقول:

«معاً، نحن نشترك في السعي من أجل  
مجتمع من المساواة الكفية لاحتياجاتنا،  
مجتمع لا يكون غنياً فيه أن نقتل، مجتمع  
هو وريث للاستخدام الكامل للذكاء الفخّاق،  
مجتمع لا يحتاج فيه أن نحيا تحت ضغط  
طالقتنا الأخلاقية، حيث العدل له حياة قائمة  
بذاته،».

«معاً، يمكننا أن نحيا دون طمع، ودون  
شعور بالجزء،».

«هل هذا غلوذ حقاً؟، هل هذه فعلا هي  
الحياة التي رسمها الله للجسد البشري؟  
بالتأكيد لا. ولكن هذا هو نوع المساواة  
الأسطورية التي تخترق عقداً من أفكار  
النفسة الحديثة والعظم،».

وليس صحيحاً - مع مثل هذه المعتقدات  
الإنسانية، والافردية - أن يجد المؤيدون  
لأيديولوجية العالم الواحد سهولة واضحة في  
التزام كل أفكار الاعتزاز القومي، ومياداة الدول  
المستقلة بالرجعية وضيق الأنف،».

### العالم والأسطورة

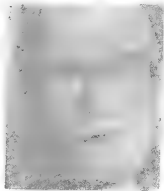
تلقى **فريديف كاهن**، أحد المؤيدين  
المحذرين عن فكرة العالم الواحد، تعليمه  
كعالم في الطبيعة في شيدبا، وباريس،  
وكاليفورنيا، قبل أن يصبح زعيماً لحركة  
العهد الجديد.

وقد أطلق كتابه «تار للطبيعات» (العهد  
الذي ابتقى منه كل وجود في الطبيعة) نجماً  
لأمام بين الراديكاليين من الساحل الغربي،  
وأنصار العهد الجديد، وذلك من خلال  
محاولاته لإيضاح العناصر السرية للعلوم  
الطبيعية.

ويضمن أحدث كتبه «الحكمة غير  
الشفاعة،» عدداً كبيراً من أحاديث المؤلف مع  
عديد من زملائه الجامعيين، وأصحاب  
الطريق السرية، والحكمة،».



كلتر



برش



رايون

يقول:

«لقد تلبأ بهاء الله (مؤسس العقيدة  
البهائية) بتجعات العلوم الحديثة  
عندما تبلى الوحدة السياسية للعالم، ويبدو  
واضحاً جاذبية هذا الفكر للمؤلف،».

ويستنتج **موزينز** في كتابه الأخير هذا،  
تصريحه بالإيمان، باعتقاده الأصل أننا  
جميعاً في رحلة مشتركة خلال نوع ما من

ويأتى المستوى والاستقرامات لهذه  
المعاجز، وللتحول الفكري اللازم لهذه  
الأنظمة، من ديانة «الزن، و«الهندوس»،  
ومن تجمعات العهد الجديد مثل «الإيست»  
و«الوحدة»، أو من الخيال العلمي - في أعمال  
مثل: «المضطهدون» للـ **جورج** - هل هذا  
بالفعل هو النظام الجديد الذي ينتظرنا؟!

### جشع الأممين

ويعد **نورمان موزينز** رئيس تحرير  
مجلة «ساندباي ريليو» السابق، وأحد أكثر  
الكتابات انتشاراً، والمختصر السابق مجلس  
العلاقات الخارجية، أحد الممارسين الأوائل  
لأدبيات النظام العالمي الجديد.

في آخر أعماله، التي راجعها، وأعيد  
طبعتها بعد وفاته في بدايات عام ١٩٩١،  
تحت عنوان «الأحتمال بالصياغة،» حيث  
يمرض حواراً سقراطياً حول الحياة والإيمان  
وموضوعات أسطورية.

في هذا الكتاب الذي نشر لأول مرة عام  
١٩٧٤، يضع **موزينز** صورة شبه شرعية عن  
«أحادية الحياة»، والتي أصبحت دون شك من  
فكر الهندوس وأساطيرهم، وهو يقول:

«وحدة الإنسان، هي تحقيق للتنوع، وهي  
تناغم وانسجام الأضداد، إنها نسج متعدد  
الخيزد، باللون والملمع معاً،».

ويضع **موزينز** الحكمة من وراء ذلك،  
حيث إن كل الرجال والنساء يضيئون  
«أحادية الإنسان»، فبينما حياتنا وتكون  
تكون «شخصية ومحددة»، فإننا جزء من  
مادة كونية «غير مترابطة ولا نهائية».

ويمثل هذه النظرة، ليس من الصعب  
تخيل أن **موزينز** يمكنه مناصرة فكرة  
حكومة واحدة للعالم، والتي تتخفف الفردية،  
والثباتية الشخصية، والوطنية، وحتى الملكية  
الخاصة، ويذكر **موزينز** أن الفكر للشرقي،  
خاصة في تعاليم البهائيين، يتسم بفكرة أن  
«الاختيار الحقيقي للقانون الروحي، هو في  
تطبيقه على كل مظاهر الحياة والدولة، فهو

## النظام العالمي اليهودي الجديد



وهو يقترح قاتلاً (إن إحتصار الزارع  
الدينى) فى هذا القرن، هو وحده الذى ساعد  
على تقليل الصراع الاجتماعى. لكنه يكتب  
بوضوح أكثر قائلا:

«هناك، هؤلاء الرجال، الذين يؤمنون أن  
ديناً كونياً، هو وحده الذى يدين له الرجال  
بلاء مطلق، ديناً يوحد الرجال على  
الإخلاص لإله واحد فى أخوة مشتركة، ديناً  
يساعد على التغلب على الانقسامات بين  
الرجال، وعبادة الوطن والدولة.

ومن الواضح أن المسيحيين يوافقون على  
أن الإخلاص يبنى نوعاً من الأخوة والتفاهم  
بين الناس، ولكن النظرة البرجمانية لهؤلاء  
الجامعيين كمخيب لاجتماعى ليس مريهاً  
بالضرورة.

على الرغم من ذلك، فإنه فى منوره  
التنرات اللقائى للمحبية الفاضلة فى منظور  
معاصر لنظام دولى جديد، فإن فكرة أن تبلى  
الدولة، أو مؤسسة سياسية ما أخرى توزيع  
السلطة، ليست مدعشة بالمره.

### الثقافة المضادة

فى بحث صدر عن جامعة هارفارد عام  
١٩٦٨، يقول الطالب (الأسستاز حالياً)  
ستائلى هولمان، تحت عنوان «أحوال  
للنظام العالمى»:

وخلال رحلاته فى قارات مختلفة،  
مشتغلاً على نطاق ضيق كنوع من الهواية  
بكل شيء، من الطبابعة الكونبية إلى  
الاقتصاديات، فإن هذا العالم المحب للفتون  
يفرض تصوراته الشخصية على بحث لا  
أمل فيها، من أجل واقع أسطورى، الذى  
يأمل فيه أن يكشف عن وحدة الكون فى كل  
أشكال الطاقة والمادة.

ومثله، كمثل أسوارات عديدة من أنصار  
العهد الجديد - حيث يهيم الباحثون فى  
الزمان والمكان، فإن كاهراً بعد ضحية  
لإلهاده الشخصى، وهو لاجئ من لاجئ  
ثقافة «البويرز» فى الستينيات، يهدق إلى واقع  
خفى مجهول فيما هو وراء إدراك الحواس  
الطبيعية له. وهو أيضاً يسط الآخرين بهدى  
النظام الاجتماعى القاتم، ومهمة البحث عن  
«رؤية جديدة للواقع».

ويصعب على المسيحيين أحياناً، فهم  
تبعات مثل هذه المواقف، حيث إننا  
(المسيحيون) نعتقد أن إلهنا قوى،  
وحيوى، وحي إلى حد بعيد، لكن من المهم  
إدراك أن هؤلاء اللخبنة من المثقفين قد أصابوا  
سلفاً «موت الله، وإندثار أثر ونفوذ الكنيسة  
فى الثقافة المعاصرة».

ويدهى البعض، أن نشر «البيان  
الشروعى» فى عام ١٨٤٨، كان إيذاناً بالموت  
الرمزى لمملكة المسيح.

وعلى الرغم من ذلك، فإن القلة اليوم  
هى التى تفشل فى إدراك الحاجة الملحة  
للأسس الأخلاقية فى المجتمع، أو حتى إلى  
القيم الروحية.

فى كتابه الكلاسيكى «مدخل للملاقات  
الدولية»، كتب شارلز هـ. شلنجر «إن  
الدين التقليدى هو قوة انقسامية فى المجتمع  
المعاصر، وهو يحض جماعة ما على أن  
تتحصن ضد جماعة أخرى حول موضوعات  
عاطفية، تشجع على نشوب صراعات  
دموية.

«يبنى الباحث الأروبي، هوبلر  
چاجوريب، التجربة بأن المسيح الرومى  
لحياة فى النظام العالمى القاتم، سيكون  
المساوية الأخلاقية، لا للكنيسة ولكن للخبرة  
من المثقفين. إنهم المثقفون - حسب قوله -  
الذين لديهم الرؤية الموضوعية لتمثيل  
«الوحدة الروحية للرجال، فيما وراء أى  
صراع للمصالح، والأيديولوجيات،  
والديانات».

والأكثر شراً من ذلك قول چاجوريب:  
«إن هدف رفاق الجامعة يتضمن «تعليم كل  
الأروام الرومانسية التى تتطو بالأيام الطيبة  
الخرالى، والأمن المتسامك العيين، الذى  
يتيح لهؤلاء الممبى، ومن أجل إقامة دين  
للدولة) يجب على الفريق الجامعى أن يعمل  
أولا للقضاء على دين الكنيسة. أى نوع من  
القوانين، تنموا فكرة دين الدولة للحفاظ  
عليه؟»

قد يكون من المفيد أن نلقى نظرة على  
بحث لإحدى الهيئات قوية التأثير، وهو  
«نادى روما»، فيجد وضع الخطط الفكرية  
المبدئية لنادى روما - فإن جماعة أنصار  
الموت، والذين يعطون بقانون الدم السكانى  
(صفر) - يؤيد كثير من أنصار النظام العالمى  
الجديد، الإجهاض كوسيلة عملية لتنظيم  
الفصل، وهم يؤيدون مبدأ القتل الرحيم،  
كمطريق نحو الإطلاق نظام جديد على أنقاض  
النظام القديم المتهالك، والمهلك وغير المنتج.

هذا هو الواقع الرومى الإنسانى لهم.  
ويذكر «نادى روما»، فى تقريره عام  
١٩٧٦، تحت عنوان «إعادة تشكيل النظام  
الدولى»، إننا نعيش فى عالم منقسم: فطلى  
جانب منه، عالم من الدول الغنية المتقدمة،  
وعلى الجانب الآخر، عالم المتخلفين الفقير.

وفى مقولة إن «حاجز الفقر، يفصل بين  
هذين العالمين، مادياً، وفضائياً، يكتبون:  
«هناك عالم متحطم ومفكك، والآخر غير  
متحطم أو مثقف: عالم صداعى مدلى والآخر

قروى تغلب عليه الزرعة؛ مجتمع استعلاكي، والآخر يصارع من أجل البقاء. ففي العالم اللغني يسود الاهتمام بتربية ورعاية الحياة، بينما العالم الفقير، الاهتمام فيه ينصب على الحياة ذاتها، المهددة بالمرض، والجوع، وسوء التغذية.

ويغيب الكتاب والباحثون في ذكر أن هناك اليوم بحثاً عن نظام جديد في العالم، وعن فلسفة جديدة، حيث الدولة الخفية مطالبة بالمساهمة في رخاء الدول الفقيرة، وهم يقولون:

«في كركوب يتداعى سريعاً، كان من المسمت ألا تقف هذه الفلسفة عند المحدود الدولية، وحيث لا توجد حكومة واحدة للعالم، فإن الدول الفقيرة تطرح هذا الاهتمام على المتحدث نيابة عنها، والأقرب لها، ألا وهي الأمم المتحدة».

وهم يلاحظون «أن الأغنياء لا يمكنهم إخفاء ثرواتهم في قرية كرونية، إن الاختلافات الشاسعة بين مستوى الدخل، تتلقى شكر الفقراء لها أو ربما بالتقابل، البراعة التكنولوجية للعالم اللغني».

إن مدى تلقيهم لهذه الهوية السميكة من الاختلافات سوف تلقى متغيّلاً متزايداً على المؤسسات الدولية، التي تعاني الخفك أصلاً، في عالم يكتمل على ذاته، ثم يضيفون أن «التعديل المطلوب على القدي البعيد، هو بلاشك، في المزيد من مساعدات الأغنياء للفقراء».

ويجب الإنسان كيف أن هذا يختلف عن الشيوعية في أقصى اليمين! إن ما هذا العرض، في حقيقته، هو أيديولوجية عرفت باسم إشتراكية الدولة، فهم يريدون عالمًا يدفع فيه هؤلاء الذين يعملون، وينجحون، ويتمتعون بمستويات معيشية مرتفعة، ليس فقط ضرائب متزايدة دائماً، بل أيضاً ضرائب إضافية لدعم الدول الفقيرة في العالم، والتي لا نعلم، ولا نتج بشكل فعال.

ولكن من المؤكد أنهم لا يتوقعون الحصول على المال من المصادر الموجودة لدعم هذا العالم الثالث، إنهم يطمنون، دون أننى شك، أن للدولة سوف تفرض ببساطة ضرائب جديدة. إن معنى ما يقولونه هذا، أنه علينا أن نأنت دفع ضرائب جديدة للدولة، لدعم العالم الثالث، ويجب أن نلق أن أموالنا هذه مستخدم في أغراض طيبة، وليس ببساطة أسلحة أكثر، وثروات أكثر، وفساد أكثر، وغيرها من العماقات نفسها التي أبقى العالم الثالث غور متج، وغور مجد عبر التاريخ.

إن باحلي نادى روما يقترحون معاهدة دولية جديدة؛ حيث يتخلى العالم عن «القوانين القائمة في اللعبة الدولية»، معاهدة تدعو في مفهومها النهائي، إلى حكومة عالمية واحدة. وي طرح كل هذا بوضوح كامل، ويتلخص مع بيان بالأهداف والرموز، في وثائق التقرير.

### حدود العقل

ويمكن التنبؤ بأن الباحثين للجامعيين أمثال ريتشارد فولك، لا يمكن سوى تجديد مبادرة نادى روما، والاستحصار بها في بحثهم من أجل نظرية جديدة للنظام العالمي. يقول فولك:

«يمثل نادى روما أكثر الجهات أهمية حتى اليوم، في جهوده لكسب التأييد لاستقرار المستقبل في تقديم معرفة جديدة».

وفي مشروعه الخاص في البحث المسمى «مآزل الجنس البشري» في عام 1970، عين نادى روما مجموعة من الباحثين في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا برئاسة جاي فورستر، وذلك للقيام بدراسة معقدة على أساس من العوامل الدولية المختلفة.

ويكتب فولك أن «هدفهم كان تصميم نموذج عالمي لتحليل ميرجم بالكمبيوتر حول العلاقات والتفاعلات في العمليات

الديناميكية، قبل استخدام المصادر الطبيعية، وإنتاج الغذاء، والمو السكاني، واستثمار رأس المال، والمنتجات الصناعية. وقد نشرت دراساتهم تلك في كتاب صدر عام 1977 بعنوان «حدود النمو».

يذكر عدد من المراقبين والمحليين في انتقادهم لهذه الدراسة، أن كمبيوتر فورستر كان يتعامل مع معلومات ناقصة، و«صراخ الضرب»، وبالرغم من ذلك، يخترف فولك، الذي كان وراء هذه الدراسة، أن علم المستقبل به خلل داخلي نتيجة التوتر بين الفكر العقائدي والتوصيات السياسية، حيث إن هذه الوسيلة «يقصد الكمبيوتر، ليست قادرة في الوقت الحاضر، على إقامة جدل متع إلا إذا دعت بمزايا موضوعية، مثل التقييم، والقيم، والأفضليات».

ولكن أسناد جامعة «برنس تاون، ريتشارد فولك، يستمر في مدح كاتب آخر، وهو ويليام إيريون طومسون، والذي وضع في اعتباره العقل التكنولوجي لتقرير نادى روما، ويدعو لإضافة عوامل ديناميكية روحية لإنشاء الحيوية على مثل هذه الدراسات الدراسية.

ويكتب فولك قائلاً:

«يعتقد طومسون أن الوعي الجديد، المبني على إدراكات روحية جديدة، وعلى تقدير واقع الثقافة في الأرض، يعد ضرورياً كشرط أساسي لأي درجة من الاستجابة الناجمة لأزمات النظام العالمي، والتي تعرف الآن حتى من قبل رجال الدولة».

وكما يشرحها طومسون، «إذا كنت تنوى إخفاء الإنسانية على التكنولوجيا، ان تقدر على ذلك دون الالتزام بالشرط المحددة في الكتب وزيادة على ذلك، يقول المؤلف «إن الرموز السياسية التقليدية فقدت كثيراً من معناها. فمن ناحية، هذه للرموز تنبع من الإغراء الإيجابي للترجمة الأخلاقية، والنماذج الشرعية التي تهمس التحول العام المفاجئ ضد الحرب غير

## النظام العالمي اليهودي الجديد



لاتتباع نموذج جون ديبوي في إعادة تعليم بطيء ومتواصل وقاس في الوقت نفسه التعليم الأمريكية.

وإذا تمسونا ثمار عملية جون ديبوي في المدى البعيد، يمكن لأي شك مهما وصل مداه أن يزول، عن الخراب الذي سينزله بنا النظام الجديد، لقد عاش النظام الأمريكي لكي يشهد الانهيار الكامل للاقتصاد السوفيتي، إن جورباتشوف الذي طرق أبواباً مستجداً، عاش تهاديات راضحة لحبائه أثناء انقلاب أغسطس سنة ١٩٩١، ثم خرج بهم من بوريس يلتسن الغامض.

لكن الآن... مع ما يبدو لنا كدليل جديد على إحياء ديموقراطية روسية - يتسابق الباحثون عدداً، مرة أخرى، في بذل ذرير مزايا أخلاقية للسوفييت.

يكب هولمان قللاً:

«إن متطلبات النظام العالمي تستلزم اكتشافاً مؤمناً لكثير من الأمريكيين، فاعلم أن يدركوا أن الآخرين لا يشاركوننا فيما، وممارساتنا، وأن العالم ليس حقلاً يمكن السير فيه، وتطبيق سياستنا المفضلة دون الإلزام من العقوبة».

إن تعليم الشباب طريقة جديدة في التفكير، يجب أن يبدأ في الأكاديمية. تعليم الأساتذة الذين يدرسون للطلاب، الذين يدرهم يدرسون في أشكال إنشائية بعينها للنظام، إنه اقتناع هؤلاء المتجدين للنظام العالمي، أن تغيرات دقيقة، ودهوب، وتدرجية في التعليم، لتشكيل عقول الشباب في تولد الديموقراطية، وهي التي ستحرز النصر الحقيقي للنظام العالمي الجديد.

يقول هولمان:

«إن سياسة نظام عالمي جديد، هو نظام من التعليم في الأساس، وبالجملة والخطأ، يجب على الزعماء الأمريكيين أن يبدؤوا للشعب ماذا يظنون من أفكار؟ ولماذا يجب تغيير السياسات التقليدية، وعليهم أن يحصلوا على التأييد الكافي لكي تتحول هذه التغييرات إلى قوانين جديدة، ومؤسسات، وتقاليده.

والمقاومة، وعدم الرضا داخل الحكومات القائمة، مهما كانت النظم القائمة عليها.

### حكمة الأكاديمية

هذه هي حكمة المؤسسات الأكاديمية. هذه هي لغة الخطاب التي ينشرها الأساتذة، والتي تصغر في عقول أطفالنا في هذه اللحظة.

حتى لو قبل هذه اللغة عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من الطلاب، أو استجابوا لها في نمط ما في حياتهم، فما هي التبعات التي تترتب على المدى البعيد لهذه الأيديولوجية الراديكالية؟

تذكر، أن فولك هو الرجل نفسه الذي يقول بأن ديانة جديدة (مفترض أنها شكل من أشكال دين المسند الجديد) ضرورية لتشكيل عقائد، وقرائين الديانة المسيحية، بل ورموز النظام العالمي الجديد.

كيف سيفوز هؤلاء الأساتذة العالم؟ هل يمكن أن يحدثوا تغييراً سطرافياً في سلوك شبابنا من الرجال والنساء؟

ويقول ستانلي هولمان، الأساتذة بجامعة هارفارد، في كتابه «الأروية والنظام العالمي:» «إن ما سيحدث، هو التكيف التدريجي للنظام الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي للولايات المتحدة مع ما يقبله النظام العالمي».

ومن الواضح أن الأساتذة تم إعدادهم

المعقدة، وهذا في ذاته نوع من الإنسانية العالمية التي تكثر التعاطف نحو أي منجبة للمجتمع. ومن ناحية أخرى، يمكن هذا الإغراء المتجدد للسياسات القروسية، مع معارضة كل الادعاءات عن الحياة المتطلعة في سيادة الدولة.

هل لذا أن نفهم هذه الملاحظات على أنها حقيقة، أم أنها مجرد فكر يرغب فيه الباحث؟؟ وهو بمعنى يقول:

«هناك أيضاً في الوقت الحالي الظروف والاحتياج لإعادة تقييم الأفكار المتعلقة بالمواطنة والقرمية والمصالح الوطنية».

إن عملية التكون الاجتماعي، والتي تمير في المجتمعات الأساسية في العالم، والاحتياج الضروري لضمان «الأمان» مع تحقيق وحدة العالم عليها، مع الانفصال القومي والإقليمي، ولهذا، فإن تعليم الشباب يمكن أن يساهم مساهمة كبيرة. ويمكن للإنسان أن يأمل في أن يبدأ الصفوة في كل أنحاء العالم في وضع دستور لهم يخدمه الأفراد الذين تطورا اجتماعياً بأسلوب يراه الصفوة في تلك الدولة، والتي ترتبط ثقافياً باختيار الوسائل اللازمة لتحقيق الأهداف الاجتماعية المرجوة.

ومن المشير حقاً، أن نجد المؤلف يلجأ إلى الملاحظات لنفسه التي أقرها مؤثر طهران للأمم المتحدة عن حقوق الإنسان، والتي تعلن أن على الدول المتقدمة التزاماً أخلاقياً بأن تهيب ١٪ من إجمالي الناتج القومي لها إلى الدول الفقيرة، ويلاحظ أن القانون الذي روجع حديثاً بالولايات المتحدة يناقش المبدأ نفسه.

إن هاتين الوثيقتين تتناقضان مبادئ المجتمع، في مقابل مبادئ السيادة الوطنية.

ويقدر فولك «أيضاً»، إنه بالفعل في كل الدول الكبرى تنمو جماعات مضادة لفكر الصفوة، من منظور مستقبلي ونولي للتنظيم السليم للحياة السياسية والاجتماعية. وحتى إذا فلتت هذه الجماعات في الحصول على السلطة، فإنها مستمرة في موازنة الدولة،



كتبها «الرقص في الضوء» لغة القدرة للاعتدالية لإله، حيث تصرح في نهاية الكتاب: «إني ما أنا عليه!! إن النظام المرئى للهدد الجديد، والنظام الذئوى الجديد لا يختلفان كثيراً في طموحاتهما النهائية».

وفي كتابه «التقنيات عبر الدول» الذى صدر عام ١٩٧٩، أوضح كارل و دويتش لغة المظلمين فى إعلانه، أنه من خلال الجهد المخلص والهدوب للمصلحين، ستصبح الإنسانية قادرة على تحديد مصيرها، حيث نرى فى هذا المصير أولادنا، وأولاد أولادنا، ستكون لهم الحياة، وستكون لهم أكثر مما كانت لنا.

من الواضح أن مثل هذه التصورات ليست فى حاجة إلى مملكة الله أو للمسيح، لأنهم مدفوعون فيها بالرؤية الجبرية بأنهم «سوف يكونون كالأله».

ما هى تبعات مثل هذه المعتقدات؟

فى الفصل القادم أود أن أختبر هذه وغيرها من الوعود التى يعد بها البرنامج الذئوى الجديد بتفاصيل أكبر، ومراجعة الخدمات بعيدة المدى للتقنيات، والتغيرات المستمرة لأمال الأمريكين وأهلامهم، وموقعها من العالم.

### نظام جديد للعهد الجديد

إن جزءاً مهماً من القوى التى تولد النظام العالمى الجديد لا تتركه مجرد الاهتمامات الاقتصادية، والاجتماعية، أو البيئية.

فن المؤكد أن أكثر اللاعبين أهمية، هم وبوضوح يرتكزون على المؤسسة - البنيكية - والشركات الكبرى فى علاقتها مع رموز الأموال الكبيرة، وهدفهم الأساسى فيما يبدو التحكم فى القوة البنيكية لحكومة عالمية، جنباً إلى جنب مع القوى التى تأييدها مثل هذه السلطة على السياسيين المنتخبين، وعلى سياستهم.

على أية حال، فإنهم عدد مناقشة الأبعاد الروحية للنظام العالمى الجديد، ويخزون - بكل الوسائل - مظهر ما عرفناه باسم العهد الجديد.



جونسون



كلينتون



مارتنى تونج

محاكمة للبشر بالتعذيب، وغيرها من أفعال الحاية الإلهية.

«إننا نحن أنفسنا نملك السلطات الإيجابية والسلبية داخلنا، لأننا نأتى من خلاله، وهذا ما كانت عليه الحال دائماً».

«إن مثل هذه الأفكار لا تختلف كثيراً عن تلك التى أعلنتها شعوبى ماكلين فى احتفال العهد الجديد، والتى أوضحت فى

ويجب على المشتغين الأمريكين الاستمرار فى المحاولة، بأن يتصرفوا وكأن عالم المظلمة هو مملكة الصماء؛ بل تدوير عامة الناس والزعماء وتبصيرهم بمشاكل العالم الحالى، واحتياجات النظام العالمى، وخطر «السياسة كما اعتدناها».

### المخلصون المزيون

منذ بدأ جون دويتش مهنته للمرموقة فى كولومبيا، مغيراً وجه الحقيقة، ومشكلاً لقيم ومبركات الطلاب الأمريكين، والأساتذة، ظلت المؤسسة الذئوية - فى صبر وإصرار - تنقل من شأن القيم الأمريكية المتوارثة، وهم مؤسساتها الأخلاقية.

وكان السبب معروفاً فى الأساس، بكل الرمنوح فى لغة الشيوعية، والاشتراكية والإنسانية، والفرصية.

أما اليوم، فإن النظام العالمى الجديد يطرح لغات جديدة شاملة، بل أيضاً برنامجاً أكثر غسداً لإعادة تشكيل عالمتنا حتى نهايته.

إنها لغة كولونية، ودولية، وروحية فى طبيعتها، وحيث إن هذا النظام يجب معه، فى لغته الأصلية، معالم نهاية العالم، فيمكن اعتباره أكثر الرضى تهديداً للواقع على الإطلاق. إن المنافع الزائفة للإنسانية، تدين بالولاء لبرنامجهم التراديكالى، وإن يدخروا جهداً أو وسيلة يملكونها لكى يصلوا إلى نهايات هذا البرنامج.

وإنما كان علمهم بطيئاً «كعمل الرياح والمطر، أو سريعاً، كالنورات العسكرية، فهم ملتزمين بهذا الصراع».

يقول «إيريك فون دايكن»، أحد الطلاب الحالمين فى كتابه «ذهب الآلهة».

«أظن أنه مع الدخول فى الألف عام الثالثة بعد ميلاد المسيح، سوف تأتى نهاية الشرك الذئوى، لا محالة».

«دفع الافتراض بأننا كنا جزء من الله، فإن الله لم يعد مضمكراً أن يكون رحيماً وطيباً، أو شريفاً بطريقه ما غامضة، ما لم يعد مسئولاً عن الحزن والسعادة، وعن

## النظام العالمي اليمودي الجديد



بروكينجز - في كتابه «الدين في الحياة العامة الأمريكية، فيقول: «يلتزم أكثر من ٩٠٪ من كل الأمريكيين بعبيدة دينية ما، وفي أي يوم أحد يحضر أكثر من ٤٠٪ من أفراد الشعب الكنيسة».

إن الفكر العقائدي الشائع في أمريكا، ليس مجرد مسيحية صارمة، لكن كما يسميه ريتشلي «الإنسانية الموحدة بالله»، بمعنى آخر، نظرة دينية عامة للعالم، مع ازدواجية خاصة بين تذكير المسيح لنا بحب ملك الله، وحُب ملكية الآخر كمملكة خاصة.

وبرغم الدليل الإحصائي، فإن نظام القيمة السائدة في المجتمع الأمريكي خلال هذا القرن، كما يقول ريتشلي، أصبح لرحا من الأثرية الدينيّة، مع شكل من الفردية الاقتصادية.

إن هذه النظرة الاستهلاكية الماديّة البالية أصبحت نموذجاً لنظام القيم في العالم، حتى إنه أدت - بشكل لا يمكن إصلاحه - إلى إرباز الذات، وبالتالي زيادة التقدير الذاتي للفرد، كما نراه بسهولة في وسائل الإعلان، والعلاج النفسي الشائع، ووسائل الترفيه.

وبطابق لأرقام يمثل البروتستانت ٣٠٪ من سكان الولايات المتحدة، بينما يمثل الكاثوليك الرومان حوالي ٢٥٪، والبروتستانت الإنجليكان قرابة ٢٠٪، ويضاف إليهم ٨٪ من الكنائس البروتستانتية للسود، و٣٪ من اليهود، والمورمونز لهايز كريشنا يثلثون ٥٪، وإباقون من المفترض أنهم لا يتبعون لأي عبادة بعينها.

لقد كان جوزيف شومبيتر، هر الذي أشار إلى أن قانون الماركسية هو بالضرورة عقائدي في طبيعته، معرّف البروليتاريا بأنها الشعب المختار، والدولة على أنها السلطة الكنسية المطلقة.

لكن إذا كانت ملاحظات ريتشلي صحيحة، فقيمت الرأسمالية في قانونها بأقل عقائدية، غير أن في هذه الحالة، إله هذا الدين الديني (الرأسمالية)، هو الذات.

المسل لقوة سيكولوجية، والمسلطة الغفية تزدى بشكل مباشر إلى سلطة شيطانية؛ وكل هذا يؤدي بدوره لمصدر واحد للشيطان، والمعروف في الإنجيل تحت اسم، سساقان (الخصم)، أو للشيطان (الشتم)، أو لوسيفر (الضوء للولاد) أو أبادون (الفرد الذي يحكم في الجحيم والدمار).

لفهم هذا الأمر، فإنني أنصح بقراءة متأنية لكتاب صور عام ١٩٧٧، من تأليف داسون سكلارا، بملون «الذاري والقوى الخفية»، والذي يشرح بالتفصيل، ماذا يحدث لحكومة ما وشعبها عندما تبدأ القوى الغفية في التأثير على قادتها؟ فقد أخترقت القوى الغفية قادة النازي في ألمانيا، وأفرزت بشكل واضح على برامجهم السيفية لسيادة المالم.

### الدولة الروحية

يسرف النظر عما يمكن أن يدعيه أي شخص، فإن أمريكا مازالت دولة دينية. وقد حارل النظام القسائني، وجماعات الحركات الليبرالية المختلفة في هذا البلد لأكثر من أربعين عاماً أن تجرده من تراثه الديني، ولكنهم لم ينجحوا كلية، وبغضل من الله ربما لن ينجحوا، إذا ما استمرت عملية إحياء القيم المسيحية في السنوات القادمة كما حدث في القرن الماضي.

ويقرر الباحث جيمس ريتشلي من واشنطن - وهو من الباحثين في معهد

ويرمضح للمؤلف تال بروك في كتابه «عندما يصبح العالم واحداً، تقاسمىل الخلقية الشيطانية للعهد الجديد، وكان بروك في وقت من الأوقات، أحد المتحمين للرجل المقدس هينريوساي بابا، وكان ساي بابا مضطهداً على أيدي واحد من جماعة الروح الحارسة القوية، المعروفة للعهد الجديد «الزعماء الصاعدون».

ويكتب بروك في جريدته، في يوليو سنة ١٩٩١:

«إن أحد أخطر حركة العهد الجديد، هي كونها قانوناً مخالفاً بالنسبة لفكرة العالمية. ويمكن لها أن تتوافق مع أية عقيدة صدا العقيدة المسيحية.

فهذه الحركة لا تستخدم لغة للتحكم أو الحكمة. لكنها تتحدث بمصطلحات متهلكة - عن الكريس لريادة الطبيعة، ويزورغ الألوهية في الجسد البشري.

وهي تستخدم لغة إيجابية، وتضع دوافع إنسانية مثالية، تتجاوز الحداثة، وشديدة الجذب للإنسان المسيحي، الذي عانى آثار الحرب العالمية الثانية، أكثر من قدرة للكبسة على جذبه، والتي أصبحت أفكاراً قديمة.

إنها حركة حديثة - ليست شعبية - لكنها صحيحة سياسياً، ويمكن أن تحول لعقيدة (نبروية) أو أن تولد شيئاً مختلفاً، يصبح عقيدة مثل «الهابا»، باختصار، فإن حركة العهد الجديد، يذرثها التي أثمرت عقيدة الهابا، هي روحياً ملائمة لنظام عالمي جديد، ولكن للمسيحية لا.

إن العقيدة الروحية الشاملة ضرورية لإدماج الثقافات والعقائد المختلفة، وحتى العدائية منها في وحدة واحدة، حيث يجب لكي نضع العالم في صورة مترابطة، إزالة الحدود الدينية.

بالنسبة لهؤلاء الذين يدركون منا البعد الروحي الخفي للصراع الدائر من أجل الإخاحة بالنظام العالمي الحالي، وجذوره المسيحية، فإن ظهور دين عالمي للعهد الجديد يمثل أهمية كلية، لأن حركة الإنسان الإيجابية كجزء من استمرارية، تزدى بكل

ونحن نرى تعاليم هذه العقيدة المبينة على الذات في الكتب، والصلوات، ومختلف الأنشطة، مواد التعريف بالذات، وشرايط الكاسيت، والتلفزيون، وحفلات المناقشات لتدعيم الذات، والإعجاب القسري بالعضلات، واللياقة البدنية، والصحة، والجمال، والطلب المزداد للثغامة، وخلق وسائل الراحة، حتى في مواجهة حالة من الركود المسبب، وفي مجلات مثل مجلة "نحن والذات"، وكثير غيرها، والتي تمجد للرد رجلا كان أم امرأة.

ويرغم المعتقدات الدينية المختلفة، التي يدعوها الأمريكيون في استطلاعات الرأي، وبحوث المسح الاجتماعي، فإن الإنسانية الحديثة الدنيوية، سارت الأيديولوجية السائدة لكل المثقفين والمفكرين من الصفوة الأمريكية.

إن هذا يعد إيماناً وعقيدة دينية للذات، والتي تمتد جذورها للإغريق القدماء، والتي عبر عنها بروتاجوراس أفضل تمثيل، وهو الذي منع الإنسانية الأساس الذي أدى لمرعة تصديقهم في تصريحه بأن "الإنسان هو مقياس كل الأشياء".

### الأسرار السوداء

كانت ألويس بايلى، مؤلفة علم اللاهوت، والتي أسست مدرسة "أركيون"، أول من استخدم مصطلح العهد الجديد، وأيضاً أول من يصander سريرة المسيح من أجل أهداف العهد الجديد. وكتمزج أصول على الأساتذة الذين تحولوا إلى وعاء. وكانت بايلى وغيرها من الرموز السرية يدعون أنه متورط في السمل خارج إطار الجلس البشرية الروحي، من بين المنسحبين من المعابد في جبال الهمالايا. فإن مسيح العهد الجديد، تحول من الابن الحقيقي لله، إلى رمز أكثر إشفاقاً.

وتدعى بايلى أن أعمالها انتقلت إليها عن طريق التليداني، وبواسطة دوهال كول تهبشان، والذي تنبأ بظهور حكمرة عالمية جديدة، ودين عالمي جديد. أي أنها انتهت مسيح العهد الجديد.

وقد كان أعضاء المنظمة السرية لأدولفس هتلر داخل الحزب الوطني الاشتراكي - النشوب - جيسيلشافت - يشيرون إلى أنفسهم كمؤسسين للعهد الجديد، وعدوا بأنفسهم عام من السلطة والتفوق والسمر للخاص، شبهه بصمو الآلهة. ومثلما كان الحال في الأنظمة العليا الماسونية، وأعضاء "الروزيكروش"، (جمعية سرية اشتهرت في القرن الثامن والتاسع عشر)، مارس النازيون قوتها سرية لاستدعاء قوى غامضة، اشتملت على عبادة لوسيلس، إله الحور عديم.

وكان من الواضح، أثناء الثلاثينيات والأربعينيات، أن هتلر كان يرى في نفسه أباً للنظام العالمي الجديد، وقد بشر، وكان يلقي الرغبت بقانون سمو الجلس البشرية الأري، وأمن بنفسه على أنه المخلص، والسهدي، الذي سوفد العالم من الظلام إلى النور، بينما لم يكن في الحقيقة سوى مخلص مزيف آخر.

وبعد سنوات، أعلن أحد أتباع العهد الجديد في بريطانيا، بنجامين كيريم أن المخلص الحقيقي - وهو خليط من عيسى المسيح، وإله البوذية مهيتريا ومهدى المسلمين، في شخص واحد - موجود بالفعل ويحيى في لندن.

ثم قام بالاشتراك مع مركز تارا، وهو أحد المراكز القيادية لاتباع العهد الجديد، بإصدار إعلان في صفحة كاملة، في عدد من الصحف الرئيسية في العالم، يعلن فيه هذه الرؤية الألفية (آلاف عام سعيدة يحكم العالم فيها المسيح المنتظر).

ويستمر أتباع العهد الجديد من كل القسائل، في الدعوة "السمو والتحول"، مما يجعلهم أنبياء طبيعيين، ومشاركين فطليين في بحث المجتمع الدوموب عن نظام عالمي جديد.

وفي ضوء الوعي الروحي المتنامي على كل الجبهات، في العقدين الماضيين، يعلن أصحاب المقنوس السرية والحكماء المرسل المرتقب لنظام روحي جديد، والذي يتداخل مع الرؤية السايكية.

وتبعاً لقول أحد المؤلفين من أتباع العهد الجديد، بيتر ليموسوريو، من معهد فينديمورن، الأسكتلندي، "إن أشياء غير عادية تحدث، وهناك تغيرات عظيمة، بعيدة الأثر وشبكة الأحداث، فهناك تحول ذاتي غريب ينتشر مثل فيروس لا يقام خلال المجتمع... سواء كان مؤسساً على دليل موقر حقيقي، أو على مجرد الرغبات اليأس للفكرة أن الأشياء يمكن أن تسمى مثلما هي عليه الآن، يخالف العالم شعوراً بأن عهداً جديداً على الأبواب، وهناك تدبيراً لهما - جديداً لشؤون العالم على وشك البدء، وأذا سنشهد قريباً نظاماً عالمياً ثورياً".

وفي محاولة لتصبح لتعريف حركة العهد الجديد، وإعادة فحص فكرها "ج"، أحد ليموسوريو مراجعة مثقلة للخيانات، والمعاديات أو الطقوس، والممارسات وتزييف الأشياء الذي حدث بهذه المنظمات، والتي سادت على أنها الحكمة اللاهوتية على مدى ٣٥٠ عاماً مضت، وذلك في كتابه "أعمال للعهد الجديد تلك"، حيث يقول :

"إن العهد الجديد، والنظام العالمي الجديد، وجهان لمفهوم واحد، والذي تمايز منذ خروج الإنسان من جنة عدن، ويكتب عن هذا النظام الموحد فيقول :

وفي وقت ما، أصبح يشار إلى هذا للنظام، على أنه فطنة شائعة - بالنسبة لعديد من سكان الأرض. إن فكر العهد الجديد - أو فكر الألف عام السعيدة التي سيحكم فيها المسيح - في مفهومه الشامل، هي في واحدة من أقدم الأفكار، وأكثرها شيوعاً في المعارف الإنسانية، وحتى هذا اليوم، فإنها تبقى، (كما يبين ميخائيل جورباتشوف في كتاباته بكل الوضوح) بكل التفاصيل فكر أساسياً في النظرة الرسمية للشرق الماركسي، وكذلك للرأسماليين والمؤمنين في الغرب".

### ممالك الله والإنسان

إن فكرة نزاج الصورة الروحية والدنيوية في النظام العالمي الجديد حقيقة في درجة مزعجة، وهي تمثل خطراً شديداً، ومن المؤكد أن ألويس بايلى أخذت بها،

## النظام العالمي اليمودي الجديد



الأمريكية الكبرى، فإن هذا الاتجاه المثير للقلق، يستقطب أتباعاً جديداً عاماً بعد عام.

### البرنامج الهدام

يدير ويليس هارمان، عالم الاجتماع السابق، والمستشار العالي للشركات، والوكالات الأمريكية، وغيرها من المعاهد المختلفة، من أهم المؤلفين والمعاصرين عن العهد الجديد.

ويصف في كتابه «تغير العقل الكوني»، الوسائل التي يتسلل بها أنصار العالمية، ومفكرى العالم الواحد في مؤسسات الصفوة في كل من أوروبا والولايات المتحدة.

ويعد هارمان واحداً من بين آلاف «المستشارين»، الذين يدعوهم مديري التدريب في الشركات الأمريكية، ليعلّموا الموظفين لديهم، ويدرسوا لهم مبادئ الإبداع، والفن، والصدق، والمفاهيم المستخدمة كلية من الممارسات السرية، التي تعد بتقوية كل من القوى العملية والروحية للشاركون فيها.

إن مثل هذه الممارسات الذاتية، تحاول الوصول إلى اندماج ضامض بين العلم والروحيات. وذلك لمعالجة التمزق في الروح الإنسانية، وبمصر مصطلحاتهم - التي تتفق صاماً مع الاعتقاد المتنامي بأن النظام العالمي الجديد سوف يأتي بوحدة روحية وسياسية معاً.

ويكتب ريتشارد إيه إيلانو في كتابه «جريمة السلطة العالمية»، أن الأيديولوجية يمكن اعتبارها مجرد تهريب عقلي للمصلحة الذاتية، وقد استخدمت على هذا النحو في أزمنة سابقة، وذلك لدفع، ونفع الروح، في مفاهيم بعينها، ولكنه يقول :

«إن الأيديولوجية - رأسمالية كانت، أو اشتراكية، أو قانوناً روحياً، دائماً ما يقدمها مؤيديها على أنها الحقيقة الوحيدة، وللحجور المطلق عن الواقع».

ويبدو أن هذا هو الوضع الذي يواجهنا اليوم، فأيديولوجية النظام العالمي الجديد،

وقد عبر المنكر الفرنسي بلوز باسكان، عن تفكير شبيه بذلك إلى حد كبير قبله بمائة عام، في الحقيقة العامة بأنه يوجد فراغ على شكل الإله في قلب الإنسان، والذي لا يملؤه إلا الله.

لكن بالنسبة للباحثين المعاصرين في العهد الجديد، يترك البرنامج السياسي مساحة ولو ضئيلة لتقييم الأخلاقية التقليدية، بينما البرنامج الديني يترك مساحة ضئيلة للرجال السحيين للملام.

وعندما نضع الأهداف في الاعتبار، وكذلك مدى تغفل مثل هذه الحركات الفنية والقوية، مثل التحكم في العقل لدى سبيلها والإيكواناسم، والمنتدى العام، والطلمية، والوحدة، ومسار المصمجات، والأشكال المختلفة لمبادئ الأجداد والروح - ناهيك عن الاهتمام المتجدد بالديانات الشرقية الكلاسيكية، من ديانة الزن في البوذية، إلى سبيل الفضة في الكنفوشيوسية - فإنه يسهل علينا أن ندركه كيف أفسد أصحاب الرؤية الروحية أمثال باولي، ورون هوبارد القيم الشارخية لهذا البلد في وقت مبكر عام ١٩٧٨، أظهر استطلاع لمعهد جالوب أن أكثر من عشرة ملايين أمريكي كانوا مشتركين في شكل من أشكال ممارسة الطقوس السرية، والأنشطة المرتبطة بحركة العهد الجديد، وأن تسعة ملايين آخرين مشتركين في شكل من أشكال التطوير الروحي.

ومع النمو المستمر لحركة الإنسانية، وحقائق المناقشة في للمات من الشركات

حيث كتبت في كتابها الصادر عام ١٩٧٤، «مشاكل الإنسانية»، تقول :

«إن مملكة الله ستدلى السلطة في العالم، والذي سيكون واحداً، حيث يكون مدركا - من الناحية السياسية - أن الإنسانية ككل، ذات أهمية تفوق أهمية أية أمة في ذاتها، وسوف تكون نظاماً عالمياً جديداً، مبدئياً على مبادئ تختلف عن تلك التي سادت في القرن الماضي، حيث يحمل الرجال الرؤية الروحية لحكوماتهم، في تخطيطهم لاقتصادهم، وفي كل الإجراءات التي ستتخذ للوصول للأمم، وعلاقات إنسانية سوية.

كانت رؤية باولي الروحية مشوهة، وتحتك حرمة المقدسات وهي رؤية دنوية ضامضة، أرست صورة ميثافيزيقية لنظام عالمي يتطلع الفرد فيه في الدولة، والدول الفردية تصنف تحت مبدأ عام (أو كجوز من كل) في مجتمع عالمي.

إن هذه النظرة هي المعادل السياسي للحقيقة المطلقة في دينية الهندوس، أو كما يصنفها نورمان كولنجر، صورة لغوية إنسانية واحدة محاطة بخمسة بلايين خالية مشابهة، ومساوية في الشكل والقيمة. وتقول باولي :

«إن ما نحتاجه، فوق كل ما نراه - كتدريج للتصويع الروحي - هو إلهام ذهني المبدعين، الذين عمل بهما لدرجة شيطانية في العالم كله، والذين يمكن إجمالهما في كلمتين : السيادة القومية، والوطنية».

إن هذا التصريح يمثل صدمة لمشاعرنا التقليدية، ولكن أبس ذلك هو في حقيقته الأيديولوجية نفسها التي يقن تعاليمها أنصار النظام العالمي الجديد اليوم : «عالم كوني» دون سيادة وطنية، أو استقلال، وحماس لوحدة سياسية عالمية ذات أبعاد روحية ؟

يقول الفيلسوف البريطاني، إدموند هورك في أواخر القرن الثامن عشر : «إن الإنسان هو حيوان ديني». أدرك هورك أن الإنسان في احتياج عميق للأهمية الروحية، والهدف الروحي، وأن هذه المشاعر يمكن إشباعها فقط بالممارسة والخبرة الروحية.

والتي تملح علينا، على أنها الحقيقة والواقع، هي في حقيقتها التدبير العتلي بشكل من أشكال المصلحة الذاتية الروحية، وهي وسيلة لتحقيق هدف بعينه.

ولذا راجعنا أدبيات العهد الجديد، واخبرنا اتجاهات تأكيد الذات فيها، نصرم في إدراك نهايات ثلاث محددة والتي تطفو على السطح مرة بعد أخرى :

- تدمير وإنكار الوحي الإلهي.

- تأليه الذات.

- إخضاع الشخصية الفردية في كل أشمل وأكبر.

### النظرية الجرية

إذا كنت مثلكم دينياً، فأنتي أدعوك أن تطلق حكمك لحظة، وتكتشف معي مفهومًا بحد ذاتي. وإذا ما كنت مسيحياً أو يهودياً، فأنتي أدعوك للتفكير في هذا السيناريو.

افترض معي أن كياناً روحياً مستطفاً، قوة ما تفوق الطبيعة مثل مسساتان (الشيطان)، كياناً مناصفاً لثله ومعارضاً لكل ما يفعله، ويرغب في هدم مملكة الله، وأن يتفاد حرب السلطان، فماذا يكون برنامجه ؟

كيف بمعنى في تحقيق هذا البرنامج ؟؟

أولا - سوف يزرع الشك في سلطة الله وعبدالله، وعليه أن يفسد ويقرض أمر الله بين الناس، ومبادئ الهداية الإلهية، كلما وأينما كان ذلك ممكناً.

في بعض الحالات يمكنه القيام بذلك بنفسه. ولكن لكي يكون فعالاً في عالم مثل عالمنا، فسبحان حتماً إلى أتباع، وعملهم ليقيموا بهذه المهمة من بين أعضائه اليهوديين - حوالي خمسة المليارات من سكان هذا الكوكب.

ومن المحتمل جداً أن يستخدم التكنيات والرموز الروحية في القيام بهذا الواجب، ويمكن لها أن تكون فعالة لأبعد حد، حيث إن هذه التكنيات سوف لا تكون مرئية، وهي كيانات شيطانية في الوقت ذاته.

والوصول إلى المجتمع الإنساني بشكل فعال، عليه أن يحدد عشرات الآلاف من للخدم المضطربين من بني الإنسان، لتخليقه بين الأبناء الآخرين لا على أنه قوة شيطانية، بل بقوة حكيمة، ومحبة، وجذابة، ومسيطر.

وسيرغب في إقناع الرجال وتكسائه، أن يوافقوه على العدل، وأن مكانه الأسفل في السلطة والنقد لتتزع منه (أو أنه حرم منه).

وسيحسب أن يبين كيف أن الجنس البشري يصارع الظلام حتى الآن، من أجل الدور، والتي لا يستطيع أحد سواه أن يمتدحه. إن هذا فيما يبدو، هو هدفه الطبيعي الأول.

ثانياً - سيظهر دون شك أنه يستطيع جذب أتباع له بسهولة، إذا وعدم بالمشاركة في ملكه. وأتباعه أيضاً سيصبحون في مقام الأنظمة، لهم سلطة وسيادة، وسيحكمون في البهراء، والبهار، والسماء، وسيملكون الكون بين يديهم.

إن المياعة الشعرية يمكنها بصعوبة أن تصل لمثل هذه الرؤية الواسعة، والذات الإنسانية يمكنها بصعوبة أن تتخيل صورة الممنة التي سجلها مثل هذا الورد.

ولكن، إذا كان دافعه الأول في حقيقته هو الهدم - أن يحوي رب للكون ويدل محله - فليس ضرورياً إذن، أن تكون وسائله لذلك نظيفة ونقية. وعليه أن يقوم ببعض الأعمال السوداء الصرية من وقت لآخر. وهذا أمر منطقي؛ وعلى كل، فكل شيء مباح في اللعب والحرب، أيوس كذلك. لذا فسيحصل الناس ترى الظلمة نوراً، والورد ظلمة.

بمعنى آخر، سيحتاج لخلق مناخ، يتيح لأي عمل هدام ومخرب أن يكون غير قابل للاعتراض عليه.

ثالثاً: إذا كان طموحه يرقى إلى الألوهية، وتولى السلطة الزبانية في العالم، فإن يرضى يحال أن يشاركه أحد في السلطة، فغسوس ملكته يعني انتزاع جزء من مجده وسيطرته، لذا سيحتاج، على وجه السرعة، لتعطيم الألوهية، التي وعد بها أتباعه في شكل من أشكال القوة الروحية أو أية ماهية

كوبية خفية أخرى، والتي هي في حقيقتها لا سلطة لها، ولا تنافس على شيء.

ولتحقيق هذا الهدف، عليه أيضاً إقناع من سيصبحون أتباعاً له، أن قدان سلطانهم وهويتهم، هو بداية لتقويتهم في التقرب من الإله، وقد قال السيد المسيح ذات مرة، في ظروف مختلفة تماماً: «إن ذلك الذي سيجد هويته، سوف يفقدنا بالضرورة، ومن المؤكد أن الإله المساعد سيطلق كلمات المسيح لصانغ أهدافه.

ومن السهل أن نرى بساطة الخطة، إذا ما بقيت بصبر وإصرار عبر الزمن، فلتصور شديدة التعالية. وإذا ما كانت غير قرة الرب المتفعل، وأتباعه بين الناس، تكون المهمة أسهل بكثير.

إن مساهدة الكنيسة، والمسيحيين الإنجيليين (الذين يؤمنون حقاً بما يقولونه)، وأي اعتراف باله، سوف يخطئه.

ولمعه يصف شخصية الإنسان، واتجاه البشر للضوء للضغط المستمر، فإن ساتان، تلك القوة الخفية يمكنها بكل تأكيد أن تجد لها سبيلاً مع العالم بمرور الوقت.

### التصميم الأخير

إن الأمر يبدو وكأن خطة عملاقة تكتشف، وكل شيء يسير وفقاً بدقة، فأوروبا أعلنت مرعد رحلتها، وانهارت الشيوعية، وحرب أهلية تدور رحاها في الشرق الأوسط، ولانقذت الأمم المتحدة من الانهيار بدعاية مفترضة سهلة. وأعلن نظام عالمي جديد، وبينما تحارب المسيحية على المستوى الشعبي العام، ترسخت ديانة العهد الجديد في المدارس والمؤسسات وبين الصغرة. يسرع الانهيار المالي بالخطى نحو نظام نقدي عالمي.

وحيث إن الولايات المتحدة لا يمكنها تحمل الأعباء الدفاعية الملقاة عليها، فهي تتفقد بأحياجانها الدفاعية للأمم المتحدة، بما في ذلك سيادتها.

وتقوم الأمم المتحدة بالحد من حقوق الملكية، وتضغط على المسيحيين الإنجيليين

## النظام العالمي اليهودي الجديد



أدرك يلاتو أن الناس كانوا لا مبالين، وكسالى، مبالغين للنساء، ويمكن شراؤهم حتى بزرغبوا في رؤيته عن اليهودية، لذلك فقد صمم مجتمعاً مثالياً يكون الحكم فيه للحكام، وبالتالي فهم سيحكمون في كل جوانب الحياة الاجتماعية، باسم القانون، والعدالة، والنظام، والحرية، والسلام، والقدرة، والاستقرار، والخير.

ويجب على مفوك الفلاسفة ألا يعملوا، ولكن عليهم تنظيم الجماهير في دررات تدريجية ثلاثاً أدرارهم - التي صممت لهم سلفاً - في المجتمع.

ويأتى مصطلح الطبقة العليا المعاصر للمصرية من الطبقات العاملة، «هوى براوى»، من الكلمات اليونانية مباشرة، والتي تعنى «الناس».

وطبقاً لبلاتو، فإن طبقات الصفوة، لن تعدد الناس أحكامهم وأدوارهم فقط، بل أيضاً ستظم معدلات الإنتاج المثلّي، وستحافظ على مستويات معيشة مثلى للسكان أيضاً.

وقد سيطر التلق على دافيد روكفلر من الغزايين في نمو سكان العالم، ودعا إلى تنظيم المصل في الدول المختلفة. وقد مدحت مؤسسته ٥٠٠ مليون على الأقل لمارجريت سانجر.

وأتى هينهام داربي وهو أحد أهم الرجال الدوائيين المؤمنين بفكرة العالمية، من خدمة الحكومة في أوروبا، لكي يرس هيئة شويل زدير العالمية للسكان، ويساعد في تكوين لجنة أزمة السكان بالأم المتحدة.

وكان بحث مؤسسة روكفلر عن الإجهاض، المرجع الفلسفي الوحيد لقاضى المحكمة الدستورية العليا، هارى بلاكمون، في اكتشافه المبكرى «للحق الدستوري في الإجهاض، في قضية رولاي واير.

وبمضا نشاهد عائداً يلهث نحو تحقيق المدينة الفاضلة التي يحكمها الصفوة كما وصلها بلاتو، نجد أحد المؤمنين باليوتوبيا غيره، والذي قد يأتى إلينا في زمن قصير، هذا الحكيم من إسبرطة.

وقد سميت تلك المجتمعات - التي حلموا بها - باسم اليوتوبيا، وهي جزيرة ماء بها حكومة مثالية، ونظام اجتماعى يبلغ حد الكمال، والذي طرحه سبير توماس مور عام ١٥١٦ في إنجلترا.

وكلمة يوتوبيا في الأصل هي إحدى كلمتين متشابهتين تقريباً في اليونانية، والتي تعنى «مكاناً طيباً»، أو «اللامكان»، وقد استخدمت في لغتنا لتعني، ليس فقط «الكلام»، ولكن أيضاً اللاواقعية، واللاعلمية.

وقد تبنى أقدم نظرية عن اليوتوبيا وصلت إلى علمنا هيسويد، والذي عاش في سنة ٧٥٠ قبل الميلاد في «الأعمال والأيام»، وصف فيها حلمه بزمان تكون فيه «الأرض مفضرة لتلقائياً، وتطرح كثيراً من الشار دون عطب، ويعيش الناس في يسر وسلام على أرضهم تلك، مع أشياء كثيرة طيبة وغنية بالصبوريين من الآلهة المباركة».

هل هناك أى إنسان عاقل، لا يقفز قلبه في متلوعه فرحاً عندما يستمع لمثل هذه الكلمات؟

هل هناك أى إنسان عاقل يريد للحرب، أو الدمار، أو المرض، أو الظلم؟

إننا جميعاً نريد الحياة في سلام، وتصبداً فيها للبركات. وإذا كانت اليوتوبيا ممكنة، فإن معظم الناس سيرغبون فيها.

وقد كان يلاتو، أكثر واقعية في رؤيته عن اليوتوبيا، وهي رؤية لعالم جديد، هي التي يدفعنا إليها الآن قادتنا.

والهوية المسيحية تحت مسمى الإعلان بإنهاء كل أشكال عدم التجانس، والتمييز القائم على المعتقدات الدينية، والذي نبهه في الجمعية العامة في ٢٥ نوفمبر ١٩٨١ م.

بعد كل هذا، سيصبح دين العهد الجديد دين الإنسانية رسمياً، وزعماء النظام العالمي الجديد سيحكمون فيه. ثم إنهم سيختبرون رئيساً للصالح ذا سلطات واسعة، والذي - بالطبع - سيكون مخلصاً تماماً لديون الإنسانية.

ولم يكن مثل هذا السيناريو مطروحاً للتفكير منذ خمسة وأربعين عاماً. لكن ما لم يكن يمتلئ، يحدث الآن بالفعل - ففي ٢٦ يوليو ١٩٩١، كتب هانيس جونسون مقالاً في «الواشنطن بوست» يعرض فيه استطلاعاً للرأى يؤكد، أن ٥٩٪ من العامة يؤمنون بأن قرارات الأمم المتحدة، يجب أن تتحكم في الأفعال والقوانين التي تصدرها الدول، كل على حدة، بما فيها الولايات المتحدة.

وهو أيضاً يقرر: «إنهم - أى عابسة الناس في أمريكا - يريدون أن تشرع الأمم المتحدة - وليس الولايات المتحدة - الحل لكل الصراعات الدولية».

## لمحة عن النظام القادم وعد بالأمم

حان الوقت الآن، كي نستعرض الاحتمالات الممكنة، لما سيواجهه كل كائن بشري، إذا استطعنا جميعاً تصميم مجتمع دولى، حيث يكون فيه إدارة وأعية للقانون، ونهاية لحالة الحرب والعداء، وضماناً للاحتياجات الأساسية لكل كائن بشري.

في الحقيقة، أراد الناس العلم بمثل هذا المنهد، على مدى ثلاثة آلاف عام على الأقل. وحيث إن الفلاسفة والحالمين يتركون المحذور الذى يجب أن يضمن لتحقيق أحلامهم الجميلة - الطبيعة الشريرة للإنسان، ووجود الشيطان - فإن هذه الأحلام، عادة ما تكون غير قابلة للتحقيق.

## قواعد السلوك في قانون العالم الجديد

يقدم الذين يعنون النظام العالمي الجديد وعداً بالسلام، ولكن المجتمع الدولي الحقيقي، يعد بفرادى أخرى كثيرة. ويمكن لنا تحليل القواعد المفترضة، وإليك أفكارى عن بعض ما يفترض حدوثه دون شك.

**قانون البحار.** يمكن لمكورة عالمية إصدار، وتنفيذ قانون ينظم التجارة البحرية، وحركة السفن، والنقل البحرى، وحقوق الموانئ وحقوق الصيد فى البحار والمحيطات، وذلك عن طريق تنظيم على مستوى العالم كله للشبكات المسموح بها، وتقنيات صيد الأسماك، وبهذا يمكن إيقاف إنقراض الأنواع المختلفة من الأسماك فى المياه الدولية، والقتل غير المبرر للدلافين فى مناطق مختلفة بغرض التجارة.

ويحرم على السفن إنشاء الغابات فى المياه بل ويحرم على الدول إنشاء غابات غير مصالحة، والطرقات الكيميائية، والمبيدات العشرية، والبيكترية الفسجية الأرضى فى المحيطات. ولن يسمح للفاقات العملاقة بالمرور فى المياه الدولية دون نظام أمنى مائلا.

**قانون الجو.** حماية وتنظيم وسائل الأمن فى المسافات المختلفة فى النقل الجوى الدولى وأيضاً قوانين تمنع تلوث الجو، سواء بالإطلاق الذاتى، أو للمصانع الكيميائية، ومصانع الحديد، ومصانع الورق، وما شابه ذلك. ولن يسمح لأى دولة باستخدام كيميائيات تقلل من نسبة الأوزون، أو أية إطلاقات أخرى، أكثر من مستويات محددة، ولن يسمح بتلويث الهواء، الذى يتنفسه البشر فى العالم، وبإنتاجه وحيواناته.

**قانون الأرضى والغابات.** يتم اعتبار الأشجار، ثروة للبشر، ولن يسمح بقطع أى شجرة بغرض الصناعة، أو للحصول على الطاقة إلا إذا كان ذلك طبقاً لخطة غابات عالمية. ويتم الحفاظ على الغابات الاستوائية بقيمتها الجمالية، وبإنتاجها الطويلة، دون الاعتداء عليها باعتباره رلة

فيه أن ميزانية الدفاع للولايات المتحدة، بحلول عام ١٩٩٨ ستصل إلى ٤٥١ بليون دولار، بإجمالى نفقات دفاعية تزيد على ٣ تريليون دولار.

وفى الوقت الحالي، فإن إجمالى إنفاق للجيش فى بقية دول العالم يساوى أو قد يزيد قليلاً عن إنفاق جيش الولايات المتحدة.

وربما يتساوى اقتصاد أوروبا واليابان، أو قد يزيد قليلاً عن الاقتصاد الولايات المتحدة خلال هذا العقد الأخير من القرن العشرين، وتحت ظروف حرب باردة، لتوازن القوى فى العالم، فإنه ليس بمستبعد واقعياً إنفاق ميزانية تسع على مستوى العالم، يتساوى تريليون دولار سنوياً، أى عشرة تريليون دولار على مدى عشر سنوات.

فإذا تخفت الدول عن التصريح، فسوف يباح مبلغ إجمالى من المال يفرق تصوراً العقل، يكفي للتنمية فى زمن السلم.

ماذا يمكن أن يوفره مبلغ عشرة تريليون دولار؟

مصدراً لا يضب من الطاقة من إدماج ذرات الهيدروجين، وكهزاهم خاصة لكل مدينة وقرية على وجه الأرض.

وغابات بها بلايين الأشجار مقاومة للتصحر، ولاستعادة التوازن البيئى، والذي أصابه الإنسان بخسائر فادحة.

وفرة من المياه النظيفة النظيفة لكل الناس، وللبيئة الأساسية اللازمة من الطرق والموانئ لنقل المواد الغذائية من المناطق الريفية للمدن.

تطوراً طبياً، مع نقل وتوزيع الكولاجيا الطبية الموجودة للفقراء، الذين يموتون بأمرض من السهل الرقائى منها.

تمويل برامج لرفع معدلات الناقص فى رفقات الأطفال، ورفع مستويات رعاية الأم العامل، وبعد الولادة فى بلدان العالم الثالث.

نعم، إن لإنشاء الإنفاق على الحرب، والاستعداد لها يمكن أن يحذر مصادر العالم النقدية لتكنى لخلق ما قد يحتره فقراء اليوم، ليس بأقل من جنة على الأرض.

كان ليويسجوس فى إسبرطة، الزعيم ذا اللجانبة، الذى سيطر على القوى النيكثانورية، ثم خلق مؤسسات اجتماعية تتيح لأهل إسبرطة المشاركة فى الحكم، والسمو بقيمتهم الأخلاقية، حتى يصبحوا بسطاء وشجعاناً وأقوياء، ويضحون بذواتهم فى سبيل الملك العليا. ولقد ساسوى ليويسجوس بين الناس فى الملكية، وتحكم فى حياة المواطنين، ونظمها، وذلك طبقاً لما أسماه صالحهم وصالح الدولة.

ويوضح لنا بلوتارش، فى كتابه «حياة ليويسجوس»، أن إسبرطة أسبغت عليه صفة الإله، وأنشأت معبداً لتخليد ذكره.

إذا ما تنبأ العالم، ووتربيا بلاتو، الذى آمن بها سوسيل رودس وآل روكفلر، وأتباعهما، فمن المؤكد - طبقاً للإنجيل - أن العالم سيهاد تشكيله على نموذج اليوتوبيا الإسبرطية الذى وضعه ليويسجوس.

## الرؤيا الشاملة للنظام العالمى

كان الجنرال ويليام تيكسون سشيرمان فى جيش الاتحاد، أثناء الحرب الأهلية فى أمريكا، هو المسئول عن سياسة حرق الأرضى قبل تسليمها فى جورجيا، وهو الذى قال: «الحرب هى الجحيم».

وعندما تقابلت مع إسحاق رابين، الذى صار رئيس وزراء إسرائيل، فى عام ١٩٧٤ قال لى:

«إن إسرائيل لم ترغب فى الحرب، ولكنها رغبت فى معاهدة سلام».

وتعتبر أكثر الجوائز قيمة وتقدراً فى عالمنا اليوم، جائزة نوبل للسلام، ومن السخرية أنها تمنح من أرباح ثروة مخترع المتفجرات الحديثة، ويطلق الجميع، من عامة الناس إلى رجال الدولة، إلى السلام.

وبعدنا أعمار النظام العالمى الجديد، بما نريده جميعاً - سلاماً عالمياً.

ولى إصناز مهيد «كاترو»، تحت عنوان «الدفاع الجماعى أو الاستقلال الاستراتيجى»، يطرح إهرل س. رايشنل مشروعاً يقرر

للعالم، وتوضع خطة عالمية لحماية الأراضي من التصحر، والحفاظ على طبقات العلمى، وجدريان الأنهار والمراعى.

بالطبع سوف يكون هناك قانون عالمى لحماية الأسماك والحياة البحرية، والميوغابات البرية المحفوظة، والطيور. ويتم المحافظة للترازى البينى للأرض عن الحدود الجغرافية للدول. وسوف تسمى الأراضي التى ستستخدم فى الزراعة، والعمران، والصناعة. وتوضع القيود ليس فقط على استخدام الأراضي، ولكن على مساحة الأرض التى يمكن للأفراد أو الشركات ملكها. وتصبح كل الأراضي ميراثاً لكل الناس، وتتعدد مراقبها للاستخدام المشروط لها طبقاً لخطة عالمية.

كذلك، سوف توضع تقديرات لمصلحة لمنع استخدام الديوكسين، ومادة الـ دى. دى. تى، والمبيدات الأخرى الضارة بالأراضي، إلى جانب قوانين نقل وتخزين الكيماويات والمخلفات الصناعية، وأمن المصانع والمعاملات الدولية، وعمليات التدقيق عن البترول، وهكذا.

**قانون الحد من استهلاك الطاقة.** سوف يتم اعتبار مصادر الطاقة التى تستخرج بالفقر، أو من المحاجر مصدر دولياً يتنافس، لذلك تمن قوانين على مستوى العالم، لمنع الممارسات التى تستهلك طاقة لا داعى لها فى الصناعة، والنقل، وفى أماكن الإقامة. وتوضع حدود صارمة لسرعة السيارات، مع المساعدة فى تطوير سيارات كهربائية، ومصادر بديلة للطاقة، وطاقة نووية آمنة ورخيصة.

**قانون الصناعة والزراعة.** ينظم الإنتاج الدولى لمنع تراكم الإنتاج، أو إعدام الفائض. ويتم التحكم بكل دقة فى الزراعة، بحيث ينتج الكميات المطلوبة فقط، لمنع تراكم مخزون زراعى ضخم.

وسوف تصدر مقاييس صارمة للأمن الصناعى للعمال، مع حد أدنى مضمون من الرواتب للعمال فى كل مكان، ومزايا صحية وضمانات للعمال، مع تأمين معافى مناسب. كذلك تصدر مقاييس عالمية لضمان

## النظام العالمى اليهودى الجديد



جودة المنتج وسلامته، وإن يباع أى منتج، غذائى، أو دوائى، أو صناعى أو استهلاكى، لا يطابق هذه المواصفات الدولية.

ويوضع نظام فعال للتحكم فى أسعار كل ضروريات الحياة. ويتم الحد من تكاليف الرعاية الصحية، تحت رعاية مجلس طبى عالمى، والذى سيمنح الشهادات للأطباء، والذين بدورهم سيتم توظيفهم برواتب يتنمها نظام صارم إرعاية صحية تحت إشراف الدولة.

ويصدر قانون لمنع زراعة وصناعة وبيع واستخدام الماريجوانا، والهيروين، والكوكايين والمكوبات الكيماوية والدخان.

ويتم تحديد التعويضات التى تدفع للخسائر الناتجة عن الموارث الصناعية، وعيوب الإنتاج، وحوادث المرور، والأخطاء المهنية بأرقام معينة فقط.

وتفرض عقوبات متعددة على الصاميين وعملاتهم الذين يقعون دعاوى عبثية. ثم تلقى كل منازلة للمبيعات، وكل قوانين الهجرة أيضاً. وسوف يقيد كل الناس كمواطنين فى العالم، وتكون لهم حرية أن يعيشوا، ويعملوا حيثما أرادوا. حتى يأتى الوقت الذى لا تطلب فيه الإدارة الدولية للسكان تصريحاً للعمل والسفر.

**قانون الائتمان والمال.** سوف يكون هناك عملة دولية واحدة، يدعمها بنك مركزى دولى، ويكون لهذا البنك سلطة زيادة

أو تقليل حجم الأموال المتداولة فى العالم، وذلك للسماح بالتمو الصناعى أو لمنع التضخم.

ولن يكون هناك انهيار للمعاملات، وتصرف كل المعاملات بالعملة الدولية، ويقدم البنك المركزى العالمى بالصالى، بالإضافة صفة الشرعية على بؤرك العالم المختلفة، ويمنح هذا البنك الائتمان والقد فى «نوافذ التخفيض» لفرعه العميلة، والى تقوم بدورها بتنظيم البنوك الأصغر.

إن مثل هذا النظام البنكى يهدف للقضاء على الانهيارات القسدية، وسوء توزيع الحصص الائتمانية، وسوء توزيع الحرية. ويمنح لكل شعوب العالم، فى كل مكان ضماناً للتمانين عالمياً كجوراً، وعملة نقدية عالمية مضمونة، ومناخاً بلا تضخم.

كذلك يتم تنظيم معظم المؤسسات الصناعية على أساس عالمى، بحيث يكون هناك تبادل عالمى منظم للبضائع من خلال بنك عالمى، مع حصص دولية فى وحدات النقد الدولية، على أن يعمل سوق البضائع العالمى 24 ساعة فى اليوم، حيث تبدأ الشجرة فى طوكيو، وتستمر فى الهند، والشرق الأوسط، وأوروبا، والفاطى الشرقى لأمريكا، والشاطئ الغربى لأمريكا، وأخيراً ينتهى 24 ساعة دورة كاملة بتوقيت جرينتش فى هونولولو.

**قانون التسليح والعدوان.** لن يسمح لأية دولة القيام بعمل عدوانى ضد دولة أخرى، وذلك حتى لا تقع تحت طائلة العقاب بعقوبات شديدة. ويتم تحريم كل الأسلحة الكيماوية، والبيولوجية، والنوية، وسيمنح فقط بالأسلحة الضرورية للبوليس المحلى للقائم بحره.

وتقوم منظمة حقوق الإنسان العالمية، بإصدار القوانين الكافية لمنع انتهاك حقوق الإنسان ضد أى مواطن فى العالم، مثل للتخريب، والإرهاب، وعدوان الدولة. ويتم التقاضى فى انتهاكات حقوق الإنسان تحت رعاية محكمة دولية.



وبالطبع تحرم كل عمليات التطهير العرقي كالتى حدثت في العصر الحديث منذ يهود ألمانيا والإير في نيجيريا، والأكراد في العراق.

### مذاق الحلم

ردد مع نفسك في مهمة هائلة، كلمات أغنية جون لينون، "خبر، مع المشترين من القوانين، والمحقق، والمفكر الذى يجعلها عالم واحد، ويمكن أن نقفز إلى ذهك.

موكد أن أعلى أحلام للحزب في العالم، هي أن يتولوا وظيفة الدبابة التى ستظهر، بالطبع سيكون رائعا لو كان كل هذا حقيقيا.

وبهذا تتحقق الرؤية الكاملة، من وراء حلم الماركسية، كم تم الترويج لها لاستهلاك الجماهيرى، مجتمع بلا حكومة، وبلا طبقات، يأخذ من كل حسب طاقته، ويمسك لكل حسب حاجته.

لكننا نشاهد على شاشات للتلفزيون - تقريبا يوميا - الواقع الذى تحقق من يوتوبيا الماركسية في الحياة الواقعية. كيف تصبح تجارة الأحلام ممثلة في رؤية ليوتوبيا عالم جديد؟ بصراحة، الهدف بسيط، لأن الأمل في النظام العالمى الجديد يجب عن أكثر التساؤلات إصاحا على عقول الناس في كل مكان - سلام عالمى، التخلص من المماناة والقسوة وغموض المستقبل.

وسوف ينشر هذا المفهوم بين المشرعين الدوليين في العالم. وسيصنف المعارض من لها، على أنهم معوقون، ومناهضون، وخارج إطار هذا الزمان.

فكر فقط في المكتوبات الملونة، والأفلام التلفزيونية، والوثائق عن هذا النظام العالمى الجديد، والوعد الذى يطرحه بالأمل. سوف تتألف الجوانب عندما تدخل في هذه العلاقة مع بعضنا بعضا، حيث تكوّن الأمم المتحدة إدارة كل هذه التولتين بصراحة، وعدل، ورحمة.

عندما يبدأ العالم في التدهور، ويتجه نحو مراجعات تجارية، وعدم المساواة في العالم الثالث تزايد، وتصبح أكثر خطورة،

عندما يمكنك إدراك أن الوعد بالأمل الذى يقدمه النظام العالمى الجديد، هو في الحقيقة على وشك الحدوث، وأنه بعد حرب الخليج يصبح نظاما مقبولا، كما أنه قابل للتحقيق، بل وفى متناول اليد. ألم نذهب وننقذ هذه الدولة الضعيفة (المستضعفة)؟ لقد كان هذا أكثر بقول من مقدمة تم القيام بها بعد تقييم على.

على عكس كل أحلام لليوتوبيا في القرن السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، وعلى عكس اليوتوبيا التى كانت الأساس في قيام الحريين المعاصرين في هذا القرن، فإن هذه الرؤية الجديدة، أكثر جرأة وأكثر عمولة. فلم تكن أفكار اليوتوبيا الأخرى شتلك مثل هذا المستوى من الفكر والخبرة لمساندتها، وكذلك فإنها كلها لم تأت، والجنس البشرى بأكمله مؤهل لسامع مثل هذه الأخبار. لكننا الآن نكنك.

فكر كان هناك أثناء هذا القرن، لهيار بنكى على مستوى العالم، وإتهيار اقتصادى بمعدلات الكساد العظيم في الثلاثينيات، لكن الناس مستعدون لنظام جديد.

عندما يصبح هناك جرعى يقفون في طوابير ممتدة للحصول على الخبز، وعندما لا توفى حاجاتهم الطبيعية، فإنهم بالطبع سيكونون جاهزين للتغيير.

لن العالم قد يرى تكراراً لذلك الكساد التى ترددت منذ عام ١٩٣٧، "إن الشوارع في بلانا في حالة من الغوزان، وتعلو الجاسعات بالطلبة الذين يمارسون وينظاهرون. والتجمعات تبحث عن تدمير البلاد. بينما روسيا تهدنا بالشورة. إن الجمهورية في خطر. نعم في خطر من التدخل والخارج. نحن في حاجة إلى القانون والنظام، وأن تعيش أمنا دون قانون ونظام.

إن مؤلف هذا الاقتراح العقلانى لأبعد الحدود، كان يتحسب لكى يؤثر في قلب كل ألماني، ولم يكن سوى أفولها هتلر.

بالتحديد، فإن ماحداث عندما عرض فرانكلين روزفلت صفحته الجديدة سوف يحدث ثالثة. فلم يحدث من قبل على

الإطلاق، أن وافق كل من الكونجرس ومجلس الشيوخ في الولايات المتحدة على مدى التاريخ على إطلاق سلطة الرئيس بكل هذه السلطات الواسعة. الديكتاتورية في جوهريا. في أول مائة يوم من رئاسته، كان هذا مافعله مجلس النواب عام ١٩٣٧ مع روزفلت. لقد منحوه كل ماطلبه بالفعل، ذلك أنه وعد بإيجاد مخرج من حالة الكساد العظيم. وتنفذت القوانين على الكونجرس للبدء في الصفقة الجديدة، والتي غورت وجه السياسة الليبرالية الأمريكية بشكل راديكالى.

### مناخ الخوف

فكر في التوكيدات التى نبعت من الصفقة الجديدة، والتى أبدعها روزفلت بالعامل. لقد كان استخدام السلطة التنفيذية بمعد التصديق، حتى إن المحكمة العليا أسفست أجزاء رئيسية من برنامج الصفقة الجديدة.

لكن عندما هدد روزفلت بأن يوقف المحكمة ويغير لوائحها، عدل القضاء عن رأيهم. وكان روزفلت قادراً على عمل ماأراد مهما كان، ذلك لأن الأزمة الاقتصادية خلقت أغلبية موزدة في الكونجرس، والتي كانت على استعداد للانقياد الكامل له. كان يمكن لأى عرض محقول بالأمل أن يلقى قبولا.

إن أزمة الزمن العالى العالمية، سوف تخلق مناخاً شعبياً لذلك الذى كان أثناء الكساد العظيم. لعل هذه هي المرة الأولى في التاريخ التى يمكن فيها تبصير العالم بأسره، بمثل هذه المفوضوعات في إن واحد، عن طريق اتصالات الأنمار الصناعية.

وقد ظهر النموذج على ذلك، في النغطة الخرافية للقوة متعددة الجسيمات، والتي تكونت في حرب الخليج، بهدف إيقاف العدوان الدولسى للعراق. حيث أوسعت القدرة على جميع العالم في وحدة واحدة.

وكانت البرامج الإخبارية لشبكة س. إن. إن. تشهد في الواقع حول العالم بأسره. وواضح أن عالما اليوم يتحدث الإنجليزية. وقيادات كل الدول في الحقيقة

## النظام العالمي اليهودي الجديد



متخففة، أو بورصة مفتوحة، والتي خلقت مجتمعة تزايداً هرامياً في الثروة، وهي نفسها زائفة تماماً.

إن هذا وضع خطير يمرضنا لحداثته كارثة، وهو وضع لم يتغير حتى الآن منذ الهزة الاقتصادية التي تعرض لها العالم عام ١٩٩١، لقد تأجل مرعد حدوث الكارثة فقط.

وقد تظاهر الواسطون في أوائل عام ١٩٩١، لإعادة الانضباط تدريجياً لأسواق اليابان التي تعاني للتخفيف قبل أن تسوء الأحوال، ولكن بالنزول للتخفيف يتزايد حجمه أكثر فأكثر. وعلمنا بإطلاق الهواء فجأة من البالون، فلهذه سيكمل إلى لا شيء في صدمة مفاجئة للجميع.

إن هذا قد يكون ما هو متوقع للسوق اليابانية إذا لم تصغ لصوت العقل قريباً.

### تزايد عدم اليقين

يعتبر الخوف قوة معاكسة، لكن العقل البشري يبحث بشكل غريزي، ودون توقف، عن سبل للتخلص من الخوف والفرع.

ويبحث المسيحيون بشكل طبيعي عن الخلاص بالصلاة والإيمان بالله وقت الأزمات، ولكن أحياناً ما تتلاقى آمالنا بالتطهر الروحي، أو حلم، أو أيديولوجية والتي قد لا تكون واقعية، بل وغير منطقية تماماً.

ويطرح روبرت ثومبست، في كتابه الاستغزاري، "العهد العالي، التقدم والقرصنة في أمريكا الحديثة"، ملاحظة مثيرة للاهتمام عن انهيار الاشتراكية.

فهو يكشف أن (موت الاشتراكية في الغرب فتح الطريق لأيديولوجية معضادة لعدد من المشاركين، الذين لم يكونوا ملصوقين بشكل خاص قبل الحرب العالمية الثانية)!

إن هذه الأيديولوجية تشمل أشياء مثل المساواة - بمعنى المساواة للنساء، والأجناس المختلفة، والأديان المختلفة، ومماثلة ذلك - وعديد من الإهتامات الليبرالية الأخرى.

على مدى العامين الماضيين، أخذت العالم كله مفاجأة. ويعتبر الاتحاد السوفيتي مثالا صارخاً على هذا، فقد كان على الروس أن يرسلوا مندوبين إلى أمريكا، وأوروبا، واليابان، لكي يمسولوا للحصول على معونة مالية. وتكاد أوروبا الشرقية تكون في الحالة نفسها من الانهيار.

وإذا ما كان عبء الدين العالمية ينثر بانهيارها فجأة، فيمكنك بالتأكيد أن تدرك أن عجالات التغيير سوف تدور دون تردد.

ففي عام ١٩٩٠ شهدنا معاً الانهيار الرافعي للبورصة في اليابان لمؤشر نيكوي دلي، ويزعم أن معدلات هذا المؤشر ارتفعت على مدار العام الماضي، لكنها ما زالت في وضع حرج، تماماً مثل الذي تتعرض له الولايات المتحدة الآن (في أواخر سنة ١٩٩١).

وتعتمد المشكلات التي تنتج عن ذلك بدرجة الخطورة نفسها التي كانت عليها في كل مرة. فالقروض البنيكية تملح على أساس قوة الأسهم في البورصة، وترتفع معدلات الأسهم على أساس تقدير العائدات، والعائدات تزايد على أساس قوة القروض البنيكية وأسعار الأسهم في البورصة، وهكذا.

والنتيجة النهائية لكل هذا، أسعار مبالغ فيها للعقارات، وقيمة الأسهم في البورصة، والأهم من المبالغة، وبنوك ضعيفة إن لم تكن مقسمة، وقروض موجهة على أساس عقارات

تتكلم الإنجليزية. وقد انتشرت الأفلام الأمريكية، والبرامج التلفزيونية، والسيارات، وشرائط الفيديو، والكتب في كل بلد على وجه الكرة الأرضية. فمن خلال تكنولوجيا الأتمتة الصناعية قامت القدرة على تشكيل العالم مع بعضه بعضاً ويتوالى تدفق الأموال الدولية للعمول - إننا لم نشهد طرماً مماثلاً من قبل على الإطلاق.

وأصبحت اليوم سهولة الانتقال من بلد إلى آخر غير مسبوق، فيمكنك أن تطير من لندن إلى نيويورك في ثلاث ساعات ومسيح عشرة دقائق على سبيل المثال.

وقد جعلت مكنيات الفاكس، والمكبيوتر، وشبكات الحواسيب، والأسواق التي تعمل الأربع والعشرين ساعة يومياً، من الاتصال الفوري والاستجابة الفورية أمراً واقعاً.

إن العالم بأسره يمكنه أن يشارك في اللحظة نفسها في كل قرار.

وقد صار للولايات المتحدة دور للزعامة، ليس فقط كمصو دالم في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولكن بتجديدها وتطبيقها أيديولوجيا النظام العالمي الجديد.

والحقيقة، أن كل رواد النظام العالمي الجديد أمريكيون، وهم يرغبون في الحصول على سلطة دولية متميزة ودائمة خارج حدود أمريكا.

وهؤلاء لا يندم سلطاتهم قوانين أو حدود، فيمكنهم ممارسة هذه السلطة أينما كانت أموالهم موجودة.

في الحقيقة أنه من الأسهل أن نمارس هذه السلطة عبر البحار عن أن نمارسها داخل الولايات المتحدة، فهناك أشياء لا يمكن أن نقوم بها في أمريكا، بينما بسهولة نقوم بها عبر البحار.

توجد قيود عديدة على حرية النشاط التجاري هذا، والتي لا توجد في دول أخرى كخسيرة. كم سيكون هذا ملائماً لهم، إذا ما استطاعت القوانين الدولية التفتب على اللوائح والقوانين في الولايات المتحدة.

إن التغييرات السريعة، وغير المفروقة

يفترض نوسبت، أن الفراغ الذي خلق موت نظريات الاشتراكية الشعبية لدى المثقفين، أدى إلى صعود مجموعة من اللقائات الغربية، وإمبررات الرأسمالية، وأفكار اليوتوبيا فيكتب قائلا:

«إن الاشتراكية اشتملت على كل هذه الأفكار المبهمة - لدرجة أنها ظلت كمثاليات في عقول المثقفين - معاً، أو قمت عليها على أنها مجرد شطحات للعقل، ربما لكي تبرز مرة أخرى في المستقبل الجيد».

ولكن عندما خبا نجم الاشتراكية كإيمان محرر لقرى النصارى في الغرب - مبتدئاً بسبب العداء للاتحاد السوفيتي، والغاشية الإيطالية، والنازية الألمانية، والتي تأملت كلها بنهج الاشتراكيين على مدى حياتهم - وأيضاً بسبب المثيقة التي لا تقبل الجدل، أن دول العالم الثالث، والتي اتبعت نهج الرأسمالية، مثل دول حاشي الباسيفيك، وحتى غرب أوروبا - كانت أفضل في أدائها لدرجة لا يمكن قياسها عن تلك الدول التي اتبعت نهج الاشتراكية - وعندما انتهى الحلم الاشتراكي، كانت النتيجة فرض من القوى الجديدة في السوق، هل الإعجاب بالفكر السياسي الثموجي، والذي يطالنا في صفحات المجلات، هو فكر جلبه موت الحلم الاشتراكي في الجامعات؟ ربما.

هل يمكن أن يكون حقيقياً أيضاً، أن تداعي أيديولوجية سياسية مثل الاشتراكية، يمكن أن يعضى من القوة على أمل المؤسسة في أمريكا في تطهها نحو نظام عالمي جديد، وحكومة عالمية واحدة؟ ربما.

### الثورة القادمة

يفترض نوسبت في مجمل كتابه، أن المناخ في أمريكا اليوم قد صنع لقيام ثورة عالم الأفكار، كما كان في القرن التاسع عشر، عندما أسس أجداننا الرواد ديموقراطية دستورية في العالم الجديد.

إن هذا هو بكل دقة الموقع الذي أراد مؤيدو النظام العالمي الجديد لنا أن نكون فيه، على حالة محفزة على حقبة جديدة، وعالم جديد، ونظرية سياسية جديدة.

ويناقش مؤلف آخر، وهو توماس جى. ماكورموك، في كتابه، «نصف القرن الأمريكي»، أن حقبة الهيمنة الأمريكية في العالم مالت طويلاً، وأن القوى الدولية تحملنا بكل تأكيد، أولاً، إلى عالم ثلاثي، ثم بعد ذلك، إلى نظام عالمي دولي واحد.

ويكتب في إطار تاريخي يكاد يصل حد النبوة فيقول:

«إنه بظهور عقد التسعينيات في الأفق، يكون للعالم الذي صنعه الأمريكيون بعد الحرب للعالمية الثانية قد وصل إلى النهاية، ولا يوجد حتى الآن عالم جديد ليحل محله. فقد ظل الإطار العام لنظام العالم الذي بهتوى الآن وأضعا زمن طويل، لكن معالم إعادة تشكيله، كانت إلى حد كبير مظلمة، ومضنية، ومثيرة للمشاكل...»

لقد انتهت السيطرة الأمريكية، وتعالى روسيا أزمة السقوط، واليابان هي العملاق الاقتصادي الجديد، وأوروبا على مشارف وحدة حقيقية، ولوشك الصين أن تتقوى على الجميع.

كل هذا يشكل الجوهر الجديد لعالم يتغير بشكل ديناميكي، عالم ليس فيه مساواة، متعدد القوى، ولا يمكن التنبؤ به.

إن الصورة كما رسمها ماكورموك، أساذ التاريخ بجامعة «ويسكونسن»، هي لحد ما صورة غير متجانسة، ولكن عدم التجانس يبدو أكبر بكثير في العروض التي يقدمها لإحلال نظام جديد محل القديم الذي يفرط عقده الآن.

إن النموذجين اللذين يقدمهما أكثر مدعاة للاهتمام هما نموذج لينين والامائس الساركسي مارل كوتسكى. ومن بينهما، فهو يفضل نموذج كوتسكى، والذي يفترض جديلاً أن «الرأسمالية العالمية سوف تتنازل عن التلانس القومى فيما بينها، وستولد نظاماً جديداً من الإمبريالية». فالنول التي تمثل مركز الدائرة، والمرتبطة ببعضها بعضاً بالروابط الاقتصادية المتزايدة، سوف تتحكم، وتسد بلدان العالم الثالث مجتمعة.

ثم يخلص المؤلف إلى «أن الإحلال التدريجي للصناعة الرأسمالية بالصناعة المتعددة الجنسيات، دفعت بالعالم طويلاً نحو درجة من التوحد والاعتماد المتبادل، ولا يبدل المؤلف جهداً في توضيح أن هذا الخيار في حقيقته هو حكومة واحدة للعالم اليوتوبى، من خلال النظام العالمى الجديد.

### خدعة قاسية

إن الشيء الذى أغشله دوماً الصامون باليوتوبيا، هو فى الواقع الجزء السورى فى دستور الولايات المتحدة - ألا وهو الطبيعة الضيقة للإنسان..

فمذا قرابة ستة وعشرين قرناً مضت - وقت بزغ اليوتوبيا الإغريقية - يتحدث **الثنى هيرودوتس** ما هنا هذا العنصر المفقود فيقول:

«إن قلب الإنسان، فوق كل شيء آخر مضاعف، وشرير إلى حد يدعو للرأس، فمن يدرك ذلك؟».

إن كل يوتوبيا ظهرت، تقترض أنها تستطيع إقامة نظام مثالي بأناش غير متساويين. لذلك، فإنها تضل - مثل العلم الساركسي - أن تقترض اللينين، وأن تغير قلوب السلاطين بالإكراه، والتسنيذ، والإعدام، أو أنها فى حالة يوتوبيا بلاتو، تضع المواطنين فى رابطة أبدية مع طبقة الحكام، والذين يضمهم موقفهم الطبيعي، وفهمهم للفلسفة فى موقف فوق الناس.

أو كما فى حالة الطبقة المستتيرة، وأنصار العهد الجديد، تصبح الزعامة محل ثقة أولئك الناس، أصحاب «الاستشارة» النفسية، اللذين يحكم تقديمهم التعاليم من شخصيات شيطانية، هم فى الحقيقة يشار إليهم، على أنهم «الأساتذة الصاعدين».

ويرغم ادعاءات اليوتوبيين، فإن القول بالثأور للردو أكشون مازال صحيحاً، «إن السلطة تفسد، والسلطة المطلقة تفسد فساداً مطلقاً». وأسهو الحظ أن الدليل على ذلك لا يصعب الحصول عليه.

## النظام العالمي اليهودي الجديد



عالمية مؤلفة من شعوب مختلفة تامة الاختلاف .

إن تلك لم تشمل الناس في المستعمرات الأمريكية في اتحاد فينرالي، هذا شيء، ولكن أن تدفع الولايات المتحدة إلى حكومة عالمية، على قدم المساواة مع الديكتاتوريين المسلمين أمثال معمر القذافي في ليبيا، وهاشمي البستنجاني في إيران، أو مع ديكتاتور ماركسي مثل فيش زياوينج في الصين الشيوعية، وروبرت موجابي في زيمبابوي، ثم القول بسنجة:

«إننا كلنا واحد»، «وإننا لنذلل نسلنا استغلالنا لك، فهذا محض هراء ولا يمكن قبوله» .

ولكن، هذا بعينه، ما سوف تركز عليه حكومة عالمية في يوم من الأيام .

### حقائق تثير القلق

يشر الليبروقراطيون أن لدى الناس ميلاً مزعجاً بالرغبة في أن يمشروا حياتهم بالطريقة التي يريدونها، حيثما أرادوا، وبمصلحة من يشاؤون من الناس .

ويذعن هذا مهندسي المجتمع من أهل الاجتماع في حكومة الولايات المتحدة إلى السكنة الدماغية، فلا يستريحون حتى يجبروا الرواملون على نقل أطفالهم بعيداً عن أصفقائهم، وأن يهجروا مفار سكنهم بالعصبة السببية بدلاً من الأسلوب المباشر، ويقدموا قروضاً للناس الذين لن يسدروا، ويذهبوا إلى الأبناء يعانون بشكل سرى أمراض قاتلة، ويؤجروا ممتلكاتهم لغير المرغوب فيها في الماديات الجنسية الشاذة .

ويكمن فقط لأحلام الليبروتيا أن تصبح وفقاً، بأن تغير قلب الإنسان، أو أن تغير قوة القننون . ولا تستطيع الحكومة الإنسانية مطلقاً تغيير قلب الناس، لهذا فهي تترك تحقيق الأحلام للرائدة للنظام العالمي الجديد بين يدي قوة عسكرية هائلة، وقوة بوليسية هائلة مسماوية، وبالطبع، فإن جيوش العالم، والبرليس الدولي، والليبروقراطية الدولية لن تأتي بشئ قليل .

مولطين من بلاد أخرى، وهي إنجلترا، ولقد تشاركوا جميعاً في اللغة نفسها، والتقاليد، والمفاهيم السياسية عن أصل الإنسان وطبيعته، وإرادة الله .

وكانوا جميعاً باستثناء خمسة آلاف فرد، متبعين كمسيحيين إما بروتستانت، أو كاثوليك، رومانين، وكان معظمهم يدين بالولاء للمفاهيم الإنجيلية عن العالم . وقد تدرب كل الزعماء الأمريكيين الأرائل، بشكل أو بآخر، في الإخوة الماسونية للدرلة . والأكثر من ذلك، كان هناك إمتياز مقيد عند نشأة هذا البلد، يمنح أصحاب الملكية الخاصة فقط حق التصويت في الانتخابات العامة . وكان على الناس أن يدعموا المجتمع ملأياً، قبل أن يسمح لهم بتجديد قوانين المجتمع .

ولم يكن هناك خطر يكمن في دمج «كارولينا الجديدة» مع «فيرجينيا»، أو «كونيكتيكت» مع «ماساشوسيتس» ، لأنهم جميعاً كانوا يؤمنون بمفهوم شائع واحد، وقلعة جماعية واحدة . وكان بنسامين فرانكلين في «بنسلفانيا»، وجون آدمز في «ماساشوسيتس»، وتوماس جيفرسون قد تلقوا تعليمًا عالياً، ويحظرون باحترام بالغ، والذي استقره على مدى عقود من الدراسة، للعقود الإنهائية للمنوحة، وحريات كل فرد .

وقرأ هؤلاء بوسع، ودرسوا الحضارات التي ظهرت على مدى ثلاثين قرناً، حتى عهد الرومان والإغريق . لقد كانت خبرات مؤسسي أمريكا نتاجاً طبيعياً لقيام حكومة

لقد تجدى الرضى حديثاً بأن زعماء السانديستا الماركسيين في نيكارجوا، إخوان أورتيجا، وتوماس بوجج، وحقاقهم قاموا بالاستيلاء على حوالي اليلبون دولار من الممتلكات، بما في ذلك من عقارات وبيوت فخمة .

وكان يطلق على تحكهم في الشروة «البنيانا، كناية عن إحدى لعب الأطفال بهذا الاسم، والتي تمثل بالحرى اللذينة» .

وقد استأثر إريك هونكر في ألمانيا الشرقية لنفسه، باستراحات غاية في اللغامة، ومازال هناك ثلثمائة تحقيق جنائي يتعلق بالتلاعب بالعملة، والاستيلاء على ممتلكات الدولة، واختلاصات تصل في مجملها إلى ٧,٧ بليون دولار، قام بها الشيوعيون .

وبينما كان شعبه يتضور جوعاً، ويموت من المرض، وللفساد السياسي كان لديكتاتور رومانيا المتور، نيكولاى شاوشيسكو، إثتان وثلاثون استراحة بالإضافة إلى قصر، لم يوثق بعد بقدر ثلثه بما لا يقل عن بليون دولار .

ولقد خلق مؤسس أمريكا، جمهورية دستورية حيث يتم اقتسام السلطة بين الناس، وحكومات الولايات، والمعمرة الليدرالية .

وعلى المستوى الفيدرالي، فإن السلطة تقسم إلى هيئات ثلاث، التنفيذية، والتشريعية، والقضائية .

وتبقى السلطة محدودة مرة أخرى، ليس فقط بال دستور المكتوب، ولكن بالقوانين الموضوعة للمصلحين الرسميين، والذين أجبروا على مواجهة انتخاب منظم لهم، واحتمال سحب الثقة في حالة إساءة استخدام السلطة .

ومن المؤكد أنه، للوصول إلى «اتحاد أكثر مثالية»، أصبحت الولايات المستقلة الثلاث عشرة الأمريكية استقلاليتها في ذلك الوقت، في استقلالية الولايات المتحدة .

ولكن لا يمكننا أن ننسى ذلك عن أمريكا؛ فإنهم وأجدانهم عاشوا في انضمام في هذه البلاد على مدى ١٦٩ عاماً، وكانوا كلهم

منذ سنوات عديدة صنعت، ظهر مساعد مقرب إلى كلود بيير، والذي صار عضوا بالكونجرس، في برنامجي التليفزيوني، متوليا برنامج فيودالي وذلك لفرض تعمية صهيونية تأسيسية مهيولة - تصل إلى حد التكرار - إجباري على كبار السن.

وقد شعرت أن كبار السن أنفسهم لم يؤيدوا هذا البرنامج، وعلمت أن تكلفتهم قدرت بثلاثين بليوناً من الدولارات، وسألت مساعد بيير، كم سيكلف برنامجي الصمى؟ وكانت إجابته مذهلة، «ليس عددي لأني فكرة»، ولم التصديق على قانون لإقرار هذا البرنامج، ولم يكن أحد يصرف على وجه اليقين كم سيكلف.

لكن بمجرد أن صدر قانون الضرائب لدفع التزامات البرنامج، أجبرت ليرة دافعي الضرائب، الكونجرس على التراجع عنه.

وقد ظهرت ضرورة مقابلة للنفس في المعلومات عام ١٩٨٦، عندما وقعت، أمام لجنة المال في مجلس الشيوخ بناء على طلب رئيس المجلس سيناتور أوبرين هاتش، وذلك لمعارضة التدخل الحكومي - غير المباشر - الذي اقترحه إدوارد كيندي تحت عنوان مخفف (تكتليف بغيض)، وهو قانون استعادة حقوق المواطنين.

وكان سيناتور هواردي ميترنوم من أرواهو، يسألني بطريقة عدائية عن القانون، عندما سألته بشكل مسجل، «سيد السيناتور، هل هناك أية دراسة من أي نوع لتحديد التكلفة الحكومية لهذا القانون؟»، فطعم عضو المجلس قائلا: لم يكن هناك أية دراسة. ولقد رويق على القانون بأغلبية، ولم يكن هناك واحد يمارطاً كان أو جمهورياً، لديه أدنى فكرة عن التكلفة المتوقعة على الحكومة، أو الشعب لأذي سينتج بهاء.

ويدهي أن النظام العالمي الجديد سيكلف الكثير. فإذا كنت معجباً بخدمة للدخل الحكومي الداخلي، فإذا ستعجب سياسة الضرائب المتوقعة للنظام العالمي الجديد!!

تحيل، أنك أنت المواطن في الولايات المتحدة، تفرض عليك ضريبة تدفعها على

أساس دخلك السنوي، لتحويل مشروع في أفريقيا، والذي قد لا تكون موافقاً عليه إطلاقاً. وحيث أنك من الأغنياء، فإن محلي الأمم المتحدة من البلدان الفقيرة، سيكون لديهم الدعا بالحق في هذه الضريبة.

بدلية، هذه الضريبة ستفرض على حكومة الولايات المتحدة، والتي بدورها سوف تلقى أعيانها على المواطن في صورة ضرائب متزايدة. وفي يوم ما، ستفرض عليك جباية ضرائب للأمم المتحدة مباشرة.

فيما أردت أن تشكو مديونك في الأمم المتحدة، لأن الشعب كله صوت على اختيار مندوبينا للقتال في هذه الهيئة، لمسه الحظ مثل الولايات المتحدة الآن ٥ ٪ من إجمالي تعداد السكان في العالم، لذلك فإنه يكون لها ٥ ٪ فقط من حق التصويت في الهيئة. فإذا أردت أن تستظف للفروة من أمريكا، سيكون لها مطلق الصرية أن تفعل ذلك، عن طريق التصويت. عندما لن يكون لنا خيار، ومنقول الأمر: لأن أمريكا وقتها سوف تكون بلا سلاح، والأمم المتحدة ستكون قد تحكمت في كل الأسلحة في العالم.

### الوقائع الحالية

إن هذا الشكل من تشريع نقل الضرورة، ليس شكلاً مستقبلياً على أية حال، لكنه موجود بالفعل في كتب الأمم المتحدة، والتي يريدها زعمائنا أن تقود العالم.

ففي عام ١٩٧٤ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة، الإعلان عن تأسيس نظام إقتصادي دولي جديد، مطلة أن «القوارق التي تصرد للعالم ستبقى».

وطبقاً لقرن تال بروك، «إن نظام العالم لرقاهية الشعب سوف يركز على:

- (١) انتقال الضرورة من العالم الأول إلى العالم الثالث.
- (٢) التدويل عن طريق حكومات العالم الثالث.
- (٣) حماية إقتصادية خاصة للزلا الأكرافراً.

في كلمات بسيطة، قام العالم الثالث بالتصويت فعلياً، لكي يسلب بقوة القانون ثروة أوروبا وأمريكا لنفسه. ولم يمنع تطبيق القانون سوى على الجمعية العامة بقوة الفيديو في مجلس الأمن.

ولقد ملح (الأي. آر. سي) أو نظام معدل الفائدة سلطات متزايدة من خلال قانونين لأمريكية متتابعة على المواطنين في هذا البلد، وذلك لجمع الأموال اللازمة لدفع فاتورة العجز الفيديوي، والذي اقترض أصلاً من بنوك المؤسسة.

ويمكن لنظام معدل فائدة دولي، على مستوى العالم، تحت سيطرة فئة مستخلة من البنوك، أن يصبح أسراً كابوس راء المواطن الأمريكي.

لكن تذكر، أنه قبل بدء عملية مص للدماء مالياً بشكل جدي على المواطنين الأمريكيين في عالم يسلك لهم عملة جديدة، سيكون رجال البنوك الاحتكاريون قد وضعوا أنفسهم، وبمركزهم المركزية فوق القانون، خارج نطاق سلطة الضرائب. لقد فعلوا ذلك في أمريكا عام ١٩١٣، ومؤكد أنهم يخططون للقيام بنفسه مرة أخرى في النظام العالمي الجديد.

إن للضرائب العقابية سوف تكون مجرد بدلية. وسوف تحتاج حكومة العالم أيضاً إلى جيش على أهبة الإستعداد.

لقد دعي مقال نشر في مجلة الشؤون الخارجية، في ربيع سنة ١٩٩١ إلى إنشاء جيش للأمم المتحدة، ليس تحت سيطرة ضباط الولايات المتحدة كما كانت الحال في الحرب التي أعلنتها الأمم المتحدة في الخليج، ولكن تحت القيادة المباشرة لمجلس الأمن.

بالطبع سيأتي الجلود العاملين في هذا الجيش من مكان ما. فإذا أردت للولايات المتحدة أن يكون لها صوت في هذا الإجراء، فإن عليها أن تقدم لها جنوداً متطوعين أو جنوداً عاملين.

ولكن ماذا يمكن أن يحدث، إذا ما رفض الشباب الأمريكيون المشاركة في حرب تشنها الأمم المتحدة ضد أحد حلفائنا مثل إسرائيل!!

## النظام العالمي اليهودي الجديد



إن الإجابة بسيطة، إنهم سوف يجبرون على الخدمة تحت التهديد بقوة السجن.

ماذا يمكن أن يحدث، إذا وقعت الأمم المتحدة عقوبات ضد أمريكا؟ هل سيجبر شباب أمريكا العاملون في جيش الأمم المتحدة على إطلاق النار على مواطنيهم في بلدنا؟؟

إذا كانت الإجابة بلا، فمن سيقيم بالهمة؟

وكما ذكرت آنفاً، أننى لا يمكن أن أنسى الصورة الدموية، فى مجلة «لايف»، للمستوطن البلجيكي الشاب فى «كانا نجاه» وزوجته وأطفاله، قابعين بهوارهم قتلى فى سيارته الفلركس الصغيرة، والذين قتلهم بوحشية جنود أفريقيين سود يخدمون فى قوات الطوارئ الدولوية. فإذا كان هذا قد حدث هناك، فيمكن أن يحدث هذا!!

### المخاطر الحقيقية

ما هى المخاطر التى طرحت جانباً، للنظام مواطنه دولي؟

أولاً - يعنى مثل هذا النظام أن حماية قانون الولايات المتحدة للمعوق لن يطبق بعد، وسوف يطبق مبدأ الزيادة المحدودية، والتي تعنى أن المواطن الأمريكى فى النظام العالمى الجديد يمكن أن يلقى القبض عليه فى هذه البلاد أو خارجها، ويحاكم لانتهاكه قوانين الأمم المتحدة أمام محكمة دولية، والتي يمكن أن تحكم طبقاً للشريعة الإسلامية، مثل نظام الوصايا العشر المسيحية.

وأيًا ما كانت القوانين التى قد يمررها الكونجرس، أو تشرعها المحكمة الدستورية العليا، فيمكن أن تلغيها قوانين حكومة دولية، أو قرار من محكمة دولية إن هذا بالطبع هو ما يحدث الآن فى الولايات المتحدة.

فأنا أعيش فى «فيرجينيا»، وتحكمنى قوانين «فيرجينيا»، وويليس «فيرجينيا»، ويحاكمها وضاربها. لكن الكونجرس الفيدرالى، والمحاكم الفيدرالية، وسلطات الضرائب الفيدرالية، لها سلطان قضائى

غير مطلقية، أو أية حقوق شرعية أخرى، والتي تضمنها الآن مواطن أمريكي.

فقط فكر فيما يعنيه ألا تحاكم أمام هيئة محلفين من أبناء عشرينك؟ فى أمريكا، نحن نطمح أن فى مجتمعنا السعلى هيئة المحلفين تكون لها بعض التقدير لوجهات النظر المشتركة بيننا عن مفهوم الخطأ والمصائب والصيرة، والعدل، والمزينة الدستورية. إن الناس يصنعون محلفيهم الذين لا تختطف عقائدهم، وتعليمهم كثيراً عن ذلك المضمون المائل أمامهم.

ما هو ضرر كتمهم فى جريمة ما، إذا هوجمت أمام محكمة شعبية تتشكل من قرويين غير محلفين، والذين يبلغ دخلهم السنوى من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ دولار، والذين يمثل لهم دخله السنوى الذى يبلغ ٢٥٠٠ دولار نموذجاً للترأسعالي الجشع؟ ما هى فرصتك فى الحصول على العدل، والناطق المبني على القيم المشتركة؟ بالطبع، لا توجد أدنى فرصة.

لكن هناك ما هو أخطر، فكل القوانين الرائعة التى شجع الحرية من ثلوث الهواء، وثلوث المياه، والاستخدام السليم للأرض، واحترام الحيوانات، والحفاظ على حقوق العمال، والحد الأدنى للأجور، والرعاية الصحية على مستوى العالم، وغزرها، يجب أن تطبق برؤية إدارية ما، وتوقيع عقوبات قصوى.

إن البيروقراطية تعنى الأشكال، والأعمال الورقية، والتحقيق، والمظاهر، والتأخير، وعدم اليقين، ومصروفات لا تصدق. وهى أيضاً تعنى احتمالية المار والاحترار، والغرامات، والسجون، إذا ما تجاوز فرد أو جهة ما التنظيمات والتراتج، كما يراها بيروقراطي ضعيف المستوى أو مدعى سياسى طموح.

### اختبار الجهاز الإدارى

لقد قرأت خبراً مفزعاً عن ملك «الأرض»، والذى قام بتسوية قطعة من الأرض كان شكلها غير لائق وبها مخلفات ثم قام بجمع

على، والذي إما أن يدهم، أو يتوسط ادعاءات «فيرجينيا» مندى.

إننى أعتقد هذا بسماعة، ذلك أننى أحب كوني مواطناً فى الولايات المتحدة، ولكن مواطنة عالمية، مهما بدت رائعة، تعنى بكل الروضح أن المميزات الفريدة التى تتمتع بها كمواطنين فى الولايات المتحدة سوف تنتهى حينما يؤمن هذا البلد إيماناً كاملاً بمفهوم حكومة عالمية، ذات سلطة عسكرية تنفيذية، مع نزع السلاح من الدول المستقلة.

فقط فكر فى هذا. افترض أنك كمواطن أمريكى، واسمك سلمان رشدى قررت كتابة كتاب شعري وتلقه نقداً بسيطاً طائفة الشيعة فى الدين الإسلامى، فى أمريكا، كما هو مخصص عليه فى الدستور، أنت حر تماماً فى أن تفعل ذلك.

لكن افترض أن القانون الدولى للسائد للمزقية، تم تحديده تحديلاً طفيفاً ليفتعل على الحديث السياسى السلمى على نظام المدن الجامعية الأمريكية الشائع.

فى ظل نظام حكومة عالمية، يمكن أن يقبض عليك وتجرل من أمريكا لكى تحاكم أمام محكمة دولية على جريمة دولية، دون أن تلحق فرصة للواجهة مع المدعين عليك بالضرورة، أو هيئة محلفين من أبناء عشرينك، وهيئة مستشارين من أختبارك، وإن نكثت من عقاب قانس، أو دفع كفاءة مبالغ فيها، والبحث التحريات وفق معايير

بعض من القمامة على أرصنه، وبسوى الأرض، وزرعها بالثب.

ولهذه الجريمة، التي ارتكبتها ضد القانون، عوقب بالسجن ثلاث سنوات في سجن فيدرالي.

وهناك رجل أعمال مرموق آخر، لهم، ووجد مذنباً بالإقدام على انتهاك تكتيكى لقانون حديث، عوقب عليه بالسجن عشر سنوات في سجن فيدرالي، نتيجة للتطبيق الصارم لمعامل العقوبات الفيدرالية المحددة. وقد انهيار القاضى فى هذه الحالة، وصرخ لأنه لا يملك تخفيف العقوبة.

ومن المقرر أن تتضمن قائمة الإدارة الفيدرالية في هذا العام (١٩٩١) ستون ألف صفحة من التلخيصات الإدارية الفيدرالية الجديدة. إن الترتيبات والإجراءات التكنولوجية لهذه التلخيصات جعلت آلاف المصانين الأمريكيين أشقاء لأنهم يتفاعلون في قضايا الهرمات الإدارية والشهرب الضريبى لتكلمهم يصيرون المواطنين الذين يلمسون إليهم بالفسارة فقط.

إن دول الرخاء والرفاهية الأوروبية والأمريكية هي دول سيئة ولكن فقط عليك أن تفكر فيما سيكون عليه الحال عندما يقوم مفوض الطاقة أو التلوث من بيرو، وسوريلانكا بزيارة لمقرحك الذي تقيم عليه مصدك مثلاً، بناء على أوامر من هيئة التحكم في الطاقة والطرق في نيروبي والتي يقوم ممثلها الإدارى المسئول في أوروبا وأمريكا بالحديث بالفرنسية، بينما توجد إدارته المركزية في «بروسيس».

إنما ما علمت، أن هناك سمياً كوتياً للمسؤولين الرسميين في دول العالم الثالث للحصول على الرشوة، فهل ستؤدى القرائين العالمية الجديدة إلى شيء سوى حماية على مستوى العالم بصيغة مبهمة؟ الذين يستطيعون أن يدفعوا رشوة مشترا ساحتهم، والذين لا يستطيعون سوف تلقى مقرلتهم أو يرسلن للسجن.

أخيراً، سيطلق الأمر دون كلام، فالحكومة العالمية سوف تحتاج بالعزورة لقانون ضد الخيانة والتحايل.

ويجول معظم شعوب العالم أى شيء عن التمديد الأول للحريات، والذي تم الحصول عليه هؤلاء الناس من بيئنا في أمريكا، وذلك عن طريق هؤلاء المسيحيين الذين يؤمنون بالإنجيل، والذين نشأوا على معتقدات الأنجلو سلكسون في قسفة للتطريع.

ففى بلدان كثيرة، يعدم أو يسجن هؤلاء الذين يتقدمون الحكومة في الصحافة أو في الجمعيات الأهلية، كيف يمكن إذن أن نصدق أن هؤلاء الناس، والذين يتكلمون لمصانين أخرى عن حقوق الإنسان طوال حياتهم، سوف يتحولون فجأة إلى المصانين الأمريكية عن الحرية والتجارة المرة بمجرد جرة قلم؟

إن توقعاً مثل هذا يعد غير واقعى على الإطلاق، ببساطة إنه لن يحدث.

إن الجانب الذى يصيب بالإحباط فى الزعد بالنظام العالمى الجديد، هو أنه لى تعمل القوانين، فيجب أن تدعم بالعقوبات والعقوبات يمكن أن تكون فى شكل كوارث!!

لقد صنعت التكنولوجيا الحديثة المجائب فى هذا القرن. ففى السنوات العشر الأخيرة فقط، رأينا تصاعداً رهيباً فى تقنيات نظم الاتصال الدولى.

فكر كيف غيرت الأقمار الصناعية، والميكرويف، والخلايا الضوئية، والكومبيوتر وأجهزة الفاكس، وأجهزة التسجيل المغناطيسية فى طرق الاتصال فيما بيننا؟

فكر كيف منحت نفسها هذه التكنولوجيا لحكومة مركزية قوية ما، القدرة على جمع المعلومات، والسيطرة، والتحكم، وتوجيه إرادة الناس؟

### عملية توزيع الأدوار

إن بعض الأقلام السبىمالية واسعة الانتشار فى السنوات القليلة الماضية لها قوة تأثير دولية محدخلة بين المجرات ومع بعضها!!

فأنت لا تجد فقط، دولا مختلفة وأجناساً مختلفة تطير كلها مع بعضها، ولكن

العيونات والمخلفات العجيبة، وأشكال أخرى مفيدة تتعايش كما لو كانوا متساويين كلهم.

وتطبيق هذه المشاهد التي نراها فى الأقاليم هو أن الإنسان ليس مختلفاً، أو أفضل من أى شكل آخر من أشكال الحياة، وبالتأكيد أن الأمريكيين ليسوا مختلفين ولا أفضل من أى شعب فى أى دولة أخرى.

وهنى لو لم يكن هذا القول مألوفاً، فإن الأوروبيين والأمريكيين كان لهم تأثيراً إيجابى على ثقافة الجنس البشرى بسبب معتقداتهم الدينية، وعاداتهم فى العمل، وإبداعهم الفلاحي، ورغبتهم المتجددة فى حياة مسالمة ومشرقة.

فى كتابى «الألف عام المسيحية الجديدة»، تصورت أن بدول المضارة يمكن الآن، أن يحرر للطف، نمو الشرق، وللتقنيات الآسيوية يمكنها أن تصعد للسطح ثانية.

لقد كان للصينيين واليابانيين ثقافات راقية، تفوق إلى حد كبير تلك الثقافات المعروفة ببلدان العالم الثالث الآن. ويعتبر تجاوز هذه الفروق، والتفكير أو التصرف على أساس أن كل ثقافة، وكل نظام له الكفاءة نفسها هو شيء منطال للقل.

بالطبع، فإننا جميعاً أولاد وبنات آدم، ولكن يرسم ذلك هيئتنا قرون من الخلافات الثقافية وتلك الخلافات لا يمكن تجاهلها. لكن هناك احتمال كبير أن الحكومة العالمية القادمة سوف تعن أن الناس كلهم سواء.

ولابد أن يكون لدى هذه الحكومة قانون يمكنها من التحكم فى التسليح. فمن غير الممكن أن يكون نظامهم يسمح للشعوب بالفتاح، لأن ذلك سوف يتيح للمعارضين أن يشعلوا الثورة. لذا فإن حقنا الدستوري فى الاحتفاظ بالسلاح ورحله، سوف يكون من أولويات الأسباب للتشريع فى النظام العالمى الجديد.

ولدينا بالفعل فى أمريكا، قانون ضد ما يسمى بجرائم الكراهية، والذي شرعه مجلس النواب. وسيكون على الحكومة العالمية

## النظام العالمي اليهودي الجديد



منعزلاً ومريكاً في الوقت نفسه. لذلك إذا لجأت أوروبا دوراً رئيسياً في حكومة عالمية. وذلك مؤكد حدوثه - إذن علينا أن نتوقع الحدود التي ستحددها حتى لأدنى ما وصفت إليه هذا، وسوف تقود حرية العقيدة بشكل بالغ.

وعند حد معين، سيكون هناك قانون أديانة عالمية، وبدلاً من مفهوم التمدد الأول، والذي يقول بأن الحكومة لن تؤسس ديانة ما، ولن تمنع الممارسة الحرة للدين، فإن القانون الدولي الجديد، سوف يعرف الخاصية الكونية للدين، ومن المحتمل أن تنهت ديانة توفيقية بين الديانات المتعارضة، على أساس «الهدد الجديد».

إن ساحة التآمل في القيادة المركزية للأمم المتحدة الحالية، تم المسرح في العالم لكل الأفكار التي أمروا بها.

### التحكم في الدين

إن الأمر لا يتطلب خيالاً واسعاً، لكي نرى أنه سيكون هناك اعتراف رسمي بالروح الكونية، العقيدة الأساسية في كل الأديان، لكي تنهت كلها كإيمان بالهدد الجديد.

وهذا النوع من التفكير يتعارض مع فكر البوذيون والهندوس، وحتى بعض من يدعون المسيحية. إنه كدين للروح الإنسانية كله، يأسس على ما يعتقدون أنه الإنسانية والانتقال العقلي. لكن في مرحلة بينها، فإن الهيئة الدولية، بالضرورة، ستجمل من الإنجيلية، والتحول النقط فيها للوصول لمجموعة من المعتقدات المتكئة، مسيحية غير مرغوب فيها، ثم تقودها، ثم تعمل منها ديناً غير قانوني.

وعلى هذا النمط نفسه، سوف يكون هناك، بالضرورة قانون لتشريع القوانين الدولية، والتحكم في الفكر الإنساني.

وعلى الحكومة العالمية أن تضع قانوناً للصحافة، كي تحدد مساحة اللقد للحكومة المركزية التي يسمح بها في الإعلام والتكبح حرية الحديث مع وضع قيود على التعبير العلني أو حتى السري عن عدم الرضا.

أن يقربوا ما هو ليس إنجيلياً. ويجب أن تلتزم الجامعة بمفاهيم الحكومة، وتمديداتها على الخطوط والسياسات العامة، ولا واجهت عقوبات عويلة.

لقد سألت الكاردينال جون أوكهور من نيويورك، لماذا لم يعارض رؤساء جامعة «جورج تاون» هذه القضية في المحاكم العليا؟ فقال لي: إنه شخصياً كان يفضل إغلاق الجامعة قبل مناقشة القضايا الإيمانية بهذا الأسلوب. وكان لهذا القرار تبعات دراسية في الإقتال من شأن حرية الدين، والقتاعات الدولية، وتمديد جوهرى في وسائل حصول المسيحيين على حقوقهم في كل مكان.

فإذا كان هناك سوء استخدام بالغ للحرية في واشنطن، مقر الحكومة تمت حماية الدستور، فيمكنك التأكد أن هؤلاء الذين لا يتنصرون إلى قيمنا، سوف يستخدم الحرية على مستوى العالم كله.

ومهما كانت الانتهاكات التي حدثت للحرية هذا، فإن مثيلاً سيحدث في أية هيئة دولية، ولكن بأسلوب أكثر فجاجة.

ففي مثل هذه الهيئة الدولية، لن يكونوا أقل تقييداً، أو أكثر تساهلاً مع القيم المسيحية منا نحن هذا في الولايات المتحدة.

وحتى إذا لم يتصادوا لما هو أبعد مما وصلنا إليه بالفعل، فإنهم بالتأكيد سيصلون للمدى نفسه. ويذكر أن انهيار القيم الأخلاقية في أوروبا في الثلاثين عاماً الماضية يعد أمراً

الجديدة، أن تصدر قانونها الخاص منذ جرالم الكراهية للعالمية، حيث يتم توسيع مدى الخطاب السياسي السليم للكتابات الجامعية آلاف المرات.

ولن يستطيع أحد الحديث علانية، ضد معتقدات مسلم، أو هندوسى، أو ملحد، أو ضد معتقدات شيوعى أو اشتراكي. وإن يستطيع المسيحيون الحديث علانية بالقد ضد الشذوذ الجنسي بكل أشكاله. فما نعرفه على أنه حرية الدين سوف يمتد، وسيمتد كبت حريات المسيحيين.

وستصبح المساواة بين كل الأديان، والأجساد، والممارسات الجنسية، ونظم المعتقدات أمراً عالمياً، ويصير أى إنسان منطبق بتجاوز الحدود، معرضاً لمعقبة علنية ترفعها عليه حكومة عالمية.

تذكر متى أن محكمة في كولومبيا، شرعت الحق بمنع الطصورية على أساس التفصيل بسبب الجنس، وهو تشريع ينتهك التمدد الأمريكي الأول للحقوق في الحرية الدينية.

### الانتهاكات التي لم يسبق لها مثيل

لقد انتهكت المحكمة بالفعل الحرية الدينية، في واشنطن دي. سي. عندما أجبرت مدرسة كاثوليكية، وهي جامعة جورج واشنطن، على توفير التسهيلات لجماعات الشوذ جنسياً، ذلك رغم أن الشوذ الجنسي على وجه الخصوص تنصره الجامعة تاريخياً، وشرائع الإيمان المسيحي.

وقررت المحكمة، أن على الجامعة أن تعطي جماعات الشوذ جنسياً مكتباً، وتليفونات وصناديق بريدية، وغيرها من الخدمات كلها دون مقابل.

في جوهر المسألة، أجبرت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على تقديم اللون المالى للشوذ الجنسي، بالرغم أن هذه الممارسات هي انتهاك صارخ للقوانين الأساسية لإيمانها.

وفي جامعة «جورج تاون»، لا يمكن للأستاذة اختيار أى ممارسة تعتبر إنجيلية أو



لقد قدمت دول العالم الثالث مقترحات شبيهة مرات ومرات في الأمم المتحدة، محاولة لتنظيم الصحافة العالمية، والحكم فيها. وكانت المقاربة الشديدة من الولايات المتحدة المسبقة لتقوية هي التي منعت تشرير هذه الإجراءات.

لكن التحكم في الصحافة، كان دوماً قريباً إلى قلوب السوفييت وديكتاتوريات العالم الثالث، فهم لا يريدون صحافة حرة غير مقيدة.

في عام ١٩٩١ قام ميخائيل جورباتشوف، الذي كرفي قبلها كبطل للإصلاح الديموقراطي، بإقناع الحكومة لكي تشد من قبضتها على الصحافة، وأنشأ إدارة حكومية لكي يستخدم سلطانها في مراقبة المطبوعات ليفرض على النقد الذي يوجه له، وللحكومة السوفيتية. والمحصلة أن هذا القانون لم يطبق، لكن النية كانت موجودة دون شك.

وعندما يفقد التعبير، يكون هناك تقليدًا للمبادئ في العان على العامة. وسيكون هناك ديزات مطلوبة للحصول على حق المواطنة العالمية في جميع مستويات المجتمع، وتدريب المحققين والواجبات للمواطنين العلميين.

هذا ما أدركه بلاثو. إن هذا يعني ما حدث في النظام السوفييتي، وفي ألمانيا، لكن أبس هذا ما يحدث الآن في المدارس العامة في أمريكا؟!

ففي كل أرجاء البلاد، يتلقى الأطفال للتعليم كمراتين عالميين، مع تجهيل واحترام الأرض، والبيئة، والحيوانات، والانس من كل الأصول والأديان والخرجات الجنسية، ويبدو أن هذا سيور قدام مع تقنين على نطاق واسع تتولاها الحكومة العالمية.

هذا بالطبع هو نوع من فصيل المغ، وهو مجرد خطوة قصيرة من المفهوم الحديث الأوربونياني. فسوف ينشر كل ما هو طيب عن القائد فقط، حيث يلتق كل فرد مجموعة من الأفكار والمعتقدات.

فكر في الأمر الذي ستحدثه اللقاعات الدولية واسعة النطاق على محطات تلفزيون

الأقمار الصناعية، حيث تمتد الجماهير لمحذ القادة، ولذين إلى أي مدى هورجل عظيم، وكيف أنه رائعاً أن تحيا في نظامه العالمي الجديد.

### تكنولوجيا الكمبيوتر

إن هؤلاء الذين يحشدون عن مزايا حكومة عالمية، يتجاهلون واحدة من التطورات المذهلة للتكنولوجيا الحديثة في عالم اليوم. وهي الرقائق الصغيرة والكمبيوترات الفائقة القدرة.

قديمًا حيث كانت سجلات السكان تكتب يدويًا لم تكن هناك وسيلة فعالة للتحكم في كل الناس.

ومن المؤكد أن للحكومات الشمولية يمكنها أن تمارس تحكمًا هائلًا في شعوبها، ولكن للناس دائمًا كانوا يجدون وسيلة لإخفاء أنفسهم، وأموالهم عن عيون السلطات وكان ممكنًا الهروب من بطش الطغاة إلى دول حرة، وكانت الدولة تقوم بالمساعدات الخارجية.

لكن تحت سيطرة حكومة عالمية شمولية واحدة، لن تكون هناك جزيرة للحرية يمكن اللجوء إليها، وإن تكون هناك سلطة كبرى مثل أمريكا للحفاظ على المبادئ الديموقراطية.

وسيصبح لكل مواطن في العالم رقم، ويخفف مع رقم بلده، وديانته، وهويته الشخصية. ويجبر الأبناء في الولايات المتحدة الآن على الحصول على رقم للنامين الاجتماعي على أبنائهم عند ولادتهم أو يفقدون إعاناتهم الضريبية.

ويمكن للكمبيوترات ذات الشاشات فائقة السرعة، مع خدمات الملفات المعدلة، إذا ما اقترنت بجمعتها في شبكات واسعة المدى، يمكنها أن تحتفظ بالتيريبينات من المعلومات وتستدعيها عند الطلب، بسرعة البرق ويمتلكها الدولة.

وليس هناك أدنى شك، في أن حكومة عالمية - ولأول مرة في التاريخ - ستكون لديها القدرة أن تسجل، وتستدعي في أجزاء

من الدوائر، الإحصائيات الحيوية الكاملة، وسجل الحياة لكل مواطن في العالم.

وإذا ما تفرغنا إلى عمله للنقد الدولية، فإن ما يسمى بجمعهم بلا شبكات أو نقد، والمتابعة والتحكم في كل الثروات، فيما عدا عمليات تبادل الأموال البهائية، كل هذا سيصبح واقعًا. وسيصبح الوقت الذي يمكن فيه فرض الضريبة على الدولة المسجلة في الكمبيوترات ممكنًا بحكم القانون، أو في وجود مداح ديكتاتوري، يمكن تجميد الثروة المراكمة لأي فرد، أو أية طبقة أو مجموعة من الأفراد، بمجرد إصدار تعليمات بسيطة للكمبيوتر المركزي.

وفي وجود التكنولوجيا الحديثة سيوسل تحديد أشكال الشراء التي سيسمح لأناس ببيعهم القيام بها، أو منع كل أنواع الشراء، فلم يشهد عالمنا من قبل زمنًا لتتحقق فيه كلمات سفر الرؤيا حرفيًا، لن يستطيع رجل الشراء أو البيع دون علامة البهيمية.

إن للكمبيوترات شديدة التطور في «بروسا»، والتي تتعامل مع المعلومات البيئية على مستوى العالم من أجل الاتصالات المالية المتعددة بين البنوك في أرجاء العالم (إس. دبليو. آي. إف. ئي) أصبحت تسمى بالفعل بالبهيمية (الطبيعة البهيمية أو الحيوانية).

وهناك المزيد أيضًا، فعمليات المتابعة والرقابة، يمكن وضعها موضع التنفيذ، وروبطها بالأقمار الصناعية الأرضية لمتابعة تحركات كل مواطن حول العالم.

وكل ما سيكون ضروريًا هو، قارئ للبطاقات مزودة في نقاط مسجرح بها في المنزل، أو العمل، فإذا لم يعد للفرد لبيته في الأوقات المناسبة، تدق أجراس الإنذار، ويتم البحث عنه، مثلًا يحدث مع منهم هرب من السجن.

إنني أعلم أن هذا قد يبدو شديداً بقصة من قصص الخيال العلمي المخيفة، لكن فقدان الولايات المتحدة لسيادتها بفتح الباب أمام كل الاحتمالات الواقعية، إنه في يوم ما في المستقبل، يمكن لرجل مجنون مثل هتلر،

فرض الهيمنة على حكومة عالمية للعالم بأسره، ثم يوظف التكنولوجيا المعاصرة ليجعل العالم كله إلى سجن كبير.

### الاعتماد المتبادل المتشابك

في الماضي، وفي مجتمع زراعي، حيث كل عائلة تكتفي ذاتياً بالضرورة، كان مثل هذا الشكل من التحكم مستحيلًا. إن المخزونات البسيطة بطبيعتها أكثر مرونة من المخزونات التي تعتمد على بعضها البعض بشكل متد ومتشابك، فإذا توافر لكل منزل - مثلاً - للشمع من أجل الإنارة، والأخشاب للتدفئة، فإنها لن تكون في حاجة للدمع الخارجي مثل مدينة كبيرة مربوطة بمسلة ولايات أخرى في طائفتها الكهربائية.

تذكر الربيع الذي سيطر على مدينة نيويورك، عندما انهار مصدر طاقتها المحلي، فأطلفت الأنوار، واندحزت العربات في الأنفاق، الركاب نعت الأرض، وتوقفت المصاعد بين الأنوار في فاضحات السحاب، وماتت الأصواء في الطرقات وسكنت أجهزة الإنذار وساد الربيع في كل مكان، حيث شرعت عصابات الشوارع في التهب نعت سائر الظلام.

وصار الناس في هذا الوضع المعقد لا حول لهم ولا قوة، فقد الطاقة الكهربائية أمر بالغ الأثر، في الصناعة، في التوزيع، في أسواق المال، وفي السياسات.

وما هو أبسط من ذلك، أن النظم الأكثر استقلالية هي صادة أكثر عرضة للخلل والكارثة. ومن الواضح أن النظم الأكثر تعقيداً، واعتماداً على بعضها البعض هي أكثر فعالية، وأقل تكلفة، لكنها الأكثر خطورة بكثير.

ويرى الأميون أن اقتصاديات التقياس لما يسمى بالمؤسسات الدولية، ونظم الائتمان الدولية، والعملة الدولية، والبنوك الدولية هي النحل المثالي لمشاكل العالم، فهم يركزون على الاعتماد المتبادل دولياً في كل شيء، كما لو كان كاساً مقدسة (التي شرب فيها المسيح في الشاه الأخير).

### النظام العالمي اليهودي الجديد



يجب أن نتذكر ماذا حدث أثناء انهيار الطاقة في نيويورك، عندما ألح زعمائنا على المزيد والمزيد من الاعتماد الدولي المتبادل والمصدق، الذي يتم التحكم فيه من خلال حكومة عالمية واحدة، بدلاً من نظامنا الحالي، من الطاقة المهدرة، والاعتماد التلوي المتبادل.

يقول الآن بلهم في السنوات الماضية، أنه ليس سرًا أن برنامج حركة العودة للأساسيات، كان لمحو سجل الأعمال، ومحو عقول الطلاب، كي تقول لهم إن كل شيء نسبي، وكل شيء يساري.

قلم تعد للقيم الأمريكية، والقيم المسيحية، اليهودية، وقيم الحضارة الغربية ذات أهمية أكبر من قوم أكلي لحوم البشر في إسرائيل، أو زعيم لجنية شيوعية في الصين، وبالتالي، فإن أجيالاً بأكملها من الطلاب الأمريكيين، يتم تأهيلهم لقبول أي نظرية سائدة، والتي تقدم على أنها الحقيقة.

فليس لدى الطلاب نظام قيمى نسبي، لاستخدامه كحجر زاوية للتحليل النقدي للخطأ والصواب، أو الطيب والخبث.

وتعتبر القيم القديمة موضة قديمة بلا معنى، بينما الأفكار الجديدة، والأفكار العقلانية الجديدة لا غبار عليها، وسجل الأعمال نظيفاً، وباب العقل مفتوح، وأى نزاع، أو تفسير براق، أو بدعة من بدع «شارع ماديسون»، يمكن منحهها في عقول الشباب دون مقاومة.

وعلى مدى ثلاثين عاماً، ظلت عقول الأطفال كآلة للتلقين، ثم تفرغها وتعقيمها، وتزكت مفتوحة لأي إنسان قادر على استعراض الانحرافات التي تدربوا عليها، ورغباتهم المادية التي تلبيها برامج تتحدد على سهولة خداعهم.

إن هذا النموذج لا يصبح حقيقة على مستوى العالم - خاصة بالنسبة للأطفال الذين تعلموا نظام القيم داخل بيوتهم - لكنه امت في حاجة للنظر بعيداً كي ترى كيف صار هذا النموذج سائداً.

إن مواطنينا الصغار في طفولتهم، ولتقوّن بأن الطريقة الأمريكية، وأسلوب الحياة المسمى، ومستوى المعيشة الأمريكي، بكل الفصول المجردة من تاريخنا ولربنا المعاد، والعصرية، ولنا لسنا أفضل، ولا أكثر مقدرة وكفاءة من أى شعب آخر.

فقط عليك قراءة مائتين من دعاية ضد كولومبس، والمستعمرين البيض في الاحتفال بمرور خمسمائة عام على رحلته الاستكشافية.

كل هذا بالطبع، يهيئ المناخ للعالم الجديد، حيث حصل كل مواطن على سجل تاريخ نفى خالٍ، والشباب ليس لديهم مفهوم واضح عن تاريخ أمريكا، ولا أدنى فهم من الصراع من أجل الحرية، أو ماهي القيم النسبية لأمالينا في الحياة مقابل الأساليب الأخرى، بمعنى آخر هم جاهزون للتفكير على أساس من حياد القيم.

إن قوة هذا النوع من غسل أدمغ بعيدة عن التصديق، وذلك في محاضرات الجامعة، حيث لا تبرز على التلور بأن أمريكا أو المسيحية هي طريقة أفضل للحياة.

عندما ذكرت أثناء الحملة الانتخابية للرئاسة، إثنى سرف أرشح للمناصب الحكومية المسيحيين واليهود فقط، كنت أفتح على نفسي عاصفة من النار!!

فقد سألتني أجهزة الإعلام بجدد، ماذا تعني؟ هل إن تأني بالمحدين للحكومة؟ وكيف تبرز على التقرير بأن هؤلاء الذين

ويعلمون بالقول المسيحية اليهودية، هم أكثر أهلية لحكم أمريكا من الهنود والمسلمين؟، وكانت إجابتي البسيطة، نعم إنهم كذلك.

كما يتم تجاهل الأطفال عادة، في لغة الخطاب لحرركات المرأة، والتي أسامت لزمن طويل، إلى سمعة الأمومة، وضغمت من دور المرأة في المهن المختلفة، وفي الأعمال الودية، وأيضا في مجال الخدمة العسكرية.

في مجمل الأمر، كان كل ضغط جديد في المجتمع دائما يوجه ضد نظام الأسرة، فقد أدخلنا نظام الطلاق من قيود، وأضنا أعماه «ضريبة على الأسرة» وصلت إلى نسبة ٢٢٦٪، بل وفحصنا فصولا للجنس في المدارس، لتعليم الجنس وتوزيع وسائل منع الحمل.

وفوق كل ذلك، تقوم الهيئة القومية للتعليم بطباعة ونشر ألوان من الأدب، لكي يبينوا للأبناء كيف يغيخسون حقوق الآباء، وتزايد عدد الأمهات العاملات بشكل مذهل من ٢٣,٨٪ عام ١٩٤٨ إلى ٦٦,٦٪ عام ١٩٩٠، وكان هذا بسبب التخصيم الذي تسببت فيه الحكومة، مما أدى لانخفاض حاد في الدخول الحقيقية لأرباب الأسر الرجال.

نقول الوصية الخاصة: «أكرم أبائك وأماك لكي تطول أيامك على الأرض».

ففي نظام الرب، وحدة الأسرة تتكون من الأم والأب والأبناء. والأسرة الأحادية هي النظام الطبيعي، حيث يقوم الأبوان بدد الاحتياجات المادية لأبنائهم، ويمنحونهم التعليم الصحيح، والنظام، وعلى الأسرة مسئولية نقل الثقافة، وعادات المجتمع للأطفال.

ويجب على الأطفال احترام وطاعة آبائهم، لأنهم يمثلون الرب لهم. وعندما يكبر الآباء، ويصبحوا غير قادرين على العمل، يشمل احترام الآباء لهم، تقديم الرعاية المادية، وكما قال لي أحد المراهقين ذات مرة «إذا أحمل الأب والأم مشقة رعاية أربعة أبناء، فلماذا لا يستطيع أربعة أبناء رعاية أمهم وأبيهم؟».

ويبدأ من الالتزام بهذا النموذج، قام المجتمع بقطع صلة الرحم التي حض عليها النظام الإلهي، فنحن نشجع استخدام وسائل منع الحمل، والإجهاض.

ثم إننا من خلال الضمان الاجتماعي، والرعاية الصحية، والمعونة الطبية، ودعم برامج المعونة الأخرى الغير الحكومية، قطعنا - وبكفاءة - الصلة الأبدية بين الأبناء وآبائهم في الكبر:

ويبدأ من أن يصبح تقدم السن، وقتاً ينال فيه الفرد التكريم على ما قدم، عادة ما يصبح وقتاً للعوز والعاجزة، وكما يرى المتكبرون، أصحاب النظرة الإنسانية في النظام العالمي للجدد، فإن دور رعاية المسنين التي تتولاها الحكومة، وسبل القتل الرحيم هي الأكثر فعالية في علاج مشكلة كبار السن.

### التعريف على الرب

يبنى النظام العالمي الإلهي، على علاقات صحيحة مع الرب، ثم احترام الإنسان، الذي خلقه الرب على صورته، ثم احترام الأسرة الأحادية كأساس لبناء المجتمع، والتي ينشأ من خلالها - وبشكل طبيعي - أمة صحيحة، وبالتالي عالماً صحيحاً.

وكل مجتمع صحي يسعى في عالمنا اليوم، يركز على أهمية المائلات المتراصة، والآباء المصبيين، والمعنات الأصلية، والتعليم الرقيق، واحترام العمل، والاقتصاد الجاد، واعتماد الفرد على الذات، والاعتراف القومي.

وفي كل هذه المجتمعات يشن السياسيون، رواد النظام المالي الجديد هجوماً شرساً عليها، محاولين التقليل من شأن الولايات المتحدة حتى تسلم فرصتها التدخل بإرادتها في حكومة عالمية.

فبمجرد أن يصبح للناس في العالم، على صلة مباشرة بالرب، ويخزون قورا للتزييف لساناني (الشيطان)، ويدركوا أن الرب يمكن أن يمنحهم كل احتياجاتهم، ويمنحونهم الحفاظ على كرامتهم الشخصية،

وقيمتهم الذاتية، ويسيرون على النهج الصحيح في أسرهم - عندئذ - فقط - يصبحون في وضع يمكنهم من رعاية إخوتهم في الإنسانية.

كتب الرسول بولس، أن الوصية الخاصة يمكن تلخيصها في جملة واحدة، «سوف تحب جارك كما تحب نفسك، ذلك أن الحب لا يؤدي الآخرين».

وتضمن الوصية السادسة، احترام الحق في الحياة:

«لا تقتل. لا تزن. لا تسرق». إن حياة الإنسان خلقت في صورة الرب، لذا، لا يجب الاعتداء عليها.

وقد أدرك مؤسس الجمهورية الأمريكية، أن الرب خلق الرجال كلهم متساوين على صورته، فمحتج الرجال الحقوق التي لا يمكن التنازل عنها، حفاظاً على الحياة، والحرية، وسباً وراء السعادة.

إن الحقوق الأساسية للناس في النظام الإلهي، يضعها الرب نفسه ولا يمكن لأي حكومة أن تسلبها، بينما في النظام الشيوعي للناس فقط، الحقوق التي تمنحها لهم الدولة.

أما في دستور الولايات المتحدة، تنقل الدولة فقط، هذا الجزء من الحقوق الإلهية، الذي يتسحق للناس - عن طريق العقد الاجتماعي - لتخلى عنها.

فإذا استبعد الرب من المعادلة، وإذا لم تكن حياة الإنسان على صورة الخالق، عندها يمكن معاملة الناس كاتبهاتهم، من أجل صالح أسوأهم.

إن أي نظام عالمي جديد، يبنى على الإلحاد، والتوفيق بين الديانات المتعارضة، سوف يقلل من شأن الحق في الحياة لكل كائن بشري، فالذي لم يولد يمكن إجهاضه، الضعيف يمكن التخلص منه، والمسن يمكن حقنه بدواء قاتل، وفي النظام العالمي الجديد، الذي دعا إليه هنتز، سني هؤلاء «بالأكلة» الذين لا فائدة منهم، وهم غير قادرين على الحياة، باسم الإنسانية - خطوا من شأن الحقوق الأساسية للبشر.

## النظام العالمي اليهودي الجديد

كانوا أغنياء، لكي يحصلوا على بركات الرب، عليهم أن يملحوا الهدايا طواعية للفقير، وما يتوفر من بقايا الحصاد يوضع جانباً، بحيث يجد الفقراء الفرصة للحصول على ما يلزم لحياتهم.

وتحت اليوم نسمع في لغة الخطاب السياسي، بأن هناك اختلافاً بين حقوق الإنسان، وحقوق الملكية. إن هذا محض هراء، فبدون ملكية من نوع ما، يستحيل الحصول على الغذاء والكساء والسكن، ومن المؤكد أنه يستحيل أيضاً الحصول على المتعة، والتعليم، والكتب، والموسيقى، والفنون، وفرص السباحة، ومعاني التمتع دون قلق. تلك الأشياء التي تعتبر من فوائد الحضارة.

وعندما تحدث الذين وضعوا الإطار العام لإعلان الاستقلال للولايات المتحدة عن السعي البشري وراء السعادة، كان في ذهنهم - ويوضح - القدرة على العمل والإنتاج، والندفعة البشرية لجميع الممتلكات المادية الخاصة، وأن يدفعوا لمن نظام الحياة التي تنميها تلك الممتلكات.

تذكر، أنه بالرغم من ذلك، فإن مؤسسي بلادنا، ضمحلوا لنا السعي وراء السعادة، وليس السعادة نفسها، فلا توجد دولة على وجه الأرض، لديها القوة والسلطة، كي تضمن السعادة لمواطنيها، لكن أي دولة وكلها أن تضمن الفرصة لكل المواطنين حتى سعادتهم وراء مصيرهم، تحت لواء الرب.

إن كل رؤى المدن الفاضلة عن النظام العالمي، تفرض قيوداً شديدة على ملكية الناس للممتلكات، والاستمتاع بشمارها، بينما النظام الإلهي يتيح لكل رجل أن يكون حراً، بل يجب أن يكون حراً، في امتلاكه ملكية خاصة، خالصة، دون خوف من سرقة بواسطة رجل آخر، أو مصادرة بواسطة حكومة جشعة.

### المتهمون الزائفون

في الدول الشيوعية، يكاد يكون جزءاً أساسياً من حياة المواطنين، إجراء محاكمات



في الوقت نفسه ليس لأحد من الزوجين أن يقلق من أن المعاشرة بينه وبين شريكه في رابطة الزواج ستجلب مرضاً قاتلاً لفراش الزوجية، والأبناء في الأسرة يولدون في الحب والإخلاص الذي يقابله أبائهم، وفي استقرار وشرف بيتهم، فالوصية السابعة دافعة:

«في النظام الإلهي، توجه طاقة البشر نحو خلق عالم عادل وسعيد، والتاريخ بين أن كل حضارة بددت فيها العلاقات الإبداعية للناس، في الدعارة الجنسية والسكر، ذهبت واندثرت سريعاً، فبدون ثقة وإخلاص تفتل الأسر، وتفتل الأمم».

### احترام الملكية

إن النظام الإلهي يدرك تقسية الملكية الخاصة، فالوصية الثامنة تقول:

«لا تسرق»

بمعنى أن الرب يصرم على أي مواطن أن يستولى على ما يخص مواطن آخر، فالرب لم يسمح لروبيين هود أن يأخذ من الغني ليعطي للفقير، ولا للغني للجمع أن يسرق ممتلكات الفقير. في نظام الرب، ليست هناك جذور لإعادة توزيع الثروة حيث تجبر الحكومة المواطنين المنتجين أن يهبوا ثمره جهدهم للشاق لهؤلاء القدر متجنين.

وفي النظام الإلهي، هناك فرصة متاحة للمساواة بين كل المواطنين، فهو لا الذين

في النظام الإلهي، أن يفضي أحد على حياته، فهرأمن في وطنه، وفي وطنيته، وفي ترحاله، ولا يسمح للصقوة أو الدولة بالقتل.

### رابطة الزواج

في بعض شاذج المدن الفاضلة، يتم تشفأة الأطفال في مراكز عامة، وفي بعضها الآخر - كما في ألمانيا النازية، تعامل النساء كالدجاج الحاصن للبيض حتى يفقس، لحمل الجنس المثالي. وفي غيرها من المدن الفاضلة فإن الحياة الأسرية ممنوعة، إلا بهدف ولصمد، وهو إجناب الأطفال الشيوعيين.

وفي المنظور المصري للثيوتوبيا، يسمح بالجموح الجنسي بين الرجل والمرأة، وبين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة، بأية وسيلة، وفي أي شكل جماعي أو منفرد، وتحت أي ظروف تبدو مرغوباً فيها، بينما في النظام الإلهي، فإن العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج محرمة، والزواج رباط أبدي يستمر مدى الحياة.

ويجب أن تكون رابطة الزواج قسوية تماماً، بحيث لا يحق لأي شريك في هذه الرابطة أن يتوسط في علاقات جنسية خارجية مع الغير، ولا يحق لأي أحد رجلا كان أو امرأة، أن يكرن له علاقة جنسية مع شخص متزوج.

في النظام الإلهي، ويشمر كل زوج بالأمان في حبه وإخلاصه للطرف الآخر، وكل أب يوقن أن الأولاد الذين أنجبهم زوجته أثناء الزواج، هم أولاده هو، وكل زوجة توقن أن زوجها لا يشارك أحداً غيرها، فيما يخصها ويخص أولادها.

وكل شريك في الزواج على يقين بأن الحياة التي بناها مع شريكه، لن تنهم بملاقة غرامية قصيرة عابرة مع شخص ما خارج إطار الزواج. إن الزواج الشرعي هو استثمار مدى الحياة لكل من الزوجين، وليست لأي منهما أن يخاف يوماً من أن يسلبه شخص آخر.

صورية ، وإصدار أحكام مسبقة قبل إجرائها هذه المحاكمات ، والقتالة ، ووكلاء الدعاية ، والشهود جميعهم فاسدون .

في الولايات برغم وجود حالات اتهام زائفة في بعض الأحيان ، فإن المقابل الحقيقي الوحيد لنظام الشيوعي الشرعي ، يوجد في الصحافة الأمريكية العرة .

هناذا يتم تشريعه سمعة المواطنين ، وموظفي الحكومة الرسميين ، واتهامهم في الصحافة ، بواسطة محرري التحقيقات الصحفية الذين يصرفون كمدينين وقضاة ، ومحتجين في الوقت نفسه ، ولا يملك المتهم الحق في السؤال عن الدليل ضده ، ولا يوجد استئناف أمام قاضي محايد ، وليس هناك سبيل ما لمراجعة دقة الاتهام ضده .

يصدر قرار المحكمة الدستورية العليا الأمريكية لصالح سوليفان في . في جريدة نيويورك تايمز ، أصبح عبء الدليل المطلوب لإثبات القذف والشبهه منذ ألية جريدة مرفقا جدا ، حتى أن ضحايا الصحافة وحملاتها ليس لهم سوى خيار واحد ، وهو السدادة في هدوء من فقدان سمعتهم .

إن الزمن الذي يقتضيه الدرافق بين صحافة الإثارة ، ودوافعها ، وبين الموظفين الرسميين ، غالبا لدرجة كبيرة ، حتى إن الكثير من المواطنين الصالحين ، أصحاب القدرات ، صاروا متقاصمين عن الدخول في أي شكل من النشاط العام والخدمة العامة .

بالنسبة لي ، فبعد ثلاثين عاما من تلقي القذف ، والاشتهار على أيدي وسائل الإعلام المبتدعة ، أصبحت محصنا ومتعاسكا بعض الشيء أمام نكباتهم ، ولكنني أتجنب عادة من الأمر ، فمن أعطى لهؤلاء الناس الحق في تطهير ، وإهانة ، وإساءة سمعة إنسان ما يعيش معهم في سلام ؟

لقد حاربت الصحافة الحرة ، وبشكل متكرر ، أن تسلب المسيحيين في أمريكا الحق في الترشح للوظائف الرسمية ، أو في مساندة مرشح ما ، أو الاعتراض على إساءة استخدام السلطة ، أو في حماية أنفسهم في المحاكم .

ومهما كان النصر النهائي الذي قد يحققه المرشعون المسيحيون ، فطاعة ما يقل من شأنه ، يسبب سيل الترويح - للغير مبرر - والذي يلاقوه في الصحافة . ويبدو أنه من المستحيل تماما ، أن يحصل مسيحي إنجيليكي في أمريكا على تقرير منصف في الصحافة الحرة ، إذا ما تورط في أي حدث غور متقبل ، مع إدارة حكومية ما ، على أي مستوى واستثناءات قليلة جدا .

يصرف النظر عن مدى سوء استخدام للسلطة الحكومية ، فإن الموظف الرسمي - المسيحي الإنجيليكي - يعلم مبدئاً أن الإدارة الحكومية سوف تصور في وضع مقبول ، وأنه سوف يصور في وضع سيء في وسائل الإعلام .

وفي إحدى الحالات التي كنت طرفا فيها ، لم يستطع محامى اليهودي إقناع الصحافة الحرة أنه تم إثبات عدم مسؤوليتي تماما عن القذف الذي أنق في حق ، وكان تحفيقه ، وهو يمثل عملاء من جميع أنحاء العالم كحماء ، وإفراط إسرائيل حكومية عديدة ؛ إنني لم أشهد مثل هذا للعداء من الصحافة في حياتي .

وتتعلق الصحافة الحرة ، المؤسسة في الولايات المتحدة وأوروبا . ولقد استخدم للنازي للصحافة كي يحط من قدر اليهود ، وجعل للعداء معهم مصدرا للاحتقار . واستخدم الشيوعيون الصحافة كي يهدموا ركائز أصدالهم ، حتى قبل محاكمتهم أو معاقبتهم . وفي النظام العالمي الجديد علينا أن نكون متأكدين ، أن هؤلاء الذين سيؤتون في طريق خطط المؤسسة ، سوف يكون معديهم ، مثل مارجريت تاتشر ، ضحية الاغتيال المتواصل للشخصية العامة بواسطة الصحافة .

### التحرر من الخوف

في النظام العالمي الإلهي ، غير مسموح بالتشهير أو الاقتراف ، فالوصية الثامنة تقول : « لا تشهد على قريب شهادة زور » .

ومقصود بذلك حماية سمعة الإنسان ، فيوجب أن يأمن الناس شر المحاكمات

الصورية ، والأكاذيب التي يفتري بها عليهم في المحكمة ، ولكن عليهم أيضا أن يتحرروا مما يشوب سمعتهم بسبب جوران كاذبين ، أو مرغطين كاذبين ، أو محررين صحفيين كاذبين .

وكما ترى ، ففي النظام الإلهي ، يحيا الناس دون خوف من أي نوع ، فلا خوف على حياتهم ، أو ممتلكاتهم ، ولا خوف على أزواجهم ، ولا خوف من فقدان سمعتهم ، بسبب اتهامات زائفة .

ولكن أن يوجد إنسان معزل عن الخوف طالما وجد شخص آخر يتطلع لوظيفته ، أو لزوجته ، أو لرئيسه ، أو ماله ، أو لنيل من سمعته . إن دول الرفاهية ، والنظم الاشتراكية مؤسسة على سياسات تدعو للعداء فالفتنر بحسد الخفي ، لذلك يستخدم سلطة الحكومة للاستيلاء على ثروات الأغنياء . ويعرف رجال الكونجرس الليبراليين الخفي دائما ، بأنه أي فرد يجمع مالا بأكثر مما يحصلون عليه . وبالرغم من الاعتراضات على زيادة رواتب رجال الكونجرس ، فهي أكثر أمدا بالنسبة للمواطنين من الطبقة المتوسطة لأنها . كما نطم - أن تطبق عليها شرائع ضريبية أعلى .

لكن النظام العالمي الجديد ، يعد بتصعيد سياسات القصد والقمع لسمو جديد ، وستجد فيه دول العالم الثالث ، الوسيلة للاستيلاء على ثروة هذا البلد .

إن القلة من أبناء الولايات المتحدة ، الذين يعيشون دون خوف ، من مواجهة عقوبات ضريبية الدخول الحكومي العلني ، ومطبات التحصيل الضريبي ، وأمروزي الضرائب المحليين .

فكر في الخوف الذي سيسخر على علنا عندما نجد قارئين يسكتانها ، تسترليان على ممتلكاتنا ، وليس هناك سبيل لنمنعها من أخذ ما يهصدا .

في النظام الإلهي ، تجعل الوصية الأخيرة كل الخيارات ممكنة ، حيث يعلن الرب عن شيء لا تستطيع حكومة كانت أن تقنمه ، وهو قلب الإنسان ، بحيث يقتل جذور

القتل، والسرقه، والدعارة، والشهيرة، عندما يوصى:

فى النظام الإلهى، يمكن للناس أن يمتكروا، كل ما يمكنهم الحصول عليه برسيلة أخلاقية وشريفة، من المصادر المتاحة لكل الناس، طالما أنهم يعبدون الله، وليس المملكات والأشياء، ويعطون بسخام لهؤلاء الأقل منهم ثروة. لكن لا يمكنهم، حتى مجرد الرغبة، فى الحصول على ما يخص جيرانهم، فما يملكه شخص ما، هو ملكه خالص له، لا يمس، وهو فى حماية لقانون الإلهى المقدس لرب يعقوب.

إن الإشتراكيين، والشيوعيين، ومؤيدى دولة الرفاهية المنظمة، يريدون جميعاً أن تحل الحكومة المشكلات المتصلة فى المجتمع، وحلولهم على اختلافها، تنطوى على التنظيم الحكومى، والإنفاق الحكومى على الخدمات، وزيادة حصيله الضرائب الحكومى، وعقوبات أكثر صرامة لفرض قوانينهم.

وتعمل الحكومة بالنسبة لهم، محل الرب، ويتطلع أنظار المواطنين إليها كى تعملهم وتعمل مسؤوليتهم، من الميلاد إلى السمات.

فى أمريكا اليوم، أكثر من نصف المواطنين، أغنياء وفقراء، يحصلون على مخصصات مالية من الحكومة، لذلك فيجدون محزنة، أو ثورة سياسية، فإن العملية فى الواقع، لا يمكن التراجع عنها.

### الحكومة فى مقام الرب

عندما تقوم الحكومة بمقام الرب، فإن الجرائم الكبرى فى المجتمع تشمل خرق قوانين الحكومة، وتصبح الأخلاق المحمودة (أي) ما تقرره الأغلبية فى الكونجرس، والمحاكمة الدستورية العليا، فى أى وقت من الأوقات.

إن الجرائم التى تكفلها الحكومة، تشمل الفضل فى سداد ضريبة الدخل، والكتب على الحكومة، والتحكم فى شئونك منذ ما يقرره القانون، والفضل فى تقديم بيان بمصادر دخل الفرد لحكومة الولاية، أو لهيئة فيدرالية، والخروج على قوانين التأمينات، وقوانين

## النظام العالمى اليهودى الجديد



السرية، وقواعد انتظار السيارات، وقوانين حماية البيئة من التلوث، وقواعد صيد الأسماك.

وفى استطلاع للرأى أجرته مجلة الـ ١٧، فإن الانتظار فى أماكن انتظار سيارات المرفوقين، صور على أنه أسوأ أخلاقياً من إقامة علاقات جنسية خارج إطار الزواج.

ويتفوق النظام الأخلاقى لتكون يوماً، بادعاء المهر حقوق الإله وصفاته، وإقنانه على العلاقات الجنسية الداعرة، والكتب، وحقوق الراديين، والاستيلاء على حقوق الغير.

ويشجع المجتمع فى الحقيقة - كلما كان ممكناً - كل سلوك يمكن تخيله، لخرق قانون النظام الأخلاقى الفعلى، بينما يدافع عن القواعد النافذة ضد المواطنين، كما لو كانت قد نزلت علينا من جبل سيناء.

لكن يولس الرسول يقول لنا: (إن اللعب هو اكتمال القانون الأخلاقى). وليس هناك قانون، فيما هو ضد حب الفرد لجاره.

نقد تصور مساركن فانتازيا، عن مجتمع بلا طبقية، بلا دولة حيث تتلاشى الحكومة، لكن حلمه كان كخدخان غليون، بينما فى نظام الرب، هذا بقعة ما سيحدث، فتصبح للحكومة، وقوانينها التى لا طائل من ورائها، لا ضرورة لها، وكل ما هو ضرورى أن يحمان المواطنين لتحقيق الأهداف

المشتركة، كإنشاء الطرق، وتنظيم المرور، وغيرها من الأمور التى لا تستطيع أسرة بمفردها أن تقوم بها.

ويصف توماس هيلينسون الأمر بقعة حين يقول:

إن هذه الحكومة تحكم على أنفسهم رجة، حولما تحكم فى أسيق المدود، ولقد شعر مؤسس أمريكا، فى صخرة «بلاهووث»، وفى مستعمرة ماساشوسيتس - أنهم كانوا ينظمون مجتمعاً مؤسساً على الرضايا للمشر، ومرعطة الجبل، فاعتبروا الأرض الجديدة كامتداد لحولة إسرائيل، وحاولوا قصارى جهدهم أن يقتدوا فى مؤسساتهم بالنموذج الإنجيلى.

فى الواقع، كان للقس الذى يفسر لهم معانى آيات الكتاب المقدس، مكانة أعلى من حاكم المستعمرة ذاته. لقد شيذرو مجتمعاً مثلاً، ذلك أنهم مجدوا «جبل بيت الله، فرق كل الجبال.

### العنصر المفقود

لا توجد وسيلة أخرى، لفرض أسباب نجاح هذه التجربة، سوى إدراكه أنه على مدى مائتى عام قبل صدور دستور الولايات المتحدة، امتثل كل زعماء هذا البلد للمبادئ الإنجيلية فى العهد الجديد أو للتقديم.

كان نظامهم الجديد هو دولة تؤسس على أن كان مبادئ ثابتة من طبيعة الله، وطبيعة الإنسان، ودور الأسرة، والنظام الأخلاقى كما أسسه رب يعقوب.

وقد فطروا أيضاً أنه، بالرغم من أن قلة من المستوطنين المسيحيين تلقوا التعليم، ليخبروا ما فى قلوبهم، ويعطوا قوانين الرب طاعة كاملة، لم يكن هناك ضمانات، أن كثافة مكانية أكبر - فيما بعد - سوف لا تنحدر بهذا الشكل، لذلك ربطوا حكماتهم بقود قوية، للحيلولة دون ممارسات غير منقذة، أو ديكتاتورية.

إن حكمة أبائنا المؤسسين، منحت الولايات المتحدة أدنى مقاييم الحرية المنظمة التى عرفها العالم على الإطلاق، وهو النظام

المسيحي، الذى يبحث للنظام العالمى الجديد عن بديل له.

ويقول الأنبياء لدا، إنه سيأتى زمان، يكون فيه، المنصر المفقود لإرساء النظام العالمى الإلهى موجوداً فى قلوب البشر، التى ستغير رغبة فى الحياة فى حب مع إخوانهم فى الإنسانية، عندئذ لن يكون الناس فى سلام مع بعضهم البعض فحسب، بل إن الحيرانات المسترسة نفسها ستكون فى سلام أيضاً. وبدلاً من قانون تالموتوس (قانون الغابة)، سيكون هناك قانون الحب الإلهى. وبدلاً من قانون خارجى، سيكون هناك قانون داخلى ينبع من القلب.

وفيما يلى كيف ربط الذى أرميا الأمر:

«بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام ويقول الرب. أجمع شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً. أرميا ٣١: ٣٣»

عندما تكثير قلوب الرجال، عندما يشدوا من قلوبهم، الخير فقط لرفاقهم البشر، ويطيعون قوانين الرب بشكل طبعى، وكأنها غريزة، عندئذ يصل سلام عالمى، وأخوة كريمة بين بلى الإنسان، ومشاركة صادقة للفرح، بل وجة على الأرض.

وحتى يحدث ذلك، فإن أية محاولة لخلق نظام حكومى دون قيم ذهبية تحكمه، ومبدئاً على الفساد، والناس الأشرار، سيؤدنا إما للعصاة والمقم للأمم المتحدة العالمية، أو للأسوأ، وهو ديكتاتورية عالمية أكثر رعباً من أى شيء عرفه العالم حتى الآن.

### النظام العالمى الجديد للرب

سيأتى النظام العالمى الجديد للرب أقرب مما نعتقد، فقد قال المسيح: «مملكة الرب فى متناول اليد». وحالاً هى مملكة غور مزكية، لكنها تكمو يوماً بعد يوم، حيث وأتى للملأ، والآلاف، والملايين، بل وعشرات الملايين للمسيح لتلقى مغفرته عن خطاياهم، وكى يولدوا من جديد بالإرادة الإلهية للرب فى مملكة الله.

هؤلاء الناس هم أبناء الله، وهم فى كل مكان حولنا، فى المستويات العليا والدنيا من السجتم، منهم العلماء، ومنهم الماصلون على أعلى للدرجات العلمية، فيهم الفقراء، وبعض من أصحاب الثروات الضخمة، بعضهم بلا نفوذ سياسى، والبعض الآخر فى منصب حكومية رفيعة، بعضهم دون قدرات رياضية، والبعض الآخر أبطال عالم، جميعهم يحون - فى صمت وثبات - ادورهم ومكانتهم فى النظام العالمى الجديد للرب.

ويمكن لدا أن ندرجهم، ونعترف عليهم من أسلوب حياتهم، وفيما عدا ذلك فليطبعهم

غير مرئية. وهم يظهرون على السطح كخيرهم من عامة الناس، لكنهم قابعون فى انتظار الساعة التى يصرف فيها الله الضلال الذى يشره الشيطان، والتضليل الذى يروج له الإنسان، حتى يحان الله نظامه الجديد فى العالم، وزعيمه المقد، السيد المسيح.

عندما سوفع الصنار عن أبناء الله وبناته العالم، وحيداً، فإن هؤلاء الناس، الذين طالما تمرضوا للسفيرة والازدراء من العالم، ستكشف حقوقهم، وسيحاطون مكانتهم فى النظام العالمى الإلهى، وعندئذ - عندئذ فقط - يصبح للعالم فى سلام.

ويدين يوليس الرسول الأمر فى رسالته للكنيسة فى روما:

«لأن انتظار الخليفة يتوقع استعلان أبناء الله. إذا أخضعت الخليفة للباطل، ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء. لأن الخليفة نفسها أيضاً ستبقى مستحق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله».

الرومانيون ٨: ١٩ - ٢١.

لذلك علينا ألا نلقى فإن عهد الله حق، وشركة أبناء الله تكاد تكتمل. ربما فى هذا القرن تنتهى المهمة، وقد يبدو الرب أحياناً بطيئاً، لكنه لا يتأخر عن موعده أبداً، وعند اكتمال الزمان، سيعلن مملكته على الأرض، ولا اعتد أنه علينا الانتظار طويلاً ■





لوحة الفنان: يلمس للترابي



# المراجعات

## نظريات الإبداع الفـرـبـى

- ١٣٨ الشعرية البنيوية (١) الكفاءة الأدبية (٢) شعرية القصيدة الغنائية، جوناثان كلر - ترجمة: السيد إمام. ١٧٥ الرواى فى مفترق الطرق، ديفيد لودج - ترجمة: احمد عمر شاهين. ١٨٧ شعر دون بيت شعري، ترفيتان تودوروف - ترجمة: احمد عثمان. ١٩٥ نظرية التلقى ونقد الاستجابة، كين.م. بيوتن - ترجمة: سيد عبدالخالق. ٢٠٩ الأدب العبرى القديم، وينتون توماس - ترجمة: شاعر هيكل.

# نظريات الإبداع الفربى



وكما نرى تحولات الفكر والسياسة ، ومناقشة الأساطير ونهاية الأيديولوجيات ، نرى صناعة الأفكار الجديدة ، لا ينطق بعضها من الرماد أو التاريخ ولكن ينطق تأويلاتها الحرة ، المشكلة للعقل الجديد .

والدراسات الواردة هنا هي إحدى ثمرات الاجتهاد ، والتأمل والتأويل والتنظير الذى لا يكف عنه المثقف الأوروبى ، ولعلنا هنا قد استكملنا فكرة هذا العدد من القاهرة ، حول ثقافة الآخر من جهة الإبداع ونقدده ، الإبداع الذى يشكل التعبير الموازى للفكر الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، فالمناقشة النقدية هنا لا تتم إلا من خلال الفرد داخل المجموع .

فالحرية الفردية هي التى أنتجت كل هذه النظريات غير الجامدة ، والتى سرعان ما ينقلب عليها العقل الأوروبى من أجل المعرفة الحقيقية المستمرة ■

التحرير

ننشر ، هنا مجموعة دراسات ، هي فصول من كتب صدرت في فترات متفاوتة عن نظريات الإبداع الأوروبى تحديداً ، والإبداع بشكل عام .

هي محاولة من القاهرة ، لرصد جوهر التفكير الأوروبى حول الإبداع وتحولاته المستمرة ، سواء أكان هذا الإبداع حديثاً أم قديماً ، وملاحظ القارئ أن هذه الدراسات تحفر - بشكل جديد - مجرى واسعاً للتفسيرات التى طرأت على ذهن الأوروبى ، ننشرها ، لمعرفة ما يرضه العقل الأوروبى بوصفه مركز الحضارة الآتى ، فضلاً عن كونه أحد المصادر الملهمة للعقل البشرى ، منذ العصور الوسطى حتى الآن ، مستمراً في البحث والتتقيب عن الجديد في الفكر الإنسانى ، من كتابات ، دكر ، إلى مناقشة قصيدة النثر ، إلى قراءة الأدب العبرى القديم ، يرتب العقل الأوروبى - بشكل جاد - رؤيته حول الإبداع .

## {1} الكفاءة الأدبية

إن فهم جملة، يعنى فهم لغة. وفهم لغة  
يعنى استيعاب ثقافة،  
ثقافتنا



## الشعرية البنائية

فى كتابه، الشعرية البنائية، يتصدى  
كلر لمفهوم شروط المعنى فى  
الأدب، ويقدم عرضاً تفصيلياً للأعراف  
والعمليات والسنن التى تمكنتنا من فهم  
الأعمال الأدبية واستيعابها، كما  
يتطرق إلى الأسس التى تقوم عليها  
عملية القراءة، تلك الأسس التى  
تستوجب إلماماً بالعمليات التأويلية  
التي يهض عليها الأدب؛ فكتارى  
الأدب، يكتب عبر اتصاله بالأعمال  
الأدبية، قدرة أو كفاءة تضم شتى  
الأعراف والمواضعات السيميوطيقية  
التي تمكته من قراءة إحدى المتألفات  
بوصفها قصيدة أو رواية أو أى شكل  
آخر من أشكال الأدب والتي تفقد  
بدونها هذه المتألفات لفرقاً فارحاً أو  
فراعاً يخلو من المعنى - فى المصطلح  
الذين نورد هنا من كتابه بطور  
كلر هذه الرؤية متتبعا فستى  
عناصرها وتجلياتها.

إذا ما استمع متحدث بإحدى  
اللغات، إلى متألفات سرقية، فسوف  
يتمكن من إعطائها معنى، ذلك أنه يستدعى  
إلى فعل الاتصال، مخزونا هائلا من المعرفة  
الرابعة واللاوعية على حد سواء. وسوف  
يمكنه استيعابه للأنساق الفونولوجية  
والتركيبية والدلالية لهذه اللغة، من تحويل  
الأصوات إلى وحدات متصلة، حتى يتسنى  
له التحريف على الكلمات، وتحديد وصف  
بدوى، وتأويل للجملة المنتجة، حتى ولو لم  
يكن قد صادف هذه الجملة من قبل قط. وإن  
تفصح هذه المتألفات عن نفسها له، وبغير هذه  
المعرفة المنتمية وللحور المضمر فيها، ونميل  
برغم ذلك إلى القول بأن البنى الفونولوجية  
واللحوية والمعنى هي خصائص التلقظ، ولا  
مجرد فى ذلك، مادامنا نمتنع فى المعبران،

چوناثان كلر  
ترجمة: السيد إمام

## نظريات الإبداع الغربي



يبقى على ما هو عليه، ولن تُعزى المعاني المختلفة التي يكسبها اللص إلى معرفتنا باللغة، وإنما يتحين عزوها إلى الأعراف الخاصة بقراءة الشعر، وهى الأعراف التي تتدعا إلى النظر للغة بطرائق مغايرة، حتى نتمكن من إضفاء وثاقة على الخصائص للفورية التي كانت مهمة من قبل، ولكي يتبنى لنا، إخضاع اللص لسلسلة مغايرة من العمليات التناوبية. إلا أن مقبورنا أيضاً، بيان أهمية هذه الأعراف، بقياس المسافة التي يمكن التقفز عليها بفعل أعراف القراءة التي تضم إليها مؤسسة الشعر.

إن أى شخص على دراية باللغة الإنجليزية، يمكن أن يفهم قصيدة "أه وإزهره" التالية، لـ "بولوك"،

أه وإزهره العباد التي أضناها الزمن  
يا من تحصين خطى الشمس  
سعى إلى المرتقى الذهبي العذب..  
حيث انتقضت رحلة المسافر،

حيث يذرى الشاب رغبة،  
والعزراء شكلته بالجلد  
يصعدان من قبريهما، تطلعا إلى

حيث تهب حباتي للرحيل

Ah, Sun - Flower, weary of time,  
Who Countest the steps of the sun,  
seeking after that sweet golden clime  
Where the traveller's Journey is done:  
Where the Youth pined away with desire,  
And the pale Virgin shrouded in snow  
Arise from their graves, and aspire  
Where my Sun - Flower wishes to go.

سوف تظل يرغم ذلك مسافة، بين فهم اللغة، والعرض الموضوعي الذي يخلص إليه ناقد أدبي، من مناقشته للقصيدة: "إن اندفاعاً، بولوك الجدلية نحو الصوفية، أكثر من بارعة: إنه لن تبرز الطبيعة بإنكارك دهرتها الأولية للجنس. وعرصت عن ذلك، تصطف كلية، في الدورة السمة لقطاعاتها الدخارية" (٢)، كيف يتبنى لنا بلوغ هذا المعنى؟ وماهى العمليات التي تقودنا من اللص نحو هذا النوع من التمثيل للهم. إن العرف الأدبي، هو ما يمكن أن نطلق عليه، قاعدة الدلالة: أفرا القصيدة.

أكثر وضوحاً، على استيعاب نظام. إن الوقت والجهد اللذين تكرسهما السردس والجامعات للتحريب الأدبي، يظهران أن فهم الأدب يصعد كذلك على الخبرة والاستيعاب، ولأن الأدب نظام سيوطيقي من الدرجة الثانية، يتخذ من اللغة أساساً له، فإن معرفة باللغة، سوف تقطع بنا شوطاً باتجاه فهم اللصوص الأدبية. وربما بدأ من الصعب أن نحدد بدقة، الموضوع الذي يتوقف فيه الفهم على معرفتنا القانونية بالأدب، سوى أن صمومية هذا الفصل، لاتصحب الاختلاف البين بين فهم لغة قصيدة، أى القدرة على ترجمة هذه القصيدة ترجمة تقريبية إلى لغة أخرى، وفهم القصيدة ذاتها. فإذا كنا من الملمين باللغة الفرنسية، فسوف يعيدنا هذا الإمام على ترجمة قصيدة مالارميه "الخلاص Salut"، إلا أن هذه الترجمة، لن تولف مسرّكاً موضوعائياً، بمعنى أنها لن تكون مائتلق عليه عائد فهماً للقصيدة "وتتطلب تحديد مستويات التماسك المتعددة، والاعاقة بين هذه المستويات تحت لفقرلة الأساسية، أو الموضوعية الشاملة "البحث الأدبي"، خبرة لاستهنا بها بأعراف قراءة الشعر.

وأيسر الطرق السجدة على استيعاب هذه الأعراف، هو أن نأخذ قطعة من الشعر الصغنى، أو جملة في رواية، ثم نضعها على الورق على هيئة قصيدة، إن الخصائص التي يمزوها أحد الأنظمة اللغوية للجملة، سوف

أنها خصائص للتلطف، فقط، فيما يتعلق بنظام نحوي خاص. وسوف يبرز نظام نحوي آخر، خصائص مغايرة للمتخالية ( طبقاً لنظام نحوي آخر مثلاً، تغزو هذه المتخالية مجرد هراء ) ويوحى الحدوث عن بنية الجملة حصاً، بوجود نحو متولى يندعها هذه البنية.

كما نزيل بالمثل، لاحتياط المعنى والبنية خصائص للأعمال الأدبية. وبعد هذا، من منظور ماء أمراً صائباً تماماً، وسوف تكون لأية متخالية من الكلمات، لتعامل معها بوصفها عملاً أدبياً، الخصائص نفسها ويوحى هذا الوصف برؤية وأهمية للقياس اللغوي. إن للعمل بنية ومعنى لأنه يقرأ بطريقة خاصة، ولأن الخصائص الكامنة، القارة في الموضوع ذاته، يتم إنجازها بفعل نظرية الخطاب المستخدمة في فعل القراءة. ويسأل سبارت في "الفن والعقيدة" (١)، كيف يتبنى لنا اكتشاف بنية، بغير عون من نموذج ملهجي؟، إن قراءة نص من اللصوص باعتباره أدباً، لا يعنى إفراغ العقل من تصورات السبق، ومقارنته كسطح أملى لم يقف عليه شيء من قبل. إن علينا أن نجذب إليه فهمنا مشدداً بمحاولات الطلاب الأدبي التي توحيها إلى ما يتعين البحث عنه.

وسوف يقع أى شخص يفتقر إلى هذه المعرفة، أو تعوزه الدراية بالأدب، أو غير مطلع على الأعراف التي تقرأ بها الأعمال التخويلية، في حيرة تامة، إذا ما صادفها إحدى المصادر. وسوف تمكن معرفته باللغة، من فهم المجازات والجميل، إلا أنه لن يتمكن برغم ذلك، من معرفة ما يترجم عليه عمله فعلياً، بهذه العسلة الغربية من المفارقات. وإن يكن خادراً على قرائتنا بوصفها أدباً - كما نؤكد أولئك الذين يتعاملون مع الأعمال الأدبية لأغراض أخرى غير الأدب - وذلك لافتقاره إلى الكتابة الأدبية للكتابة، التي تمكن آخرين من القيام بهذا العمل. إن شخصاً كهذا، لم يتفرغ له مثل نحو الأدب، الذي يتيح له تحويل المتخالية اللغوية إلى بنى أدبية ومعان.

فإن بدا هذا القياس أقل اكتمالاً، فعلة ذلك أن عملية الفهم في حالة اللغة، تعتمد بشكل

بوصفها تعبيراً عن موقف دلال من مشكلة تتعلق بالإنسان (ر، أو) علاقته بالكون، وسوف نتخذ زهرة العباد قيمة الرمز، ويقم التعامل مع استعارات دلال، «تضمين»، وسمياً، لإباحتها إشارات مجازية للزورج الزهرة للاستدارة نحو الشمس، وإنما كمفاعلات استعارية تجل من للزهرة نموذجاً لتعلمت الإنسان المصنوع بين هذين القطبين. إن أعراق التماسك الاستعاري، وهي الأعراق التي تقضى بوجوب محاربة الدلال إلى التحولات الدلالية بغية إنتاج تماسك على مستوى القدرى والأداة، هي التي ترجعها إلى معارضة الزمن بالأبدية، وانظر إلى «هذا المرتقى الذهبي العنكب، بوصفه خديك للشمس لكي توشع لانفلاق دورة الزمن اليومية، وأبدية الموت، عندما «القصيدة رحلة المسافر»، ويصني تدوير التماسك بين غروب الشمس والموت، خطرة أبعد، بفعل المرف الذي يتيح لنا إدراج القصيدة ضمن تقليد شعري. والأمر الأهم، هو عرف الوحدة الموضوعية الذي يضطرنا إلى إسناد دور للشباب والعذراء في السقطع الثاني ويرر اختيارهما كمتوجين للتلطع. وما أن السبع الدلالي الذي يشتركان فيه هو قمعها للشاعرية الملمس، فإن علينا أن نشر على طريقة لإسناد هذا للملمع في تقنية القصيدة. وتزودنا البنية التركيبية بمبارتها الاسمية الثلاث، التي تعتمد كل منها على ضمير الوصل «حيث» بإحدى الطرق التي تجتاز على التلقيم بهذه التهمة:

لقد أترك الشباب والعذراء تشاطيها الجنسي، لكي يقرنا بالإقامة الرمزية في السماء كما تصورها المواضعة وعندما يبلغانها، يتوهضان من قهرهما، لكي يتم اصطباها في الدائرة نفسها المصعبة لتتوشع. إنها فقط، يتطلعان وقت غروب الشمس، إلى حيث تتلمس زهرة العباد راحتها. وهو المكان ذاته الذي يقومان فيه بالفعل. (٣)

وليست هذه التأويلات للمرة دواعيات دلالية بحال، بقدر ما هي تأويلات عمومية،

#### عزرا بلوند

يمكن مناقشتها وتبريرها ضمن إطار الأعراق الخاصة بقراءة الشعر، أو ضمن أعراق الشعرية والفهم، وهي الأعراق التي تمّ بمثابة المكونات التي تتألف منها مؤسسة الأدب. وربما كان من المصالح طبقاً لهذه النظرة، التحدث عن القصائد ككليات متجانسة، وخصوبات طبيعية مستقلة كاملة بذاتها، تعمل معنىً عديداً محابياً. وتقترح المقاربة السيميولوجية بدلاً من ذلك، النظر إلى القصيدة، بوصفها قولاً يضم معنى،

ضمن نسق من الأعراق تسمى للقارئ تنظله. فإذا كانت فاعليات أخرى عاملة، فسوف يكون نطاقها من المعاني مغايراً.

ويقول «جيهيت»، «إن الأدب، شأنه في ذلك شأن غيره من الأنشطة التي يقوم بها العقل، وتأسس، عدا استثناءات قليلة، على أعراق لا يومية». (أشكال ص ٢٥٨) ويمكن للنظر إلى هذه الأعراق، ليس فقط باعتبارها المعرفة التضمينية للقارئ، وإنما باعتبارها المعرفة التضمينية للمؤلفين بالمثل. إن كتابة قصيدة أو رواية، يعني تمديدًا، اشتباكًا مع تقليد أدبي، أو على الأقل، مع فكرة ماحول القصيدة أو الرواية. ويعد نشاط كهذا ممكناً، بفضل وجود اللزج، الذي ربما اصطلح به الكاتب، والذي قد يحاول بكل تأكيد، تقويض أعراقه، لكنه يظل برهم ذلك الإطار الذي يمارس ضمنه نشاطه، تماماً كما يغير خلف الوجود، ممكناً ضمن إطار مؤسسة الوجود. وسوف نحسم الاختيارات بين الجمل، وبين «سبح التمدويل المختلفة» على أساس من فاعليتها. وتختبر فكرة الفاعلية، صديقاً للقراءة، تم تصويرها سلباً، وهي صبح ليست بالأعقابية أو العشوائية. فإذا لم يضع الكاتب القارئ في محبائه، فإنه هو نفسه قارئ لمحمه، ولن يحس بالرضا عن هذا العمل، إلا إذا تمكن من قراءته بوصفه ملحقاً للفاعليات. وقد يكون من الغريب أن يقول شاعر «عندما أقبل زهرة العباد، يمتدني إحصاء ماء أدمعي» أو «ثم به بوصفه قصيدة حول زهرة العباد. وإن يغير هذا قصيدة، لأن الكاتب نفسه، لن يتمكن من قراءة المعنى الكامن في هذه السلسلة من العلامات، ويقتدره النظر إليها بوصفها إحالة للمشاعر موضع الاعتبار، سوى أن تلك تقنية أخرى على أية حال. إن نفسه، لاكتشف، ويهر، أو حتى يستفيد من المشاعر، ولن يكون باستطاعته أن يقرأ، كما نأه قبل ذلك. ويحين عليه، لكي يستشعر إحصاءاً بالرضا عن كتابة قصيدة، أن يبتكر نظاماً للكلمات، يمكن على أساسه قراءتها وفقاً لأعراق الشعر: إنه لن يتمكن ببساطة من تخصيص معنى، وإنما يتوجب عليه بالأحرى أن يحفل من مسألة إنتاج معنى لنفسه، وللآخرين، أمراً ممكناً.

## نظريات الإبداع الغربى



كبير، ويستعصى على التحديد، وغير ذى جدوى بالمرّة. متى تعرف أنك تلعب الشطرنج؟ طوبى للوقت؟ أم أثناء قيامك بتحريك القطعة؟ وهل تكون المعركة بكل الشرائع أثناء قيامك بتحريك القطعة؟ (٥).

وعندما تقوم بقيادة سيارتك، هل للزوم الجانب الصحيح من الطريق، ونقلات السرعة، واستخدام الفرامل، وتخفيض أوتارك الأمامية، برعى، أم بدون برعى؟ والسؤال عما يقوم به المؤلف برعى أو بلا برعى أشبه ما يكون بالسؤال عن أى القواعد الإنجليزية يتبعها المتحدثون بهذه اللغة برعى، وأنها يتم اتباعها بلا برعى؟ ويمكن أن يكون الاستيعاب لمرأى لأراضي إلى حد كبير، كما يمكنه بلوغ مرحلة من الإتقان النظرى الواضى بذاته على نحو استثنائى، سوى أن الأمر فى المالكين، مجرد استيعاب. كما لا يمكن بالمثل للطين فى موهبة المؤلف، وذلك بالتحديث عن استيعابه بوصفه القدرة على إنشاء أعمال فنية تكتب خدام الفائق عند إخضاعها لعمليات التفرغ.

إن مهمة الشعرية البنوية، كما يعرفها بارت، هى تحديد النظام الضمنى الذى يجعل الفاعليات الأدبية ممكنة. ولن تكون هذه الشعرية (علمًا للمحتوى، الذى يقترح، وفقًا للسيرة الهرميوطيقية، تأويلات لأعمال.

وإنما علم لشروط المحتوى، أى لشروط الأشكال. وشاغلها هو تبدلات المعنى المؤقت، والقادر، إذا جاز القول، على أن تولده الأعمال. إنه لا يؤكّد رموزًا، وإنما يصف تصعد الرموز. وموضوعه باختصار، ليس المعانى الكاملة للعمل، وإنما على العكس، المعنى الفارغ الذى يملأها جميعا. (النقد والحالقة من ٥٧).

لقد أحدثت البنوية بهذا المفهوم، انقلابًا مهمًا فى المنظر، بمنحها الأولوية فى صياغة نظرية شاملة فى الخطاب الأدبى، وعززها مكانة ثانوية لحلول المنصوص للفردية. ومهما تكن مزايا التأويل بالنسبة للمعتقلين به، فإنه يغدو، فى سياق الشعرية،

حتى يمتنى لنا إدراكه الكيفية، التى يغير بها هذا الإجراء، الفاعليات الأدبية، بينما يغدو هذا التجريب، مستحيلًا، إذا ما قمنا بعملية فصص للأعراف التى يتناولها المؤلفون كعصمات. أولئك المؤلفون الذين لا تفتح لنا فرصة للقاء بهم، للتعرف على ردود أعمالهم تجاه تحاليل التعديلات المقترحة التى جرت على نصيرصهم. إن أفضل الطرق لإنتاج تشويل شكلانى للمعرفة الضمنية للقراء والمستمعين، كما يقترح للنو للمحتوى، هو أن نقدم لأنفسنا ولزملائنا جملاً، ثم نشرع فى صياغة القواعد التى تظل لأعمالنا حول المعنى، والسبك الجيد، والأحرف، وإلينية للتكرية، وسألة للفروض.

ولايبرى الحديث عن لكفاءة الأدبية، بوصفها مجموعة من الأعراف المتصلة بقرارة للخصوص الأدبية، كما سوف أفعل، بأن المؤلفين ليسوا سوى جملة من المعتمدين الذين يقومون ببساطة بإنتاج العمل، فى الوقت الذى يتكفل فيه القراء، الذين يمثلون طرقًا حاذقة لمعالجة هذه العمل، بكل العمل الحقيقى الخلاق. وربما بدت المناقشات للبنوية وكأنها تتركى هذه للظرة بإخفاقها فى عزل وامتحان (لأن الرأى، للمؤلف، ويرجع ذلك ببساطة إلى أن الخط الفاصل هذا، شأن معظم الأنشطة الإنسانية المعقدة الأخرى، بين مايلتمى إلى الرعى، ومايلتمى للارعى، متغير إلى حد

ويكتب قالهوى إن أى عمل، هو محملة أشياء أخرى عديدة إلى جانب مؤلفه. ويقترح استبدال التاريخ الأدبى بالشعرية، المنوط بها دراسة شروط وجود الأدب وتطور، إن الشعرية، من بين كل للفنون قاطبة، هى النشاط الذى تلعب فيه الأعراف الدور الأعظم. وحتى أولئك الكتاب الذين كانوا يؤمنون بأن أعمالهم ثمرة الإلهام الشخصى والمبقرة:

طوبى، دون أن يدركهم الشك فيما يفتنون، نظامًا كاملاً من العادات والأفكار التى كانت ثمرة تجاربهم، تلك التجارب التى لم تكن بمعزل عن سيطرة الإنتاج. ومهما يكن من ضسألة الشك الذى أبدوه تجاه التالفات التى تفرزها عملية الإنشاء سلفًا، ومهما يكن من أمر اعتقادهم الناهزم، بأنهم لا يندون بىء إلا للحظة ذاتها، فإن عملهم يستدعى بالضرورة كل تلك الإجراءات والمعالجات الفنية للعقل (١).

إن أصراف الضمر، ومنطق الرموز، وصعوبات إنتاج الفاعليات الشعرية، ليست ببساطة خصائص للقرارى، وإنما هى أس الأشكال الأدبية. ومن اليسير رغم ذلك، ولأسباب عديدة، دراسة هذه الأعراف كعمليات يخلق القارئ لإجازها، عرضًا عن النظر إليها بوصفها المحيط المؤسساتى الذى يتعامل معه المؤلفون بوصفه أحد المسلمات. إن المفروض التى يقصدها المؤلفون حول سيورة الإنشاء، إشكالية بطريقة سيئة السمعة. ولا يوجد سوى عدد محدود جدًا من الطرق التى يقررون بها مايمتدبرونه مسلمات، بينما تكون المعانى التى يمنحها القراء لأعمال الأدبية، وفاعليات الفكرة أكثر انفتاحًا على الملاحظة. ويمكن، اختبار الفرضيات الخاصة بالأعراف والمعالجات التى تتجسها، ليس فقط بقدرتها على تحليل الفاعليات المعنية، وإنما أيضًا بقدرتها، عدد تطويقها على التصائد، على تحليل الفاعليات التى تم سبرها فى تلك الحالات كما يمكنها، عند التصدى لفحص سيورة للقراءة، إجراء بعض التعديلات فى لغة أحد النصيرص،

نشأنا أيضاً - طريقة لاستخدام الأعمال الأدبية - في مقابل دراسة الأدب كمؤسسة. ولا يبنى ذلك مطلقاً إدانة التأويل، كما يحدث في حالة القياس اللغوي. إن معظم البشر يهتمون باستخدام اللغة بفرض التواصل أكثر من اهتمامهم بدراسة النظام اللغوي المعقد الكامن في عملية التواصل ذاتها، ولا يجهلون بأن تكون اهتماماتهم موحدة من قبل أولئك الذين يجهلون من دراسة الكفاءة اللغوية ممارسة محاسنة ومستقلة. ويمكن للشعرية البديوية كذلك، أن تزعم بأن دراسة الأدب تتضمن، وإن يكن بطريقة غير مباشرة فقط، الفصل التقديري لوضع العمل في موقف، وقرائنه كإقامة من نوع خاص، ومن ثم إعطائه معنى. وشاغلتها هو بالآخر تأسيس نظرية للخطاب الأدبي يمكنها تعليل إمكانيات التأويل، والمعاني الفارغة، التي تعزز سمعة من المعاني النشأة والتي لا تسمح للعمل برغم ذلك، أن يمتد إلى معنى محدد بذاته.

وسلكنا أحياناً عن نكر ذلك، لو لم يحاول النقد التأويلي إقناعاً بأن دراسة الأدب تعني تفسير الأعمال الفردية. غير أنه من المهم في هذا السياق، النظر فيما فقد أو حجب في النقد التأويلي الذي يتعامل مع كل عمل بوصفه كينونة مستقلة، أو كلية عضوية تسهم أجزاؤها في عرض موضوعاتي معقد. إن المفهوم القائم على أن مهمة النقد هي الكشف عن وحدة موضوعاتية، مفهوم يتنمى إلى ما بعد الزومانيكية، والذي تعد جزؤه في نظرية الشكل المعنوي على الأقل غامضة. إن ترجمة الوحدة النصوية للبيات إلى وحدة موضوعاتية ليس بالأمر البسيط. ونميل إلى الافتراض بأن النظرة للفاحصة للبيات، تسمح بمقارنة نبات آخر، وعزل للتجاهلات والاختلافات، والوقوف كثيراً عند التنظيم الشكلي، دون استلاب مباشر لفرض غائي، أو وحدة موضوعاتية، فضلاً عن عدم القزم الخطاب الأدبي دائماً بالتأويل على نحو مهين. لقد كان بالإمكان قبل أن تصبح القصيدة بشكل واضح مثلاً فريداً، وإتقانا يتم استحضاره وقت الهدوء، دراسة تقاطعها مع مقاييس البلاغة والترح، وعلاقة ملامحها

الشكلية بمثلثاتها في التقليد الأدبي، دون شعور مباشر بالاضطرار إلى إنتاج تأويل يجلو وثاقها الموضوعاتية. ولم تكن مضطرين للانتقال من القصيدة إلى عالم، ولما كان بالإمكان استكشافها ضمن إطار المؤسسة الأدبية، ورضا إلى تقليد، والاعتراف على استمرارياتها وانقطاعاتها الشكلية. وكون أن هذا كان ممكناً، ويمكن أن نخبرنا بشيء مهم عن الأدب أو يدفعنا على الأقل للنظر في إمكانية إخفاء قبضة التأويل على الخطاب الأدبي.

وهذا الإرخاء، أمر له أهميته، لأنه إذا كان المحلل يتفاهل فهم الطريقة التي يتخيل بها الأدب، فإن عليه، كما يقول سورسوريب، فسراً، أن يشرح في «صياغة القوانين الشاملة للتعبيرية الأدبية»، ولن يكتب باختصار، كما لو أنه يعتقد في وجود بديلة معرفية تامة للمعقولة، يمكن للشعر باروغها. تلك البديلة، ليست هي الشعر ذاته، أو تجربته، وإنما هي الشعرية، (تشرح النقد ص 14) والتأويل جيداً من النقد، هم الذين تساموا مع قضية الشعرية أقوى مما تعامل معها فراي. إلا أن العلاقة بين الشعر، وتجربة الشعر من ناحية، والشعرية وفقاً لمختلص فسري من ناحية أخرى، كما يجولها هذا المقتبس، غامضة إلى حد ما. ويدرك هذا المعضل أثره على صياغاته اللاحقة. إن مناقشاته لتسليغ الرموز والأساطير والأنواع، تؤدي إلى إنتاج تصنيفات يمكن لها أن تفيض على شيء من غنى الأدب، إلا أن وضعه مقولاته تظل غير حاسمة على نحو غير مألوف، إذ ماعى للعلاقة بين هذه المقولات وبين الخطاب الأدبي، ونشاط القراء 4 هل المقولات الفيلولوجية الأربع: الترميز، والتصنيف، والخريف، والفساد، ورسائل لتصنيف الأعمال الأدبية، أم مركبات تكتسب عليها التجديرة الأدبية؟ وحالها نساء من السبب الذي يجعلنا نؤثر هذه المقولات على غيرها من المقولات المتعلقة بتصنيفات أخرى ممكنة، وفقد من الواضح استعمار وجود شيء غامض في الإطار النظري لغرائي يلزم تحديده.

ويؤيدنا النموذج اللغوي بإعادة ترجمه لطيف لجولو المطلوب، إن دراسة النظام اللغوي تدعو محاسنة نظرية، عندما تكف عن اعتبار أن غايتها هي تحديد خصائص الموضوعاتية في محدودة، وأن تركز بدلا من ذلك على مهمة صياغة الكفاءة القارة التي تمكن الموضوعات من أن تكون لها الخواص التي تمتلكها بالفعل بالنسبة لأولئك الذين تأتي لهم استجاب للنظام. ولكي يمتد لنا اكتشاف النظام الذي يحدد أوصافاً بنوية للموضوعات المعنوية، وبالتالي ينبغي أن يتأسس التصنيف الأدبي على نظرية في القسامة. ونفسد المقولات ذات الوثائق، هي تلك المقولات اللازمة لتعليل نطاق المعاني المقبولة التي تضمنها الأعمال بالنسبة لقراء الأدب.

إن فكرة الكفاءة الأدبية أو النظام الأدبي، فكرة بخرسية يتطوع بالنسبة لبعض النقاد الذين يرون فيها عدواناً على الفصائل الثقافية والإبداعية والعاطفية للأدب. وقد يستمدون فضلاً عن ذلك إسماعلة فكرة الكفاءة الأدبية ذاتها، وهي الفكرة التي تفسرنا قدرتنا على التمييز بين القراء الأكفاء، والقراء غير الأكفاء. ويتم الاعتراض على الفكرة تماماً للأسباب ذاتها التي تدفعنا لاعتراضها، ونقصد، الإقرار بمعايير للقراءة «الصحيحة»، إن برصنا للتحدث عن الكفاءة وعدم الكفاءة في أنشطة إنسانية أخرى يفرقها بين معيار واضح للدجاج وللشغل، مثل لعب الشطرنج، أو لنسق الجوال، إلا أن غنى الأدب وقوته معا، يعتمدان بالتحفة، على حقيقة أنه ليس نشاطاً يندرج ضمن هذه الأنشطة، وبأن مسألة الذوق أو التخدير، محيطة، وشخصية، ولا تخضع لتقعيد المعايير الخبراء المؤسسين ذاتها.

رما بدا أن هذه المناقشات قد حادت بنا من الهدف. إلا أن أحد لا يمكن أن نكر أن بتقديرنا الاستمتاع بالأعمال الأدبية، شأنها شأن غيرها من الموضوعات ذات الدرجة الإنسانية، لأسباب ليس لها سوى تلمي علاقة بالفهم والاستمتاع. كأن يساء فهم النصوص بطريقة مسمومة، ومع ذلك يمكن تفرقها لعديد من الأسباب للشخصية. إلا أن لتحمة فكرة سوء الفهم، كإرغام تعديدي، يعني أن نترك

## نظريات الإبداع الغربى



ويغدو من اليسير طبقاً لهذا المنظور، معرفة الأسباب التي تجعل من اللسانيات قياساً منهجياً جذاباً: إن النحو، كما يقول تشومسكى، يمكن اعتباره نظرية في اللغة، كما يمكن اعتباره نظرية الأدب التي تحدث عنها **فراى**، **الدھر**، أو للكفاءة الأدبية التي قام لقرءا بمثلها، والتي يمكن ألا يكونوا على دراية واعية بها. إن تحديد العنصرى وبفروته، هي المهمة التي يحتلها بها كل من علم اللغة والشعرية. ولقد أكد النحو التبادلى موجداً، على السطرين للرايين لنظريات من هذا النوع: إن اللسانيات والشعرية، يقرآن قواعدهما بوصفها عمليات شكلية، (حيث إن مايقومان باستقصائه هو نوع من الذكاء، فليس بوصفهما التسليم بالذكاء المستخدم في تطبيق القواعد، وإنما يوجب عليهما تحديد هذه القواعد وبفروتها بقدر الإمكان) وهما قابلان للاختبار (إن عليهما إعادة إنتاج مايمكن أن ندعوه بالمشاقق المصنوعة حول الكفاءة السيميوطيقية).

هل يمكن القيام بهذه الخطوة في النقد الأدبى. إن العقبة الرئيسية التي يمكن أن قولها فيما يبدو، هي تلك العقبة التي تتعلق بما يمكن اعتباره دليلاً على الكفاءة الأدبية. وليس من الميسر التعرف على العقائق التي تتيح على النحو الوافى تعلمها في علم اللغة: فسطى الزغم من المساجة إلى الحديث من درجات النحوية، فإن بالإمكان إنتاج قوائم بالجمال حسنة السبك وبغير منازع، والجمال الضميرى بما لا يدع مجالاً للشك، ولدينا، فضلاً عن ذلك، إحساس حدسى كاف بالعلاقات الشارحة، التي تمكننا من الحديث عما تعنيه جملة ما بالنسبة للمحدثين بلفة من اللغات. ومع ذلك، فالموقف في حالة الدراسة الأدبية، أكثر تعقيداً بكثير. إن مفاهيم مثل الأعمال الأدبية حسنة السبك، أو المعقولة، إشكالية على نحو بغيض. ربما كان من الصعب أن نكلل اتفاقاً حول مايمكن اعتباره فهماً صحيحاً لنص من النصوص. وربما بدت مسألة التباين الواضح بين التأويلات التي يتبناها النقاد، وكأنها تقترض أى مفهوم لكفاءة أدبية عامة.

مبالغة فيه، فإن ذلك يرجع دون شك إلى أن ما بعد تصريحي ومحدد في دراسة النظم عادة ما يكون مضمرراً وضيقاً في دراسة الأدب، إن دراسة قصيدة واحدة، أو رواية من الروايات، تيسر دراسة القصيدة أو الرواية التي نلها: إننا لا نحصل فقط على نقاط للمقارنة، وإنما أيضاً على إحساس بكيفية القراءة. إننا نطور مجموعة من الأسئلة التي تظهر للنحوية ملامتها وإنتاجيتها، و مجالاً حول ما إذا كانت هذه الأسئلة في حالة بعينها متجهة. إننا نكتسب حساً بإمكانيات الأدب، وبالكيفية التي يمكن بواسطتها تمييز هذه الإمكانيات.

ويمكننا التحدث إذا شئنا عن تقدير استقرالى من عمل لآخر، مادام لا نحجب بإجراء كهذا حقيقة أن سيورة التقدير الاستقرالى هي، تحديداً، ما يقتضى تفسيراً. إن تحليل التقدير الاستقرالى، وبفروته الأسئلة، والتمايزات الشكلية التي يقوم الطالب بتعلم وثائقها، يعنى، صياغة نظرية حول الكفاءة الأدبية. فإذا أردنا أن نتحصل على فهم، ليا كان نوره، من سيورة التعلم الأدبى، ولقد ذلك، فإن علينا أن نعلم، كما يقول **فراى**، وإمكانية قيام نظرية أدبية متماسكة، منظمة تنظيمياً مطلقاً وعلمياً، يقوم الطالب بدراسة بعضها بطريقة لا واعية أثناء تعلمه، والتي نجعل مع ذلك حتى الآن، مركزاً لها الأساسية.

دون تعليل الخبرة المشتركة التي نستعمل بها على مواضع خطتنا، ومن ثم التعرف على الخطأ، وإدراك السبب الذى يجعل منه خطأ. ورغم أن التعرف على الخطأ يمكن أن يعد أحبائنا من قبول التسليم لمذعن سلسلة أعلى، فإن أجدلاً لا يمكن أن يدعى بأن الأمر كان هكذا على الدوام. فغالباً ما نشعر بأنه قد تم ترجيحنا بالفعل إلى المراقبة التي تزدى بنا إلى فهم أكثر اكتمالاً للأدب، ومعرفة أفضل بإجراءات القراءة. فإن بدأ هذا التمييز بين ما يمثل فهماً وما يعد من قبيل سوء الفهم، أمراً غير ذى وثاقة، وإذا ما أنكر كل من طرفى المناقشة هذا التمييز، فإن يسفر الجدل والحجاج الدالرين حول الأعمال الأدبية إلا عن التقليل من الجهدى، وسوف تكون الجهدى أقل، من الكتابة حولها.

أنصف إلى ذلك، أن من الميسر على وجه التقريب، توصيه سزاعم المنارس والعامات بشأن تقديم تدريب أدبى. وسوف يودى الاعتقاد بأن مؤسسة التعليم الأدبى برمتها ليست سوى أكاذيب كبرى، إلى سذاجة متعمدة، لأن من الجلى شاماً، أن معرفة باللغة، وإملاكاً لقدر لا بأس به من الخبرة بالنظم، لا يكفيان لجعل إنسان ما، قارئاً كفواً ومستبصراً، ويقتضى مثل هذا الإنجاز، تصرفاً على نطاق من الأدب، ونوع من الإرشاد في كثير من الحالات، إن الوقت والجهد اللذين كرستهما أجيال من الطلبة والمدرسين للتعليم الأدبى، يخلق الافتراضاً قوياً بوجود شيء يغبى تعلمه. ولا يتردد المدرسون في الحكم على تقدم طلباتهم ضمن إطار كفاءة أدبية عامة وسيف يزعم معظم هؤلاء المدرسون بأن امتحاناتهم لم تصمم لكي تقدر ببساطة، ما إذا كان طلبهم قد أموا قراءة مجموعة من الكتب المقررة، وإنما لكي تختبر اكتسابهم القدرة.

ويؤكد نورثروب **فراى**، بأن كل دراس جاد للأدب، يدرك أن للسيورة العقلية المتعمدة في دراسة الأدب، تماثل في تماثلها وتدرجها، تلك التي يتضمنها العلم. إن تدريباً مماثلاً والمنهج يحدث للنسق، ويتم تشديد إحساس مماثل بوحدة الموضوع (نفسه، ص ١١٠)، فإن بدأ هذا الرأى



وللتغلب على هذه العقبة الواضحة، ينبغي أن نسال عما نريد لنظرية في الأدب أن تحل. إننا نطلب من هذه النظرية أن تمل معنى عمل من الأعمال، حيث إننا لا نرى صراحة بأن لكل عمل من الأعمال قراءة واحدة صحيحة، ولا نطلب من هذه النظرية أن ترسم خطاً فاصلاً بين العمل ذي الصياغة الجيدة والعمل الذي يحرف عن مثل هذه الصياغة، هذا، إذا كنا ممن يعتقدون أصلاً، في وجود هذا الخط. إن العقائق الثلاثة التي تحتاج بالفعل إلى تفسير، هي الحقائق التي تحتل بالذكيفية التي يمكن بها لعمل من الأعمال أن يضم معاني متعددة وليس معنى واحداً مفرداً، مهما يكن هذا المعنى، أو كيف تعطينا بعض الأعمال انطباعات بالغرابة وعدم التماسك والتأني على الفهم. ولا يوهي هذا النموذج بحال، بوجوب وجود إجماع على أي تقدير من التقديرات. إنه يوجب فقط بوجوب وضع تصور حول مجموعة من الحقائق من أي نوع، على حاجة إلى تفسير، ثم نحاول بعد ذلك أن نشهد نموذجاً للكفاءة الأدبية، يمكننا تحليل هذه الحقائق جميعها.

ولدينا عدة أنواع من هذه التواضع: كأن يكون لجملة نظرية واحدة، معاني مختلفة، إذا ما تم تدبرها على هيئة قصيدة، وأن يتمكن القراء من التعرف على حبكة إحدى الروايات، وأن تكون بعض التأويلات الرمزية لقصيدة ما، أكثر إقناعاً من غيرها. وأن تتضمن شخصياتنا في رواية، وأن نجد «الأرض الغريبة» و«عوليس» للشان كانتا تبدوان في وقت من الأوقات غريبتين، مقبولتين الآن. «إن الشعرية»، كما يقول هارث، «لا تتعلق بالعمل ذاته، بقدر ما تتعلق بمعبريته» (التقدم والحقيقة ص ٦٢) وعلى ذلك، ندرس الحالات الإشكالية - العمل الذي يقرأ بطريقتين مختلفتين في فترتين متباينتين. أكثر الشواهد حسماً حول نظام الأعراف السائدة. إن أي عمل يمكن أن يكون معقولاً إذا ما قلنا بانكار أعراف مناسبة. إن أكثر القاصد غموضاً، يمكن تأويلها في وجود عرف يسمح لنا باستبدال كل مفردة معجبة، بكلمة تبدأ بحرف الهاء

نفسه، ويتم اختيارها طبقاً لمتطلبات التماسك الشعرية. ولدينا كثير من الأعراف الغريبة التي يمكن أن تكون فاعلة، إذا ما كانت مؤسسة الأدب مغايرة. إن صعوبة تأويل بعض الأعمال يقدم من ثمة الدليل على الطبيعة المعقدة للأعراف المعهمة بالفعل على ثقافة من الثقافات. فإن غداً عمل من الأعمال فيما بعد مفهوماً، فقد ذلك إلى أن طرقاً جديدة للقراءة قد تم تطويرها لتلبية الطلب الرئيسي للنظام، ولعنى، مطلب المعنى. وسوف تلقى المقارنة بين القراءات القديمة والقراءات الحديثة الضوء على للتبدل الذي طرأ على مؤسسة الأدب.

ولا يوجد، كما هو الحال في علم اللغة، إجراء آلي للحصول على مطومات بشأن الكفاءة؛ سوى أنه لا توجد كذلك ندرة في الحقائق التي تتطلب إيضاحاً. (٦) وإن تلى التعاليمات التي يتم إجراؤها لإظهار سلوك القراء، تقريباً، بهذا الفرض، حيث لا ينصب اهتماماً على الأداء ذاته، وإنما على المعرفة الصريحة للكفاءة التي يمتثلها هذا الأداء. وقد يكون الأداء انعكاساً مباشراً لهذه الكفاءة، لأن السلوك يمكن أن يتأثر بمجموعة من العوامل الخارجية. فربما نشأت انتباهي عند لحظة معينة، أو تكون قد شربت بفعل تعاليمات شخصية بحة، أو نسيت شيئاً ذا أهمية من جزء سابق في النص، أو ارتكبت ما يمكن أن أتعرف عليه بعد ذلك بوصفه خطأ، إذا ما تم لفت انتباهي إليه. إن شاعلاً، هو المعرفة الصريحة التي يمكن أن يظهرها هذا التعرف على الخطأ، أكثر منه الخطأ نفسه. وبناء عليه، وباقتراض جدوى هذه التعاليمات، فإن من الممكن أن تكون مؤهلين للحكم على ما إذا كانت ردود فعل ما قبل انعكاساً مباشراً للكفاءة. وأن يصعب السؤال على مايقوم به للقراء للظنون، بقدر ما ينصب على مايبينى على القارئ المثالي معرفته ضمناً، إذا ما أراد أن يقرأ ويؤزل الأعمال بطرق يفرض قبولها ضمن مؤسسة الأدب.

إن القارئ للصونجي صيغة نظرية بطبيعة الحال، وربما كان من الأفضل للنظر إليه كتمثيل للكرة المركزية للمعبرولة. إن الشعرية، كما يقول هارث، «نعتى بوصف

المنطق الذي تتولد المعاني وفقاً له، بطرق، يمكن لمنطقاً الرمزي قبولها، بالمنطق، كما تقول العدوس الثورية المتحدثين بالفرنسية، جعل هذه اللغة، (التقدم والحقيقة ص ٦٣) وعلى الرغم من الاقتضال إلى إجراها إلى يرشدنا إلى ما هو مقبول، فإن مثل هذا الإجراء، عدم الأهمية، لأن اقتراحاتنا سوف يتم اختيارها بشكل متع، بفعل التقبول أو الرفض الذي يحدده قرارنا تجاه هذه الاقتراحات. فإذا لم يقبل القراء بالعائق التي تشرع في تفسيرها بدوى عدم اتصالها بصرفتها وخبرتها الأدبية، فسوف تكون نظريتنا من ثمة متخيلة الأهمية، وسوف يتحين على الملل بالتالي، إقناع قرائه بأن المعاني والمعالومات التي يتصدى لتحليلها، ملائمة بالفعل. إن معنى أية قصيدة، في إطار مؤسسة الأدب، ليس، فيما أظن، رد الفعل المباشر المعروض الذي يبدىه القراء الأفراد لجماعهم، وإنما المعاني التي يكونون على استمداد خبرتهم، على أنها مقبولة ومبررة، عند التشرع في تحليلها. «أسأل نفسك: كيف نوجه شخصاً ما نحو فهم قصيدة أو موضوع؟ وسوف نقرنا الإجابة عن هذا السؤال إلى الكيفية التي أمكن بها تحليل المعنى في هذه الحالة» (٧) إن الطرائق التي ترجمه القارئ للفهم، هي، تحديداً، الطرائق المتعلقة بمنطق الأدب. إن على القراءات أن تتعاقب مع القصيدة بطريقة يدرك للقارئ ملامحتها في ضوء معرفته الخاصة بالأدب.

ولا يمكن بناء على ذلك، أن نبالغ في التأكيد على أن كل ناقد مهما يكن اتجاهه، يجابه بمشكلات الكفاءة الأدبية، بمجرد أن يشرع في الحديث أو الكتابة عن الأعمال الأدبية، وأنه يسلّم بأفكار المفهومة وأساليب القراءة الفرعية. وإن يفرح الناقد في الكتابة، إذا لم يكن مقتنفاً بأن لديه شيئاً جديداً يقوله حول النص الذي يخصص لقراءته. إلا أنه يزعم برغم ذلك أن قراءته لا تملك ظاهرة غريبة أو عشوائية. وما لم يكن مقتنفاً بأنه يقوم بمجرد سرد لعلاماته الذاتية للآخرين، فسوف يزعم أن تأويله يتعاقب مع النص بطرق يفرض قبولها من جانب قرائه،

## نظريات الإبداع الغربي



بمجرد الكشف عن هذه العلاقات. فلما أن يقبل القراء بتأويلاته على أنها نسخ صريح لما استشهروه حذسماً، وما أن يفتحوها، في ضوء معرفتهم الخاصة بالأدب، على عذلة العمليات التي تقود النقاد من النص إلى التأويل، إن إمكانية المحاكمة النقدية، تعتمد في الحقيقة على مفاهيم مشتركة حول القول وغير القول: أرض مشتركة، أوست سرى إجراءات القراءة. إن على الناقد أن يتخذ قرارات ثابتة، يصعد ما يمكن التسليم به بالفعل، وما يمكن الدفء عنه صراحة، وما يشكل دافعا مقبولا. ويبنى عليه، أن يظهر لقراءه بأن الفاعليات التي يلاحظها تقع في محيط منطق ضمنى يترض قبولهم به، وبأن يتعامل الناقد في نطاق ممارسته الخاصة، مع المشكلات التي تأمل للشعرية في تمديدتها وتوليفها.

ويلتص عمل ولوام إيمسون «سبعة أنواع من الفروض، إلى تقليد غير بدوي، ويظهر ندرة لا بأس بها بمشكلات الكفاءة الأدبية، ويصور على نحو دقيق، التكوين التي تدور بها شديدي القرب من صياغة بدوية، بمجرد أن نشرح في التفكير في هذه المشكلات، وحتى بالفراض أن إيمسون كان يتفقا بتقديم عمله باعتبارها نموذجاً للبراعة في الكشف عن ألوان الفروض، فإن مشروعه سوف يظل محكوماً بمفاهيم السقراطية. إلا أنه يبنى بالطبع بتقديم مزاعم أشمل لتحليلاته، ويرى أن تحقيق ذلك، يقتضى وصفاً شبيهاً بذلك الوضع الموصى به آنفاً:

لقد كنت على الدوام، أستفيد منها في التحليل، ويقر على المفردة بين طرفيتين في التفكير: موقف يتيح مجموعة ممكنة من المعاني البديلة، ينطوي على شيء من الجسدية، ويتم الإمساك به في النوعي الذي للقارئ عبر معنى فطري للعقل. وربما بدا ذلك أمراً مشكوكاً فيه تماماً، إلا أن الحقائق المتعلقة بهم الشعر، استثنائية جداً على أية حال. وأفضل طريقة للحكم على هذا الافتراض، هي الكيفية التي يعمل بها

تفصيلاً (ص ٢٣٩) .

إن نشعر فاعليات معقدة، بعد تحليلها ضاية في الصعوبة. ويوجد للحلل أن الفصل استراتيجياته هي التسليم بأن الفاعليات التي يشرح في تحليلها قد تم نقلها إلى القارئ، ثم يقوم بافتراض عمليات عامة محددة يمكنها تفسير هذه الفاعليات، وغيرها من الفاعليات المشابهة، في قصائد أخرى. وقد نرد مع إيمسون على المعترضين على هذه الافتراضات، بأن الحكم، هو ما إذا كنا سوف نجح في تحليل هذه الفاعليات التي تلقى قبولاً لدى القارئ عندما يتم إرضائها له. ولا يطوى مثل هذا الافتراض على خطورة بحال، ذلك بأن على المحلل أن «يقنع القارئ بأنه يعرف عما يتكلم، أن يساعده على إدراك ملامحة للفاعليات المعنية. كما يبنى عليه ملاحظة القارئ لإقناعه بأن لغيررات التي يوردها، تنتج من الحقيقة، الفاعلية التي خبرها، ولا فسوف تبدو هذه الفاعليات، وكأنها لا تليق ببينها، (ص ٢٤٩) فإذا أمكن استنتاج لقارئ لقبول كل من الفاعليات المعنية، وتحليلها، فإنه يكون بذلك قد ساعد على الصداقة على ما يهدف في جوهره، نظرية في القراءة «أزعم أنني قد جلوت الطريقة التي يشغل بها عقل، مؤهل تأهلاً صحيحاً، عندما يصعد لقراءة للشعر، وكنا الكيفية التي تشغل بها تلك العقول المؤهلة تأهيلاً صحيحاً، والتي لم يجهبا لها أبداً استعجاب لشغفها الخاص» (ص ٢٤٨) .

ولا يمكن التحقق من مثل هذه المزاعم المطقة بالكفاءة الأدبية عبر العمليات التي تجعل لنا وجود فعل للقراء إزاء القصائد، وإنما من خلال مصداقتهم على الفاعليات التي يتولى المحلل تفسيرها، وإعالية فرضياته النظرية في حالات أخرى.

إن مايجل من عمل إيمسون شيئاً نفهماً بالنسبة لطولية الشعرية، فضلاً عن أصميته، هروعيه الذاتي، وجراته في القول، إنه لا يندى سوى القليل من الاحترام للرواة اللغوي الذي يرى بأن المعاني حاضرة دوماً بطريقة ضمنية وموضعية في لغة القصيدة، ومن ثم يحلف على العمليات المنسجة للمعاني. ويلاحظ إيمسون بصدد مناقشته للنظية الصيدية:

الأعوام سريها، يستحيل استدعاؤها

مهيوب، سكوت هذا الصباح الربيعي

Swiftly the years, beyond recall.  
Solemn the stillness of this spring morning.

إن هذين السطرين هما ما يمكن أن ندعوهم عادة شعراً، فقط بفضل إكهامهما: عبارتان الشان تبدوان وكأنهما متعلتان. ويضطر القارئ لتأمل علاقتهما لحسابه الخاص. أما لماذا تعين إكهامهما تلك الخصائص للقصيدة، فأمر متروك له ابتكاره. وسوف يقوم بابتكار مجموعة من المبررات ثم يشرح في تنظيمهما داخل عقله. وهذه في رأيي، هي الحقيقة الجوهرية التي تتعلق بالاستخدام الشعري للغة (ص ٢٥) .

ولك حقيقة جوهرية حقاً. وعينا أن نشرع في استجلاء مضمونها: إن قراءة الشعر محكومة قاصداً لكي تنتج المعاني، إن القصيدة تقدم بذية يتعين شغلها، وعينا من ثمة أن نحاول ابتكار شيء بمساعدة سلسلة من القواعد الشكلية المستخدمة من غيرتنا في قراءة الشعر، تلك القواعد التي تجعل من الابتكار شيئاً ممكناً، ونفرض عليه القيود في الوقت ذاته. وأوضح مظاهر الكفاءة الأدبية في هذه الحالة، هو التوجه نحو كلية السيرة

التأويلية: يفترض أن تكون القصائد متماسكة، ومن ثمة، علينا أن نكتشف مستوى دلاليًا يمكن عنده أن يلتقي الخطان ويتماثلقا. وإحدى نقاط الاتصال الواضحة، هي التعداد بين «سريعا» و«سكون». وبذا يتوفر لنا شرط أولي للابتكار: أن على أي تأويل أن ينجح في إقامة ركيزة أساسية من هذا التعارض، فضلا عن أن «الأعوام» في الجملة الأولى، وهذا الصباح، في الجملة الثانية، ويصنعان كلاهما في الزمن، وقد يأمل القارئ في إيجاد تأويل يمسألي بين هذين التريخين من التضادات. فإن كان هذا هو ما يحدث بالفعل، فمرد ذلك بلا شك، إلى أن قراءة للشعر، ندرينا بالاحرف الضمنية على أهمية التماثلات الذاتية، بوصفها أدوات مرضوعية: فعد الشروع في تأويل قصيدة، نقوم بالنظر إلى المفردات التي يمكن وضعها على محور دلالي أو مرضوعي، والتي تقع في تعارض مع بعضها بعضًا.

وتوحي الأدبية الذاتية، أو «العلمي للفارح»، بأن القارئ يحاول رد التعارض بين «سريعا» و«سكون» لطريقتين من طرق التفكير في الزمن، واستنباط خلاصة مرضوعية من التوتر القائم بين المجلتين. وبهذه الطريقة، يدور من الممكن تمامًا لإنتاج قراءة مقبولة طبقًا للعنق الشعري. فمن جهة، يمكننا النظرة البانورامية للارسة، من النظر إلى صمر الإنسان كوحدة زمنية، وللسكون كاتقصاض سريع. ومن جهة أخرى. إذا اعتبرنا لحظة الزمن هي الوحدة، أمحال علينا التفكير في الزمن إلى مختطفاً، وفي عروب الساعة عند التطلع إليه، إلا في سكونه - وتوحي «الأعوام سريعا»، بنقطة أنصتية ما، يمكن أن نتأمل عندها مرور السنين. ويتم تعريض سرعة الانقضاء بما يدعوه إهمسون بدليلات المطابق للمعرفة الذاتية، الذي تضمنه تلك النظرة للحياة (ص ٢٤) وتوحي هذا الصباح، بصباحات أخرى. انقطاع التجربة المنعكس في القدرة على الفصل والسمية، ومن ثم عدم الدوات الذي يهمل من السكون، أسراً أكبر تقديرًا. إن سوزرة الأدبية الذاتية هذه، يمكن أن تساعدنا

على اكتشاف توتر دخل كل سطر على حدة، وبين كل سطر والآخر. ولأن من المتعذر رد التضادات المرضوعية إلى قيم متعارضة، فسوف نضطر للنظر في مزايا وصوب هاتين الطريقتين في تصور الزمن. وهذا مجموعة من الاستخلاصات الممكنة بمبيعة الحال. والصوى لا تتعلّق باتفاق القراء على تأويل ما، بقدر ما تتعلّق بكون بعض التأويلات حول الشعر وطرق القراءة تضطلع بمهمة ترجمه السوزرة التأويلية وفرض حدود صارمة على مجموعة من التراتمات المقبولة والمتقدمة.

ويظهر نموذج إهمسون أننا بمجرد أن نتأمل وضعية السحابة النقدية وعلاقة التأويل بالنص بشكل جدي، نفكر أكثر قريباً من المشكلات التي تواجه الشعرية من حيث إن علينا تبرير قراءتنا بوضعها في قلب أعراف السقوية كما تحدها معرفة مصمة بالسأوب: إن مايتطلب تفسيراً من منظور الشعرية، ليس هو للنص ذاته، بقدر ما هو إمكانية قراءته وتأويله، وإمكانية الفاعليات الأدبية والتواصل الأبي. إن لتعليل أفكار السقوية والسقوية التي يتأسس عليها النقد الأدبي، كما يؤكد ج. ص. جاردان، هي المهمة الأولية للدراسة السهجية للأدب:

وهذا على أية حال، هو الهدف الوحيد الذي يمكن أن يحدده العلم لنفسه، حتى وإن كان هذا العلم علمًا للأدب: أن ————— الانتظامات المكتشفة بواسطة الظواهر الطبيعية، في مجال الأدب، مع تظاهرات الإدراك لأعضاء ثقافة بعينها (إجراءات التحليل الدلالي لعلم الإنسان، ص ٢٢).

إلا أن علينا أن نشدد برغم ذلك على أنه حتى ولو أبدى المحل اهتماماً صريحاً مشغولاً بمناهج السقوية، واكتفى فقط بتعليل قراءته الخاصة للأدب بشكل منهجي، فسوف تكون النتائج على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للشعرية. فإذا تدرى لحدوث تأويلاته وزود أفعاله للخاصة تجاه الأعمال الأدبية، ورجع في صياغة مجموعة من القواعد السجدة التي تعلل حقيقة قيامه بهذه التأويلات، وليس

سولها، فإننا نكون بذلك قد حصلنا على أس عرض للكفاءة الأدبية. ويمكن تعديل هذه القواعد بحيث تتسع لقراءات أخرى تبهر مقبولة. وإقامة أية قراءة بدت ذاتية تماماً وشادة. وإدنا من الأسباب ما يكفي لكي نتوقع أن يكون قراء آخرون قادرين على التعرف على أجزاء مهمة من معرفتهم السهجية في عرضة. إن كونك قارئاً خبيراً بالأدب، يعني اكتسابك لحس بما يمكن فعله بالأعمال الأدبية، وأن تكون قد شملت إلى حد كبير، نظاماً فوق شخصي، وليس هناك تقريباً ما يدعوه مبدعاً للقلق بشأن صحة الحقائق التي نشرع في توضيحها. إن السخاطرة الوحيدة التي نتعلمها هي تضبيع وقتنا، والشهم، هو أن نبداً بزل مجموعة من العقائق، ثم نقوم بإرساء نموذجٍ عليها. وعلى الرغم من إخلق البليويين عادة في إنجاز هذه المهمة في ممارساتهم الخاصة، فإن ذلك متضمن على الأقل في النموذج السلساني: إن مقدر السلسانيات أن تزود الأدب بالنموذج التوليدوي الذي يشكل أساساً لكل العلوم، من حيث اهتمامه بالاستفادة من قواعد معينة لتحليل نتائج محددة: (بهارت، النقد والحققة، ص ٥٨).

وهي إن الشعرية هي الأساس نظرية في القراءة، فقد كان اللقاد من مختلف الاتجاهات، ممن حاولوا تصديق وبطرة ما يضلعمون بأدائه، إسهامهم فيها وكان لديهم بالفعل، وفي حالات عديدة، كدبر ما يقدمونه، ربما أكثر مما فعل البليويون أنفسهم. لقد أحدثت البليوية بالفعل انقلاباً في المنظور النقدي، وإطاراً نظرياً يمكننا من التنظيم والاستفادة من عمل نقاد آخرين. ومهجها الأولية مهمة صياغة نظرية في الكفاءة الأدبية، وإرجاعها التأويل النقدي إلى مرتبة ثانوية فإنها تفنني تدنا إلى إرساء صياغة ما كان يمكن أن يجره آخرون حقائق حول النصوص الأدبية المختلفة، والنظر إليه بوصفه أصرافاً أدبية وعمليات للقراءة، ورضعاً عن القول بأن النصوص الأدبية تخيلية، يمكننا أن نورد ذلك كمرف للتأويل الأدبي، والقول بأن قراءة نص من النصوص بوصفه أدباً، هو أن نقرأ كتخييل.

## نظريات الإبداع الغربي



وقد يبدو هذا الانقلاب للرملة الأولى مبتذلاً، سوى أن إعادة طرح القضايا المحققة بالخطاب الشعري والروائي، والنظر إليها كإجراءات للقراءة، يمد بمحاية إعادة توجه ذي أهمية قصوى لأسباب تطرق على الترقى التي تحيد بحث البهوية في الشعرية البهوية:

أولاً : إن التقيد علمي أن الأدب يعتمد على صيغ خاصة للقراءة، ومد نقطة انطلاق أكثر فناناً وأمانة مما هو معتاد في النقد. ولا حاجة بنا للصلال، كما يترجى على نظرين آخرين أن يعلوا، للثور على خاصية لغوية موضوعية تفرق بين ما بعد أدب، وما لا ينتمي للأدب، وإنما يمكننا أن نبدأ ببساطة، من حقيقة أن بالإمكان قراءة للنصوص بوصفها أدباً، ثم نلحظ بعد ذلك في فحص العمليات التي يطوى عليها ذلك، وسوف تختلف هذه العمليات بطبيعة الحال، تبعاً لاختلاف الأنواع. وهذا، وبالأستعانة بالنموذج نفسه، يمكن القول بأن الأنواع ليست تفرجات خاصة لغة، وإنما هي مجموعة من التفرجات تسمح لكل إحدى اللغات، أن تكون علاقات من نوع مختلف ضمن نظام أدبي ثانوي. ويمكن للجملة نفسها أن تتخذ معنى مختلفاً اعتماداً على اللوح الذي تظهر فيه. ولا ينبغي أن ننزعج كمثقفين من حقيقة أن المحدود بين ما هو أدبي، وما لا ينتمي إلى عالم الأدب، أو بين نوع وآخر، تتبدل من عصر لآخر. وعلى العكس، إن التبدل الذي يطرأ على نماذج القراءة، يقدم بعضاً من أفضل الشواهد حول الأعراف المشتغلة في فترات مختلفة.

ثانياً : إن محاولة تحديد وبؤرة ما نقوم به أثناء قراءة أو تفسير قصيدة، تفيدنا كثيراً في الوعى بذاتنا، وبطبيعة الأدب كمؤسسة. وما أننا نفكرض أن ما نقوم به شيء طبيعي، فإن من الصعب الحصول على أي فهم له، ومن شمة، تحديد الاختلافات بيننا وبين أسلافنا أو من يخلقوننا. إن القراءة ليست نشاطاً برونياً، إنها محملة بالحويل. ويولى رفض نماذجنا القرائية، إعمال مصدر رئيسي من مصادر المعلومات حول النشاط الأدبي. إن النظر إلى الأدب كشيء تنظمه مجموعة من الأعراف، يجعل مهمة

كأداة أو نظام ويسمح لنا، مستأمنين أو متهجين، بالدخول في توسع للذات. إلا أن ذلك يتطلب، إذا ما تم إيجازه بشكل كامل، معياراً للدراسة والنماذج للتأويلية التي تتولى تنظيم ثقافتنا. لقد كانت البهوية، بسبب اهتمامها بمغامرة الدال، مفتوحة بشكل استغفالي على العمل الثوري، وأجدة في مقارنتها لعمليات القراءة، تأكيداً على حقيقة اعتماد اللغائيات الأدبية على هذه الأعراف، وبأن التطور الأدبي، يتقدم بتدحية أعراف للقراءة القديمة، وتطوير أعراف جديدة.

وأخيراً، فإن قلب البهوية للمنظور، يمكن أن يؤدي إلى صيغة تأويلية ترتكز على الشعرية ذاتية، حيث تتم قراءة العمل، عند أعراف الخطاب، وبميت يكون تأويلنا، بياناً بالطرق التي يمثل بها العمل أو يقرض إجمالنا لفهم الأشياء. وعلى الرغم من أنها لا تصل لطبيعة الحال محل التأويلات الموضوعاتية المعتادة، فإنها تتجنب بالفعل، الإعاقات للبصرة - الاندفاع للبح من الكلمة للسلام. وتثبت ضمن إطار النظام الأدبي، لأطول وقت ممكن، وباحتمالها على أن الأدب يختطف عن مجرد كونه بياناً حول العالم، لؤوس البهوية أخيراً، نماذج بين الإنتاج، أو قراءة العلاقات في الأدب، وفي مناطق أخرى من الخبرة، وندرس للطرق التي يقوم بها الأول في اكتشاف وتخصيص حدود الأخير. ويغدو معنى العمل، داخل هذا النطاق من التأويل، هو ما يندى لتقارئ عبر الألاعيب التي يشركه فيها حول المشكلات التي تتعلق بوضعه كإنسان دال، منتج وقارئ للملحقات. وبذا تصل فكرة الكفاءة الأدبية، كأساس لتأويل انعكاسي. ■

هوامش :

- 1 - Harold Bloom, The Visionary Company (New York, 1961), p. 42.
- 2 - ibid.
- 3 - P. Valéry, OEuvres, II, pp. 629 and I, pp. 1439-41.
- 4 - Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, p. 59.
- 5 - See N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p. 19.
- 6 - L. Wittgenstein, op. cit., p. 144.

الإحساس بخصوصيته وغبائه، واختلفه عن غيره من نماذج الخطابات عن العالم، أسراً أكثر سهولة وصراراً. وتتمركز تلك العلاقات في العلامة اللغوية، أي في الطرائق التي يتم بها إنتاج المعنى.

ثالثاً : إن الاستعداد للنظر إلى الأدب كمؤسسة، يتألف من مجموعة متفرقة من العمليات التأويلية، بعضها أكثر اقتناعاً على أكثر للنصوص تحدياً وتهديداً، ولأصمها تلك النصوص التي يصعب تناولها طبعاً لتصنيف متلقية للفهم - إن دراية ما بالانتماضات التي تعقد على أساسها، ومقدرة على تحديد وبؤرة ما لتصدى للقيام به، يمحلان من التيسير إدراكه أين، وكيف يتأزم للنص محاولتنا المبذولة لفهمه، وكيف يقودنا برفضه الامتثال لترقياتنا، إلى مسألة اللغات، وصيغ لفهم الاجتماعية السائدة التي كانت شال دائماً، أحد سمات أعظم الأعمال الأدبية. إن قرائى وكما يقول للراوى عند نهاية البحث عن الزمن المفقود، سوف يقرعون أنفسهم وهذوهم الخاصة، وأيست هناك وسيلة أفضل للتيسير إحدى قراءاتنا من القيام بتحديد وبؤرة إحساننا للفهم وغير المفهوم - الدال وغير الدال، المنظم والفروضى. إن الأدب، بتقديمه لمحتانيات وتآلفات نقلت من إدراكنا المادى، وبإخصاه لثقة لإزاحة تنطى العلاقات المتخدة للملدا، يتحدى المحدود التي نلزمها على الذات

## شعرية القصة الفنائية

**ف** لقد أصابنا بحرح سماري  
لا نجد له ندبة

وإنما اختلاف دلخى

حيث تكمن السمانى

(إميل ديكتسون)

إذا ما أخذنا قطعة من اللتر الصحفى العادى، وقمنا بوضعها على صفحة من الرق على هيئة قصيدة غنائية نحيطها هرامش مهيبة من الضمت، لنسرف نظل الكلمات كما هي، سوى أن أثرها سوف يتبدل بالنسبة إلى القارئ العادى إلى حد كبير<sup>(١)</sup>؛ Hier sur la Nationale sept Une automobile Roulant à sent à l'heure s'est jetée Sur un platane Ses quatre occupants ont été Tués

(أمس، في الساعة، اصططمت سيارة، تصير بسرعة سكين ميلا في الساعة، بإحدى الأشجار. وقُتل ركبائها الأربعة) وسوف يصدى كتابة هذا الخبر على هيئة قصيدة، مجموعة جديدة من الترجمات، والأعراف التى تقرر للكيفية التى يتعين بها قراءة المتخيلية، ونوع التلويلات التى يمكن استخدامها منها. ويغنى العمل المنخفض، تراجيحيا نموذجية، ولو بدرجة أقل. إن كلمة Heir (أمس) مثلا، تكسب بقوة مغايرة ضامًا: إنها بإشارتها الآن إلى مجموعة الأُسُوية المسكنة، توحى برواقشة شائعة عفوانية تقريبًا. وربما أضفنا قليلًا لقصيدة S'est jetee (وتدلى حرفيًا - قُذفت بنضها، ولصحية - ركبائها الذين يتم تحديدهم في علاقهم بسيارتهم. ويدل نقص التفاصيل، أو التفسير، منطقيًا، على نوع من العبثية، ويتم قراءة الأسلوب التقريرى السليد دون شك،

بوصفه عائقًا وتخليًا، بل ويمكننا ملاحظة عنصر من عناصر التشويق بمد S'est je- tee، (قُذفت بنفسها) وتكشف الانتقال المفاجئ مما هو مؤثر إلى ما هو ضئيل في الضرورية الممكنة لـ Platane (شجرة) (تألف) سطرًا (Plat = وفي حمية tues (فترًا).

ويختلف هذا بشكل جلى عن الطريقة التى يتم فيها تأويل اللتر الصحفى، ويمكن تفسير هذه الاختلافات فقط، عن طريق الترجمات التى تقارب بها قصيدة غنائية والأعراف التى تحكم السمع الدلالية الممكنة لهذه القصيدة: إن القصيدة زمانية (ومن هنا تجرى لقوة الجدية لـ دمس her، وكاملة بذاتها (وهو ما يبرز دلالة غياب التفسير) ولحين أن تتماكب عند سماري رمزى (ومن هنا يجرى إعادة تأويل S'est jetée، قُذفت بنفسها و Ses occupants ركبائها، وهى تقوم بالتعبير عن موقف attitude ومن هنا يأتي الاهتمام بالندرة كرقعة متعمدة كما يمكن تأويل للتنظيم الطباعى تأريلاً غنائياً أو زمانياً (لتشويق Suspense أو الملل iso- lation) وعندما نضرح في قراءة النص كقصيدة، تبرز فاعليات جديدة إلى حيز الإمكان، لأن أعراف اللوح، تنتج نطاقًا جديدًا من الملامح.

ومثل هذه الصعوبات الحارضية، ليست بغيرية بحال. إنها العمليات نفسها التى يقوم القراء والنقاد باستخدامها بحقق، في فساد بالغة التفتيد. غير أن نجاعة النموذج، تؤكد على اللطائف الذى تركز عليه قراءة وتأويل القصائد طبقًا لنظرية منهجية للقصيدة الغنائية. يقول «فنتشتاين»: «لا تدس أن القصيدة، حتى ولو كانت مؤلفة من اللغة الإبلاغية، فإنها لا تستخدم لدخل لعبة اللغة التى يملك بها تزويدنا بالسطومات»<sup>(٢)</sup>، غير أن تذكر هذه الحقيقة لا يعد كافيًا في حد ذاته، ذلك أن علينا أن نقوم بفحص طبيعة لعبة اللغة موضع السؤال.

إن الشعر يكمن في قلب التجوية الأدبية، لأنه للشكل الذى يشدد بوضوح على تحديد الأديب، واختلافه عن الخطاب العادى الذى يصدره فرد تجريبي عن العالم. وبذلك

ملاحح الشعر المحددة، الوظيفة التى تميزه عن فعل الكلام العادى، وتبدل دائرة الاتصال التى يكتب فى إطارها. والشعر، كما نخبرنا النظريات الأدبية، يخلق، إن فعل كتابة قصيدة يختلف اختلافاً بليًا عن فعل التحدث إلى صديق. ويساعد التنظيم الشكلى للقصيدة، أعراف نهايات السطور، الإيقاعات، للمناذج الصوتية - على جعل القصيدة موضوعاً لا شخصياً، تقدر فيه الـ «أنه» والـ «أنت» ألبية شمزية. على أن حقيقة كون النص قصيدة، ليس لنوعية لازمة لخواصه اللسانية. وتبدو الصعوبات المنوطة لتأسيس نظرية في الشعر على أساس الخواص المنمودة لفعل القصائد، وكأنها حكم عليها بالفشل.

ويقدم كلوث بروكس Cleanth Brooks مثلًا نظرية لشعرية الخطاب فى عبارته الشهيرة «إن لغة الشعر هي لغة المفارقة Paradox»<sup>(٣)</sup>. إن الخطاب الشعرى غامض بطبيعته وساخِر، ويبدى التوتر، خصوصاً، فى صيغة الكيفية. ويمكننا القراءة الوثيقية، فحسلاً عن الدلالية بالدلالات الإيحائية Connotations من اكتشاف التوتر والمفارقة فى كل القصائد الناجحة. ومن ثم، يمكن ملاحظة توتر فى سطر «جراى، Gray «الحرايات القصيرة والبسيطة للفقراء The short and simple annals of the poor بين تداعيات كلمة «حوليات»، العادية، والملاحح الدلالية للحيث «قصيرة»، «بسيطة»، والقراءة،<sup>(٤)</sup> زحلى الرغم من أن «بروكس»، وآخرين عثروا على التوتر والمفارقة فى الشعر بكل أنواعه، فإن النظرية تخفق فى أن تكون وصفاً لطبيعة الشعر إذ يمكننا العثور على توتر مشابه فى اللغة من أى نوع. إذنا لا يمكن أن نطرق إلى مسألة «كويون، From a logical Point of View باعتبارها قصيدة غنائية. سوى أن جملةنا الافتتاحية يمكن قراءتها «الشيء الغريب فيما يتعلق والمشكلة الأطلولوجية هو بساطتها». ويضم هذا السطر توترًا بين تداعيات «أطلولوجى، وتركيب «البساطة»، خاصة أن المسألة تظهر، الأطلولوجى، أبعد ما يكون عن البساطة. ويوجد بالإضافة إلى ذلك، خبيرة لطيفة فى استخدام كلمة «شيء»

## نظريات الإبداع الغربي



التي ترتبط في العموم بموضوعات مادية، والتي يتم استغلالها هنا لكي تعبر عما هو محتمل أنطولوجيا؛ حقيقة أو خاصية علاقوية. وفي الحقيقة، فإن الدور في هذا المجال يبدو أصغر منه في سطر «جسري» ويعتبر الناقد الذي يرغب في النظر إلى «جسري» كشاعر، مستبعداً «كشعر» من صحبته، فيما أظن، إلى القول بأن الدور ذو وثاقة في الحالة الأولى بطريقة لا نجدها في الحالة الثانية، بحيث ننظر إلى الانتباه إلى الدور في الحالة الأولى، ولا ننظر إلى ذلك في الحالة الثانية.

وبالطبع، سوف تفر السخرية في حقيقة الأمر عنصرًا مهميًا من ناحية موضوعاتية، إذا ما تم استخدام عبارة «كشعر» في لعبة لغوية مختلفة، ومن ثم استغراقها بفعل أصراف مغايرة:

من وجهة نظر مطلقة - From a Total Point of View

الشئ الغريب

Acurios thing

فيما يتعلق بالمشكلة الأنطولوجية about the ontological Problem

هو

بساطتها Simplicity it is

إن التنظيم الطباعي ينتج نوعاً آخر من الانتباه، ويطلق بعضاً من الطاقة اللغوية الكاملة لكلمة Thing (شيء)، و is هو و Simplicity (البساطة) إنما تعمل بشكل أفضل أقل مع إحدى خصائص اللغة (السخرية الكاملة، أو المفارقة) أكثر مما تعامل مع استراتيجيات القراءة، يتم تطبيق عملياتها الرئيسية على موضوعات لغوية تمتد كخسائد حتى وإن بدت نماذجها العرضية والصوتية غير واضحة.

وليس هذا إنكاراً لأهمية الأنساق الشكلية بطبيعة الحال، لقد غدا التماثل - equiv- alence في المطلب الشعري، كما يؤكد جاكوبسون، الأداة المكونة للمتناحية، أما التماثل الصوتي أو الإقاضي، فهو أحد الأدوات الرئيسية التي تباعد بين الشعر

موقف محفز، يتفق، قبل أو بعد الملاحح الشعرية أو الدلالية، مع كل أو جزء من الخطاب، وهو ذلك الوجود اللازم الذي يدعوه إيلوار برورث شعرياً - Poetic Prom- inence (شاهد شعري - Poetic evidence) هنا، يمكن للغة الشعرية أن تبدو وكأنها تكشف عن «بنوتها» الحقيقية، التي ليست هي بنوة ذلك الشكل الذي يمكن التعرف عليه عبر صفاته المحددة، وإنما بالأحرى بنوة للصالة، وهي درجة من الحضور والكثافة التي يمكن أن نضرب إليها، إننا جاز القول، أية متناحية، فقط، إذا ما تخلق حولها ذلك الهامس الذي لمصمت الذي يعزله في منتصف الكلام العادي (ولكن ليس كالتعريف<sup>(١)</sup>).

وهذا يعني أن التماثل الشكلي أو الانحرافات اللسانية في الشعر، لا تكفي وحدها لإنتاج البنية الحقيقية أو الحالة الشعرية. أما للتعامل الثالث والساكن، الذي يمكن أن يعمل بفاعلية، حتى في غياب العوامل الأخرى، فهو عامل التوقيع العرفي لمسط الانتباه الذي ينفذ الشعر بفضل مكانته داخل المؤسسة الأدبية. إن تحليل الشعر من وجهة نظر «البرونليفا»، هو تحديد لما هو متضمن داخل إطار هذه التوقعات العرفية التي تخضع اللغة الشعرية لغائية أو حسمية مغايرة لتلك التي يخضع لها الكلام العادي، ولكنها التي تسهم بها هذه التوقعات أو الأصراف في فاعليات الأدوات الشكلية والسيقات الخارجية التي يمتلئها الشعر.

### المسافة والإشارة اللغوية

Distance and deixes

أولاً: هناك حقيقة المسافة اللاشخصية، إن قراءة قصيدة لشاعر لا نعرفه معرفة شخصية، تختلف كلية عن قراءة رسالة كتبها هذا الشاعر نفسه، إن الرسالة التي يتم تسجيلها مباشرة لدخل دائرة انصالية، وتعتمد على سياقات خارجية لا يمكن إنكار وثاقتها حتى بافتراض جعلها بها، إن «أنا» الرسالة شخصية تجريبية، شأنها شأن «أنت» التي تقدم «أنا» بمغابقتها، لقد تم كتابة الرسالة في وقت محدد، وفي موقف تشير إليه، لكي

والوظائف الانصالية للغة الحديث للعادية، إن التصيد بنية من الدال تستغرق للدول وبعد تفكيكه. إن أروية للتصيق للشكلى يمكن للشعر من نقل المعاني التي تمتلكها الأنساق في نضاج أخرى من الخطاب، وتخصمها لتعظيم جديد، إلا أن دلالة الأنساق الشكلية تعال في حد ذاتها ترفعا عرفيا، نتيجة وسبباً معاً، لدور من الانتباه الفاص بالشعر، ويجادل روبرت جريفز Robert Graves: (٢).

إننا لا نصغي، عند قراءة الشعر الاصطلاحي، والشعر هو الشكل الذي تلقت فيه للموضوع، والتوقعات الإقاعية، ويعتمد كتاب الشعر العر على المتابعين لجنح الانتباه لما يحدوه به «التناغم» Cadence، أو الملاقة الإقاعية (ليس من الميسر تعيها) التي يمكن أن تفتت منا إذا ما كتبت على هيئة نثر.

إننا نزع، عند قراءة الشعر، ليس فقط إلى التعرف على الأنساق الشكلية، وإنما إلى جعلها شيئاً يفوق مجرد كونها حلية ملحقه بالتلفظ الانصالية، وبناء عليه، فإن جوهر الشعر كما يقول «جيليت» لا يكمن في البراعة اللغوية ذاتها، رغم أن تلك البراعة تعمل بوصفها محفزاً، وإنما بشكل أكثر بساطة وصمغاً، في الموقف القرأى. attitude de (Lecture) الذي تفرضه التصيد على قراءها:

تؤمل الرسالة، علينا أن نورد تلك السياقات التي يمكن لنا قراءتها كفصل زمني فردي مستند، ولا تربط القصيدة بالزمن بالمرطقة نفسها، كما أنها لا تتمتع بالمكانة الشخصية نفسها، برغم جهودنا عند فعل التأويل للمحيط الخارجي، محدثين أنفسنا بتقسيم تجريبيه (ذات صباح، كان الشاعر مسافرا في القربى مع معشوقته، وعندما أيقظته الشمس للتي ألبأته بحلول موعد استيقاظه، وتدهير شوقه، ورد إليها التمشط اللدود، وانغمسا جامعا...) لا إننا نعلم أن قصصا كهذه، لا تندر أن تكون أدبية تخيلية يتم استخدامها كحيل تخيلية، إن الموقف الذي ينشده، لا يتصل بفعل إنساني فعلي، وإنما بموقف فتل من أعمال اللسان نظن أن القصيدة تقوم بتقليده، إما بطريقة مباشرة، أو بطريقة مرارعة، إننا نلجأ إلى نماذج الشخصية الإنسانية، ونماذج السلوك الإنساني، لكي نؤسس مرجعا للضمائر، على أننا نعلم أن اهتمامنا بالقصيدة يعتمد على حقيقة أنها أبعد من أن تكون مجرد سجل لفعل من أفعال الكلام التجريبية، فلذا سندا بأن القصيدة الغنائية شيء لا يتم سماحه، وإنما وصلت إليه، فلن بين لنجا أية أوهام بشأن اهتمامنا في النص من قلب الباب، إننا ببساطة، نستخدم هذا التحويل كأداة تأريخية، وحقائقنا لطور مثل هذه الاستراتيجيات للتغلب على لا شخصية الخطاب الشعري، هي أقوى تأكيد على هذه اللاشخصية Impersonality.

ويمكن ملاحظة هذا المظهر من مظاهر الوظيفة الشعرية كأفضل ما يكون في الطرق التي تبدل بها تفرقاتنا عن القصيدة الغنائية فعلايات الإشارات اللغوية أو أدوات الوصل (المحولات) Shifters، إن الإشارات اللغوية بمثابة ملامح «توجيهية»، لفئة تتصل بموقف التلطف وأهم هذه الأدوات المتصلة بموضوعنا، هي عناصر الشخص الأول، والثاني (ومعنا في الخطاب المادي هو «المتكلم» والشخص الذي نوجه إليه الكلام)، وأدوات التنكير والتعريف، وأسما الإشارة التي تتكرر في بدايات الجمل، وهي التي تشير إلى سياق خارجي وليس إلى عناصر أخرى ماثلة في الخطاب، وظروف المكان والزمان التي يعدد

مرجعها إلى موقف التلطف (هنا، هناك، الآن، أمس) وأزمة الأفعال وعلى الأخص المتصرع الذي لا يطر من زمن<sup>(٨)</sup> ولا يمكننا تقريبا، التمازاة في تقدير أهمية هذه الأدوات ونذكر بداية، بناء على رغبتنا في التحدث عن القناع الشعري، إن مثل هذه الأدوات لا يتم حسمها بفعل موقف التلطف الفعلي، لكنها تعمل على مسافة معينة منه، وعندما تخاطب إسكثفات «بولك» الأرمية To Spring (للربيع) To Summer (لصيف)، To Winter (للشمام) كل فصل من فصول اللمام بدروه، وتطلب منه إما أن يسرع أو يبطئ إقامته، فلذا ببساطة لا نطلق هذا بوصفه سياقًا للخطاب (إن بولك يقوم بمخاطبة الفصل الأرمية) وإنما نذكره أن إجراء كهذا، لا يحدو أن يكون أحد الأدوات التي ونحن إنماج تضميناتها في إطار تأريخنا للقصيدة، كيف يتصل لنا تأسيس «أنا» شعورية تخاطب الفصول، وكيف يتم التعامل مع Thou «أنت» التي ينتجها إليها الخطيب: ويكتب «بولك» هارتمان، Geoffrey Hartman

«إنما كان استدعاء الفصول يمثل فعلا معانها أو شعائريا، فإن المتصور بذلك هو مجرد المساعدة على نقل اللغة العاطفية للقصيدة نحو المقدمة، هذه النعمة التي هي لب أساليبها، إن الصوت هنا يحدو لفته، ويستدعي صور طاقته السابقة، ويستغرق «بولك» في استرجاع لا يتخطى لتذكيرات هذه الطاقة، بأن يقدم لنا معارضة رائعة لأسماء وموضوعات من الكتاب المقدس، والأعمال الكلاسيكية، وهي التحليل الغنائي الرفيع لتقرن الثامن عشر، إنه لا يحدو أن يكون أداء Diction شعريا، بيد أنه أداء يبحث عن حقيقته Truth. وهو هوية للروح الشعرية والتبوية التي ننتقدها الآن<sup>(٩)</sup>.

إن الإشارات اللغوية، لا تصلنا إلى سياق خارجي، وإنما تضطرنا لإساءة موقف تتلظى تخيولي، وتستحضرنا إلى الوجود صوتا وقرعة توجبه إليهما بالخطاب، ويتصندا ذلك تأمل العلاقة التي تستمد منها خواص للصوت والقرعة، وأن نضع هذه العلاقة مكانا مركزيا

لدخل للقصيدة، وقرء الأعراف التي تمكنا لتسلخنا عن موقف فعلي للخطاب لمصلحة صيغة إنتهائية تدبوية، هذا الإطر الأخير مرة أخرى إلى القصيدة بوصفه مثالا لطاقة التفرع التي تتميز بها الروح الشعرية، وهي روح يمكنها تصوير ما نقوم باستمثاره، وقرع قدرتنا على إدراك هذه الروح جزئيا إلى الأعراف التي تقوم بإزاحة للقصيدة عن إحدى دوائر الاتصال المادية.

وتراجعنا مثل هذه الظواهر في نطاق الحالات التي يمكن أن تخفف فيها المتعاليات الموضوعاتية المحددة بدرجة كبيرة وبغير هذه التوقعات العرفية، ويحدثنا الأربابك عندما نجد أن «أنا» «أنا» «أنا» قصيدة شملني The Cloud. السحابة، ليست السحابة في واقع الحال، وكان يمكن لنا ببساطة أن نضع بعين موقف التلطف، في حالة ما إذا كانت الأصرف، أقل قوة، بحيث إن «أنا» هي مدنى شعري، فزج على التحين المبجل الذي تقوم به أن يعود إلى القصيدة مرة أخرى وعليا أن نقرر ما الذي يحدث من سحابة، وتوقع الدقائق التي لا تصرح بها القصيدة، ونضع الإجابة مكانا مركزيا في تأريخنا. وتقدم لنا قصيدة «الاس ستيفنس» Wallace Stevens lace Stevens حكاية جرة Anecdote of Jar في مجرد إشارة لغوية مفردة تشغل عليها: «أنا» في السطر الانتهازي:

I Placed a jar in Tennessee,  
And in round it was, Upon a hill

وضعت جرة في تينيسي، مستديرة كانت، فوق أحد التلال.

وسوف يفحو أي متكلم يشغل القارئ فرائع، أو بتبيله، «هني شعريا، تحدد هويته على الدلالة التي نلخصها على فعل وضع الجرة في «تينيسي»، حيث يتحين أن يكون هذا المتكلم شخصا يمكنه أن يلعب دور الوسيط لهذا الفعل، وتشير حقيقة ظهور الإشارات اللغوية في القصيدة إلى أن لهذه الوساطة بعض الأهمية، ويتوجب إنماجها في أي تأويل من التأويلات.

إن تقليدا شعريا كاملا، يستخدم الإشارات اللغوية التي تتعلق بالمكان أو الزمان،

A sudden blow: the great wings  
beating still

Above the staggering girl, the  
thighs caressed

By the dark webs, her nape caught  
in his bill,

He holds her helpless breast upon  
his breast.

How can those terrified vague fingers  
push

The feathered glory from her loos-  
ening thighs?

لنطفة مفاجئة : والأجنة المهولة تخفق  
لازلاً

فوق اللغاة للترنحة ، والفخذون تداعبها

الأعشى القائمة ، رقابها مطلق في منظار

وهو يضم صدرها العاجز إلى صدره

كيف يمكن لهذه الأصابع المروعة المبهمة  
أن تدفع

للشد المبرش عن فخذها أنسابين ؟

إن الوثيفة المادية للإشارات اللغوية

هذه ، لا يتم تقويضها ، إن علينا أن نهيب لها

مرجعا (أجنة البهجة ، البنت في الشهود،  
فخذها ، الأعشى القائمة أساقى البهجة) (١٠)

ومع ذلك ، فحين لا نذهب ببساطة القول بأن

الشاعر ينظر المشهد أو لتحمل له وبالتالي

يأخذ على علته ، ذلك أن هذا الاستخدام

للإشارات اللغوية هو محصلة اختيار ما

(الشاعر يعرف أن القراء لن يتقروا بوضوئية  
الشهود) وبناء عليه ، فإن علينا أن نتأمل

التصميمات التي يستعملها افتراض مثل هذه

الوقفة واختيار التعبير عن الحادثة من خلال  
مشهد سكرى نسبيا ، ثم استعمله كمنطلق

نحو أسئلة المعرفة والثقة ، وعلاقة الجسد  
والحمية التاريخية ؛ أو ، مرة ثانية ، عندما  
تبدأ قصيدة "بن جوتسون" بظرف مكان ،

On my first Daughter

Here lies to each her parents ruth,

Mary. the daughter of their youth

هنا تردف في كنف والدتها ،

ماري ، طفلة شبابهما

## نظريات الإبداع الغربي



نفسها إلى حد كبير ، ويتعين على القارئ أن  
ينظر للمرقف الذي تحنطه السطور  
الافتتاحية على تأسيسه ، ليس باعتباره إطارا  
خارجيا ، وإنما بوصفه تركيذا فوقيا لقنية  
الموضوعاتية الأساسية : تعلق السلفية  
للموضوعات العالم واستجابتها لها ، وبالتالي ،  
لا يقدم لنا السطر الافتتاحي في قصيدة  
Among School Children (بين  
لأطفال المدرسة) "أجول عبر حجرة الدراسة  
متفكرا والسطر الذي يليه ، تأمل طفلا هنا  
وطفلا هناك مرقف الخطاب ببساطة ، إنما  
يجبرنا على تأسيس رار شعري يمكنه إنجاز  
الاستجابات الموضوعاتية لبقية القصيدة .

إن أحوال القراءة - باختصار - هي التي  
تمكننا ، حتى في حالة التصادم التي تقدم  
ظاهريا بوصفها بياناً شخصيا حول مناسبات  
بعضها ، من تصالفي النظر إلى هذا الإحراز  
باعتباره مسألة مبررة بحتة ، وتأسيس سياق  
مرجعي يتفق ومتكافئ التماسك الذي  
تستطلع بقية القصيدة بإرساله . ويوجب  
تأسيس المرقف الخبيثي للخطاب لكي يهتم  
وظيفة موضوعاتية . وليست هذه التغيرات  
في قراءة الإشارات للفرقة التي تحدثها  
الأحوال الشعرية لكن وضوحا في التصاد  
التي تكون فيها ، نأ ، المتكلم صريحة . إن  
قصيدة بلوك ، Lida and the Swan ، أيضا  
وللهجة ، تضم عددا غير عادي من أدوات  
التعريف التكرارية في سطورها الأولى :

والخاصية لإجبار القارئ على تأسيس قناع  
متأمل ، إن القصيدة يتم تقديمها بوصفها  
خطابا متكلم يثق ، لحظة الكلام ، أمام مشهد  
خاص إلا أنه ، مع الفحرائض صدق هذه  
الدعوى من اللانحية ، السيرية ، فإنه يتم  
استفراقها وتحويلها بفعل عرف شعري لكي  
تسمح بظهور موضوعاتي من نوع معين  
وتغزو للدراما ، هي دراما الذهن ذاته عند  
مواجهته بطور خارجي ، ويوجب على  
القارئ أن يضع في اعتباره اللجوء بين  
الموضوع والشعر ، ولو يفرض للنظر إلى  
الانصهار الذي تقوم القصيدة بإرساله ،  
بوصفه إنجازا ، إن قصيدة كولريدج ،  
The Eolian Harp تشدد على سياقتها عبر  
الضميرين ، الأول والثاني ، وأفعال الزمن  
المستخرج ، والمؤشرات الزمنية والمكانية :

My Pensive Sarai thy soft cheek  
reclined  
Thus on mine arm, most soothing  
sweet it is  
to sit beside our Cot (..)  
And watch the clouds (..)  
How exquisite the scents  
Snatched from you bean - field (..)

سارتي المستقرعة ، وجلتك اللينة تنيل

فكنا على ذراعي ، ما أعذب حلاوة

الجوانس بهوار كرفنا (...)

نراقب السحب (...)

ما أرق المنظر

المختلس من حقل فركنا (...)

والشهد بعد مطلقا لعمل المخيلة ، إلا أن  
على البسائر تصويل الموقف إلى نموذج  
للطمانينة ، والصفاء ، والرفاه ، لأنه بعد أن  
تغلي وحدة الوجود الحية مكانها للشكوك  
الدينية ، يعمد القصيدة إلى إشاراتها اللغوية  
(هذا الكرخ ، وأنت ، أيتها العذراء الشريفة  
للقلب - This cot and thee, heart hon-  
oured Maid (تدعى ماري بمرساتها في موقف  
خطابها ، ويرغم خلو قصيدة ويندرووث  
(Tintern Abbey) من هذه العبودية  
الصريحة ، فإن وظيفة الإشارات اللغوية هي



more easily

The lake a lilac cube.

إنهم يحملون قطب بأمریکا

لكى يعضوا الطريق وسط الثلاثة عشر مايربا

من عواميد الشب

ما أجمل مذاق هذا اللصل

برغم أنه يحرق اللزب

وباختباركم من النظلة في يوانر للفلل فإن

يملككم أن يندوا رائدوين الآن

وتغزو مطقة سجاير اللقال لكتر يسرا

البحيرة، مكعب من الليلك..

ولقد مشقة في تأسيس مشهد أو موقف،

لأننا نجد أنفسنا يصعد الافتراضات لا حصر

لها: «إنهم» they، والثلاثة عشر مايربا من

عواميد الشب وهذا السمل وإلهمم ذلكها أو

غيرها، ومطقة سجاير. اللقال، و«البحيرة».

ويواجهنا التحدى بجعلها محيطات لموقف

فردى، وندور وكأننا مسكرم علينا بالفلصل،

سوى أنه يمكن ملاحظة نتائج تروقياننا هنا،

لأن في إمكاننا إنتاج قراءات طبقا

لافتراضات مبنيها. فلذا ما كانت أدهم في

السطر الأول، هي لنفسها أدهم في السطر

السادس، ولذا كانت الأخيرة هي التي تحكم

«إختبارهم» في السطر الخامس، فيمكن القول

إن في العلم بأمریکا هو أحد الأشكال الزائفة

للاختفاء من الظلام، رغبة في فقدان الذات

وسط أعشاب غابة وإيتانم، التي تم الآن

إختناصها لأعراف المرسنة ونظمها. عواميد

لا حصر لها، وإنما يمكن عددها. ولذا ما

لفترضنا عدم ملائمة للمجرد لهذا الموقف

لخاص، واستقلاده من سياق آخر، فإن

ويمكننا رد هذا الشكل من الاختباء، فلك

الشجرة المسطحة للخطى والتجلى الذين يتم

استحناصهما عبر الجزير الصمكتي الساخر

(البارودى) لقصة البرايكية (مطقة سجاير

للقاتل كدايل). ولذا ما تم اعتباره، هذه، في

السطر الثالث (حالة لين مرجع خارجي،

وإنما العلم الذي يرد بالسطر الأول، وغدو

ممكنا القول بأن العلم بأمریکا يمثل تجربة

مرورية الصلابة. أو، إذا ما تم احتساب

السطرين الثالث والرابع متقطعا مجاورا من

محيط آخر، فيمكن إختناصها نموذجاً لتجربة

إن الإشارة النصورية (هذا) لا تقدم لنا

بدلية، موقفا فضائيا، وإنما تخبرنا بمجرد

التحريف على الإشارة للعبارة، بذور الفعل

التخييلي الذي تتناول، والكيفية التي تتناول

بها التصديده، من ثم. إنها تؤدى وظيفة

كلمات الرثاء التقليدية التي تنقل على شاهد

الغبر. وحيث إننا اعتدنا بفعل أعراف الشعر

على فصل الموقف التخييلي للتلفظ عن فعله

التجريبي، فيصبح بالإمكان قراءة القصيدة

باحتسابها لوفا من لوان الرثاء الذي تقوم

بكتابه على شاهد المتفرجة، وأن نفهم التحول

من «منصور ملكية لتسلط بالشخص الأول

imy، الرزاد في العنوان، إلى منصور الملكية

الصالح بالناكبين their، الذي يرد في

السطر الثاني. وعلى الرغم من أن «نقوشه»

كهذه شكل نوصا، فرعيا من أنواع الخطم،

وثيق الصلة «بالإبرام»، فإن التصعيد النطقى

الذى تجعل منه أعراف الإشارات النصورية

الشعرية شيئا ممكنا، يجوز لنا النظر إلى الشعر

الغذائى عموما بربسه مقاربة للفتل - برغم

كونه نقشا يحكى قصة مصورة لها كويديها

الخاص.

ويستغل مفهوم اللاتخصبة im-

personality في الشعر بطبيعة الحال،

لغايات أكثر تزيينا. إن اللعب بالضمائر

الشخصية والإحالات الغامضة للإشارات

النصورية، التي تحول بين القارئ وتأسيس فعل

اتصالي محملا، هو أحد الوسائل الأساسية

لإثارة الشكوك حول اتصالي السطر الذى

تلتزمه دائرة الاتصال العادية. وسوف

يصور مثال مفرد من «جون أشبرى»

John Ashbery بطريقة رائعة، الصعوبات

التي تقف عندما تضع التلميحات المرجعية

الصرائيل أمام تأسيس سياق تلفظى

تخيلى»<sup>(١١)</sup>

They dream only of America

To be lost among the thirteen mil-

lion pillars of grass:

This honey is delicious

Though it burns the throat.'

And hiding from darkness in barns

They can be grownups now

And the murderer's ash tray is

الراشدين الذين تعلموا تقدير الملو برغم ما  
يخلق من مرارة. وفى مقابل هذا الهرج  
الإنسانى، تقع البحيرة (أى بحيرة؟) سويتا  
على مسعود وأمدع من صفتها. والبسيرة  
مكعب من اللولك، للوربة، ومقارمة  
لمحاولات ردها لتعبر موقف آخر.

والعلاق متعددة ودقيقة، خاصة أن  
وقرة الإشارات النصورية تصول بيننا وبين  
تأسيس موقف مطلق، وبصديق مكرمانه  
الأولية. وتحدث هذه الموضعيات كشفا مقبدا  
غير عادى لصيغ نظامنا، وإن يبدأ هذا  
الكشف بطبيعة الحال، إلا بفعل أعراف  
الأولية التي تمكننا من تضبيب قناع زائف  
(تخيلى) لتلبية متطلبات التماسك، والوثاقة  
الداخلين. يقول «فوليب سولوى»: «حدد  
القرامة، ونحن أن تكون على دراية بما تكتب  
بطريقة لا راعية في قرامتنا»<sup>(١٢)</sup> إن كتابتنا  
للأوضاع، هي المحاولة التي نقوم بها لتنظيم  
وتطبيع النص، والتي تقوم قصائد أخرى مثل  
قصيدة «أشبرى» بتحديدها ومسايلتها.

إن فكرة الشخصبة، أو الذات المتكلمة،  
هي بطبيعة الحال أذلنا الرئيسية في التنظيم  
Order. وتضطرب سيورة القرامة على  
وجه الخصوص عندما نخرج عن تأسيس ذات  
تصل كمصدر لتلفظ الشعرى. هناك إذن  
قبول مبدي لدعوة كرميتها بأن تلتمة  
الشعرية «تتم محجرا ثابتا من الذات إلى  
الذات»، وإنه «في هذا الفضاء الآخر حيث  
يكون منطق الكلام غير مستقر، يتم تدوير  
الذات، حوضا عن الصلابة، ويتم تأسيس  
تصادم الدوال، التي تبنى بعضها بعضا»<sup>(١٣)</sup>.  
خبر أن الشخص للتجريبى، كما أوضحت  
الأسئلة السابقة: هو الذى يتم تخريبه أو،  
إزاحته، وتحويله إلى صيغة مخفظة ولا  
شخصية. إن انتفاع الشعرى، شكل وظيفية  
لغة القصيدة. غير أنه يحقق برغم هذا الدور  
المزهد للذات الفردية. وحتى المقصائد التي  
تجمل من الصب تأسيس قناع شعرى، تركز  
في قاعليتها على حقيقة أن القارئ سوف  
يحاول تأسيس موقف تلفظى، ومن الأجدى،  
على مايقول «هنرى مسكونيك» Henri  
Meschonnic، في مقال ندى لكوسيتوا:  
«أن تشدد على لا شخصية الكتابة، وعلى

## نظريات الإبداع الفربي



ليست في حد ذاتها كلاً متناغماً. إن تضامن العنرف الصائفة والصامدة، لا ينجح في إحداث استمرارية دلالية. إن علينا أن نقرأها كشظية، كما تدعونا النقط في الحقيقة لأن فعل، سوى أننا نقارنها بالفراض مسمى للاستمرارية (مثلاً، افترض أن الكلمات الأربع جزء من عبارة مفردة)، وإمكان النظر إلى القصيدة من ثم بوصفها قصيدة حب (جوجلولا كخفص مضطرب)، مع تناول الفجوات باعتبارها صوراً للتوقع أو عدم الاحتمال. إن تأويل قصيدة، وعلى افراض كلية، ثم إنفاه معنى على فبراتها، إما بالكشف عن الطرق التي يمكن أن نملأ بها هذه الفجوات، أو بإعطائها معنى كفجوات في حد ذاتها.

وتتخذ أفكار الكلية أشكالاً عديدة في الكتابات البديوية. ولقد قمنا بمناقشة لإحاح «جاءهسون» على أن القصائد تستعرض تناظراً صارماً على مستوى الأنصاف العسوية والدعوية. وتتضمن نظرية «جربامس» في القصيدة اللغائية، بوصفها نهجاً مطلقاً تصنيف من التصنيفات، للدعوى بأن القارئ يحرره نحو فهم للقصيدة عبر تأسيس قللت موضوعاتية، ويأن ما يسعى إليه هو تناظر نهجي تختصايه فيه نفسان متعارضتان لهما قيم متعارضة. وهذه بالطبع، فرضية حول أعراف القراءة، والهدف الذي توجهه إليه عبر هذه القراءة. ويحدثت سوبوروف عن القراءة بوصفها تشكيلاً، نحاول أن نكتشف فيه بنية مركزية أو أداة توليدية تحكم كل مستويات النص. ويقول بسات: «إن الألفاظ «في الشعر الحديث، تنتج استمرارية شكاية تثبت منها تدريجياً كخافه فكرية أو لفعالية تمسحيل بدورها، وتضم الألفاظ المفردة بفرغم ذلك، كل السعاني الكاملة، والعلاقات التي يطلب من الخطاب الاتصالي اختباها، وهي تشكل من ثم، خطاباً مولداً بالفجوات والرمضات، بالفيابات والعلامات المهمة، دون قصد مفرق ومبته،<sup>(١٨)</sup> إن مفهوم الكلية مفهوم مركزي، لأنه لا يمكن تمديد فعل action لشعر الحديث بغير هذه العناصر: الفعل في

«القصيدة أشبه ما تكون بشجرة من أشجار عيد الميلاد، أكثر من كونها كلفاً عسوية، ومع التسليم بهذه الاستعارة، فإننا نجد مشقة في التحلي عن فكرة الكلية المتناغمة: إن بعض أشجار عيد ميلاد أكثر نهاماً من غيرها، ويدل إلى الظن بأن للتناق والتكظيم المتناغم المعنى، يضيف بشكل ما إلى فكرة للدجاح.

وللقطة الجهورية مع ذلك، هي قندا، برغم إنكارنا لمجاة القصيدة لأن تكون كلاً متناغماً، نستفيد من هذه الفكرة في عملية التكرامة. إن الفهم هو بالعسورة، سوزرة غالية، والمص بالكلية، هو الناية التي تحكم تقدمها. ويمتدونا أن نلأ، من مطلق محلي، كل شيء في قصيدة من القصائد، كما يمكننا أن نظرى، من بين التفسيورات الشاملة، تلك التفسير الذي ينجح أفضل من غيره في رد المفردات إلى بعضها البعض، عوضاً عن تقديم تفسيرات منفصلة وبغير ذي وثافة، وتحدد القصائد التي تنتج كشفاً أو كمناجح لكليات ناقصة، في نهامها على حقيقة أن حازناً نهام الكلية هو الذي يمكننا من التعرف على فبراتها ولتقاطعاتها ومدها قيمة موضوعاتية. وقصيدة «هاوفا» Pa-pyrus «البردى».

الربيع ... Spring  
ما أطول ... Too long  
جوجلولا ... Gongula

المعنى الذي يتم توليده عبر محاولة تأسيس قناع تخيولي، صوصاً عن الحديث حول اختفاء الذات<sup>(١٩)</sup>. وحتى في حالة قصائد مثل قصيدة «أشهرى، فإن سوزرة التطبيق ليست مفهولة بشكل محدد: إن بالإمكان تحويل إحالات ضمائر الوصل إلى صوفة أخرى. والقول بأن السطور ماضى إلا شفايا لغة يمكن استعمالها بطريقة مرجية، إلا أنه نكتم نقضها هذا، ببساطة (إله الذي تكلم، والى ما إن تتم الكتابة، حتى تبدأ في الانتقال)، وبأن الموقف اللغوي، هو موقف اللغة التي تحبر عن نفسها في شظايا يتم تجميعها وتنظيمها عبر للنماذج الشكاية. وإننا ما تهبنا هذا المصار، فإن من الممكن أن نلسم، لأنزال، وبقاع شعري، يعمل بوصفه وظيفة موحدة، ويصم عن كلاًه، كما يقول «أشهرى» في موضع آخر<sup>(٢٠)</sup>.

تلك الطريقة للأوامية لهذه الأسطر هي اللهم طبيعتها الفاصدة، تاركة ورامها، لاشيء سوى الطباع الفباب لمر، الذي، كما نلسم، يضم المصاصر، والسكان في أثرفت ذلك، وهذه برغم ذلك شوايات أصسورية، تناضل للوهوض والخروج من ذواتها.

الكليات العضوية Organic Wholes والتقليد الثاني الأساس للقصيدة اللغائية، هو ما يمكن أن نطلق عليه، توقع الكلية-co-tality أو التماسك coherence، ويتصل هذا بطبيعة الحال بعرف اللاشخصية-im-personality - ولا يلزم أن تكون أفعال الكلام اللغائية كليات مستقلة، لأنها أجزاء من الشرافق المتعددة التي تصم فيها، والتي تستخدم منها معاليفها. سوى إذا كان الموقف اللغوي للقصيدة هو ذاته مبنى يجرى رده إلى القصيدة مرة ثانية بوصفه مكوناً من مكوناتها، فإن ذلك يمكن أن يطل المصوب الذي حداً بالنقاد إلى احتذاء «كسولروج» في التركيز على أن القصيدة الحقيقية هي تلك التي «تناثر أجزاؤها وتجر بالتبادل بعضها بعضاً»<sup>(٢١)</sup>.

ولقد نت مراجهة الفكرة بالطبع، وبخاصة فيما يتعلق بمحك الامتياز. يقول «جون رانسم John Ransom»<sup>(٢٢)</sup>:

إدراكه، اللهم إلا بشكل مسوّقت وخلففت، الاستمرارية التي تحد بها للمازج الشكليات. ويتحين على «هارت»، شأنه شأن أي من المهنيين بغض القراء، أن يسلم بالترجمة نحو الانسهار والثبات بوصفهما نوعاً يتم - غالباً - إحباطه عبر فعل الأدب نفسه، الذي يشكل لهذا السبب ذاته، مصدراً للماضيات التي يفرض وصفها.

ومن اليسير ملاحظة هذا الإلحاح على كلفة السيرورة التأويلية في حالة التقاصد التي تطوى على انقطاع واضح. إن قصيدة توماس ناشي Thomas Nashe الغنائية Adieu, farewell earth's bliss ورومانا لجملة الأرض، تكلمني بالمقطع التالي:

Haste, therefore, each degree  
To welcome destiny.  
Heaven is our heritage,  
Earth but a player's stage;  
Mount we unto the sky.  
I am sick, I must die.  
Lord, have mercy on us.

لتسرع، إذن، كل خطوة  
لملاقاة المصير.

السما مبركاً،  
وما الأرض إلا مسرح للممثلين،  
فلقصد إلى السماء.  
لقد أصابني السأم، فأين الموت  
فليرحمنا الرب.

إن كل سطر من السطور الثلاثة الأخيرة، غامض في حد ذاته. بيد أنها تبدو غامضة، كما يقول إميسون، لأن القارئ يفتقر لثقلها، وعليها من ثم أن تقوم بالتدقيق فيها، وذلك برداً إلى بنية تعمل ككلية. وبهذا، بالطبع، طرق عديدة لتحقيق هذا الغرض. تأويلات متفرقة للسطر الثلاثة الأخيرة - سوى أنه يمكن تمييزها بفضل التقاصد الشكليات المختلفة التي تستخدمها. أولاً، إذا كان النموذج هو الجدل البيدي للحدس the-sis، والتقيضة antithesis، والمركب syn-thesis، فبإمكاننا القول إن الإغلاء المتفطرس لما هو صرقي، ثم وضعه في مقابل الرعب الخالص للإنسان الطبيعي، وأن

السطر الثالث يقوم بعمل هذا للعارض في إضمار مسيحي، أو، إذا كان النموذج، سلسة تتوحد بفعل مقام مشترك، فيمكننا أن نزعج بأن «التجربة التي تتولى نقلها أقرى من أن يتم إدراكها كسلسلة من التناقضات، وأن بإمكاننا التدقيق بين العناصر المختلفة، وبأننا لا نرى اختلافها، وإنما نرى فقط سمو الخيال الذي يضمها معاً»<sup>(١٦)</sup>، وأخيراً، إذا اتخذنا كنموذج، المعارض الذي لم يحدل وإنما انصرف عبر تحويل ما إلى صيغة مغايرة، فيبالإمكان القول، بأن السطر الأخير، يحمل بوصفه روغاناً من تتنافس السطرين الأولين وذلك بالتحريك خارج مملكة الشعور والعقل، صوب مملكة الإيمان. فإذا ما جدت تأريلات أخرى أقل إقناعاً من تلك للتأويلات، فإن مرد ذلك دون شك، هو الإخفاق في بلوغ بلى تتجارب مع أحد نماذجنا الأولية لكلمة.

وإذا عدنا نماذج الوحدة في المثال الذي أوردها لـ «ناشي» على رد عناصر ثلاثة متمايزة ومتوازنة إلى متتالية إردافية، ويمكن استغلالها أيضاً برغم ذلك لاكتشاف بنية في قصيدة موحدة بالفعل، وإن يكن بطريقة متحدة بعض الشيء، عبر تركيبها syntax المسند:

#### حسرة Soupir

Soupir  
Mon âme vers ton front où réve,  
O calme soeur,  
Un automne jonché de taches de rousseur,  
Et vers le ciel errant de ton oeil angélique  
Monte, comme dans un jardin mélancolique  
Fidèle, un blanc jet d'eau soupire vers l'Azur!  
- Vers l'Azur attendri d'Octobre pâle et pur  
Qui mire aux grands bassins sa langueur infinie  
Et laisse, sur l'eau morte ou la fauve agonie  
Des feuilles erre au vent et creuse un froid sillon,  
Se traîner le soleil jaune d'un long rayon.

روحى، صوب جبينك بأفئدة الرادعة،  
حيث العلم خروف موشى برقع خمرية،  
وصوب السماء الهائلة لعينيك الملائكيتين،  
تصعد، مثلاً في حقيقة كئيبة،

تصعد نافورة مقلصة من المياه البيضاء  
زفرتها صوب الأزرق  
صوب الأزرق للرخس لأكتوير الشاحب للنقى  
الذي يعكس تراخيه اللاتلهاى في البركة  
الواسعة

تتركز على المياه الموية حيث العسرة للصهاة  
للأوراق تتحول في الريح مقفلة أعندنا باردا  
تجوب الشمس للصفراء في شمع طويل  
ويحدث ما لا يرام، كما يقول «هوكس»

أزراً مفرداً، ومحولة الخط، كان النهف  
منها، جعل العناصر تتشعب من جملة  
أصولية (نوام) تنقض عليها بقرة في علاقتها  
ببعضها، وتسمح لذهن القارئ بأن  
يفشأها،<sup>(٢٠)</sup> غور أن فهم الأثر واستيعاب  
التقصيد ككيفية يستلزم فزلاً للعناصر في بلى  
تسير في اتجاه مخالف للتنظيم اللولائي syn-  
thesizing للظلم. أما الأثر الأول فيمكن أن  
يكون للعارض بين العمودى والأفقى: تطلع  
الروح والنافورة البيضاء من ناحية في مقابل  
مياه البركة «الموت»، وجلبه الصوت (العسرة)  
للأوراق الساقتة، والأخدود البارد لتجوالها  
الأفقى. ويقدم هذا للعارض تماسا  
موضوعاتيا مبدئياً، سوى أنه يدرك بعض  
ملاحق التقصيدة بغور تطويل. وإذا ما قمنا  
ولمناجها، فطيناً أن نهيب بنموذج آخر. إن  
للتدقيق العكس بالأوراق الخمرية «بعل» في  
جبين المرأة، والسماء الزرقاء التي تطلع  
إليها للنافورة تنكس في البركة الماكسة  
للنافورة: حتى إن الهدف من التطلع في  
الصائتين ككبيهما، يمثل تحويلاً لنقطة  
الاستهلال. ويتم معارضة القوى بالحتى  
قطب لى يتم لتصلها عبر الحركة العمودية  
للتطلع، التي هي أيضاً، بطبيعة الحال، للفعل  
للولائي Synthesizing للتقصيد (تخلق)  
للتقصيد روابط عبر فعل الخضوع والتطلع).  
وبهذا نأمل، للمرة الثانية، في تجاوز هذه  
البنية للجنسية، وملاحظة أن الروح تصعد

Petals on a wet, black bough.

الزهرة المفاجئ لهذه الوجوه في الزحام؛  
بنات على عصف أسود رطب

تدعونا لتناولها كإدراكه للحظة كشف يتم  
فيها القبض على الشكل وإن ظل السطح  
عديمًا. وتشتغل إجراءات مشابهة في كثير  
من غنائيات «وليام كارول». إن ملحوظة  
مكتوبة لتذكرها على منضدة المطبخ تقول  
«لقد تركت هذه الورقة لكى أحبرك بأننى  
قمت بأكل ثمار الفوخ الموجودة بالفريزر،  
والتي ربما كنت تدخرها لمعام الإفطار.

سامعى، لقد كانت لذيذة، حلوة جدًا، وباردة  
جدا، يمكن أن تكون إشارة لطيفة، سوى أننا  
عندما نضعها على الرق كقصيدة، يبدأ  
عرف الدلالة في الاشتغال (٢٢). إننا نجد  
القصيدة من الرطاف اللغوية والفلسفية  
للمذكرة (ربقى فقط على الإشارة للسباق،  
بوصفه تأكيدًا سريعًا على أهمية مثل هذا  
النوع من التجارب) وعلينا، بناءً على ذلك،  
أن نقدم وظيفة جديدة لتدوير القصيدة. أما  
وقد نرى هذا بالتضاريس بين أكل الفوخ  
والقواعد الاجتماعية التي ينتهكها هذا الفعل،  
فبإمكاننا القول إن القصيدة كمذكرة، تدور  
قوة وسطة، تقرب بأولوية القواعد عبر فعل  
طلب المسفع، إلا أنها تؤكد أيضًا، عبر زخم  
الكلمات الثقيلة الأخيرة، على أن التجربة  
المسية المباشرة مطلباتها هي أيضًا، وبأن  
نظام العلاقات الشخصية (العلاقة بين الـ  
«أنا» والـ«أنت») يجب أن يبنى مكانًا لفعل  
هذه التجربة. ويمكن أن نستدرج فقول، إن  
عالم المفكرات، والإفطار، هو أرونا عالم  
اللغة الذي لا يمكنه مثل الملحقات أو السمود  
أمامها. وكما يقول «فاليري» Valéry: «لقد  
خلقت اللحمة للسمع، إن القيمة التي يتم  
الحكيد عليها بأكل الفوخ، شيء «يجازر  
للغة، لا يمكن القبض عليها في القصيدة  
الهم إلا بطريقة سلبية (بوصفها أمرًا غير ذي  
دلالة)، وهو الأمر الذي يفسر اللغة المفردة  
للقصيدة وإبدائها السطحي.

ولا تقتصر هذه العمليات بالطبع على  
قراءة الشعر الحديث. لقد ارتكزت القصيدة  
لغائية دوماً على الافتراض الضمني بأن ما

## نظريات الإبداع الغربى



قد يهتر من إنجازها، فإنها تضم على الأقل  
ثراء ضمنيًا وكامًا، يجعلها جذابة بهذا  
الاهتمام. إن قراءة القصيدة تدور من ثم  
سيرة إيجاد الطرق الكفيلة بإعطائها دلالة  
وأهمية. ويمكننا عبر هذه السيرة، استدعاء  
عديد من العمليات التي غدت تشكل جزءًا  
من مؤسسة الشعر. إن بعض التصائد للغنائية  
بطبيعة الحال، تبدي اهتمامها صراحة  
بالموضوعة التي تمثل مكانًا مركزيًا في  
الخبرة الإنسانية. إلا أن عديدًا من التصائد،  
لا يجعل الشيء نفسه، وتلك، تحديدًا، هي  
المالات التي تفرض علينا استخدام أعراف  
شكلية خاصة.

ويمكن التعبير عن الحالة الأولى بوصفها  
«محاولة لقراءة أية قصيدة غنائية موجزة  
باعتبارها لحظة كشف، فإذا ما غدا  
موضوع ما بورة لقصيدة، فإن ذلك يدل  
ضمنًا - من ناحية عرفية - على استحوذ  
على أهمية خاصة: «المعادل الموضوعي،  
لماطفة مكلفة، أو محلًا للحظة كشف،  
ويطابق هذا بصفة خاصة على التصائد  
للتسوية والتصادم الموجزة وتصادم الهايكو  
haiku التي تتيح للشكل الغنائي تركيز  
أهميتها. إن قصيدة «هاوند، في إحدى  
محطات المترو.

In a station of the Metro  
The apparition of these faces in the  
crowd;

فقط، ولا تصل، ويأن الغافرة لا تبلغ السماء،  
ولما ترتد عائدة نحو البركة. ومضلا عن  
ذلك، ويقدم ما توجد «السماء الهائلة لعونك  
الملاكيتين، مع «الأزرق» (اللازوردى)، لا  
يمكن للشعاع السمطي للششم المتأخية  
للغروب، أن يظل محوّل عن نظرة المرأة،  
وبإمكاننا إذن، أن نأمل في إعادة تأسيس  
المواد التي تم تنظيمها من قبل، ووصفها في  
تناظر رباعي تقريبًا، والقول بأن المرأة في  
علاققتها بالخريف، مثال علاقة الروح  
المستقلة، بفضلا المحكوم، الذي لا يرد ذكره  
رغم ذلك، سوف يحمل الشفاء، وتأفل  
الشعور.

إن التقصد من كلية السيرة الذاتية  
يمكن تلمسها في النسبة الأدبية من القانون  
الجمالي لـ «براجانز» Pragnanz: وهو  
أن أكثر التنظيمات ثراء وملاءمة للمعطيات،  
هو ما يعين تفصيله (٢٣) لقد أخذ البحث في  
حق الإدراك الفني أهمية العلاج اليدوية أو  
الوقعات التي نمتلكها من فز وتنظيم ما نقوم  
بإدراكه (٢٤). وهناك من الأسباب ما يحدونا  
للتعرض بأننا حين نلشد الوحدة بقرامتنا  
وتأويلنا للتصادم، فمن المتعين أن يكون لدينا  
على الأقل أفكار بدالية بشأن ما يمكن  
اعتباره وحدة، وسوف نهدو أكثر للتصايج  
جوهية هي المتعارض الخائى، واللعل الجدلي  
لتعارض ثنائي، وإحلال تعارض غير محتل  
عبر عنصر ثالث، والتناظر الترياسي،  
والسلسلة الموحدة بفعل قاسم مشترك،  
والسلسلة ذات العنصر الأخير للتحالي أو  
التلخيصي، وإنها على الأقل فرضية مقبولة  
ظاهريًا، ألا يشمر القارئ بالرضا عن تأويل  
ما، سالم يتم هذا التأويل بتنظيم نص من  
التصويص طبقًا لواحد من هذه النماذج  
الشكلية من نماذج الوحدة.

الموضوعة والكلف Theme and epiphany  
والعرف أو التوقع الثالث الذى يحكم  
القصيدة الغنائية، ولذى يتصل اتصالًا وثيقًا  
بفكرة الوحدة، هو الدلالة Significance.  
إن كتابة قصيدة يعنى للتصميم بوجود دلالة ما  
لشكل اللفظي الذى تقوم بإنتاجه، ويتأرب  
القارئ للقصيدة، مفترض أنه على الرغم مما

ثم غلاؤه كشجيرة خاصة، ونحن أن نسيغ عليه أُميرة أوفر.

تأمل قصيدة «روفسار Ronsard غرام Amours Mignonne, levez - vous, vous êtes paresseuse, J'ai la gaie alouette au ciel a fre-donné, Et j'ai le rossignol frusquement jargoné, Dessus l'épine assis, sa complainte amoureuse. Debout donc, allons voir l'herbelette perleuse, Et votre beau rosier de boutons couronné Et vos oeillets aimés auxquels aviez donné Hier au soir de l'eau, d'une main si soigneuse. Hier en vous couchant, vous me fîtes promesse D'être plus tôt que moi ce matin éveillée, Mais le sommeil vous tient encore toute sillée.

Ian, je vous punirai du peché de paresse, Je Vais baiser cent fois votre oeil, votre tétin, Afin de vous apprendre à vous lever matin.

النهضى، يا حلوى، ما أكسلك! لقد شئت القُبْرُ بالقلل فى سماكها، وروم البابل الشام على شجرة الزهرور، أنشركه العافضة. فلتنهضى إذن! هيا لنهض السرجة الدرية وشجيرة

وربك المسجلة بالبراعم، وقرنخللك العذلة التى

سقيها مساء الباردة بيديك الحانوتين. أمسى، وصدقتى وقت لنصرا لنا إلى المصدق أن تدهشى أبكر منى هذا الصباح، فخير أن نلزم لا يزل يفضى عليك.

هناك! سوف أنقص منك على جزيرة الكمل. سوف

أقبل عينيك مائة قبلة، وأقبل صدرك، كى أعلمك الاستيقاظ مبكرا.

فإذا ما نحيوا هذه الكلمات عن محيطها التجريبي الضمى، فغراما يمكن قراءتها

باعتبارها شكلا من أشكال التصانيد الرصوية التى تؤكد قيمة الاستيقاظ المبكر للحب: مذاهبة عافية تسيغ عليها البراة، وحمية رهيبة «رغم ذلك، تم عبر الترحيب بين لفرأة والمطيمة. وعليا، إذا ما أردنا أن ننجز قراءة تبرز القصيدة، أن نحول معناها (رى) الزهرور، ويطمه الاستيقاظ، (الخ) إلى مكونات مبدأ معم.

والعرف الآخر الذى ينتمى إلى طبيعة مغايرة، والذى يفيد على وجه الخصوص فى حالة التصانيد العافضة أو للتصيرة جدا min-imal حيث يكون الشيء الوحيد الذى يكون على يقين منه هو حقيقة تقديمها بوصفها قصائد، هو قاصدة أن للتصانيد تقديم دالة إذا ما تمت قراءتها باعتبارها تأملات حول، أو كشوفا لمشكلات الشعر نفسه. وبعد قصيدة أبولونيوس الشهيرة التى تتألف من سطر واحد، مثلا جيدا لهذه القضية:

Chantre Et l'unique cordeau des trompettes marines

مغتر

والوتر الوحيد للأبواق البحرية

وفى غياب أية ذات أخرى دالة مغايرة، يتعين علينا أن نستغل حقيقة أن «مغان» استعارة تقليدية لـ «الشاعر». وكما يقول «جان كوهن»، إن الارتباط فى الشعر يخلق بين عنصرين عبر ذات ضمنية (24) إن علينا أن نحاول تأسيس الثقت الضمنية التى تضمن المعنى والآلة معا. وسوف يكون للناجق لسان شينا شبيها بالشعر، أو بلون من ألوان النشاط اللغوى. وترعى البنية الثلاثية للبيت السحلى التفصيل بأننا فرد العبارتين الاستدشيد على الدورية d'eau cordeau/cor trompettes marines (الآلة الخشبية الدورية / والأبواق البحرية)، أن نعملهما متماثلتين. وبماكانتا، عبر قراءة نشاط الدورية هذا، وخلق للامالات بوصفها مجازا مرسلًا للفاعلية الشعرية بوجه المعم، ولستعددها العرف الأساسى الذى يتيح لنا رد ما نقوله القصيدة إلى مكانتها كقصيدة، إنتاج

تأويل موحد: إن القصيدة تضم سطرا واحدا لأن اللبوق البحرى له وقر واحد فقط، إلا أن الغموض الأصولى للغة، وينبع للشاعر ثلاثة أعراف عمومية - إن على القصيدة أن تكون ذلت وحسدة، وعلنيها أن تكون دالة موضوعيات، وبأنه يمكن لهذه الدلالة أن تتخذ شكل تأمل فى الشعر - كما تضم، أربع عمليات تأويلية: ونحن علينا أن نحاول تأسيس علاقات ثابتة للعارض أو النماذج، وإن علينا أن نبحث عن السمات وإمجاها، وإن من الممكن قراءة العناصر (المفردات) بوصفها مجازات مرسلّة. (أو استعارات، (الخ) حتى يتسنى لنا بلوغ مستوى العمومية المطلوب، بأن ما نقوله قصيدة، يمكن رده إلى حقيقة كونها قصيدة.

والعرف الذى يصبح قراءة التصانيد باعتبارها بيانات عن الشعر، عرف بالغ للقوة. فإذا بدت القصيدة مبتذلة ضاما، فمن الممكن أن نلجأ إلى ابتذال العبارة بوصفه بيانا عن الابتذال، وأن نستدل من ثم، بأن الشعر لا يمكن أن يذهب إلى ما هو أبعد من حدود اللغة، التى تختلف بالضرورة عن التجربة المباشرة، أو، إن على الشاعر أن يحتفل بموضوعات العالم، ببساطة، من خلال تسميتها. إن قدرة هذا العرف على نقل أى شيء، وسبع الدلالة عليه، يمكن أن نضعه مكانة مروعة. إلا أنه من الممكن، إثبات أُميرة هذه القفزة، مثلا، من خلال معتم للكتابات النقدية حول ما لاراميه و«الهرى». إن الشعر التلميذى برمه، بشكل ما - الشعر الذى لا يتم تقديمه بوصفه واقعا كقوة دخل الشعر نفسه - ألهجورى، بمعنى من المعانى: ألهجوريا الفل الشعرى والتسل، والحويل الذى يقوم بإنتاجه (25).

وهناك طبيعة للعالم، أعراف أخرى تتصل بمرح الدلالة التى ونحن اكتشفناها فى التصانيد، بيد أن هذه الأعراف تصدق فى المعم خاصية لمدارس بعينها. ويسمح العرف السورى للقارئ، بأن يجعل القصيدة تذل، وذلك عن طريق اكتشاف سجل العاطفة المتألق فيها، أو الفكرة، أو رد الفعل، ومن ثم قراءتها كإشارة تكمن لدلائها فى محيط الحياة ذاتها. وهناك أعراف

## نظريات الإبداع الغربي



إحسانها. يرجع إلى سوء فهم يتحمل بوليتيها. وحيث إنه لا يمكن لنا العبور على نص من القصص، وتصنيف الصور البلاغية فيه دون أن نكون قد استوفيناها بالفعل، فمن المحتمل أن يحدو التحليل البلاغي، نظاما تصنيفيا، نشاطا ثانويا عقيما، لا يقدم إسهاما ذا دلالة لحركة النقد، إلا أن نظرية سيمنويوتجيه أو بنوية هي التي نكتفينا بهبمسالة من قلب المنظور، والنظر إلى التدريبات البلاغية بوصفها طريقة لتزويد الطلاب بمجموعة من النماذج الشكائية التي يمكن استخدامها في تأويل الأعمال الأدبية. وعندما يواجه الطلاب سطر «مالهربر».

"Malherbe"

. Le fer mieux employé cultivera la terre

(الحديد المستخدم بشكل أفضل، سوف

يؤدع الأرض)

سوف يحدون أن الصور البلاغية التي ألفوها، هي التي تتعدد سلسلة العمليات التي يمكنهم القيام بها على «الحديد Fer» إلى أن يكتشفوا أن أفضل قراءة (أكبرها احتمالا لتسند Vraisemblable) هي تلك القراءة التي تضم، مجازين مرسلين (الحديد) ←

السلح، الحديد ← السحر) وعلى الرغم من أن البيديون لم يربطوا هذه اللقطة كما ينبغي، فإن مناقشتهم تدل ضمنا على أن الصور البلاغية هي تعليمات حول الطريقة التي نطبع بها النص، وذلك بالعبور من معنى إلى آخر - من «المنصرف deviant

إلى السندج - وتصنيف هذه التحولات طبقا لسلامتها أصيخة شعرية بعينها، فإذا ما «ذبح» عاشق بنظرة من معشوقته، فإن على القارئ أن يقوم بانجاز دلالي حتى يخلع مقبولة على النص - ولا فيسقط البطلانة في الإطراء، على أنها تراجيديا، كما حدث لـ: هوشين، في الفصل الثاني من رواية «فاوست» وإنما عليه أيضا أن يتعرف على الاتطاف الدلالي للنص بوصفه صيغة نوعية من صيغ السندج. إن الصورة البلاغية، كما يقول «جيهيت»، ليست سوى دراية بالصور، يمتد وجودها كلية على رمي القارئ، أو عدم وعيه، بغرض التغلب السائل أمامه (٣٠) إننا نكون بإزاء صورة

للنكاه بشكل نامح تقريبا، إن شاربوا يمكن في هذه المقاومة: ليس بالضرورة مقاومة للمعرض، وإنما على الأقل، مقاومة الأنماط والأشكال التي لا تتضح وثائقها الدلالية بشكل مباشر. ويمكن رؤية النقد في هذا القرن باعتباره محاولة لزيادة نطاق السامح الشكائية التي يمكن لها أن تكون ذات وثيقة، وليجاد طرق لتحليل فعاليتها على أساس المعنى. إلا أن قراءة الشعرى كانت تتضمن دائما عمليات لإنشاء للمقبولية على الشعرى، ولقد حاربت البيديوتقا دائما، وإن يكن بطريقة ضمنية، أن تعدد طبيعة مثل هذه السمات.

تقد كانت البلاغة مثلا، سلف البيديوتق الشهيب في أساسها محولة، لتحليل وتصنيف صيغ الكلام، وإضفاء المعنوية على عالم اللغة (٣١) لقد سعت نظرية البلاغة لتبرير المظاهر المتعددة للأعمال الأدبية، وذلك عن طريق تسميتها وتحديد أى الصور Figures هي الملائمة لأنواع معينة. ولقد تم إحيائها - البلاغة - كما يقول «جيهيت»، عبر الرغبة في «أن تكتشف عند المستوى الثاني من النظام (الأدب) الشكافية والصراحة اللذين تميزان بالنقل، المستوى الأول (اللغة) (٣٢) ومن المحتمل على ما يبدو، أن سوء السمعة الذي حل بالبلاغة، أو لاذي حل بها حتى جاءت التحولات البيديوتق

نفس تحليلية واجتماعية معاكسة. لقد استبدل أنصار مدرسة النقد الجديد، الذين سموا لقراءة كل قصيدة طبقا لقوانينها الخاصة، للزعة الإنسانية المحمورة، بأعراض الدلالة أكثر صراحة (يرغم الأهمية للبلغة لفكرة التواترات المتوازنة أو المحسوسة) (٣٣)، ونشرت من ثم ما يدعوه آر. إس. كرين R.S.-Crane، مجموعة من عناصر الاختزال، يحرك صوبها تحليل تكافؤ الأضداد، والتوتر، والصغرية irony والمفارقة Paradox: «الحياة والموت، الخير والشر، اللعب والكراهية، الانسجام والتضامن، اللغز والفوضى، الأبدى والزمني، الحقيقة والمظهر، الصدق والزيف... العاطفة والعقل، التقصد والبساطة، الطبيعة والفن» (٣٤) وتعمل هذه العناصر كنماذج أولية لنوع الدلالة - الموضوعات التي يعاين القارئ العجز عليها في التصاقل. ومن جهة أخرى، يزرع النقد البيديوتق، الذي يمارض مع البيديوتقا البيديوتق التي لا تتكفي التأويل، لاستخدام أفكار اللغة، والأدب نفسه، والعلاقة، كنماذج للدلالة. وسوف يظهر للنيل التقدي النامح، ما تقوم القصيدة بضمه من مكانة العلامة، وللنيل الشعرى نفسه. وأيست هناك بالطبع طريقة للتحلي عن هذه النماذج كلية، لمهب بسيط، هو أن علينا أن نكتف بصح، مهما تكن درجة لا نحدد، بما نتجه إليه في قراءتنا.

### المقاومة والاستعادة

Resistance and recuperation

وهذا هو المستوى الذي تتدرف فيه فكرة «الدلالة النهائية ultimate significance» للعمل ذات أهمية. إنه المستوى الذي نواجه فيه التعددية pluralism النقدية. على أنه يسبق هذه المرحلة، عمليات عادية للقراءة تجعل تفسير الأنماط المختلفة للدلالة، التي يمكن تعريفها صيغا للتطبيق، أمرا ممكنا. إن أعراق اللاشخصية، والوحدة، والدلالة ترقم، إذا جاز القول، بإعداد المسرح، لقراءة الشعر، وتعدد التوجه العام للقراءة، غير أن أعرافا أكثر تنميدا، وصحية، هي التي تشغل في معالجة النص نفسه.

يقول «والاس ستيفنس» Wallace Stevens، ونحن على القصيدة أن نقاوم

بلاغية، عندما يدرك القارئ مشكلة ما في النص، ويسمى بتخاض خطوات قاصدية محكومة لاستنباط حل.

ويتم توضيح إنتاجية العمليات البلاغية كأمثلة ما يكون، عندما نامل كنيحية التي نتبع لها بها الصور المختلفة تطوير عبارة من العبارات. فإذا ما استهتت قصيدة بهذه العبارة «متعباً من البلوط، قلت... Tired of the oak, I wandered by the stream» فبدون الإمكان إخضاع «بلوط» لعدد من العمليات الدلالية التي تؤدي إلى نطاق عريض من المعاني للكتابة. لقد بطل. أعضاء Groupe de Rhétorique générale، مجهودنا مثلاً لتدريس العمليات البلاغية. وإذا ما تبصنا تحليلاتهم في بلاغتهم المعاصرة - Rhétorique générale - فإننا يمكننا أن نلحظ على السبيل الذي تكمن من أجله الصور البلاغية عند قاعدة تأويلاتهم. وهذا، طبقاً لهذا التحليل، ضلطان من أمثلة التحليلات. يتم استخدامها في تأسيس الصور الدلالية: إما أن نلحظ الكلى إلى أجزاء (شجرة: جذع، جذور، فروع، أوراق، الخ) أو، نلحظ فلة إلى أعضائها (شجرة: بلوط، صمصانة، دريكة، كستانة، الخ). ونستخدم الصورة البلاغية الأساسية - الشجار المنزل - هاتين الملاحظتين كليهما، ونسج لنا بالانتقال من الجزء إلى الكلى، ومن الكلى إلى الجزء، ومن المعنى إلى الفلة، ومن الفلة إلى المعنى. وتنتج هذه العمليات الأربع عند تطبيقها على «البلوط»، مجموعة من القراءات:

جزء -> كلى: غابات، حديقة، باب، منضدة، إلخ.

(أشياء متروكة على الخشب وتصلح منه)

كلى -> جزء: ورقة، جذع، لب، جذور، إلخ.

عضو -> فلة: شجرة، أشياء قوية، أشياء طويلة

كائنات عضوية غير حية، إلخ.

فلة -> عضو: بلوط عامة، بلوط الأراضي النهرية، بلوط البهمن، البلوط الصيفية، الخ

وقليل من هذه المعاني فقط يغدو ممكناً في السياق بطبيعة الحال، ويوضح أن

العمليات للتصميمية، تستمد على أهمية أكبر. إن الانتقال من الأداة vehicle للنوع ten-or، هو في الغالب نظرة للأداة بوصفها عضواً في فئة عامة. وربما كان من الأفضل مع ذلك، أن نصف الانتقال من الفلة إلى العضو، أو من الكلى إلى الجزء، باعتباره تعريفاً على المرجع أكثر منه تأويلاً صورياً؛ إننا نقرأ «بلوط»، بوصفها «شجرة»، فقط، عندما يشير السياق إلى أن للشجرة المعنى هو في واقع الأمر «بلوط». إلا أنه توجد حالات، تلحق فيها على الشجار محقروية، وذلك بالإشارة إلى أن أمد الأفعال action، أو الحالات المسندة إلى كلى، تشير في الحقيقة إلى جزء: إن عبارة «الدولة غاضبة» تعني أن حكومة هذه الدولة، أو قادتها غاضبون. والاستمارة، جمع للوحين من الشجار الشامل: إنها تنتقل من الكلى إلى أحد أجزائه، ثم إلى آخر يضم هذا الجزء أو، من عضو إلى فئة عامة، ثم العودة بمثل ذلك مرة ثانية إلى عضو آخر من أعضاء هذه الفلة. وإذا بدأنا مرة أخرى من «البلوط»، يكون لدينا:

عضو -> فلة: عضو -> بلوط -> أشياء طويلة -> أي شخص أو موضوع طويل

أشياء قوية، أي شخص أو موضوع قوي، كلى -> جزء -> كلى

بلوط -> فروع -> أي شيء له فروع (بنوك؟)

جذور -> أي شيء له جذور

إن الانتقال من عضو إلى فلة إلى عضو، هو أكبر الإجراءات صورية لتأويل الاستعارات.

ويعد الانتقال من فلة إلى عضو، إلى فلة مرة أخرى، هو المحظور على وجه العموم من بين الطريقتين الأخريين للجمع بين زوج من المجازات المرسل. كما أن هذا النوع من الانتقال، لم يحظ بتسمية ما. ويظهر إلى

التأويلات التي تتبع هذا المصيرج كشيء مشكوك فيه إلى حد بعيد: إن فلة الكتاب،

نضم أعضائها هم أيضاً، أعضاء في فئة الحوريات البنية، إلا أن عبارة «أحب لكلامي» لا يمكن أن تعني «أحب للحوريات البنية»

لأنهم إلا في حالات استثنائية جداً. ومن جهة أخرى، فإن الإمكانية الراقية - الانتقال من

الجزء إلى الكلى إلى الجزء مرة ثانية - هي التكاليف: ففي عبارة «كان جورج يتعقب هذه التتويج، تتعاقب التتويج والفتاة بوصفهما أجزاء لكلى الفعلى أو المرئي، ويمكن التلويج، في بقية الأمثلة، أن يقدم مقام النتيجة أو للمعنى، لأهلها يمثلان ما، أجزاء ضرورية مفردة.

ويصل متدود الصور البلاغية مجموعة من التلويجمات التي يمكن لتقارير من استخدامها عندما يقابل بمشكلة في النص، برغم أنه في بعض الحالات، لا تحسب العمليات نفسها ذات أهمية بالغة الذي يمثل التوكيد الذي تقدمه المقولات البلاغية للتقارير: التوكيد على أن ما يبدو غريباً، هو في حقيقة الأمر مقبول تماماً من حيث إنه صبور مجازي ذو خصوصية ما، وكثير من ثم، قابلاً للفهم. فإذا علمنا أن المبالغة hyperbole، والتعبير عن السجوب بصفة السبى li-bole، والمجازة الجسمانية zeugma، والتشويل المعنوي syllepsis، والإدراج الخلفي oxymoron، والمفارقة paradox، والسخرية irony، كلها ممكنة، قلن ندخل إذا عطفنا على كلمات أو عبارات يتعين التعامل معها بالطرق التي تقتضيها هذه الصور. ويمكننا أن نلحظ التوكيد من المبالغة، أو إضافته إلى صيغة التعبير عن السجوب بصفة litotes، أو نلحظ معنيين على كلمة واحدة مفردة في العبارة الجامعة، أو نلحظ بين معاني مخالفين كلمة واحدة في التشويل المعنوي Syllepsis، أو نفترض صدق أحد التلويجمات - ونحاول إيجاد مفرج من التناقض في الإدراك الخلفي والمفارقة، أو نلحظ معنى خرافياً في حالة السخرية (٣١).

ولم يعد القراء يتحسسون إنجاز هذه العمليات عن طريق نظم تسمية الصور البلاغية بطبيعة الحال، إلا أن سوريوات الاستيعاب التي تقودها هذه العمليات ملائمة، مثال ذلك التي يوصى بها «فونتانتي» Fontani-er لتعدد المجاز tropes:

الفحص ما إذا كان من غير المتعين على الجملة كلى، أو أى من القضايا التي تؤولها، أو أخيراً، أى من الكلمات التي لا تحتمل التلطف، أن يتم تفسيرها بمعنى يختلف عن

## نظريات الإبداع الغربى



من سمات الاحتقار... وهى المكان الذى توجه إليه الضربات... والجهة تقطى الشغ حيث يتم التخطيط للخطأ، بينما تستخدم الأسنان فى تنفيذها، (٣٥) ويمكن القول بأن عمل «إمبسون» يركز على قاعدة مزدوجة: إن بالإمكان تصوير الغايات الأدبية طبقاً لفئة المعنى، وبغزو الشرح، هو الأداة التحليلية الرئيسية، وأنه يتوجب علينا ورغم ذلك، الاحتفاظ كلما أمكن، بأكبر قدر من المعنى العرفى للاستعارات، وذلك بتقديم ترجمات متزايدة، فى اتجاهات مختلفة شتى.

إن للتناقضات الهادئة، والمبهمات أو التفرقات المنطق المتعاقبة، هى، كما يذهب «إمبسون»، وسائل قوية لإجبار القارئ على «تبنى موقف شعري تجاه الكلمات وهذا الترفق من الكلمات فيما يخص إمبسون، هو لنياه نصورى، وسيورة منظمة للأفكار، يمكن أن يغزو فيها النشاط أكثر أهمية من النتائج ورغم ذلك، وبغزو التنظيم ordering المنطقي، أقل أهمية عند اللغويين. إنهم يميلون إلى النظر إلى الشعر باعتباره إحدى الطرائق التى تخلص الكلمة من القيود المفروضة عليها من قبل النظام المنطقي، وليس باعتباره طريقة للعرض بقود جديدة على الكلمة: إن الكلمة، توضع بحرية لا نهائية، وهى على استعداد أن تنزع صرب ألف حلقة مبهمة وممكنة. (٣٦) وهكذا، يغزو من الصعب على اللغويين الكتابة من قسائد معينة اللوم إلا كى يبنوا أنها تصور الطرائق التى يقرض بها الشعر وظائف اللغة العادية، وعلى الرغم من ذلك، فمن حسن الحظ، أن «عمل الحال، الذى يوليه اللغويون اهتماماً خاصاً، لا يولد فرضية فقط، وإنما يستغرق ويعد تنظيم السياقات الدلالية، وقد كانت إحدى وظائف النقد اللغوية، فى تطبيع هذه الضرورية، وذلك من خلال محاولة تصوير القيمة الدلالية أو الغايات الدلالية، لأماط شتى من التنظيم الشكلي.

إن أوضاع ملاحح التنظيم الشكلي للشعر، هو التقسيم إلى سطور، ومقاطع، ويثني إضفاء لون من القيمة على الانقطاع فى نهاية السطور، أو القضاء الواقع بين

بلاحت «إمبسون»، أن كل مايقدم إلينا فى «أسنان أخطائنا وجبهتها The teeth and forehead of our faults جزئين من البذن، ويوم المصاب. ويتم الربط بينهما عبر الفخايل. والصورة لا تتم معنى بمفازة. ورغم ذلك، تلك الخطايا بالإسراع والصعوبة... وعزى ذلك دون ريب «إلى» حس باضمال للكلمات ذاتها، فى سياق كونها، وكجزء من الطريقة التى يتم بها إستيعابها، على إمكانية ومضات الفخايل المعلمات الذى يشع فى اتجاهات متعددة (٣٧) إن الاستعارات التى تستخدم صيغ المتناصف إليه، هى، دون شك، واحدة من أقوى الصيغ، حيث إن «س» لا «ص» يمكن أن تعبر عن علاقات عديدة مختلفة (٣٨) وهنا، وعلى الرغم من أننا قد تعذرنا الرغبة فى القول بأن المعنى اللغوي، وقد تزدنا بمباراة «نستمر نحن حتى (ص) من أخطائنا على التسليم بإفادتنا، «وتحين أن يكون شيئاً شبيهاً بجماعة «أكثر مظاهر أخطائنا حسماً، وإثماً، ونسلاً وإذا أردنا أن نطلق كل ما فى هذه الاستعارات من طاقة كاملة، فإن علينا أن ندعها تمارس تأثيرها علينا حتى يمكن لنا أن نستكشف بطريقة شاملة العلاقة بين «أسناننا وجبهتنا، وأخطائنا: إن «الجهة»، إلى جانب كونها هدفاً للهجوم، هى منط الدور من الفعل والجور... وإلى جانب كون الأسنان سلاحاً للدوران، فإنها تستخدم فى الفتح والاعتراف، كما أنها ممة

محملاً العرفى والاعتدائى. أو، ما إذا كان ثم إلحاق معنى آخر إلى هذا المعنى الأخير الذى هو على وجه التعديد المعنى المقصود أصلاً. والأمر فى المثالين كليهما مجاز trope... ما هو نوعه؟... إن ذلك يحدد على طريقته الخاصة فى التبدل أو التعبير أو على العلاقة التى تمثل قاصده. هل يركز على التشابه بين موضوعين؟ إنه من ثم، استعارة (٣٩). إننا نقوم بالتعرف على عبارات تقتضى تحويلات دلالية، وتشامل فرع الحركة الذى يجر مبدراً فى المثالين كليهما ويتألف مجموعة الحركات الممكنة، بصفة جزئية، من مجموعة الصور البلاغية.

ومن الضروري، أن نشدد بالطبع، على أن فهم الشعر ليس مجرد عملية استبدال ما لا معنى له بما له معنى. لقد عودتنا أصرافنا على تفرغ وتفخير المتعاقبة الاستعاري، والإبقاء من ثم على حوامل الصور البلاغية، وبنيتها أثناء تقصيد المعاني الممكنة. لقد قدم «إمبسون»، فيما كتبه حول مشكلة الغرض، سدا يستحق الإعجاب الذى يبين بأن لغايات الشعرية تركز إلى حد بعيد على تفاعل معان عديدة نصف مشكلة مستمدة من تأمل لفئة السجارية، ويوجزب وضع هذه القيمة داخل الضرورية القصورية عرضاً عن تشكيلها فى أية خلاصة دلالية. ويلاحظ «إمبسون» فى السطور لتدائية التى اقتبسها من هاملت (الفضل الثالث، المشهد الثالث):

but it is not so above;  
There is no shuffling, there the Action lies  
In his true Nature, and we ourselves compelled  
Even to the teeth and forehead of our faults  
To give in evidence,

غير أن الأمر جد مختلف فى السماء  
حيث لا تخلص هناك، وحيث يدور النمل  
على ما هو عليه،  
ونستعزل نحن.  
حتى أسنان أخطائنا وجبهتها  
على التنظيم بالنمل



وعدد هذه الوثيقة نقرأ «خسرانته his loss، على أنها سقوط الإنسان، إلا أنه يفخر من المضعون هواناً أن نعتدل نعالجنا الموضوعات، والتركيبية عند السطر الذي يليه.

Of that first Battle, and his flight to Hell.

الموتة الأولى، وهبوطه إلى الجحيم وكما يقول «هولاندز Holland» في

أنق معالجة للموضوع وكثيراً استعصانه إن السعاطلة enjambment المكتشفة بذاتها، تكشف عن الاسم الحقيقي الذي يعود عليه الضمير، غير أن التباس الضمير، يعكس حقيقة أن خسران إلياس في القصيدة، ليس فقط من ضط خسران آدم، وإنما سبب له (٩٤) أن، دعنا نتأمل مرة أخرى، هذين السطرين من الكتاب الثالث:

Then Feed on thought : , that voluntary move  
Harmonious numbers

ثم لتفتت على الأفكار التي تمركه طرماً  
الأعداد المتناغمة.

إلهما يهتان خفياً من التردد حول ما إذا كانت الأفكار تتناغم من تقاء نفسها لم تدفع شيئاً غيرها وبذا تميلنا ندركه أن الأعداد، هي الأفكار بعينها مدركة طبقاً لمعنى جديد. إن وضع كلمة تحرك/تتحرك (move) التي تحدث نوعاً من الإيهام المزعزعة حول نوعها، تربط معاً، الأفكار thoughts والأرقام numbers، في علاقة وثيقة لئلا من علاقة السبب والنتيجة (٩٤).

ويحدث هذا النوع من التطبيع في مستوى مختلف، قد يبدو البعض أكثر ملائمة من المستوى السابق، لأنه يسمح لنظم القصيدة باستغراق وإصادة بديهة السامع بدلاً من النظر إلى هذا التنظيم بوصفه شيئاً لأمر من الأمور. وهذا التأكيد، هو المستوى الذي يضمن أن نمتع فيه معظم السمات التي يذلل لتناول للمناذج الإيقاعية والصوتية. ذلك أن تحطيل الشعر، على الرغم من مراقبة العمل الذي قام به «إيفان فوناجي Ivan Fonagy» حرك الارتباطات بين الإحساسات الصوتية، والتصورية أو اللمسية، (٩٥) لا يمكنه أن يخطو

الإيمان يسمى للإسلاخ عن الإيمان Faith is trying to do without faith ويصور أحد القاد عملية «تطبيع الملامح لشكلية قائل أن الشباعة نقد بشكل وثيق عملية اعتماد له «إيمان، Faith بالحرص (الكبير) إلى «إيمان، faith (بالحرص الصغير) ويوحى برغم ذلك بالمطابقة: أن له «إيمان Faith «بالحرص الكبير يفسد له «إيمان faith، بفور الحرف الاستهلاكي الكبير (الافتراضات الشرطية، الثانوية التي تشكل أساساً لأي شيء يتعلق بالحياة) بمثابة وعبر (مصدر «عبر فقط) المسألة التي تعدلها للفترة في المقطع (٩٧) وهذا النوع من القراءة تطبيع «مطابق لشروط المساوالت الخارجية: الافتراض بأن القضاء للطباعي يعود إنتاج ضط من لاملل للضمانات بالمالم، أو على الأقل يعود إنتاج فجوة في العمليات التدملية. ويخترض هذا النوع من الشعر، قيام لقراءة بهذا اللون من التطبيع. ويخترض أن تشكل هذه الإجرامات جزءاً من موسسة الأدب (٩٨).

وطريقة أخرى من طرق تطبيع لهيايات السطور، وهي طريقة لا تتحرك سريعاً بدرجة كافية من كلمة إلى كلمة، تركز على ما يمكن أن ندعوه فيديومبولوجيا القراءة، إن الانقطاع عند نهاية السطر يمثل وقفة في القراءة، ويؤاد من ثم غموضاً على مستوى الدركيب: إننا نحاول أن نؤلف في كلية، المتكاثرة التي تسبق الرقعة، لم يمد المعبر على هذه الوثيقة، نكتشف أن التكوين لم يكن في الحقيقة كاملاً، وبأنه من المتعين أن نضع هذه الرقعة وطريقة مخالفة دالل لكل الجديد. ويعدم الكتاب للاربع وخاصة من «الفردوس المفقود، مثلاً واضعاً على ذلك:

Satan, now first inflamed with rage, came down,  
The Tempter ere th' Accuser of mankind,  
To wreck on innocent frail man his loss

وهبط إلياس، والذي كان قد استعظم غضبا،  
وقد سبقت غريبه الآن الإثنية لبني البشر  
ليأثر من الإنسان البريء الهش لخسرانه

مقلطن. وأحدى - الاستراتيجيات، هي للنظر إلى الشكل الشعري باعتباره محاكاة. إن الانقطاعات تمثل فجوات فضائية، أو زمئية يمكن إدخالها في موضوعية ودمجها في معنى القصيدة. وهكذا، يمكن قراءة الفترة التي تمكث الأشرطة الكلاسيكية لتسقوط إلياس، في الكتاب الأول من «الفردوس المفقود، بوصفها شكلاً محاكاةً:

and how he fell  
From Heaven, they fabled, thrown  
by angry Jove  
Sheer o'er the crystal battlements;  
from morn  
To noon he fell, from noon to  
dewy eve,  
A summer's day; and with the set-  
ting sun  
Dropped from the zenith like a  
falling star,  
On Lemnos the Aegean isle. (lines  
740-6)

أما كيف سقط  
من السماء، فيزعمون في أساطيرهم أن  
جوفاء وقد غضب عليه  
ألقى به هريلاً من فرق الأسوار البلورية من  
الصباح  
إلى الظهر ومن الظهر حتى مساء رطب  
طويلة يوم من أيام الصيف، وضع غروب  
الشمس

هوى مثل لحم مائل من قبة السماء  
على أرض ليتيموس، إحدى جزر بحر إيجه  
إن الانقطاعات بين (سقط fell) من  
السماء From Heaven ومن الصباح  
from morn / إلى الظهر To noon،  
وغروب الشمس Setting sun هوى/  
Dropped «هي التي ينظر إليها عموماً  
بوصفها ذات طاقاة تمثيلية بوجه خاص،  
وهي التي تشكل فجوات فضائية عبر القضاء  
الطباعي. أو، إذا استخدماً لفرعنا معاصراً  
من قصيدة «روبرت لول Robert Low-  
ell «بنتون: «مستر إدواردن والمكتوب،  
نجد بأن الانقطاع الذي يحدث على صعيد  
المقطع، يفسل حرف جر عن موضوعه:

## نظريات الإبداع الغربي



فى أوج قوتها عندما يتم إغراقها أو عندما  
تأمرس جذبها جمالها، عروضا عن جذب  
عاطفى<sup>(٤٣)</sup>، أو، خذ نموذجاً للزواج  
الإيقاعية، فى قصيدة «باوند، العودة  
Return حيث تنعم صورة إيقاعية قوية،  
الأسطر لتي تجربنا كيف كانت الآلهة ذات  
نوم:

Gods of the winged shoe!  
With them the silver hours  
sniffing the trace of air!

آلهة الحذاء المولج!

برقعة الكلاب الضئيلة

تستشق أثر الهواء!

وعليها ألا نفلق بشأن هوية هذه الكلاب..  
فإنهم هو التماسك والاستمرارية للذنان  
ويخدمهما الإيقاع الذى يضم هذه السطور  
الشائعة مما فى نسج واحد، ويعارض  
صلاتها بالمركبة المترددة اليأس لعودة  
الآلهة<sup>(٤٤)</sup>.

ah. see the tentative  
Movements, and the slow feet,  
The trouble in the pace and the un-  
certain  
Wavering!  
See, they return, one, and by one

آه، راقب الحركة المترددة،

والأقدام المتباطئة،

واضطراب الخطوة، والتذبذب

لهم!

راقب، عويتهم، واحدا، واحدا

وأخيرا، وفى الحالات التى لا يمكن فيها  
إنجاز أى من هذه العمليات بشكل واثق،  
حيث يصعب إدراك الفاعليات المحددة  
للمعاجز للرواية أو الصورية - يمكننا التوجه  
إلى مواضع الربعة والتمائل، وتبرير  
السلامة للشكوى طبقاً لهذه المسلمات، إن  
جاذبية شر لا «البحث nonsense»، هذا تتبع  
دون شك من النص الدلالي، ويمكننا تطبيع  
هذا النوع من التصاق بالحدث عنها كتنقية  
تخضع اللغة لنظام order آخر، يصيب علينا  
الإحساس بأغراضه تماماً، والذي يمد، على  
الأقل، نظاماً بديلاً، يروق، وبشكل هذه  
الحقيقة وحدها، ضرراً مائلاً على نظام لغات

بعيدا، إذا ما قيد نفسه بفاعليات المحاكاة  
الصورية onomatopoeia، والرمزية  
الصورية. وعلى الرغم مما يكتنف هذه  
المسائل من غموض شديد، فقد يبدو من  
المتعين علينا أن نستوضح الأعراف التى  
تمكن السامع للشكوى من تعظيم البنى  
الدلالية، وإذا حصل على نوع من المعنى  
أقل مباشرة. وهناك ثلاث عمليات يمكن  
إجراءها الأولى، هى أن نسرغ صورة  
صوتية أو إيقاعية بوصفها طريقة للتشديد  
على / أو إبراز شكل معين، وعليه، نؤكد  
على معنى هذا الشكل، إن الكلمة الأخيرة فى  
سطر «بولند»

je sentis ma gorge serrée par la  
main terrible de l'hystérie

(شعرت بجزى وقد قبضت عليه بنا  
الهمجودى السفينة)، تضم معاً الأصوات  
المبشرة على طول السطر، وتعمل من ثم  
بوصفها لنفسها. ويطلب «بليك»، فى  
قصيدته «To the evening star»، للجمع  
السما، من: مثل الشفق السامع هذا:  
scatter thy silver dew

On every flower that shuts its  
sweet eyes  
In timely sleep. Let thy west wind  
sleep on  
The lake' speak silence with thy  
glimmering eyes,

النثر ضئيلك الضئيلة

على كل زهرة أغضمت عينها أثر العين  
فى غمرة رقيقة. فلنمك ريمك للفرية على  
البحيرة: تحدث صمتاً مع عينيك  
الراصتين

والتمزج العروسي لـ

In thy timely sleep - Let thy west  
wind sleep on

حيث تنقلى «على on، تشدوداً نهائياً،  
ويغدر معهما «واصل للدم، ويتم تكثيف  
صورة الريح اللامعة وتواصل الدم.

أما العملية الثانية، فهى استخدام نماذج  
عروضية، أو صورية، لإنتاج ما يدعوه  
«صامويل ليفين Samuel Levin  
الزواجات couplings لتي يولد فيها  
للتمائل فى الصوت أو الإيقاع مثلاً فى

الحنى، أو يبره. وفى قصيدة «الجرى In  
Dormeuse، القرط النفوس، تقدم القصيدة  
بالتركيز على السطر الأول من السلسلة،  
Dormeuse, amas doré d'ombrés et  
d'abandons'

قرط نفوس، ركام مذهب من الضيالات  
والخفليات.

ويمكن أن يفرغنا هذا فى البداية بالقرط  
بأن رخصة القصود هى استعارة للجمال الذى  
يخبره الفاعل أثناء تصديقه فى «الغابة»  
الغافية، و«ركام مذهب من الخفليات» بيد  
أن للنموذج الصوتى هو الذى يواشج بين  
Dor, doré, d'ombres, dons  
و«دخل قافية السطر الذى يليه dons (المطابق)  
بالتالى، مجموعة العناصر الدلالية فى علاقة  
الدم، الذهب، للخفليات، المطايا. وتطرح  
إمكانية الانصهار. وعلاوة على ذلك،

تستغرق amas (ركام) ame (الروح) التى  
تظهر مرتين فى السوناتة فى مواضع  
التشديد، وكلمة amie (المحببة) التى تشير  
إلى اللذة الغائبة. إن السطر am، كما يقول  
«جوفرى هارتمان»، يهاجر عبر القصيدة  
مزاجاً بين هذه العناصر. وإن حضور  
ame، فى amas، هو الذى يقودنا إلى  
العروضية الأساسية للقصيدة: جمال الأشياء  
مستقل عن إحساسها بما هو إنسانى، والروح  
مبشرة وغائبة معاً فى amas، ركام، وتقدر

il n'y aurait ni joie ni peine  
par ce monde farfelu

(إنما كانت الكلمات مجرد علامات /  
طوايع برود تدوم على الأشياء / فما الذي  
يبتئى / جبار / إشارات / وقت / ضائع /  
إن يغدو لمة لا متعة ولا ألم / في هذا العالم  
المصائب باخيل<sup>(١)</sup>).

إن العمل الذي قام به البنيويون في  
مجال الشعر، كما تجلوه للمقتضفات لقليلة  
لثى أورخانا من كتاباتهم، متدول نسبيا  
بدون شك، وفوما عدا المقالة التذكارية التي  
كتبها إزرا باوند Essai de paetic M6-  
diévale (مقال عن الشعر في العصر  
الريسيوط) والتي تتصدى لإعادة تأسيس  
أعراف الشعر في العصر الرسيدي<sup>(٢)</sup>. ثم تبذل  
محاولة لإنتاج بيان منهجي لعمليات القراءة،  
أو الأعراف المفترضة للتصديفة اللغائية.  
وعلى ما من ثم، أن نستعيد إطارا نظريا من  
البنيوية، وأن نقوم بملء هذا الإطار، عبر  
الاستعانة بكتابات اللقاة المنتمين لتقاليد  
مختلفة، ممن بذلوا جهدا أوفيا في التصديفة  
اللغائية. إن تطعيم مناقشات نقدية بهذه  
الطريقة، كما يثبت بالفعل، يمكن أن يكون  
بطبيعته الحال خطوة إلى الأمام من حيث  
الإشارة للمشكلات التي تتطلب جهدا أكبر،  
إنما ما أردنا الوصول إلى فهم لأعراف  
الشعر. ■

## هوامش

(1) See G. Genette, Figures II, pp. 150-1.

(2) Ludwig Wittgenstein, Zettel (Oxford, 1967), P. 27.

(3) The Well; Wrought Um. p.3.

(4) P. 102

(5) Robert Graves, The Common Asphodel (London, 1949), P. 8.

(6) Figure II, 150.

(٧) الإشارة للغموية في كل مقول يتم إنجازه  
داخل مكان يحدد إحداثيات زمانية ومكانية،  
فالتحكم بشعر أثناء عملية النقل إلى  
المشاركين في عملية التواصل، وإلى مكان  
وزمان إنشائية، والإحالات في هذه المقامات

مثل مثل يفرج من الرجم، مثل شبح يصعد  
من المقبرة،  
لنضد لغزونها مرة أخرى.

ويحدث «فولتالد ديفي»، عن هذه  
للتصديفة بوصفها قصيدة «يقومها أسلوب  
غور مائز»، ويقصد ديفي، نفس التماسك  
الدلالي، إن المحيط والشمعان، مثلا، كما  
يدعي، لا يمكن إدراكها لا في لغة الحديث  
ولا في الشعر<sup>(٥)</sup>. وقد تحطونا الرغبة في  
الدفاع عن «شولتي»، إلا أننا سوف نضطر،  
فوما أظن، إلى التسليم بالهزيمة في النهاية،  
حيث يغدو من الواضح أن shores -  
لشطان، تتحدد بتقويضها مع pores -  
لسماء، و Centaphy المقبرة مع laugh -  
بضمحله، وأن المقطع يخلو من التماسك  
التركيزيولوجي الذي لا يمارس أية فعالية هنا.  
يقول ديفي: «يقوم شولتي بضمج  
نفسه قصيدة على مقام عال، لكي يصعدنا  
بعدم توقع تفاصيل تميزية وحس نلزي،  
ويمكننا ملاحظة إحدى مواضع التصديفة  
اللغائية أثناء اشتغالها في هذه التوقعات،  
استخدام النظام order المروني والصوتي،  
لكي تعلق بدا بعيدا عن السياقات التجريبية  
ولكي تفرس علينا نظاما أفسر يمكن أن  
لدعوه، بالذقة، المتصامي.

the sublime.  
إننا نقوم بتطبيع مثل هذا النوع من  
العصائد بطريقة شكلية وتجريدية عبر إظهار  
الكيفية التي تصمم بها ملاح شئ، في أنماط  
تصادد على توكيد تذكارية ولا شخصية im-  
personality للشعر. سوى أنه يمكننا أيضا  
تهوية سياق عام يغدو فيه هذه الملاح ذات  
محي، بالتقول بأن وظيفتها هي الانفلات من  
«المسافة الوسطى middle distance»  
لواقعية، والتأكد على ما يدعوه «اللاص  
ستيفنس»، «مرح لالفة، هو للسيد، وبأن  
صناعة التخيل نشاط له جدارته.

Si les mots n'étaient que signes  
timbres-poste sur les choses  
qu'est-ce qu'il en resterait  
poussières  
gestes  
temps perdu

أخرى. ولا يمثل سطر «ماكنس جاكوب»،  
المشهور:

Dahlia, dahlia, que Dalila lia

السباق الخارجي، بل يقوم بتحويله على  
غرار الأمثلة السابقة:

إن فكرة تقييد Delilah بـ dahlilas  
تفسد تقريبا غير ذي وثاقة. إن لدينا  
بالأحرى، تكافلا صوتيا يستخدم شظايا  
المعاني (التقييد binding، أو «الربط -  
ty-ing up، يمثل أهمية). لكي يوحى بعدم  
وثاقة معنى آخر. وتعد المربالية من هذا  
المنطلق، غير بعيدة عن شعر التماسي. تأمل  
المقطع الأخير من قصيدة «شولتي»،  
المصاحبة the cloud

I am the daughter of Earth and Water,  
And the nursing of the Sky;  
I pass through the pores of the  
ocean and shores;  
I change, but I cannot die.  
For after the rain when with never  
a stain  
The pavilion of Heaven is bare,  
And the winds and sunbeams with  
their convex gleams  
Build up the blue dome of air,  
I silently laugh at my own cen-  
otaph,  
And out of the caverns of rain,  
Like a child from the womb, like a  
ghost from the tomb,  
I arise and unbuild it again.

أنا ابنة الأرض والماء

وطلة السماء

أنفذ من مسام المحيط والشطان

أنتبل ولا أموت

لأنه بعد المطر، حيث لمة لا لطفة وجل

واحدة على الإغلاق

يعرى سراق السماء

وتومض الريح وأشعة الشمس وميضها

المعذب

تبلى اللبة الهوائية الزرقاء

أسفر في صمت من قبري الأجوف

ومن كهوف المطر،

mar of Metaphor, pp. 146 - 205

(35) Ibid. p.91.

(36) - R. Barthes, *Le Degre Zero de l'écriture*, p. 37. cf. the passage from Mallarmé's *Quant au livre* quoted in chapter 10.

(37) - Gabriel Pearson, *Lowell's Marble Meanings*, in *The Survival of poetry*, ed. M. Dodsworth (London, 1970), p. 74. See V. Forrest - Thomson, *Levels in poetic convention*.

(38) - The best discussion of convention and naturalization in poetry is V. Forrest - Thomson, *poetic Art*.

(39) "Scene Various Drown Out," (tiffice P. 207.

(40) من الملاحظ أن كلمة *move* في الإنجليزية تعني فعلًا لازماً ومتعديًا في الوقت ذاته (م).

(41) - Donald Davie *Syntax as Music in Paradise Lost*, in *The Living Milton*, ed. F. Kermode (London, 1960), p. 73. Cf. Christopher Ricks, *Miltons Grand Style* (Oxford, 1963).

(42) I. Fonagy, *Die Metaphern in der Cf. T. phonetik* (The Hague, 1963) *Todorov, Le sens des sons*.

(43) G. Hartman, *The Unmediated Vision* (New York. 1966), p. 103.

(44) See H. Kenner, *Some Post - Symbolist Structures*, p. 392.

(45) D. Davie, *Purity of Diction in English Verse* (London, 1967), p. 137.

(46) Tristan Tzara, *40 Chansons et de-chansons* (Montpellier, 1972) number 5

## نظريات الإبداع العربي



(24) - J. Cohen, *Structure du langage poetique*, pp. 155 - 82. the same, of course, applies to other types of poetic parallelism.

(25) See p. de Man, *Blindness and Insight*, p. 185.

(26) - See W. K. Wimsatt, *The Verbal Icon* (Lexington, Ky, 1954), pp. 98 - 100.

(27) *The language of criticism and the Structure of poetry*, pp. 123 - 4

(28) Parthes "Science Versus literature; p. 897

(29) *Figures*, p. 220

(30) Ibid, p. 216.

(31) - See J. Culler, *Paradox and the language of morals in La Rochefoucauld*.

(32) *Les Figures du discours*, p. 23

(33) *Seven Tybes of Ambiguity*, p. 92.

(34) - See C. Brooke - Rose, *A Gram-*

تشكل الإشارة الشعرية (أنتار سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مختل إلى السيميوطيقا، ج ١، ص ١٦٠، منشورات عويون، (م).

(8) See R. Jakobson, *Shifters, Verbal Categories, and the Russian Verb*, in *Selected Writings*, II, PP. 130 - 47; B. Benveniste, *Problemes de Linguistique generale*, PP. 225 - 66; J. Lyons, *Introduction to Theoretical Linguistics*, PP. 275 - 81.

(9) *Beyond Formalism*, p. 194

(10) See M. A. K. Holliday, *Descriptive Linguistics in Literary Studies*, pp. 57 - 9.

(11) John Ashbery, *The Tennis Court*

(12) *Logique*, P. 220.

(13) *Semiotiké*, p. 237.

(14) *Pour La poetique*, II, P. 54.

(15) John Ashbery, *Rivers and mountains* (New York, 1967), p. 39.

(16) *Literateria* Chapter, xiv.

(17) J. C. Ransom, *Art worries the naturalists*, *Kenyon Review* 7 (1945),

(18) *Le Degre Zéro* 294 - 5. pp. del'écriture, p. 34-38

(19) *Seven Types of Ambiguity*, pp. 115-16

(20) *Some postit symbolist structures* p. 5 -

(21) Kurt Koffka, *Principles of*

*Gestalt Psychology* (New York, 1953), p. 110.

(22) E. H. Gombrich, *Art and Illusion* (London, 1959).

(23) See William Carlos Williams *Collected Earlier Poems* (Norfolk, Conn., 1951), p. 354.

استكراء لحالة الروائي الغربي  
الآن في مواجهة التيارات المتعددة  
للرواية، يستعرض فيه المؤلف  
أبرز كتابات الأديباء المشهورين من  
خلال المزاج الأوروبي النقدي  
ومدى تفاعله مع تلك الاتجاهات.  
يسأل سارترن سام إذا ما  
توالت عن كتابة روايته،  
فيجيبه سام مؤكداً، ويؤكد بأنه  
لا يجد الشكل المناسب لها، ولا  
يريد كتابة رواية واقعية، لأن  
الواقعية لم تعد واقعية.  
تورمان ميلر في «الرجل الذي  
درس أنوجا»

## الروائي في مفترق الطرق



**ق** أعلى كتاب روبرت سكيلز  
Robert Scholes الأخير «صانعو  
الخرافة Fabulators سنة ١٩٦٧ دفعة  
جديدة لعبة التخمين القديمة: «إلى أين تتجه  
الرواية؟»، فقد حظى، على الأقل، على  
محاولة تنظيم أفكاره الخاصة حول  
الموضوع. ولكي أفعل ذلك، ولقهم كتاب  
«صانعو الخرافة»، لابد من العودة لكتاب  
سابق لسكيلز كتبه بالاشتراك مع روبرت  
كولنج وهو كتاب «طبيعة السرد الروائي»  
سنة ١٩٦٦. عرض لسكيلز، في هذا  
الكتاب، صيغتين متباينتين للسرد الروائي:  
الأسلوب الاستقرائي وولاءه الأساسى للواقع،  
والأسلوب الخيالي وولاءه الأول للمخالي  
للموضوع. وينقسم الأسلوب الاستقرائي إلى  
التاريخى المطابق للحقيقة، وإلى ما يسميه  
لشوفان: تقليد الواقع وهو المطابق للتجربة،  
والأسلوب الخيالي ينقسم إلى الرومانسى الذى  
يغرس الخيال ويصنع إلى اللحظة والبهجة،  
وإلى الرمزى الذى يدرس الخير ويصنع إلى  
البهاء. هذه النظريتين للدرع الأدبى تطابق  
بشكل كبير مع الصيغة الأدبية التاريخية،  
فاللحمة الشغوية البدائية كانت خليطاً من  
الأسلوبين الاستقرائى والخيالى، وتمت  
مفردات ثقافية مختلفة (خاصة التحول من  
الأشكال الشغوية للاتصال إلى الأشكال  
الكتابية)، انقسمت إلى عنصرين مختلفين.  
وهذا الانقسام حدث مرتين، مرة في الأدب

**ديفيد لودج**

ترجمة: أحمد عمر شامين

## نظريات الإبداع الغربي



الكلاسيكي في عصره المتأخر، ومرة ثانية في الآداب الأوروبية الدارجة، حيث تطور هذان الأسلوبان كل واحد مستقلاً عن الآخر أو في انصاف جزئي. في أواخر العصور الوسطى وعصر النهضة كانت هناك حركة ملموسة في السرد الأدبي لإنتاج تركيب جديدة في الأسلوبين الاستقرائي والتخيالي، وتبع من ذلك ظهور الرواية في القرن الثامن عشر، ويرى المؤلفان في الأساليب السردية التجريبية للكتاب المعاصرين، وتقدم وسائل الاتصال الحديثة كالسيميائية مثلاً، دليلاً على أن التركيب الأسلوبية على وشك أن تثوب في بعضها ثانية.

ومع أن هذا التفكير الملموح يبدو من السهل انتقاده عند الدخول في التفاصيل؛ فإنني أعتقد أنه تفكير موحٍ ومثير، حين نحاول أن نفهم، من خلاله، نظرة عريضة على طبيعة وتطور الرواية، إنه يمنحنا مادة تؤكد الصدق الفاضل لدينا، بأن الرواية تشكل النخبة للمحضارة الحديثة، ما كانت تشكل النخبة للمحضارة القديمة، ومن الأفضل أن نقول إن الرواية هي تركيب جديد لتقاليد سردية سابقة، على أن نقول إنها استمرار لواحد من هذه التقاليد، أو القول إنها ظاهرة جديدة غير مسبوقة، وذلك يرجع لشكل الرواية بتفرعه الكبير وبشرايطه، ومقدورها على استمرار التقدم في اتجاه التاريخ. بما فيه الصورة الذاتية أو للتصية الرمزية أو الخيالية، ومع ذلك نخل بشكل أو بآخر «الرواية»، ويجب ملاحظة أني لا أؤكد في ذلك إلى مغلة سكولز وكوليج الأربعة والتي يسميها تقليد الواقع وأفضل تسميتها بالواقعية، فالحديث عن دفع الرواية نحو الواقعية مع بقائها بشكل ما «رواية» لا يعطى المعنى المباشر للإدراك بأن هناك صراعاً للاهتمامات بين الرواية والواقعية، سواء استخدم المرد ذلك المعنى المراءى أو القرن مبنياً بالمعنى السابق كما فعلت، أي للإشارة إلى أسلوب معين من الكتابة التي تتعاطى على وجه التقريب، الأحداث الخيالية كأنها نوع من التاريخ، أو تستخدم بمعنى أكثر خصوصية للإشارة إلى الجماليات الأدبية لقول الحقيقة، وفي معظم التاريخ الروائي،

فإن أحد هذه الأفكار عن الواقعية كان يميل دوماً إلى أن يتضمن المعنى الآخر داخله، وأو لم تكن الواقعية من إبداع روائى القرن الثامن عشر وأنها عنهم من القرن التاسع عشر بالمثل، فإنها بالتأكيد تطورت واستخدمت على أيديهم بشكل غير مسبق في العصور الماضية، وحين تم إنجاز كل الموصفات والاعتراضات الضرورية على هذا الشكل، فقد برز معظم الروائيين معاصريهم بهذا الشكل الواقعي بأنه استجابة إلى نوع من علم الجمال الواقعي.

وهكذا، إذا كان سكولز وكوليج، على صواب في رؤيتهما بأن الرواية هي تركيب جديدة لأساليب السرد السابقة، فإن الصيغة المسيطرة، والمصدر البدائي فيها هي الواقعية، فالواقعية هي التي صممت بالتاريخ والتخيال والرمز معا في بناء غير مستقر، متغيرة جواً بين عالم الحقائق غير المترابطة (التاريخ) وعالم الفن والتخيال المقصود المصنوع في صياح خيالية ورمزية.

لقد أشبعت الرواية - أسمى الأشكال الأدبية - توتناً لتنظيم التجربة في شكل له معنى، ولم تكن علينا استقراراً لحضائليتها وخصوصيتها، ولذا فهي مبنية على نوع بين التصوير أو لللر، بما يسمح كذا من التدرج والتركيز على جانب أو آخر من رؤى شاريسون وفولدرج إلى الآن، كما

قامت المحاولات المتعددة لإنهائها - أي الرواية الواقعية.

وكانت إحدى هذه المحاولات: الرواية القوطية Gothic التي كانت ثورة ضد الواقعية، التي رعاها معظم الوقت فنانون من الدرجة الثانية، وقد قوبلت إما بالسخرية (جون أوستن مثلاً) أو وضعت وديعت واستوصت في أسلوب أكثر واقعية (الأخوات برونتي)، ولا ننسى أن التشويق أو التركيب الروائي كان أكثر نشاطاً في أوروبا عنه في أمريكا، حتى إن كتابا جذبه التاريخ والتخيال والرمز بشدة، كان للواقعية أثر قوى عليهم وأو بشكل منقطع مثل هورن وميلفيلد، بينما في «مكتبري فن» لمارك توين - التي استغف فيها همتجواي كل الجيد من الأدب الأمريكي الحديث - نجد إنجازاً روائياً كلاسيكياً؛ اهتمامات ذات موضوع أسطوري، استوعبت وغير عليها خلال مرجع واقعي لتجربة خاصة.

ولذا وافقنا على ذلك، فإن تفسيح التركيب الروائيية ينبغي أن يرتبط مع تفسيرين رانديكي للواقعية كصيغة روائية، وذلك ما يزعمه بالنسبة كتاب «طبيعة السرد الروائي»، ويكن القول إن الواقعية الأدبية تصور تجربة الفرد في عالم ظاهري عام، ويشير سكولز وكوليج إلى أن ضلعة الثقافة الحديثة، خاصة التطورات المعرفية في ميدان علم النفس، جعل الكاتب يتبع واقعية تجربة الفرد إلى أصمق أكسفر في اللاوعي واللاشعور، فبدأ العالم العام المدرك يختص ويضمهم للشخص المفرد يذوب، ويوجد كائنات نفسه في منطقة الأحلام والأساطير والرموز والصياح الأولية التي تتطلب أسلوباً خيالياً للتعبير عنها أكثر من الأساليب الاستقرائية؛ فالدافع التقليدي في توصيف ورسم للشخصيات في الحياة الداخلية يذوب حتماً في النماذج الأسطورية والتعبيرية حين يصل إلى قلعة النفس الداخلية، ومن ناحية أخرى إذا سمي الكاتب لإصناف العالم الظاهري العام، وجد نفسه في منافسة مع وسائل اتصال جديدة مثل الأشرطة والسينما التي تزعّم بأنها تفلح ذلك بتأثير أكبر.

وهذه النقطة الأخيرة، طورها سكولز في كتابه «صانع الخرافة، الكاتب الذي يعتبر أكثر جدلاً وعلاقة بالوضع الروائي الراهن من سابقه «طبيعة المرء الروائي» .

إن السينما وجهة مترية قاضية إلى الواقعية المحصورة في الرواية. إن الواقعية تمثل دائماً على جعل الكلمات تابعة لما تشير إليه، إلى الأشياء التي تدل عليها الكلمات. إن الواقعية تشيد بالحياة وتقلل الفن، تكلّي على الأشياء وتغصن الكلمات، ولكن حين نريد تقديم الأشياء، فإن صورة واحدة تساوي ألف كلمة، ونعلم سيماني واحد بجادل مليون كلمة. على الرواية في مواجهة السينما، أن تختفي عن محاولتها تقديم الواقع، وتستند بدرجة أكبر إلى قوة الكلمات لتدلل الفخال .

يكون قسم كبير من كتاب سكولز من دراسات قيمة حول هدد من الروائيين المعاصرين الذين أدركوا - من وجهة نظره - زوال الواقعية وبالتالي الرواية التقليدية، وأنهم يستكشفون خلفاتهم الحديثة، للصلح النقية الغيالية للرواية، ولكي يصف هذا الدور من السرد، فقد أضحى لكلمة القديمة للهجرة «صنع الخرافة»، وهو تطور يوجب به أن إذا كانت الرواية تختصر فنيهاً ألا تخالف على المستقبل .

الروائيون الذين يتناولهم في كتابه بشكل رئيسي هم : إيريس مريوخ، نوريس فريول، جون هوكس، تيري سوترن، كورت فونيجت وجون بارث. ويرى سكولز في «رياحية الإسكندرية، استغلالاً بارعاً للنسائل المعقدة، ووضاً مناسباً لقب الأمير في رواية إسكندرية. كما يرى أن رواية «وحيد القرن» لإيريس مريوخ تمد رمزا متقدماً ذا دجوه متحدة، متسرجة بشكل روائي قسوطي حول الصراع بين المواقف نخبوية والمواقف الشعبية، ويرى في هوكس سآخرين السوداويين سوترن وفونيجت أنهم يمارسون شكلاً سردياً من الرواية البيكاريسكية (التي تصور حياة الصعاليك والمشردين ومغامراتهم)، كما يعتبر روباستهسون بارت «رأى غم جايلاً

المؤلفة بشكل أكثر وضوحاً، من قرامتي السابقة لرواياتها، لكن الأفكار في تلك الرواية، أو المبكئة المعقدة، أو عملية تجريده السابق من اللائق، هل تعود علينا بمشعة كبيرة أو بداهة عظيم... إنها أمور تظل محل تساؤل، وسكولز لا يبراهم هذا التساؤل إلا نادراً، فعدد أن رفض الواقعية في سبيل الخرافة، هو في حد ذاته ضمان للقيمة الجديدة.

لذا على التساؤل الإنجليزى أن يكون حذراً وواضحاً في قرامته، فهذه دلالات كثيرة على أن العقل الأدبي الإنجليزى يلقزم، وبصفة خاصة، بالواقعية، ويقدم الأساليب الأدبية غير الواقعية لدرجة يمكن وصفها بالتحيز، وهو شيء عساذي في التساؤل الأدبي المعاصر، فالرواية التجريبية الحديثة التي قدمها جيمس جويس وألجينا وولف وه.م. لورنس، التي حدثت بوضع حد للبناء الثابت للرواية الواقعية، قد تبرا منها جولان متطهان من الروائيين الإنجليز، ومن الصعب أن نتجنب، عند مراجعة تاريخ الرواية الإنجليزية في القرن العشرين، الربط بين استعادة التقاليد الواقعية في الرواية والانحلال الملحوظ للإنتاج الفني، وهناك حقيقة مؤكدة مزعومة، وردت في تعليقات روين رايونولتس في نهاية كتابه «رد الفعل تجاه التجريب في الرواية الإنجليزية في الفترة من ١٩٥٠ - ١٩٦٠» :

«أنتج المزاج القسدى في إنجلترا مدخلاً لتكتش فيه الروايات للتجديد، وأى إنتاج خارج عن المألوف يوصم بأنه «تجريبي»، ويهمل.

إن الخوف الأكبر لدى الروائي الإنجليزى أن يتركب في عمله ما لا يجوز، فكل خطوة يتخذها تظل ضمن حدود محسوبة، والنتيجة معشومة فنياً، لكنها في النهاية صائبة، والروائيون الناجحون سرعان ما يصبحون جزءاً من المؤسسة الأدبية، وغالباً ما يستخدم الواحد منهم مرقمه كنائد، لصادق الروايات التي تشبه ما يكتبه بنفسه، ويهاجم تلك الروايات التي يرى أن مدخلها مختلفة..

بخلوطها الأثرى واللباس من الأسطورة والرمز والخيال، لتدل الكامل لفنونه.

ويلاحظ سكولز أن الطريقة الصحيحة الوحيدة لمعالجة «الهذف» في العمل الأدبي «من خلال إلماس حال ويميز للدور الأدبي ذاته، وكلامه حول هذه النقطة مفيد، ولكنه ككقيوم غير متميز لوها ما. عند قرامتي رواية «وحيد القرن» لمريوخ، شعرت تحت إرشادات سكولز، أني فهمت ما تسعى إليه

سارتر

بولسكو

## نظريات الإبداع الغربي



أن يستغل الصيغ الخيالية فهو يملك ميلا خاصا وطويحا لها، لكن السطو يقول إن الأمر يستأى لو تحركنا فى الاتجاه المعاكس - نحو السرد الاستقرالى بعيدا عن الخيال، وهذا فى الواقع هو ما يحدث الآن.

اصطلاح، «الرواية غير الخيالية، صفة لأول مرة، على ما أعتقد الرواى الأمريكى ثورمان كابوت لوصف روايته «بدم بارد» وهى عن جريمة وحشية لقتل متعدد ارتكبت فى كانساس سنة ١٩٥٩، وكانت كل تفسيرية فى الكتاب حقيقية، اكتشفها كابوت بمبارة شديدة، فقد أمضى، مثلا، ساعات كثيرة مع القطة فى السجن لمعرفة طبيعة شخصياتهم وخصالهم الاجتماعية ومع ذلك فالكتاب يقرأ كرواية، أدق كتبها رواىي للإمكانات الجمالية لصفحاتها، وللخواص المشيرة والرمزية للتفاصيل التى صاحبت تلك الظروف، وللتناقض الساخر والمتهورى فى البنية، الاعتراضات الأخلاقية التى أثارها الرواية. بأن هناك شيئا ما قاسيا وغير إنسانى فى المعالجة الأدبية للجريمة فطوية مؤلمة وقريبة من الحدث. كانت أحد المؤثرات التى أثبتت الحدوث الاصطلاحية بين الرواية والتحقيق للصحفى.

كذلك فإن رواية ثورمان ميلر «جوريل» للثليل، تؤكد هذه الصعود، وذلك واضح فى عنوانها الفرحى «التاريخ كرواية - والرواية كتحريك»، فى القسم الأول، «التاريخ كرواية»، وهو عن السيرة «البنجانون» للاحتجاج على حرب فيتنام سنة ١٩٦٧، يحكى المؤلف بشكل مخلص عن تربيته الخاصة فى السيرة، منذ موافقته كراها على المشاركة، ويطورون التجميع فى مسرح الأمباسادور فى واشنطن ليلة السيرة وحيث أسر ميلر منتظا على قيادة السيرة، فاضما أو مصوبا للناموسين بالبحيرة، ثم التنبض عليه وسجنه ومحاكمته وإطلاق سراحه، وقد عبر ميلر عن هذا القسم بقوله «لا شيء سوى تاريخ شخصى كتب بشكل رواىي، وهو أفضل ما فى ذكرك المؤلف المشككة قويا من الحقيقة».

وهو يميزه عن كتابة السيرة الذاتية بأن ككتبه بصنير الغالب، محققا جدا تهكميا على

بسبب روايته للفصاحية «طوى»، فذلك لا ومول عليه كثيرا فى السمعة الأدبية، أما روايات هوكس فقد فطت بشكل مؤسف فى إنجلترا لولا بعض الجهود المتحمدة من معجبين قلائل، بينما رواية «راعى غنم جايلز» لهارت برغم استقبالها الحار فى أمريكا، فإن مرجع الروايات فى إنجلترا قد حلوا من شأنها.

إن الصورة التى تحصل عليها من كتابى سكولز ورايوتوفتش، من أن إنجلترا متينة الألق ولا أمل فيها وهى تتألق عن واقعيتها نظرية عتيقة عفا عليها الزمن منذ غزو باحث على الحياة من الخيال والتخرفة، هى صورة مبسطة مقلدة، لسبب واحد أن إجماع الراى الأدبى الإنجليزى الذى وصفه رايوتوفتش، قد تزعر بشكل كبير منذ سنة ١٩٦٠، ولسبب آخر أن صبح اللخرافة ليس هو البديل الوحيد للواقعية التحقيقية، وكتابات الروائيين المعاصرين تؤكد ذلك.

وسأبدأ بالنقطة الأخيرة أولا: قد يكون سكولز على حق فى رايوتوفتش أن الرواية هى أقرب إلى التفتك اليوم أكثر من أى وقت معنى فى تاريخها دائم التغير، لكن تشخيصه لوضع الرواية فى كتابه «صانعو الخرافة» لأحدى الجانب، فهو يرى أن تركيب الصيغ الاستقرالية والخيالية لم تعد تستحق عناة التمسك بهاء ويوصى بأن السرد الرواىي لابد

ومع أن لدى رايوتوفتش قبلا من الجديد والمهم حول الرواية الإنجليزية فى الخمسينيات، إلا أنه قد نقب عميقا فى الأرشيف الصحفى لتلك الفترة، وأقدم بعض الوثائق المهمة، فمن المفيد أن نلمح لو لتتذكر بأن والتتر أن قد كتب مراجعة نقدية فى «نيوشوسمان» لرواية «إله الذئب» لهولم جولدنج سنة ١٩٥٤ على الشكل التالى:

(إن كل ما حكته لنا رواية «إله الذئب» يشبه نفا من كابوس، إنها تقوض علينا قولا رغما عنا: إن الارتداد من جوقه السدرة إلى قبائل الماوس لا يحتاج إلا لخطوة، تبحا الصعوبة حين نضم ولحة الرمز «لا يوجد طفل صغير ضعيف إلا وعده صليبه الصغير لجمعه، ويبدو لي أن صلبان هؤلاء الأطفال، ثقيلة بشكل غير طبيعى، ليستخلص نتائج ما من رواية جولدنج، وإذا كان الأمر كذلك، فالرواية مكتوبة بمهارة إلا أنها غير سارة وتأثيرها قليل،

فالاقتراضات الجاهزة غير للمحمدة - وراء هذا النقد ترى أن الرمز بالضرورة حيلة أدبية، لأنه يجعل من حركة الرواية «غير طبيعية»، ويضعف المعيار النقدي، هذه الاعتراضات كانت شائعة فى الأدب الإنجليزى بعد الحرب الثانية، ويبدو واضحا الآن أن ذلك النقد كان استجابة غير موفقة لرواية «إله الذئب»، (لقد اعترف والتتر أن بأكثر من هذا بامتداحه الرواية فى كتابه «التراث والعلم، سنة ١٩٦٤».

ولكن كانت الحالة نوعا من الحذر، وقد لقيت معظم روايات جولدنج لتلقائية اعتراضات مماثلة عند ظهورها على الألق.

ولو انتقلنا إلى الروائيين الذين يحب بهم سكولز نجد اثنين من الإنجليز (إيريس ميردوخ وفريدل) وهما قد ذالا شهرة فى الخارج أكثر مما ذالا فى الوطن، واستقبلت أصالهما الأخيرة بقليل من الترحيب فى إنجلترا، كما نجد أربعة روايين أمريكيين، لهم أثر متحول على القراء الإنجليز بالمقارنة بغيرهم، فسكوتسوت ليس منتشرًا فى بريطانيا، و«سودرن»، برغم أنه معروف



شخصيته المعقدة التي تشكل أحد مباحث الكتاب الرئيسية:

«فلن لهم أغنية يا أولاد قال مسولر للظاهرين (الذين يحملهم الإساس إلى السون)، لم يستطيع أن يحتمل، فالتمسود دخله شعر كأنه يقوم بدور وتمسسون تشرشل، منذ عشر دقائق كانت أفكاره قد غاصت في فكرة طويلة بطولية عن زوجات أربع - والآن هو على خشبة المسرح ثالثة ويشعر أنه بطل، وتساءل: أيمكن ذلك؟ لكن أن يكون قد أصاح عشرين سنة من حياته كروائي وهو طوال الوقت يترقب لأن يكون ممثلاً!

هذه السيرة من اللبس باستخدام ضمير الغائب، أتاحت لمولر أن يصف زملاءه في السيرة، مثل دوايت ماكفونالك وروبرت لويل، بصراحة جارحة قد تبدو سلبية في السيرة الذاتية التقليدية، وأن يغمس بدرجة أكبر في التعميم في تذكرواته الخفيفة حول أمريكا، التي تشبه «الأفكار» في الرواية، لحكم عليها بمشاعرها وقوتها الاستمرارية، ومطالبتها لسباق الكلام، أكثر من حكمنا عليها بمعايير المنطق الصارم أو صحة الحوادث، ويقول مثلاً:

«المدنية الأمريكية الصغيرة تطورت وتضخمت تضخماً ذاتياً، ونبت خلاياها، وعلقت في سبيل الحكمة، ووجدت أمها بالمررب في بلاد أجنبية، الكوابيس التي حملتها الرياح في المدن الصغيرة الممتدة، سافرت الآن على طرف خريطة قاذف للهب، ولا أحلم الآن عن شهبوات الهيج، ولقد رى أجنبية، وسعارك الدم، لا حاجة إليها، فالتكنولوجيا قد أخرجت الجفن من الزواجر، من غرب الأطلنق، ومن كل الأماكن البدائية، وعلى الرغم أن عهده الآن حيث د. الحسنى والقوة والآلات معا، في فيجاس، في طرق السباق، ومباريات كرة القدم، ومطوق الزنوج، وعصافيات الشوامي ولا شيء منها يكتفى - فعلى الرغم أن يبحث عنها في فينتام، فقد ذهبت لندن الصغيرة إلى هناك لحصل على ركلاتها.

وسجد المرء اختلافاً ذا معنى، إذا حوّل الكلام المباشر المرء إلى صيغة المتنازع البسيط الواضح لمقال تقني.

ومن السهل أيضاً توصيف أسس السرد في القسم الثاني من رواية «جويش لليل»، ففي بداية هذا الجزء «الرواية كتاريخ، وتحدث مسولر عن الروائي الذي يصرز أولاده الموزخ»، ويبدو أنه يعني أن طريقة السرد في القسم الأول التي شت بالطريقة للجيمس (نسبة إلى هنري جيمس)، مستوحى إلى طريقة الموزخ الذي يستجنى معلوماته من المصادر المختلفة ويؤازر بينها ويقدم كما مترابطاً واضعاً للتتابع الأحداث المعقدة.

«الجمهور الكبير الذي يحيط بالسيرة يشكل حاية من الفوضى، التي قد تسمى جهود الموزخ، وقد زودنا روليتا بالإمكانية وحتى بالأدلة التي نرى بها العقائق ولندرسها ونتركها في ذلك التحور لنتتبع عملاً كصقل الحركات،

إن البحث في النص في الجزء الأول من الرواية قد عرض ومظهرى تحيز حتى لأى تقرير إثنائى، وهكذا فإن «الرواية، أعطت التاريخ نوعاً فريداً من المصداقية. في منتصف الجزء الثاني تغطي مسولر عن هذا المطالب، وذلك حين يصل في سرده إلى نقطة التولجسية بين قسرات الشبابة والظاهرين، فيقول «إن الجزء الثاني يعرض الآن كدرع من التكليف في الرواية الجمعية، حيث إن ضغوط الأحداث في التبتلاجر لا يمكن أن يشرح برسائل التاريخ ولكن فقط بقرينة المؤلف، فهو يطلب الحرية ليعجز سرده بخلق شيء، فمثلاً بتخيل الخطبة التي يلقيها المسور على الجنود قبل المرواجه:

«قال الميجور: يا رجال، مهمتنا هي حماية التبتاجر من المصدين، ومهمنا أن اعتباركم أنهم مواطنين أمريكيون يمدون عن حقوقهم للضرورة في أن يحتجوا، وذلك لا يعنى أن نتركهم يمسقون في وجوهنا، لكن لنصبر وثيقة معتدة ذكراً، له شروطه في كل رمتع، خذوا الأمر بالشكل التالي: لقد منحت الفيتكونج أسدقلى، ربما لا أعلم في

هذه الدقيقة أن أعبر عن المشاعر الشخصية، لكن خذوا في اعتسابكم، أن هؤلاء المتظاهرين في الخارج قد يحملون قنابل أو قذائف قاتلة، وتذكروا أنهم الذين يدموا الصدام، ويعطون ألا يغادروا نيويورك إلا إذا فلتكم جميعاً عند محارلة تقتضى جمعهم. لهم، حافظوا على مؤخراتكم وسلم من خلكم».

وهذا بالتأكيد يفيد موهبة الكاتب في رسم صورة ساخرة بانتهالك الطريقة الحديثة للمعالجة التاريخية، مع أن هذا كان مألوفاً جداً عند المؤرخين الكلاسيكيين).

إن «جويش لليل» لا تحلى أن المؤلف تخلص من وهم الشكل الأدبي في الرواية، بل هي تؤكد على أولوية ذلك الشكل كصفة لتوضيح تجربة ما، ومع ذلك، فالرواية غير الخيالية، مثلها مثل الرواية الخرافية، غالباً ما ترتبط بالتحقق من الوهم، والمالة الأكثر تعميراً عن ذلك، هي أعمال الكاتب الإنجليزي ج. س. جونسون، الذي بدأ اتصاله عن الرواية التقليدية واضعاً حداً في روايته:

ألبرت أنجيلو Albert Angelo، سنة 1994، ثلاثة أرباع هذه الرواية يحكى قصة مهندس معمارى شاب لا يستطيع ممارسة مهنته، ويضطر لكتب خبثه بالعمل مدرسا في الخارج في عدد من مدارس لندن، وهو بطل روايى يشبه عددًا من أبطال روايات ما بعد الحرب أو ما يمكن تسميته البطل المضد: شاب مضطرب، لا يتمتع لأية طبقة، جانيح باعقل، أصيب بغبية أمل في الحب، ومع أن المؤلف استخدم عددًا من التقنيات التجريبية المألوفة (تقديم الحوار والفكر في صوتين مزدوجين في الصفحة في الوقت نفسه، وتعبق في الصفحات تمكن القارئ من رؤية ما هو قائم) فإن السرد يقرأ كالرواية الواقعية، وتأتى الصدمة في بداية الفصل الرابع:

«يذهب إلى الجمع كل هذا الكتب، ما أمارل كخايش في الحقيقة، ليس كل هذه المائدة عن الهندسة المعمارية، فأنا أحاول أن أقول شيئاً ما عن الكتابة، عن كتابي أنا بطل

## نظريات الإبداع الغربي



هذه الرواية، ومع ذلك ولها من تسمية بلا فائدة، شخصيى الأولى إنَّه هي محاولة قول شيء ما على من خلاله هو «البُرت» المهندس المعماري، ما الفاعلة من التغطية من التغطية أو التظاهر أو التظاهر بأني أسطيع قول أي شيء من خلاله أي شيء أنا مهم بقوله..

باختصار إنَّ جونسون يعرض ثم يدمر خيالية السرد التي خلقها بعناية وهو يخبرنا بالعقائل الواقعية وراء قصته - مثلا إسم الثلاثة الحقيقي التي أحبها البطل، وأنه يومًا في الرواية تتخلل الثلاثة عن «البُرت» على الواقع «البُرت» هو الذي يتخلل عنها، وبالطبع على المرء أن يصدق المؤلف في هذا الفصل بأنه يقول الحقيقة، وحتى لو شك المرء فإن الرواية تظل مجردة بصراحة مما يصعب هضمه في جيبس «بالمصدر لسوق للمطربات»، إنها استراتيجية لتحقيق تأثير للأصالة والمصدق، ولكن ذلك يأتي متأخرًا في العمل، إنه إشارة أكثر منه إيجازًا. بعد تسعة لمسورة الخيالية، يقف المؤلف في نهاية الكتاب متمردها وحشا على أرض الحقيقة المأهولة، وفي كتبه التالية «شبكة الصيد» سنة ٦٧، والحماسة سنة ١٩٦٩ ظل يتخذ الموقف الأنطولوجي بأن «رواية القصص هي عبارة عن قص الأكاذيب، ولكنه في الوقت نفسه يقوم بتجارب شكلية لجعل الكتابة في أقرب موقع من الحياة.

فرواية «التصام» مثلا، تتكون من سبعة عشر فصلا منفصلة غير متصلة ببعضها، موضوعة في علب كرتونية، الفصل الأول والفصل الأخير منها محددين أي بأن هذا هو الأول وهذا هو الأخير) وثيقة للفصول غير محددة ولقارئ أن يرتبها عشوائيا بأي شكل ويقرأ الرواية وهذا الشكل غير التقليدي يلي لوتقدم أسلوب عمل العقل المشركاني دون التذرع القسري لتدريج صفحات الكتاب، ولكن هذه ليست القضية في الحقيقة، فالندف المشركاني للأحاسيس والأفكار الشدايعية في عقل المؤلف، يضمها في كل فصل على شكل كلمات وجمل - تكفي تيار الوعي على طريقة جيمس جويس، والنظرية هنا تؤثر فقط في وقت تقديم تيار الوعي هذا. وذلك

يصلى أنسى اختيار محدد للروائي في تقديم تلاحق معين من الأحداث دون التزاعها بأي اختيار، وهكذا هي طبيعة العقل البشري، ومع ذلك فإن تصديق للفصل الأول، يجعلنا بعد ذلك نرتب الأحداث في نظامها المتعاقب ونحن نقرأ وهكذا فإن عنصر اللبية أو للفر الذي يقدم في تجربة القارئ يكون له التأثير (بشكل ساخر كما يرى المؤلف وأيضًا من وجهة نظري) في وضع تجربة شخصية مؤلفة على بعد جمالي بحيث نقرأ كرواية أكثر منها كسيرة ذاتية.

بالنسبة لجونسون، يمكن للمرء أن يرى من خلال رواياته للبعد المبدول للتخلص من نقل التقاليد الكبيرة للرواية الواقعية، وهو جهد يستحق التقدير.

وهناك الروائي الأمريكي فرانك كونروي Frank Conroy، لغت روايته الأولى «وقت اللزوق أو أوقفوا الوقت Stop time الانتباه، وكما تتضح فهي رواية لا جهد فيها، كاتب شاب من جيل سابق يكتب تهرته في النمو بشكل سورة ذاتية (والسحرف أن السيرة الذاتية تكتب بعد خبرة للتضح أو عند الشهرة) ولكن سورة ذاتية على حد تعبير تورمان مهلي، صريحة حميمية دون أن يكون لها ضمان من نصيح أو شهرة في شكل رواية، شيء آخر وهذه عيلة من ذكريات المؤلف عن والده :

«أحاول أن أفكر به كإنسان عاقل.. ومع ذلك لابد من الاعتراف بأنه قام بأعمال غريبة، اشترك برقصة في فندق بسبب فالتتها العلاجية، وكان يول شعره بالبول ويصفه بطريقة لإنسان محترم، وكان يميل لخلع سرواله وإلقائه من النافذة (أكن بعض الإصحاب لهذا العمل) ويمكنه أن يعصف بألف دولار في لحظات ويختفي ليصبح صطوكا، أمضى عدة أسابيع في قلق دائم، مقعًا بأني صاصح شاذًا جسديًا، كان عمرى وقتها ستة أشهر، أنكر زيارتي له في أحد الفنادق حين كنت في الثالثة، سزا ما عبر أرض خضراء ملحدرة، وحكى لي قصة، اصبرتها في ذلك الوقت إحدى الأكاذيب، عن رجل جلس على نصل سكين مشروزة في مقعد حديقة (لماذا يا ألهي يحكي قصة كهذه لابه البالغ من العمر ثمانى سنوات

لشار هاري ليفين Hary levin فسي كتاب عن جيبس، إن تاريخ الرواية الواقعية يبين أن الرواية تدور نحو السيرة الذاتية فالمطالب للفرز إرادة على التماسحصول الاجتماعية والفسفية التي تضغط على الروائي، ولا يمكن إشباعها إلا بالاستناد إلى تجربته الشخصية، كذلك فإن للفرى المختلفة التي تجعل منه ملتصبا تجعله يركز انتباهه على نفسه. وهنا فإن جونسون وكونروي - ويمكن للمرء أن يذكر هنا هنري ميلر كسابق بهذا الشكل للرواية غير الخيالية - وصلا بهذا الشكل إلى نتائجه المعنوية فإذا كانت عادة صياغة السيرة الذاتية الشخصية بشكل خيالي بومها، وإلا ما بعد الكتاب يشعر بالعاجة أو الانشطار لحماية خصوصياته وخصوصيات الآخرين، فرواية السيرة الذاتية، من هذا المنطلق، تعتبر هامشية، وقد أيد سكولر وكوليج هذا الرأي في كتابهما «طبيعة السرد».

إذا كان هذا فرق بين السيرة الذاتية ورواية السيرة الذاتية فهو يمكن إيس في مدى إخلاص كل منهما للحقائق، بقدر الأمالة في فهم هذه العقائل وإدراكها وإخبار عنها، فالأدب يوجد في المعرفة وتوصيل هذه المعرفة وليس في العقائل..

والجملة الأخيرة صانقة ضلماً، إلا أنها أبهت فكرة أن الروائي كاتب السيرة حر في أن يغير ويضيف ويحذف لتتفق للمخالف، وأن ممارسته لهذه الحرية ليست لمجرد حماية خصوصيته، ولكن في سبيل التيقن الأدبية مثل السطح والفرط الشكلي، وعند تجربة القراءة، نادراً ما يكون القارئ في موقع يستطيع فيه الحكم على مدى الإخلاص للمخالف في كل من السيرة الذاتية أو رواية السيرة الذاتية، لكنه يتجارب مع كل منها بشكل مختلف، ويحصل على نتائج مختلفة أيضاً، فرواية مثل «الصداء» أو «وقت الترف»، تصدق وتوفر هذه العملية لاحتوائها على خصائص الشكليات، لكن عاجلاً أو آجلاً وترى الفرع على ما اعتدته، أن يقرأ السيرة الذاتية كرواية، ورواية السيرة الذاتية كسيرة ذاتية.

ويمكن للمرء أن يتخلف في أعماله. من. جونسون تأثير سمبول بيكوت. ويضع الروائيين للفرنسيين من كتاب الرواية الجديدة، مع ذلك فإن في التجربة الفرنسية في الرواية غير الذاتية، فإن الفخائل التي يبدق من الرواية ليس مسألة شخصيات مختلفة، أو أحداث السيرة الذاتية أو مفصلة، وهو ما تشجعه الرواية التقليدية. بمعنى أن الكون يتأثر بالتفسير الإنساني له، وذلك يظهر بشكل واضح جداً في الكتابات النظرية لأن روبن جرييه، وبشكل خاص في حديثه حول أن الواقعية التقليدية قد شوهت الواقعية بفرض للعاني الإنسانية عليها، وذلك أن بوصفنا عالم الأشياء، لنا على استعداد للاعتراف بأننا مجرد أشياء، لها وجودها الخاص، غير الصابي بنا، نحن نؤكد الأشياء وإضفاء لسماني الإنسانية عليها، وذلك خلق إحساساً زائفاً من الوحدة بين الإنسان والأشياء.

في ميدان الأدب، فإن هذه الوحدة يمر عليها خلال البحث المنهجي لتقسيق أو للثقافات المتناظرة. إن الاستمارة ليست شكلاً بريفاً للكلام، إن اختيار كلمات متشابهة، مهما كانت بسيطة، يغطي دائماً إصطاحاً أي دلالة طبيعية تقية تفهم علاقة دالة بين الكون والإنسان. إن كل للغة الأدبية يجب أن

تتخير، الصلة المرئية أو الوصفية. الكلمة التي تتضمن نفسها قياساً وضوحاً وتحميها وتعريفها. تدوير إلى انتهاء صعب ولكنه على الأرجح هو انتهاء رواية المستقبل.

إن لغة التشابه أو المماثلة التي يتعرض عليها الآن جرييه، استخدعت بشكل جيد في السرد غير الروائي (للقصة للرمزية مثلاً) أكثر منه في الرواية التي تزعم إنها شرفت عالم الأشياء أكثر من أي شكل أدبي سابق، وذلك بفضل ما يسميه «فرى جيمس» «مخلة التخصص» أو «الوصفات»، ولكن يظل جرييه على حق في رؤيته أن الاستخدام الوصفي، خاصة في الرواية الواقعية، يفتقر علاقة ذات معنى بين الفرد والعالم الخارجي العام، ومن وجهة نظره فإن طريقة الواقعية للتقليدية تكتم هذه العلاقة وتستغلها في الوقت نفسه بتسليم الصعبي الاستعماري لوصف واقعي واضح للأشياء والملابس والطبقات الخ. مما يجعلها أكثر تعميماً.

وفي محاولة «جرييه» لتطهير سرده الفاس من التلميحات المتشابهة فيقول سكوكل في كتابه «الصنوبر الخرافة»:

«هذا لا يمثل المشكلة، لأن كل لغة هي لنساج إنساني، ولابد أن تكون كل شيء تنصه، على الكاتب أن يحرر ذلك ويقبله كأحد أدوات عمله، أو تتحول إلى فن لا يمر عنه بكلمة مثل السينما، كما فعل جرييه بنجاح بلور في مناسبة ما».

تخلق كلمة مع الجزء الأول من هذا الكلام، ولكن لا أستطيع قبول زعم سكوكل بأن الواقعية الأدبية تجعل الكلمات تابعة للأشياء، لا يمكنها فعل ذلك لكنها وسط لغوي، إنها دلفا تحول الأشياء إلى كلمات، وقد تخلق بالمثل ربما بأن الكلمات تابعة للأشياء، وقد يسبب هذا نوعاً من الردع في استغلال السارد الأدبية للغة، ولكن الإنتاج الأكثر تطوراً نتيجة لهذا الردع عند جرييه وكثير حدة عند بيكوت، ليس نموذجاً لرواية الواقعية التي أعطت تاريخياً للكثير من الحرية لكاتب عظم كي يطوروا إمكاناتهم التعبيرية للربط الذي يستخدمونه، ومن

للسبب للقول بأن جون أوستن أو جورج إلفورت أو هنري جيمس أو هوفوير بأنهم أقل راحة في استخدامهم للكلمات بسبب التزامهم بالواقعية.

ولست مقتنعاً أيضاً بأن الكاميرو في أيد بشرية أكثر حيادية من اللغة، أو أنها تعبر عن واقعية أدبية أكبر، برغم استخدام «جرييه» للفيلم لمحاكاة ما يتصوره الواقعية الجديدة للتي يريد منحها للرواية، واستخدام روايين آخرين للسينما في طريقة مشابهة. إن الروي في رواية سالنجر «زوي Zoey» يصف القصة بأنها «نوع من السرد السينمائي في البيت، بينما للقصص الروسية في «المفكرة الذهبية» لهوروس ليمسج. تلك الرواية التي لمحاكاة من السرد كساً من التجهيد والألم للتعبير ومزج وتثبيت الواقعية. تبد نفسها دائماً تلجج إلى السينما لتشير إلى الوسيلة الصانقة المقلدة للواقع التي تبحث عنها في كتاباتها، ورواها الأكثر إقناعاً لها في تجربتها للسينما، فلتبها على شكل هوسية، تبدو فيها أنها ترى حياتها كفيلم تخرجه بنفسها، هناك مع ذلك استراتيجيات استعاريات. الربط الصري يستعان به لتعزيز الاتصال للقارئ، ولهذا فإن الفيلم يصنع التحليل على فن مقتد للواقع بشكل حال ولكنه شيء عادي أن تكون هناك لغة سينمائية من إنتاج بشرى كاتفة للفظية، لغة سينمائية لها قواسمها الخاصة، شروطها وإمكاناتها الخاصة، التي يجب أن تحطها ويعرفها الفنان والمصور، لكي تجعل من الصورات المقترحة غير المستحقة ممكنة، ولا شيء من هذه القواسم والشرط «معيدي»، أو موضوعي. السينما المعاصرة تستخدم في الواقع، أساليب مقترحة كالرواية المعاصرة، من السينما غير الذاتية إلى سينما قاع المصنوع إلى السينما الخرافية، مثل أفلام «٢٠٠١»، لستافلي كويريك أو «نهاية الأسبوع» والفراسة للصغار، ليوهار.

ولقد التوق نفسه في الممرح الحديث، حيث استبدلت للمرحية جيدة الصنع من وهم التفصيلات الدقيقة الواقعية (المعادن الدلالي للرواية الواقعية، وهو إنتاج فكري

## نظريات الإبداع الغربى



للسيطرة الثقافية للشكل الروائى (لواقمى) بدرجة كبيرة بتجارب تتواصل تقريبا مع الرواية للرافقة أو غير الخيالية فى السرد، فرأينا مسرحيات تستغل الإمكانيات غير الطبيعية فى التقديم المسرحى لاجتذاع وتخييل بحرية مطلقة (مثل برششت وويوتسكو ون. فا. سمبسون)، ونرى من ناحية أخرى مسرح الحقيقة، (هوخست وفاريس)، أو مسرحيات مشابهة من إنتاج المسرح الأمريكى الذى تسمى إلى كسر القواعد التقليدية التى تفصل المشاهد عن الممثل، وأن تمتع الاثنين فى حدث محقق غير مسيطر عليه ولا يمكن التنبؤ بهايته مقما.

يبدو أننا نمضى فى فترة غير مسبوقة من الخفاقة الجماعية التى تسمح لكل الفنون، وللنوع المدفئ فى الأساليب، أن تتكشف فى الوقت نفسه، ومع ذلك فإنها، فى كثير من الحالات، تتعارض جذريا مع بعضها على أرضية معرفية وعملية مختلفة، وبالتالي لم يستطع أسلوب معين أن يسيطر أو تكون له الطبة. فى هذه الحالة، على الناقد أن يكون متحفظا تماما، فهو ليس معطرا بالطلع أن يجب بكل الأساليب والدرجة نفسها، لكن يجب عليه أن يتجنب القضا الرئيسى فى الحكم على أسلوب ما بمعيار يطق بأسلوب آخر، هو يحتاج إلى ما يسموه سكونج «بالإحساس المتميز العالي للنوع الأدبى»، وأما بالنسبة للفنان أو الروائى، فإن وجود هذه الكثرة من الأساليب المصورة يولجهم بمشاكل ليست سهلة لحل، سوبسببى ألا نأخذ حين نرى كثيرا من الروائيين المعاصرين يظهرين أعراضا من عدم الأمان الشديد، وللمعصبة بل وأحيانا نوعا من انقسام الشخصية.

ويمكن مقارنة الروائى اليوم برجل يقف فى تقاطع طرق. والطريق التى يقف عليها. أفكر مبدئيا فى الروائى الإنجليزي. هى طريقة الرواية الواقعية، أكل الوسط بين الصيغ الخيالية والصيغ الاستقرائية، فى الخصائص كان هناك شعور قوى بأن هذا هو الطريق الرئيسى. للتقاليد الأساسية التى وصلنا عبر الفيلسوفيين والإفرودين. الذى

لنقسم مؤقتا بروايات التجريبيين لمتحدثين، لكنه استعاد طريقه (على يد أرويسل وأشرويه وجرين وود، وويل وأجيس ووليسون وسوليتوين .. الخ) رسا ثانية فى مجراء الطبعى. تلك الموجه من الحماسة للرواية الواقعية فى الخمسينيات عادت أو قلت، لسبب واحد هو أن جعدة التجسيرة الاجتماعية بعد الحرب لقتى تفتت عليها الرواية فى تلك الحقبة قد خففت. بسبب انهيار سلطة الطبقة البرجوازية المسيطرة اجتماعيا. كذلك فإن التنبؤ الأدبى لهذه الحركة الواقعية كان متديلا وقائلا مما أثر كثيرا على هذا التيار، وقل من. ب. مقل:

«لو نظرنا إلى الماضى، أولينا كم كانت غريبة حكاية الرواية التجريبية، وظلت للتجربة ساكنة لمدة ثلاثين عاما، كانت دوروى ريتشاردسون رائدة كبيرة فى ذلك المجال، وكذلك جويس وفرجينيا وولف، ولكن بين رواية «الأصعب السببة» سنة ١٩١٥ وما تلاها من روايات معطتها أمريكى، لم يطرأ أى تطور ذو معنى، وفى الواقع لا يمكن أن يكون، لأن هذه الطريقة فى الكتابة، التى هى فى جوهرها إصادة تقديم تجربة قاسية من خلال لحظات من الإحساس، تطلع بشكل مؤثر وديق تلك الجوانب من الرواية التى يمكن أن تقدمها التقاليد الروائية، فى هذه الرواية التجريبية

يجب للتحصية بالتفكير والوعى الأخلاقى والبحث الذكى، وذلك ثمن كبير ندفعه، وبالتالي فإن الرواية التجريبية ماتت من الجوع، لأن نصيبها من المادة الإنسانية ضئيل.

أر كما كتب كلجاسى أميس - King-aley Amis

«الفكرة بأن التجريب هو الدم الذى سيحيى الرواية الإنجليزية، فكرة ماتت ولا سبيل لى إنكار ذلك، فالجريب فى هذا السياق، يقلل الانساق الجميل ويحوطه إلى غربة متعطلة، سواء فى البنية عن طريق وجهات النظر المتحدة وما شابه، أو فى الأسلوب. لا تظهر فيها بأن الموضوع أو الموقف أو الجرح العام مهم، فهى تتكلم من مشهد إلى آخر فى وسط الجملة، تلتفى أو تفل من الأفعال وأكوات التعريف، وتجد نكس فى مرجحة التجريب مباشرة أو فقت ذلك، على الأقل فى جيون أولئك الذين تروا أو خلوا جويس وفرجينيا وولف وولفسوا منذ التغيرات الأكثر حداثة بشكل شرس.

إن تعليق «سولم يستطع أن يتجاوز القصص السطحي (لا تطور بين صورة الفنان فى شبابه وبين «فينجانزوليك»؟ أو بين رواية الأسلوب السببة و«رواية» السبب والعنف)» بينما كان دور «أميس» قوة خاصة ساخرة ومقعدة ويصوب على هدف تسهل مهاجمته ونقده، ولكن ذلك النوع من الخفاقة التى تزدري الثقافة تتكلم مؤقتا ولا يمكن الدفاع أو الحفاظ عليها لأجل غير مسمى سراه بواسطة أميس أو غيره.

ويستمر الروائيون فى كتابة الرواية الواقعية. معظم الروايات التى تتنشر فى إنجلترا مازالت تقع داخل هذه الدائرة، لكن يمكننا تداسى ذلك. فالمنسفرط الشككة فى المقدمات المنطقية والعلمالية والسعرية الواقعية الأدبية، كلفة الآن لدرجة أن كثيرا من الروائيين يدوموا بأخضون فى الاستعبار لطريقين الآخرين المنسفرين فى اتجاهين متضادين من مفارق الطرق، بدلا من السير قنصا بثقة فى طريق الواقعية. أحد هذين الطريقين يقود إلى الرواية غير العلمالية،

والآخر يترد إلى ما يصحبه سكولز مصحح الفارقة .

ولكى نكمل النقطة الأخيرة، يمكننا أن نصيب إلى الأمثلة التي نوقشت في كتاب مصانعو الخرافة: جستر جراس وليم بوروز وليمسان بنشورن وليفنار كوهين والفاسيون الجميلون، وسوزان سونشاج، أمثلة الموت، وبعض روايات أنتوني بيرجز، وأعمال مغيرة لروالين ظلا مخلصين بشكل عام للواقعية، مثل رواية سول ميلو، هدرسون ملك الأمطار، ورواية جون أباديك، القنطرة، ورواية مالاوود، الطبعي، والمجاز في حديقته الجميل، لأنهم ويلسون ورواية «جورج» لاندرو سينكلر. هذه الروايات توقفت مؤقتا لترجم الواقعي بدرجة ما في سبيل حرية في حبكة الرواية، أو في سبيل معالجة رمزية واضحة في النص، أو في سبيل كليهما معاً. وهي تعيد أيضاً إلى استخلاص أفكار مريحة من أشكال أسبعية شعبية، فيها إضباغ لشعيات رواية أساسية (مثل الصالون، الرعب، تحقيق الزبغات) التي يستعمل عليها الواقعية بشكل مخلخل غير محكم، خاصة في شكل روايات الضياع الطبي أو الأدب المكتشف أو الرعب.

من بين هذه الأنواع الثلاثة، فإن الأكثر أسالة واحتراماً هو رواية الخيال الطبي، التي تعود في أصلها إلى تأملات البيوتريا، وتبؤات المستحيل والفانتازيا الساخرة مثل «رحلات جلفر» وكايند أو «الويس في بلاد الصمالب» أو أروين، إنه هذا التراث الذي حافظ على للخرافة حية خلال سيطرة الرواية الواقعية، واستمر في تقديم الوسيلة الأكثر وضوحاً للروالين الذين يريدون التحجرب بسر أكثر خيالية.

أما الأدب المكتشف وادب الرعب، فكلاهما شكيت أقل قدراً، فقد ظل الاقتراب منهما أكثر حذراً وحيلة، لكن الاختنا الذي يحملانه للسخونة الأدبية المعاصرة لا يمكن تجاهله، كتأخره الاختنا بجومس بولد من الطبقة العليا أولاً ثم من الجماهير بعد ذلك، وكينجزي أموس يدر هذا ملا حياً لذلك

فلتفهمه في إيان فلمننج (نظر ملف جومس بولد) يشبه حماسته للخيال الطبي (نظر خرائط الجحيم الجديدة)، وذلك ما يصحب التوفيق بينه وبين ما يتدها في للفيسليات سواء كروالي أو ككافدلو كدقيق عن النوع التقليدي من الرواية الواقعية، ما عدا الشهرة إلى للخرافية، مقموعة برتوبو الأدبي الشافس، بالحلة من مسخر لها مصوح به حيث لا يتوقع أن تكون اللقية فيه للقيم للتحقيق الأدبية، إن نشره الرواية «الكولويل سن» تحت اسم مستعمر هو روايات ماركام، يقدم بطلانها «جهمس بولد»، هو بالتأكيد حالة روالى واقعي وأخذ أجازة من الواقعية، حيث يستمتع والفاكية السحرية للرواية دون إزام بنسبه كنية للشروع (ليس ضرورياً أن نقول إن روايات جومس بولد هي روايات فروسية في صلبها وأن واقعيتها سطحية - فالوصف للتحقيق والفتاخر بالمعرفة التكنولوجية بأرواصها - لا تحول رواية للروسية إلى رواية واقعية، ولكن فقط تحطيا رونقا عصريا معداً، وتخلل من عدم تصديق القارئ المستوي).

في الواقع، إن رواية «الكولويل سن» أكثر واقعية من معظم روايات إيان فلمننج (فبولد الذي ابتدعه أسوس يعيد بصلن كذلك وحظه السن» أكثر من اعتصاده على الابتكارات العلمية التي تشبه الأسلمة السحرية في رواية المصور الوسطى الذي تصالح على حياة بطل فلمننج) وأيضاً أكثر ملا.

وهذا لا يهتفنا، فلذا أخذنا للكرة على منة للتحديق، فقد كان على أهمين أن ينقل وأعبا لموجبه الطبيعية في السحاكة الساخرة واللتخلف من واقعته الساخرة.

أما رواية أنتوني بيرجز «رعدة للية Tremor of intent» فهي رواية محسلة للرى اللقافة للزغبة، جزايا بسبب محاكاتها للساخرة والمبالغ فيها لأساليب وخط جومس بولد، وهي عمل ذو براعة فائقة غير عادية، وذلك لتفريق «بيرجز» على كل ما استغله «فلمننج» ونجح فيه: فالنفس هذا ككدر، والفلسف أكثر وحشية، والبذخ أكبر،

والكلاك وأبطالها في الحكبة تبتث على دفعة أكثر، إن تأثيرها العام أكثر حيوية وأقرا، والرواية عموماً تتأرجح بين السحاكة الساخرة للسوق بالمبالغة المصرفة، والسعى وراء شيء ما أصيل شعر به المؤلف وأثره. ففي موقف ما في الرواية، كان على صبي سكر الضجج أن يقتل رجلاً لينفذ للبل، ويسبق بعد ذلك مريضاً، لنهه ليقت كولد مشاغب في ركن للفرقة، تدلى كتفاه وهو يحاول أن يلقي من فوقها الصائم الحديث.

هذه للصورة المؤثرة تشير إلى مسئولية خطيرة على الزاية أن تكتملها وتذكرا بأن ما يحاول الصبي أن يلقه عن كتفيه ليس هو العالم الحديث ولكن صورة شاذة ومشرهة له.

هناك، فيما أعتقد، إلهام مشابه للذائع، وعدم أمان للصوقف، ولطباع بأن الفانتازيا اللزقة القسست تحت مظاهر الادعاء إلى صورة ساخرة أو عرض لبراعة الأسلوب فيما يسمى بالسحاكة الساخرة أو التكمية للأدب الجدي المكتشف مثل رواية «طوى»، أو رواية «الموتف للليلي» لشوشو، أو رواية جون فهدال السماء «ميرا بريكلدج»، ومن بين هذه الروايات الثلاث فسبـان ناكى «فهدال» هي الأكثر صفاً وتحتناى ناكى بتفريعة وتعلق بحددة، وليس فقط على الأدب المكتشف ولكن على الزاية جدر الخيالية المسترفة في الأدب الفرنسي؛

«لا شيء يشبه شيئاً آخر، الأشياء هي نفسها كلية تماماً ولا تحتاج إلى تفسير، بل إلى قبل من الاحترام لكاملها الدقيق. العلامة على الماخذ فتمان ويوسنان عرشاء وأزمنة أقدم ولحاني برصات وجزء من البرصة لرفعا، لقد فشتل أن أكون دقيقاً تماماً، كحدث جزءاً من البرصة لأنى لم أستطع قراءة الأرقام الصغيرة على المسطرة دون نظراتي التي لا أفسها أبداً».

أما نوع الحجة التي يقدمها سكولز لويوك أن للسيدما حلت محل إمكانيات تنفيذ الواقع في الأدب:

## نظريات الإبداع الغربي



اقتناع الروائي الأصلي في إمكانية التوليف بينهما.

الأب والأم لهذا النوع من الروايات هو «ترسترام شاندو»، فحين لا نتعامل مع ظاهرة جديدة كلياً، ومن المعروف أنه من الصعب أن نفكر في شيء يمكن مقارنته بترسترام شاندو (مساعد الخرافة) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث بلغت الرواية الواقعية سن النضج، ولكن ليس من الصعب أن نفكر في متوازيات لهذا العمل في الأدب الحديث، فخذ مثلاً قصص عائلة «جلاس» لسالنجر، حين يضعها المرء بجانب «ترسترام شاندو» يبدو تشابه المشروع عدد الكاتبين مذهلاً. التأثير والاحتفالية السببية السلابات في عائلة غنية غريبة الأضراس لأحظها المؤلف في حياتها المنزلية أساساً، ويتألف غير عادي لتفاصيل الكلام والتصرفات والإشارات، يسجلها الراوي الذي هو نفسه عضو في العائلة (مع الشاذية يتشابه حين بين الراوي والمؤلف) مصحفاً جزئياً على مطربات أفراد العائلة الآخرين، مزجاً القارئ بديسنان مستطرد خارج الموضوع عن ذكريات مقددة بعيد بناءها، بشكل ساخر غريب، وهو يطلق بحرية على صبرية المشروع الذي يقوم به، متحليلاً مع الظروف الخاصة للمؤلف في وقت الثلاثين، يبدو لي أن قصص سالنجر استقبلت بغور مزايد بسبب اعتبار قيمتها الإسمية كخاتمة غير أمينة لدين جديد، وللإهمال في تجريدها الأدبي. ويرغم أن هذا القلم أقل وضوحاً منه في «ترسترام شاندو»، إلا أن من يقرأ للنص في تتابع تأليفها لن يفشل في ملاحظة ذلك، كذلك لاحظ القارئ أن سجل عائلة «جلاس» يتزايد في تعاقبه مع عوائلية وقرصنة الواقع كلما أصبحت لهجة الراوي (بإحدى جلاس) شخصية أكثر وأكثر، باستخدامه لإزاحة أسرية شاذة غير أدبية، باختصار حين يبدأ الراوي بالاستجابة لاحتياجات القارئ أكثر، يسرد حكاية عن قس قسقيبين، وهكذا تنقل إلينا مطربات يصعب تصديقها لأمر غير عادية بشكل خالق، قري في رواية «أرفصوا السقف

ويجب أن نصنف في الرواية الواقعية، والرواية غير الخيالية، والرواية الخرافية، نوعاً رابعاً وهي الرواية التي تستخدم أكثر من أسلوب واحد دون أن تفرق نفسها كلياً لأحد الأنواع السابقة، الرواية التي تتكى عن نفسها، رواية الحيلة، رواية اللعبة، رواية اللغز، الرواية التي تقود القارئ (الذي يرغب باستجابة أن يقرأ ما يعتقد) خلال أرض متعارف عليها من الوهم والخيال، ومرباً مشوبة وأبواب مخفية تتفتح فجأة تحت قدميه، وتتركه دون أن توصل إليه رسالة أو معنى، ولكن بحيرة حول علاقة لغز بالحياة.

هذا النوع من الرواية سأسميه بالرواية الإشكالية، وهو يلتف مع الرواية غير الخيالية، والرواية الخرافية، ولكنه يمثل مصدراً بنقته لأنه يستخدم كل منهما في اللعبة. القارئون سائلون للخرافة الذين يتحدث عنهم سكولز، مثلاً، يمارسون الحيل على قرائهم، يحرصون أليهم الخيالية، مطبوعة بتناقضاتها الجمالية، كي يستفادوا مصطلحات الرواية السعيدة، ويصطاد أنفسهم الحرية ليجدوا ويكتوبوا بهدوء، في الروايات التي أفكر بها، فإن مبدأ الواقعية لا يسمح له أن يهمل كلياً، إنه يستمدج به دكماً في الرواية غير الخيالية، لتعرض وهم الواقعية ولو بشكل سطحي، بينما صانع الخرافة روائي غير صبور على الرواية، ويحتفظ بولائه لهما، ولكنه يفتقد

إن صمحيص تايلر Tyler الدقيق لأفلام الأرمينيون، يجعل منه مفكر عصرياً الرقيسي، ولو بسبب أنه في الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٤٥ لم يقدم فيلم غير ملائم في الولايات المتحدة، فخلال هذه السنوات فإن كل مجالات الأسطورة الإنسانية (الأمريكية) قد وضعت في الأفلام، وكل دراسة عن هذه الأعمال غير المادية تراكمت مع الأخرى لتوضح الوضع الإنساني، وتأخذ مثلاً عشوائية: جونى فابيسكو في أفلام «طرزان» ما زال يقدم الكلمة الأخيرة في موضوع علاقة الرجل المريرة بالبيئة الصعبة.. فذلك الجسد للامع الضخم الرافق في مواجهة صخرة من الحجر الجيري عند الظهر.. ويقول كل شيء... لقد كتب أوفن ذات مرة قصيدة كاملة يمدح بها الحجر الجيري، غير واثق أن أي نقطة من آلاف اللقطات من «طرزان والأمازون» ليس فقط سينتج إلى ذلك ولكن تجعل من مجهوده كله خارج الصندوق.

رواية «ميراث ليهال» عمل ممتاز، ولكنه عقيم نوعاً ما ويأخذ على الناس، كما لو أن ليهال يستحق بشدة الطليعة الأدبية المعاصرة، والسناخ اللغزاني الذي يتجاذف، متخلياً عن الأصل في المقاومة الإيجابية أيضاً، وأصلاً نفسه بسفيرة ليجمع تباؤاتها المتوحشة.

هناك بالفعل أسباب قوية لكتابتها بشيء أقل من العناسة، باختفاء الرواية، وإحلال الرواية الخيالية أو الخرافية محلها، خاصة للمرء الذي انتص حياله بالروايات الواقعية القديمة، ويبدو أن كلا من هذين الطرفين الجانبيين يتقدم بسهولة إلى الصمارة أو المستنقع - ليتخذ النص المنهزمة أو الأنراط في الانغماس في الذلت، وكما قلت سابقاً فإن هناك محبلة جسيمة على طريق الاستمرار بأسلوب الواقعية الخيالية. وكل روائي لديه وعي بالذات لابد أن يتردد عند مستشرق الطرق، والحق الذي أخفاه القارئون في حوربتهم هو أن يعبروا عن هذا التردد في رواياتهم.

عالياً أيها التجارون، «فراني جلاس» تتكرر أحياناً «سيمور» (الشرش الروحي للطلالة) الذي يقرأ لها حين كان عمرها عشرة شهور، بينما يكتب «سيمور» في مخزونه عن التجديرة الروسة التي ارتكها بلس أماكن معينة. في قصة «سيمور» مقصته، يخبئنا «بادي» كيف خفف ألم «الانتهاب» الباليوري، ويضع قصيدة رصية ليليه Blake في جيب قميصه، ويدعي أنه منذ طفولته المبكرة وحتى وصل سن الثلاثين، نادراً ما قرأ أقل من ٢٠٠ ألف كلمة في اليوم وهاباً أريمانية ألف كلمة. بكلمات أخرى، فكما مالت طريقة المعلمة أكثر وأكثر إلى السرد غير الخيالي، فإن العادة تصبح خيالية أكثر وأكثر، وهناك أوتير مثابه بين التصرف الشاذ وغرابة الأطوار في عائلة «شاندو» المسجلة بدقة وإخلاص بالعودة إلى الواقع، وفي الصالين كلتيهما، فإن الاستلحاح العادية للسرد الخيالي تقوى أو تضعف بالزاوي نفسه، وتبقى حالة القارئ تجاه التجديرة دائماً مهددة.

إليها قضية تحول إحصاس الكاتب الخاص (الذي قد يكون مرحباً أو قاتلاً للطبيعة الإشكالية لمشروعهم مشتركاً للقارئ في المشاكل الجمالية والفلسفية التي تقدمها الكتابة الخيالية بتجسيدها مباشرة في السرد التي تموز الرواية الإشكالية. أود أن أجهل من هذه مقولة كبرى كي تشمل أصحلاً كـ «الزيفون» لأدريه جيد، و«الطائر في الحياء الاجتماعية» لجلالين أوبراين، و«نار شاحبة» لثابوكوف، و«الفتيان» لمارس، و«حكايات لثيب» لسيورغن، و«مسحة جبريت» لور، و«أحب هذا المكان» لأوموس، و«المحزون» لموريل سهارك، و«المفكرة الذهبية» لموريس لوستنج، ولا شك أن القارئ يمكنه أن يصفق أمة أخرى، إن لم يكن روايات إشكالية كفية، فعلى الأقل بروايات تشاركه بدرجة ما بتحمزها بوعي الذات، كما كتبت «المسكوب» هارديك حديثاً:

«كثير من الروايات الجديدة تهدى درجة من النحر حول الشكل، أين تبدأ وأين تنتهي؟

كم يجب أن يصدق منها القارئ؟ وكم يجب أن يعتبره لكفة؟ أو لغزاً؟ كيف تدمج الحدث الاستمراري بالمكتاب والمخطط بعناية؟..

على الكاتب أن يعترف بالمعالجة البارعة والتصميم يستخدم عملية التأليف تماماً، وسط المشهد المفتوح؟

وهذا يصل إلى إلى الخلاصة التي أريد أن أخرج بها، وهي للتأكيد المتواضع على الإيمان بمستقبل الرواية الواقعية. وهذا الحكم يرجع جزئياً، إلى تعزيز منطقي لتفصيل شخصي، فأنا أحب الروايات الواقعية وأميل إلى كتابة الرواية الواقعية، «الحدوة المفصلة» لليلة الأدبية التي تمكك كتابة الرواية الواقعية - صامكها مع التاريخ، مثانة المراسلات..

لث - التي تدر للكتاب - الذين ناقشهم - غير ضرورية، أو عوايق أو أمورا مراوغة، بالنبوة لي هي نظام فريقة ومصدر قوة للكتاب، أو على الأقل يمكن أن تكون كذلك، مثاها مثل الأوزان الشعرية التي تمنع الشاعر أن يقل ما يريد قوله بالطريقة الجاهزة التي تخطر على ذهنه، وتغصه في اتصال شاق بالصوت والصلى، ولذا كانت مصادر ولقائه وفرة، فلها تقدم له نتائج أرقى بكثير من للتعبير للتفاهي المباشر. وهكذا فإن قواعد لرواية الواقعية شغل للكتاب من سرد أول ما يخطر بباله من قصص - التي تكون على الأرجح سيرة ذاتية أو فانتازيا - وتضطره إلى نوع من التركيز في الإمكانيات المصانة التي قد تقوده إلى اكتشافات جديدة لا يوقعها لما سورديه - في الرواية الواقعية يجب أن يثق في للتجربة الشخصية لتتحول حتى تكسب أسئلة وإقناعا مستقيل عن أصلها لفظي، بينما للخيال الروائي الذي تم خلاله هذا الترفيق والتحول، هو نفسه موضوعاً استمر من اللقطة والمنطق. ومشكلة تدايخ ذنين الأمرين المصنيين استمرى في أساسه (عكس ما يقوله سكوال) ويحتاج إلى مصادر لغوية كبيرة، ومهارة عالية لتنفيذ بنجاح (لا أذكر بالطبع أن القمصن الخرافية والسيرة الذاتية والروايات غير الخيالية لها قانونها المنطقي وتحدياتها، ولكن فقط لأحاول أن أحدد تلك التي تخص الرواية الواقعية).

ولذا محدوت الواقعية على أي مضمون أيديولوجي، فذلك هو للتبديلية. وجماليات العمل الوسيط تصوير طبيعي مع فكرة العمل الوسيط، ولويست مصادفة أن الاثنين يقعان تحت مظلة في الوقت المعاصر. الرواية غير الخيالية والرواية الخرافية هما شكلان واديكاليان وأخضان زخميها من رد فعل مخترط للعالم الذي تعيش فيه - «جوش الكليل» و«راسي» علم جانبا، هما نتائج للخيال للقبوى - والفكرة وراء هذه التجارب الروائية، أن واقعنا أصبحت غير عادية، مرعبة وعذبة، بحيث إن أساليب السرد الواقعية لم تعد مناسبة، ولا فائدة في إنتاج رواية جيدة تعطي وهم الحياة حين تكون الحياة نفسها رهماً (من الطرفين) أن هذه الحياة استخدمها الماركيز دي ساد، وهو يكتب أثناء الثورة الفرنسية ليرشح أو يفسر الرواية القوطية مع تلصيح إلى مساهماته في الأدب الجلسي (المكثرف).

لم يعد لنا وسطيع مناصرة الحياة في مصطلحات محساسة، مظهر الحائي في الخاص، والتبدل إما أن تنسج بالفاس وترويه كما هو، أو نخفي عن التاريخ برته، ونؤلف روايات خالصة تكسب بطريقة عاطفية أو استعارية ذخائر للتجربة المعاصرة.

الجواب الواقعي والوبرالي لهذه الحالة، أن معظمنا يستمر في المعنى معظم حياته بالقرض من الواقع الذي تقلده الواقعية موجود بالفعل، بينما جواب كبرى من تجربتنا المعاصرة تشجع على استجابة لتبوية مطرقة.

قد يكون التاريخ بمثابة الفلسفي رواية، لكن لا نشر أنه كذلك حتى يوفتنا لقطار، أو حين نبدأ الصرب، نحن نرى أنفسنا بأننا مستخرون، نصلي في التاريخ بمسار، في مجتمعات بفصل فرضيات وطرق عامة محبة للقرصن، ونحن نرى بأن إحصاسنا بالهوية، بالمصادرة أو الحاسة، تتحدد أفعال صغيرة كما تتحدد الأفعال الكبيرة أيضاً. ويبحث عن التوافق أفراداً أو جماعات، مع نظم من القيم تعرف دوماً أنه تمت رحمة المصادفة أو التفسير المارص، إنه هنا

الإحساس بالواقع التي تقلده الواقعية، ويبدو على الأرجح، أن الواقعية ستعيش مادام الواقع موجودا.

كتب جورج أورويل سنة ١٩٣٩ عدد بداية الحرب العالمية الثانية، مسجرا عن شريكه حول مستقبل الرواية الذي نناقشه في هذا المقال، قال إن الرواية «داخل جوف الحوت، مربوطة بشكل معقد بالفردية اللبرالية ولا تستطيع البقاء حية في عصر الديكتاتورية الشمولية التي يراها قائمة، وفي تقديره لرواية هنري ميلر «مدار السرطان، يبدو أنه يوافق على الرواية الاعترافية غير

الخيالية كالبديل الوحيد المقبول «داخل جوف الموت، لستسلم إلى الطريقة التي يسير بها العالم، توقف عن القتال ضده، وتوقف عن الانتظار بلأنك تسيطر عليه، بهمسالة إقبله، عمله، وعبر عنه، تلك فيما يبدو التركيبه التي يتبنها كل كاتب حساس على الأرجح. ومع ذلك لم تكن تبسوة أورويل صريحة، فبعد فترة قصيرة من انتهاء الحرب، انتعشت للرواية الواقعية في إنجلترا، جزايا، روليات أورويل في عظيمة، الثلاثينات، ومع أن هذه الروايات ليست من للدرجة الأولى إلا أنها ليست سيئة، كثير من

لروائيين الأمريكيين الموهوبين بعد الحرب - أدياك، بيكو، مالامود، روث على سبيل المثال - كتبوا ممثل أعمالهم من داخل قرائين للرواية الواقعية، إن مراسيم جنازة الرواية الواقعية سابقة لأوانها كما كانت سنة

■ ١٩٣٩

\* ديفيد لودج: ناقد وروائي إنجليزي، ولد سنة ١٩٣٥، من أعماله: لسة للرواية ١٩٦٦ - للرواية في مستشرق للطرق ١٩٧١، - لساكن مغفرة ١٩٧٥.





**ف** يجب أن يقرأ هذا الطرزان كسؤال :  
بعد نفي البيت الشعري، ماذا  
يبقى للشعر؟ الكل يعرف، منذ القدم، أن  
البيت الشعري لا يندفع للتصيدة، تشهد على  
ذلك الرسائل العلمية المصولة إلى أبيات  
شعرية. الإجابة بسيطة، آنذاك، إذا رغبتا في  
صياغتها إلى حدود إثباتية. إذا لم يكن البيت  
لشعري، فمالذا يكون؟ ذلك سؤال يصاحب  
سؤالا آخر، ولد من التصعيد ذاته. تتمثل  
الإجابة عن السؤال الأول : أمثالك، شعرية،  
عبر ثقافية Transculturelle وعبر  
تاريخية، أو هل نحن ملتزمون بالبحث عن  
إجابات محلية محددة في الزمن والمكان  
؟ Espace

كي أناقش هذا المشكل، أريد أن ألفت  
الآن نحو قصيدة النثر Poème En Prose.  
النثر يقابل البيت الشعري، وذلك مستثنى،  
ولذا نستطيع التعلل بمكونات / تشكلات  
القصيدة، وبالتالي نحجه نحو تعريف  
«الشعرية»، هنا لدينا على قدر مانسطيع  
القول - شروط تهريرية متكاملة وقامة للبحث  
عن إجابة لسؤالنا .

إذا كانت قصيدة النثر مثال السعي نحو  
البحث عن إجابة السؤال الذي يحور حول  
طبيعة « شعر دون بيت شعري »، يجب  
الإشارة إلى الدراسات المتعلقة بهذا النوع من  
البحث، والأخص نحو الدراسة التاريخية  
والموسوعية المثرة للإعجاب «قصيدة النثر  
من يود لير إلى يومنا الحالي، لسوزان  
برنار Suzanne Bernard (١٩٥٩)،  
لرؤية توليف القصيدة . فصل، جمالية قصيدة  
النثر، في الواقع، مكرس للإجابة عن هذا  
السؤال .

تري سوزان برنار جوهر النثر حاضراً  
من تسميتها : « جملة الوحدة المتعددة للقوانين  
التي تمسود تنظيم هذا النوع الابتداعي  
(الابتكاري) تلاقى المبدع، بالقوة، في  
تسميتها: قصيدة النثر (... ) في الواقع،  
قصيدة النثر، ليس شكلها فقط وإنما جوهرها،  
إذ تكأس على وحدة الأضداد Contaires :  
نظر وشعر، حرية وصرامة، فرضي تدميرية  
وفن منظم، ككاتب Auteun قصيدة النثر

## شعر دون بيت شعري



ترقيتان تودوروف  
ترجمة: أحمد عثمان

## نظرية الإبداع الغربي



mique لزمن واقع اللجاج . وفي العالمة الثانية ، بدلا من تعطيل الزمن ، تلغيه سوام بصمام للتعطلات المختلفة أو تدمير المقولات المنطقية ( رد التمييز إلى السؤال ، وقاما أصناف سوزان : ويرجع إلى ذاتها . ) . هذه الفاصية ( أو الفواص ) تتحدى حينذاك : تفكر من فكرة إلى أخرى بكل علف . . . . . نفكر إلى مرحلة وسطية ، بتشتت القيود ، الروابط الفكرية ، والاتساق الوصفي ، وبالتالي المردى : استقر الشعراء الحديثون ، بعد رامبر Rimbaud في ، المنفصل Discontinuu كى يفكر العالم الحقيقي . . . . . نمرأ على الرافعة التى سببها الاتساق ( للشعب ) ، التحديد ... الاتساق ، الوحدة ، الشمولية ( بواسطة المعاصر الأبدى ، Présent Eternel ، وشره لما بعد الاختيار الإمبريوى لهذه الإثباتات ، ونظائر ، فى هذه اللحظة ، تعريف الشعرية للوحدة ، وقد تصمنا على توازنه مع اللازمية ، غير أن ، الواسط ، المختلفة والمختصة بإنتاج هذه الحالة اللازمية . أو بالأحرى ، التطورات المنطقية التى تمكن من الحصول على هذه اللازمية مثل الفاصية ( التكرارات ، للاتساق ) لا تقتصر سوى على وحدة خدامية مألوفة ، وهذا أمر مشترك فيه ! الاستنتاج الذى يمكن من وضع التكرارات ، والاتساق تحت تصور اللازمية استنتاج هفى بصيغتين القياسات Syllogismes جبطلنا نقرود على مسرح البحث Theatre D'Absurde الناس زالبون ، الفئران زائلة ، إذن للناس فئران ... هذر واضح لعمى جانباً مبدئى الوحدة واللازمية ، لا يعلما سوى إعادة صياغة أطروحة سوزان برنار S.Bernard تتحدى الشعرية حيناً عبر الأفكار وحيناً آخر عبر الاتساق الشفاهى ، وذلك صحيح . كما نستطيع إثباته ، ولكنه لا يلقى ترحيباً ( محدثاً ) للشعر Poésie .

لنفت الآن ، لأجل استدعاء صحة هذه الافتراضات من الناحية الإمبريقية ، نمر التطبيق . ذاته لقصيدة الشعر أو فكرة الشعر الموجودة فى اللجاج . مثالان ، بين عديد من الأمثلة الشهيرة ، كتابين Auteurs كتبها قصيدة للشعر وساعدنا ، رما ، فى هذا البحث .

نستطيع إدخالها جملة ، للقصيدة ، دون علف سوام مع النص أو المبدأ . نص Meta-Texte (النص للوصفى) ، بمعنى إلى الشعرية النقدية ؟ سوف أعود إلى هذه الموضوعية لاحقاً .

أدركت سوزان أن التحريف . لاستعالة بالوحدة . . . . . فوصفية شائعة ( على كل حال ، أليست الرواية ، أيضاً ، عالماً معظما بدقة ) ، وبالتالي أصافت خطأ آخر إلى القصيدة ، متميزاً عن سابقة ، غير أنه يمكن من ملاحظة النوع الشعرى بين الأنواع الأدبية الأخرى : أنه علاقة مع الزمن ، طريقة للتخلص من سلطه .

«القصيدة حاضرة كما الكتلة ، ترفيلة لا تقسامية ( ... ) نصل هنا إلى تشدد أساسى ، مرسى فى القصيدة : لا يمكن أن تكون للقصيدة قصيدة إلا إذا جابت ( إلى المعاصر الأبدى ) للفن للفترات الطويلة ، وتجهيد المستقبل المتغير إلى أشكال لازمية بذلك تلتقى القصيدة صرامة الشكل الموسيقى ،

إذا كانت جعلها ذات شفاقية ثامة ، وإذا رغبنا معرفة الرقائق الشعرية التى تكسوها ، نطم أن هذه ، اللازمية ، الفاصية هى التقاسم المشترك لسليقين من الأساليب . بالنسبة للأولى ، نجد أن للمبدأ الذى يبرز التقافية والإيقاع جانب : ذلك هو للتكرار الذى يفرض بنية إيقاعية - Structure Rytm-

يطلع إلى إقناع اعتدالى ، حالة من اللظام والتوازن أو بالأحرى إخلال فورضى للظام ، حيث يستطيع الكاتب أن يبرز عالماً آخر ، أن يبدع عالماً آخر .

مازلنا ، حتى الآن ، فى تعريف قصيدة الشعر وليس ، الشعر دون بيت شعري ، متوضيح - هذا - ملاحظة مهدية الآن ، لأنها تتعلق بالخط المميز لطالب سوزان برنار ذلك إثبات لهذا النوع الذى يتأهل لمقابلة الأصدقاء . شيء آخر يقال إنه مرجح حيناً من خلال المقوم ، وحيناً آخر من خلال نقضه ( على سبيل المثال ، التذعة أو التظيم أو الاختلال ) . الإثبات الأول ذو محتوى جلى ، وربما كان مؤكداً أو ملغياً من خلال دراسة الأمثلة ، كما سرى لاحقاً ، أما الإثبات الثانى فلا يملك أى محتوى : (A) (A) فلا يتكلمان العلم بطريقة استعمالية ، ويقول بأن موضوعاً ما مموزاً بواسطة (A) أو (A) لا يلقى أى شيء . فمثلاً عن ذلك ، سوزان برنار تتفكر دون الارتكان إلى مرحلة وسطية من إثبات إلى آخر ، على حد ما لاحظنا ذلك فى مجموعته الجمل المتقطعة منها سلقاً اللتين تلحق وتعلق للنص الأول لعرضها .

لكن ، نأتى إلى الموضوع الذى يشير اعتماداً : تعريف الشعر بعد شرح تكون «النش» ( الواقعية ، العذلة ، الفكاهة Humour نتركه جانب المطابقات . ) تنجيه سوزان برنار لمر تعريف للقصيدة تتحدى أول وأهم ملاحظاتها فى الوحدة : ذلك تعريف للقصيدة كما الجملة ، حيث لغراض الأساسية وحدة وتكثيف ، الجملة ، تعمل ، Travail ، جانباً ، الجملة تسمى التآثير التكى ، Trave ، متضامة فى هذا العالم الشعرى ، لاحدية أو معقدة ، وذلك جملة صلاقات ، عالم منظم بدقة . . . . .

لأجل التقارى للمعاصر ، نجد أن للشمولية والاتساق مألوفان ، إذ اعتاد القارئ رؤيتهما ، وقد انشبا إلى البنية وليس القصيدة الواحدة من الممكن أن تصيف . إذا لم تكن البنية شعرية . أن كل قصيدة لها بنية شبيهة لعمى هذه اللغة : مخالفة هذه الوحدة العنصرية ورومطيقية Romantisme ، لكن هل

(هبات السحرة)، فضيلة المشقة تستهوى  
موتها (بورثيه المشقة). أحياناً، هذه  
المعارضة تمكن من مقارنة اللفظ ذاته  
بمعاصريها الذين يهادون بالإنسانية  
السائجة Humanité Naïf، للحي تصد  
بالاعتقاد اللازم لهلب للعذاب ولأجل تلبية  
الوزانة Dignité (مضرب الغفراء).

الشكل الثاني: «ازدواج المعنى» Am-  
bivalence الحاد للمضامين حاضرين  
هذا، لكهما صوران موضوعاً واحداً، أحياناً،  
بطريقة معقدة، يشرح ازدواج المعنى نفسه  
كما التعارض بين الأشياء ذاتها وكما تنبئ:  
حركة نعتقد أنها نبيلة وهي دنينة حقيرة،  
(الفرد المرفقة (الزيت) صورة امرأة حقيقة  
لصورة أخرى (المرأة الهمجية والمشفقة  
الصغيرة)، غير أن الموضوع ذاته يتشطر في  
تجابه كما في جوهر: امرأة قبيحة وجذابة  
في آن واحد (جواد أسبل) مثالي وهستري  
(أيهما الأصح؟، إنسان يحب ويرغب في  
القتل في آن واحد (الراعي الرقيق) تجسيد  
مخازن للقساوة والجمال (الزجاج السني)  
غرفة وفي الوقت نفسه حلم وحقيقة (الفرقة  
المزجة)، كشفت الأمكة أو اللحظات عن  
الواقعة كأنها شكلت بخودها للنسـ Am-  
biguité حينذاك كان الزوال، مكان المقابلة  
بين الليل والنهار (زوال الليل) أو المبدأ،  
تداخل الفعل Action: والتأمل (المبدأ).

الشكل الثالث: «الأخير: التضاد Anti-  
thèse .. تقارب التكوينتين، الواقعتين،  
الفطن أو الممارستين، مخصص للموضوعات  
مختلفة، حينذاك، الرجل والمعلم (الزجاج)،  
الرجل والطبيعة (قطعة الحلو) الأثرياء  
والفقراء (الأزامل، أعين الفقراء)، الشرع  
والعجز (المهرج المعجز)، الكثرة والوحدة  
(الجمهور، الوحدة)، للحياة والموت (الشمي  
والسيرة)، الزمن والأبدية (الساعة)، الدنيوي  
والسموي (الفريق) أو «اللامقارب للواقع،  
أيضاً .. للفلان المتضادان، متجاذبان، لهما  
الواقعة نفسها، أمهما تابع للجمهور والآخر  
تابع للشاعر نفسه؛ فرح وطبيعة (آنذاك!)  
سعادة بورعاب (ارغبة الرسم)، ضيق  
ورحب (أعين الفقراء)، رفض وموافقة



بودلير



رامبو

اسم «اللامقارب للواقع، Inversement  
(بودلير نفسه تحدث عن «الغربة» Bi-  
zarrie). وصف واقعة واحدة لكنه يوافق  
الاعتقادات الموحدة التي لا تمنعنا من  
وصفها ووضعها موضوعاً للمعارضة مع  
الواقع أو الأحداث، العادية، الآتية  
بمستوى Miss Bistouri فتاة غريبة  
تغايه في هذا العالم، والشيطان تصرفاته  
غريبة (اللاعب الكريم)، الهبة مرفوضة

من الطبيعي أن تبدأ بودلير Baudelaire  
لم يكن، مخدع، هذا الشكل تعرف  
ذاك جيداً اليوم مع اقتراض أن تصور  
المخدع ذو معنى، لكنه - المصور - هو  
الذي قدم إليه أوراق اعتصامه، لذى أخذه  
إلى أفق معاصره وورثته، الذين اتخذوا  
قصيدة النثر كنمط Type للكتابة نوع،  
بالمعنى التاريخي للغة، وبودلير هو الذي  
أشاع تعبير: «قصيدة النثر» Poeme en  
Prose، حينما استخدمه في الإشارة إلى  
الداربين الأولى المكتوبة على هذا النمط،  
يتكفّف أمل البحث عن إجابة لسؤالنا، حينما  
نقرأ في مقدمة الديوان أنه حلم: «ملاحظة  
النثر الشعري» Prose Poetique، وموسيقى  
دون إيقاع أو قافية، هذه الموسيقى، حقا،  
مدلول اصطلاحى مخدع، للشعر دون  
بيت شعري..

إذن، السؤال مطروح للمناقشة، فالإجابة  
التي خدمت نصوص الديوان، بمقتضى ما  
وعلى الأقل بنظرة ما، مغيبة للآمال، لأن  
بودلير لم يكتب حقاً، للشعر دون بيت  
شعري.. ولم يبحث أبداً عن موسيقى للمعنى  
Musique du Sens كعشب، كصيد  
قصيدة النثر، بمعنى نصوص تستغل  
المقابلة بين الأضداد (من الممكن للتفكير، في  
هذا الصدد، كون الديوان، بناء على العنوين  
الذي تصيّر بودلير في اختياره، واستحق  
بالتالى التسمية «قصائد نثر قصيرة» عن  
العنوان الآخر. Spleen De Paris، حتى  
إن العنوانين - في آخر الأمر - مترادفان، كل  
شيء من كان بودلير جذب موضوعات  
وئية تصمة أعضار هذه النصوص بدءاً من  
اسم النوع، شعرية نظرية، أو إذا فتنلها  
كروية اسمية Nominaliste، عندما لا  
نجدها من النوع الذي يمكنها من البحث عن  
سلسلة ملائم/مطابق «مطابقة» Cor-  
respondence) لموضوعاتى للتأليـ Du-  
alité، التعارض، التقابل، إذن، يلقى ما سبق  
ضرباً على تعريف سوزان براندر النوع.

نستطيع أن نؤكد هذا الإثبات ونحن  
نستعين.. بدايةً، بالأشكال المختلفة، بحيث  
نستفيد من التناقض. الإثبات الأول يستحق

(الإغواءات)، إصجاب وخوف (اعتداف)  
الفنان، وغيرها.

هذا التقارب التضادى Juxtaposition  
Athétique، من الممكن أن يكون حاضرا  
بطريقة تراجيدية أو سموية Heurguse  
حتى الذين يعيشون في الأرض Refus  
(قنوط المحور)، حتى الطفل الثاني، الذي  
يشبه الأول، الأخ اللصوم، ولقي - وأخيه  
بنفسيهما في محراب يقتحل الأخوان  
فيهما (لعنة الحلو)، لكن، من ناحية  
أخرى، الطفل الثرى والطفل الفقير، بالرغم  
من أنهما منفصلان بواسطة التضاد  
الرمزية Barreaux symboliques،  
فإنهما متحدان في لون أسنانهما، درجة  
البياض نفسها (لب الفقير) وبعد ضرب  
وحش لمجوز شمشاد، إذ بأنه JE تحلن  
مراحة (سوى)، على الرغم من ذلك، أنت  
مدوى، (تضرب الفقراء)، وطى الرغم من  
أن العلم يقابل الحقيقة إلا أنه من الممكن أن  
يصبح رأيا عنها (المقاسد، اللواف).

هذا ليس حاضرا فقط في الشكل لمام أو  
في البنية الموضوعية التي نجهها في إنبات  
حالة الثلاثية السابقة لاحظنا قبلا كم عوان  
تصصنا عليه من التخاربات المتحارضة:  
«المجوز وقديوس»، «الكلب والقارورة»، المرأة  
الهومية والعشيق الصغيرة، السماء والسحب،  
الدمى والعقيرة، وهذه تقاربات متحارضة  
أخرى تستند إلى الثلاثية (بين التحدث عما  
يكشفها من موضوعات كما حالتي المنياء  
والزوال)، حينذاك، في الغرفة المزودة،  
أيهما حقيقة؟ المرأة.. العمل نفسها تتأرجح  
بين جدن متناقضين: «رأية تركيبة تلك  
المرأة، قدر من السعادة، قدر من التلعاسة،  
الرامي الرقيق»، «عطر لطيف» (الكلب  
والقارورة)، أو العمل المتخافية في «المهرج  
المجوز»، «في الغالب الفرح، الربيع، التمهيد،  
في كل مكان أمد الخبز لأجل لقد، في كل  
مكان الاستغلال العنيف للمعوية قائم، هذا  
البؤس المثلث، البؤس التضاد، كي يغمر  
الفضاعة، الأسماك الضعيفة..» أو هذه  
العمل في «الجمهور»، «جمهور، وحدة: جذان  
متعادلان وقابلان للتحويل عاد الشاعر للنشاط  
والمنهج من لا يعرف جمهرة وجهته، لا

## نظرية الإبداع الغربي



يمكن أن يظل وحيدا وسط للجمهور  
التشاعل، نصوص كاملة بدلت على  
تتطورات تامة: تكون «الغرفة المزودة» من  
تسع عشرة فقرة: تسع فقرات للعلم وضع  
فقرات الحقيقة بينهما فقرة تبدأ بـ «لكن»..  
بالمثل، في «المجوز وقديوس»، ثلاث فقرات  
للسعادة، وثلاث فقرات الحزن، «بينما وسط  
هذه التسعة العالنية، لاحظت الذات الحزينة».  
تلقى تقدمه الديوان نفسها للضرورة. أكثر  
من كونها تنظر - على هذه المقابلة للقيمة  
لأخذها، بواسطة الانزلاق، في حضن  
الجملة نفسها، من الصيغة الشعرية إلى  
موضوعية المدينة الكبيرة، وكلامها لاحتظما  
بولوار كم خط قصيدة اللذر للمؤس.

يتعلق تناسق أضدادهما بالأمتداد -  
العناصر، الانتماءات، الأسارية - لدى  
بولفيلوس التضاد مسطى ينسق من  
المتناقضات، وهذا لأن قصيدة اللذر تتطابق  
تماما المتناقضات التي يود استبعادها. أيا  
كان الموضوع أو الإحساس الموضوعان  
يندهوان بالاتمماج مع تصديقة الصدى، ولما  
كانت للمرأة «استعدادا للثأر»، حتى إن - في  
دعوة الرحلة - الشاعر يحمل بإيجاد - إطار  
Pays-Cadre ومائله: «أنت مسوِّرا في  
شائك، ألا تستطيع أن تتجلى وتحدث كما  
المتصوفة، في مطالقتك الخاصة؟»، تعجب  
بحدنية المتعاطلات: للتشابه أربعة حدود  
(المرأة في يد كما صورة تشبه الإطار)

تتولد مويده عبر التشابه ذاته بين  
الموضوعات المتلاصقة: يجب أن تشبه  
الصورة الإطار، وأن يشبه البلد المرأة، وتلك  
صورة وفيه (لا يتبقى سوى التشابه المباشر  
بين إطار اللوحة والبلد)، سامن تتطابق  
«تفضيلي (لا ومحتل في العالم الشعري  
لجولويس سواء صاغه في صورة أبيات  
شعرية أو نثر، وهو مؤسس، دون شك، في  
صورة أسمها سوزان برتان: جملة من  
العلاقات، عالم منظم بدقة».

لا يتبقى سوى مقابلة الأضداد التي تدع  
وحدة الديوان البولوارى، لا تقتصر العلاقة  
بين القصيدة اللذر، وبين التضاد  
للموضوعات من جهة ثانية، على تشابه  
(مثال) البنية تعرف كثرة القصائد التي  
تتناول عمل الشاعر كما الموضوع، وقد أضفا  
- حينذاك - صلة المساهمة بالمتن: اعتراف  
الفنان، «الكلب والقارورة»، «المجوز، المهرج  
المجوز» (الإغواءات)، رغبة الرسم، فقدان  
الهالة، وغيرها. لكن، ما بلغت الاتكاء يحل  
في أن التضاد القائم يتكون من «نثرية،  
وشعرية» - مسموع هذه المرة من أساس  
كونه خاصية أدبية، ولما كاهما للحياة  
والعالم. أليس لقاص هو من يعلم في السماء،  
بينما الآخرون يبحثون إعادته إلى الأرض  
«Soupe Pro» «العماء الثرى»، «النبيل  
Srique» (السماء والسحب، الغريب؟ «ما  
كشاعر، أليس هو النبيل في التحويل» «ما  
دعت شاعرا، لست محتالا كما تعتقدن»،  
المرأة الهومية والعشيق الصغيرة؟ العنوش  
كما صماليك الطاشين، الأجرار من الروابط  
السانية، الذين ينظرون إلى الطفل الصغير  
حيث اللفظ - الشاعر - يروح: «في لحظة،  
تواظني فكرة ساذجة بأنني أستطيع التحمل  
على أع خبز معروف لي» (الإغواء) «هل  
«الحمل الثقيل، للحياة لا يقابل بيئة «القصيدة  
أو النطق» (هل أنت مسوِّرا؟)

أليس لك للحياة الذي نعيشه طوال اليوم،  
كما اعتقد، إلى نصف الليل، يمكننا من إيجاد  
توازنه عبر النشاط الشعري: «وبار وقتي  
في إيجاد أبيات شعرية جميلة تكتب لي التي  
لست آخر للرجال» (في ساعة من ساعات  
الصباح)؟

تؤكد قصيدة الشعر هذا الانقطاع بين المشاهد الموضوعاتية والشكلانية أكثر من أي قصيدة أخرى: إنها Thyrsé، وهى موضوع، وكذا عصا مستخدمة فى الاحتفالات الدينية. هذه الثلاثية - نقطة انطلاق فى هذا النص، حيث «السبوز»، فى بادئ الأمر، وصف مصعب المعلى الأخلاقى والشعرى، ثم «مصعب المعلى الطبيعى»، إذن، هى موضوع مزدوج المعلى، كما السبوز، والزوال، حينما يكون الموضوع شعرياً وروحياً من جهة، ولثرياً، ومصعباً من جهة أخرى.

ثم، يضاف لصاد آخر، خاص بالمستقيم وانقوس Courbe، وبما أن العلاقة مع الشعر والفن غير واضحة، فإن تماثل البنية لا يكتفى أبداً لإثباتها وإذا «السبوز» هى عمل الفنان ذاته.

«السبوز Thyrsé» هى التمثال لذاتكم المذبذبة بالإحباط، التقديرية والمعدومة، (النص مهدى إلى ليوست Liszt).

لمح مستقيم وخط زخرفية عربية Ar-abesque، مقصد بتعبير، ملكه إرادة، التواء الفعل، وحدة الهدف، تغير الوسائط، مزيج قدير وغير قابل للتجزئة العقبرية، ولذا هناك محل شجاع يستلحق تقسيمه وتفسيره».

أياً كانت وهذه «قصائد نثر قصيرة»، ليوهولسر رأياً كانت الفكرة التى تميلنا إلى الشعر، فإنها - الفكرة - لا تثير الدهشة. لا تؤخذ للشعرية بين الاعتبار إلا فى وحدتها المتعارضة مع النثر، ولا تكمله أى مفردات كالعلم، المثالية، الروحانية. نرغب فى القول: الشعرية. (أ) اعتقد بها يوهولسر نفسه، إذن الشعرية موضوعاتية تقنية، يضاف عبرها تشدد صرامة الإيجاز.

يجب أن يظل النص - بما كان سردياً أو وصفيًا، تجريدياً أو واقعيًا -، حتى يكون شعرياً، قصيراً - هذه القاعدة للأشعرين عن يو Poë لاحظنا يوهولسر كما الخط ليوستى للوع (من الممكن أن نثير وقتما رغبتنا: أنا تخيلى وأنتم المخطوطة، لتسارى لتراجمه، لأننى لا أظن هذه الإرادة المحتملة على

الملك الطويل الدمسية غير الضرورية، كما قال فى المقدمة.) القصيدة قصيرة الشعرية وحيقة Aerien: يجب ألا نصنف عمل «الخطابات الملحوظة حالا، والماضرة بقوة فى ديوانه: قصائد نثر قصيرة، عن ديوانه الآخر: «أزهار النثر».

أتقى يوهولسر الضرع على للفرضية الأولى لمسوزان برنار التى تعرف للشعرية مع العرض Soumission على أنسلى الاتصال.

لنأخذ مثالا آخر، قريباً من مثال يوهولسر، مثالا تاريخياً يركز على المشهد الجمالى. «الإشراقات» لرامبو Rimbaud نصوبه ككتبت نظرياً بصورة جيدة، وفى الوقت نفسه لا يشك أحد فى خاصيتها الشعرية، حتى إذا لم يعددها رامبو «قصائد نثر»، فإن قراءه فطرها بهذا يكتفى كى نستدعيه على سبيل للملاحظة السديدة والوجيهة فى مناقشتنا للمالية.

نبدأ بملاحظة نألفه: الكتابة الرامبوية لم يحصر مبدأ التمثال كما هو الحال مع نتاج يوهولسر، الاستمارة شبه غائبة هنا. المقارنات، حينما تتوفر، لا تطوع أى مثال، مقارنات غير مبررة/ غير محلة، «بحر السهر فى حضن إميلى Emelie»، (الساهرون III): نجهل كل شيء عن إميلى ولا نعرف بالتالى أى شيء عن بحر السهر. «ذلك أمر سهل شبيه بالجملة الموسيقية (حرب): الجملة الموسيقية لا توجد - كما نعرف - البساطة، وفحصنا عن ذلك النص الذى يوضح تلك المقارنة، نرفضه بعيد عن البساطة ومعد، «حكمة محققة كما الخواء» (حيوات I): ما هما ذا صندان وندعما الأذراء الذى سيديهما «كبرياء أرق من السمية المفقودة» (عيقرى) أيضاً، مجهولان ويقران بوسيلة من ذلك.. بعيداً عن السامعة فى قرايت اللطم للنص على التحاليل المعلى، تلك هذه المقارنات الأنظار إلى ثلاثيات فى العالم المستعار.

حقاً، إذا وجدنا التدوير Tropes لدى رامبو، فإنها فى الواقع مجازات، غير أنها

لا تبدع أبداً عالم المتطابقات، فى الغالب، تلمس للتجوية الاحتفانية بالمخاليل المجازى، حتى إذا لم نعلم تعريف نقطة وصول المجازات حينما نقرأ: «لهجتنا خلق الأورار» (لديمقراطية)، فإن عابتنا اللسانية تهبل النظم: «اللسان حاضر لأجل الكلام والفضجة السنجون، فى زمن آخر، حيث كل فعل يستدعى رجله، حينما نسمع: «الزمل (....) غسل السماء» (مدر يولييان) أو «تراب العظام كدمسه لفسان القسلة والمعارك» (سوفية)، لدينا من جديد - تأثير مثالى من وظيفة مجاز نمط الرجل - الفعل Agent-Action أو للرجل - السكان Agent-Lieu للفعل، وهو تأثير حاضر فى «عظمة الجملة، Obscurité de la Phrase

تستلم خاصية أسلوبية قوية ومعرفة فى نص رامبو للارتباط مع حركة الجاز: يصف للشاعر العوهمات بوجهة نظر تبدى كأنها وقائع: شيء ما فى التربة إذا كان فى الأعلى يرتفع وإذا كان فى الأسفل يهبط.. لكنه ليس مجازاً بحيث إن المرء عبر للاتصاف Contiguïté وليس التشابه، الذى يربط بين الصورة والموضوع متحداً. حينذاك، فى الغاية توجد «كائناتية تهبط وبحيرة تصعد (طفولة III)، «فى الأعلى بحر مضطربة أوجاه» يقضى (مدن I) أو «تلب الورق فى طرف الصنوبر» (مساهم تاريخي). «بمجرد التحول الذى يجندى فى معقولا عن تعبيرات كما «مراع من الفولاد» (صوفية)، «الأعين... ثلاثية الألوان» (عرض)، «السهر الغنائية»، (حيوات I)، «الشركة العادة»، «الطفولة الشائعة» (حيوات III)، «نظرات ملى بالمازرات» (طفولة I)، «لو جملة الفريسية...» يصطاد الشرفاء أخبارهم، (مدن II)، «أل رولان يقرعون بسالتهم، (مدن I)، «مشاهد غنائية...» تتجلى، (مشاهد)، «مصايح وبسط أسهرة يصندان متجة كما المروج» (الساهرون III)، أو: «أرى تاريخ الكوز الذى اكتشفتموه» (مدن I).

## نظرية الإبداع الغربي



هذا كله يتحدى جيدا، وغالبا ما نحسر على التمييز العرضي/ التمثلي المستخدم في المجال الأدبي، وذلك يعطى نتائج فقيرة، حتى أننا نستطيع التساماة، إذا كان تفسيرها جيدا من التفسير المعتاني من العقل الأدبي، وإذا لم تظهر جيدا مع ما هو غير محسوس أدبيا، فإله - التمييز - يملك لغة.

كتب سورويو لسه: «الأدب... يستدعي علاماته إلى نسق مكون خارجها اللغة». «الصيغة الأولية، للأدب، ليست الأصوات وإنما الألفاظ والجمال، وهم بالتالي لهم دال ومحتول. ويصبح الأدب «عرضيا» حينما يكف الدال من أن يكون شاففا ومتعددا وأيضا - وهذا هو الأكلف أممية من الناحيتين للكمية والوعية... حينما يكف الدال عن الظهور. إذن، يتلقى الأدب «العرضي» الضربة على «إشراقات» رامبو، وفي هذه الفاصلة للعرضية تكمن شريعته.

الوسائط التي استخدمها رامبو لتدمير التوهم التمثيلي محدودة للغاية، وتأتي هذه الوسائط من شروحات ميتا - أسنسية واضحة وصريحة، كما يظهر ذلك في - جملة الشهيرة - «الهرير»، «صوان مكان باللمح الضطر على حريز البخور والورود الشمالية». (هذا لا يتواجد أبدا) حتى الجمل التامسعة Agrammaticales، الذي لا نعرف معناها أبدا، كما في «ميترولوجيا»، «الصباح، حين أكون معها، أتم تقاومونا وسط ومضات الفج، شفاها خضراء، اللج، الزوايت سوداء والأفحة زرقاء، والعطور أرجوانية اللون من شمس الأنطاب. تلك هي قرنته، بين الشروحات الميتا - أسنسية والجمال التامسعة، تكمن سلسلة من الطرائق تبرز التمثل للامؤكد، ثم الصعب.

حينذاك، لا تدمج الجمل للامسعدة التي تصتوي غالبية نصوص «إشراقات»، التمثل، وإنما تبرز مشوها. في نهاية: «مابعد الطوفان»، يقول رامبو: «الساهرة التي تشل قمعها في إزاء الأرض، لا تريد أن تكفي لنا ما نعرفه، وما نجهله، ونحن لا نعرف شيئا

مétric في «مطابقات الفنون» حقا، لا يوجد أدب «عرضي» أو من أول درجة. أصبحت للصيغة الأولية للأدب: «زخرفة عربية Arabesque من الصولت والصروف الصوفية، لها نمط (....) إيقاعها، وبصورة شاملة، الحركة الشاملة للجملة، العصر، تعاقب اللغات، الخ».

تظل هذه «الفالة الأولية» (حيث يدرج فن التوليف/ التركيب ضمن المقاطع الموسيقية، ويؤمن تعمد التوليف، وبالتالي الإيحاء للتمثلي) شاعرة - فقط، عبر «علم العروض للفالح، الذي لا يتواجد إلا بصلته علما مسبقا: ينطوي على الشعر، فقط، بصفة أولية في فن من للدرجة الثانية،

أي تعلق بموضوع الدال يمكن من مقابلة الشعر بالنثر (بذلك، يجب سورويو عن السؤال الذي أجبه أنا - صفحات كتابه)، لكن - موضوع الدال لا يؤدي أي دور سوى ثور هامشي بالنسبة للجمع الأدبي: Laut- dichtung للادائيين، تلك كان استعمالا للفظه حقيقة مستقوية، شرا أدبيا أو موسيكا. تكمل الحجة، لدى سورويو، في الجذب للموسيقى لأصوات اللغة، بالمقارنة مع الموسيقى، ونحن نستطيع بالتالي إضافة الفكر الرئوي للعرش: مقارنة بجميع وسائل الرسم.

إذا كانت «الإشراقات» شعرية، فإن هذا لا يعني أنها «منظمة بدقة، بمعنى أنها تستطيع للحصول على هذا التعبير من اللواقي البولويوي، وليس من خاصيتها الاستعارية (وبد المجاز نثرا).

كشفت مسوزان برنار، كما لاحظنا ملقا، الانتهاء الثاني الموس لتقصيدة النثر لدى رامبو: اللاتباق، الانتطاع، المالم الصامت. نستطيع القول: يرفض نص رامبو التمثل، ومن هذا وعد النص شعرا، لكن الإلهيات وتطلب بعض الشروح المعنوية بالخاصية التمثلية للنصوص الأدبية.

وضع إتيون سورويو - Etienne sour- riau، في كتابه «مطابقات الفن» (١٩٤٧ - ١٩٦٩) بطريقة واضحة، شكل التمثل في الفن، وسطر نعتة خطا متمائزا وببولويوجيا Typologique، في الواقع، إلى جانب الفن التمثلي، توجد فنون أخرى، عدونها سورويو بال- «عرضية»، Presentatif، مثل الصونانة والكاندريانية، بحيث إن المورفولوجية متلازمة، بينما في للفنون التمثلية Representatif يوجد بفرع من التشطير الأنتولوجي Ontologique - تصديدة الذات المتلازمة (....) تلك ثنائية الذات الأنتولوجية المتلازمة - من جهة اللتاج، ومن جهة الموضوعات التمثلية. التي شير للفنون التمثلية... في الفنون العرضية، اللتاج والموضوع وشترجان - جاب اللتاج التمثلي إلى جانبه، وغارجه أيضا (على الأقل خارج جسمه Corps وما وراء ظواهره، بالرغم من أنه في الغالب يخرج من ذلك) ومحم من ذاته أيضا) عالم من اللوات والأشياء التي لا تتدج معه، ما يتبع حته تقسيم كبير للفنون إلى - مجموعتين متمائزتين: «مجموعة الفنون حيث عالم اللتاج يطبع أنتولوجيا Ontologiquement الذات المتمايزة للنتاج نفسه معه، ومجموعة أخرى للفنون حيث التأثر الشيق للمعطيات يفسر اللتاج دون أن يفرض عليه شيئا آخر سواء...

حينما التفت سورويو نحو المجال الأدبي، كان لزاما عليه أن يلطح للامتثال Asy-

نثر	بيت	
قصيدة نثر	شعر	عرض
ملحة شعرية، السرد خيال (رواية، حكاية)	روصف منظومان	تمثل

التركيبية تعود بنا إلى نقطة البداية، حيث سوزان برنار تريد أن تبرز جوهر الشعرية، إذ هو لا يبدل سوى نتيجة ثانوية لرفض التمثال لدى رامبو، نظام المتطابقات لدى - بودليس، وهذا - بالتالي تشويه للواقع المضيئة هنا وهناك، لكن إذا كانت تصورون الشعاعين تفصل بينهما شرات عدة، وما يكتبان بلغة واحدة، ويوشان المناخ الثقافي الماقبل رمزي نفسه، فإن جهدهما عثرن (هزبرهما أو عبر معاصريهما): «الشعرية، لأجل حجج مختلفة، مستقلة، تتجسد أمام الأنظار: الشعر لا يوجد، لكنه موجود، يترادف من معانيه مختلفة حول الشعر، ليس في عصرنا، أو في بلد ما إلى آخر، وإنما من نص آخر.

المقابلة عرض/ تمثل كونية و «طبيعية، Naturelle» (مدرجة في اللغة)، لكن المطابقة بين الشعر وبين الوظيفة «الشعرية» لغة لتحليل مقابلة محدودة تاريخياً وثقافياً تحركه بودليس خارج الشعر Poesie يتبدى أن تتعامل، غير أننا نرى أي عمل ما قبل أول يشير إلى الإجابة - إذا لم يكن هناك تشابه بين جميع الحجج المختلفة التي فككتنا من - وهذا حدث في المامتي - تسمية النص الشعري، على الرغم مما سبق، وقد اتضح أن هذا التشابه غير كائن، كما نعتقد، بعد أن وصلنا بعضاً من حججه بطريقة واضحة إذن إنه - التشابه - كان هدف الصلحات السابقة. ■

المقال: La poésie sans Le vers : مأخوذ عن : Tzvetantodorov, Lano- tion De Littérature, Coll. Points, Ed Seuil, Paris, 1987.

اسم الطم، وهو يكون لصوره بتجريدية قوية. ما هو بالضبط «الطرف الليلي» لرحل أو «الشرف السفلي للجسد»؟ في «الكلمة الهجى» أو «ثورات الحب» في الحكاية؟ في «محشائى الصيفة» والزينة الجمادة، في خشر؟ في «مناصبي» ورواعتها المكتبة، في جمل؟ «الرمضات للفيضة» والذائير البارذ، في Fairy؟ «الفضائل الاقتصادية» والسحر البورجوازي، في السماء التاريخي؟ تعلق رامبو أيضاً بالأحداث الكونية، كأنه مشرع: «كثيرون الطيالى تنسق الظواهر (الساحرين II)، «الغواص تنسق السطاحر (حرب)، «لنخ.

لأجل تحليل إخفاق التحليل في إشراقات، نقابل شترتين: بداية، ليس صحيحاً، أن تصورن «إشراقات»، تنتمي إلى هذا السمار نفسه: إذا كان التمثال يخفق دائماً، فإنه - دائماً - يذو وظيفته. من جهة أخرى، القواص للشفاحية كلها تلتزم هذا الإخفاق، من الممكن أن نجد خارج الأنب، والتقصيدة في التصورن التجريدية والمتكيفة، بالتمديد.

إجابة مذون الاعتراضين واحدة، لا تتوضع المقابلة بين العرض والتمثل بواسطة اللغة بين طبقين للملفوظ وإنما بين طبقتين شغلة، متحدة أو لا متحدة، لكن الطيبين، في حقيقة الأمر، لا يمدان قلبين مطرزين، فالملفوظات المصنوعة / الراقمية تتوضع بينها، وما بدورهما قريبان من أحد طرفيها، وفي الوقت نفسه، اللغة لا تحد طبيعة منزلة، وتركيبها مع الطيالى الأخرى هو الذى يجعل من رفض التمثال أصل للتقصيدة في «إشراقات» - النص الفلسفي، على سبيل المثال، الذى لا يتعمل أبداً، يحافظ على الاتساق على مستوى المعنى ذاته، وأنتج أن خاصيتها «الشعرية» التى تبرز هذه التصورن الشعرية، ونحن نستطيع تصوير التيق التوبولوجي Typologique للدخلى بواسطة قراء رامبو، حتى الذى لا يعرف شيئاً منهم، بالطريقة التالية.

عن «الطليقون للوفين»، «المسكن الموسيقي»، «والشيخ الوحيد، الهادئ والطيب»، حيث تكلم البعل وليس شخصيات، «الإشراقات».

هذه الذرات تكدي وتلتاشى كما الأجساد المصنعة وسط عتمة الليل، زمن الإشراق، وللتناقض تأثير مشابه: كل لغة تصدعى تفلا تكن مجموع الأنفاظ لا يبدع جملة، ونحن نحفز - بالتالى - أنفسنا لحفظ الأنفاظ. «لأجل طفل هينون يرتضى الفراء والظلال - وجمن للفراء» والأسامطور، (fairy): هذا هو المحدد ذاته لموضوعاته التى تبعد المشكل، بالمثل، لأجل كل المعاديل الطرفية Compléments circonstanciés الإشارة إليها ملها والمتقطعة من «ميشرونولون»، أو في جملة أخرى، في النص نفسه، حيث: «ترجد طرق تحت الترفذ والأشوار»، «الزهور النطيفة»، «نزل لا تفتح أبوابها على الدوام - إذا لم تكن أنت مرهق بدراسة الفلك - على السماء، ربما لأن الحجة عكست الأنفاظ - في تصورن رامبو - بغية أن تجد الاتساق.

هناك طريقة أخرى تبرز للتمثل، ليس غير المؤكد وإنما المستحيل واقعياً، حينذاك، الجمل المتعارضة، وبالتالى الإطار السجل عن اللفظ حيث «أنا JE و «أنت» Tu، «نحن» Nous و«أنتم» Vous تظل على حالها في النص (على سبيل المثال: ما بعد الطويلان، عرض حياة I، منحور للنشوة، متروبوليتان، فجر)، ذلك هو «ذات الجمال»، أهر داخل أو خارج الذات الثالثة: «عظامنا ارتدت من جديد جسداً عاشقاً، (Being) (Beauteous)؟ «بالمثل، لأجل عادة رامبو المؤسسة على وصف العناصر أو أجزاء الموضوعات دون أن تسمى أبداً الموضوعات، نفسها. هذا صحيح، ليس فقط في جميع التصورن (H) الذى يتبدى بطريقة المتبقية اللغوية. هذا الاهتمام بالعناصر - على حساب الموضوعات التى تميز هذه العناصر - يعطى التأثير بكن رامبو استخدم دوماً اسم جنس تقصيلاً على



نوحه نubes، جانيس كونيليس



**قا** كان التطور الذي لحق بالأسوأ  
التاريخي المنظر في كل من أمريكا  
وبريطانيا يتوازي، إلى حد ما، مع مثيله في  
ألمانيا؛ على يد جماعة النقاد الذين نشأوا  
بجامعة كونستانز Konstanz، ممن كان  
انشغالهم بالتاريخ الأدبي يتجاوز، رغم ذلك،  
حدود العلاقة بين الأدب والتاريخ الاجتماعي  
والسياسي. وعرف هذا الاتجاه بين الأوساط  
الناطقة بالإنجليزية باسم نظرية التقى-  
ception theory، وكان أن اعتبر هانس-  
روبرت يابوس H.R.Jauss الممثل الرائد  
لهذه النظرية بوجه عام.

وكنت قد انتهيت سلفاً في مقال سابق  
من استيضاح أن أفكار جادامر- Gadameri  
an ideas - لا سيما ما يتعلق منها بمفهوم  
دائرة التأويل hermeneutic circle - تلمن  
بعضاً من الافتراضات النظرية لقلة من  
التاريخيين الجدد من أمثال ستيفن جرين  
بيلات S. Greenblatt. وبالمثل، مثل  
جادامر أيضاً، تأثيراً قريباً ومباشراً على  
ياسوس؛ الذي يعد واحداً من بين تلاميذه  
الأسبقين. ولكن.. على الرغم من الرغص  
العام الذي يضمه التاريخيون الجدد، وكذا  
أنصار المادية الثقافية، لمفهوم جادامر  
السمي «انصهار الأفق»- fusion of hori-  
zons فإنا نرى أنه من بين المفاهيم  
الجمهورية التي تأثر بها عمل يابوس.

رثمة اختلاف آخر رئيسي يمتدق  
بالجماليات aesthetics. فطلى الرغم من أن  
الجانب الأعظم من انشغال المادية الثقافية  
والتاريخية الجديدة كان ينصب على الأعمال  
للتأثرية، الكلاسيكية القديمة؛ أعنى أعمال  
شكسبير برصه يحظى بأهمية أدبية خاصة،  
كان هناك ميل قوي، في الوقت نفسه، لنفي  
المكانة الخاصة عن النصوص الأدبية،  
والنظر إليها على اعتبارها بمستوى النصوص  
غير الأدبية. بيد أن الجماليات تبقى عنصر  
جوهرياً في نظرية التقى، على نحو ما يشير  
الاصطلاح الألماني Rezeptions thetik  
-(أي جماليات التقى، واتخذت سلسلة النشر  
الرئيسية لمنظري جامعة كونستانز «البروتيقا  
والتأويل Poetics and Hermeneutics

## نظرية التقى ونقد الاستجابة - القارئ



كين.م. نيوتن\*

ترجمة: سيد عبد الخالق

## نظريات الإبداع الغربى



وتفسر هذه النقطة الدافع من وراء تشديد ياونس على التقى. فطلى مدار الزمن، تصبح الأعمال الأدبية التي لم تكن لتصالح مع أفق توقعات جمهورها الأصلي مأثوفة داخل نطاق الثقافة الأدبية اللاحقة، وتصبح، أكثر مما تختلف، مع أفق توقعات قرائها الجدد. إنه لو يتبنى لهذه الأعمال أن تستعيد قوتها بوصفها أدبا، على نحو ما عرفه ياونس بأنه مصحلة الأعمال التي وتمنض استقبالتها عن، تغيير في الأفق، عبر نفى الخبرات المأثوفة، أو إصلاؤه الخبرات المتحفظة مجدداً إلى مستوى للرعى (TA, 25)، فإن القراء الجدد سوف يتحين عليهم أن يبتكروا جهوداً لتغذية ومحاكاة التقى الأصلية لهذا الأعمال، وبالتالي فإن الأمر يتطلب جهداً خاصاً، من جانبهم، لقراءة هذه الأعمال «ضد الطبع against the grain»، أو لنيل القطرى الذى يميز الخبرات الممتدة، بغية استيعاب السمة الفنية لها مرة أخرى. (TA, 26). وهكذا، فإن جماليات التقى، تقتضى تضمين العمل الفردى في نطاق «سلسلة أدبية» بغية الوقوف على دلالاته ومواقفه التاريخية في سياق تهرية الأدب (32، TA). ولكنى ندرلك لعله في أن عملا ما لم يندرج ضمن أفق توقعات جمهوره الأصلي، فإنه ينبغي علينا بداية معرفة ماهية هذه التوقعات التي كان يحملها الجمهور، وإماذا كان يحملها، الأمر الذى دفعنا إلى الوصل بين الفن والأيدولوجيا، على الرغم من أن ياونس هو وحده ممن تعرض لهذه النقطة:

«ليس الجديد مصنفاً جمالياً نحسب، بل إنه يصبح مصنفًا تاريخياً كذلك، عندما يدفع بالتحليل والديكرونى إلى منطقة أبعد، متسائلا عن ماهية التعلقات التاريخية التي استحدثت ما بعد جديدًا في نطاق ظاهرة أدبية ما» (TA, 35).

(وفى ختام مقالته، يناقش ياونس قضايا أكثر بعداً، تتعلق بالوظائف الوجودية والاجتماعية للأدب، فيجادل بأن:

خلال التركيز على «التقى، وتأثير العمل الأدبى يرى إلى العلاقة بين العمل وتداول جمهور للقراء له بوصفها علاقة حوارية على كل من المستوى الجمالى والتاريخى:

«يمكن التضمنين الجمالى في حقيقة أن التقى الأول للعمل من خلال للقارئ إنما يطمى على اختيار لقيومه الجمالية مقارنة بأعمال مقروءة تها، أما التضمنين التاريخى للرائض لهذا، فهو أن الفهم الذى يخرجه به أول قراء العمل، فهم سيبقى مستمرًا، وسوف يثرى عبر سلسلة من الاستقبالات، جيلا بعد آخر، وبهذا.. لتحديد الدلالة التاريخية للعمل وتضمن قيمته الجمالية». (TA, 20).

ويُعد مفهوم «أفق التوقعات horizons of expectations من المفاهيم المركزية التى اتكأ عليها فكر ياونس. فكل القراء يقرءون الأعمال الأدبية بتوقعات معينة نشقت من قراءاتهم المسبقة لأعمال أخرى، لا سيما تلك التى تنتمى إلى النوع الأدبى ذاته، وبينما الأعمال التى تتكبع بصدى أدبى قليل سوف تبدو منصجمة مع توقعات قارئها الأصلي، ومن ثم تظل باقية في حدود أفقه الخاص، فإن العمل الأدبى سوف ينهض على تقويض هذه التوقعات وتحطيمها ومن ثم لا يمكن تكيفها في نطاق هذا الأفق.

عنونا لها، وهى مجاورة تفكر عدم إمكانية فصل إشكاليات المعنى والتأويل، في نظرية التقى، عن تلك الاعتبارات الأخرى كالتبعية الخاصة لغة الشعر والشكل الأدبى. وقدم ياونس مقالته المركزية تحت عنوان «التاريخ الأدبى بوصفه تحدياً للنظرية الأدبية The literary History As a Challenge (Provokation) to the literary-theory». وفيها، يدعى ياونس تأسيس نموذج اتصال حيث المرسل والمستقبل على الدرجة ذاتها من الأهمية، ومن ثم يجادل ياونس بأن العمل الأدبى إنما يشأ فحسب عندما يمد خلقه، أو لترسيخه، في ذهن قارئه، فالنور الذى يلجمه مؤلف العمل، وكذا العمل بوصفه موضوعاً في حد ذاته إنما يحظيان من حيث الأهمية بصحوب أثل مما يحظى به «التقى، العمل» أن تأثيره في القارئ. العمل، من ثم، لا يمكن حصره على نحو مشروع في الفترة التى أنتج فيها، إذ يواصل تأثيره على أجيال للقراء التالية عليه، وكذا لا يمكن تخصيصه على قراء جدد بوصفه عملاً يتجاوز زمنه. وفى ذلك يرى ياونس نظرية التامل أو الاتكاس الماركسية بوصفها تنقذ إلى الكفاءة. فبينما ترى الماركسية أن وظيفة العمل الأدبى لاتصود كرهها وظليمة ثقافية تقليدية فحسب. يذهب ياونس إلى أن العمل يظل مدياً مجدداً عبر إحداث تأثيره الهولوى على الأجيال المتعاقبة، وبذا يترك العمل تأثيره التشكيلى على التاريخ. بالمعابة ذاتها، يحو النقد الشكلانى formalist criticism لياونس غير ملائم، إذ إنه «لا يرى إلى العمل الذى عبر التاريخ؛ أى إلى الأفق التاريخى لشأته وظروفه الاجتماعية وتأثيره التاريخى Toward an Aesthetic Reception (T. A 18)». ويكاد ينحصر معنى الشكلانية عند ياونس في مفهوم شكلولفسكى عن التعريب defantiarization الذى يحتاج الأشكال والأساليب الأدبية من خلاله أن تجدد ذاتها باستمرار في محاربة لمقاومة الأتوماتية automatization.

إن ياونس يحاول ابتكار نوع جديد من التاريخ الأدبى يستطيع أن ينهض على المصالح بين النقد الماركسى والشكلانى من

عام، وليس شمة ضرورية من قراءة نصوص أدبية على وجه الخصوص. قراءة الأدب، من ثم، هي فعل حر، a free act يولجها المرء من خلالاته، تلك للنصوص التي تنهض، تمديدًا، على تقويض الأيديولوجيات السائدة ووضعتها في حيز المسألة.

إحدى المشكلات الواضحة التي تعترض نظرية **هاوس** تتعلق بمدى إمكانية تطبيق النظرية على جميع المراحل الأدبية، فشمّة أصصال بارزة في للتاريخ الأدبي - إنهادة **شرجل** على سبيل المثال - Virgil's Aeneid - سيخبرونك بأنها تسهم في دهم الأيديولوجية للرسمية.

وليس شمة دليل واضح وقطع بأن هذه الأعمال لم تكن تقرأ على هذا النحو، أنصاف المادية الثقافية، وكذا للتاريخيون الجدد، بنظريةهم في المجتمع بوصفه سرًا على للقوة، يمكنهم رغم ذلك أن يخطروا إلى الصراعات والانقسامات، التي تتخلل ثانياً مثل هذا الأدب، والتي لم يكن للقراء، أو حتى المؤلفين أنفسهم، قد فطروا إليها. سيكون من الضروري لنظرية **هاوس** مع هذا افتراض أن شمة قراء معاصرين قد عاشوا عملاً أدبياً ما على به أساساً دهم الأيديولوجية السائدة بوصفه نقلاً لتوقعاتهم، وهو رأى يفتر إلى الإقناع، وشمة دفاع محصل من جانب **هاوس** قراءه، أنه في مثل هذه المحاولات يتحين علينا فهم «أفق التوقعات» بوصفه مظهرًا يثير إلى الجانب الفكري من الأدب في المقام الأول، وأن الأعمال الأدبية التي تدعمها ظاهرياً، الأيديولوجيات الرسمية لثقافتها على المستوى الدلالي إنما تخفق أسلوباً، أو بدنية «شكلية» تتصارع مع أفق توقعات الجمهور، هذه السمات الشكلية الأسلوبية - حالما يتم تفسيرها على يد مؤرخي الأدب، يمكنها أن تبدو وقد تضمنت مغزى دلاليًا. ربما لم يتمكن القراء الأصوليون من استيعابه أو تصوره - في حالة من الصراع مع المعنى الواضح للعمل، من غير المؤكد، رغم ذلك، أن مثل هذا الاندفاع سيصمد للنهاية إذا ما الصعب على جميع فترات الأدب، خاصة في بعض الثقافات غير الغربية، فضلاً عن أن



كارل بوبر



رولان بارت

ودور الناقد هنا إنما يتجهى في الكشف عن هذا الصراع للعمل لخلق نصوص ما، كي يصبح كل من الأدب والناقد اثنين لتحقيق تطور لاجتماعي أبعد لثراء، ولكن، في الوقت الذي تنزع فيه قضية التحرير إلى للصفة المباشرة أو الاجتماعية، تركت قضية **هاوس**، في أساسها، على الوعي للفردى، في عمله الأخير يربط بين لذة القراءة، العائدة على مستوى الفرد، وبين الحرية الإنسانية بوجه

«الوظيفة الاجتماعية للأدب، في أوضح إمكانية لها، إنما تعلن فحصب عن ذاتها حيث تدخل خبرة الفناون الأدبية في نطاق أفق توقعات ممارساته الصميشية، وتشكل فهمه للمالم، فيكون لها، من ثم، تأثير على سلوكه الاجتماعي كذلك». (TA, 39).

ثم يعقد مقابلة بين مفهوم «أفق التوقعات» ولفظة المالم عند **كارل بوبر** Karl = Popper's = Philosophy = of Science حيث التقدم العلمي، من خلالاته، لتتمخض عنه الفرض التي تكثت أمام الاختبار المستمر. ويرى «بوبر» أنه من بين النتائج القيمة والإيجابية للممارسة العلمية على وجه الخصوص أن تدرن للتوقعات عن كونها لا أساس لها من الصمة، على الرغم من اعتبارها عصباً جوهرياً في صناعة الفروض. ذلك أن تجربة كذلك إنما تجعل العالم وأصاً «بديورية» الحقيقة التي تقارم التأسيس الذاتي. وبالتالي **هاوس**، فإن الأدب يحمل هذه الوظيفة التحريرية عنها، وتجربة القراءة بوصفها أن تحرر المرء من تهايلات والتحيزات ومآزق الممارسة الصميشية، ذلك أنها تظم المرء بخلق جديد للأشياء، (TA, 41)، والمحصلة هي أن «الصمّل الأدبي» ذا الشكل الجمالي غير المؤلف يمكنه أن يخلق توقعات قرأه ويواجههم في الوقت نفسه بسؤال، هو في حقيقة الأمر لعل لما يظل بالنسبة لهم ناقصاً في الأخلاقيات المصدق عليها دينياً ورسمياً، (TA, 44). للتاريخ الأدبي يمكنه من ثم أن يجتاز الفجوة بين المعرفة التاريخية والجمالية باكتشافه، عبر التطور الأدبي، تلك الوظيفة للتشكيكية، لاجتماعياً وعلى نحو لائق، والتي تنتمي إلى الأدب فيما يتنافس مع فئتين وقرى اجتماعية في محاولة لتحرير الإنسانية من قيودها الاجتماعية والدينية والطبيعية، (TA, 45).

وبالإمكان أيضاً، أن ترتبط المادية الثقافية، أو التاريخية الجديدة بقضية التحرير هذه، وذلك من خلال تأكيد جدما على «الحقيقي» بوصفه بناءً تخلقت عنه الممارسات المتغيرة السائدة والتي يمكن تدويرها أو منافذها بواسطة ممارسات شبيهة.

## نظريات الإبداع الغربي



مكررة، المرحلة التفسيرية، الثانية، «لماذا ما تفترض مسبقاً بوجود إدراك جمالي بوصفه متهماً مقدماً»، ويذهب ياونس إلى أن مقارنة التأويلية يمكنها أن توجد بين التحليل البنيوي والسميوطيقى، الذى يتعلق بالأفق الأول، وبين أشكال التفسير الظاهرية والتأويلية، المتسقة بالأفق الثانى. ويرفض التأويل التاريخى التقليدى، أو كما يدعوه «التأويل الفيلولوجى للتاريخى - historic - Philo- logical hermeneutics على أساس أن المزل يحتمل إلى استبعاد تاريخيته الخاصة سبباً وراء الكشف عن المعنى الموضوعى القائم بال نص، فيما يعلى كذلك من شأن التاريخى في مقابل الجمالى بينما يرى ياونس الجمالى جوهرياً، ذلك أنه يمثل جسراً تأويلياً يظل على أساسه من خلال الأعمال التى تظل مقبولة على المستوى الإنسانى، وهو شيء، في ظنه، كان يحوز الأثار أو الوثائق للتاريخية التقليدية، بيد أن الجانب «التاريخى» للنص يحظى كذلك بأهمية محاذلة إذ «يحول دون اشتغال لنصوص الماضى» على نحو ساذج، لأهواء، ووقعات المعنى العاصر، وهو بهذا يمكننا من رؤية النص الشعري في تصرفه أو تبنيه، هكذا ينسجى على العزل العسمى وراء الأسئلة (الفاسمئة في مجملها) - «والتي كان النص في زمه، بعد مغالبة إجابة عنها - لم يربط بين هذه الأسئلة وأفق توقعات الجمهور الأصلى على مستوى كل من المعنى والشكل».

شوبرن المولى لابد أن يطرَح على النص أسئلة تنطلق من منظوره التاريخى الخاص، فسؤال: «ماذا يقول النص؟» يتحول إلى «ماذا يقول النص لى، وماذا أقول له؟» (TA, 146).

ويحتد ياونس أن نمط التأويل المتسبب إلى نادق مثل «رولان بارت R.Barthes والذى يشدد على ما يمكن تسميته «الغلب اللامتناهى لتداس حر» Interminable Play of a free . floating intertextuality من شأنه أن ينتج من القسرات ما لا يمكن احتجازها تاريخية أو جمالية، التأويل الأدبى على عكس ذلك «يفترض أن

المفسر، ومن وراء الكشف عن السؤال الذى يحمل النص إجابة حاضرة عليه يقدمها للمفسر، وكذا من وراء تكوين حكم جمالى على النص بالإمكان أن يقع به مفسرون آخرون».

ومع أن التطبيقات لا حصر لها، ينفي ياونس تماماً أى حضور لخطر الذاتية Sub-jectivism، ذلك أن الارتباط بالثقلى الأصلى للنص يظل قائماً، والاتجاه إلى الحكم الجمالى يشجع على حضور ذاتية تبادلية intersubjectivity. ثم يجادل بأن تمامنا مع النص كمشروع منفصل عن التاريخ هو على الأرجح تأكيد على الذاتية.

ويطبق ياونس مقارباته التأويلية على قصيدة «مشجر»<sup>(12)</sup> Spleen II لبودلير فيرى أن ثمة آفاقاً قرآنية ثلاثة تقابل أرجه التأويل الثلاثة سالفة الذكر، ذلك على الرغم من أن ياونس يحتقد أن ثمة تحديات متروية ينبغي إجراؤها على نموذج جادامر بغية للتعامل مع «نصوص ذات سمات - جمالية» (TA, 140). ويتمثل الأفق الأول في «الفهم المباشر للعمل في نطاق الإدراك الجمالى، أما الثانى ففى «التفسير الإنشائى الناتج عن ذلك الفهم» ومع النص الشعري فإن للفهم الجمالى يورجه لبدء نحو عملية الإدراك، تلك العملية التى تقتضى قراءات

تالفاً مثل جيمسون Jameson سوف يجادل لا ريب بأن الإبداعات الشكلية والتأويلية يمكنها فحسب، أن تدعم الأيديولوجيات السائدة على نحو بالغ المروعة والتعتيل.

ورغم أن ياونس يرى بعض التماثلات بين نظرية الثقلى من ناحية والتأويلية Structuralism والسميوطيقا Semiotics من ناحية أخرى، وجميعها نظريات تتشغل بالتأويلية - فإن ثمة اختلافاً مهماً يظل قائماً، ملحده، أن تأويل النصوص الغربية يظل مركزياً في نظرية الثقلى.

غير أن الهدف من التأويل «ليس اقتفاء أثر للنص رجوعاً إلى حالته الأولى أو جماعته الرئيسية Statement، إلى الدلالة المستخبة في ثدياه، أو إلى معناه الواضح، وإنما على العكس «فمعنى النص هو القطة التى تلتقى عندها بنية العمل وبنية التأويل المتجسدة باستمرار. بيد أنه لا يرمى إلى النصوص الأدبية بوصفها تخلف في اللوح عن غيرها من النصوص الأخرى من حيث كيفية تأويلها. إن التأويل وحدة ثلاثية للكونين؛ قوامها الفهم intellegere والتفسير inter-pretare ثم التطبيق applicare، فضلاً عن السؤال الذى يطرحه القارئ على النص بوصفه يرتبط بأى من الصيغ التى يستخلصها منه على نحو تكاملى، وهذه المقاربة تقيدية في التأويل؛ ينسب ياونس للفصل فى إدراكها إلى جادامر، بعد أن تم استبعادها لصالح بدائل إيجابية وتاريخية. يلبقى على القارئ إذن أن يستعمل تعامله مع النص الأدبى بلمحه له على مستوى جمالى ودلائلى، ثم يقيم تفسيره ثم يشرع على تطبيق هذه القراءة ضمن سياق محدد، ويتفاعل هذه الأنشطة الثلاثة فيما بينها. فالتطبيق يحدد شكل التفسير، والفهم لا يمكنه أن يفصل عن التفسير كلية:

«إن التطبيق يحسوى النشاطين الآخرين كليهما؛ الفهم والتفسير، بما يعوده من تشكيل للثلاثة من وراء إزاحة النص عن ماضيه، أو حالة تفسيره، ثم إدخاله إلى حاضر

رسوخ العمل الأدبي يتطور تاريخياً، ويحتج منطقاً معياداً يسهم في تشكيل وانتقال القانون الجمالي، كما أنه يدفع كذلك إلى التمييز الممكن بين التأويلات المحكية، وذلك التي تم الاتفاق على قبحها.

ويتعرض تأويل ياونس للهجوم من قبل البراجماتيين الجدد new pragmatists من أمثال ثاب Knapp وميخائيلز Michaels. وقرام هذا الهجوم أن التأويل لا يمكنه أن يصبح شيئاً آخر غير «تأويل تاريخي»؛ فصب، ما دام لا يطرح معنى أو فهماً ما إلا إذا افترض أن النص هو نتاج القصد الإنساني. إن افتراض ياونس بأن السرد بوسعه أن يقر استبعاد تاريخية نص ما، عند تفسيره، بنهر جزئي على الأقل، إنما هو افتراض يعوزه التماسك إذن. ولقد تخضع ذلك الجدل عن إشكالية سردياتها: أن الاختلافات بين المؤرخين (من أساليب التقاليد، وهارت، وياونس، لويس ترجع إلى تفاوت نظرياتهم التأويلية، وإنما إلى زواجر المضارضة حول ما إذا كان المؤرخ المعاصر يستطيع الالتفات من موقفه التاريخي عند تأويله نصوماً مكتوبة في الماضي. فالتاريخيون التقليديون يعتقدون في إمكانية المؤرخ، وهارت يؤمن بعدم إمكانية، أما ياونس فيعتقد في حدوث «انفجار الأفق» إلا أنه يذعن على الجميع محاولة تأويل النصوم بوصفها نتاجات تاريخية وقصدية، ولا. كما وجدان شاب وميخائيلز. فإن أنشطتهم التأويلية ستكون بلا معنى.

في تعرضه بالفحص الدقيق للقصيدة بودليير يناقش ياونس تراثها الشكلي ومنهجها الأسلوبية عند المستوى الأول من مستويات التأويل، وفي الثاني، يرتبط بين المستويين: الشكل والموضوعات. Themat. ic، ويركز على كيفية توظيف القصيدة للمجاز allegory وكيف أن هذا التوظيف كان من شأنه الجمع بين الشكل والمعنى. إن توظيف عبارات مثل: Je suis un cimetière أو Je suis un boudair (٢) إنما يأتي استجداءً لسطوة «الذات عبر الآخر» self through the alien

كما يمكن لنا أن نصوغها الآن: ego through the Id ويكتف الجزء الأخير من هذا التعليق النقدي، بخصمياته الفردية Freudian connotations عن نقاشنا ياونس بجعل القصيدة تتسمج مع واقع قارئها الحديث. وفي نقاشه للأفق الثالث من تألق التأويل، تاريخ تلقى القصيدة، يتعامل ياونس مع الاستجابات الخاصة بعدد من النقاش لاسيما استجابة «جوتيه» للمعاصر لها - Gauv- tier's Contemporary response فتقول بدلية إن السرد ويريد أن يطرح مثل هذه الأسئلة الآتية: أية توقعات، من جانب المعاصرين، يمكن لقصيدة «سبلون الثاني» أن تكون قد قامت على تأكيدها أو نفها؟ وكيف كان التقليد الأدبي، أو الموقف الاجتماعي والتاريخي للذات من المرجح أن يرتبط بهما النص بلوح من العلاقة؟ (١٧٠، T.A).

يدرك ياونس أن قرارة مادية للعمل قد تقتضى مجازة فحص استجابة شاهد عيان مثل جوتيه، كما تقتضى ربط القصيدة ببعولياتها وظروفها التاريخية، وإن كان يعتقد أن ذلك لن يكون ممكناً ما لم تلجأ إلى المجاز، أو «منهج المجازية» the method of allegoresis كما دعاها، ولذا لا يمكن أن يفصل جمال عن ذاتية المؤرخ ويحوز. إنه يفضل التركيز على قطيعة القصيدة مع الرومانسية وبشيرها بالتحليل النفسي بما يجعل من بودليير شاعر العصرية the Poet of modernity (٣).

ويبحث ياونس في نقاشه الاستجابات المختلفة للنقاد المعاصرين؛ التي تلقى بعنوانها على القصيدة والاهتمامات الثقافية لهؤلاء النقاد على حد سواء. فيجادل بأن السرد، في تأمله تاريخ تلقى عمل ما، لا ينبغي عليه الانشغال بأن ثمة تأويلات خاطئة طبقت على العمل إننا نحكم بضاً للتأويل حالما يطرح على العمل، «أسئلة غير منطقية، أو مشروعة أو موضوعية على نحو يخالف للصحة Falsely Posed، إذ تصبح الأسئلة مشروعة فيما يكون دورها كعقومات أولية في مسالحي التأويل، قابلاً للاهتمام لدخل النص، فالاستجابات المختلفة التي تحدث،

على المستوى التاريخي، ورسوماً تقديمياً للمعنى في صراع التأويل إنما تشهد على «تجرد الأسئلة المشروعة» (١٨٥، T.A) والأسئلة التي لم تطرح، فتفتح المجال أمام تأويل مستتبلى.

ربما كان تأويل ياونس منظماً على نحو يهازم جميع الصانح التأويلية الأخرى التي ناقشناها سابقاً، باستثناء منهج جومسون، رغم تجذبه مغالب لتناقض جومسون Jason's eclecticism. وربما جسدان التفكيكيون والماركسيون المعاصرين بأن التشديد على الجمالي يلزم ياونس بمنهومي الدرابيط المنطقي Coherence والوحدة Unity، فهو يشير على سبيل المثال إلى «كلية الشكل الحاسمة المنجزة»، وكذا إلى «هارمونيا تراث المعنى»، ومن ثم يرسى على وضع محافظ ضمني، يدرس الضوابط على «العب لحر» ويهمل شقوق وثغرات النص. ومن هنا، وعلى الرغم من إعجاب بول دي مان P. De Man بياونس إلا أنه يلتفت للنظر إلى أن ثمة حرام لغوية تندد بالتدخل في القوى التركيبية للنموذج التاريخي، يؤمن دي مان بأن علم الجمال لا يحوى النص. والبريطانيات بالنسبة له لا بد وأن تصارى بالبلغة حيث تستطيع لعبة الدال Play of Signifier أن تقوض الأبعاد الجرامايقية والمنطقية للغة، وهو مالا تستطيع مع علم الجمال بالدرجة ذاتها. ويرى كذلك أن اعتراضات ياونس على الصجاري بمثابة «تعليم لعلقة الوصل بين البوطيقا والتاريخ. وثمة اعتراض آخر يمكن لنا أن نستعرضه، فرغم التشديدات التي يفرضها ياونس على التلق، فإنه لا يبدو معنياً بالإشكالية الإخبارية أو التجريبية في اكتشاف استجابات معاصرة للنص ما، بل «أو أن ثمة استجابات معاصرة تتصارع فيما بينها، فكيف يمكن للمرء الفصل بينها؟ في قصيدة «سبلون» يتكفى ياونس بالتعامل مع استجابة واحدة للنص، يوظفها باعتبارها أساساً تأمله في التلق للمعاصر للعمل. غير أن السؤال، عما إذا كانت استجابة جوتيه مثل خاصية مميزة لغزته، أو ما إذا كانت هناك استجابات معاصرة بذيلة، سؤال لم يشر

## نظريات الإبداع الغربي



داخل النص، الشغرات والفراغات التي تقوم بين طبقاته المتعددة، مثل هذه الاحتمية، القصصية إنما تعد من المبادئ المركزية في تصور إيذر للجمايئات.

ركان رينيه ويهلك René Wellek قد أشار إلى العلاقة بين النقد الظاهراتي عند إنجهاردين وعلم الجمال المعنوي عند النقد الجديد New critical organicist aesthetics غير أن إيذر يفسب هذه العلاقة إلى الشكلانية الروسية Russian Formalism، إذ يجادل بأن مواجهة للقارئ بـ «الاحتمالات السفس» هو فعل تفريسي، فالقراءة يمكن تصورهما باعتبارهما عملية ديناميكية يمكن من خلالها مساهمة المعايير والشغرات التي تعكم فكر القارئ وتصوره، وذلك عبر مواجهة اضطرابية مع شغرات النص ولجملته، ومن ثم يمكن لقراءة الأدب أن تكون شغلاً تحريراً، ولكن، وكما هو الحال مع يواوس، هذا التحديد إنما يتم على المستوى الفردي أكثر منه على المستوى الاجتماعي.

تشى نظرية إيذر بأن مبدأ للاحتتمية لا بد من وجوده كإمكانية للنص بوصفه موضوعاً، على الرغم من أنه ينشط فحسب أثناء عملية القراءة، فمقدرة النص على التوصيل هي أيضاً تعتمد على «الاحتتمية»:

«دعة بديتان أساسيتان للاحتتمية في النص: الفراغات والمخزونات negations وهما شرطان مركزيان للتوصيل، ذلك أنهما يتحكمان في حركة التفاعل الصادر بين النص والقارئ، بل ويقومان على تنظيمه بدرجة ما» (The Act of Reading, AR, 182) وعلاقة القارئ بالنص تفترض إمكانية التفاعل إلا أن الفراغات، ترفق هذه الإمكانية (AR, 183)، ويرتبط التفاعل بكل من النص والقارئ، ذلك أنه جوهري باعتباره بنية كما يمكن مضاماته بمفهوم «الاستمرار الحسن good Continuation» المعمول به في مجال علم نفس الإدراك (AR, 185). ويعرض إيذر مثالا على فراغ النص من خلال رواية توم جونز Tom Jones: fielding

لا يخفى أن يكون هدف الناقد إذن «لتفسير العمل، بل الكشف عن الظروف التي خلقت آثاره المعتملة المتوقعة، إنه - أي الناقد - في كشفه عن إمكانات نص ما، فإنه بذلك للشابة ينجو من السقوط في تلك المسجدة للقائنة المعتملة في محاولة فرضه معنى ما على القارئ كما لو أن هذا المعنى هو المسحوق دون غيره، وأن تفسيره هو الأصوب على كل الأحوال ولين إيذر بأن النصوس الأدبية تمظهر في ثنائها متعددة من المعاني، إلا أنها متعددة لا يتجهها النص في حد ذاته، وإنما تأتي لتجلب لتفاعل النص مع قرائه، ومع يواوس، يحدد على توقعات القارئ؛ تلك الشغرات والمعايير المتوقعة التي يجلبها للقارئ على النص، وإن كان يرى أن للنص ببنيتها أو يضعها في حيز التساملة، وهذا يستدعي بطبيعة الحال أن يكون خيال القارئ حاضرًا في عملية القراءة حاضرًا إيجابيًا وليس بوصفه مستهلكًا سلبيًا للنص. ونقطة الخلاف الجوهرية بين إيستر وإنجهاردين تكمن في أن للدرسيخ عدد إنجهاردين، تكمن في أن للدرسيخ عدد إنجهاردين أي حاجة للقارئ لملء ما أسماء إنجهاردين «بالبنية المخططة، Schenatised structure، ينهض على أساس جمالية الوحدة للنية والتناغم الهارموني، أما عند إيستر، فإنه لا يتضمن استكمال ما يمكن تسميته بـ «الاحتمالات indeterminacies»

في مقارنة يواوس، إذ يكشف ذلك أن ثمة مثالية تبطن تصويره للتاريخ، وإن اعتماده لم يكن في الأساس يصب على للدرسيخ أو المعامل تاريخياً، وإنما كان يتوجه نحو استجابات الماضي التي عرخت فهدت له شائقة من وجهة نظر محدثة.

هذا، وقد توفش عمل يواوس. نسي الأوساط للناطقة بالإنجليزية بدرجة أقل من أعمال منظرين آخرين ممن ساهموا بدور لافت في نظرية اللغتي، مثل فولفانج إيذر W. Iser

وإذا كان جادامر يمثل تأثراً قوياً على يواوس، كما رأينا، فإن عمل إيذر يعمل في طياته تشابهات لافتة مع النقد الظاهراتي عند رومان إنجهاردين Roman Ingarden den، والاختلاف الرئيس بين يواوس وإيذر هو أن إيذر يحدد على عملية القراءة بدرجة أكبر من تشديده على اللغتي التاريخي للعمل، غير أنه، مثل يواوس، يرفض التأويل بوصفه اكتشافاً للمعنى الموضوعي أو الدلالة المستعينة في ثنائها النص، فلو أن النصوس لا تشمل سوى ذلك المعنى الذي يكشف عنه التأويل، فلن يثبت أمام القارئ غير التأويل مما يجب اكتشافه، ويؤمن أن معنى النص «هو في حد ذاته لا يحدو أن يمثل تجربة قراءة فردية، والتي صارت الآن تنهارى تماماً مع النص ذاته، لقد عول للنقد الجديد على التأويل بنية الكشف عن المعنى المخفي، دخل النص، أما إيذر فيعدي اعتراضاً على هذا، فالمره لا يكاد يكف عن الاندهاش؛ فما الذي يحكم على النصوس المخسور على لصبة كالاستعمالية مع موضوعها؟ ثم ما الحكمة؟ وهو الأمر الأكثر إدهاشاً من تغيير المعنى مرة أخرى حالما يكشف، رغم بقاء حروف وكمات وجمل النص كما هي دون تغيير، إنه يلجئ على التأكيد لإعمال عملية البحث عن المعنى وأن يدرك أن أية قراءة للنص هي فحسب «إدراك من عدة إدراكات أخرى محتملة للنص، وأن يسلم بأن المعاني إنما هي نتاج لتفاعل عبر إلى حد ما بين للنص والقارئ» وليس الخواص المخطبة بالنص.

عندما يخدع كاهن بليسبول أولوروشى، فإن الشذرات الواصلة التي تربط بين منظري شخصيتين مختلفتين تدفع فكرة أن الرجل الكامل تصوره الفخلة لأنه يقع في المظاهر. غير أن هذه الصورة لا بد أن تستبعد على الفور عندما يبيع توم الحصان الذي كان أولوروشى قد قمه له، ويرتبط المعلمين كليهما من الانحطاط الهادئ بهذه القطعة، لكن أولوروشى يصفح عن توم لأنه يظن. رغم المظاهر، إلى الدافع الخفي من وراء هذا الفعل. هكذا يثبت فشل فكرة أن الرجل الكامل تعوزه الفطلة، وينبغي من ثم اعتماد الصورة الأروية، أما الصورة الجديدة فهي صورة الرجل الكامل الذي تعوزه القدرة، الضرورية بغية صوباب الحكم وتهدير ذاته من أموره الخاصة.

استراغات النص ياراجها مفهوم الاستمرار للصن لتفريط الصدام بين الصور ومن ثم تساعد على إضافة (وفي الوقت نفسه: إثارة) عملية بناء الصورة، إلهام العلية التي تمنح هذه الصور مغزاهما الجمالي (AR، 187) والشذرات تحدث تشوشات أكثر جرورية، كى يبدو الطريق مسجوداً أمام القارئ بما يحول به وبين الاتجاهات المألوفة، فيما لا يخلو له، كذلك، حق للجره إلى اتجاهات أخرى غير مأروفة. (AR، 213)

المشكلة التي تعرض نظرية إيرز، شأنه في ذلك شأن يساوس من قبل، تتحلل بالمروفت من تلك الصور المكتوبة فى الماضى والتي تسود وكأنها تدهم الأيديولوجيات الصاندة في عصرها وتكسب مع معاييرها الأصلية. ويعين على إيرز أن ينجح أى الطرفين؛ فإما أن يعثر على وسيلة ما لتقديم «للاحتمية» فى نطاق هذه النصوص، أو يحكم على هذه النصوص باعتبارها الأقل فنية إذ ماقرنت بالنصوص حديثة الكتابة، وشمه مشكلة أخرى تتعلق بهذا

الطرح أيضاً، قوامها أن للقرارات المتكررة للنص سحر وكأنها تختزل «لاحتمية» وتقل بالتالى من قيمته الجمالية ولعل إيرز قد استطاع مواجهة هذه الجدالات باستدانة من نظرية ياهوس فى التلقى، كى يحدد موضع للنصوص تاريخياً بربطها إلى ترقعات قرائها الأسطيين ومن ثم يكشف عن احتمالاتها فى نقاش النص للقارئ، والتي قد لا تكون بادية من وجهة النظر المحددة. وربما استطاع أيضاً السجادة بأن نظريته تملأ تصيدان القارئ أهمية نصوص معينة، لأنه لم يمد قداراً على ممارسة مستوى من للاحتمية بسم بكتافته فى قراءته لها، ولكن بوجه عام، فإن نصوصاً محددة، من عصور متكررة لا سيما العصور الوسيطة والكلاسيكية - سوف تصنق للفناني حول نظرية إيرز.

ولنطوى نظرية إيرز، فى تركيزها على ثغرات وقراءات وحذرات النص، على بعض التماثلات لنظرية ماشهورى - Ms- cherey وإن كان الأخير ينظر إلى فجوات النص لا من خلال علاقتها برعى القارئ أو الخبرة الجمالية وإنما بوصفها أضرماً لتاريخ مقسوم، وبما تضاروا لأيديولوجية النص لإنهاء ما قبله يحسن على الناقد إظهارها ويكشف ذلك من اختلاف جوهري فى النظر إلى وظيفة الأدب، ويهاجم توم إيرز إيجلن (Eagleton) إيرز بقوله:

«لنحس نظرية إيرز فى التلقى على أيديولوجية إنسانية ليبرالية؛ وهى اعتقاد مفاده أنه ينبغي لنا أن نتصف بالمرونة وسمه العقل أثناء القراءة، وأن نكون مؤهلين لوضع اعتقاداتنا الخاصة فى حوز المساملة والاشكالك، وأن نسمح لهذه الاعتقادات بالدخول».

ويرى إيجلن أن قارئ إيرز المنز لا بد للقطع أن يكون ليبرالياً؛ إذ يتمحض عن فعل القراءة، على هذا النحو، نوع من الموضوعات الإنسانية التي يفرضها فعل القراءة مسبقاً كذلك، للاحتمية عدد إيجلن تفرنا فصب إلى إنتاج نوع جديد من الوحدة وليس إلى مساملة المفهوم الكلى للتراث الجمالي والتناغم الهارموني، ولاشك

أن إيرز يرفض كلا من فرض إيجلن بأن قولنا لشرعية الاعتقاد معناه أننا لم تكن نتمسك به على نحو من القوة فى الأساس، - وكذا التهامه بأن النظريات المؤسسة على القارئ تكشف عن تفكير إيرز فى الفكر المنظم هذه المزاعم، كما يراها إيرز، إنما تد علامات لافتة للفكر الماركسي غير العملي doctrinaire Marxism والمترجم بتعريف محدود للمعقبات التي يجب أن يحكم إليها الأدب وأن اعتراض إيجلن على نظريته إنما يتمثل فى الإجابات التي تضمنتها النظرية بأن الأيديولوجية والحقيقة لا يتصلبان. إن وظيفة الأدب عند إيرز وظيفة سلبية أو نقدية لنحو رئيسى، بمعنى أنها تقوم على تفويض الأيديولوجية على نحو مستمر، بينما سلبية الأدب فى الماركسية تمد ظاهرة بورجوازية فمعدنا لتتصر الماركسية سياسياً لا تكتفى - على حد زعمهم - سلبية الأدب كلية، ويصبح النقد شكلاً إيجابياً من أشكال التاريل.

### ● نقد الاستجابة - المارز

شمه اختلافات مهمة كذلك بين نظرية التلقى ونقد الاستجابة. القارئ، ستعرض لها من خلال نقاشنا لعمل لورمان هولاند N.Holland وستايل فيش S.Fish. وفى معرض نقد إيرز لجادل هولاند - وهو ناقد تحليلي لمسى فى مجال Ego - Psy- chology. بأن إيرز، رغم تشديده على دور القارئ، فإنه لا يناقش استجابات القراء الفعليين للنصوص الأدبية. يؤمن هولاند أن مفهوم إيرز عن «القارئ المضمن Implied reader». ذلك الاصطلاح الذى يجمع بين البنية المتقدمة للمنى المحتمل الذى يطره للنص، وتحقيق القارئ الفعلى لهذه الإمكانية من خلال عملية القراءة. إنما يطنى على جوهره أن لم يكن يمنع فى حسبه انه الصفردات العملية لاستجابات القراء الحقيقيين، ويراف نموذج إيرز بوصفه نشألاً ثنائياً bi-active، بحيث تنفصنا «متخالية من المخططات بالنص إلى تأسيس كلية جامعة لما مثله هذه المخططات من جوانبه» ثم يقارن هذا النموذج الذى يتحكم

## نظريات الإبداع الغربي



نظرية «النشاط الثقافي»؛ كالتقى عند إيسنر، أو الأسلوبية التخيلية عند أسيش Fisin's affective stylistics، حيث يميل كل من للنص ودراسة، (القارئ، أو السامع، أو الراي، مما على إنتاج الاستجابة، إنما هي بمثابة قفزة واسعة لنظرية هولاند، وإن كانت تطرئ على مشكلتين أساسيتين: أولاًهما أنها بالمثل نظريتان وأبست نظرية واحدة؛ نظرية جديدة تخص نشاط القارئ، وأخرى قديمة وهي النشاط النصي والتي يحدث من خلالها النص تأثيره على القارئ، وثانويتهما أنها ليست محتملة من جانب نظرية الإدراك، إنني لا أرى السطور أولاً ثم أقدر أنني سوف أقوم بتأويلها، كما لو أنها كانت مظاهر مستحيلات، بل إنني أقبل كل ذلك في عملية واحدة متصلة، أي أنني لا أرى السطور دون مخطط لروايتها (PR 366).

ويزعم هولاند أنه لو عن لنا تجميع الاستجابات الحرة لقراء النص لرأينا أنها لا تجمع فيما بينها حول شيء مشترك، وأن الاستجابات المشتركة إن وجدت، فإنها لا تكون ستكون وبنود عوامل ما مثل سلطة المطبعين، لا بد للقراء، إذن، أن يقبلوا التأويل بوصفه تفاعلاً شخصياً بين «هوية القارئ الفريدة، والنص، وتلسم نظرية للنفسية المعاصرة، كما النشاط، مع النظرية النفسية المعاصرة، كما يجادل هولاند، فضلاً عن تبريرها، كلا من أصلية استجاباتها وتوحيدها، وكذا إحاطتها لها عبر التقاليد المألوفة، يمكن للمرء إذن أن يتكى أثر ذلك فيستخدم مفاهيم تحليلية مثل «الووية» بغية الربط «بين تفاعلات الأدب والشخصية» (R.P. 367). ويجادل هولاند أيضاً، بأن ذلك النهج «ان يقودنا إلى اللبسية relativism وإنما إلى ذاتية لهابلية؛ أسلمك أن أعيرك مشاعري وعلقاتي، وأن أسمح لي بتبريريها إلى ذلك عبر القصص كى ترى ما إذا كانت هذه المشاعر والعلاقات سوف تكرر تجربتك (R.P. 368)، وبينما يرفض المحافظون حقيقة أننا جميعاً نقرأ بطرق مختلفة، فإن الناقد، ممدى النشاط يحتمن هذه الحقيقة، بشيء من الحبور «بدلاً

بحسب «دوين» نفسه - عن حل الشفرة الأسلوبية للنص، غير أن لاكان يضع تحليله للنص محل دوين (361 RP) أما دريها، ففي ظني أنه يكتب بدافع من الصلابة إلى إثارة الشك، وليس الإيمان (R.P.362).

ويستمر هولاند في تأمله للنظرية لمارسته التأويلية فيقول: إن الناقد - في النقد ممدى النشاط، «يحمل بالتكامل على أساس تفاعله للشخصي مع النص، غير أن هولاند يخطئ، فحسب، مع نقاد آخرين في قبوله أن الناقد ليس أمامه خيار آخر، وإنه يعتمد كلية على ملاحظته بالنص (RP363). وتلطق عن ذلك حقيقة جوهرية تتعلق بمسودج للقراءة، قرأها أن «كل قارئ يستجيب للنص بطريقة مختلفة رغم أن للنص ذاته يمثل كما هو دون تغيير، وبينما يسمى مفهوم إيزر عن «القارئ الممتن» إلى استبعاد علاقة الآثار الشخصية بالنص، يسمى هولاند لتطبيقه والتأكيد عليها، ويزعم أن نظرية القراءة المسماة text - active أو «النشاط النصي» نظرية مألوفة عند كل من أنصار التقديرة والنقد الجديد، وهي تتكرح:

«إن ثمة استجابة عادية تحدث تجاه النص، وهي ما يلجأها للنص ذاته... لا تطابق ما نعرفه عن الإدراك الإنساني تماماً، بمعنى أن هذا الإدراك فعل تكويني، حيث نفرض من خلاله مخططاتنا الخفية للخاصة على بيانات فهمنا» (PR.364).

من خلاله النص في استجابات القارئ باللمودج «ممدى النشاط Trans - active»، والذي يبادئ القارئ من خلاله بالاستجابة ويحتجها. التראה في نقد الاستجابة - القارئ (عند هولاند) هي إذن تفاعل شخصاني من جانب للقارئ مع النص حيث لا يوجد انفصال جوهري بين دوريهما.

ويكشف هولاند عن آثار هذه النظرية على التأويل، في مقاله له عن عمل: إدجار آلان بو «الخطاب المسروق» Poe's Purloined Letter ونظرًا لأن نظريته تنهض على إنكار الانفصال الجوهري بين القارئ و النص، فإن التأويل لديه يعمل على أساس الترابط الشخصي وهكذا، يقتضى النص علاقة شخصية، والتي بمعنى هولاند في تطويرها:

«يذكرني دوين بـ «برومثوس» الذي يحمل اسمه معنى للتبر، والذي سرق ذلك الشيء المقدس؛ بلونه الأحمر الأسود، مثل هذا الخطاب الملكي قطعة فحم مدرجة مخبئة في ساق الثمر الهائل.. هذا الدوين برومثوس يحسب العلاقة بين الآتية والبشر، بين الفارق والطبيعي، بين الرجل والمرأة».

ويبقى هولاند لهجة شديدة الشخصانية في إفصاحه عن علاقته بالنص في هذه المفردات المسرفة في الذاتية: «إنني أحب هذه القصة حبى لتعصب هولاند ذلك أنني أستطيع أن أكون «دوين»، هذا الذي يجب به شخص ما، كما أستطيع أن أكون الراوى الذي يحب «دوين»، والمحبوب من قبله أيضاً Re. Covering the Purloined Letter (RP.359). بل إنه يرغب في ذلك إلى مدى أبعد، فربط بين تركيز القصة على محاربة إخفاء شيء وبين حقيقة انغماسه الشخصي في ممارسة العادة السرية في من الثالثة عشرة، والذي كان يحمله على «السرية» أيضاً ويفسر القراءات التي حوزها نقاد آخرون على النص بوصفهم يمتلكون أساساً شخصياً مماوياً لما لا يمتلكه هو، حتى ولو كانوا يستجيبون للنص على أسس موضوعية. وهكذا يحدث لاكان Lecan كما



من اختلافه قراءات ما بغية تصنيفاتها أو إلغاء بعضها، دعنا نلخص من التفارقات الإنسانية، فنجعلها تصنيف استجابة إلى أخرى. نخصب الإمكانات المخفية للنص، ونترى التجربة الكلية، (R.P 370).

ويحسب هولاند أن الاعتراض الذي يوليه نظريته في العمل الأول شخصها عن نتيجة قراءتها أن كل قراءة للنص تصبح ذاتية بالتأمل، وبمفردة "ذاتية"، لا تتلقح على الإطلاق، غير أنه يرفض أن يكون للتأويل بالنسبة له عسوائياً تاماً، ولكن... إذا كان النص عند المرء هو الذي يخلق المضارب، فإن المضارب، عند هولاند، تتخلق داخل القارئ، ومن المفاهيم الجوهرية في رؤيته للقارئ مفهوم "الهوية"، في التحليل للنفس. إنه يقبل تصور الذات Subject والتي يحد تصوراً مركزياً في "علم نفس الأنا"، أحلى أن "الأنا"، تسمى لإحداث انسجام هارموني بين مقتضيات العالم الداخلي والخارجي، إلا أنه يكافئ هذا التصور بزعمه أن الهوية تعمل على أساس العلاقة الجدلية بين المتصالح والاختلاف، الهوية إذن هي الـ Theme. أي النبضة الثانية لأسلوب شخص ما على ما يفعله. وهي الترويض على هذه النبضة، والأدب يمكن أن إصاذه خلق هوياتها، ذلك أنه يسمح لنا بالتفاعل مع النص عبر طرق أربعة: الدفاع defence، التوقع expecta- tion، الخيال Fantasy، النقل Transfor- mation، ما يخصها هولاند في أكرونيوم، حرفي (ب) DEFT:

إنه يمكن للمرء فهم "التوقع"، باعتبارها إرساء للعمل الأدبي في سياق أمنيات الشخص، في زمة، أما "الدفاع"، فيضني على العمل معنى مجازاً لهذا الزمن، وعلى نحو مشابه، أرى إلى "الدفاعات"، بوصفها العوامل التي تشكل ما يسمح للمرء باستقباله من الخارج، بينما "الخيالات"، هي ما أرى أن المرء يطردها من ذاته إلى العالم الخارجي.

هولاند يحاول أن يجيب دور المنظر في فهم ووصف هذه العملية، ففكرته ينبغي أن تتوافق مع ذاته أحياناً بوصفه مفسراً للقارئ، فوجادل قائلاً: قراءتي لذلك وظيفة لا بد تفحصي وحدى، فأنا ذات لست استعجاباً بل

علاقة: العلاقة الممكنة الانتقالية بين الفراغ الذي أتركه من خلاله شخصاً ما باعتباره ثيمة، والترويض على هذه الثيمة.

وعلى الرغم من تنوع استجابات للقارئ، للأدب، يرى هولاند أن مفهوم الذات يسمح للمرء بالحدوث على "نموذج ما" بين هذه الترويضات، وعلى هذا، فإنه يدرسه مجموعة من استجابات الأكاديميين لقصة ما، ويكشف أنه بالرغم من تشابه قراءاتهم في بعض الجوانب واختلافها في الجوانب الأخرى، فإن حلجهم المشتركة لإعادة خلق ذاتهم هي التي ولدت هذه للقراءات، سواء أكان ذلك بالنسبة للأسئلة الحقيقية المتعلقة بالقصة، أو تلك التي كشفت عن تنوعات الاستجابة، وهكذا يستخلص أن "كلام" الاستجابات الذاتية والموضوعية إنما ينفق من قلب عملية واحدة؛ حيث الذاتية Sub- jectivity تشكل الموضوعية Objectivity، إن الذات تعمل على أساس ما يسمى: دائرة التغذية المرتدة Feedback loop:

"خلاصة القول إن الشخص - الذات - يمكن على اللروض في فهمه - القصيدة، وتستجيب القصيدة لهذه اللروض، ويغير المرء بما إذا كانت هذه الاستجابة إيجابية أو غير ذلك، ومن ثم يخلق الذاكرة، مهيئاً لإرسال فرضي آخر حول القصيدة".

ولمسرات، لم يكف هولاند عن إجراءات التعديلات على نظريته كي يجعلها تثبت أمام ما يواجهها من انتقادات، وهذا يثبت أن نظريته بشعين عليها أن تناضل ضد رؤية مضطربة لقراءة لها بوصفها "ضد بدوية، Counter - intuitive"، إذ إن ثمة مغالطة عديدة بين القراء، للعاديين منهم والمثقفين، ضد التحليل عن الرأي بأن للنص الأدبي يتضمن خصائص موضوعية، كما أن النظرية تطرح مدى محدوداً أمام الجدال التأويلي؛ ذلك أن بوزة النظر قد تحورت من النص بوصفه موضوعاً إلى مطلقة استجابة للقارئ، وبدون أن هذه المشكلات لا تسمى النظرية بالضرورة، كما أن الانتقادات التي

يواجهها هولاند باستمرار إنما تثبت، بحق، إلى تعرف القارئ من أن هولاند "ربما كان على حق". لقد اعتاد النقاد أن يقرضوا غموضهم الخاص على النص، من خلال سلطة التأويل، أما في نظرية هولاند، فإن للنص هو صاحب هذه المبدأة، وهو الذي يقوم بتساؤل المرء، وهذا كان الناقد موضوعاً للتأويل شأنه في ذلك شأن النص، وربما بدت هذه المقاربة من جانب النقاد لهذا الطرح وكأنها تصارح أن تكفي التأويل واسع النطاق الذي حظيت به نظرية هولاند في المشهد الأدبي.

على مستوى نظري أكثر دقة، يمكن لنا القول بأن هولاند رغم كونه مصيباً في رؤيته إلى النص بوصفه عملية "تكوين"، يقوم بها القارئ، إلا أنه يؤكد تأكيداً صريحاً على القارئ بوصفه فرداً في الوقت الذي يعجز فيه عن تقديم تحليل وإف تحقيقية أن النص المقصود - كما كان هذا النص - إنما هو نتاج اجتماعي في الأساس، وأن أية علاقة بينهما القارئ مع هذا النص إنما تتحدد أحياناً على المستوى الاجتماعي. إن التفاعل مع نص أدبي لا يمكن من ثم أن ينهض على ذاتية للمرء فمصعب، فالنص يطوى على "غيرية" ما، لا باعتباره موضوعاً مجرداً؛ متضمناً معنى في حد ذاته، وإنما باعتباره إن ثمة اتفاقاً اجتماعياً عاماً يطلق بوضعية الخطاب الذي يمثله وبكذا ترويض الضغوط التي تتحدد المعنى داخل هذا الخطاب. عندما يقرأ المرء نصاً ما، يصير هذا النص من ثم حريضة لقراءة اجتماعية ذات تأثير جازم على معناه للدلالة وسياقته Contextualisation؛ تلك التي تعد للنص بعني الفردية المستقلة نسبياً عن القارئ. إن للقارئ حرية نظرية في أن يهمل هذا، وأن يسمح للمفردات بأن تتحصن من العلاقات ما يمر إلى تفكيره، أو ما يترجم منها على طرد اعتبارات الموقفة أو الأهلية على السواء... ولكن الأمر يختلف على مستوى الممارسة العملية... فكل من سيجربون على فعله، ذلك إن لم يكرهوا، بالطبع، جزءاً من تجارب هولاند على علاقة المرء.

## نظريات الإبداع الغربي



سيستمر للقراء - وأحبب أن استمرارهم هذا سيكون على نحو مبرر - في رؤيتهم إلى النص بوصفه «أخر» على الرغم من صواب هولاند في جداله بعدم إمكانية الفصل بين الذاتي والموضوعي في التأويل.

ثمة إشكالية أخرى، وهي أن رؤية هولاند لملائقة القارئ - النص، إنما تعتمد على نظرية خاصة من نظريات التحليل اللغوي، وهي نظرية مضادة - تقول بأن «الأنا» منقسمة على ذاتها بدو لا يمكن تفاديه - سوف تقودنا إلى رؤية مغايرة لتكيفية تفاعل القارئ مع النص - مفهوم هولاند للذات يمكن أن يثير عليه وبالأخص الهجوم من قبل أنصار «الكان»، على سبيل المثال، بوصفه مفهوماً ماهيرياً (essentialist<sup>(\*)</sup>)، ومن ثم، فمن المرجح أن يركز الجدل تحديداً على صلاحية أو عدم صلاحية نظريات التحليل اللغوي المختلفة التي يضع لها أي تطويق محكم للنص أدبي، وفي هذا السياق، ثمة ما يدين قوله إزاء محاولة إيؤز تعريف للقارئ تحريفاً فيومونولوجياً، ففي ذلك ما يجنبنا التعرض لمشكلة ضرورية للصل بين نظريات التحليل اللغوي المتنوعة للموضوع وجدير بالملاحظة أن هولاند، مع هذا، لم يكن محمياً بنظرية التأويل في حد ذاتها، وإنما بمحاولة تطويق الأدب في الأغراض السلاجبية من خلال فحص استجابات القراء بطريقة DEFT (المشار سلفاً إليها). ومن هنا - فإن إحدى مزايا نظريته هي أن التأويل النقدي لاستجابات القراء للأدب بوصفه أن يلعب دوراً في التحليل النفسي مثابها لتفسير الأحلام.

وكما أسلفت، فإن ستانلي فوش هو والد مذهب الأسلوبية التأثيرية، والتي يصفها هولاند بأنها نظرية «النشاط الثقافي»، ومن غير المرجح أن فوش - عبر موقفه النظري الأخير على الأقل - سوف يقبل أن تكون أساليبها التأثيرية - بوصفها منهجاً تاريخياً - نظرية مزدوجة النشاط، إن كل النقاد المعاصرين ممن تناقش معهم ينظرون فعلياً إلى أنفسهم بوصفهم يمزجون بين النظرية والتطبيق مجتمعين، في تقدمهم الخاص، غير

للقراءة على نحو مؤقت، وإنما تنشأ من ثم نتيجة التفاعل بين النص «وتوقعات القارئ، وإسقاطاته وإستغلاصاته وأحكامه وإفترافاته إن السعنى يكونه «معاداً تعريف كحدث أكثر منه كياناً» (It, 3) فإنه يتكاتف مع خبرة القارئ بالنص، وخبر ما يمتض عنه هذا الرأي من أثر هو أن المعاني التي يمكن استغلالها من بين ثلثايا الوجدات التركيبية لا يجوز، على سبيل المبدأ، أن تغتد - وقتاً - إلى الفاعلية حتى يتوصل المرء إلى نقطة انفلاق تركيبى عندما يتحين أن تتكاتف المعاني أو تستجبد لصالح السعنى التكللى - حقيقة أن أحداً قد يضطر إلى مراجعة معنى ما، صاغة غيره من قبل، - عندما يتوصل للمرء إلى نقطة انفلاق تركيبى - إنما هي حقيقة لا تلتفى السعنى الأول، فتعاقل السعنى هذا، هو سمة من سمات النصوص الأدبية وبالتالي فإنه يبرر مقارنة زمينة للقراءة مثل الأسلوبية التأثيرية .. ذلك أن الشكلانية الجديدة - New critical formal-ism يستغنى إلى مثل هذا التفاعل افتقاداً تاماً.

ويمتدح فيش، مع هذا، أنه وقف موقف الدفاع عن نفسه ضد الاعتراضات الموجهة إلى منهجه، وكان مضطراً لإزاءها إلى اللجوء لجدالات لم تكن مقنعة، وذلك استناداً إلى موقفه للتطوير المتأخر، وعلى سبيل المثال، فإنه كي يواجه الجدل بأن تقديم ذاتية القارئ وفتح الباب أمام اللسبية، كان عليه أن يزعم أن جميع استجابات القراء للنص لا تخضع في شيء، وأن الاختلافات، إن كان ثمة منها، فإنما تنشأ فحسب عندما يتأمل المرء لاحقاً شئون التأويل، وهو موقف في جهره - لا يختلف عن الشكلانية التي يتخذ منها موقفاً مضاداً على المستوى اللغوى، (It, 7) ذلك أن النص الذي ينتج استجابة موحدة لابد وأن يكون نصاً زائفاً، لقد أبقيت على التمايز بين الوصف والتأويل، وبهذه الصفة، أكدت على تكامل النص وموضوعيته، (It, 8) ولقد كان هذا التمييز ضرورياً، ذلك أن فوش يؤمن بأن ذاتية القارئ لا بد من ضبطها.

أن فوش يجادل بضرورة اللظر إلى النظرية والتطبيق على اعتبارهما نشاطين مستقلين ضمناً، فهو يعتقد أن النظرية ليس لها آثار Consequences أو لواقع وباللظر إلى مسار فوش النقدي، فإن كل ما يمكننا أن نراه إنما هو سلسة من التطورات المستمرة على المستوى النظري، بل التزام بالأسلوبية التأثيرية بوصفها شكلاً من أشكال الممارسة التأويلية إلا أن ثمة تفسيراً على المستوى النظري قد دفع إلى ظهور رؤية مغايرة لتبرير هذه الممارسة.

يولى فوش اهتماماً مفيداً بمنهجه ويتطور موقفه النظري في مقدمة كتابه المكون بـ «هل ثمة نص في هذا الفصل Is There a Text in This Class»، تمثيل الأسلوبية التأثيرية بمهجه للتركيز الأدبي من منطقة النص إلى القارئ، ويمتدح فيش أنه في البدء كان يرى للنص باعتباره كياناً مستقلاً عن القارئ، وهو موقف مشابه لموقف إيؤز. وجل لنشغال فوش ينصب على القراءة بوصفها عملية مؤقتة Temporal، وفي عمله المبكر، كان عليه أن يواجه رفض النقاد الجدد لذاتية القارئ بواسطة «الغاطلة» التأثيرية affective fallacy وكذا التزامهم شكلاً فراغياً، وهي رؤية تحث على ضرورة اللظر إلى النص الأدبي باعتباره يتواجد عدد نقطة زمانية واحدة، وليس يتطور مع الوقت، وهو يجادل بأن المعاني تتحقق في عملية

وكانت المرحلة الأولى من مراحل تخليه عن موقفه هذا قد بدأت برفضه للرأي بأن لغة الأدب تختلف تمام الاختلاف عن بقية الخطابات الأخرى، فرفض أن الأدب لم يزل مقبولة، فإن هذه المقولة لا بد وأن تكون مفتوحة، لا تتحدد باختلافها أو بإعمالها حقيقة مقترحة، أو بسيطرة العجائز والاستعارات وإنما بما نقرر أن نفعهما به، في بساطة (It II) وبداءً على ذلك فإن القارئ هو الذي يصنع الأدب (It II) وإن كان لا يمتلك هذه إمكانية إلا إذا كان جزءاً من مجتمع القراء.

وهذا بدوره قد دفع إلى ظهور وجهة نظر قوامها أن التمييز بين النص والقارئ لا بد من إعماله، والتخلي عنه، ذلك أن أحدًا من الممارسين لا يمتلك شيئاً مستقلاً في الاستراتيجيات التفسيرية interpretive strategies لا توضع في حيز التنفيذ بعد القراءة، إنها مثل هيكل الكتابة ولأنها كذلك، فإنها صنع النصوص أشكالها، تصنع النصوص أكثر من كونها تنشأ عنها كما هو مفروض غالباً (It, 13). وهذه الاستراتيجيات التفسيرية ليست ذاتية تماماً، وإنما تنشأ عما يمكن تسميته به «المجتمعات التفسيرية، Interpretive Communities» أي مجموعات القراء الذين يتشاركون في الاستراتيجيات التفسيرية لنفسها، وهكذا ينكر فووش أن نظريته تفتح الباب أمام الذاتية أو النسبية، بل راح يزعم أن نظريته هي من القدرة بحيث يمكنها أن تبرر رفضها أو قبولها للتأويل.

إن الجانب الأعظم من عمل فووش النظري كان قد تكبر لإظهار أن كلاماً من نظريته «النشاط النصي، والنص مزيج النفاذ، كاترينين تأويليتين، مستخدماً لاصطلاحات هولاند». إنما يتقدم إلى التماسك، ويمكن إعادة صياغتهما باصطلاحاته هو (أي فووش نفسه)، ومن هنا، فإنه في نقده لعمل إيزر، يجادل بأن تمييز إيزر بين النص الأدبي بوصفه اتجاهات أو إمكانيات جمالية مجمعة، وبين القارئ بوصفه محققاً أو منتجاً للموضوع الجمالي في عملية المواجهة، إنما هو تمييز

ينظر إلى الترابط المنطقي، وي طرح نقاشه من خلال تعرضه للشرح لتطبيق إيزر على شخصية أوليوس في رواية تيم جونز التي اقتبس منها سلفاً. فووش أن موقف إيزر يعتمد على الكمال الإنساني بكونه متناقضاً لما يمكن إدراكه من قبل المرآة، ذلك أنه، عدد هذا الحد، يمكن في الإمكان إدراك كل من منظوري أوليوس ويهلويل على اعتبارهما يتفترقان إلى التماسك غير أن فووش يجادل بأنه من السهل تصور قارئ لا يرى تناقضاً بين الكمال والنقص من جانبه. وبالنسبة لهذا النوع من القراء، فلا وجود لفرغات النص التي يميزها إيزر، أما إيزر فيعتقد أن هذه الفرغات أو الشغرات لا بد وأن تكون موجودة بالنص، حتى لو اضطر القارئ لأن يحققها بنفسه داخل النص، ولكن فووش يذهب إلى «أنها استراتيجيات التفسير هي التي تخلق هذه الشغرات التي يكتشفها في النص، ويستخلص أن الشغرات لو أنها غير قائمة بالنص، وإنما تظهر فحسب (أو لا) تظهر» للقارئ بوصفها محصلة لعن من الاستراتيجيات التفسيرية الخاصة. فلن يكون ذلك تمييزاً للجنة بين ما يهتمه القارئ أو ما يقرره النص، فالقارئ عتدلاً يقرر كل شيء.

ولكن فووش ينتقد إيزر على مستوى النظرية فحسب، وليس على مستوى الممارسة التأويلية، فمقاربة إيزر للمادة صياغتها بأسلوب فووش مقاربة مقبولة تماماً، بل وتنطوي على تشابهات لمقاربة فووش، ذلك أن كليهما ينطوي تحت لواء «المجتمع التفسيري، إنقاذ الاستجابة - القارئ، وهكذا، فإن اعتماد إيزر بشغرات النص يمكن معناهاته بانفعال فووش بالتشغرات المعاداة في عملية القراءة، والتي تتضمن عنها الانلاقات المتبرمة للمعنى، ويجادل فووش بأن شعر هربرت Herbert's Poetry على سبيل المثال «يعمل على توجيه القارئ نحو استخلاص تفسير ميسر، والذي يتم تحديه في إيديولوجية ثم استبداده لاحقاً، بطريقة ما من شأنها أن تجعله مد». أي من هذا الاستخلاص - مجرد فهم أصق.

وشمة تضمنين آخر لروية فووش القائلة بإمكانية الفصل بين النظرية والتطبيق، بالخص على أن القارئ ليس مصنفراً لقراءة النص بالطريقة التي يقرأ بها فووش نفسه. ويجادل بأن نظريته ليس لها آثار أو لواحق في أشكال أخرى من أشكال الممارسة النقدية، وإن كان يزعم هذا بطبيعة الحال أنها تحتوي على أشكال هذه الممارسة، والسبب من وراء ارتفاع اللوم بشكل تأويلي محمد دين غيره، لا يعتمد من ثم على نظرية تأويلية عامة وإنما - بدرجة كبيرة - على رؤية الفرد لماهية اللقطة من وراء تأويل الأدب، وقد أوضح فووش أن القراءة، بوصفها نشاطاً تفسيرياً، هي هذه اللقطة التي يراها، وأنه يعتمد على الذعة «المند إنسانية، الضمنية التي تميز الاتجاهات الشكلانية، ومن بين ما يتسط بهذا الصدد، فكرة أن الفصل بين القارئ والنص يمكنه أن يدفع المرء إلى مساهمة افتراضاته الجوهرية وأن يعرض عن الاشتغال الشديد بالذات، ومن ثم يكتب فووش في صدد نقاشه جزءاً من «الفردوس المفقود، Paradise lost الجزء IV الأدبيات من ١٢:٩، قائلا:

«يبدو المقطع وكأنه يضع تبة للسقوط كاملة على كامل إيليس وهذا اللهم، مع هذا، لا بد من مراجعته عندما يصل القارئ إلى السطر الثاني عشر، فيكتشف أن الفقدان المتصور إنما هو فقدان للشيطان اللعيب، إن الفهم الذي يفتح على القارئ الإقلاق عنه فهم يبدو جذاباً بالنسبة له، لأنه يؤكد على براعة، أبوية الأزلين، والتي هي، بشيء من الاتساع، برامته الشخصية كذلك» (It, 4).

هذه التجارب إنما تضعف القارئ على تأمل استجاباته الخاصة، فتعثر من ثم إمكانية الفصل بين النقد من ناحية والنقد الذاتي من ناحية أخرى، وبوضوح، لا بد للتوقع أن يكون عنصرًا جوهرياً في هذه العملية، ولكن... بينما النص عند إيزر بنية حقيقية يمكنها أن تثير التوقعات وتهدمها في آن، فإن التوقعات عند فووش تتكامل مع الاستراتيجيات التفسيرية التي يجعلها القارئ على النص، ولإرجاع في ظلنا أن فووش هو

## نظريات الإبداع الغربي



يرضى أبداً أن تصبح اللغة التي يراجعها تقارير منهجية على المستوى الاجتماعي والتاريخي، ورغم أن ثمة تفاصيل بين اعتمادات القارئ وبين مفردات النص المبينة تاريخياً واجتماعياً - والتي تتكايف مع قوة الأخير - فإن قوة هذا القارئ - إن لم يكن مريضاً نفسياً - لكي تفرض اهتماماته الخاصة، أو اعتمادات المجتمع التفسيري على النص إجمالاً، سوف تكون هي الأخرى قوة محدودة، بكلمات أخرى، فإن النص يتضمن درجة من الغيرية، حتى لو كانت هذه الأخيرة منتج بناء اجتماعي وتاريخي وليست غريبة، خلاصة..

ويرفض فوشن أن نظريته تدفع إلى حصر النسبية أو التشكيك Scepticism، بدعوى أن المرء، تحمياً للدقة، لا يستطيع أن يكون شكياً للسبب صونه الذي يصنع من أن يكون نسبياً، ذلك أن المرء لا يستطيع أن يجاهد عن اعتقاداته وفقراته الخاصة التي تتخضع عن كونها أقل سطوية عليه من تلك التي يحتفظها الآخرون، أو تلك التي كان يحتفظها هو شخصياً، (It, 361).

ولكن، رغم تناقض النسبية كاعتقاد؛ بمعنى أن المرء لا يعود نسبياً باعتقاده مثل هذا السيد، لا تقدر نفسه - فإن ذلك أن يمنع شخصاً ما من اعتماد النسبية مبرراً لرفضه ممارسة لعبة التأويل فإنه حتماً يتورط في تفصيل قراءة على أخرى انكاد على بعض المبادئ، ولكن نتائج تشديده على المؤسسة الأدبية المنقسمة إلى «مجموعات تفسيرية، منفصلة والتي تنكذب النص من خلال استراتيجياتها التفسيرية، فضلاً عن رفضه السماح للنص بأية درجة من درجات الغيرية، كلاهما يبدوان في محفلين للجدالات الشكية والنسبية الزائفة أن التفسير الأدبي ليس هو للضباط الأمل، لأنه ليس هناك أي شيء آخر يمكن تفسيره.

إن زعم فوشن بأن النظرية لا آثار لها أو لواقع. وهو الزعم الذي له تأثير كبير على البراهمانيين للجدد - The New Pragmatists - يناقش بقوة، على الرغم من اعتماد على تعريف محدود للنظرية بوصفها:

فتمت القارئ الذي يحظى بالعد الأدنى من الإلمام بالشعر الديني في القرن السابع عشر أن يصنع أنه يجابه قصيدة للشمس إلى هذه الليرة - بالطبع، هذه الأسماء سيجن على القارئ بتأزما قبل تأويلها، اعصداً على نقل فوشن للام، ولكن، قدرة القارئ على البناء ستعود محدودة لتحقيق أن هذه الأسماء مبينة بالفعل، تاريخياً أو اجتماعياً، وهي حقيقة تحول دون بناء القارئ لهذه الأسماء بطريقة ما توجه يرى إليها على اعتبارها جزءاً من قصيدة للقرن السابع عشر الدينية، حتى لو كان لدى هذا القارئ توقعات ما عدد مواجهته هذه القصيدة، وربما كان من الممكن قبول موقف للشعر السابق، لولته كان السبب على أزمة الشعر بوجه عام، غورته، في اعتماد فترة معينة من فترات الشعر للتوضيح وجهة نظره، فإنه قد سمح للحدوث المعوقة للقارئ بأن تظن من نفسها، ذلك أن أي قارئ قادر على استيعاب مفهوم الشعر الديني بالقرن السابع عشر سوف يمتلك حتماً وسائل الإدراك على مستوى الأسس الأولية على الأقل - التي تكشف له عن نواحي الانصراف حالماً بشذ قطع لغوي ما عن طبيعة اللوح الذي يقرؤه.

تضلع النصف في موقف فوشن النظري إنشا تتمثل في إيجائه بأن للنص لا يطرح أي لون من المقارمة في مواجهة القارئ، حتى لو أشكر فوشن أن ذلك هو مقصده. إنه لا

الدائد الذي تعرض للجمود بدرجة لم يتعرض لها ناقد أو مظهر قبله، لا سيما فيما يتعلق بمزاعمه أن النص ليس له وجود مستقل عن القارئ، وأن النظرية ليس لها آثار أو لواقع، وأحسب أن فوشن قد استطاع أن يرد على نفسه هذه الاتهامات للموجهة لنظريته، بيد أن اقتناعه بأن المثل يكتب - أيضاً - النص الذي يقوم بتأويله، يظل من الصعب قبوله دون تبرير كاف، وتبرير لهذه الزوية، يشرح فوشن كيف أن طلاب أحد الفصول الذي يدرس لها، كانوا يتوقعون أن يتعاملوا مع الشعر الديني الإنجليزي في القرن السابع عشر، فراحوا يقرءون قائمة من الأسماء كان قد دولها على السبورة لفصل سابق، بوصفها قصيدة دينية من قصائد القرن السابع عشر ومن ذا يستجيب أن التأويل ليس فن استدلال، بل فن بناء. فالمرء لا يمكنه شغرت الاقتصاد، وإنما يصنعونها (It, 327). وظاهراً، يبدو فوشن وكأنه يفرس للقارئ قوة كلية، غير أنه، في الصفة التالية، وهو يناقش ما إذا كان ثمة اختلافات سطوح أو أن قائمة الأسماء اختلفت، فإنه يطق قائلا:

إن الطلاب، بوصفهم يقيمون على اعتقاد جازم بأنهم يراجعون قصيدة دينية، فإنهم سيكونون بالتقدير بحيث يحيلون أية قائمة من الأسماء إلى الفرض الشعرى الذي تشكل للقصيدة المتناولة الآن، ذلك لأنهم سيكونون قد انتهوا من قراءة الأسماء ضمن الافتراض بأنهم صارفون مسبقاً بالذلات المسبوبة، (It, 328).

المباراة الرئيسية هنا هي «بوصفهم يقيمون على اعتقاد جازم، فذلك التبرير يلعب دوراً في تقويض للتطرف الواضح في موقف فوشن، أفلى ظني أن النص ذاته يطوى على درجة معقولة من للتأثير على اعتقاد القارئ على مدار تسعين في المائة من الوقت المستغرق في صلية للقراءة.

ويمكن استيعاب ذلك بسهولة بالرجوع إلى قائمة الأسماء التي دولها فوشن، فلا جدال في أننا لو أضفنا إلى القائمة أسماء مثل هيتلر أو بينتوهرن أو جيمس هيندكس،

«محاولة لتوجيه التطبيق من موقف فوقي أو خارجي.. محاولة لإصلاح التطبيق بتجويد الاهتمام، باستبدال المنظور ضيق الأفق لبعض الرؤى السلبية أو المتحيزة بمنظور العقلية العامة التي يخدم لها الفرد أزماء ومصنفاته المحددة على مستوى السياق».

ويرى فيش أن للنظرية، بهذا المعنى، أن تدعج إذا لا يمكنها سوى أن تستعير مفرداتها ومحتواها مما تزعم أنها جازتته، عالم التطبيق المتقلب، العقيدة، الافتراضات، وجهات النظر، إلخ (Consequences 438) ومادامت النظرية غير قابلة للنجاح، فإنها لن تخلط آثاراً ورامها من توجيه أو إصلاح للتطبيق (438، C). رؤية ممارسة تطبيقية سوف تتلوى في ذاتها على مبادئ تأسست بدافعها، وهي كافية بما يدعم هذه الممارسة لأداء وظائفها. ولو عرفت هذه المبادئ بوصفها نظرية، فإن للنظرية عندئذ سوف تختصن كل شيء على لمر عملي، ومن ثم يكون من المستحيل أن نقيم أي تمييز مفيد بين النشاط النظري وغير النظري، إنه يعترف أن أية ممارسة لابد أن تنهض على عدد من الافتراضات، إلا أن الاعتقادات ليست نظريات. فالنظرية انجاز خاص من منجزات الوعي، أما الاعتقاد، أو العقيدة Be-heief فليس الوعي بها يمثل شرطا جازما على الإطلاق. (443، C) ويرفض أن تكون النظرية وحدها هي ما تدفعنا إلى «تصدير العقائد أو الافتراضات» (447، C) أو أنها تمكّن أو ترجه مسار الممارسة التطبيقية، فهو فعل يدفعنا إلى الزعم: إما بأن المرء قادر، بنحو ما، على اتخاذ موقف ما لا يعتمد جلي افتراضات أو عقائد، وهذا ما يزعم فيش بأسماحاته، وإما أن هذا التصدير يمكنه أن يحثوي غايات النظرية باستمالة الوعي الذاتي للتدوي، وهو ما يرفضه فيش على أساس أن أي شيء يمكنه عمليا أن يدفع المرء إلى إصانة النظر في عقائده وافتراضاته الجوهرية وليست النظرية بحسب هي مانع إلى ذلك، ويجادل فيش في النهاية، بأنه

رغم تصوّر التطبيق لدى نقاد ما بواسطة النظرية، فسيُزَن ذلك إنما يكشف عن أن «الموضوعة Thematizing تبقى هي الموضوعة الأولى للنقد الأدبي، وأنها.. بوصفها حدثاً، يمكنها أن تدج عناصرها في النظرية بقدر ما يمكنها ذلك في أي شيء آخر (451، C). وعلى الرغم من أن ذلك يعد من قبيل «آثار النظرية»، فإن فيش يرفض ذلك؛ فالنظرية أصبحت مجرد شكل من أشكال التطبيق، ولكنها لا تشكل التطبيق».

موقف فيش حول فصل النظرية عن التطبيق يمكن أن يبرره من جانبنا فهم أن النظرية حالما تستغل بوصفها جوهراً لشكل من أشكال التطبيق فإنها تتمثل إلى عقيدة، وهي يمكن تنسيطها على للدوام بإنارة الأسطة حول الافتراضات المسبقة التي تبطن للتطبيق وفي استطلاع هذه المزايم ومحاولة تجزئها تصبح العقيدة نظرية مرة أخرى وبالإمكان عندئذ مقارنة بين النظرية والاستمارة metaphor، إن الاستغلام للوعي، في شموله، يمكن اعتباره مثكاً أسسه في الاستمارة، إلا أن ذلك يبدو غير قابل للإدراك لأن الغالبية العظمى من الاستمارات هي في الحقيقة استمارات مينة؛ فهي تامل كما لو أنها صنقت بحسب على وصف الواقع، وعلى تصور مداهن، فسيُزَن الخطاب يمكن النظر إليه باعتباره مثكاً أسسه في النظرية ولكن، عند التطبيق، تصبح النظرية هي السبحة، وتعمل عمل العقيدة فسيش يرى أن للنظرية لابد أن تتصرف، لتضع المجال للتطبيق، ومن ثم تصبح عقيدة على الدوام، حتى لو أن المرء يسعى، على نحو مستمر، لمسألة العقيدة كي تبقى نظرية، فإن للنظرية سوف تتصرف عند التطبيق وتتحول إلى عقيدة، للعقيدة لذلك تخلف النظرية لذلك، والمنظرون الممارسون من أمثال جاك دريدا Derrida وأصغر لهذا وهم لذلك لا يكتفون عن محاولة تأسيس خطاب نظري يرجع على ذاته، (قائم بذلكه)، وذلك بحسب اصطلاحات ومفاهيم جديدة، وتوظيف لغة مازجة أو ملهرفة على نحو ما

نوهت سلفاً. لقد أورتنا اللغة النظرية مبدلاً من الاستمارات المينة. الأيديولوجيا، الرغبة في القوة، الرابط الموضوعي والتي كانت تستخدم كساو أو أن مبدلاً واضح تمام الموضح، ودريدا نفسه لم يستطع الانفلات من هذه العملية، ذلك أن تصدراً لممارسة تفسير وتطبيق عمله قد حولوا نظريته إلى حافة من العقائد، وهكذا، فإن الاصطلاحات النظرية التي صاغها دريدا وعدد آخر من المنظرين الحاليين. كالاختلافية - differ-ance، والأثر trace، وأساليبيات الاحترام strategies of Containment والمجموعات التفسيرية وغيرها. جميعها قد عانت المصير ذاته الذي تعرضت له اصطلاحات أسبق عليها، كالأيديولوجية، على سبيل المثال.

نظرية فيش «العند نظرية» anti theo-ritical أي كونها بلا آثار، ليست محصنة هي الأخرى ضد هذه العملية. فهي عند التطبيق تتحول إلى عقيدة كما يعترف فيش صراحة، ولكنه لا يستجيب إلى الاستخلاص غير السريح والذي مفاده أن هذه العقيدة، شأن كل العقائد، لا يمكن أن تفصل عن الاعتبارات السياسية. ويمكننا الجدل بأن تطبيق زعمه القائل إن النظرية لا آثار لها، إنما يدفع إلى مساسلة الغرر الراهن، وتقويض كل الممارات الزامية إلى القول بأن النقد الأدبي يمكنه أن يحدث تغييراً اجتماعياً وسياسياً جوهرياً. ورغم أن فيش قد هاجم سادة النقد التقليدي، وأظهر تأييده للتفسير من جانب بحكم معظم اللغويين بكونها غير مثبلة ولا يمكن التمسك بها، فإنه، رغم ذلك، يرى هذه الأشكال الجديدة من التأويل بوصفها قد جمعت في دستور أدبي موسع، يعترف هذه الأشكال ويؤلف بينها، كما قد يؤكد ممثل هذه الأشكال، وكان التأويل الأدبي الذي استطاع بقوة أن يتعدى للتصور الأدبي والنظام الاجتماعي في السنوات الأخيرة هو نقد الأنثوية Feminist Criticism، ومعظم من يمارسون هذا النقد سوف يرفضون أية محاولة للتوصل بين النظرية والتطبيق. ترى. هل استمارات

«الأنثوية، كنظرية أن تحول لوتوجه مسار التطبيق؟ أم أنها فحسب أوجدت لنفسها «مجتمعا تفسيريا، آخر، أخذ مكانه بين المجتمعات الأخرى داخل النظام الأدبي؟» ■

#### الهوامش

\* كين . م. ديوتن: ناقد ومحاضر بجامعة دوندي Dondy ومن أهم مؤلفاته:

١ - دجرج إليوت شاعرة الرومانسية الإنسانية، ١٩٨١ .

٢ - «نفاذ» عن للتفسير الأدبي، ١٩٨٦ .

٣ - «قارئ» للنظرية الأدبية في القرن العشرين .

٤ - «تأويل النص» ويمثل هذا المقال الفصل السابع منه - Interlerting the text - . ١٩٩٢ .

(١) اختصار العنوان لـ «مقتبس الوارد» مغشوعاً برقم الصفحة، ويكرر ذلك للنهج على مستوى العمل، والإشارة خشية الوقوع في لبس الاختصارات. (م).

(٧) أي: «أنا أقر»، أنا مخدع.

(٣) لفصل من جانبنا ترجمة modernity بالمصرية، تميزاً لها عن اصطلاح modernism، «الحداثة».

(٤) الأكرونيم acronym لفظة أولية تؤولف من الحروف الأولى لمجموعة من الكلمات، و DEFT هي الحروف الأربعة الأولى من الدفاع، والدوق، والخيال، والنقل.

(٥) أي يقدم للمساهمة على الوجود، وهذا يناقض الوجودية.



# يا طالع الشجرة

## هات لي «معاك» سمكة

### حلمى التونى .. واستلهام التراث الشعبى

الحياة .. جدلية للخير والشر وعقيدة الخلود.

وعلى صغاف النيل الخالد أرقوت شجرة الفن الشعبى وتغلقت جذورها فى رحم الأرض ومن تبار الزمن .. وعبقى المكان وإبداع الإنسان نمت قروعها

#### محمد إبراهيم

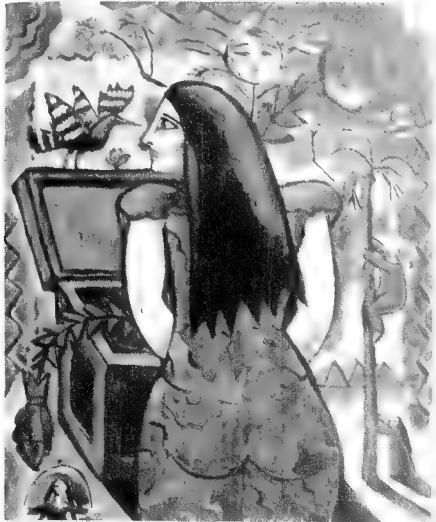
تزوج أوزيريس من إيزيس وست من نفتيس ومن هذا الصيغ الأسطورى كُون المصرى لتقديم تصوراته عن

**فا** بين أمواج المحيط الأزلوى العظيم المتلاطمة ظهر (رع)

إله الشمس و (نوت) إلهة السماء و(جب) إله الأرض ثم تزوج (جب) من (نوت) وأنجبا ولدين: أوزيريس وست وأبلتين: إيزيس ونفتيس، ثم



حلمى التونى .. وروحة من محرمه الآخر .. بطون: صلهوى الدهشة .. امرأة واللحلة والهدم والصبية .. والقمر الأم.



وفى محاضرة أقيمت بمتحف  
 الفن الحديث.. يذابر ١٩٥٤  
 يطرح الفنان التشكيلي الكبير  
 راغب عياد وأحد الذين يرموا  
 فهم شطر الموروث الشعبي فى  
 بدايات القرن العشرين.. يوضح  
 راغب عياد مفهوم الحياة  
 الشعبية كمصدر للإلهام والإيحاء  
 قائلًا: «إن إعجابى عظيم  
 بالاستعراضات الشعبية مثل  
 حفلات العرش، والحفلات الدينية  
 المتعددة الأشكال والمتنوعة  
 الألوان، كالمولد، وما تقدمه لنا  
 من أنواع الفرح والمرح الشعبي،  
 وما تعرضه علينا من مشاهد،  
 مثل عرائس وفرسان المولد، ومن  
 الدُمى المصنوعة من العُلوى فى  
 ملابسها المزركشة، التى تجلب  
 الفرح، إنها تعبيرات «أولاد البلد»  
 فى إنسانيتها، نرى فيها صوراً  
 مجسمة حية لمشاعرهم  
 وسذاجتهم البريئة المجردة عن  
 كل ذنب، والعرائس رمز المولد  
 ما هى إلا صورة من تفكير  
 الإنسان البسيط الذى لم يتعقد،  
 والذى يفعل، ويعبر عن أنفعاله  
 فى بساطة ويسر... من  
 تضاعف الجور الشعبى بمروره  
 وإلحائه وخطوطه ولمساته  
 الدابضة تبرز أعمال الفنان  
 المصرى حلمى التوتى بمدقها  
 الشعبى الأصيل.

غير أن القضية التى طرحت  
 وفرضت نفسها على التوتوى  
 وغيره من الفنانين والأدباء  
 وأمّحباب الفكر هى ما الذى  
 يأخذه من التراث؟ وما الذى



الشعبية تأملاته وعادته وتقاليده ومن  
 للتراكم الحضارى لهذه الذاكرة تأصل  
 معنى التراث وتفرع إلى: تراث أدبى..  
 تراث موسيقى.. تراث فلسفى ثم التراث  
 الشعبى وهو المحور الذى يعنينا من  
 محاور الإبداع المصرى عبر التاريخ.

وتشابكت أغصانها وتكاثفت ظلالها  
 تفتش دروب الصحراء، وامتمت رحيق  
 الحضارات وتعددت ميلاد مصر:  
 مصر الفرعونية.. مصر القبطية.. مصر  
 العربية الإسلامية من رحلة الميلاد  
 لاختزن الإنسان المصرى فى ذاكرته





يدعه؟ ثم ما هي علاقة التراث بمسليات عصره من تغير في التقاليد.. الطرح.. الأسلوب؟

تراث حضارى منسوخ وتيارات عصر ومن ثوابت التراث ورسومه ومفردات العصر وإيقاعاته الالامنة تبلورت قضية التراث والمعاصرة.. كيف أحقق هذه المعادلة الصعبة هذا السؤال طرحه الفنان حلمي التوتنى على نفسه وإبداعه قبل أن يمسك بفرشاته يحركها فوق فراغ لوحاته.

فقد عكف التوتنى خلال منظره الفني وقناعاته الذاتية وعشقه لهذا التراث على تحديد بوصلته الفنية حتى لا يضل طريقه وملهجه الفني وشاهد شجرة الفن الشعبي الوارفة الظلال بجذعها العتيقة تخرج منها هذه فروع متباينة الاتجاه: إحياء التراث.. طبيعة التراث.. استلهاهم التراث..

واستلهم الفنان حلمي استلهاهم التراث وهو اختيار يمثل أهم ركسائز الطرح الإبداعي لديه.. ومع دنيا الفن السريعة بالحس الشعبي تعاورنا وتعادلتنا لوحات التوتنى عبر الموتيقات الشعبية الموحية:

### موتيف شعبي (١)

حصان ذولون يميل إلى السواد تحتل به فتاة عارية بيضاء اللون من غير سوء تملأوج خصملات شعمرها داخل مستطيل.. مساحات لونية داكنة عليها أنية يخرج منها زهور

وأوراق وأسمك، وعلى حافة المستطيل يقف همدد رشيق على وشك الطيران.

### موتيف شعبي (٢)

حصان تغلوه سمكة ضخمة زرقاء اللون تخرج من فمها زهرتان تكونان

نصف دائرة، ثم إناء به زهرة وتحت رأس الحصان تقف فتاة.

### موتيف شعبي (٣)

حصان يرتكز على قدميه الخلفيين ويعلو برأسه وجذعه الأمامي إلى أعلى في حالة نشوة وتشاركه

### موتيف شعبي (٥)

حصان يلتفت إلى اليمين  
تستقر على ظهره أنية من  
الزهور، يجاروه هدهد ثم تتكاثر  
زخارف ذات مخالق هنجسي ثم  
ترقد ببضه ذات ظل أسود.

### موتيف شعبي (٦)

حصان ذو نظرة صادقة  
ترقص فوق ظهره فتاة رشيدة  
القوام يحيط بها من كل جانب  
أعلام وزهور ومستطيل لوني  
وأسماء صغيرة.

### موتيف شعبي (٧)

مستطيل يهبط من أعلى  
اللوحة ترقد فيه كتلة هلامية  
على أرضية ذات لون أبيض  
مشوب بالاضضرار تترأى من  
ثناياها هامات النخيل كأصداه  
لونية.. ثم يتداخل المستطيل مع  
مستطيل آخر من خلال لون  
داكن ينتهي بلون فاتح تتوسطه  
سمكة مكنتزة الجسد ذات ظل  
حاد.. جو من الصمت والسكون  
يلف جو اللوحة كما يحيط بهذه  
العناصر ألوان داكنة، قصد بها  
الفنان تركيز حركة العين لدى  
المتلقي ليكشف لديه حساسة  
التأمل.

### موتيف شعبي (٨)

هدهد يفرد جناحيه يغطي  
بريشة سيدة عارية ذات شعر  
ثائر.. تتخلق حولهما عناصر  
ذات دلالات ورموز.. نخيل..  
أهرام.. أسماء كتصاعد.. سيدة  
منضجمة.. عالج الفنان مفرداته



أسفل مساحة لونية داكنة تحيط  
بالحصان ومن ثنائياها نرى مجموعة  
من الأسماء والزهور الصغيرة خلقت  
نوعاً من الحوار البصري من خلال  
التذبذبات اللونية التي اقتشرت فضاء  
اللوحة.

فتاة تردد بجسدها حركة الحصان  
نفسها ورجل صغير الجسد يرتدى  
طريرشاً، ثم إزاء وزهور وأسماء.

### موتيف شعبي (٩)

حصان يقف في حالة انتباه.. سمكة  
تسبح في فضاء اللوحة.. زهور طالعة من



بخطوط مجردة حادة مثل جناح  
الهدمد.. الأهرام وزايفها بخطوط  
ذات إيونة وطراوة مثل جسد  
المرأة.. اللخيل.. مما خلق جواً  
من الحوار الخطي، ثم تكبدى  
براعة الفنان في المقابلة الفنية  
بين حركة ودينية جناح الهدمد  
وشعر المرأة.

#### موتيف شعبي (٩)

فتاة يحيط بها مستطيل لوني  
تجلس فوق ظهر حصان يقف  
شامخاً.. رف عليه باقة من  
الزهور، وأسفل الحصان ترقد  
صخرة تائية فوقها طائر على  
وشك الطيران.

#### موتيف شعبي (١٠)

مستطيل تنوسطه سيدة  
تمتطي حصاناً تمسك طفلاً  
يرتدى طربوشاً.. طائر تخرج  
من قدمين ثلاث وردت تقع  
أسفل الحصان سمكة يخرج من  
فمها زهر وعند ذيل السمكة توجد  
بيضة.

#### موتيف شعبي (١١)

حصان يهيمن على فراغ  
اللوحه يلتفت برأسه ناحية  
اليمين، كأنه يحدث كائنا  
مجهولاً فوق ظهره يبرز وجه  
فتاة ذات شيفيرتين وعيدين  
هائمين، وتحت الحصان نجد  
أحد الراقصين يختال بثيابه  
الشعبية المضاغطة تجاوره سمكة  
حمراء ثم زهور تخرج من أول  
تكردد في مناب اللوحة.

#### موتيف شعبي (١٢)

فتاة عارية ينسدل على كتفها شعر  
ثائر.. عيناها شارفتان تعتلى ظهر  
حصان يقف في حالة انتباه وتجادل  
الحصان الهندسي في اللوحة مستطيل يحيط  
نصفه الأمامي بالفتاة يخرج من مستطيل  
أكبر يوطر مساحة اللوحة.

#### موتيف شعبي (١٣)

حصان له وجه فتاة أصداء أسطورية  
من روى الزمان يحيط به مربع ثم طائر  
أجلكه على وشك الطيران وأتية ملأى  
بالثمار وفي جانب اللوحة الأيمن تقف  
أتية زهور على رف يخرج منها غصن

### موتيف شعبي (١٥)

حصان يتقمص شكل الدمية  
تمطيه فتاة، تتداخل فوق رأسها  
دوائر ثلاث متقاطعة أحدثت  
ذبذبة خطوية، ممسكة بوجها سيقاً  
يقطع خط الأفق يحدها مستطيل  
اخفى ضلعه الرابع وراء الحصان  
والفتاة ثم تتفاعل عناصر متعددة  
تخلق نوعاً من الحوار الهامشي  
على حواف اللوحة مثل: سمكة..  
هدهد.. بيضة..

### موتيف شعبي (١٦)

أنية تخرج منها أوراق  
منفحة وزهور صفيرة تنكئ على  
حافة بلكونية يحيط بها مستطيل  
فاتح اللون يمثل للمتلقى بوزة  
اللوحة حيث تستقر العين عليها..  
يسبح المستطيل الفاتح في بحر  
من الألوان الداكنة.. الهنيء..  
الأسود.. الأخضر المائل إلى  
الزرقاء.. مزانة بعناصر زخرفية  
مختلفة وزهور.. نصف فتاة..  
سمكة تسبح.. حصان يركض..

### موتيف شعبي (١٧)

حمام شعبي تجلس فوق  
ظهره عروس كحيلة العينين  
تصمل باقة من الزهور الحمراء  
وعن يمين العروس فتاة تلهو،  
وعن شمالها علم مصر القديم  
بهلاله الأبيض ونجومه الثلاث  
ومساحته الخضراء.. والعروس  
والحمام بلونين الأبيض  
والأخضر، يهيمن على هذه  
المفردات مستطيل تغترش  
أرضيته لون أزرق لكن يندثر  
عليها زهور صفيرة بدوائر  
بيضاء وسيفان نخيل تتعاور.



جنبات اللوحة وفوق أرضية داكنة اللون  
تتناثر عناصر مكتسوة؛ طائر  
على وشك الطيران.. زهور تطل  
على فضاء اللوحة.. سمكة خضراء يحف  
بها لون أبيض مشوب بالأخضر.

أخضر ينللي برشاقة وزهرة زرقاء اللون  
ترمي بظلها على الجدار.

### موتيف شعبي (١٤)

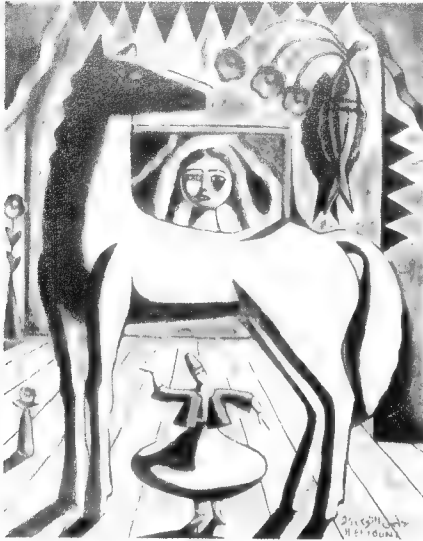
حصان نعتلى ظهره فتاة مرتدية ثوبا  
أخضر يحيط بها مربع، اخفى أحد  
أضلاعه عدد مؤخرة الحصان، وفي

## موتيف شعبي (١٨)

جاموسة ضخمة تبتلع فراخ  
للورحة فلاحة تمعليها.. أهرام  
صغيرة.. نذلة يتدلى منها  
أسماك.. وحدلات زخرفية تتداول  
في تصاعيف اللوحة.

## موتيف شعبي (١٩)

سكة ضخمة حمراء اللون  
تشق فضاء اللوحة وفوق ظهرها  
تربض فتاة حمراء.



ومن هذا الحشد من العناصر  
وتراكم الموتيفات الشعبية وبين  
ركام الخطوط واللمسات والألوان  
نتعرف على منهج الفنان حلمي  
التسولي وملاحم وقسمات  
إبداعه والمتأمل لرحلة اللونى  
الإبداعية وتداوله الراجى  
للموتيفات الشعبية وتوظيفها  
وتسويقها بحس تصويرى بالغ  
العمق يتفق مع ما أشار إليه  
«توماس مونرو» فى كتابه  
«التطور فى الفنون»  
حيث قال «ومن الجلى أن الفن  
فى مجمله، أى المجموع الكلى  
لمنتجات الإنسان الفنية، يعد  
تراكمياً بأبسط معانى الكلمة  
وأشدها حرفية». ويقول قاموس  
«ويستر» من تفسير لفظة تراكمى  
Cumulative «هو ما يتشكل أو  
يكرر حجمه بإضافات متعاقبة..»

وبهذا المعنى تصبح الفنون الآن  
تراكمية، كما ظلت على هذا  
الحال طوال تاريخ الحضارة  
بأسرها، والمصطلح بهذا المعنى لا  
يحتاج إلى أن ترتبط هذه  
الإضافات بعضها ببعض فى  
صورة مجموع عضوى.. ولا

السلون شهدت ظهور الآلاف المؤلفات من  
جديد المواد والأدوات والتقنيات والوسائل  
المادية اللازمة للفنون..

يتجسد لنا من طرح «التسولى»  
الفنى.. أسئلة جذوره الضاربة فى طبقات  
الأرض المصرية ودراسة فاهمة للفن  
الشعبى: الرسوم الحائطية.. الرشم ونقبض

يستطيع أحد أن ينكر أن الأعمال الفنية  
تتجمع وتتراكم طوال آلاف السنين فإن  
مجرد التكاثر البحث للصاوير  
والتمائيل الكنائس والقصائد الشعرية  
والسيمفونيات الموسيقية لتكفى لاجل  
الفنون «تراكمية» من هذه الناحية. فضلا  
عن ذلك فإن الآلاف الخمسة الأخيرة من



الإنسان البسيط وتلقائيته على  
جدران البهوت.. الأبواب  
القديمة.. عربات الترمس  
المزركشة ثم قدرته على توظيف  
مفرداته فوق سطوح لوحاته  
فقد حول الفنان الزخارف  
والعناصر الشعبية من واقعها  
الزخرفي وملطقتها التزييني  
إلى واقع تصوير نابض وقدرته  
على تنظيم هذه العناصر  
داخل سياق فني متوازن كما  
يجمع الخيط الواحد حبات  
العقد المتناثرة و «التوني»  
يعد إلى التشكيلات الهندسية في  
بناء لوحاته كالمستطول..  
المربع.. المثلثات.. الدوائر..  
لتكون المعمار الفني الذي يبين  
عليه زخارفه وموتيفاته، و  
من هنا يكمن فهم الفنان  
لمقتضيات العمل الفني  
فالحن الهندسي عنصر ربط  
ومنظم لحوارها التشكيلي  
داخل اللوحة، ومن البناء  
والكويين إلى عنصر  
التلون حيث يبرع الفنان في  
مزج الألوان مثل اللونين الأزرق  
الغليي باللون اللبني ثم حوار  
الألوان الداكنة مع اللون  
الأبيض الناصع.. الأحمر..  
الأخضر.. الأزرق، غير أن  
دور اللون عند «التوني» لا  
يقتصر على جماليات اللون  
ولكن يقوم بتجسيد  
الإحساس بالعمق (العمق  
باللون) مما يساعد المتلقي  
على التغلغل في نسج العمل  
الفني ويعطي بمفرداته  
حضوراً قوياً بجانب تحديده  
لكل مفردات لوحاته بالخط  
الأسود.

من هنا قدم الفنان  
حلمى التوني باقة من الأحلام  
الشعبية الملونة تنثر العطر والشدى  
على وجه الراقع المتجه في عصر  
اختفى منه الحلم ■

ومع تأملات الفنان حلمى التوني  
نمضى ونحلم ونسمتع.. جواد تنشى..  
نخيل يتدلى منه أسماك.. فتاة تحاور  
حصان.. أهلامات صغيرة قابعة في زوايا  
لوحاته.. سمكة طائرة على ظهرها فتاة..  
هداهد تتراقص وتتحاور.. أريان وروزود  
وزهور ويبيض ورفاذ وأعلام..

**ق** إن كل سفر من أسفار العهد القديم له مشاكله الخاصة، ويختلف العلماء كثيراً في تحديد تاريخ كل سفر. وهذه تواريخ تقريبية.

ق ٣	
١٤٠٠	الروح رأى شمر (١).
١١٠٠	القضاء. أنشودة ديبيرة.
٧٦٠	عاموس.
٧٥٠	هوشع.
٧٤٠	أشعيا.
٦٢٦	بداية حكم إرميا.
٦٢١	الكتبة.
٦٠٠	حزقيال.
٥٤٠	* أشعيا للثاني.
٤٥٠	أيوب.
	ملاخي.
٤٠٠	راعوث.
	نشيد الإنشاد.
٣٠٠	أخبار الأيام.
٢٠٠	الجامعة.
١٦٨	دانيال.

ستدرك في هذا الجزء عن الآداب في التوراة العبرية، أي العهد القديم كما هو معروف لدينا في الأسفار المقدسة، وبدأ هذه الأسفار بسفر التكوين، وتنتهي بسفر ملاخي. هذا إذا تتبعنا ترتيب الأسفار كما جاءت في التوراة العبرية التي تبدأ بسفر التكوين وتنتهي بأخبار الأيام الثاني. أما في العهد القديم اليوناني - ترجمة للتوراة السبعينية (٢) - فهي تورا اليونان ليهود مصر المنكلمين باليونانية، وبدايات تواريخها من القرن الثالث قبل الميلاد، وهي التي حفظت لنا كثيراً من الآداب المصرية القديمة مثل سفر يهوذا والجامعة.

ويمكن أن يشمل مفهوم الآداب العبرية القديمة الآداب الكثيرة التي بدأت من مدارس

## الأدب العبري

### القديم\*



### وينتون توماس\*

ترجمة: شاعر ميكل

الأخبار في القرون الأولى من التسليم  
المسيحي.

أولاً:

ستعرض لكل من العهد القديم اليوناني  
وآداب الأخبار في الجزء الخاص التي تعرف  
بأنها من أسرار الكهوت فكسى سواء لليهود  
أو المسيحيين.

وعند كلامنا عن آداب العهد القديم يجب  
أن نستعرض في ذهنا الفترة التي تشمل هذه  
الآداب، وهذه الفترة تشمل ألف سنة.

وأقدم وثائق العهد القديم هي نشود  
ديبرورة (٥) وهو من أعظم أغاني  
الحرب وقد شئت حوالي ١١٠٠ ق.م، حيث  
كان الحدث المشهور وهو لنصار الإسرائيليين  
على الكنعانيين في تلك على مياه موجود  
(الآية ١٩).

ومن بين الوثائق المتقدمة كذلك في  
العهد القديم، سفر دانيال، الذي يرجع إلى  
منتصف القرن الثاني ق.م، وكذلك "زكريا"،  
وبعض الزمير، وعلى هذا فإن أسفار العهد  
القديم تنتمي إلى فترات مختلفة حتى إن  
أجزاء السفر لنفسه يمكن أن ترجع أصولها  
إلى فترات متعددة، وقام بتأليفها أكثر من  
واحد، وانطلقوا من دوائر مختلفة وبلاد  
مختلفة.

ثانياً:

بينما تغطي آداب العهد القديم فترة  
طويلة فإنه قليل بالنسبة لوقته الواسعة  
ومعازرة بالآداب اليونانية والرومانية فإنه  
قليل حقيقة. حيث إن إسرائيل القديمة تنكس  
آداباً أكثر من التي توجد في العهد القديم  
نفسه، وعلى سبيل المثال توجد مراجع العهد  
القديم لسفر يوشع، وصموئيل الثاني،  
من المحتمل أن تكون تجميعاً للأسفار القومية  
بالنسبة لسفر حروب الرب (المدد) وبالنسبة  
لسفر أخبار الملوك، يهوذا وإسرائيل  
(أخبار الملوك ١٤، ١٥) رحياء الأنبياء مثل  
صموئيل وثانياً كما جاء في أخبار الأيام  
الأولى ٢٣.

## نظرية الإبداع الغربي



وهذه الأعمال مكتوبة على لاجد أو  
أوراق البردى والتي اكتشفها علماء الآثار قد  
أظهرت أنهم كانوا يستخدمون البردى كمادة  
للكتاب في إسرائيل القديمة ولكن ذلك لم  
يستمر لبطولة مناخ إسرائيل.

وقد تلاشت هذه الأعمال وأصبح من  
المتعذر إصلاحها، وإن الجزء القليل المتبقي  
أصبح بشكل معضلة هائلة لضرورة الفهم  
لكامل العهد القديم والتقدير للتم له.

ثالثاً:

قام يهود الجنوب بإعداد آداب العهد  
القديم، ولحق فإن العهد القديم الحالي هو  
لنجاح الجنوب وينسب يهود الشمال لهم  
بالعناية الدائمة والمركزة، ويحقر معظم  
المستعبدون من الجنوب أهل الشمال رغم  
حجوث بعض آداب العهد القديم في الشمال  
مثل يوشع الذي هو مندمج في الأسفار الستة  
الأولى من التوراة.

واحتفظت لنا بعض التقاليد والقصص  
وبعض الموروثات المروية في سفر الملوك  
وكذلك بعض الزمير بوجهات نظر أهل  
الشمال وتكشف عن لهجاتهم الخاصة التي  
تموزعهم عن غيرهم، وعلى المعمم فإن لغة  
للعهد القديم هي لغة يهود الجنوب، وإن  
الاكتشاف الذي تم سنة ١٩٣٥ بنفى اليهود  
من طرسوس والذي يرجع إلى أوائل القرن  
السابع ق.م قد أثبت هذا.

ويرجع تقديرنا وفهمنا لآداب العهد  
القديم مشروطة ببعض الأمور التي تشكل  
سلوكنا وليس المهم أن نحرف إلى أي مدى  
يرجع تاريخ العهد القديم، وإذا استقلنا من  
حسابنا المخطوطات التوراتية التي وجدت  
أخيراً في البحر الميت (يرجع العلماء هذه  
المخطوطات إلى ألف سنة مضت) فإنه لم  
يوجد مخطوط يهودي للعهد القديم إلا بعد  
القرن العاشر الميلادي، وأصبح في الاعتبار  
ماذا يعني نقل هذا إلى الأصل العبري. فمثلاً  
إذا اعتبرنا أن عاموس كان حوالي ٧٦٠  
ق.م فإنه بالتالي سيكون بعد سبعمائة عام من  
مورده. ما الذي كان يحدث لو لم تنقل  
أسفاره؟ لا نستطيع أن نتوقع لأنه حفظ  
كلمات عاموس أو أي نص آخر، وكذلك في  
العادة بالنسبة لثقافة أسفار العهد القديم، وقد  
أصبحت تنبؤاته وحزنت، ووجدت أخطاء من  
الصعوبة ترجمته ويعني أكثر ثقة مستحيلة،  
ولكن عندما تتوافر الترجمة سراجها صعبة  
في ترجمة العهد القديم وبصفة خاصة  
"سفر عاموس"، حيث إن رسالته النبوية  
مملوءة بالأفكار وصعوبة ذلك أن أسماه  
معدى وسألف أسفار العهد القديم غير  
معرفة، فغير معروف مثلاً من الذي كتب  
تاريخ إسرائيل منذ خلق العالم حتى نهاية  
المملكة اليهودية التي حفظت لنا في أسفار  
الكتوبين نحمي الملوك الثاني؟ من الذي ألف  
الزمير؟ إنه غير معروف كذلك. أليس هو  
داود؟ يعتقد كثير من الناس أن الزمير من  
تأليف داود. وهناك اعتقاد عند اليهود أن  
الآداب اليهودية وخاصة الزمير ترجع كلها  
إلى داود، لكن ليس معنى هذا أن داود هو  
الذي ألف الزمير، والواقع أنه لم يثبت أنه  
قام بتأليف أي واحد من الزمير، وكذلك لم  
يكتب سليمان "نشود الإنشاد"، وإذا كان هو  
الذي كتبه فإنه يتعارض من التاريخ اليهودي  
لأنه يعمل تارةً لايتيقن سواء في الأسلوب أو  
للكلمات، وكذلك سفر "الأشكال" وسفر  
"الجامعة" رغم وضوح كلمات الواظ أن ابن  
داود هو ملك أورشليم، ولكن الذي ألف  
الشعر العظيم لسفر أيوب، لا نعرف، وإن ما



جاء كآثار دولة عظيمة لأسفار الأنبياء ترجع إلى مؤلفين مجهولين.

ويجب أن يكن تقديرنا لأدب العهد القديم راجعاً إلى مخترة كتابه المبدعين بفن النظر عن شهرتهم وأن اللغة العبرية - من مجموعها - ماعدا بعض الأجزاء - من سفر عزرا وذهابال، وإرمياة قد كتبت باللغة الآرامية ويشمل كذلك أجزاء كبيرة من العهد القديم - لغة إحساس، وتعبير للكلمات للعبرية أساساً عن أشياء محدكة أو مادية أو أفعال تعبر عن الإحساس أو بداية الانفعال ويستخدمون الاستعارة في التعبير عن التجريد أو الأفكار الميتافيزيقية، ولا نجد غير بعض الأفكار المبردة، ولا يوجد في العبرية أي نوع من اللبونة أو اللقطة التي تعبر عنها اللغات الأخرى، ولا توجد مهارة في اللغة العبرية نتيجة الرتبة وتبدو مهارة الأدب العبرية في عرض الكتاب لاستندلهم اللغة التي لها تصديقات محزنة. وهذه المهارة طويلاً أسلوب الشعر والشعر واستطاعوا أن يعبروا عن كل ما يودون من الله والإنسان والكون ولكن ذلك لم يبدل في طريق واسع عند التعبير السيكلوجي عندما وصفوا **يهوه** بأنه غير ومحسن، وكلمة متحسن تعني في العبرية أحمر الوجه، والمعنى الذي يعبر عن كلمة **يهوب**، في العبرية - هي تخلص، ويصبح بالعبري تعني أن يحل شخص ما يأخذ نفساً قوياً، وعندما يعبر **يهوه** عن نعمة لخلق الإنسان فهذا يعنى أنه أخذ نفساً عميقاً للراحة، لأنه ليس مضطرباً لتفديد وعيد الزهيب.

وهذه بعض الأمثلة البسيطة لوصف الحالات السيكلوجية التي يعبر عنها في العبرية باللفظ سيكلوجية وهناك أمثلة أخرى كثيرة.

ومن أهم الاعتبارات التي يهتم بها اليهود هي كونهم معززين ومفروقين على كل الناس في العالم القديم، وهذا لاختصاصهم بأنهم على علاقة متوحدة وخاصة بالله الذي يظنون عليه **يهوه** وتأسس وجودهم القوي على هذا الإحساس بالوحي، والسلاح أن العهد القديم يتميز بأنه آداب دينية، ويخبرنا

بأشياء أخرى عن العلاقة المتوحدة للشخصية المتوحدة التي من حق إسرائيل أن تحظى بها.. «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض» (عاموس ٣: ٢).

إن الآداب التي امتدحت عبر ألف سنة فإن التليل هو التي تم إعداده جيداً وحفظتها المخطوطات القديمة مسهولة المؤلف في معظمها، وقد كتبت بلغة خفيفة للتعبير لبعض الأفكار التي يعتبرون أن **يهوه** هو الذي قالها، إنه لليهود الفصل بهم، ويجب وضع هذه الأمور في اعتبارنا عندما نقرب لتقييم العهد القديم كعمل أدبي.

وليس في الإمكان أن نقوم بمصح شامل - أو حتى نشير - إلى التلمذة واللائقين سيراً التي يشتملها العهد القديم، أو حتى إلى اللماذج الأدبية التي تصورها، ومن الممتع إسماع النظر في الآداب التي يشتملها العهد القديم وخاصة في سفر التكوين، أو التلمذة العبرية المشرقة في أسفار صموئيل، أو الأسلوب للخطابي العبري في سفر التثنية، وأن أول مجموعة قصص قصيرة في الأدب نجدها في سفر راسوت، حيث تروي الحكاية ببساطة مقنعة مع تفاصيل مبهجة، أو عن أساطير التينات والصوران التي عرضها لنا للعهد القديم في القصة (٧: ٩) وإسماعه الثاني (٩: ٢٤)، وحزقيال (٣: ١٧)، (١٩: ١) أو عن طليعة الكتابة التاريخية في العهد القديم، وهي نوع من فلسفة لتاريخ وتفسير بشكل عادل، أو عن فلسفة الحياة التي أعدها سائر للحكمة، ومن الممكن أن نستعرض في الإشارة إلى الإصلاح الأدبية للعهد القديم التي نتقنا ونوث في أنفسنا للسرور إلى حد بعيد. وحيث إنه لا بد من الاختيار فقد اخترت أن أشير إلى موضوعات قليلة، تلك التي - ولتعمش ذلك - تؤدي إلى الكشف عن شيء ما من عبقرية الأدب العبري القديم.

وبخلاف فإن اليهود القدامى كان يخون في أي مناسبة، وعندما بعض الأغالي القديمة التي حظقت لنا تقدم لنا لمحة عن حياة الناس ومعيشتهم العادية، فعلاً يخون عند حفر الآبار.

لصمدى أيتها البشر، أجوبوا لها (العهد ١٧: ٢١).

وهذه الأغنية هي حض البشر أو بمعنى آخر حض الروح المقيمة فيها بأن تفيض بالها وبفرازة وهي تحييد عن الحياة المصمراية وتعتمد إلى أزمنة سحيقة، وهناك لمحة أخرى عن حياة الصمراء وهي أغنية لاسك عندما يعرض قوته ويبتذل قصارى جهده ليؤثر في نسله.

وقال لا ملك لا مرأته حافة وصلة

اسمنا قولي يا إسرائيل لا ملك.

وأصغروا لتكلامي.

فإنني قففت رجلاً لجرحي، وقلتي لشخصي.

إنه ينتقم القاطنين سبعة أضعاف.

وأما لملكه سبعة وسبعين

«التكوين ٤: ٢٣»

وأما جاسمير الصامويل وقاطفو العنب قلم أشانيهم، «أشعيا ١٦: ٩»، «إرميا ٢٥: ٣٠»، وتوجد أغاني ساذجة أخرى التي قالها أشعيا عند إطلاق سراحه من بابل:

للزلي وأجاسي على التراب أيتها العذراء لينة بابل.

أجاسي على الأرض بدون كرسي وبابنة التكلدانيين.

لأنك لا تعبرين ناصرة ومعرفة.

خذى الرحي واضعني دقيقاً.

«أشعيا ٤٧: ٩»

وهناك أعاني الحرس الليلي الذي يس في السدينة.

قال العارض في صباح وأيضاً ليل.

إن كنتم تطلبون قاططوا، أرجوا تملوا

«أشعيا ٢١: ١٢»

ونجد أعاني الزفاف في المزمر الخاص والأربعين وكذلك نفوذ الإنشاد.

وكذلك ترتيبات الجنائز والموت.

ونشا داود بهذه المراثاة شافول، ويبنانان لينة

«صموئيل الثاني ١: ١٧: ٣: ٣٣»

## نظرية الإبداع الغربي



وذكرت كذلك أناشيد الحرب في الإصحاح الخامس من القصص، وأناشيد للتصعد عند انتهاء الحرب موجودة كذلك عندما رجس داود من مزارعته للتسليين، استقبلته النساء مغنيات مزرب شاول أوله، وداود ريوته **صموئيل الأول ١٨: ٧**.

وكذلك الاحتفال لعبور البحر الأحمر في الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج وهو التصار إلى إسرائيل **يهوه** على فرعون وعدوه. ونجد في أسفار الأنبياء إشارات إلى أنواع متعددة من التراتيل العمولة «الشعيا» **٢٩: ٣٠**، و**ترتائل الشكر بارميا ١١: ٣٣**، و**ترتائل الثرية هوشع ٦: ١٤**، **١٦: ١٤**، وإلى المزامير التي هي لجميع للأشعار الدينية ليست من إعداد داود ولا من إعداد شخص واحد، ولكن أعضاها عدد كبير من للشعراء العبرانيين عبر القرون وهذا يقول لوتر نحن نخترق أعماق النفس لكل القديسين. ما هو التفكير الذي قام به اليهودي ليعبر عن الفن، إنه تفكير متمرکز على الأفكار، وهو عقل لا يميز بين الأفكار والواقع، فاليهود يعتقدون تماماً في عظمة **يهوه** وسيطرته على العالم ونتيجة لهذه العقيدة فإن الإنسان ينجح إذا عاش حياة خورة، وهذه هي التعاليم التي يؤكدها سفر «الأمثال».

البريرغ فان الأمة «الأمثال ١٤: ٣٤».

وهذا هو الاتجاه نفسه الذي اتبعه سفر التكتية، في الكتابة عن تاريخهم القومي.

إن الذين اليهودي ذاتي لدرجة غير عادية وتظهر هذه الفاصلة في القصص كما هي في الشعر حيث إن الناس في قصص العهد القديم يعطون بالحوية، وراوى القصة يشعر باستحسان مسبق قبل أن يرويها، وينتج لوصف الأحداث وإظهار الدوافع وراء السلوك الإنساني وذهنه. عند وصف أو كتابة القصة - يكون هادئاً صافياً، ولكن عندما يقرض الشعر فإن ذهنه يكون تحت رحمة العاطفة ويتزاح كل الهدوء وضبط النفس، وإلهام الشاعر اليهودي هو نوع من العاطفة الأصلية، وهو ليس صانع القصيدة ولا يتكر في قصيدته، ومن الممكن أن نخطئ لو

ونعود إلى موضوع آخر يمكننا من رؤية صفة غريبة لفنان الآداب اليهودية، حيث إن إسرائيل دولة حاضرة تقع بين اثنين من جدرانها الأقوياء وهي بابل ومصر، ويسبب صفتها الجغرافي بهاتين القوتين العظميين فهي لا تستطيع أن تتجاهل آدابهم أولاً لتأثر بها، وواقعاً لم نتردد في الاستفادة من آدابهم وليس واضحاً مدى أهمية ما استفادت منه، ولكنها استخدمت المادة التي استعارتها وهذا تأكيد للمقبرة الدينية التي أعلنت أن المواد التي استفادت منها تعتبر توحداً مع أسفارهم وأنها جزء من تراثهم.

وتظهر ويوضح الأصول البابلية عن الخلق والطوفان في أفكار اليهود وكذلك فكرة الله الواحد الذي تبدأ به كل الأشياء وهو قوي الجمع، وقاموا بدمويل القصص التي ترجع أصولها إلى العالم الوثني إلى جزء من تراثهم وعلى هذا فإن سفر أيوب خارج عن نطاق إسرائيل، ونجد شبيهه أيوب البابلي الذي وجد في أواخر القرن السابع ق.م، فإنه يعانى من مشكلة مختلفة كذلك التي أثرت على مؤلف سفر أيوب وإذا كان هناك - في الواقع - مشكلة في العمل البابلي، ونجد أن الإنسان الذي أصابه البلاء يعترف بخطيئته ويهيم - ليس كما جاء في سفر أيوب - بالملاقة بين الخطيئة وبلائه وأن المشكلة في أيوب الإسرائيلي أنه أعضب إليه.

وأكثر من ذلك فمن تعترف أن اليهود مدجين بشيء كثير ليهاب ومصر في تأليف المزامير وهذا موضوع خلاف كبير، ونجد أن الفزمر ١٠٤ ترجع أصوله إلى مصر. ويقول في ذلك عالم المصريات الشهير البريفوسر ت. بييت عن المزامير اليهودية «لم يبدل اليهود أى جهد فيها ولم يتفوقوا على سادتهم ولم يقدموا جديداً وإن ما نجده فهو بلا شك ليس إلا اختياراً لما هو موجود، وتوسعوا التفكير في أفكار ومصره التي يشملها تعتبر مشرقة يوضح ذلك لأن المصريين اهتموا بالتمتعة الأخلاقية العالية، فالروى بالمسؤولية الخلقية والخطيئة والمغفرة يعتبر من سمات التعاليم المصرية».

استعملنا كلمة يفكر على كل شعراء اليهود وبالنسبة له فإن المشاعر وليس الفكر هي التي تتحكم فيه، وعندما يشد قلبه يشد من أعماقه، وإن شعره ينبع من عاطفته ومن ذكرته، ولا يستعمل الشاعر اليهودي أن يجبر عن أى شيء خارج ذاته، ومن السمع أن نعرف أن المعجم اليهودي لا يعرف كلمة شاعر كما نستخدمها نحن اليوم أو كما استخدمها اليونانيون، وللعرب كلمة مشابهة للشاعر والكلمة العربية تعني الإنسان الذي يؤثر بالشاعر وكذلك للشاعر اليهودي يكتب ما يحس به.

ولا يستطيع أحد أن يقرأ الشعر اليهودي ولا يصدمه نقص الشكل الذي يميزه، فالزمير مثلاً، لا تتبع الأبيات فيها أى نظم أو إرصاد وفي كثير منها الأبيات تنظم في شكل مختلف بدون جهد كبير من الشاعر.

وليس هذا أمراً مستحسماً على الفهم حيث إن الشاعر اليهودي مدفوع بتأثير اللحظة، ويمكن أن ينفث منه شكل القصيدة بسهولة عندما يعاول أن يمالك شعره وكما قلنا لا جهد له في قصيدته ولا دافع لأن يفكر أحاسيسه، ولا يوجد تناقض في هذه الجملة وهذا نهج يوضح في الفزمر ١١٩ ومراثي إرميا وفي هذه الأشعار هم على وعى أثناء كتابة الشعر وهذا لا يزال شيء مختلفاً متديداً وراء القصيدة.

وأشهر نموذج واضح ومباشر لما أخذوه من المصريين نجده في سفر (الأعمال، ٢٢: ١٧، ٢٢: ٢٤، ومعهظم هذه الأشعار مقفول حرفياً من نص مصري حوالى ١٠٠٠ سنة ق.م. السمرونية بتعاليم أمحنوتب (أى أخلساتون) وليس دائماً في النصوص المصرية حل لكل مشاكل العهد القديم، ولكن عندما نجد صعوبة تمييز المفسرين طويلاً فإنها تحل بمقارنتها بالكتابات المصرية حيث إن هناك كتابات تعتمد حرفياً على المصريين، وتظهر هذه الصعوبة في سفر الأمثال ٢٢: ٢٠ حيث تترجم الكلمة العبرية في الشعر إلى «أحسن الأشياء»، الشائعات، تحنى في الواقع ٣٠ لفظ يشير إلى الثلاثين جزء تعاليم أمحنوتب.

وقد تأثر الأدب العبرى كذلك بالكتمايين، عندما دخل الغزاة المبرانيون كنعان خلال القرن الخامس ق.م أو بعد ذلك، تأثروا في الحال بالمشاركة والمقابلة للكتمانية، وقد ألقت حفريات رأس شمرا - أجريت القديمة، التي توجد في شمال سوريا حيث وجدت بكثرة ووصلت بها في احتفاظاتها بالأدب الكتمانية، بأهمية هذه المادة الحديثة لتفسير المشاكل الأدبية في العهد القديم وخاصة الأشعار، وخاصة أنهم أجمعوا كل ما عثروا عليه إلى إلههم «يهوه».

ويشبه الزمور التاسع والعشرون تماماً النصوص الكتمانية حيث إنه من الصعب إكتاف أن اليهود أخذوه وأعادوا صياغته بتغيير بسيط وذلك لبتوافق مع عقيدة «يهوه»، واستبدلوا «بعل» بيهوه الذى يعتبرونه سيد الكون، ونجد تنابها لأنبيائهم مع آداب «رأس شمرا» بصورة واضحة وخاصة في سفر «أشعيا» (١: ٢٧) عندما يشير إلى الحية والتدين بأنها حادة ومعروفة نجد مثيل لها في النصوص للكتمانية في «رأس شمرا»، والتعبيرات السامية ذاتية وليست مرضوعة وتظهر في مختلف النصوص وخاصة في «أشعيا» ١٢: ١٤ الذى يحتوى على اللحن الجانزى لسقراط دوسيفس، ابن الصباح. ونجد في ألواح «رأس شمرا» في أسطورة «بعل» شاهد على أن للبابى اليهودى مؤلف الزمور

٢٩ ألف لحن للذين الحزين ونجد أنه من الواضح أن اليهود خلال تاريخهم الأدبى، عندما يقتبسون مواداً من شعوب أخرى فهي في الغالب تكون السادة الخام ذات نظرة أخلاقية دينية ورفق مستوى أناس كثيرين.

وقد استخدموا المواد المقدسة بطريقة أفضل ممن نقلوا عنهم، ومن البديهة فإننا اعتبرنا العهد القديم عقيدة أدبية رائعة الذى أعده يهوه إله اليهود الذين يعتقدون أنه لهم فقط ورغم ذلك فإننا نجد آداباً علمانية في الأدب اليهودى.

إن للتمييز بين ما هو علمانى وما هو دينى في العهد القديم صعب جداً، حيث إن للنظر إلى مثل هذه الأشعار الطمأنينة. كما يخطر إلينا المبريين وصهم الأمم السامية القديمة. يعبر نقصاً في السطوة.

وفي الفكر السامى القديم فإن الحياة العلمانية والحياة الدينية تتفرج كل منهما في الأخرى حتى يصعب للتمييز بينهما، ومن غير الممكن أن نحدد الخط للفاصل بين ما هو دينى وما هو علمانى في العهد القديم. ومن الخطأ - على أى حال - أن نتخذ أن كل آداب العهد القديم دينية، أو نتصور أن العهد القديم لا يحصى على أى آداب علمانية بمضمونها العاصر، وقد كتب أحد المفكرين الكلدانيين: «إن العهد القديم وصف الحياة الإسرائيلية أثناء الأيام المظلمة وأيام العمل».

وسجد بعض المصنفات عدد الكلام للأغاني في الشعر العبرى، وذلك يمثل في أغاني الشراب، وأغنية العاريس اللبلى وكذلك رشاء داود لمشاوول وجوناثان لابيه، وأغنية البدر هي من هذا النوع حيث إن حفر البدر يعنى لأمم مهم بالحبية لقائهم للصراع وليس غروباً أن هذه الأغنية تحمل معنى دينياً، وكما قلت من قبل إن هذه الأغنية هي حصن البدر أو الروح للتي تسكن البدر أن تفويض بالشاء، وربما لا تتعدى أن تكون طلباً أو تمويده، وكذلك أغاني جامعى السامصيل وعاصرى البتيد وقومون بعملهم على إيقاع الأغاني ويمكن أعجاب الأغاني - إذا فكرنا في أنظمتها - نوعاً من التوازي.

إن البهجة في جمع محصول الحب وعصره وتطويرة، نجد ذلك في سفر «القضاة» (٢٧: ٩) وأنشيد الفتح التي مند بابل نجدها في «أشعيا» ٤٧، يمكن أن نعتبرها نوعاً من التوازي. ونجد ثانية لأعظم أنشيد الحرب (القضاة الإصباح الخامس) التي قد توجد لأول وهلة أنها دينية، لكن بإعادة النظر والروية نجدها زموراً للشكر على النصر.

ومعالمقة لامك لأمراتيه بعد انتصاره، وأغاني للنساء حبة لداود قاهر الفلستينيين، ليس من السهل أن نجد أى عنصر دينى فيها، وهذا يتناقض تماماً مع أشيد النصر على قوات فرعون وغرقهم في البحر الأحمر.

«رغم الرب فإنه قد تعظم، القوس وراكبه طرحهما في البحر الخروج ٢١: ١٥»

وتعرض لذا أغاني «نشد الإنشاء» للصعوبة في تحديد ما هو أدب دينى وما هو العلمانى عن الماضى على أنها نوع من الذواى أو كنوع من الشفاعة تربط بتقديس الشخصية في الشرق الأدنى القديم، أما وجهة النظر السائدة اليوم فإنها نوع من أغاني الحب الشعبية التي نجد عناصر مشابهة لها في أغاني الزواج في سوريا العربية الحديثة. ومن هذه الوجهة يعتبر «نشد الإنشاء» علمانى صرف، وكما هو معروف أن تضمينها ضمن أسفار العهد القديم ظل مدة طويلة محل نقاش بين الماخامات، وأخيراً سمح لها بما أسبقه عليها من تفسيرات رمزية وكما انتقروا أنه حب «يهوه» لإسرائيل، وقال آباء الكنيسة بدورهم إن هذا يعبر عن حب المسيح لكنيسة، وكذلك نجد أغاني الزفاف مستخدمة في ثواب دينية وأخذت تصريحا كنسياً.

وتتم العلاقة بين الله وإسرائيل في العهد القديم عبر لفاظ الحب والزواج «هوشع ١، أشعيا ٥: ١، كما نقل الأنشودة: لهيبها لهيب نار لظى الرب «نشد الإنشاء ٨: ٦، ركب البروفيسور بنتزن Bentzen،

## نظرية الإبداع الغربي



ما هو ديني وما هو ديني في أدب القديم، حتى «نشيد الإنشاد»، الذي أصبح محتسماً في الأسفار بعد الصلح والمعزاة، للشعة الإنسانية للعب، من الممكن أن يعتقد أنها موروثة بالندية الإلهية.

وكتب فرانسيس بيكون «لا يوجد جمال كامل لا يحصى بعض الغرابة في خواصه، وإن أدب العهد القديم وآداب الشعوب الشرقية القديمة لابد أن تظهر فيها بعض الغرابة لهؤلاء الذين يشبهونا، ويفكرون في مقولات أخرى».

وإذا استمعنا أن لفهم الاعتبارين الذين أشرت إليهما فأقول: «أستطيع أن أقول: إن هذا الأدب القديم يكشف لنا عن نفسه في غرابته وجماله».

هوامش:

• Dr. Winton-Thomas أسست الدراسات العبرية بكلية اللغات الشرقية بجامعة كمبريدج.

• هذه ترجمة للفصل الأول من كتاب Ancient Hebrew Literature of the East.

(١) هذه الأنواع موجودة بمنطقة رأس شمرا للتقريب من اللاتينية، وهذه اللوائح أظهرت تاريخ أوجريت وأثارها التي بلغت أوج ازدهارها في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وهي تتكلم عن ملحم الشعب للفيديتي مثل:

- أسطورة الملك (خنال).
- الملك كريت.
- ملحمة بل.
- بل ويم.
- أناشيد ميلاد سهروسم.

• أناشيد تيكل وكمرات «الترجم».

(٢) ترجمة يونانية للعهد القديم قام بها ٧٢ عالماً يهودياً في ٧٢ يوماً.

«وجب أن نعود أنفسنا على فهم أناشيد نشيد الإنشاد التي تعبر عن الحب إنها تنتمي إلى احتفالات الزواج الموجودة في طقوس الزواج البروضحانية، وإذا استوعبنا هذا أدركنا أن الحب نار قد زكاهما الرب بالصبة للعقل العبرى».

«اجعلني كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك».

لأن المحبة قوية كالصوت.

مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفى المحبة.

والسور لا تفرها

إن أعطى الإنسان كل ثروة بيده بدل المحبة.

تحتفل احتفالاً

«نشيد الإنشاد ٦: ٨»

بالتأكيد الحب هداية من السماء.

هو شرارة من النار الخالدة.

بمشاهدة الملائكة فإن الله.

يرفعها من الأرض إلى السماء.

وهذا الذي نسمعه في «نشيد الإنشاد» وأشعار «بيرون»، فإن العولج السفيرة التي بين ما هو عسلاني وما هو ديني لا يمكن تصديدها، ونشيد الإنشاد - يجب أن نفكر - يعكس آداب العهد القديم ككل، وشخصية «يهوه» الذي ليس فقط باراً ومحباً ولكنه يستطيع أن يتكلم عن حب للصروسة في عروسه الصغيرة إسرائيل.

وقد تكررت لك خيرة صباه

محبة خطيئتك

«إرميا ٢: ٢»

وعلى هذا فلا نستطيع أن نطلق على «نشيد الإنشاد» أنه نوع من لعب للشاعر بعد اعتباره سفرًا من أسفار العهد القديم والنسبة للعبريين فإن المقدس والطباني، والطبيعي وفوق الطبيعي يشمل كل العالم، العالم الحقيقي.

وإن ما تقدمه في هذا القسم ما هو إلا تقديم للأدب القديم أو كمدخل لتقديم هذا الأدب، ولابد أن نشير إلى اعتبارين مهمين بالنسبة إلى آداب العهد القديم وأسفاره.

أولاً:

ثانية للعقل العبرى الذي يعبر عن نفسه في الشعر والروايات والوصف. وكيف يهتم الشاعر العبرى بصفة رئيسية بالأفكار وكيف استطاع أن يميز بين الفكر والواقع وأنه تحت قوة التأثير العاطفي فإنه من البساطة أن يفقد سيطرته على صياغة للتصديده.

ثانياً:

الطريقة التي ينظر بها العبريون للملائكة ويؤمنون الله وأن يهوه هو إله إسرائيل الخاص.

وهذا ما جعل آداب العهد القديم مظروعة بين أدب العالم، وقد رأينا أن أفكار العبريين عن الله منقولة عن شعوب أخرى من العالم القديم حيث يمجرون يهوه هو إلههم وهو المظهر السائد للكرين للنهاية.

ورأينا كيف سادت الأفكار الطنانية والمقدسة وأصبحت مميزة للعقل السامي القديم، وأصبح من المتعذر علينا أن نميز بين

# الإيقاعات والبرهجة

- ٢٢٦ ثلاثة كتاب من ألمانيا، ترجمة وتقديم، محسن الدمرداش. ٢٢٠
- مختارات من شعر أمريكا اللاتينية، إعداد وترجمة، حسين الموزانى. ٢٢٠ قصائد
- طينية، ترجمة، سمير عبد ربه. ٢٢٢ كتابة الله، خ.ل. بورخيس - ترجمة، احمد
- عماد القوصى. ٢٢٦ الجدول الزمنى، ميشيل بوتور - ترجمة، فوزية العشماوى.
- ٢٢٤ على عتبة الحياة الجديدة، اناتولى جافريلوف - ترجمة، فيتولد ليبو.

# ثلاثة كتاب من ألمانيا

ترجمة وتقديم : محسن الدمرداش

[١]

## فى الشرففة

فرانس كافكا

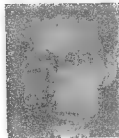
### مقدمة:

هذه الأقصوصة (١) للأديب الألماني فرانس كافكا الذى ولد ابنا لتاجر يهودى فى مدينة براغ فى الثالث من شهر يوليو عام ١٨٨٢ . وقد عمل بعد انتهاءه من دراسة القانون موظفاً فى شركة تأمين لعد سنوات نشر خلالها أعمالاً نظرية صغيرة . وبعد وفاته فى فيينا عام ١٩٢٤ قام صديقه ماكس برود (Max Brod) بنشر الجزء الأساسى من إنتاجه الأدبى عام ١٩٢٤ .

ظهر التكهن للخيالى بطريقة عريض واقعية فى روايات كافكا وقسمه الملمنة بجو الحياة الجبرى الخيالى المتشائم، مما أدى إلى اختلاف كبير بين نقاد أعماله واعتباره مضاداً لكثير من التيارات الأدبية الحديثة .

وقد تميز كافكا ببلاغته اللغوية الواضحة فى كل أعماله التى نذكر منها الروايات: «القضية»، «برلين ١٩٢٥»، «القصص» موزع ١٩٢٦، و«أمريكا» موزع ١٩٢٧، والكتابات المنشورة فى مخططاته التى صدرت فى برلين ١٩٣١ .

الفرقة الموسيقية مع الدوران الخطير  
المصحوب بتصفيق الاستحسان المتقلب  
بين قوة وشغف من أيدٍ وكأنها فى الحقيقة  
ماكينات حادثة - وربما يجرى أحد  
المشاهدين عبر الشرفة بخطوات طويـلة  
حتى يصل لحلبة السيرك، وهنا يصدر  
الأمر بالوقوف إلى الآلات النحاسية ذات  
الدأبم السريع مع الفرقة الموسيقية.



**فا** إذا دخلت أى فارسة بهلوانية  
مسلولة أمام جمهور لا يكل ولا  
يمل فى حلبة السيرك على فرس يتأرجح  
فى دوران مستمر تحت قيادة رئيس قمار  
يؤجج بالكرهاج لشهور طويلة بلا انقطاع،  
يبدأ حذر القرس وتمشى هى وتحرك  
خاضعتها وتلقى بالتفجئات للمشاهدين،  
ويستمر العرض مع العزف المتواصل من

## الخبز

### فولفجانج بورشرت

#### مقدمة:

ولد بورشرت عام ١٩١٢ في هامبورج ونشأ في طبقة متوسطة، وقد تدرّب بعد نهاية تعليمه في المدارس على وظيفة بيع الكتب، إلا أنه سرعان ما أصبح واحداً من جود الحرب العالمية وأصيب بجروح عدة مرات مما دفعه لاتخاذ موقف معاد للفاشية (٢)؛ كما ساءت حالته الصحية بعد انتهاء الحرب والمصر عمله في الإخراج المسرحي حتى مات في أحد المصحات في بازل وهو لم يبلغ من العمر إلا ستة وعشرين عاماً.

تشمل أعمال بورشرت قليل من القصائد والقصص القصيرة الموجزة التي تقدم لإحداها الآن، ويمكن تلك الأعمال صورة: لأيندويلوجية، الشباب الألماني في وقت الذي عانى من العاشية الهتيرية .

هذا كل ليلة، ولكن الآن هناك فترات بمرار السنين على المقرش، وهذا شملت بالبرد القارس يضرب عليها بهذا فقلت صديقي عن الخبز.

قال مطلقا حوله في المطبخ: «أعتقد أن شيئا ما قد حدث هناك، فأجابني: «لقد سمعت أوصاء، ووجدته يبدو عجوزا في رداء النوم أثناء الليل عجزوا بدرجة ترضع سنة الذي بلغ ثلاثة وستين عاماً إلا أنه يبدو، أحيانا في النهار أسفر من ذلك، أما هو ففرى أنها تبدو بالفعل عجزوا إلا أنها تظهر في رداء النوم أسفر إلى حد ما وربما يتحقق هذا بشعرها، فلماذا ما يظهر سن النساء في شعرهن أثناء الليل، هذا ما يجعل بعضهن يظهر عجزا فجأة.

«كان يجب عليك أن تردتي هذا لك. هكذا تفخين حافية على الأرض الباردة. سوف تصابين بالبرد، لم تنظر إليه أنها لم

استيقظت فجأة، وقد بلغت الساعة الثانية والنصف صباحا، ثم تساملت: لماذا استيقظت؟ ثم أيجوز أن يكون أحد قد اصطدم بالكريسي في المطبخ. لقد كان للهجو مسيطر، هدوء تام، وعندما تمسست بهذا اللبث الآخر من فراشها وجدته خاليا، وهذا ما جعل الهجو يبلغ قمته: لقد لخطي صوت أنفاسه. فقامت في الظلام وتلمعت طريقها حتى المطبخ حيث تقابلت وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف صباحا، لقد رأيت شيئا أبيض اللون في المطبخ فأسفرت للور ثم كانت لتواجه بيها بالمطبخ في الثانية والنصف صباحا.

لقد كان طريق للخبز فوق ممتدة للمطبخ، ورأت أنه قطع للخبز لنفسه حيث كانت السكين بجوار الطبق. إنه فترات للخبز على الغشاء، وهي قد قامت بتنظيف مقشر المصنعة قبل أن يذهب في السماء إلى الفراش.

أما هي فليست كما سبق، ولكنها امرأة جميلة، بيشاء ذات احمرار، تطاير تحقيقا لرغبة المتفرجين عدة مرات، وسبقها في المسير لتباعها بزيهم الخاص ويدهمك الرئيس في كتبتهم بعينيه وهم في خضوع واستكانة، وسرعان ما يرفعها بعناية فوق فوس أشبه ولا يستطيع أن يقرر بسرعة من يريه بالسياس لأن أحب الأبواب ستواجه الخطر، وأخيرا يقهر ذاته ويأتي بضربة سوط مكوّنة، ويجرى الفرس، ويتجعب قفزات الفارسة بخفارت حادة وتفحده مهاراتها ويحاول قبل قفزة الموت أن يحذر بصيحات فزع إنجليزية، وينبج السراس ثالسا ثم يشير يده للفرقة الموسيقية حتى يقف المزف؛ وفي الختام يرفع (الفارسة) الصغيرة فوق الفرس المهتز ويقبل وجنتيها محبدا ما أبداه الجمهور من إعجاب شديد غير كاف لها، بينما تقف هي بين يديه على أطراف قدميها وقد ظهر التراب عليها، وتريد أن ترفع ذراعيها ورأسها للجمهور حتى يشاركها بأكمله، حظها.

وهكذا يقع بصر المشاهدين على هذه الجولة الأخيرة لها (في حلبة السيرك) أما هو (الرايس) فيفترق في الأحلام ويتكى عيناه فرحا دون أن يدرى.

تستبعد احتمال كذبه؛ فهو يكتب بعد مرور تسعة ولثلاثين عاما على زواجهما. فقال مرة أخرى: «أعتقد أن شيئا ما قد حدث هناك وبدأ يظهر من زاوية لأخرى حوله بدون فائدة» وقال مرة أخرى: «لقد سمعت هذا شيئا، لذلك أعتقد أن شيئا ما قد حدث هناك».

فوقعت «البحر» من على المنصدة وذهبت تجمع فحبات الخبز بأصابعها من على الصخر، وقالت: «لقد سمعت هذا أيضا، ولكن لم أجد شيئا، فأخذت بمساعدة قائلة: «تعال! فلم يكن هذا الصوت عددا، تعال إلى فراشه» ولا شخصاص بالهدير بسبب وقوفه على الأرض الهابذة. «فانتهت إلى الشبالة قائلا: «نعم يجوز أن هذا كان في الخارج ولو أني اعتقدت أنه هناك».

فرفعت يدها إلى مفتاح الكهرباء، فآثرت أنه من الزجاج أن أعطيه الكهرباء ولا سوف أرى الطبق من جديد، لا يجوز لي أن أنظر للطبق.

ثم قالت: «تعال! ثم أسفلت اللوز وقال: تعال! كل شيء حل ما يرام في الخارج ودلما ما يجعل الريح مزراب المنصف يصطم بالمصاطد، ودلما ما يخشخش مع الريح».

وهذا تلمسا طريقهما سويا في الظلام جبر الدمار إلى حجرة النوم، وتركزت لقدميهما العريضة علامات على الأرض، فقال: «نعم إنها الريح، لقد كانت الريح طوال الليل». وقالت هي عدد دخولهما الفراش: «نعم لقد كانت الريح طوال الليل، إنه مزراب السفن» فقال مرة أخرى وكأنه نصف نائم: «نعم، لقد اعتقدت أنه في المطبخ. هو المزراب». ولكنها لاحظت كيف يختلف رنين صوته إذا كذب، وقالت: «الذي برده ثم تكلمت بدهود قائلة: «إني أفسد الآن تمت لفشاء تصبغ على خدر، فلهجابه وأدت من أمته، ثم أضافت: نعم، فعلا هو بارد جميل جدًا، ثم صاد الهدوء

من جديد، ولكنها سمعت بعد دقائق عديدة مصغره بصوت منخفض ويحرق من شديد، فتلفت بصوت عالٍ وانتظام حتى لاحظ أنها مازالت مسدقة. ولكن مصغره كان منتظما بدرجة جعلها تنس من جديد.

ولكنه في الليلة التالية، عندما رجع إلى المنزل، قدمت له أربع قطع خبز على الرغم من أنه يأكل في المعتاد ثلاث فقط. وقالت: «يمكنك أن تأكل أربع» ثم التصرفت، فقال «لا أسخطع أكل كل هذا الخبز»، «أكل قطعة أخرى»، «لا أسطع».

وهذا رآه كيف انحنى على المنصدة ولم يرفع رأسه، مما سبب لها لحظة أسف. فقال لها وهو ينظر في طبقه: «يمكنك ألا تكفي بأكل قطعتين فقط، لا أتحمل كل هذا من الخبز في السماء، كل أنت! كن! وسرحان ما عانت بعد فترة وجيزة للجلوس معه على المنصدة ■

[٣]

## أرتور يضايق كل الناس

إيريش كاستنر

مقدمة:

الاقصصة التالية (١) للأديب الألماني إيريش كاستنر الذي ولد في «دريزن» عام ١٨٩٩، وقد بدأ بعد نهاية دراسته للغة الألمانية والتاريخ والفلسفة، بعمله كرائس تحرير ثم كمحرر حر في عدد من المجلات اليسارية حتى صدر قرار بمنع نشر كتاباته كمؤلف «غير مرغوب فيه» عام ١٩٣٣، ثم مكث بعد نهاية الحرب في ميونيخ التي توفي بها عام ١٩٧٤.

تركز أهمية كاستنر في مجال أدب النقد اللاذع حيث انطلقت سفرينه المنصدة على أساس ديمقراطي يساري من قبل عام ١٩٣٣ حتى بعد عام ١٩٤٥ عند طرد حياة الشعب القائمة، كما هزأ بالنظم العسكرية الرجعية، وقد كتب كثيرا من أعماله الصائبة التي احتوت عادة على النقد الماد لوالد للبربرية؛ مثل عمله المسرحي «مدرسة الحكم المستبد» (١٩٥٦)، كما أصبح معروفا في العالم برؤاياه الفرحة للأطفال؛ التي تنكر فيها «رجال البوليس السري» (١٩٦٨) والفصل الطائر (١٩٦٣).



**ق**اويذ سيدتي أرتور فكرة أن العالم يدعو إلى نقد غير معاد قدر متعين من البنية، كما كان من الشوك دالما على وجهه البريء أنه لا يأتي بمروره مما جملته هو ورقائه لا يفلتون نظر للمحيطين بهم، وقد ترد باستمرار على القوتين المألوفة عند الناس وعلى أوضاع الرخاء القاسية، إلا أن تردته قد خلت من كل جدية، مما يجعله أرضه لاحتلال مصطب البليانثران وجد.

ليس من السهل دالما أن يسيطر لفره على دهره، فغالبا ما يوقع أرتور كل من يرافقه من أسدقائه في ظروف حرجة، فأمر ما في الأبرار أن ليس لأي شخص هيئة أدبه، وكان الصمت الساسي للمحيطين به وصياقه حيث لا يكلم أحدهم على الرضخ مما يجده مكان لاحترام في الآخرين، فلم يزل ناهليون من إعجاب أرتور ما ذلله الساجن قل<sup>(١)</sup>، ومن الأعمال معارضته.

لقد اضطرنا مرارا أن نقف في الأرتور الذي أصلنا عن آخره، ولجأة سألني أرتور بصوت عال: «ما هذا الشئ يا بولناتان؟» وأشار إلى الكنيسة متمجها، وهل يجوز أنه لا يحرف أنها الكنيسة؟ ثم غمز بعينه فقلت بالاحتجاب: «هذا هو مركز المظاني»، فقال مرة أخرى واضحا يده خلف أذنه: «هانا»، أي أنه أظهر نفسه وكان سمعه ضعيف، فقلت بصوت عال: «مركز المظاني» فأشار برأسه مبسمًا وقال: «نعم، نعم، كما بصوت».

وما كان هذا حتى نظر الركاب من الشبابيك مندهشين وتقصصوا بأعينهم الملوقة بالشمع ثم توقف الأرتور وسار مرة أخرى فسألني أرتور مشورا للجامعة: «ما هذا»، فرددت عليه قائلا: «هذا دار للأطفال النبلاء» فأمرأ برأسه شاكرًا وقال: «جملته أنه للمخبرين الصغار، وكست البساتن الذهبية أساريه على حين بدأ التلق ويسيطر على الركاب شيئا فشيئا، ثم أضاف: «إله مبنى صلايا يا قاتان». فأجبه بصوت عال: «نعم، إنه لهداء منتشر جدا هنا! أما الآن فسوف يظهر دار البنية»<sup>(٢)</sup> فقال: «آه، إله مبنى هادئ، ليس كذلك؟» فأجيبته «ليس فيه كثرين، فيض الناس يستمع في سويسرا، وبعضهم الآخر تهري له عملية جراحية،

وغالبتهم في إجازاتهم الرسمية» وهذا ظهر استياء الركاب كلهم، بل وضحه أحدهم متحمكا، فقال أرتور: «إننا نقلق السادة هنا ورجب عليك أن تخفض من صوتك» فقلت: «صام يا أقدم»<sup>(٣)</sup> ولكني أحسني ألا تفهمي، فأجبت بمساعدة قائلا: «إنني أقبض كما تظاه، فأنت تعرف السيدة أفتعل مني بكثير والمهم أني سمع منك موسيقى، ألم تلاحظ أن سمعي قد تحسن؟» فقلت: «نعم» بدرجة كبيرة، فقال: «نعم، إن لكل للحووم لايستري ولكن للظوب نسملي وللحدول عنها لأنها تسبب الروماتيزم». وهذا ظهر التحول على الركاب في جلستهم مما أعطاني الانطباع بأن استياهم كاد يجفهم لتترك مقاعدهم، ولكن الأرتور واصل المسير عبر بوابة براندنبورج فسأل أرتور مشورا لها ولأصعدتها المتأكلة: «من سمع هذا؟» فأجيبته: «هذا موقف المواصلات» قال: «والأحسنه التي في أملي؟» قلت: «هي لتكار لأخر أمصنة عريات المظنون»، قال: «مبيل، ولكن هذه الموندة (المرجبة) شبه عارية»، قلت: «هذا رمز لتأوير دفع الضرابية»، وهذا أصاب السام راكبا وأقرا ذا نظارة أنها فالزق لوبه، وتقلقت لمرأة بدية في مقعدها كأنها تتشوى وقالت لأرتور: «بوبة براندنبورج، فأجبت لها قائلا: «محذرة يا سوحتي المحترمة، هل لكك الجاوس؟» فصرخت المرأة البنية وقد نهزت الدموع من عينيها قائلة: «بوبة براندنبورج، فقال لي أرتور: «هل دلت على قمتها؟» وهذا رأيت أنه من الأفضل أن نزل من الأرتور، فقلت له: «لقد وصفا، فأشار أرتور إلى حديقة الحيوان سائلا: «وماذا تعرض هذه الحديقة؟» هذا وقف أحدهم وتمركه بسرعة موجهها مقلته أمام وجهي وصاح: «إننا قلت له إن هذا هو معرض أبناء الوطن فسوف أعطيك مشرة خلف ذلك» تحرك اسم، فألتفتني أرتور لحرلما لهذا الصارخ في وجهي قائلا له: «تكرا جزيا، فقلت أنا: «لهدأ يا سيدتي فأنا أعرف جيدا أن هذا هو ميناء» «مجهولف الجوى، وسرعان ما ترك كل الركاب مقاعدهم ولتقصصوا واقفين وتماثل أصواتهم بصوت، فجلس أرتور وصرخت فداء شاحبة اللون سائلة: «لقد بدأ هذا الجدلون عدد

للكنيسة!»، ثم ولوت المرأة البنية وقالت: «بل وأصبحت الجامعة دارا للأطفال النبلاء! فردت الفتاة: «كما جعلت المكتبة العامة وليدة! فقللت السيدة وهي تخوف دموعها، ثم صارت بوابة براندنبورج موقفا للمواصلات، وهذا تقدمت بسرعة لمخل الأرتورس وقلت للكمصاري: «حاول من فضلك أن تصيغر على الركاب، ثم ففرت».

وما كان من أرتور إلا أن التفتري على محطة الأرتورس الثلاثة حتى لحتت به فقال لي: «كانوا لطفا جدا وإن كانوا بحق ذوي حمية إلا أنهم أكثر إحاطة! وفي أحد شوارع قلب برلين»<sup>(٤)</sup> اقترب من سيارة مختطرة وسأل المرأة الجلاسة فيها وبين يديها كتاب صغير: «كم الساعة الآن؟» فأجابت بصرامة: «ليس ممي ساعة»، فقال أرتور: «ياخسارة! وظل واقفا بجوارها حتى مرت أنا من أمامه فرفعت تحتي احتراماً وسألتها: «كم الساعة؟» فأخرج أرتور الساعة من جيبه وقال: «الساعة الآن الثامنة إلا سبع دقائق يا سيدتي، فقلت له: «شكرًا جزيلًا، إن أتبه إلى ميدان بوتسدام وأتبعته ببطة فكانت المرأة تمزق غطاء رأسها من الخوف. ■

## الهوامش

(١) Franz Kafka: Auf der Galerie. Im: F. Kafka Erzählungen, Der Prozeß, Das Schloß. Berlin 1965 / S. 145.

(٢) Wolfgang Borchert: Des Brot. In: W. Borchert, Das Gesamtwerk. Halle 1957, S. 379-381.

(٣) H. Burghardt: W. Borchert und das Erlebnis menschlicher Verlassenheit (In: Literatur Revue, 4. 1949, S. 250-253).

(٤) Erich Kästner argert alle Leute. In: G. Albrecht (Hrsg.), Weithum: Berlin 1960, S. 127-130.

(٥) وأتم بل أسطورة رمي الفتاة - المصراع.

(٦) المقصود هنا في الحقيقة الشبكة العامة - المصراع.

(٧) المتكبر هنا Veringerstor: وهو اسم قاتل القاتل الجرماني في رواية «مركبة روما» الشهيرة، وهو يعبر عن الملاحقة العسكرية عند نقل الأوامر - المصراع.

(٨) الفاعل المقصود هو VoßnaBe في وسط برلين - المصراع.

# مختارات من شعر أمريكا اللاتينية

إعداد وترجمة: حسين الموزاني



**ق** قبل أن أقدم على ترجمة هذه القصائد الملتقاة، كنت قد عرضت نفسى لأسئلة كثيرة، منها: فيما إذا كان هذا الذى اخترته هنا يصلح أن يسمى مختارات من شعر أمريكا اللاتينية وهل من شأنه أن يمثل مثيلاً صحيحاً وصادقاً جبلين شعريين طبعاً الحركة الأدبية في هذه القارة طيلة قرناً الحالى؟ وهل هناك مثلاً ضرورة ما لنقل هذا الشعر إلى العربية؟ وأخيراً هل ترى وفقت حقاً في نقله بأحسان وحققة؟ ولما لم أجد أجوبة شافية لهذه الأسئلة، أخذت أقبل شيئاً فشيئاً تصوم الشعر العراء الذين ترجمت لهم ويوجدتني أقبل خلسة إلى دواخل هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين تصدروا حركة الشعر الأمريكى اللاتينى خلال نصف القرن الماضى كله.

كان أقدم ما أثارنى في أول الأمر كتابات الشاعر البهروانى سيزر باليوشو César Vallejo، تلك الروح المطلقة الغريبة، نصف الهندية - نصف الأوروبية وعذوبة السريالى الذى جاء مسبكاً جسداً على أثر العوامة التجديدية الدائرية والتجديدية التى اجتاحت عزم أمريكا الجنوبية مطلع هذا القرن، وتولد لدى انطباع لا أعرف مدى صحته هو أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الشاعر الذى تقترب منزله بالنسبة للشعر في أمريكا الجنوبية، رغم صعوبة المقارنة، عن منزلة بدر شاكر السياب بالنسبة للشعر العربى الحديث.

في البك المجاور للبيرو، لعشر، زيم أيضاً مصادفة، على شاعر لا يمكن تسميته إلا كذلك هو: خورخه كاريرو اندراده Jorge Carrera Andrade، أيضاً مستوسى الأصل Mestizo، أى أنه يتحد من أصل أوروبى همدى، لا أظن أننا نعرف عن شعره أو حياته شيئاً يتناسب ومكانته الأدبية الكبيرة في عزم البلدان الناطقة بالإسبانية.

إلى جانب هذين الشعارين يقف المكسيكى أوكاتافيو باث Octavio Paz، هذا الصوت الشعرى للتمييز والذى بات، بلعل ثراء ملكته الشعرية وكثرة للتجربات، معروفاً حتى لدى القارئ العربى، كل ذلك أوحى لى بفكرة لمختارات هذه التى نقلت عن الألمانية مقارفة بالأصل الإيبانى (١).

#### ١ - سيزر باليوشو

إلى الآن لم يتمكن كاتب السبر من تحديد العام الذى ولد فيه باليوشو، لكن هناك إجماع شبه علم على أنه يقع بين عام ١٨٩٢ و ١٨٩٨ ويبدو أن أحكام وتقديرات هؤلاء الكتاب، التى لا تخلو من بعض الحقائق المشبعة تاريخياً ومن بعض التصورات المضطربة، قد رجحت لعام ١٨٩٢ كسنة لميلاد للشاعر. أما يوم ميلاد فهو موضع لاختلاف المؤرخين حتى هذا اليوم. كان باليوشو مستوسياً، أى من أصل أوروبى - همدى، مثلهما هى الأغلبية العظمى من سكان بلده، أو جميع سكان «سانتياجو دى خوكو»، القرية التى ولد فيها الشاعر. كانت جداته ينتمين إلى قبائل للكهوا Quechua المشهورة وأجداده إلى قبيلة من الرعايا الإيبان لم يكن باليوشو قد فكر يوماً إرثه لشعرك هذا.

رأى باليوشو التحينة للمرة الأولى حين بلغ الخامسة عشرة من عمره. كان - يشبه شجرة مفروسة الأرواق، هكذا وصفه أحد أسدقائه. وفي صورة قديمة يرى الشعر فى كديب، مخيفاً، ضارباً فى السمرة بملابس سرباء قاتمة وفوق البياقة البيضاء المشاء يستمرل شعر أسود كثيف فاحم، يرى الشعر ملاحم قاسية رهبانية ويدين كوبرتين بارزتى العظم ووجهها حزينا احتظه عذبان سوداوان واسطان ثراها بريق حاد.

قدم أول الأمر إلى مدينة ساحلية صغيرة، اسمها «ترويجو»، ومن بعد ذلك إلى «ليساء»، العاصمة، بغية دراسة الأدب والحقوق. آنذاك بدأت رحلته القاسية مع اللغادق للرخيصة البائسة، تلك الرحلة التى رافقته حتى ساعة موته، بذلته الوحيدة كانت تلعم من قمرط الكى، ولأعوام طويلة كان يكسب عيشه كمعلم فى مدرسة شعبية وأحياناً كعامل فى مصنع للسكر.

للجامعة فى بلاد «البيرو» كانت فى ذلك الوقت مجرد متحف لعرض الشقائات التقليدية المبردة، إلا أن ذلك لم يكن يمنع بلى حال من الأحوال مناقشة آراء ديكرات باعتباره مثلاً للمثالية الراقية وأوجست كومت كرمز للجرأة والجمارة ويسروون كملعد مارق. كان همدى فراين وودنهر بالنسبة للمثقفين اللطومين لا يختلف كثيراً عن الشائعات الفضائسكية، لكهم كانوا يقرين وياتمان وخوايو إبارا برسلع وبنى الشعر اللاتينى - أمريكى، النيكاراغوى رويين «داريو» ذلك الذى تركه بصمات التضاملة وأسرانه لمعالجة، الأدبية واضحة فى كتاب باليوشو الأول.

في أوائل العشرينيات من هذا القرن كانت بلاد «البيرو» تفس بمئات الشعراء، البعض منهم ذو مرتبة أدبية رفيعة، لكن، يتساءل هذا الكتاب وللأند الألمانية هانسل انسنبرجر، مترجم باليوشو إلى الألمانية، هل هناك حقاً أنبى بيروانى خالص؟ ويجيب ببساطة: «إن ذلك مجرد وهم». فى الواقع كانت هناك محاولات مختلفة لاستمارة ومحاكاة الأدب الأوروبى واضطله طابعاً محلياً لاصطاع عليه: Indigenismo، أى الأدب القسومى الهندى. إلا أن هذا لم يكن أكثر من محاولات غير متبقة تتأرجح بين أفكار روسو الاجتماعية ومدرسة علم النفس



## شعر أمريكا اللاتينية

عاصمة الدرجة الثالثة: إيما، مجمع الملحقات الكبيرة والإمكانات الشحيحة، لكن باليوشول لم يرحل بمفرده كلاجئ وطني، إنما حمل معه بلاد «البيرو» إلى المنفى.

كان قد وضع في صحابه كل ما يمكن أن يعرض له في المنفى: «عليك أن تجد نفسك منذ الآن على الطعام القليل»، هكذا كان يوصي أحد أصدقائه، «ففي باريس سنعيش يوماً على الحبوب». في قلب العالم هذا، بدأ صام ١٩٢٣ الطراف لتزوير على القناديق القفزة نصف المهمة والعمل الصعفى غير المنتظم في دار نشر فرنسية مختصة بشئون أمريكا اللاتينية. كان ذلك زمن مقامى مرتب باريس الشهيرة، في مقهى دوم وروتاند لفتى الشاعر البيرواني، بيكاسو وجريس، تزارا وديجي، أودويره وبيروا، وأسمى من المناقشات الكبرى عن السريالية وعن جبهة الشعوب، تلك التي جعلت منه فى آخر المطاف شيوعياً بلا حزب. لم يكن يعرف الانضباط الحزبى ولا للتكديك، لكنه كان يعرف التضامن، ذلك الذى، حسب لفظة باليوشو وعرفته، لا يعرف الحدود. فى عام ١٩٢٩ أبعثته الحكومة الفرنسية من البلاد بدعوى أنه «أجنبي غير مرغوب فيه» وبخسعة علاقته مع «الدوائر الشيوعية». ذهب بعد ذلك مع زوجته إلى إسبانيا، إلى العاصمة مدريد حيث أظهر فور وصوله نشاطاً سياسياً وثقافياً مدسهاً، وربما كانت سنواته المديدية كلها أجمل سلى حياته. رأى أن للتصير سيكون إلى جانب الجمهورية، تلك التي حمل لواءها ميكر. كان فى ذلك الوقت قد كسب صداقة جارسيا لوركا، روفائيل ألبرتى، أنطونيو ماتشادو، بيدو سالياناس ولويس سيرنودا، حتى الفيلسوف الرجوى ميجول دى أونامونو كان من معارفه.

تفنن رموس للطبعة البيروانية. آنذاك أخذ اللان يدانولون اسم سيل باليوشو حتى بات ذلح الصوت، بل مشهوراً. هذه الشهرة تعمد بالدرجة الأولى إلى مجموعته الثانية التي أعطاهم عنواناً غريباً: Trilce. وذلك يعنى: للشعوب الثلاث، وأيضاً: الأطباق الشمسية الثلاثة.

كتاب القطيعة، كتاب للتصير، ذلك الذى كانت تفاصيله وهزاته الصلبة قد جعلت من غير الممكن، ولأمد بعيد، أن تلفظ الجمالية البيروانية التقليدية أنفاسها. لم يحمل هذا للكتاب نفساً سياسياً واضحاً، بل كان بمثابة شهادة خيبة أمل قاسية وإحباط فردى، كتاب متحدر تماماً من للقولاب الأوروبية؛ نظام كسل من الاستحارات والاستشهاديات والتشبهيات السرية السحرية. أشد ما كان يميز شعر باليوشو من الطواغر الأدبية للفرزمنة هو ذلك التواتر الدائم بين اللغة الملتقطة واللغة اليومية العادية.

منذ ١٩٢٠ كانت قضية الترحيل إلى باريس، رحيل بلا عودة، قضية مفتوحة؛ إذ إن الهجر الأوروبى باللمسة للكتاب والشعراء الأمريكيين اللاتينيين مرحلة لابد من المرور بها. كل المطرقات بدت لهم، وحتى يومنا هذا، تزدى إلى أوروبا، إلى باريس، أليسا كسلوا، فى بريس ليريس، فى لابس، فى مانتاجرو وفى لوما. للهجرة إلى السلام التديم.

لم يكن باليوشو قد هرب من قريته الصغيرة سانتياجو دى خوكو، إنما من

الألمانية فولدت وفرويد. وعندما صدرت مجموعة باليوشو الأولى، الرمل للسود فى إيما عام ١٩٢٨، تلك الأشعار التي بعد حق من خامسة وروج هذا البلد، وربما كانت الوحيدة آنذاك التي استطاعت أن تعين الانتباه الروعى لشعر الأمريكى الجنوبى، كان قد تغير الأمر تماماً، لم تكن تغل هذه المجموعة من التأثيرات الرمزية المعقدة، لكنها حين صدورها استقبلت تقليدياً المعجبة، إيما، باعتبارها مجموعة أشعار حدسية غرابية، وهذا ور بالصبط اتجاهها البيرواني الخاص، وهو السبب عينه الذى دفع إلى استنكارها. نشاوميتها الهندية للألمحدودة، تلك التي لم يجر عنها أدبى بعد، قرأها للفرضية غير المتبلورة وفهرسا فى عصف الأخياء غير القارئة، كل ذلك جعلها تفرج عن القرباب الشعرية القديمة. باليوشو تحدث بلغة الأساطير، لغة الترابيا الحطمة والشموع المصفأة، العالم مله بالمشاهد: البوم على سطح الدار، الملح فوق الطاولة، العريجات السوداء تهوب المطرقات، الشاكب أشكال فى كتاب الطبيعة الصمىة على اللهم والاستقاء. وفوق ذلك كانت فى كتاباته تبرزات عجبية لأحداث مأساوية رجعت بالفلح بعد زمن طويل، دقة الحدس.

المناع الثقافي والنفسى فى «البيرو» كان قد تغير تغيراً كبيراً منذ بداية العشرينيات. الاضطرابات السياسية والفكرية فى أوروبا وجدت صداها بعيداً فى هذا الإقليم الدالى، حينذاك بدأ الشباب الملتحم فى العاصمة يتحدث عن الأفكار الجديدة للبيئة: الحزف والإبداع، المستقبلية والاندالاية. ونتيجة للآزمة الاقتصادية الشاملة التي عانتها البلاد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بدأ ويكن الطبقات القديمة قد أوشكت على الانهيار حينها بدأت التصورات الماركسية والادورية

عندما تحركه الفاشيون بقيادة فرانكو عام ١٩٣٦ ضد الجمهورية كان بالوشو قد رجع إلى باريس مجدداً، إلى حلقته اللبائسة الأولى نفسها.

حقوده مع جريدة «سديكات»، كانت قد ألغيت بسبب مواقفه السياسية مما اضطره للرحيل شهراً عديدة على الأرض والقهوة...

كانت الأحداث الإسبانية تطارده دون رحمة مما أدى إلى تلف صحواه الجسدية بالكامل. وحين حاول الجمهوريون إقاعه بالذئاب إلى أمريكا اللاتينية كدعاية لهم، رفض ذلك بسبب أن شمول هذه المرحلة سيكون من أسوأ المقاتلين، وهكذا ظل في قبوره يكتب الشعر الذي نسيه سنوات طويلة. شعراً بركائلاً هذه المرة يدور بمجمله حول إسبانيا، أسماء: «إسبانيا، خذي هذه الكأس من يدي، كذاب كان قد طبعه المقاتلون ورددوه على جبهات القتال.

في نيسان ١٩٣٨ نُقل سولر بالوشو إلى المستشفى عند بوليغار أراجون مجدداً كتنظيمه الحمى، فحوصات الدم والتحاليل المتطورة والتصوير الإشعاعية لم تستطع أن تشخص شيئاً. ولما انتهى الطبيب من ملاحظته قال لزوجته بالوشو: قضية موته باتت أمراً مؤكداً، أما بأي علة سيمرت، فذلك ما لم أتمكن من تشخيصه. الأعراض المرضية التي عجز الطب والأطباء عن تشخيصها، استطاع أصدقاء بالوشو من اكتشاف اثنين منها، الأول، وهو الأخطر، اسمه: إسبانيا، والآخر هو مرض قديم جداً، قدم للبشرية، لا تنفع معه إلا العقاقير ولا الأبرام، وسمونه: الجوع. وفي الجمعة الحزينة من عام ١٩٣٨ مات بالوشو في باريس جالماً.



ليركانيات

للنفسية المحفوظة، للحادثة والمجازفة. غير أن المستقبلية تحيى أيضاً الخروج عن المألوف، التجاوز، الولوج بالتجديد والتماس التقدم، فهل هناك تنافس ما بين هاتين الميادين؟ يمكن قول هذا الكلام لو أن الشاعر كان بعيداً عن المناخ الأدبي الأوروبي، أو لو أن الناقد مسترسل قد تحرفت إليه في بلاده وليس في باريس التي أصنفت على حياله وشعره طابعا إلى حد ما أوروبا.

قبل ذلك بعام ولده، ١٩٢٨، قدم إندرادا إلى أوروبا كمبعوث للحزب الاشتراكي الإكوادوري، الحزب الماركسي الفئوي الذي انتخب أعضاؤه الموسمين في أول مؤتمر عام لهم الشاعر إندرادا كسكرتير للجنة المركزية. في تلك الأيام أصدر مجموعته الشعرية الثانية تحت اسم: «كلول الهشوة» *Guimada del Silencio* هناك عنوان قصته يروي بالثورية مثلاً هو اسم مجموعته الأولى: «البركة المتعقبة الوصف» *El estanque inefable*، الصادر ١٩٢٢.

الشاعر والصفي والسامتل الاشتراكي سافر بمائة دولار مهمة لشغل حيزه في مؤتمر الأممية الخامسة في موسكو. وفي منتصف الطريق، وبسبب من اضطرابات داخل قيادة حيزه، لم تصل الإمدادات المالية الموعودة، مما اضطره إلى إقامة أسبقيات شعرية مرتجلة وصحائرات أدبية ونشاطات ثقافية أخرى. أخيراً وصل بعد تأخر إلى هامبورج ومن ثم إلى برلين هناك بلغه نبأ انتهاء المؤتمر وأن السلطات السوفيتية ليس في يديها إطلاقه إشارة للدخول بحجة أن طلب التماس «التهرب» كان قد ختم بخاتم القنصلية الإكوادورية في هامبورج، لذلك اعتبر أمد أعوان حكومته، هكذا جاسوساً. لكن خيبة أمل الاشتراكي الثوري المتحمس لم تكن عند هذا الحد، بل كان عليه، وهو في محنته تلك، أن يبلغ بأن جرائد الإكوادور قد نظرت خبر وفاته. هذا

وكانها غير منظمة السباق، ملكة، اختفت على يد إندرادا. الأور. هندی القادم من الإكوادور، وفعل محلها اللغة الصابرة، للمحكمة، المفرقة في التأمّل؛ رغم حدة لظيان في أصناف لشاعر، تلك التي احترف بها في قصيدة منج مغفوقات بلاده: «في أصنافي يظهر فرق فريقة بركان».

الناقد التشيلية الكبيرة، جاسبريل مسترل، التي تعرف إلى كاريرا ذي السنة والمشرّون صاماً في باريس، أطلقت في مقتمستها لديوان: *Boletines de marty*. *tierra* الصادر ١٩٢٩ مصطلح «الاستقبلية الهندو أمريكية»، مشورة بذلك إلى طبيعة القصاد التي تعمل هذا المضمون. هذا اللحن المستحدث توى يطوى على معطين يبدون متناقضين أول الأمر: المستوى الهندي شديد الاستقلالية والتدريج للذهني الداخلي لهذه القصائد من جهة، والطابع الأوروبي المستقبلي المشغوف بحضرة الزمن من جهة أخرى.

مركب لا: *Indofuturista* الاستلحامي لا يعني فقط موضوع القصاد أو شكلها، إنما جوهرها، محتواها، داخليتها ونمط التفكير والشاعر الأمريكية - هندية، تلك الطبيعة

٧ - غوركا كاريرا إندرادا اللغة المذبذبة، القوة المغوية لكلمات بالوشو، التي تبدو لفرط توترها وانفعلتها،



## شعر أمريكا الإثنية

ومن حياته التي انتهت في نوفمبر ١٩٧٨ كتب مرة يقول: «حياتي، رحلتي حصول الأرض، هي سلسلة من الوداعيات واللقاءات» طوال نصف قرن من الزمن - منذ ١٩٦٨ حتى ١٩٧٦، أي قبل عامين من موته - عاش بعيداً عن وطنه: «أنا رجل من الأكادور حاول جاهداً أن يتعرف على العالم ويطور حياته من خلال ذلك كما لو أنه كان في رحلة ... كنت في الواقع مسرعاً في الخطو على هذه الأرض، وحين ألق الأن من هذا الارتفاع الوجودي، أستطيع الإدعاء بأنني صنعت رحلة جديدة، لقد عشت كي أرى...». جايرولا مسترال التي قدرت قائمة الشاعر الهندي بقرين، أو أنها تشبه إلى حد ما شجرة اليوكالبتوس، ضمنى في وصفه بعيداً: «يجب على الشراء أن يفهم الشاعر ليس فقط من لون بشرته العبيادي المرتبط بلون الأرض، إنما أيضاً من خلال طابعه وصانع إقبحه». هذه الصداقة شهر الباروفة تتم عن أسرار كثيرة. ولكي تعرض طريقة الكتابة الشعرية المتميزة عند إندراداد، تذكر مسترال اثنين من اللونين التحريفية - البودوية التي يزاولها هود الأكادور: التقبحات التي تصنعها النساء من خوص نخيل الخبخاب والتمنمات المتقنة المضرب، تلك التي تصنع من لواة اللوزتين الصلبة على هيئة أشكال نباتية عاجية. هذه الدقة التحريفية التي جعلت إندراداد يصف نفسه ذات مرة بـ «صائد الصور»، تبليغ على يده مرحلة الكمال المتأخر، إذ كم هو بعيد عن الدقة أن تسمى العصفور مثلاً «جريدوة، أو بالمكن؛ هذا التحوير السجائي، هذه الصورة، تنطوي، بعد التدقيق، على رفاقة شعرية ذات مستوى راق. ويزداد هذه الصورة كثافة ورفقة عندما تتسرقف العين عن الخطر ويبسدا الذهن للفتاوى، الذي هو بطبيعة الحال، الوجه الآخر للشعر، والتخيل.

اللبأ المفروض لم يكن من صنع أحد غريب، إنما جاء من داخل القيادة العزبية المحتربة وغرضه إلهاد هذا المناقض، الذي استطاع بمائة دولار الوصول إلى وسط أوروبا، من سكرتارية للتخمين.

«بشكل خفى، بين منتصف الليل وصباح النهار، حاول الملازم من دفع أجره للفندق البريلي المتواضع الهرب، لكنه فوجئ بشبحين، البوابة وأبنتها: «الآنكنا كانفا مشورتين للزعب: الأم بوجهها النصري المرتعد والفتاة بملابسها العذبة وحلاوتها الشفراء. البوابة وابنتها صادرتا أمحة المصادر، تلك التي كانت تنحرف، بالإضافة إلى حاجباته الشفصية، على مجموعة قصائد مدورة مزجة تركت تأثير يودولير تحمل اسم: «الشمار الحمراء». «كل شيء ضاع نهائياً، كتب إندراداد عندما صار فيما بعد وزيراً للخارجية، «وما عشت ذات يوم إلى برلين لأستعيد لشيئاً، لم يصلني أحد أي قدر من المعلومات عن البوابة التي كانت قد رحلت دون أن تتذكره أثيراً أو عولناً لها، لهذا السبب لم يكن بمقدوري أي أحد، لخصن حظي، أن يتخبرني للشمار الحمراء، حيث عادت إلى باحة الليمبروس Limpos حيث تلتى الكائنات غير المقدسة».

حين رجع الشاعر إلى بلاده بعد إقامة خمس سنوات في برشلونه، عاصمة كاتالونيا، حيث اشغل بالتأليف والترجمة عن الروسية والفرنسية، استقبله أبناء بلاده استقبالا غير متوقع بمركب حافل طويل من المركبات جعله يفكر بأن خطأ ما قد حصل، وأن شخصاً على قدر كبير من الأهمية كان في نفس القطار الذي أوصله، أراد المجموع استقباله.

على أثر عودته إلى وطنه وجد نفسه وسط دوامة سياسية، بحيرة أرنج، رأى

حالة السكان المروعة البروس، مما دفعه إلى جمع وإرتيب مقالاته السياسية والاقتصادية التي كان قد بحث بها من برشلونه وأصدرها في كتاب تدويري أسماه: «رسائل مهاجر». في هذا الكتاب رفيع الأكادوري السيلندر شعاره الذي أصبح فيما بعد رمزاً ومثلاً للضلال ضد الاستغلال واليهل والوجع: «الخير، الأرض، التعليم». وبعد ذلك بحام واحد ١٩٣٤، اشغل فترة قصيرة كسكرتير برلمان وأستاذ للأدب، بعدما شغل مناصب دبلوماسية مختلفة، لكنه في كل مراكزه الإدارية هدم لم يمثل يوماً ما حكومة معينة أو رئيساً لجمهورية، إنما دولة الأكادور. وبسبب رحلاته التي كانت تصفح أحياناً أعرافاً طويلة، بدأ شعر المهاجر يمثل موضعاً عميقاً في نفسه جعله شديد التمسك بالذات في حياة المبعوثين عن أوطانهم لأسباب سياسية أو غيرها. وليس مصانفة بأن يتضمن ميثاق الأمم المتحدة فقره: «الفقرة ٢٠٠، التي نصت على أن حق الإنسان في العيش بوطنه حق طبيعي ولا يجوز إيماده عنه. هذه الفقرة يعود فعلن صياغتها إلى الشاعر كاريرا إندراداد. وفي رسالة لأحد معارفه كتب موضحاً هذه الفقرة: «الإماد عن الوطن هو سلاح تقليدي للمستبددين الأمريكيين للجنوبيين. أنا اعتقد شخصياً، بأن أسوأ أنواع التمييز التي تلحق بالإنسان وبكرامته، هو إيماده عن وطنه وقطعه من جحوره مثل شجرة...».

«يجب أن أعترف»، قال إندرادا عالم ١٩٦٦، «بأنى لم أعمل متعة ثقافية كبرى تصامى تلك المجهودات الفنية التى تهدف إلى تشذيب المتخول ووضعه فى إطار شعرى صلبير ومنضبط بالاعتماد على مركزية عناصر ومقومات الشيء اللبنيوية، مزاوية من خلال الشعور أو الرموض المفاجئ لانعكاسات الورى». ويتابع فى مكان آخر: «محيط قصبكدي يتسع بفضل الأداة المتعائلة، أداة الصورة، ورشة للتصوير الحورية، حيث تداعيات الأفكار المرفقة المتغلغلة والمتخلفة... التى هى فى الوقت ذاته عبارة عن هوالى حساس أو سلم ثبت فى الأرض لكى يتمكن المراه من خلال درجاته تملق هضبة الحرية الروحية. فقط للصورة، هى التى تصدر على المفاجئ وغير المرئى، قال بريوتون، وهى الوحدة القادرة على إعطائى التحرر الممكن، التحرر الكامل، ذلك الذى يجعلنى هكذا خائفاً.

### ٣. أوكثافو باث

المأخذ الذى يسجله إندرادا على أوكثافو باث، الذى يكن له احتراماً وتقديراً عميقين، هو اعتقاد باث، بأن الأمريكيتين الثلاثين «ناس على قدر متليل من الحقيقة، «العكس هو الصحيح تماماً»، يصرح إندرادا، «ففى أمريكنا تفرح حقيقة أحاسيس الإنسان وتهمون من خلال ذلك على جميع نشاطاته الروحية». للعالم الجديد يعطى، منذ لحظة اكتشافه، مثل انتصار الإنسان مع عناصر الكون. بوضوح أشد: للشعور هو (أسنة)».

هذا الاعتراض قد لا ينطبق على المكسيكى الكوسموبوليتى باث كما تلتزم بدقة فهو يشير فى مقابلة مع أحد أسدقائه الفنانين فى باريس ١٩٦٧، بأن

المكسيكانية، Mexicanidad، - فيما إذا وجدت أسلا - هى عبارة عن تاريخ، عن شيء معطى وليس شيئاً يجب للبحث عنه أو اكتشافه. تلك هى واحدة من «الحقائق» التى يوثقها باث ليس فقط فى مقابلاته وخطباته المتعددة الكثيرة، «والتي تبدو أحياناً بالغة التناقض، إنما فى قصائده نفسها. فكل حقيقة، حتى ولو كانت كبيرة شاملة، تفقد المجال للحقيقة الأخرى للتأدية إلى أن يتولد عالم من الحقائق المتضاربة:

«التاريخ هو الطريق:

لا يفضى إلى أى اتجاه،

نحن كلنا نسلكه،

نحن لا نمضى، لا نأتى:

نحن نرائن بين يدي الزمن،

باث لا يحول هنا القرار من ليدى الزمن، وفى الوقت ذاته لا يريد إظهار قلقه واستسلامه له. مكسيكياته التى حاول جداً وضع تأريخ لها - ربما نتيجة لانضغالاته المركزة تركيزاً شديداً لإبراز هوية بلده ومعاينه الاجتماعية وطبيعة سكانه - تراها معتمدة فى: «مناخ العزلة»، هذه المجموعة الوجدانية الانطباعية أثبتت كم هو ضرورى «ومع أن نتعامل عن الشائى للقرسى وعواقبه من أجل اتخاذ مسارات وأبعاد غير جغرافية وغير محددة، بغية اكتشاف الذات.

نحن المكسيكيين لا نملك شكلاً من شأنه أن يكون ذاتياً، هكذا ولخص باث تأملاته، «هذا لا يمكن تفسير (المكسيكانية) بالاستناد إلى حالة أو اتجاه تاريخى محدد، إنها تارجم بين تصميمات كونية مختلفة، تلك التى حملناها طوعاً أو قرضت علينا واحدة بعد الأخرى، غير أنها اليوم لا تعنى لنا شيئاً البتة... هذا الاعتراض هو الذى يهمنا أكثر بكثير من خصوصياتنا، إذ إنه: فيلسوف وجوردا.

هذا الموقف الكونى يتقاسمه الجميع. وعندما تكون الحقيقة هذه واضحة، تكون أذاك قد عثرنا على وعينا الخاص. قديماً عشنا على هامش للتاريخ، الآن نرحبنا إلى منتصف العالم: هكذا على هذا النحو الذى صرنا إليه بما فيها الأوروبيون الأمريكيون الشماليون. لقد أصبحنا كائنات محيطية... وإذا لم يوجد هناك أى مركز نستطيع التوقف به، فسوف نظل وإقسين، على أية حال، فى الهامش». ويختبر إيجابى يعنى ذلك: «اليوم وبعد التاريخ ومحتة من جديد، صار ذلك الذى كان عليه زماناً أن يهرب: تأمل الناس... ومذ الآن فصاعداً سكنون قرارات المكسيكى نهم للناس جميعاً والعكس صحيح تماماً».

العزلة إذن هى أساس هذه النظرة الشمولية التى حسبت على المكسيكى الهائى ضمناً أن خيالة: «العلة التى فهمت أخيراً على أنها القلة البدائية، الشرط الأساسى، الورى أنفسنا من ناحية، وللصراع إلى الحصر من أنفسنا من ناحية أخرى».

الكلمة الضرورية لهذه الجملة لجدما فى نص لثرى آخر أكثر وضوحاً ودلالة: «العزلة الحقيقية تتألف من الانفصال عن الوجود الذاتى وفرضه إلى وجود ذاتى. نحن كلنا نمعش العزلة، إذ إن كل واحد منا اثنان، للغريب، الشخص الآخر، هو ثنائينا... هل إننا إذن شكل موجب أو أثرى لغاي هذا الشكل؟...» برعب بالغ يسير الإنسان مفتوحاً عن ذلك الآخر، الذى هو نفسه فى الوقت ذاته، وليس هناك من يحميه إلى نفسه غير قفزة الموت Salto mortale... اللعب، المصورة، الظاهرة. لحظة الاعتذاب الشديدة للطرف هذه، هى تلك التى بزغ فيها وجودنا الكامل من جديد...!



## شعر أمريكا اللاتينية

كتب مرة يقول، «تدّن لنفسك حصيرة لم  
تدفعها جسديك بعد».

للقصيدة الطويلة التي اخترتها ضمن هذه  
المختارات «لوحه لايابة لسان أنديونسو» هي  
تأملات شعرية وجدانية باللغة الأكلة والنداء.  
هذا كان قد رجع أوكتافيو باث إلى مدينة  
بابله مكسيكو، بعد فراق طويل، ووقف في  
شبهائه أحد اللغاق أولاء، حيث كانت زوجته  
قد استسلمت للزوم، وهو، الشاعر بدأ بعمل  
فكره في استحضار الماضي البعيد واستعادة  
صوره الضائعة وماضى أولئك الأصدقاء  
الذين كان يلعب معهم حين كان طفلاً  
سعيداً وفنى يقرأ روايات دوستوفسكى  
و سكندال ويعود بتذكرته إلى العاصمة  
مكسيكو عام ١٩٣١ محملاً بذلك لثقافت  
لزمن أو على الأقل تحليل حركته.

ولابد نرى من الاعتراف هذا، بأن  
سمرجات قد واجهتني في نقل الصور  
الشعرية، التي تشبه المركبات السمرية  
الطائرة، حين الإخلاق بالأصل الذي رتب  
تربطاً منتظماً، فبدت القصيدة السقولة إلى  
المرحبة وكأنها حرقية؛ لكنها، حين تأخذ  
بأنها كلمة كلمة، ثم جملة جملة، تتكون من  
جديد كمشاهد مرتبطة بعضها ببعضاً  
أو منفصلة عن بعضها بعضاً تماماً. وأعرف  
أن ذلك أمر شاق في القراءة ...

في مكسيكو العاصمة وإد أوكتافيو باث  
عام ١٩١٤ كطفل لمائلة إسبانية - هندية  
الاعتبار. ولده حمام ثائر - أحد أنصار التناقد  
الفكري إبان حرب التحرير، إميليانو  
ساباتا، Zapata - قوفي مبركاً على أثر  
حادث اصطدام مع إحدى التراموايات.

بعد دراسة جامعية غير منتهية وبعد  
محاولات أدبية أولى، ذهب الابن باث عام  
١٩٣٦ إلى مقاطعة «البارا» الفقيرة، تلك التي  
قرأ عنها كجورج في مكتبة جده اللواتي  
والصمعي، لفرض تأسيس مدرسة إعدادية  
لتعليم أبناء العمال والفلاحين. ولما تدرجت  
الحرب الأهلية الإسبانية، سافر باث إلى  
مدريد وبرشلونة وباتيسيا. هناك تعرف إلى  
روفاثون ألفيرتي، لويس سيرتودا، سيلز  
بالشهور بابلو نيرودا.

عام ١٩٣٨ عاد إلى المكسيك للعمل من  
أجل قضية الجمهورية الإسبانية وأسس  
جريدة أسماها «الجمهورية»، اشغل فيها في  
البداية كمحرر ومن ثمة ككاتب ومحل  
إخباري، إلى أن أخطره بعض المستبددين  
الأرثوذكس بالانتماء عن العمل الصمعي.  
حينذاك أسس مع مجموعة من الكتاب  
الشباب مجلة أدبية تحت عنوان «الورقة»،

حيث نشرت للمرة الأولى في المكسيك  
نصوصاً لهولدرلين، نوباليس، وإيم بلاك  
ورامبو. بعد العام ١٩٤٠ أصدر مع أصدقاء  
آخرين مجلة الطليعة المكسيكية «الابن  
الضال». وفي نهاية ١٩٤٣ سافر إلى  
الولايات المتحدة لإعتم بشكل خاص بدراسة  
أعمال كيومنتيس Cummings وباولد  
ويكس. وفي سنة ١٩٤٥ وصبر وساطة  
لحد الأدباء المكسيكيين لخرط أوكتافيو  
باث في الملكة الدبلوماسية الذي تركه عام  
١٩٦٨ أحجافاً على قمع للتأخرات الطلابية  
في ميدان تلاتيكو في العاصمة مكسيكو قبل  
الفتح دورة الألعاب الأولمبية بفترة قصيرة.  
منذ ذلك الحين حتى اليوم لا يمكن الحصول  
على عنوان ثابت له، فهو مرة في لندن  
وأخرى في الولايات المتحدة وثالثة في  
باريس... لا قام في ذلك المكان مسردين،



## مختارات من شعر أمريكا



## القصاصائد

### سيزر باليشر

(حجر أسود فوق حجر أبيض)

ساموت في باريس حين تكسر الغيوم،  
مذ الآن أتذكر ذلك اليوم الآتى .

ساموت في باريس، لماذا إذن لا،  
فى أحد الخميسات، ربما مثلما اليوم، فى الخريف .

سوف يكون خميساً، إذ إن اليوم، فى الخميس،

حين أقول هذا، ترجعنى عظامى،

ولم أجد نفسى مرة وحيداً مثلما الآن فى هذا اليوم  
وأنا أنظر فى دربى عبر نهايتنا .

مات سيزر باليشر، مات سيزر باليشر .

بكيتموه، إنه لم يفعل لكم شيئاً .

بهرارة غليظة أعطيتوه عدم الرحمة: الفلاحة .

أيضاً مع قشرة ندى، الخميسات

فى شهوده، صفاته هى شهوده،

المطر، الوحشة، الشوارع ...

### الجسد

عد نهاية المعركة

سقط المحارب قليلاً، تقدم منه رجل

وخطابه: «إنك لى حبيب! لا، لا تمّت!،

لكن هيهات، كان الجسد قد واصل الموت،

ثم تقدم منه رجلان وقالا له:

«لا تتركنا وحيدين! شجاعة! عد لنا من جديد!،

لكن هيهات، الجسد قد واصل الموت،

تقدم عشرون، مائة، ألف

خمسمائة ألف للمساعدة

هتفوا جميعاً بكل هذا الحب إن يثنى الموت!

لكن هيهات، الجسد قد واصل الموت

للتفوا حوله، ملايين من الناس،

توسلوا به: «تمهل قليلاً أيها الشقيق، تمهل!،

لكن للجسد القليل قد واصل الموت

أخيراً طاف به جميع ناس الأرض،



فَاجَأَتْ لَبِي بِمَسْقَطٍ مِنْ وَجْهِ

وَقَالَ الرَّجُلُ الْآخِرُ :

اللحظة الأخطر في حياتي

لم تأت بعد.

باريس ، أكتوبر ١٩٣٦

كل ذلك يبقى في الخلف، فقط أنا أخطو إلى الأمام

أنتزع نفسي من هذه المصطبة ومن حذائي

من موقفى الهائل، من أفعالي،

بلا ريب، هناك يرقد رقصى محطماً :

كل ذلك يظل في الورا، فقط أنا أتقدم.

ذهاباً ورجوعاً أذرع قصر - الإليزيه

وعبر جادة دى لالونا المنفردة

أترك حالة موتى تهدمى،

مطوقاً كالداس، منفرداً تماماً

وعلى نحو طارئى قالت لى سورتي الإنسانية المتطابقة :

وداعاً

ومضت تغلب كل ظلالها.

سيمصبح ما تبقى لى هنا برمته غريباً.

لشيء بذلته هو شاهد مرتضى :

فى الحذاء تغب وعلمى أطيان وقاذورات،

حتى عند طوية العكس فى قميصى

المزور نفسه.

رأى الجسد الطريح ذلك، تحرك،

عدل قوامه ببطء

وحائق المتقدم الأول، تقوّم ثم سار ...

لحظة الحياة الخطرة

تكلم رجل :

اللحظة الأخطر في حياتي هي تلك التي مررت بها

في معركة «مارينه» عندما أصابتنى رصاصة في الصدر.

أحد آخر قال :

اللحظة الأخطر في حياتي جاءت مع الطوفان العارم في يوكوهاما

ذلك الذي، كما لو أنني بمعجزة، تفاديت

تحت سقيفة معجر للأصباغ.

وقال أحد آخر :

اللحظة الأخطر في حياتي تأتي

عندما اضطلع به نهاراً.

وقال أحد آخر : اللحظة الأخطر في حياتي باغتتني مرة

حين كنت وحيداً.

وتحدث آخر :

اللحظة الأخطر في حياتي هي تلك

عندما كنت سجيناً في بيروت.

وقال آخر :

اللحظة الأخطر في حياتي كانت عندما

### ناقوس الثانى من نوفمبر

ملاذ آمن هي هذه الكراسي،  
غصن الحديس يحف، يغادر،  
يأتى، يترنح وينسج بالحرق عبر للخرقة ملهكا.  
حزينا يرسل الثانى من نوفمبر قرعات ناقوسه إلى القبر.  
أيها الأموات، إلى أي مدى دلفتم قاطع أسنانكم  
ذلك الكامل الذي يمس الصبب الأعمى  
دون أن يفكر بالمنسوج الصبب  
ذلك الذي يرتقه العمال المناوبون،  
يرتقون، غداء، بخيط قلب لامتناء،  
يشقون الأزرار وينشقون أشكالاً صليبية  
بلا عدد.

### أنتم الأموات بركبكم البارزة

التي صلبها الفشوح،  
كيف تغلمون القلب الآخر بأكاليلكم البيضاء.  
الرافة تموزكم، نعم، أيها الأموات.

حزينا يرسل الثانى من نوفمبر قرعات ناقوسه إلى القبر.  
وفي غصن الحديس  
تطوق عربة جري بأسنانها،  
العربة التي تهبط للشارع قديماً  
بيسر.

### رسالة إلى العابرين

أتناول يومي الأرنبي مرة أخرى،  
أبائي القليلة الهادئة.

وأقول للنفس بين نفسي :  
هذا هو لا إدراكى الإجمالى، كتلة،  
هذا هو تقلى للمريح الذى يقتل على  
مثل طير هذا تحت،  
نلك هي ذراعى، ما يلامسها لا يريد أن يصبح جدلها  
هذه هي كتاباتى المتقدمة،  
هاتان هما خصيتاى اللقتان.  
جزيرة شاحبة سوف تثيرنى قارياً،  
بوهما الكونجرس الأمريكى يستند على الحطام في  
داخلى  
ومجلس الشيوخ مسلحاً بالحرب يطرق  
عجوزى

وإذا ما أنا مت،  
بالحياة وأبوس بأثر الزمن،  
وإذا ما كانت حقيقتاى فقط الاثنين ولا شيء غير ذلك،  
ستكون نلك هي محنتى لثى خبأت يوماً  
شظايا مصباحى،  
هذا هو الرأس الذى تحمل عذابات خطاى  
دائماً يحوم في الدائرة،  
هذه هي اللدينان لثى أحصاهما القلب، ولحدة، واحدة،  
وهذا هو بدنى يتضامن مع ذلك الذى



الذى أقود إليه زوجى إلى الأمان  
وإلى حد ما، تسبباً، كنت أنهض ثانية  
حتى تعرف لماذا تحتفظ الحياة بهذا الكلب السلوفى،  
لماذا أنا أبكى، لماذا أنا ولدت صارخاً  
متردداً غير لبق،  
مضطرباً،  
لإنراك ذلك ولزم إيجاد  
أبجدية خاصة؛  
تلك اسمها رغبة المعاناة لأجل الذكران  
لكن ١٧١٧١٧ ربح فليس  
لمصوغاتى!

خوف، نعم، مع نعم هائلة جنونية  
صلابة الجلاء عشق الانتقام، تريدنا أو لا تريدنا السماء  
والطير،  
خوف، نعم مع كامل فحة البطلون.  
خصام بين بكائين، المصادرة اللطيفة  
للحظة الوحيد،  
طريق بلا ألم أتألم فيه بحذائى السطاط  
تحت سرعة جريانى الأعمى.

#### النظرة الباردة غير المتحيزة

فى نظرة باردة غير متحيزة،  
الإنسان هو كائن حزين، يسعل  
ليس إلا  
كلما يجد فرحاً ضئيلاً فى صدره الأحمر،  
هو أنه يهجع نهاراً، وعدا ذلك

بحرس الروح المنفردة، تلك ستكون سركى  
التي أقتل فيها قملاتى للملودة نوا،  
هذا هو الشيء، شيء، شئ الرهيب.

أنهاء ذلك، أثناء الارتعاشات،  
تستريح أفراسى الفاطمة  
وتعانى مثلى تحت كلمة الأسد المارية :  
وأنا كنت هذا ممكن التنازل بين طغيان فرمودتين  
عدت فى حالة حسنة، ولتسبح  
شفتى

صدري يريد ألوانه ولا يريدنا  
وأنا أمشى عبر شوارع العروسة متوكفاً على العصا،  
باكياً،  
أحاول أن أكون سعيداً، أبكى فى يدى،  
أذكرك، أكتب  
وأسمر دمة فى عظم وجهى.

للشديد يريد لعمرازه، الخبير يريد لعمرازه أحمر  
مصبوغاً بالفأس المبهمة،

بهزيمة الجناح الذى يحدو على الرجلين  
لكنه لا يريد ذلك كله،

فى الواقع له الحق، هو، لا يريد الإنسان  
يدام فى روحه،

يحفر صدغه بالرماح،

الحيوانى جداً، الفاسى، ذو اليندين.

هكذا أنا مجرد عدم، هكذا أسقط من السموات

لا شيء،

إنه حيوان لبون معتم ويمشط شعره ...

بالنظر إلى

أن الإنسان يحد من عمله شغلًا

متركسًا، يتردد سنده ويرن متصاغرًا،

هو أن رسم الزمن البهائي،

«ديوراما» ساكنة لمدالياته

وعيونُه نصف المفتوحة

مذ العصور القديمة

ترقب صيغتها للجمعية الجامعة ...

في مراقبة سهلة،

يظل الإنسان من وقت لوقت متفكرًا

كما لو أنه يريد البكاء،

مرميا ومصممًا كفاعل ومفعول

ويصنع من ذاته نجارًا ماهرًا، يتصيب عرفًا، يقتل

ويحتدّ بنى ويهدم ...

أيضًا بالنظر

إلى أن الإنسان في الواقع مجرد حيوان

وفوق ذلك، قبل أن يستدير،

يلطمنى على رأسي بحزنه ...

بعد امتحان نهائي

لثيابه الداخلية، لمرحاضته، لثيابه المحور عليها،

لثيابه، حين يهتتم يومًا رهيبًا

ويشطبه ...

عدد أخذ الإشكالية بخاطر الاعتبار،

إن الإنسان يحرب لحرمانى له،

هو أننى أكرهه مشبمًا بالسلف، وهو كلمة واحدة

لا يعنى بالنسبة لى شيئًا ...

بمسألة أورائه ما فرق الشخصية

ووضع تصريحه تحت الحنسة، هذا الذى يعلن

بأنه ولد صغيرًا جدًا.

أصل له إشارة :

تح!

وأعانته متحركًا

نعم وإن كنت هكذا متحركًا ... متحركًا ...

المشهورون

سيأتى اليوم، أرفع ذراعك عاليًا

وتفنى عن نفسك تحت الفراش،

استقم ثانية

مع رأسك كي تستطيع المشى معتدلاً

سوف نحل للقيامه، فخذ مذاك وامض!

سيأتى اليوم، امسك

أحشائك الكبيرة بقوة فى يدك، تأمل جيداً

قبل أن تفكر، إنه امرع

حين تحل للفاجمة بأحد



التي تجمع فيها دفتي، عزيزي  
الفتيل،

سوف تحمل القنينة، فخذ جسدك المتبقي وانصرف!  
سيأتي اليوم،

للمصيح، البحر، للترنيد

يطوفون بالارباب وراء عزمك الخائرة  
والضباع تد خطاها بمقاسات خطو الحمام إجلالا لترفك  
الكلاسيكي،

الخبازة تفقدتك،

الغصاة تفقدك

وهو يهرع للساطور الذي يرتخي فيه القولا  
مثل رهينة والحديد والمعدن كله،

فلا تنس، عند القداس لا يوجد هناك أصدقاء،  
سوف تحمل القنينة، خذ شمسك وامض!

سيأتي اليوم،

مضاعف أنفاسك،

تلت حسناك الساخنة،

واصدم الخوف بالمتلوع،

الترابط والتأكد،

بينما أنت (المرء يرى ذلك في ثلاثيك ولأن  
الشر،

حقاً، غير قابل للموت)

حملت هذه الليلة بأنك عشت

من اللاشيء ومث في كل شيء ...

ويستطد السن بإحكام.

عليك أن تأكل وافر ذلك أقول لنفسى :

لا تتكدر، فالكدر هو الحشرات على بوابة القبر : ذلك ليس  
للفقراء،

هكذا أصلح نفسك،

تبصر،

ثق بغيظك الأبيض، نحن، احص سلسلتك  
وخبئها خلف المرأة .

سوف تحمل القنينة، فخذ روحك وامض!

سيأتي اليوم، إنه يتمخض،

له عين متفتحة في اللندك يكيل لها العقاب  
يصلعها بمرآته ...

هل ترتجف؟ تلك هي دولة الجبين الممتدة  
واحة المعدة الفتية

إنهما يشفران إلى الآن، فأى عالم يأخذ  
هذا الشخير معه!

كيف بدت مساماتك اللائحة نطقن بالحكم!

بين كل اللطائف وحيد أنت!

سوف تحمل القنينة، فخذ نومك وامض!

سيأتي اليوم، أنا أقول ذلك

مرة أخرى عبر آلة كلام صممتك،

ويحلتني عند الجوع أمسك يدى اليسرى

وعند السلق البذ الومنى، انفض يدك عن هذا،

تحت جميع الإشكالات ستكون فقيراً بين الأغنياء،

الأفضل لك أن تنصم برويتك

## ٢ - كاريوا إندرادا

### فراشة

طفلة رمنجة أنت.

وحين نفرشين جناحيك :

يصيران منشور حقل يمتدج بالحياة

### حوار

أشجار الحور تفس فرشاتها

في حلويات السماء

وتبدع طبيعة من صل

### تعريف الثورس

نورس : حجاب رغبة

فرق مرجة السكون

وشاح نبش لحطامات السن.

هبروغلفيا السماء

### أبهذية

الطيور هي

حروف خط يد الله

### سكان المرتفعات

أيل،

عيناك لأنى ماء من صمت

وأطراف قرونك الغابية إير،

لظم نجوم الصباح

### هراصر

تسمر الهراصر رايتها الزرقاء

على قمة صارية السماء للتأخر

بمطارق من زجاج.

### النخلة

شجرة بالكاد، هي أقرب إلى هندسة المعمار

مصممة من شمس ومن ريح،

النخلة هي عمود

في قبة السماء.

### القطاوة

تعويذة فمنية

أو شريطان بحوصلة،

مخلوقة لقطار الصباح

ذاكرة الخراب،

منجم خامات متهافت، عامر بالحياة،

عطاءة كارهة للناس.

### النجوم

حصاة ضوء معلقة على

أصعدة اللامتناهى، شعب غزير

أو عاصمة مضادة ليلا.

عيونها الآلف

نرى جزيرة القمر للثجى الصخرية.

بأعنة التكن!



لحقل سلمى لولبح قرابينه .  
من خشب الصليب القديم  
كان قد صنع المعراث .  
خاتم ألم  
كان خط الاستواء  
حول أصبح للقلب .

في السفينة ذات الشطرين بورقا  
شحلت حقبة ببهاواتي  
لأجل الإبحار إلى نهاية العالم الأخرى .

تتلأأ أبجدية صور الكوككب،  
للمرائي للطولية تعوم، كلها بهجة،  
في حوض دولاب الأفق .

تتمرد البحار  
والرياح الأربع  
مضد حلمي أنا، أمير للبحر .

مرصاة : رقيقة برسم من حديد  
يرميك للقطان على القارة القديمة  
رأيت أبراجاً مع كنياس غيومها  
وكماشات للروافع مع سلاسلها  
محمولة في المنقار .

أوروبا تترك محاريقها الميكانيكية

تكش شاهدة للقائمة أرض  
حياتك أمنيوتها كلها  
حارسة في تحذب  
قبر موتك أبداً .

ثيمسان

طقس، حيث القلب يرغب في الدمج حافياً،  
يدرم نهود الشجرة كما لو أنها فناة  
الأمنية باعكتنا، أن نكتب أشيا مانا  
بروضة سلونو .

هذه النقر الرخوة ليست إلا قشور ماء صافٍ،  
يخدشها حليف جناح أو عود عشب،  
والهواء الزجاجي مد أرق  
عليه ينزلق قارب المشرة الصغير .

قباقيب الماء تتخط مرحلة .  
يبدو أن الدواقيس قد غرقت الصمت  
والمصافير تسلك بمناقيرها  
درة الطقس للقاتن .

تكرير عن رحلة

على سطح للعالم  
ينشر الذبلك غناهم المارون للتجفيف  
للصوم كان ثقباً ملظماً للثمرة .



تدور بإيقاع زيتي

وتنصبة قس برافة

تملص السنبلة الكالسوم.

مرح العالم

وبحول، ساهداً عبر المداخن،

إلى دخان.

فوق سفحة الطحين البيضاء

تطبع المطاحن

خطاب السنبلة البروليكارى.

المدن تمدت نفسها على امتداد الهواء.

أنا اكتشفت الإنسان،

وهنا أدركت رسالتى

إنسان الأكوادور تحت برج إيفل

ستصبح نبذة على صفة الزمن.

بمقتك ذات السماء المستديرة،

وحيث إنك مخترق بأنفاق الشوارع،

فإنك أكبر شجرة لمن على كرة الأرض.

عيون البناء تتسلق

سلك المطبق صعوداً إلى الزرقاء.

تتطاول بعنقه الذى يناظر اللاما البيرووانية.

تظهر على سبرك

الآفاق

مرتدداً طويات الريح

مع مشطك الكركى المخفاه.

صارية رحلة مقامرة عبر الزمن.

كهرباء خمسمائة وثلاثين ذراعاً.

عوارض خيمة دكان،

تلك التى نصبها للناس

فى إحدى زوايا التاريخ.

بمصايبها الغازية

تنسخ للجرة نموذجك فى الليل.

حرف أول لأبجدية كرنية،

طلعة رأس موجهة نحو السماء

أمل، يتكلم على حكاية دون حراك،

إكبار الهيكل الضمى.

ميسم حديد لتطعم أعنام الغنوم

أم حارس أخضر لمصر للتصنيع،

مد وجذر السماء

يجوفان فى الهدوء دعائمك.

فتاة عارية

نبض الزمن،

مركبات بناء للفرح

تجنيدها أنت

بلا لفعل وسط المزاج للرائع.



كلما أقطع خطوة.

لا ترى هناك شمالاً أو جنوباً، شرقاً أو غرباً،

العزلة المنزوية وحدها تعيا،

العزلة مقسمة على عدد بشرى.

سباق الزمن فى سيرك الساعة،

سرة التراموايات للمضادة،

الأجراس المنصمة مثل أكتاف لاهب قوى،

وأجهات السازل التى تتجهى بعض الكلمات الملونة كلها

مصنوعة من خامة العزلة المنفردة.

صورة العزلة :

البهاء الذى يخفى فوق مسافة البناء،

عروسة نابذة فى السماء.

صور العزلة :

المسافر الذى يخفى نفسه بين جريدته؛

للندال الذى يخفى صورة شخصية فى صدره.

مثل تكوين معنى، هكذا بدت المدينة،

هندستها لم تكن جميلة كذلك التى

تطمناها فى المدرسة.

ملثت، بوضوء، مكعب سكر

أشياء نفردنا إلى حفلة الأشكال.

بعد حين، نخل المحيط متأخراً :

للمر الأول والمرأة الأولى.

أين كنت أينها العزلة،

رائحة سمك

تطلق فى ذاكرتى

حريونها (٢)

شظايا عطر

تخترقنى

من صدغ إلى صدغ

لرب من الصنوع مهلهل

يوجع جدى،

حصاة، تلك التى تحمس

مرهفة مثلما للمرأة

تقاطع أذرعها داخلة

قميص نائب نسج من خيوط وثج

عبر كانوا نار جسدك

يخفى ملاك

مشرع الجناحين.

عزلة المدن

الموانع والجدران تحيط بى،

هكذا دون أن أعرف رضى.

مع قمر رهين وظل أبدي

ذلك الذى يفقد ركبتى.

حدود حيوية ترتفع

هو أنى لم أكن تعرفت إليك قبل بلوغى العشرين؟

دالماً تجلسين بجانبى،

فى القطارات وفى المرايا وفى التصاوير.

نادراً ما يكون الريفيون وحيدين،

إنهم تداولوا فى الأرض،

الأشجار تعد أطفالهم

وتغيرت لهوى يرصدونها بأجسامهم ذلتها

وكمثالٍ لخدمتهم، ترى هناك للتقويم المقدس للحيوانات

الصغيرة

هنا كانت قد غُذيت العزلة من الكتب،

من التجوال، من الديانومات ومن أجزاء الكتل الجسدية،

من المدن والسماء التى غزتها لماكنة،

من فئات الرغوة

اللى تتمدد حتى حاشية البحر.

الإنسان اخترع كل شيء،

ولكن ليس هناك ما يحررنا من العزلة.

أوراق القمر تحفظ أسرار غرف السطوح.

النشيج هنا لغرض تدخينه فى العليون،

حاول المرء زماناً أن يذفن العزلة فى قيثارة،

يعرف أنها تطوف عبر الطوابق الخاوية،

تتماهى تجارتها بثياب المنتحرين

وتشوش برقيات التفراف.

### الطبعة المسائية

السماء يدفع بطبعة سلوكراته الأولى

إلى الموق

ويطن سياسة الطقس،

شحة حزم صنوءه،

السفن التى سوف تعوم على ترسانة السماء،

مستودع ظلال الغرب الغارب،

نمرات واضطرابات الريح،

تغيير محل إقامة الطيور،

ساعة افتتاح الأفلاك.

الوفاة المفاجئة للأشياء، تلك التى تغرق فى المد الليلي؛

نداءات النجوم المصعوفة

من معتقلا فى البعيد اللامتناه،

للتنقم غير المنتطع لجيوش اللحم

معد انتفاضة الأشباح

والنظام الجديد الذى أقامه صنوء الإيكار

برعوس حرايب برافقة على المائم.

### كيمياء الحياة

عمر يحوش فى ويصنع موتى.

تمت أنفاسه تصوير السلوات رماداً،

السكر يساقط من الفاكهة

والجلود يغلف مناهات أعضاء جسدى.

بواسطة الرياح والمغازز والمستحضرات الشاحبة،



وأرى نفسى عارياً من بدم.

الأسماك، نجوم الصباح،

تأخذ لتهاد سمواتها للعلماء.

كل ما هو لون، طير أو اسم،

سبحود بالكاد مجرد حفة يد مملوءة بالليل

وعلى بقايا الأرقام والخفوط،

على جسد الحب الذى خلق من للشار

والوسيقى،

سهبوط التراب فى نهاية الأمر، مظما للدم أو الظل،

بلا ذككرة.

#### هجاء ضد القمر

يمكن أن أقول : قمر، فاكهة ثلج

تكتلى فوق أحضان الليل الزرقاء.

غير أن الأحجار تطوى فى صدرها كل هذا النحيب،

هكذا ممالك كثيرة تندلع فى الظلال،

أن أقول : القمر هو بحر

ملأها شكاوى الناس للحزينة

هكذا دموع سفينة تُدرف لأجل القبور،

دموع تسيل من أثر الجوع،

من عيون بلا عمر منذ مئات السنين،

لم ينقطع السطر عن العالم،

ولنا

لا أرى سوى طحين القمر وصمونه الفارغة وكفنه.

يمكن أن أقول : للقمر هو منجم

فضة خرافية،

ينجز للصيف للغاندر اختباره.

أحياناً، حين أنام، يسمع للمرء كيف أنه يسب

الصنوبر العذب فى جوقته.

ها هو قد بلت جلدى بسولته الكيميارية الصفراء

ويغر مناخ يدى.

وفى للبرايا أرى، بدلا من وجهى، وجهه

ملكاً بالهجا عود.

حيبك مؤامراته فى الأعماق القصية، تحت،

حيث الأحشاء ترنض مثل حيوان مجهود

وبين المركبات الخضراء والدوارق الثلجية

يستحضر موتى ويترك السروات تسمى.

#### سكن أرضى

أسكن فى بيت من المشرق،

بيت رمل، قصر فى الهواء

وأمنى الحقائق بانتظار انهيار الجدار

وقدم الدروق،

بانتظار البزيد السماوى مع آخر نأ.

قرار الحكم الذى يأتى طائراً برفقة زنبور،

بانتظار الأمر مثل سوط دموى

يلفح سرب الرماد المللكى

جلداً.

إذن سوف أصنع مسكنى الأرضى

القمر يتجول بفقاظاته البيضاء  
لكى يقطف رويداً لولوية ، لكن كم كلثرون هم الموتى  
دون زهور ، كم كلثرون هم الأطفال الذين تهمتت أسنانهم ،  
أن أقول : القمر هو قطب السماء الشمالى

ساحر أزرق يفتن حلم الناس ،  
ويكون الحب الأول للفتاة للبكرة البورغ ،  
يجتاز الغابات فى صنادل من زجاج  
عند الأزمان السعيدة ، القمر كان  
مخفدة محشوة بالزئبق ، ذلك الذى لنفثه أحد ما من الملائكة  
لكى ينام فوقها الخلود السماوى .

قمر ، ارم قذائك فى الماء ،  
وزرع طحينك ، أضطيقك ، خبزك  
بين الناس

لا تكن مجرد بحر للدموع ، كتلة جليد  
أو جزيرة من ملح ، إنما خزن فلكية  
لجوع الأرض الذى لا ينتهى .

٣ - أوكتافيو باث

شعيرة

بقلمة من فحم

بطباشيرتى المكسورة وقلمى الأحمر

أرسم أسنك

أرسم اسم فمك

تصوير ساقيك

على جدران الأ أحد  
على الباب الممنوع  
أحفر اسم جسده  
حتى يرمى  
تصل سكرتى  
ويصرخ للحجر  
والمناط يتلفس مثل صدر

دواخل

أفكار تعارب بحسنا بعضاً  
تريد تعطيم جبهتى

على دروب الطيور  
يوصل المكتوب تقدمه

اليد تكرر بصوت عال  
كلمة تقادى الأخرى

فوق الورقة التى أكتب  
تأتى وتغزو الكائنات التى أرى

المسحاة للسمة للكتاب  
تتمد أهدتها وتشرح

أحد ما أوقد المصابيح  
سوف تفتح الساعة وتطلق مثل فراش

بحوارب حمراء ووجه شاحب



تأتیان أنت والليل ههنا

حظ في إیرات

إلى : كارلوس بيسير

أتيت إلى هنا،

مثلما أكتب هذه الصفحة

- دون فكرة محددة :

مسجد، أزرق وأخضر،

ست مبارات محترمة مخفية،

قبران أو ثلاثة،

ذكريات قديمة عن شاعر مقدس،

الأسماء تيمور وسلاكنه.

التفتت رياح المائة يوم.

كل الليالي غطتها بالرمل،

جلدت جيبتي وأحرقت جفني.

الصباح المبكر :

تطايرت طيور

وانزلاق ذلك الماء بين أحجار،

تلك التي هي خطي فلاحين.

(لكن للماء طعم اللراب).

غمغمة في السهل،

إشراقات

انحسارات،

زوايا قهرائية

هلامية مثل أفكارى

تجوال حول تجوال

في غرفة خشبية أو على الهضاب :

الأرض مقبرة جمال،

وفي تأملاتي

للوجوه ذلتها أبداً،

تلك التي تكهارى.

الرياح سيده للخرائب -

هل هي مطعنى الوحيدة ؟

عوامل تحرية :

للناقص يتصاعد ويتصاعد.

في صنوبر القديس

عميقاً في جوف الشجرة الوايسة

أدق مسماراً

أيس

كما الآخرين ضد النظرة الشريرة :

ضد نفسى ذلتها.

(أقول شيئاً ما :

كلمات، تلك التي تأخذها الريح معها)

ذات مساء ترحلت المرتفعات

دون أن تتركزح عن مواضعها،

تتجول للجرباكتات(٣)،

شمس فوق بلاطات الجدران الزرقاء،

ريبعات مفاجئة

فى حديقة السيدات النبيلات

أُتسلق القبة التركية.

مآذن موشومة بعلامات :

الخط الكوفى، الجهة الأخرى للحرف

صارَت مرهفة.

لم أستطع الرؤيا دون صور،

لا أرى الأشكال تدور حتى الاختفاء

فى وضوح ساكن،

الوجود اللامحسوس للمتصوف

لم أرو عطشى فى الفراغ،

ولم أر معالم بوذساتوا(ة) الاكثين والثلاثين

مع الجسد الماسى .

رأيت سماء وجميع الأصوات الزرقاء،

من الأبيض حتى الأخضر

فروع الحور كلها،

وفوق أشجار الصنوبر هواء أكثر من الطيور،

الشحور الأبيض - الأسود.

رأيت العالم يسترخى فى ذاته.

رأيت الظاهرات،

وسميت نصف الساعة هذه :

كمال المتناهى.

ممر تانجى - جازو

أرض مقصورة :

علمها الشتاء بأسلحته،

كان الربيع عبادة شوك .

جبال من الترهج، قزميد أسود

تحت العواقر المتحولة الحلم

تتألأ الشظية، مكشورة .

شمس عمودية، مفروسة

فى سرة الصغور العملاقة

للموت يتفكرنا .

عبر جادة جانينا

هناك فى الناحية الأخرى تهرى مطارق

أصوات مطحونة

من قمة جبل المساء

يهبط البنايون عموديا

نحن بين الأزقاق والليله الطيبة

هنا تبتدى بلاد البادية

حفرة ماء أنيمية تضطرم غفلة

تدفع ظلال حصفور للجنة إلى أسنة اللهب

حال أن يقترب من أولى البيوتات

يصدأ الصيف

أحد ما أغلق الباب،

أحد ما يتحدث إلى ظله



إشارات - بخار :

ينتثرها الليل بإمعان،

ترتفع عاليًا،

تكسر هناك فى الناحية الأخرى،

تسقط

محترقة،

على شكل ظلال مخروطي،

تظهر ثانية،

ركام شرار

عذب لفضي،

احترافات دلالية،

تتفرق عن بعضها بعضًا،

تكهشم من جديد

المدنية تخلقها وتحويها.

أنا فى مدخل نفق هائل.

هذه الجميل تخترق الزمن.

ربما هو أنا، ذاك الذى ينتظر عند نهاية النفق.

أتكلم بعيون مغمضة.

أحد ما

غرس فوق جفنى

غابة من الإبر المغناطيسية،

أحد ما

يصلل رطب هذه الكلمات.

صاربت محممة، لا أحد فى الشوارع

ولا حتى الكلب الذى يخاف

المرور وحيدًا

لم يتجرأ أى أحد حتى على إطباق عينيه

لوحة ليلية لـ «سان أديفونسو»

١

الثيلة تفتوح عند شباكى

ليلة أخرى،

مكانًا آخر:

احتفال مثلدج

على سواء متر مربع.

تحالفات احتفالية

من نار،

هندسة بدوية،

أرقام متناثرة.

من الأصفر إلى الأخضر إلى الأحمر

ينقلب اللولب فى فلكه.

شباك :

ورق معدنى ممبأ مغناطيسياً بأجوية ونداءات،

توارات الضغط العالى،

لحبة - السمام / الجحيم الصناعية المخادعة

فوق جلد اللحظة المتحول.



## الصفحة

صارت مستعمرة نمل الخوام  
استوطن فوهة معدنى .

أسقط

من دون انقطاع وسط هذا الخواء .  
أمرى دون أن أسقط .

ترتجف بى البدن

ترتجف بى القدمان

. غير أن الأبجديات تتوهج، تتوهج .

المكان

يكون ويتلاشى .

الليلة ظلت قائمة،

الليلة تحسس جبهتى،

نعيس أفكارى .

ماذا تريد هي؟

٢

شوارع فارغة، أضواء كئيبة .

فى إحدى الزوايا

شيخ كلب ما

يفتش فى القمامة

عن عظم وأهم .

اضطرابات فى حلبة الديوك :

فناء بيت مؤجر مع الشغب

للمكبك ١٩٣١ .

دروب عصافير،

سرب من الأطفال

يصنع من الجرائد، تلك التى لم تُبع،  
عشاً .

مصابيح الشوارع تخلق

فى البرية

حفر ماء كاذبة من أضواء مصفرة شاحبة .

إشراقات

الزمن يفتح نفسه :

انفعال ما

حزين، شهرتى تحت سماء مسخمة،

وميض تكورة امرأة .

C'est la mort - ou la morte...

الرياح غير المكترثة

تزيح المصصقات الواهية عن حيطان البيرت

حمراء فى حيطان سان أديفرنسر

عدد هذه الساعة

سوداء وتكنفس :

شمس وصارت زمناً،

زمن وصار حجارة



جبهاتها

حنائق من رموز متحجرة

ظلت مسمرة

عند التوالد المنفنى للمنازل القزمية،

قصور متواضعة،

آبار بلا ماء،

جملونات خجلى.

ركام غيوم،

مرجان نجوم مجرد من مادته،

يسمو ببضنه

فوق الكتل الثقيلة عالياً،

تراه محطماً،

ليس من أثر وطء السنون،

بل عبر مهانة حدث اليوم.

ميدان سوكالو،

ثاء مثل تحنّب للسماء

مكان رحب مرهف،

حيطان صلبة لرجوع الصدى.

هنا كنا نبتكر،

مع اليوخاك، وخولييان س(٦)،

شريات برق - وصواعق

صد القرن وعصاباته المبتذلة للتريد.

كنا مأخوذين

حجارة وصارت جسداً.

هذه الشوارع كانت قنوت.

تحت الشمس

كانت البويرت من فضاة :

مدينة محتلفة وفي حالة احتفال أبدي،

قمر يسقط في البحر.

الكريولين(٥) شيدوا

فوق القناة السماء والوثن المطمور

مدينة أخرى

- ليست ببضاء : وزدية وذهبية -

فكرة تحولت في المكان إلى رقم محسوب

هؤلاء بنوها

في نقطة تقاطع اتجاهات السماء الثمانية،

بواباتها

تطل على اللامرئي :

على الجحيم وعلى السماء

حي متراخ.

نحن نخطو بين أروقة كلها صدى

بين صور محطمة :

تاريخنا.

أمة الحجر الخرساء.

كنائس،

نباتات من قباب

بريح الأفكار،

بريح الكلمات،

بالرياح التي تعبت مع السرايا،

سيدة اللثمان والانعكاسات

مصممة المدن الهرالية،

هندسات

معلقة بخيوط العقل.

ديدان عملاقة :

ترامويات صفراء هامة.

منحدر - ملصق :

مركبة تالفة، حشرة بعين سيلة القصد.

أفكار،

فاكهة يمكن قطفها في الينين.

ثمار : كواكب

تحترق.

تحترق، شجرة بارود، معاورة لفيان،

اشعاع مفاجئ لقمرة خشبية .

١٢ مرة

قرعت مطرقة الأبراج البروتيرية.

الليلة

تصدعت في أشلاء،

جمعتها مع بعضها وربتها

وحدثها مع نفسها في تكامل تام.

نحن

نفوزع، ليس هناك في الساحة حيث للترامويات الجائمة،

هذا، على هذه الصفحة : حروفاً متحجرة .

٣

النصبى الذى يضمنى عبر هذه القصيدة،

بين سان أديفونسو وسوكالو،

هو نفسه الرجل الذى يكتب :

هذه الصفحة،

لثى هي أيضاً ممر عبر الليل.

هذا تتخذ أشباح الأصدقاء

شكلاً محدداً

والأفكار تتفرق عن بعضها بعضاً.

الخير، نحن أردنا الخير :

أن نرجع العالم إلى رشده.

لم يكن يعوزنا الإدراك الصحيح :

كان يتقصنا للتراضع.

ما نريده، لم تكن قد أردناه بالبراءة.

تساميم ووصفات :

غطوسة اللاهوتيين :

يعتريون الصليب،

ويستندون إلى الدم كحجة،

يشيدون المنازل بقرميد الجريمة،

ويسدرون مرسوم تناول القرآن القسرى.

البعض

صار سكرتير سكرتيرى



تشابه خدمة الجن والإنسان،

الاقتنات والصلالات :

تأريخي -

أهو حكايات غلطة تأريخية؟

للتاريخ هو النحلة

الحقيقة هي تلك التي

ما وراء التواريخ،

عدد منة الأسماء،

ما يمتلئ التاريخ :

هو اليوم المألوف،

- نبض قلب مجهول من الجميع،

متفرد

نبض قلب كل أحد بمفرده ..،

نبض غير قابل للإعادة

كل يوم متماثل مع كل الأيام

الحقيقة

هي قاع الزمن دون تاريخ

ثقل اللحظة

دون وطأة للضرورة :

بضعة أحجار مشمسة،

منذ زمن بعيد تمت رؤيتها وتعود اليوم،

أحجار من زمن، ذاك الذي أيضاً من حجر

السكرتير العام للجحيم -

الحقد الأعمى

أظهر نفسه فيلسوفاً،

لما به غطى الكراكب،

التعقل هبط على الأرض،

اتخذ شكل مشقة

- والملايين ركعوا إليه خاشعين -

تورط مطبق :

نحن كلنا كنا

في مسرح القذارة الكبير،

قاض، جلد، منحية، شاهد،

نحن كلنا

أدلينا بشهادات كاذبة

ضد الآخرين

ومند أنفسنا ذاتها.

الأمر الأشد وضاعة : نحن كلنا

كنا الجمهور الذي يصفق أو يتهاجب في السقاع الفاخزة.

الذنب الذي لا يعرف أنه مذنب،

البراءة

كانت هي الذنب الأعظم

كل عام يتكون جبل من العظام.

اهتداهات، انتكاسات، إبعاد كسبي،

مصالحات، انقباضات، جحود،

تحت شمس الزمن هذه،  
 شمس، تلك التي تأتي من يوم غير مؤرخ،  
 شمس، تلك التي تسمى هذه الكلمات،  
 شمس من الكلمات،  
 تلك التي تنطفئ حين ينطفئ المرء.  
 تتوهج وتخبو  
 شموس، كلمات، أحجار :  
 تشعلها اللحظة الزاهية،  
 دون أن تشرق هي .  
 غير محسوس، ساكن، خفي  
 هو الحاضر - ليس تجلياته - أبداً .  
 بين الفعل والتفريق  
 عمل أو تمنع،  
 اخترت حرفة الكلمات :  
 إنها تصنع، تسكن،  
 هي عيون تغطي اللغة .  
 الشعر ليس هو الحقيقة :  
 إنه انبعاث الظواهر،  
 التاريخ،  
 يتحول إلى حقيقة الزمن غير المدون .  
 الشعر،  
 مثلما للتاريخ، يصنع :  
 الشعر،  
 مثلما الحقيقة، يرى .

توجد  
 للشمس - فرق - المفقور - تحت اسم واحد،  
 انحلل  
 الاسم في إحدى جهات الأحجار .  
 الشعر  
 جسر مطق بين التاريخ والحقيقة،  
 ليس طريقاً لهذا أو لذاك :  
 إنه رؤية  
 للهدوء في الحركة،  
 الانتقال  
 إلى الهدوء .  
 التاريخ هو الطريق :  
 لا يفسنى إلى أي اتجاه،  
 نحن كلنا نسلكه،  
 نحن لا نضمن، لا تأتي :  
 نحن بين يدي الزمن  
 للحقيقة :  
 هي أن نطم،  
 منذ البداية،  
 عند حالة التراجع،  
 الأخرة عبر الفراغ .  
 ٤  
 الأفكار تتباعد عن بعضها،  
 الأشباح تبقى :

تحت شمس الزمن هذه،  
 شمس، تلك التي تأتي من يوم غير مؤرخ،  
 شمس، تلك التي تسمى هذه الكلمات،  
 شمس من الكلمات،  
 تلك التي تنطفئ حين ينطفئ المرء.  
 تتوهج وتخبو  
 شموس، كلمات، أحجار :  
 تشعلها اللحظة الزاهية،  
 دون أن تشرق هي .  
 غير محسوس، ساكن، خفي  
 هو الحاضر - ليس تجلياته - أبداً .  
 بين الفعل والتفريق  
 عمل أو تمنع،  
 اخترت حرفة الكلمات :  
 إنها تصنع، تسكن،  
 هي عيون تغطي اللغة .  
 الشعر ليس هو الحقيقة :  
 إنه انبعاث الظواهر،  
 التاريخ،  
 يتحول إلى حقيقة الزمن غير المدون .  
 الشعر،  
 مثلما للتاريخ، يصنع :  
 الشعر،  
 مثلما الحقيقة، يرى .



زماناً كان إلهٌ واليوم صار سطوعاً متناثراً.

لمراتى غفت.

إنها قمر أيضاً،

نور، ذلك الذى ينحدر متعجلاً،

ليس بين الصغور النفيسة للناثئة،

بين الأحجار وإزعاجات الأحلام :

هى روح أيضاً.

تسرى تحت حديدنا للمغمضتين،

تسقط من فوق جبهتها،

انهمار بلا صوت،

يصل أطراف قدميها،

يتلاشى فى ذاته،

يضر نفسه ذاتها،

ضربات قلبها تلعت الشكل،

تخلق ذاتها حين تخلق نفسها،

تلقد نفسها حين تخلق ذاتها

بين جزر نهديها

ذراع بحر،

بطنها هو البركة الساحلية،

وحيث تدنثر

الحمرة وحشائش أذغالها،

تسرى عبر خصريها،

تصد،

تهبط إلى أسفل،

حقيقة المعاش والمعانى.

يبقى بالكاد طعم فارغ :

الزمن

- حشائش موزعة -

الزمن

- نسيان موزع -

تعود أخيراً

فى الذكري وتيسداتها.

يبقى

الزمن، الذى صار جسداً موزعاً : لغة.

فى الشبكه،

خطوط مناورات حربية،

تشعل وتخمد

سماة تجارة الإعلان.

وراء ذلك،

بالكاد مرآة،

أوضاع النجوم الحقيقية.

تبدو

شرقات السطوح، بين البراميل، الهوائيات

دعامات سائلة

روحية أكثر منها جسدية.

تساقط حبات ماء من هدوء :

القمر.

لا هو شبح ولا هو فكرة :

تبعثر نفسها في نفسها،

ثم بعضها

في سرياتها،

تتشعب في شكلها :

إنها جمد أيضاً،

المقيدة

هي ارتفاع موج التنفس،

التاريخ الذي يتطلع إلى عيدين مغلقين :

هو سر الشخص المحسوس.

لليلة تتسرب عبر الصنفة.

طلع النهار.

الأفق أصبح عالم ماء.

أن تستط

من علو هذه الساحة :

موت ،

يمكن أن يكون مجرد سقوط أو طلوع

إحساس أو تهديم ؟

أغمض عيني،

أسمع في جمجمتي

خطى دمي،

أسمع

الزمن يمر عبر صدفي .

إنني مازلت حياً .

الغرفة رُفَّت برمل قمرى .

امرأة :

عين ماء في الليل

أترك نفسي يفرها جرياتها المائى .

(١) نلت قصائد بالهش واللاحظات المتصلة بحياته وشعره عن :

César Vallejo. Gedichte (Spanisch und deutsch).

"Vbertragung und Nachwort van Hans Magnus

Enzensberger.

Frankfurt a.m. 1981.

وكاريرا إندراد عن: / Jorge Carrera Andrade Poemas/

Gedichte (Spanisch und deutsch).

"Vbertragung und Nachwort van Fritz Vogelgesang.

Stuttgart, 1980.

ويث من :

Octavio Paz., Gedichte (Spanisch und Deutsch)

Vbertragung Und Nachwort Von Fritz Vogelgesang.

Trankfurt a.M. 1984.

Octavio Paz. Suche nach einer Mitte. Spa- وأيضا عن:

nisch und dewtsch. "Vbersetzung Fritz Vogelgesang.

Nachwort Pere Gimferrer. Frankfurt a.m. 1980.

(٢) حرون arpon، ربح لصيد الأسماك.

(٣) جار الماء، chopos : شجر حشيش يجار الماء.. (م)

(٤) بونساتوا، Bodisatva : مرابية دينية في المعتقد البوذي تسبق

الكلمات للروحي لوبوا. (م)

(٥) الكريولون، criollos : الإيبان الذين يولدون في أمريكا اللاتينية م.

(٦) «إويشا كارامازوف» : لحد أبطال دوستويفسكى و «جرليان سوريل»

بطل من أبطال ستندال م.

# قسطائد

## طينية

ترجمة: السميع عبد ربه



«مشهد»

وانج دانهوى (١)

صورتان مُظْلَتان

تحت السماء المطلمة

صورة سوداء... وأخرى بيضاء

يمتزجان....

يكرنان مشهدًا.

روحان

فى نسيم الصبح الناعم

روح كبيرة... وأخرى شابة

يمتازقان

فى ضباب التقاليد الكثيف.

رياح اليوم

تحاكي رياح الأمس

مشهد اليوم

ينتظر

مشاهد الغد

«سحابة شاردة»

لى زياويو (٢)

إننى سحابة شاردة

تطوف للسماء دون وهج السماء

إننى بلا وطن.. بلا رفيق

وكل الأوبل موصدة

روحى المطلقة تطفو بمرح

ويغمر ظلى المطلق باضطراب



حياتى ترحال من مكان لآخر  
ومثل حظى يكون وقع أفتامى

- إننى سحابة شاردة  
فلا تذهب لالقاط دموع الحب الفانت  
قد تكون التجربة رائعة  
لكن السمعت يظل أكثر روعة  
فالألم الشديد لا يقال بالكلمات.

نجد الحياة متجمدة منذ دهور.

تكتسب الشمس بالحرق بعد رحلة يوم ما  
تتألاً خرزات الشمس عند السماء الزرقاء  
نهتف فى الليل:

يا له من مشهد  
السماء زاخرة بنجوم كأنها اللآلى!

## «حياة»

### وانج جوزهن (٤)

- إذا رضيت السعادة  
فلتقبل المعاناة أيضاً  
وإذا اخذت الاعتدال  
فلتكن مضطرباً أيضاً  
إذا هزمت الآخرين  
فإنك أيضاً مهزوم  
وإذا خطوت خطوة  
فإنك أيضاً تنقذ أخرى

إننى سحابة شاردة  
سلمت الحنين

وفى الأفق تتدفق نعمة ..  
الرغبة المفردة ..  
الأخبار القديمة ..  
الأحزان الدليل ..  
ويتألاً غبار المكتب بهوده ..  
فى عينيك.

## «الشمس»

### زاوكاي (٣)

إشارة مفاجئة تثبت من الضوء  
يفر الليل بفرع من سهام الشمس الذهبية  
فيتورد وجه الشمس بالخلج.

- كيف يراضى الظلام  
من يحوى القجر !!!

## «مجرى النهر الجاف»

### لى بلج (٥)

- ليست ذكرى صريح نحتل بها  
هذا النهر المرسى  
حيث الجليد للذئاب لم يعود أبداً  
تذبل ندف الثلج المزدهرة فوق التلال منذ زمان  
وتتلاشى إلى فراغ .. متكررة  
هذا النهر الصغير .. مات من الكتابة  
ولم يترك خلفه سوى مجرى النهر الجاف  
العارى بألم .. المليء باللغوات واللغوب  
مثل مدينة خربة  
هل هو حلم أم أسطورة

يسود الضوء أركان العالم  
ومع بداية صعودها تنشر الشمس حرارتها بهنوه  
وقدر ارتفاعها قدر ما يسود الدفء والإشراق  
ثم - برأى - تختفى فى موعدها نفسه  
ترت بأكنها الذهبية فوق الأرض برقة ونعومة  
توقظ البشر من منسجهم الهادئ  
تقدم لها قرطاً من الذهب.  
تتخلص من فستانها الذهبى بثبات  
بصدرها العارى تفرج جبال الثلج بالدفء  
ثم فى الأنهار ومحطات توليد الطاقة

ذلك الذى يمسك بيديه الآثار القديمة  
كأنه رسم تذكارى للنهر.

الجليد المذاب... لن يعود أبداً

الأغانى... لن تعود أبداً

وأبداً لن تعود... السحكة القوية الباسمة

النجوم فى السماء تحولت إلى أحجار

وتبعثرت هنا وهناك

تنظر إلى بعضنا البعض حاملة بالعودة إلى مكانها

تحولت السحب

إلى رماد بلا ظل

فوق مجرى النهر الجاف ■

### هوامش

١ - ولدت «ولنج دانهوى» عام ١٩٦٣ ولها ديوان من الشعر بعنوان:  
«سأنتظرك بعد الغلام».

٢ - ولدت «لى زياوير» عام ١٩٥١ وتعمل باحدى المجلات الشعرية،  
أصدرت مجموعة شعرية وقصائد بعنوان: «أغنية عقيمة»، «المدنيل  
الأحمر للحريزى»، «مشء فى الشرق».

٣ - ولد «زوركاي» عام ١٩٣٨ وله مجموعة أشعار بعنوان: «أنا أحب»

٤ - ولدت «ولنج جوزهن» عام ١٩٥٦ وتعمل الآن فى معهد أبحاث الفن  
للمصنوع، لها ثلاث مجموعات شعرية: ١ - «توبار صفتير» - ٢ - «أفكار  
شابه» - ٣ - «رياح شابة».



# كتابة اللم

خورخي . ل. بورخيس

ترجمة: أحمد عماد القواص



الوقت... قررت أن أتذكر في هذا الظلام كل ما عرفته من قبل.. ضيقت ليالي بأكملها أستجد أعداد وأشكال حيات حجرية ونباتات طيبة بعينها... هكذا فُهرت الأعوام وامتلكت في ذاكرتي كل ما يخصني.. وفي لولة أحسست أنني أقرب من التذكر الكامل لكل شيء.. إحساس المسافرين لنفسه باضطراب في لمة عندما يقترب من رؤية البحر.. بعد ساعات دخلت في هذا التذكر الكامل..

وأحدة من القصص التقليدية عن عجلاله.. لقد أدرك الله أن الدمار سيعيق بكل شيء في نهاية الزمان.. لهذا كتب في اليوم الأول من أيام الخلق قصة سحرية تستطيع أن تمنح هذا الدمار.. كتبها بطريقة تجعلها تصل إلى آخر جيل من أجيال البشر ولا تتأثر طيلة الوقت بأي مصادقة قد تقضي عليها.. لا يعلم أحد أين ولا كيف كتبها..؟ لكنها ستبقى إلى أن يقرأها الرجل المختار..

تسمرت أنا الآن.. كما تتسمر كل الأجيال.. في نهاية الزمان، وأنه قدري

وتعلم للحم وفي اللحظة نفسها التي وحتلى فيها الماء والطعام كان الدور يدخل من الباب العلوي ويملأ قبة السجن وأسطح روية للتمر.. (نسيت حساب المئين التي قضيتها في الظلام.. في البداية كنت صغيراً وكان باستطاعتي السير في سحبي.. الآن لا.. كل ما أستطيع عمله هو أن أنتظر كالبيت..

النهاية التي أعدها الآلهة لي.. في يوم من الأيام كنت لأق صدور ضحاياي يمكنني للصجيرة.. الآن لا أستطيع.. اللهم إلا باستخدام السحر.. أن أرفع نفسي من تراب الأرض.. بدأ الأمر كله في لولة استعراق الهرم.. الذي كنت مكلفاً بحراسه.. هب الرجال عن جباههم العالية وأوسعوني ضرباً بالمديد السحني لأروح بمكان الكنز.. حطمتوا أمام عيني تلال الله ولكنه.. الله.. لم يخل على وليقلني صامتاً تحت الحنيط.. مزقوا جسدي وكسروا أطرافى وأفتت لأجد نفسي في هذا السجن الذي سأقضي فيه بقية حياتي الفاتية مدفوعاً بضرورة القيام بعمل ما لئلا

**ف** سقف السجن شديد الارتفاع، سجن حجري على شكل نصف كرة.. أرضية السجن تقطع نصف الكرة فوق القطر بقليل مما يزيد من اتساع السجن ويوطئه على ساكنيه.. جدار مرتفع يقسم السجن إلى قسمين لكنه على ارتفاعه لا يصل إلى قمة القبة.. قسمين أنا في ناحية والتمر في الناحية الأخرى..

أنا، تشيلكان، حارس هرم كوهولم (الذي أحرقه بيدرو دي ألفارادو) مسجون في ناحية والتمر في الناحية الأخرى يقين زمان السجن ومكانه بخطوات هائلة ومنظمة.. يبني ويهنا نافذة ذات قضبان تخترق الجدار في مستوى الأرض نفسه.. في الساعة التي يخفي فيها ظل كل شيء (منتصف النهار) كان السجن (الذي يقع في مرور الوقت) يفتح باباً في سقف السجن كباب المصيدة يندى منه حبلاً يدور على عجلة حديدية في نهاية أروية ملدبة بالماء

أنهت المرامي.. السماء التي أعطت للروح  
للأرض..

قلت: في لغة الله كل كلمة مستعبر عن  
تواصل لا نهائي من الحقائق.. لا بشكل  
مضيق كما في المجال الذي ذكرته ولكن  
مباشرة وسيتم ذلك في لحظة واحدة.. لا  
بالتدريج...

في وقت من الأوقات بدأ لي تصور هذه  
الجملة الإلهية تفكيراً طفولياً أو تدينياً.. وكفى  
أن يقول الله كلمة واحدة وفي هذه الكلمة كل  
شيء.. الكلمة المطبوعة لديه لا يمكن أن  
تكون أسفّر من التكون كله أو أسفّر من  
مجموع الزمان... الكلمات البشرية الفقيرة  
للشيء بالمتصور مثل (كل العالم) ليست إلا  
صورة أو ظلاً للكلمة الإلهية التي تساوي لغة  
بأكملها بكل ما تستطيع اللغة أن تصدّقه...  
وفي ليلة من الليالي (أو نهار ما الفرق بين  
نهارى وليلى؟) حلمت أن هناك حبة رمل  
على أرض المسجون وأني ذهبت لأنام مرة  
أخرى فحلمت مرة أخرى.. هذه المرة حلمت  
بأنى استيقظت وأن هناك حبي رمل وأني  
ذهبت لأنام فحلمت أن هناك ثلاث حبات  
وهكذا استمر العدد يزيد حتى مائة الرمل  
الزئزئة وكيفت أموت وسط نصف كرة  
علاقة من الرمال فأدركت أنى أعلم ومجدد  
بأنى قمت بإيقاظ نفسي.. لكن ذلك كان بلا  
فائدة فقد كنت أخلق بالرمال وأن شخصاً ما  
قال لي أنت لم تصل إلى حالة اليقظة ولكنه  
استيقظت داخل حلم سابق وهذا الحلم داخل  
حلم سابق وهكذا يحدد حبات الرمل وعليك أن  
تراجع في طريق الانهائى وتموت قبل أن  
تصل إلى اليقظة الكاملة.

أحسنت أنى صنعت وكان الرمل يسحق  
فمى لكى هفت: لا تستطيع حبة رمل في  
حلم أن تقضى ولا يوجد ما يسمى بعلم داخل  
حلم وأيقظنى الدور.. ظهرت دائرة من الدور  
في الظلام العلوى ورأيت وجه السجّان  
ورديه.. العجلة الديدنية.. العجل وأوعية الماء  
واللحم.. يطابق الإنسان بالتدريج سروره  
بصورة قدره.. الإنسان في النهاية هو حاله  
وظروفه.. وأنا كنت سجيناً قبل كل شيء..  
قبل كونى قارناً للزبد بلا حل.. وقبل كونى



بروخيس

باعتبارى آخر رجال الدين أن أكون هنا  
المختار وألك رموز الكتابة.. ولم تقل حقيقة  
أنى محاصر فى سجنى من هذا الأمل فريما  
كنت قد رأيت كحابة الله آلاف المرات من  
قبل في كوهلم وكل ما فى الأمر أنى  
ساعدها لم أقهم ماذا تحصى.. فى البدايه  
شجعتى هذا التصور.. لكى بعد ذلك أصبحت  
بالدوار فى الأرض آلاف الأشكال القديمة..  
أشكال خالدة لم تمسّ ويمكن لأى منها أن  
يكون الرمز الذى أبحث عنه.. أى جبل يمكن  
أن يكون كلمة الله.. أى نهر.. أى  
إمبراطورية.. شكل الجيوم.. لكن الجبال  
أيضاً تصوى بالأرض والأنهار تحل محورها  
والإمبراطوريات يتم نهجها أو تعانى الطفرات  
وأشكال للجوم تتغير.. كل ما فى السموات  
وتغير.. الجبل شيء مفرد والدم أيضاً وكل  
الأشياء المفردة تتحول..

بحثت عن شيء أكثر صامساً وأقل  
عرضه للانهار.. فكرت فى أجيال الجيوب  
والمشائى والطير والناس.. ربما كنت أنا ما  
أبحث عنه.. وسط حيرتى بين هذه الأفكار  
قفزت إلى رأسى ففكرت أن النمر هو أيضاً أحد  
الكائنات التى تخص الله وامتلأت نفسى  
بتدوينه.. تخيلت الصباح الأول لى زمن  
الخلقة وتخللت لى وهو يودع رسالته السرية  
جذ النمر الناعم وتخللت للتصور وهى.. بلا  
نهائية.. تتزاحج وتند فى الكهوف والغابات  
والجزر لتنتج اللوحة للرجل الأخير ليهتقى  
رسالة الله.. تخيلت هذه السلسلة من النمر..  
هذا لديه الساخن من النمر.. ثبت الرعب  
فى السهول وفى قلعان الشافية لتتحافظ على  
اللفظ المصمم على جلودها.

هناك واحد من هذه النمر فى الزئزئة  
الصاورة.. أدركت فى ذلك تأكيداً لتعملى  
وبدأت أقضى عدداً آخر من الأوهام أدرك  
نظام توزيع العلامات على الجلد.. فى ظلام  
اليوم بأكمله يسمح لى بلحظة نور وحيدة  
على فيها أن أرى العلامات السوداء على جلد  
النمر الأسفر وأنيها فى عفى.. بعض هذه  
العلامات على شكل بقع.. بعضها خطوط  
بالمرص تمتد على داخل الساق وبعضها  
على شكل دوائر متكررة ربما كانت تعلى

كلمة أو نغمة واحدة وأكثر من بقعة كان لها  
حافة حمراء..

إن أصف كيف كان هذا العمل معلاً..  
كم مرة صرخت فى قبة المسجون بأعلى  
صوتى: من المستحيل حل رموز هذه الكتابة  
ولكن وبالتدريج بدأ لغز الجملة التى كتبها الله  
يستغرقى أكثر من لغز وجودى أنا فى  
السجن..

سألت نفسى كيف يمكن أن تكون هذه  
الجملة التى قام بصياغتها عقل مطلق؟...

قلت: حتى فى لغات البشر.. لا يمكن أن  
تطلق بحرف واحد دون أن يحوى الكون  
كله... وكفى أن تقول مثلاً كلمة النمر لتعنى  
كل نمور الأرض التى أنهيت هذا النمر..  
الغزلان والملاحف التى ألهمها... المرامي  
التي تخفت عليها الغزلان... الأرض التى

متمقماً من أصدائي .. وقول كوني رجلاً من رجال الدين .. عدت من محادثة عتلى إلى سجنى الصلاد كما لو كنت قد عدت إلى بيتى .. باركت رطوبة الأرض .. وباركت الدم للسجين .. وباركت الطاقة التي تأتي باللور .. وباركت جسدى العجوز الملى بالأكلم .. وباركت الظلام والحجر ..

لم أتى شيء لا أستطيع نسيانه ولا أستطيع رسمه أيضاً، اتحدت بالإله وبالكون (لا أصرف إن كان هناك فرق بين الكلمتين) ... النشوة لا تكرر رموزها .. بعض الناس رأوا الله في إشراقة اللور .. بعض الناس في السيف ... وآخرون في الدوائر التي تصنعها أوراق الوردية.

لما رأيت عجلة مضغمة .. لم تكن أمام عيني ولا خلفها ولا على الجانبين .. كانت في كل مكان في الوقت نفسه .. كانت مصنوعة من الماء وأيضاً من النار وكانت لا نهائية (رغم أنني كنت أرى حوالها) .. كانت مصنوعة من كل شيء .. المستقبل والحاضر والماضي منسوجين معاً وكنيت أنا خيطاً في نسجها .. بيدرو دى الفارادو الذي قام بتخيطي كان خيطاً آخر .. كنا هنا جميعاً والأسباب

والنتائج .. ولم يكن على إلا أن أنظر للعجلة لأفهم كل شيء بدون حدود ... أوه ... إن فهم كل شيء مرة واحدة أروع بكثير من تخيله وأروع بكثير من الإحساس .. لقد رأيت الكون كله .. رأيت الأنماط السرية للكون .. رأيت أصول الأشياء .. الجبال التي تنمو من الماء .. الرجال الينداليين المصنوعين من الخشب .. والجدران التي هاجمت هؤلاء الرجال والكلاب التي مزقت وجوههم ورأيت الأكبة التي لا وجود لها وهي تتخلى في زى الآلهة ..

رأيت كل شيء .. تحدثت في فهم الكتابة السرية .. إنها صيغة من أربع عشرة كلمة عشوائية (أو تبدو عشوائية) كان يكفي أن أنطق بها بصوت مرتفع .. أنطق بها فقط وأكون الأقوى .. أنطق بها فقط ويتلاشى هذا السجين العجوز ويدخل النهار في نوبى .. وأصدور بالغا كما كنت وخلالاً للأبد ويدمر النمر الفارادو وتفرض السكينة المقدسة في صدور الإسيبان وأبنى الهرم من جديد والإمبراطورية ...

أريمة مقاطع .. أربع عشرة كلمة وأحكم أنا ... أنا تثليثا كان - الأرض التي حكمها مونتروما ...

لكي أعرف أنني إن أنطق بهذه الكلمات لأني لم أعد أفكر تثليثا كان .. لم أعد أفكرني ..

ليعت بموتى السر المكتوب على جند الصعر .. الرجل السذى رأى لمحة من الكون .. الرجل السذى رأى لمحة من أشكال الكون المصروفة .. لا يستطيع التفكير في رجل تافه ... في أفراحه التافهة أو في حظه السيئ ... أبداً .. حتى لو كان نفسه هذا الرجل .. هذا الرجل كان هو .. الآن هو لا يهتم .. لماذا يهتم بمصور هذا الآخر ؟ .. لماذا يهتم بأمة هذا الآخر مادام هو الآن لا أحد ؟ .. لهذا لم أنطق بالنص السحري ولهذا تركت الأيام لخصائى وأنا ممدد في الظلام ... ■

\* خورخي لويس بورخيس كاتب أرجنتيني يمد من أبرز كتاب الرواية والقصة القصيرة في أمريكا اللاتينية وكان مرشحاً لنobel جائزة نوبل عام ١٩٨٢ وعندها فاز ماركيل بالجازة قال داني في ندوة من الأمر فهو ليس هو استاذي وأستاذ كل جيل من الكتاب في أمريكا اللاتينية ..



# الجدول الزماني

## ميشيل بوتور\*

### ترجمة: فوزية العشماوي

\* كاتب فرنسي عاش شطراً من حياته في محار وتدينوا في مدينة ألمانيا.



الخميس أول مايو

تضاعفت الأضواء

ف

في تلك اللحظة دخلت هذه المدينة حيث بدأت إقامتي فيها في ذلك العام الذي انتحني أكثر من نصفه، في تلك اللحظة التي بدأت أفسق رويداً رويداً من غلوتي وأنا في هذا الركن من مقصورة القطار حيث كنت أجلس وحدي في مواجهة الدرج بالقرب من النافذة الزجاجية الكالحة السوداء، المغطاة من الخارج بقطرات المطر التي تكون عسكاً لا يمحى من المرايا المصغرة تقوم كل منها بعكس ومضة مرعشة من الضوء الخافت المنساب من مصباح السقف المصيح بينما أخذت تركيبة الضوضاء الكليفة التي أحاطتني منذ ساعات تقريبا واستمرت بلا هوانة أخذت الآن تغد مرة أخرى إلى أن توقفت.

وفي الخارج كان الضباب الأسمر والأعمدة المصنوعة من الزهر تحمق بسرعة أخذت تتصامل وبدأت تظهر بونها بعض المصابيح ذات المرايا العاكسة المصنوعة من الحديد والفولاذ المطلي بالمينا يرجع عهدنا بلا شك إلى العهد الذي كان يستخدم فيه زيت الاستصباح للإضاءة، ثم بدأت تتضح من حين لآخر بطريقة منتظمة تلك الصروف البيضاوية المكسوة على مستطيلات حمراء طرية: «محطة بلاستون هاملتون».

ولم يكن في عربة القطار التي استقلها سوى ثلاثة أو أربعة مسافرين لأن ذلك القطار ليس للقطار المباشر الذي كان من المفروض أن استقله والذي كان من المقرر، عند وصوله هذا، أن يتواجد من يستقبلني، وقد فلتني القطار المباشر بسبب بعض دقائق في محطة «أوستون» لذا اضطررت أن أنتظر

إلى ما لانهاية قطار البريد هذا الذي استقلته في محطة تقاطع القطارات.

ولأنني كنت أعلم إلى أي مدى تعتبر ساعة وصوله غير ملائمة بالنسبة للحياة هنا لما ترددت مطلقاً في تأجيل سفرى يوماً ولأبرقت لتقديم اعتذارى.

استعدت كل ذلك بوصوح نام في ذهني في تلك اللحظة التي نهضت فيها وأنا أسرى بحدى ثنائيا مسلف المطر الذي أرثديه والذي أصبح لونه في لون الرمال.

يفترنى إحساس أنه بمقدورى حتى الآن أن أعرف بدقة تامة على المكان الذي كانت تحتله حقيبتي الوحيدة الثقيلة في الشبكة وكذلك المكان الذي تركتها تسقط فيه بين المقاعد المستطيلة خلف الباب.

قلم يكن ماء عيني قد تمكّر بعد، ولكن منذ ذلك الحين أخذ كل يوم من الأيام يذر في عيني قليلاً من الرمد.

رومنحت قدمي على رصيف المحطة شبه العالي، وقد لاحظت أن اللصحات الأخيرة قد تكثرت تماماً خياطة مقبض حقيبتي الجلدية القديمة، وأنه يجب علي أن أصنط بطلاء على المنطقة الملوثة بإبهامي وأن ألقس يدى عليها وأصانف من جهدي.

انتظرت، ثم اعتدلت في وقتي وسألتني منفرجتان قفلا حتى أرتكز جيداً على هذه الأرض الجديدة وأخذت أنظر حولي، على اليسار عربة القطار من الصفيح الأحمر الفولاذي، وإلى غادرتها قوى وكان بابها المصنوع من الحديد يخطاط، وعلى اليمين رأيت خطوط سكك حديد أخرى يسلم فوق قضبانها سنوء شديد، وعلى اليمين كانت هناك عربات قطارات أخرى بلا حراك، وبلا أضواء، تمت القبة الضخمة المصنوعة من المعدن والزجاج حيث لاحظت، من خلال الضباب، وجود بعض الشجرات فيها وأخيراً لمحت أمامي، فوق المنزلقان الذي كان العامل الشخص يستعد لإخلاقه فور مروري به، ساحة حائط كبيرة ذات مينا مصقولة تلمن الثانية صباحاً.

حينئذ أخذت نفساً عميقاً وبدأ لي الهوام مرأ، حاضماً، قطعاً، ثقباً كما لو أن ذرات من برادة المعدن تسقط كل قطرة من الضباب.

وبدأت ريح خفيفة تلمع جانبي أنفي وخذني، ريح خفيفة ذات زغب لاذع وزاج مثل زغب الأحرمة السوفياتية الرطبة.

ذلك الهواء الذي كُتب علي أن أستشقه من الآن فصاعداً واحدة عام كامل، وقد سألتني بفحلي أنفي ويسألني لأتصرف عليه، وقد شعرت أنه يمشي بالثقل على تلك الأبخرة الخبيثة التي أختنق بها منذ سبعة أشهر والتي كانت قد نهجت في إغراقني في حالة تخدير فضيمة أفتت منها الآن.

إنني أتذكر كل ذلك الآن، لقد تمكيني لخوف فجأة (وكانت حينئذ نائب الفكر: لقد كان هذا من نوع الجنون الذي أخشوف منه، هذا الظلام الذي تفسر فيه نفسي، واجتاحني لمدة ثانية طويلة رغبة لامتقولة

في الشرايح، في الرض، في الفرار: ولكن كانت هناك مرة عميقة تفصل بيني وبين أحداث تلك الصباح وتبعثني من الآن وصاعداً عن تلك الرجوع التي كانت مأترة لدى بشدة، مرة أخذت تنسع بإفراط في الوقت الذي كنت أخترقها فيه بحيث إنني لم أكن أفسح أعماقها، وبدت لي الصنفة الأخرى منها بوحدة بصورة غير مقبولة وكأنها خط متقطع في الأفق حيث لا يمكنني أن أميز فيه أية تفاصيل.

### الجمعة ٢ مايو

انتعزت حقيبتي وبدأت أسير على هذه الأرض الجديدة، في هذا الجو الغريب، وسط القطارات الرقطة.

أطلق العامل البرولي للحديدية وغادر المكان.

كنت جائعاً ولكن في البهر الواسع كانت كلمات دبار، معطم، منقشرة فوق سدائر جديدة مظلمة.

ورأيت أن أبحث ففعلت في جيبي سترلي ولكن علبه السجائر، جبرلواز، كانت فارغة ولم يكن في جيبي شيء آخر.

ولكني كما كنت أعتقد حينئذ كنت قد وضعت هنا في جيبي منذ لحظات أو ربما منذ بضع ساعات لم أجد أنكر بالضبط، خطاب مدير شركة ماتويوس وأولاده، حيث ذكر فيه عنوان للسوق الذي تم حجز غرفه باسمي فيه.

كنت قد أعدت قراءة الخطاب مرة أخيرة وأنا في القطار، إن من غير المعقول أن يكون الخطاب في حقيبتي مادمت لم أفتحها طوال الرحلة، ولكني بعد أن بحثت في ملاسي بدون جدوى كان من الضروري أن أتأكد وأن أأدس يدي بين قمصاني ولكن بدون جدوى.

من المؤكد أن الخطاب قد سقط في ديوان عربة القطار ولم يكن باستطاعتي حينئذ أن أعود إلى العربة، ولم أجد ذلك أي اهتمام، اقتناعاً على بالتي سأعطر بسهولة على ما يرى موقفت في الأماكن القريبة الصابرة.

سألتني سائق سيارة الأجرة، وكنت باللبسة له الأمل الأخير في تلك الليلة، عن المكان الذي أريد في أن يقودني إليه (لم يكن من الممكن أن ألقى كلامه غير ذلك) ولكني لم أتعرف على الكلمات التي كان يستعملها، كما لم يكن بمقدوري أن أجبر في نفسي للكلمات التي وبدت أن أشكره، وسمعت نفسي أنطق بمجرد تلمحة.

نظر إلى وهو يهز رأسه، بينما كنت أبعد عن محطة القطار في صمت متجهاً إلى الأمام، ورأيت سيارته السوداء وهي تدور حول مفترق للطريق ثم تنزل المنحدر الساحط على جانبيه يسوق قبل أن تخفي في أسفل الشارع الخالي.

كانت الفرائيس العالية تسمى بهنور برتقالي اللاتخات المظلمة وواجهات المباني العالية التي لا يوجد لوانها مصابيح، وكانت جميع لوانها مظلمة وجميع وواجهات المحلات مغلقة ولا شيء يشير إلى وجود فندق.

وصلت إلى مظلة ناهجت فيها النازل وصمعت في الفراغ الموجود بين البدايات سيارات نقل ركاب «باصات»، ذات طابقتين تتلطف في السير.

وصادفت ثلة نادرة من الأشخاص يسرون مسرحين وكأنه لم يبق إلا لحظات قليلة على فرض حظر التبول اللام.

إنني أعرف الآن أن الشارع الكبير الذي دخلت فيه من جهة اليسار هو «بروان سترين» وأنا أتبع حالي على الخريطة التي اشتريتها لدى من أن يهتلي، كل المسافة التي قطعها تلك الليلة، ولكن في تلك الشقائق المظلمة لم أسمع حتى عن أحرف اسم الشارع عند زاويته، لأن اللاتخات التي كنت أريد قراءتها حينئذ كانت: «فندق» أو «بسين»، أو «دوم وإفان» هذه اللاتخات التي رأيتها فيما بعد. وأنا أعاد المرور أثناء النهار أمام هذه المنازل نفسها، هذه اللاتخات التي تلمع يسريق اليمين على لوانها الطابق الأول أو الثاني، في حين أنها كانت مخفية تماماً في الظلام في تلك الساعة الغريبة ليلة وصولي.

وحين عدت ثانية إلى الميدان وجهته قد أصبح خالياً تماماً من الناس، فأخذت أنسج في بعض الأزرقة التي تطل عليها الرابجات الخلفية للعمارات، وكنت أتوقف كل عشر دقائق لأضع حقيبتي الثقيلة على الأرض ولأغير النزاع التي أضعها بها، وبعد أن تحول الضباب إلى مطر، قررت أن أعود إلى محطة القطار لأنتظر فيها حتى الصباح.

وعندما بلغت أعلى المجدحدر فوجدت باتمام وجهات المباني، بكل تأكيد، إنني لم أنم للنظر إليها عندما مررت بها قبل ذلك بقول ولكن هل من الممكن أن أكون قد مررت من تحت هذه البوابة؟ ألم تكن هنا مظلة عالية؟! وهذا البرج، كيف لم أسمع من قبل؟!

وعندما دخلت إلى الداخل أدركت الحقيقة: لقد أسقطت هذه الرحلة القصيرة ووجدت نفسي في محطة أخرى اسمها «محطة بلاستون الهنديّة»، وكانت هذه المحطة خالية تماماً مثل الأولى.

وكانت قسماي تزلزاني، وملايبي صلبة، ويذاي متفخفين ووجدت أنه من الأفضل البقاء هنا.

وكنت أقرأ فوق الأبواب «استعلامات» «تذكير»، «بار»، «ناظر المحطة»، «مساعد ناظر المحطة»، «أسنان»، «حجرة انتظار ركاب الدرجة الأولى»، «وأدريت مقبض الباب». وحاولت فتحه، «حجرة انتظار ركاب الدرجة الثانية» (لم أنجح في فتحه أيضاً)، «حجرة انتظار ركاب الدرجة الثالثة» (وكانت متعامدة من الداخل).

وأنا أدركت بداخلها رأيت رجلين راكدين على المقاعد الخشبية، رجلان قفزان جداً؛ أحدهما مضمجاً على جنبه مغنياً وجهه تحت قبعة، والآخر مسطحاً على ظهره، ركبته في الهواء، رأسه إلى الوراء، فاتحاً فمه الذي يكاد يكون شبه خال من الأسنان بينما ذقنه لم تعلق منذ أكثر من خمسة عشر يوماً وخده الأيمن مغلى بقشرة من اللقزارة في حين ترك يده اليمنى التي ينقصها إصبعان، مدلاة على الأرض.

وكان هناك رجل ثالث يجلس بالقرب من المدفأة الباردة وكان أكبر سناً من الآخرين، مقوس الظهر، ذراعيه مضابكتان فوق بطنه، تقمصني من أعلى رأسي حتى إخمص قدمي وأشار إليّ بمصبيه في اتجاه رقبتيه كأنها يمحزني ثم دلى بمركبة من ذقنه على موضع، قمت بتقليبه إجمالاً باختصار، قبل أن أسمع حقيبتي عليه ثم أجلس بجوارها وأنا أسد مسرفتي على غطائها.

وبعد ربع ساعة وعد سماح وقع أقدم ثقبلة تقترّب أعلق للرجل المستيقظ عينيه، ورأيت مقبض الباب يدور بهذه وأخفت مفصلاته في السرير، وظهرت من فرجة الباب القوارب خونة لونها أزرق وأسود ثم برز وجه شرطيّ بنا عليه الأزاريح من هدوه للكان فأطلقاً لشوّه، وعادت المفصلات إلى السرير بويلاً قتل للباب يخلق بهذه.

وبعد قليل، وبالرغم من مقاومتى، غلبني للناس.

#### الاثنيون • ماير

أيقظني ألم في جالبي الأيمن، حاولت أن أسدح فلمست يدى سطحاً خشناً، شعرت وكأنني مغلى بطنقة من الطين المثلج.

عندما استندت وألقا كانت جميع عضلاتي متقلصة وجميع مفاصلي متجمدة، وإزم الأمر أن أفك تقلصها واحدة تلو الأخرى.

وعندما فتحت عيني لمصرت صورا رمادياً كلين ماء الغسيل ينساب في الصورة، وكان الشتردين الثلاثة يتنفسون بانتظام.

راجعت محتويات جوبوي (وسمعت قفازاً يطلق صفيراً)، التفتحت من فوق الأرض جزءاً طويلاً من حبل رفيع أبيض ملقى على الأرض وسط الأوراق الممزقة، ثم بعد أن أسلمت مقبض حقيبتي كيفما استطعت، خرجت من الحجرة وأنا أبذل قصارى جهدي حتى لا يصدر عنى أدنى صوت، واتجهت نحو «البار» الذي فتح أخيراً.

كان هناك حوالي عشرة أشخاص يشربون من أقنوح من الفيزف الأبيض ليست تحدها أطباق صغيرة، وكانوا يجلسون حول موائد مستديرة صغيرة مصفوفة على جانبي مدفأة تشبه مدفأة حجرة انتظار المحطة غير أن هذه الأخيرة كانت فيها نار موقدة من جمرات فحم مشتعلة فوق شبكة حديدية.

ورققت ثلاثة أو أربعة أشخاص آخرين ويظنون متكونين على منصدة البار التي وقتت خلفها امرأتان تاملان أباريق منخمة.

وبعد أن أطلقت على قائمة الأسعار الملصقة أمام الرف الجداري حيث تلعب بعض اللزجاجات، تقدمت وأطلت كأساً كبيرة من «الروم».

- ماذا قلت ياسيدي؟

كانت ذليلة تماماً، بارزة العظام، عصبية الحركات، في الأربعين على الأقل وبلا أدنى شك يوجد تحت قبعتها إنشاء كثير من لشعر الرمادي.

- كأي من «الروم».

وودت أن أقول لها: من فضلك، لأجمل طلي مهبذاً ولكني كنت أجد صعوبة شديدة في استعادة بعض المصطلحات التي لا يمكن الاستغناء عنها. وكنت أنطقها بطريقة خاطئة جداً لدرجة أنني، أنا شخصاً، كنت أدرك ذلك وأتألم من جرائه.

- روم؟

- نعم.

- لا ياسيدي، أسفة جداً.

- ولكن...

ونذبت نحو ذبون آخر كان يمد لها نبحاً فسكت له شأياً.

وسلعت أمامي على الحائط تحت لافتات خراط لصور من جامايكا، وصورا لوجوه زنحية وصورا لعينان من قصب السكر.

- كأي من الرئيسكي، إذن.

- لا ياسيدي، أسفة جداً، شاي؟ عصير برتقال؟



وقفت بجوارها زميلاتها وهى تكبرها فى السن، فى حوالى الستين، وأخذت تتفحص وجهي بعين قاسية حائقة.

ألا يوجد شيء آخر غير ذلك؟

مياه معدنية، صودا، قهوة، حساء.

ألا توجد كحوليات؟

لا توجد كحوليات ياسيدى، لا داعى للإصرار، لوبى قبل العادية عشرة وللصف.

شأى إذن.

ونعيت لأشرب أمام النار وسط الدخان الخفيف المتصاعد من معطف المطر الذى كنت أرتديه حينئذ وأذى أسبوع لوبى بلون الزمائل.

وعندما وضعت القندح الفارغ على إحدى المرءات لاحظت أن أحسابى قد تركت بصماتها عليه، وشعرت بالثجل لأنى تقدمت من خادمة البار وأنا على تلك الهيئة، كنت قد غدت على درجة التقذارة نفسها التى كان عليها رفاق نوبى.

ولم يكن من الممكن أن أخلق ذهنى بالتابع فى دورة السياه الصغيرة التى نزلت إليها، فلم يكن فيها صابون ولكن على الأقل، كانت الصلبة الأولية لإزالة هذه القذارة نوعاً من الغلاصن.

وشعرت بقميصى يلتصق بجلاى ووجدت صعوبة فى التعريف على نفسى فى المرأة، ولصقت على ياقة قميصى تدفقات عرق رمادية اللون بينما نقط سوداء من خيث اللحم كانت لاتزال تتساقط من شعري.

الأربعاء ٧ مايو

بعد أن تخلصت من حقنيتي بتركها فى الأمانات، شددت زمامي قليلاً ووضعت يدى داخل جيبي ثم بدأت رحلتى الاستكشافية للبحث عن حلاق.

كانت ساعة الحائط الكبيرة فى الخارج تعلن الساعة والنصف صباحاً، وكان المطر قد توقف وأصطفت بعض سيارات الأجرة السوداء للائتظار على طول الجوابية بينما بعض العمالين، الذين زهوا أكمام قمصانهم حتى المرفقين، يدفعون أمامهم بعض الصناديق على نقالات بجلاى ثم يشعلونها

فى سيارة نقل صناعى، بينما بعض المسافرين يمشون بسرعة وهم يرتدون سترات مطر قائمة اللون وقبعات معدنية تضيق قليلاً على رؤوسهم ويحملون على أنزعهم مظلة للمطر.

والنفت إلى البراء لأتفحص الوجهة المحطة ويرجها على يميني وقرأت للثلاثة ذات الأحرف البيضاء «محطة بلاستون الجديدة» مكتوبة فوق مستطيل أحمر طويل.

وكنت أردد فى نفسى وأنا ألهط للمحدر: «إني لم آت من هذه الجهة ولكن من محطة هامستون وهذه هى المرة الأولى التى أسلك فيها هذه الطريق فى هذا الاتجاه». ولكنى كنت أجد صعوبة فى إقناع نفسى بذلك فقد انحطت على الراجحان ولم أستطع أن أحد لنفسى موقع كل منهما على حدة.

وشعرت وكأنّ ذلك تزييفاً ما فى هذه اللنازل الراقدة بلا حسابة وآلى ترتفع من حولي ويقايد عددها.

وفى الميدان، كانت شمس أكتوبر الشاحبة المنخفضة المائلة إلى اللين البردى تلوح فى السماء للشاسعة من بين السحب التى تتسابق وكأنها قطمان حيوانات من «تندراء ذات البربر اللدى، بينما الريح ترفع من فوق الأرصعة البطاقات ولتقشاشات والشارات وأوراق الشجر الذابلة وتجهلها تدور فى دوامات.

وفى الوسط، اصطفت للباشات الكبيرة العمراء، ذات الطابقيين، من جديد.

وفوق لوحين من الزهر مثبتين على حجر زاوية استطعت أن أفك رموز الكتابة وأقرأ: «شارع المعطة الجديدة»، ميدان أكسندرا، ثم فى المواجهة فوق سهم يشير إلى اليمين ويبرز فى منتصف ارتفاع سارية فانوس الطريق: محطة هامستون.

وبذلت كل جهدى لاسترجاع خط يبرى الليلة اللامضية بطريقة إجمالية فتعرفت على شارع «براون ستريت»، الذى كنت قد اخترقته سدى.

وعلى بعد حوالى مائتى متر، لصحت الجسر الضخم ذا الطابقيين الذى يطل شارع

«براون ستريت»، وكان الليل والصباح قد حجبها، عني بالأس، وشدت قطاراً يمر فوقه بسرعة. ونظراً لأن هذا الجسر يماثل الجسور الأخرى، التى رأيتها مراراً فيما بعد وأنا أودع هذا الميدان المثلث الشكل، وجميع هذه الجسور تبع من بعضها بمسافة متساوية وتطل جميع الشوارع المضوية المتفرعة من الميدان فيما عدا الشوارع التى تزدى مباشرة إلى محطات القطار، ونظراً لأن جميع هذه الجسور المقوسة كانت على هيئة بوابة حصن، فقد ظننت لنفسى فى قلب «بولستون».

مرت تحت المارسة عند نقطة التقاء جانبيه المربعين، وترتكز المارسة على أربعة عماليد قصيرة غليظة، وهى على الطراز اليونانى اللورى، مسطحة بقشرة سوداء شديدة الكثافة تجعلها تشبه جذوع شجر الصنوبر التى تطل قائمة بعد احتراق الغابة ويد سقطت الأجزاء العليا من للشجر، وحين بلغت أعلى المحدر الثابت لصحت محطة «دولبي» التى يجرأها رمت حديقاً بالطرب الأحمر، فخلعت فى البهر الكبير بينما ساعة الحائط تعلن الساعة صباحاً.

كم كانت هذه الدقائق بطيئة وقبلة! وكان لا يزال أمامى دقائق طويلة وثقيلة قبل أن أستطيع أن أقرع باباً مكتب «مانيس وأولاده»، الذى لا يفتح قبل الساعة التاسعة، وقبل أن نتكلم الأمور فى آخر الأمر طبقاً للإطار المقر لها.

كان على أن أنتظر لمدة ساعة تقريباً، فأخذت أشرب خلالها قح شأى نثر الآخر حتى فتحت العوايت أبراهيم فى الميدان، ثم قام أحد العاملين بدخولهم رقبتي من الشعر القنذر، ثم التفت بعد ذلك لمدة ساعة أخرى قمتوتها فى تدخين أول عليه سجاير إنجليزية عن آخرها، بينما كنت مسترخياً على مقعد مستطيل قريباً من مكان انتظار للباشات.

وبعد أن سمعت نقات الساعة التاسع صمدت لأستجد حقنيتي من أمانات محطة «بولستون»، حيث كانت البوابة تقذف حشوداً من الناس تزاحم فى صمت بينما أخذ صف

طويل من سيارات الأجرة يتحرك في النظام.

دخلت داخل إحدى سيارات التاصم الأجرة وأنا أعطي للسائق عنوان مكتب ماتنوس وأولاده، الذي أمضته عن ظهر قلب نظراً لأنني كسبته عدة مرات على المناريك التي أرسلتها لتنظيم إجراءات مجيئي إلى هنا.

ولكن السائق، الذي لم يفهم شيئاً بالطبع، انطلق بالسيارة على الفور حتى لا يعرق الضرر، ثم فتح المربع الزجاجي لدخل السيارة الذي يفصل بينه وبين الركاب.

ورفع صوته ليستفهم متى وهو يولى راسه.

واضطرت أن أكرر على مسمعه عدة مرات: اثنان وسرور وايت ستريت، ولجتهدت لتعسين نطقى بينما كنا نهبط المنحدر ببطء، أغلق السائق مربع الاتصال الزجاجي وانعطف يميناً ثم انعطف مرة أخرى وبعد ذلك تمعنا في شارع «براون ستريت» تحت الجسر.

وتصايحت أمامي الشوارع والمنازل والإعلانات وكذلك إشارات المرور الحمراء عند المناريك، وكان ناسق الباصات المتخلفة، وكنت في دهشة من طول المسافة وتكبهت فجأة إلى أننا قد ترقفنا ونزل السائق ليفتح لي الباب.

حينئذ لتقيت نظرة على العداد ودفعت له أجرته بسعة حتى أتحبب أية مناقشة. وقفت عدة دقائق على الرصيف بجوار حقيبتي وأنا أأمل بنظري بين اللانفادات للحاسبة المعلقة على جانبي الباب المقروح على مصراعيه، وكان على كل جانب ثلاث لافتات تدل راحتها على مالت أني أنه قد تم تجميعها بالوريزيل في الصباح فيما عدا واحدة علاها صدا أخضر زمادي فبدت خضنة، وكانت الأحرف البارزة على اللانفادات تظن عن أسماء الشركات وأرقام الطوابق الموجودة فيها مكاتبها. ولمحت على وجه الخصوص لافتة مكتب «ماتنوس وأولاده» على اليسار في مستوى نظري وكانت بين لافتتي «بلموفيلد

ليمته» و«هيرسميس وفركا».. وأخذت أتأمل البداية التي تحمل رقم: للثنين وستين، بولوفد طوابها الخامسة التي تكتنز كلما ارتفعت نحو السماء التي أخذت تتبدل بالفيوم، كذلك أخذت أقلمل الأرقام السعة التي تنسقتها أنابيب المزروب.

#### الجمعة ٩ مايو

صعدت ببطء حتى وصلت إلى السطابق الأول وأنا أستند على درابزين الدرج بسبب قلل حقيبتي، وأنا أهدل كل جهدي لاستعادة للتقليل الذي أعرف من ثقافة الإنجليز والأقن نفسي عبارات الجمالة التقليدية المعتادة.

ضلعت على جرس الباب وأنا متوتر ومتعصب ومتخوف من عدم الفهم، انفتح الباب وهدد روايت أمامي القاصة الواسعة التي أودى فيها عملي حالياً طوال أيام الأسبوع.

ولعد فقط من بين السادة الموظفين للتسعة المتكسبون سواء على أوراقهم أو على الآلة الكاتبة أمامهم، رفع رأسه وخاطبني على أنني عميل:

.. نعم، ياسيدي؟

.. لود مقابلة السيد/ ماتنوس، أنا جالك ريفل، أنا...

.. أه؟ للفراسي، أنيس كذلك؟ هل كانت رحلتك مرفقة؟ تشرفاً بمرفقك ياسيد ريفل، أنا أرويك، انتظري هنا لحظة من فينك، سأذهب لمرفة ما إننا كان السيد ماتنوس يستطيع استقبالك الآن.

أخذت أنظر إلى المكتب للماشر بالقرب من اللانفاد الأخرى، تلك المكتب الغالي، الذي موضح مكتبي بكل تأكيد.

.. السيد ريفل؟

رأيت أمامي رجلاً قصير القامة بديداً، أهدر الوجه، كثير الحركة، عتقه غارق لدخل باقة قميصه اللبالية المنضدة، أنخلني مكتبه وهو يقول:

.. وسرنا ريفيك ياسيد ريفل، أنا جون ماتنوس، جون ماتنوس الشاب كما يقولون،

أرجو أن تعثر أبى لأنه مشغول جداً الآن ولا يريد أن يدخل أحد مكتبه، هل أصعبك للقدق؟ لقد ذهب جيمس جينكز لينظر لك عند محطة القطار...

.. لقد أخذت قطاراً آخر... ولم أصل إلا صباح اليوم... آسف...

.. لا أهمية لذلك ياسيد ريفل، لا أهمية بذلك ولكن كان يجب أن نخطروا، في الواقع أن الإرهاق الشديد يبدو عليك، واجينكز، رافق السيد/ ريفل إلى «لاكرو»، بعد أن تقوم بالطبع بمهمة التصارف بينه وبين زملائه الجدد. ياسيد ريفل، خذ راحتك واستقر في الفندق ولكن هنا في التاسعة صباحاً.

وبعد أن قام جيمس جينكز بإغلاق باب المكتب بعد خروجه، جعلني ألق على المكاتب وبسعت تلك الأسماء الثمانية التي لم أبداً في حفظها إلا بعد ذلك بعدة أيام وهي: بلايت، جريستون، وأرد، دالتون، كاب، سلا، مرزلي وأخيراً أرويك، أسماء هؤلاء الأشخاص الثمانية الذين كنت أراهم بعد ذلك جميع أيام الأسبوع في المكان نفسه طوال سبعة أشهر.

.. أعذه كل أمعتك ياسيد ريفل؟

وشجني صوته المنحب، المرح، المزوج بالخجل.

ورأيت يده تتلف حول مقبض حقيبتي بينما إبهامه يندري بعناية الرباط الأبيض الذي كنت قد رلقت به المقبض، وغمز لي بعينه ذات اللون الأزرق الفاتح فأحسست برجهي يعمر خجلاً، وكنت أترج.

.. سوف نلتز في «لاكرو» بالطبع، فالسيد ماتنوس المجهز يرسل جميع الزائدين للجدد إليه حتى إننا نضرب به المثل فيما بولنا، إن هذا الفندق يقع بالقرب من مسكنه القديم ويما أنه لم يحدث أن شكا أحد من الفندق فإن المجهز لم ير جدرى من تغييره، سوف ترى أن العمى مصل إلى حد ما، كما توجد دار سينما قريباً من الفندق، وأعتقد أن ذلك سيناسبك، على الأقل لبعضه أيام.. سوف نصل إليه بعد ربع ساعة بالسيارة.

وعندما انطلقنا بالسيارة بدأ المطر بههم، وكانت مساحات زجاج السيارة تروح وتعيه

وسط سيلان الشام. واستمر جيمس في التحدث بهدوء شامخاً إلى أن للسيارة «المريوس» السوداء التي تركبها ملك «ماتويوس» وأولاده، ولكنهما في صهنته هو لأن لديه جراباً خالياً في منزل والدته. وكنت عاجزاً عن الرد عليه ثم أصبحت عاجزاً عن متابعة ما يقول.

وتوقفنا أمام بوابة ذات أعمدة صفيرة مغطاة بطلاء كثيفة من الطلاء الأبيض وقد علقت فوق منصة البوابة، بواسطة سلاسل حديدية، لافتة كبيرة مذهبة حلزونية سداسية الزوايا والأضلاع، أخذت تتأرجح.

وأمام شباهة استقبال الفندق أخذ جيمس يتحدث طويلاً مع فتاة ذهبية اللبسة، ذات نظارات مزرجة، الحلمات تثير اللفظ، بينما وقفت أنا صائلاً وسط مناقشتها السريعة اللهجة، كنت انتظر النتيجة وأنا أجدل للخطر بينهما مهتساً حتى أبعد ممالك نفسي.

وفي النهاية استدار جيمس جوبكنز نحوي بهبط وقال وهو يحاول أن يسيطر جيداً على الحشود لتكون واضحة مدركا دورهم كمتخرج:

«الجمعة التي حُزرت لك تقع في الدور الثالث وابوس لدهم غيرها، ألا يضاهيك ذلك؟ وافقت بإيمامة من رأسي ودرت اسمي ورقم جواز سفرى في السهل في صفحة الثلاث ٢ أكتوبر، ثم أصدر جيمس أن يحمل حقينى ويصعد مبي حتى الجمرة الصفيرة حيث وضعها فوق السرير الصغير.

جوبكنز...

كانت المرة الأولى التي ألقاها فيها باسم عائلته، ولم أأنده باسمه الصغير «جيمس»، إلا بعد عدة أشهر فيما بعد.

«أرجو أن تلحسنى إلى الصدر إن كنت أطلق بطريقة خاطئة، ولكنى أود أن أعرف هل الشخص الذى كان يدخل المكتب المباشر، قبل منى، فرنسى للجسدية؟

«لا، ياسيد ريتل، فلم يعمل أجناب لدى ماتويوس وأولاده منذ الحرب، أما قبل ذلك فلم أكن قد جئت إلى هنا بعد، أنت تفهم ماذا أعنى بالطبع، إنك لول أجابى أقابله هنا.

هل من الممكن تناول الترحيبات في هذا الفندق؟

«لا ياسيد ريتل، الإفطار هنا فقط، ولكن يوجد مطعم لا يبعد كثيراً عن الفندق وسوف تنلكه عليه فداء الاستقبال.

شكراً جوبكنز، إلى الدفد جوبكنز.

لا توجد مائدة في الجمرة أما النافذة فهي تطل على جدر من الطوب الأحمر في نهاية أحد المداور.

كنت لنفسى وأنا أخلع ملابسى في الحمام المشدرك فى الطابق: «لا يمكنى أن أبقي هذا، بل لا يجب أن أبقي هذا، لو بقيت هذا سأصبح، سأبست من الفد عن سكن أفضل من هذا».

وعندما أريت إلى الفراق ذلك الصباح، كانت ساعتي تشير إلى العاشرة والنصف وعندما أخفت من الدوم بعد الظهر كانت الساعة السادسة.

وفي المطعم الصغير للتريب من الفندق، التهمت بسرعة «سندشات» من لحم الخنزير المدخن وشريت عدة أقفاص من الشاوى.

أه! كم استعصى على أن أمارد الدوم من جديد في تلك الليلة الثانية لى فى بلسون!

الاثنين ١٢ مايو

بينما كان جرس المنيه يرن في حجرى أخذت أردد: «إلى مكتب ماتويوس وأولاده في تمام التاسعة، رقم: ثلثان وستون شارع «وايت ستريت» واستمرت أردد الجملة نفسها بينما كنت أفزع على الأغطية وقصد بدأ الدور البهايت ونفذ من خلال السلالم الرقوية، وكذلك وأنا أزيد من كخافة وشوة كريم الحلاقة الباردة فوق فمى، وتدرجياً أخذت هذه الكلمات تشكل سؤالاً: «كيف أصل إلى هناك؟». وأعدت بخاية الكلمات التي سوف أسطر بها من فداء الاستقبال للجامة تست.

لكنك على ظهر مقعدى وهي كصنط على أسنانها بقمها وقالت:

«تقول: وايت ستريت؟ فى أية منطقة من المدينة؟

«لا أدنى بالضبط، بالقرب من وسط المدينة على ما أظن...»

«إن لم تبعد كثيراً عن الكاتدرائية القديمة فيستحسن أن تأخذ اللباس رقم (١٧)، وتوجد محطة له قريبة جداً من هذا، ثانياً شارع على اليمين، ثم اسأل مفتش اللباس، ربما يعرف.

رقد أجابنى المفتش فيما بعد قائلاً:

«يستحسن أن تنزل في محطة «تاور ستريت».

صعدت إلى الطابق العلوى من اللباس حيث شاهدت السيارات وهي تتصاب تملنى ملئ وكناها أسماء فى الدهر.

«محطة تاور ستريت واسيد، تاور ستريت».

وجدت نفسى محاطاً بعمارات كبيرة ذات لافتات لجاسية يمر أمامها موظفون مصرعون فأرقت أحدهم بينما كانت الساعة تدق التاسعة وسألت:

«من فضلك، وايت ستريت.

«أنت فيه ياسيدى.

حينئذ تعرفت على باب الصارة رقم ١٢، الأول بعد التقاطع، وأريت الأمازيج الستة والعراب، ودرجات السلم الثلاث من الدرج.

وتطع ماتويوس الابن حديث مع أرويكه قائلاً لى:

«صباح الفجر ياسيد ريتل، هل قضيت ليلة طيبة؟ وهل كل شيء على ما يرام؟ إن عملك اليوم هو تسجيل المراسلات، كل شيء ممد على مكتبك الموجود فى الركن جهوار النافذة، وإن احتجت لى إلى توضيح فأسأل جوبكنز.

جلست فى المكان المخصص لى ونظرت إلى يسارى من خلال النافذة إلى الطوابق العليا وللأرواق للسندرية الصغيرة، وغطاء السقف الأروايزى، حيث المدخن وواقبات الصراخ الخاصة بعمارة اللأامين «لا فوجيبلت»، روايت أسامى بلايت (لا أعرف لسه للصغير حتى الآن لأنى لا أنعمل معه قط) وكان يهلى مدبراً ظهر لى على مقعد وشير دكر لى محرور يصدر صريراً كلما

تترك، أما على يميني فكان يجلس جيمس جيكنز. ذلك هو محيط عملي الذي لم يتغير منذ أكثر من سبعة شهور.

وفي ذلك الصباح ظهر في لقاعة (جون ماتيوس) المعجوز ولم أكن قد رأيت بهد، وهو يشبه أبني وله نفس هيكله غير أن جلد المعجوز قد تشقق، وحولما لمحتي صاح بي قائلا:

- أهو أنت ريتل، حسن، حسن، لا داعي للوقوف وتعطيل عملي.

وفي الثانية عشرة وللحلف تهت التحرك الجماعي لمغادرة المكتب، وذهبت عنكمنا لمحت (أريويك)، و(جراستون)، والذين أمام مكنتهما دون اهتمام بما يدور حولهما فقولبي جيمس شرح الأمر لي قائلا:

- لن نذهب للقاء إلا بعد عودتنا، نحن لا نلتقي المكتب من الساعة صباحاً حتى السادسة مساءً.

وتبعته إلى مطعم صغير في شارع (وايت ستريت) يقع في فيو بلا لوفد.

- مكنتنا أن نجد أخص هذا على أن نخدم نفسك بنفسك ولكني أعتقد أن هذا أفضل.

كانت الوجبة مركزة من قليل من المساء وقليل من السمك المقللي وبعض حبات البطاطس المسلوقة الجاهزة، بينما كانت زجاجة الصلصة الممزجة على المائدة للتكثير، إلى جانب رغيف صغير من الخبز في حجم كرة التنس، وتبع ذلك قحذ شاي وأخيراً قطعة حلوى مسماة (أسنجة)، وهو اسم مطابق لها لأنها مغطاة بطبقة أساسية من الكريمة بلون الدجرجس الذابل وهي تتسكك في الفم ملمع الصمغ.

- إن كنت لاتزال جائعاً فيمكنني أن أطلب قليل من الجبن وبعض البسكويت...

كم استعذت مسرعة العذبة الملهة بالاهتمام عندما عدت في اليوم نفسه مساء إلى ذلك المطعم في لفتي لأنني تكاسلت عن للبحث عن مطعم أفضل!

وكم بدت لي الوجبة، وهي الوجبة دائماً، عدا بعض التفويرويات الطفولية التي لا معنى لها (لون المساء يميل أكثر إلى الأخضر أو

إلى البني، بعض حبات الزبيب أو قليل من المربي في قطعة الملوحة)، عذبة الطعام بدون لذة أسئلة جيمس جيكنز التي يلقبها على بكل وضوح ثم يتابع بصبر شديد وكثير من العلم إجاباتي المتلثمثة!

كان جيكنز يعبر نفسه ملحقاً بي، كنت أثير فضوله وأعترامه إلى جانب بعض الشفقة لأنه كان يشعر أنني في صراع ضد الصعوبات العديدة التي أواجهها، وكان يحاول جاهداً أن ينقذها ويثقلها أمامي.

ويرجع الفضل إليه في أنني لمحت في تدبير أسوري بمسرة في صملي لدى (ماتيوس وأولاده)، وكان هو الوحيد من بين زملائي في العمل الذي جعلت بيننا علاقات غير علاقة العمل الرسمية الصارمة، وبالرغم من أنني تنازلت للقاء مراراً حول المسألة نفسها مع (دلتون)، أو (كاب)، وكان من رواد مطعم (الانكستر) الذي يمتاز عن مطعم جيمس المشغل (البربر لاجتون)، بميزة كبيرة وهي أنه كان في الوقت نفسه مستودعاً للمشروبات، غير أن الزميين لم يحاولوا أبداً أن يمتحنوا على الحديث إليهما ولم يحاولوا أبداً أن يعرفوا إن كنت قد نجحت، حتى شهر أكتوبر، في أن أستعجب جعلهما للنادرة والتي أعرف الآن أنها كانت تقتصر على: (كان الرذائل جميلاً هذا الصباح)، أو (كان المعجوز ماتيوس يبدو رائعاً)، أو (يبدو عليك الجوع الشديد)، أو (قد تروق فريق (براد فور)، هذا العام أيضاً)، ومع ذلك فقد كان من الواضح أنني لحد صعبة بالغة لأفهمهما وأعطهما وليماتني.

#### الثلاثاء ١٣ مايو

لم ألق بعد من إرهاق السفر، لمهكت في عملي في الأيام الأولى وبالرغم من بساطة الأعمال التي كلفت بألتها خلال هذه الفترة إلا أن هذه الأيام كانت أقسى أيام هذا العام بالنسبة لي، لأنني كنت لا أزال أبذل مجهوداً مستمراً للفرجة وكان علي أن أتعود آلاف التفاصيل الخاصة بالروتين الإداري لجديد عملي. وفي مساء كنت أجد نفسي في وجدة تامة، غير قادر على اتخاذ أدنى قرار، وما إن أنتهي من ابتلاع آخر لقمة من

وجبتني الماسخة حتى أستعجب للزغبة الوحيدة المعالجة التي تحتاحني وهي أن أخرج وأصعد إلى الدور العلوي من الباص رقم (١٧)، وأنظر إلى تلك الشوارع التي لم أكن أعرف أسمائها بعد وهي تتابع أمامي ثم أعود إلى تلك الصورة في اللقد، التي كنت أحاول جاهداً، بعد دخولها، ألا أنفصها.

وكنت أقول لنفسي وأنا تحت الأعطية في الظلام: «سينغير ذلك يوم السبت حيث سينفرز الرقت لأذهب للبحث عن مسكن، وأتعرف على هذه المدينة التي أجهل حتى الآن الإمكانات المتوفرة فيها».

في يوم ٦ أكتوبر إذن، بعد الخروج من مكتب (ماتيوس وأولاده، ظهراً، كانت كل الوجود مرتبطة لشعور الجميع بالارتياح لمقعد نهاية الأسبوع (أما بالنسبة لزملائي الخمسة الذين شاركوني القاعة، فقد كان ذلك الأسبوع طويلاً مثل بقية الأسابيع غير أن وصولي كان الحدث الوحيد غير ذي أهمية الذي طرأ خلاله). وتشجعت بضمن الفترات فيما حو لي إلى جانب صفاء الجو وعذوبة ومضيت في شارع (تارستريت) ثم دلت لي اليمين أملاً في العثور على مطعم يستحق الإعجاب.

ووجدت نفسي بين تلك الواجهات الكبيرة التي كنت أمر أمامها كل صباح بعد أن أغادر الباص رقم (١٧) وأنظر إلى المستطيل الأحمر وهو يمسد، ثم أنظر إلى هذه الواجهات الكبيرة وأقرأ المصروف الكبيرة للمذبة الباهظة المصطنعة المكتوبة بانحراف مثل المصروف التي تكذب بالطنشور على السبورة في المدارس الابتدائية.

كنت أعتقد أنني قريب من الكاتدرائية القديمة حيث يقضى عندما خط هذا الباص، وكنت أظن أنها تقع في الاتجاه الأساسي ولكن تمجيها عني (إحدى الممارات العالية، ولكنها في الواقع تقع على يميني).

وكانت الشوارع والمباني التي اختبرتها وكذلك المباني التي شاهنتها وتلك التي لم أنظر إليها برغم وجودها أمامي قد انظمت جميعها في ذهني وتمحيت في نسيانها عام غير واضح وغير مطابق للواقع إطلاقاً،

وكانت أجول في المدينة طويلاً لهذا التخطيط دون أن أعيه بوضوح، هذه المدينة التي لم أكن قد رأيت لها خريطة بعد، والتي لم يكن باستطاعتي حتى ذلك الوقت أن أحدد أبعادها الحقيقية.

ورأيت الموظفين يخرجون من جميع الأبواب وهم يرتدون معاطف السطر ويقعائهم المستديرة المنخفضة، بينما السيارات تسير ببطء وقد تقاربت المسافة بينها، وعلى غير ما توقعت أن يزداد الزحام وعدد السجلات كنت على العكس كلما تقدمت في السير أدخلت في مناطق يزداد فيها الهدوء بينما السجلات التجارية واللائحات، وهي دائرية في المنطقة المجاورة لمكتب «ماتيس وأولاده»، تزداد لدرتتها، وأخذت الأصوات تقل تدريجياً، وحين أسرعرت الخطى وصلت إلى منطقة خالية، أرضها كلها حار والهبوط فيها من طابقين أو ثلاثة على الأكثر، ووصفت إلى طريق مسدود بجدار صغير توجد خلفه حفرة عمقها حوالي عشرين متراً مستقيمة الأضلاع مثل خنادق القصور، واكتشفت في أعماق الحفرة الضخمة مياهاً سرداء غليظة ورغرية ذات رائحة تشبه رائحة عرق الصمغاليك، تلك الرائحة التي شمعتها وأنا أستنشق لأول مرة هواء هذه المدينة على رصيف محطة هامتلون، ولكن رائحة هذه الحفرة كانت أشد قرة وتشبه رائحة الجفت المتحللة.

وكانت الغيوم قد غطت السماء بينما بدأت أشير بالبحر.

ورأيت رجلاً جالساً على الدرجات الأولى من أحد السلالم التي تؤدي إلى الصخرة، وعدد ما سمع وقع أقدامي للتفت لجرى بوجهه الأسود بلون ماء الحفرة نفسه.

— أرجو العفزة يا سيدي، هل تستطيع أن تدلي على أسرع وسيلة للمودة إلى وسط المدينة.

— عفو؟

كان يخلق بصعوبة وكأنه مقروء ويداً وكأنه يجمع نفسه كقطعة حجر مستطاة بمصطف، كان جسمه مائلاً إلى الأمام وساقاه مكثبتين بينما يده تركزان على مرفقيه في مستوى أعقاب قدمي نفسه، أما جلده، وحتى جلد شفويه، فكان يشبه الجلد الزرغ الذي فقد طلاؤه منذ أمد طويل، رفع الرجل عينيه ذات التلويح الأصفر والبنّي ونظر في عيني.

فقلت: «لأذهب إلى وسط المدينة؟»

— ماذا تعني بكلمة وسط المدينة؟

كانت جميع كلماته مشوشة وغير واضحة ولكنه كان يحرّفها ببطء شديد جداً ويصوت خفيض كأنما علاه الصدا مما أتاح لي وقتاً كافياً لأحدد الكلمات الواحدة تلو الأخرى.

— ميدان لكسندرا.

نطقت هذا المثل لأنه كان أول مثل يخطر ببالي وكان بالإمكان أيضاً أن أقول: «الكاتدرائية القديمة، أو «دار البلدية»، لكنني لم أكن أعرفهما بعد.

— لا أعرف ميدان لكسندرا.

كان يحرك رأسه ببطء وكأنها فوق محور حتى يحدد مقاطع الكلمات.

— لا أعرف حقيقة، لأنني لم أذهب إلى هناك منذ سنوات عديدة.

— ألا تخرج أبداً من هذا الحي؟

— ليس هذا الحي الذي أسكنه، أنا أسكن بالقرب من الجسر الذي بإمكانك رؤيته من هنا.

— هل توجد مطاعم بالقرب من هذا؟

— لا أعرف.

— أسف لإزعاجك، إني أجدني وصلت إلى هنا منذ أسبوع فقط....

— لست بحاجة لتعبرني فذلك واضح جداً.

— والترب من سكنك، ناحية الجسر؟

— أجنبي، يا إلهي ولكن ماذا جاء بك إلى هنا؟ حسن، حسن، لا تتصرف

وعندما أنتصب واقفاً دهشت من طول قامته (رأسه يحلو قلبي).

— إذن أنت جالس يا سيدي، وتردد أن تتناول شداك يا سيدي، وبما أنني أنا أيضاً كذلك إذن هيا بنا!

وأغرق في الضحك بصوت صاخب، تلك الضحكة غير المتوقفة والتي لا تضر أبداً حزنه، تلك الضحكة التي لا يستطيع حتى اليوم أن أدمج معه فيها إلا نادراً. ■

ف

# على عتبة الحياة الجديدة

أناتولى جافريلوف

ترجمة: فيتولد ليبو



تفرح والدتي وتخبز الجميع بأننى سأكون  
فى المستقبل القريب نائباً عاماً للبلاد غير  
أنها مع ذلك لا تعلمونى من أعمال البيت،  
فأتحمل مسئولية إرواء السقاة ونقل الخبائر  
إلى السوق وتنظيف عثى الدجاج وما إلى  
ذلك.

أما أختى فلا يريد أداها أى شىء من  
أعمال البيت، فهو فى السماء إما أن يزلزل إلى  
البدل أو تجده مستقيلاً على الكنبه.

أبستم ابتسامه استهزاء حين كشفت عن  
حلمى.

نحس ونرى يا أختى

ها هو ذا الامتحان الأخير قد انتهى ..  
اجتذله بامتياز! لقد نجحت فى الربط بين  
قوانين الجدل وبين علم الحشوق البديع  
والفضاء الكرنى للجليل! هنتونى قالوا لى إن  
مستقبلاً رائعاً ينتظرنى!

المراميات بشأن كل أنواع الجرمين .. أصدر  
الحكم بهرامة على بعضهم، وأحكم على  
الآخرين بمختلف المقررات، أما أكثرهم  
خطورة فأخضعهم خلف كابينة المرحاض  
حيث أنفذ الحكم وإعدامهم ربما بالرصاصة.

فى بعض الأحيان كانت حالات الإحدام  
تتراكم وتكثر خلال اليوم لدرجة أننى أخاف  
الخروج من البيت ليلاً لقضاء الحاجة.

وفيما بعد أقنعت على صياغة القوانين  
المخصصة للفضاء الكرنى حتى أنقذت منها  
حدداً لا بأس به.

إننى أريد أن أصبح قانونياً على مستوى  
الدولة.

وملها يسب نهرنا (نهر الملق) الضحل  
فلوأت بالمازوت فى البحر فى مكان ما، فإن  
هباتى ستصحب قريباً فى محيط الحياة  
المكرمة.

**ف** فى مدينتنا صناعة قليلة معطوبة  
جداً .. عندنا أفران عالية منخمة  
وأفران لإنتاج الصلب ووحدات التخلقة.  
الحالة الصريفية جيدة.

أسكن مع والدى وأختى على طرف  
المدينة فى منطقة تسمى (بلدة الفخيت)، فى  
بيت ذى جذران مزدوجة ملئ فراغها بغيت  
للعائن. يوجد لدينا دجاج وسقيلة ومغاة.

تعمل والدتى فى محطة صنع المياه،  
وأختى فى مكتب ماء، أما أنا فأقوم بأعداد  
الامتحانات الأخيرة فى المدرسة وأستعد لهذه  
حياة جديدة .. ففى لجنة التجليد للتصهيجية  
فى الربيع لمامنى قحمت طلب الالتحاق  
بالكلية العسكرية للمحقق.

لقد أحسست بالانجذاب لعلم الحشوق  
البديع وأنا فى الصف الخامس تقريباً .. كنت  
أنفرد تمت جملون البيت لأمارس كل أنواع

يحزننى أن المدرسة بقيت ورائى ..  
ويرفحنى أن الحياة الجديدة أمامى .

قوت وثراب وذباب، غذا حفلة التخرج .  
تمرت تحت لجملمن على الرقص وإلقاء  
الخطب .

لحوم، مرتجلا، خضار، وقواكه،  
شكلاتة، بيسكوت، تريتات، ليمونادة، نيذة،  
موسقى، ورفسات .. كل هذا كان موجودا فى  
الحفلة . عند مائدة الطعام شكلت من الجلوس  
بجانبى (ت) التى كانت تمجبنى دائما . كان  
فى نيتى مصارحتها بذلك فى هذه الحفلة  
الأخيرة . فى البداية كنت أشعر ببعض  
الارتباك . ثم ذاب مغضى تدريجيا فكلمت  
عن علم الحقوق البديع والقضاء الكرنى  
الجليل، ولاحظت أن كلامى لا يقصر عن  
لفت الانتباه (ت) .. رجعت لنفسى متبهجا  
فأبلغتها بأن مستقبلى المتكبر للحقوق لن  
يكون عديم الشمع لفتن مكانها فيه .

قالت لى :

- إنه عجيب ! إنه رائع !

شمرت بدوار .. وقلت واقترحت أن  
نشرى لعب اللعب .. لقيت أليدا .

- للعب - قلت ل (ت) .

- للعب . ردت الدخ .

كنت سعيدا

غير أنها مع بداية الرقص ذهبت إلى  
(د) فظلت ترقص معه طوال الحفلة . كانا  
برقصان مفرطين فى حرية الحركة، بل  
يمكن القول إن حركتهما كانت بذنية ..  
قررت أن أتراك الحفلة فقصمت إلى البيت  
لكننى عدت قائلا فى نفسى : ماذا لو كانت  
(ت) قد كتبت عن مرافقة (د) ؟ إلا أنما ما  
زالا يرقصان فيغادرت الحفلة مرة أخرى ثم  
رجعت من جديد .. فى هذه المرة رأيتها فى  
الصرم .. كانا يقفان فى ركن مظلم ملتصقين  
ببعضهما البعض، عندئذ دخلت الصالة  
وأعلنت أن عدلى مفاجأة سارة للجميع،  
وبالتحديد فإن أحد أقربائى يعمل مندوبا  
للجراج، وقد اتفقت معه على تخصيص  
حافلة تنقل إلى مدرستنا بعد لحظات حتى  
تتمكن من الذهاب إلى محمية (البدابع)

للسافية) لتستقبل هناك الشروق الأول من  
حياتنا الجديدة .

بالهتافات والتهائل لنطلق الجميع  
ليرفعونى فوق رؤوسهم ويغنوا لى فى  
الهواء .. وكما أسعد إلى أعلى يزيد خوفى  
ونعسى .. إذ لم يكن هناك أى اتفاق  
بمصوص المائدة لإطلاقا .

ألمى على .. لا أتذكر شيئا مما أصعب  
ذلك .. أتقت فى عز النهار وأنا فى غداء بيتنا  
خلف السرحاض .

طوب .. لا داعى . كلنى التفكير فى ذلك ..  
يجب للنظر إلى الأمام ...

قيط وثراب وذباب . أصمات البيت  
والاستعداد لاستعدادات الدخول فى انكوبة  
للمسكرة للحقوق، أكاد لا أخرج إلى الشارع،  
وأحاول تجنب مقابلة زملائى فى الفصل،  
يجب للنظر إلى الأمام، يجب تنشيط  
الاستعداد للحياة الجديدة، يجب الإسراع فى  
استكمال أساليب التصرف للزوب والكلام  
الزوب، يجب تعلم الجلسة السليمة إلى المائدة  
وتناول الطعام بمظهر جميل، يجب التخلص  
صاعلا من لطق حرف الهاء بالطريقة  
القررية، يجب تفادى القبح فى الكلمات  
والانفعالات، عليه أن تدخل الحياة الجديدة  
وأنت إنسان كريم .

قيط وثراب وذباب، وتلطيف على  
الدجاج، زمة وروى وزغب وذرق ... تقوم  
والذى بمراجعة عملى حتى لا يبقى من  
للحاجة ذرة، إنها مهمة بالمعافى على نظافة  
على للدجاج أكثر من اهتمامها بنظافة بيتنا .

لاشئ يهم؟ سأتى يوم يقول فيه الناس  
إنه لم يكن قانونيا بارزا فمضب، إما لم يأت  
لأحد من تنظيف على الدجاج .

الأرض تصدع والمقاة تتحرق .

كنت واقفا عند الباب الخارجى لأشاهد  
غروب الشمس وراء منخ الهواء .. رأيت (ت)  
وهى مشقة فى الشارع فأسرعت مراجعا إلى  
داخل الغداء .

صباح باكرو .. جوال مملوء بالخييار ..  
حافلة النقل العام والسوق .

صراع والذنى فى الحافلة وفى السوق  
من أجل مكان أفضل .

عاد لى إلى البيت فى الليل ومعه سيدة  
ما . جلستا تحت السقوفة يدخان ويشريان  
خمرا .

لم يكن نومي جيدا .

وقفت فى السماء عند الباب الخارجى  
أشاهد غروب الشمس . لم أصبر فخرجت إلى  
الشارع وذهبت إلى (ر) و (ف) اللذين كنت  
أسألهما فى فترة من فترات الماضى . لقد  
تخرجوا فى مدرسة سناعية وعلان بمصنع  
الحديد فى ورشة البرادة . قد لا يمتدبران من  
ذوى الأفكار العميقة لكهما شابان هادنان  
ليس لهما صلات بجماعة المشايخين فى  
البلدة .

كانا جالسين على مصطبة عند بيت  
(ر) .. اقتربت منهما وسألهما رجست  
على المصطبة . كانا يتحادثان عن القفازات  
التي يرضى المصطلون توزيعها عليهم والتي  
يبدونها يستعمل لعل . سألنى : أصمى أريد  
أن أصمى قانونيا؟ أجبت بأننى أسعد  
للاحتياجات . اتفقت الأمية بشكل طبيعى .

لا بأس يا (ر) و (ف) .. لا نمرضا فى  
يوم من الأيام سأهت بأن أرحكما من التفكير  
فى القفازات !

قوت وثراب وذباب، إرواء المقاة صباحا  
ومساء وليلا، رحلات إلى السوق بالجمال،  
يجب عدم إصارة أهمية لذلك، إنه شيء  
سوفت ينتهى قريبا، أتهم هر النظر إلى  
الأمام، عدم الانطواء على التوافق، الاستعداد  
للحياة الجديدة، التفكير فى أشياء سامية  
رفوعة .

والذنى واقفة عدد الصور نناقش مع  
جارنا آخر أخبار البلدة، أقوم بإرواء المقاة  
وأسمع كلامهما وأقول فى نفسى : هل يمكن  
أن تكون الحياة المصطبة بنا مكونة من  
عناصر سلبية فقط ؟ أليس من العمل أن  
تتحدث عن الأشياء السلبية دائما ؟ وأين  
الإيجابى إذن ؟ أين شاعرة للحياة ؟ أين  
الصالح الطوبا ؟ فى أى شيء أفرغون يا  
رفاق ؟ إذا كنتم تفرسون أكل السرندولا فبى

محسرة لدينا! أتريدون الشفافة؟ عليكم بالذهاب إلى المكتبات العامة ودور السينما والأندية! أتريدون أن تكتفروا الإبداع الفئالي بأنفسكم؟ التحقوا بالملقات الإبداعية فمارسوا الرسم والتلويز والحفر على الخشب واللحت والتأليف والغناء والرص! هل أتم غير راضين عن النواقص؟ كافحوا! هل ترغبون فى السفر إلى مدن أخرى ودخل أخرى...  
تجيب والدتي قائلا:

- ليس عندى طموجات! حبذا لو أسطرت السماء غدا وكان الدجاج يبوض بشكل جيد!

هاكم العقيدة كلها! وكثيرون فى بلدنا خاضعون لهذه العقيدة نفسها: فقط الأثياء الخاصة... فقط دجاي ومقاتي.

وكيف الوطن؟ وكيف العالم؟ وكيف القضاء التكني الجليل؟

قيظ وتراب ونباب، العزلات فى الطير وأكث مربي من مغربون السنة الماضية وأنا استخرج، خلسة عن أمي، من برلمان حجم ثلاثة لبحرات برامسة قطعة من للكرتين، قهجة نخل أمي.

ابسم باستهزاء وقال:

- هكذا تطلق الختان لشراعتك يا قالدوني؟

ولكن ما الأمر فى الرافق؟ لماذا يتصرف بهذا الشكل؟ ألا يحق لقادوني المصدقين أن يحب المرعى؟

حبس (م) بنهمة سرقة المواسير للجليلة.

لا يزال (ر) و(ف) يتحفظان عن القلاذات.

يجب أن تكون للزهر أملية ومثل غالبا.. عندئذ لن تحول المواسير للجليلة والقلاذات إلى مسالة رئيسية فى الحياة.

مغلوقات ملعونة أيها الدجاج! ما إن نظفت لكم النش حتى وسختموه من جديد.

\* البرنوية : قلعة جاسدة تنس بها مليليل الأسابع تسلخا لبقمة اللود عند اسلاكه الخ.

لا يصح أن أقول هكذا. يجب تفلسفى الكلمات للتيحية والانفعالات الخشنة، ليس ذنب الدجاج أن أهدأ لم يعود على قضاء العالجة فى مكان ثابت.

صراع لمى فى طابور الراغبين فى استحقاق ميزان، حشد من المتفرجين المتكاسين، فضيحة وعاز.

مشاجرة عدد كشك البيرة، صرخوا شخصاً ما بأقدامهم.

تراب ودم.

ملعونة يا مقفلة! كلما زدت من إرواها تهلفت لكرا!

ألمى وإمرأة جميلة، من أين يأتى بهن؟ لماذا لا يتزوج؟

نزعة على شاطئ نهر اللق، فى وقت سابق كانت بلدة الخبث كلها تأتى إليه للاعتمام.. أما الآن فقد أنقر الشاطئ تماما، ولا يسمع سوى حفيف القصب الكفيف للصحرا، وتطفسو بقع للزويوت على سطح الماء.. وقدة القيط والصمت والغلاء...

ربما أشك فى يوم ما من أن أحيه لهورنا نهر اللق صفاه وصفه وغزارة مياهه ليرتد إليه فى الأيام القالطة أناس مرحون مشفحرو الصدر لطلاب القصب، ولا أهد بلاك أحد ولا مجال للاضطهاد والقمع والإهانة.

قيظ وتراب ونباب.

والدتي لا تقبلى البهوش أبدا ولا تملكه، كله لتسوق... كله لتبيع.

أجد نفسى مضطرا إلى شرب البويض فى الخفاء وأنا فى حق الدجاج. يجب التمسى إلى الجميل.

زيت محرض الرسم فى المدينة: لوحات تصور لجمال العمل والأفراان العالية وأفراان صهر الصلب ووجدت الخلقة، دوتت كلمات الشكر فى سجل الزوار.

أرسلتني والدتي إلى الدكان لشراء بعض الخبز والسكر، حيث تعرضت للهجوم من طرف مشاغبي البلدة، وصلت إلى البيت موهلا، بدون خبز أو سكر أو نفود.

مقامسة للمشاهيين، إعدام أكثرهم خطورة رميا بالرصاص وراه المراض.

فى الصباح خرجت لقضاء الحاجة فوجدت كايبة المراض راقدة على جنبها، ما الأمر؟ رب روح هيت بالليل؟

يرفض ألمى أن يساهدى فى إصلاح الكتبية. قال لى:

- أنت الذى ضارست إعداداتك خلفا.. إذن ضارك أن تنصبها.

لم أنفهمك يا ألمى.

قيظ وتراب ونباب.

لم يمد (ر) و(ف) يناقشان موضوع القلاذات إما يتحدثان عن مشروعة صنع (البرنويات) \* من الألومنيوم أو الأبوليت.

نزعات خطيرة!

ليس ذلك لتجسج لانعدام الأملاف الصامية والمثل العليا؟

يجب تحديد أسمى الأهداب ثم إدراكها. إحدى دجاجتنا اخلت.

تأملات. محاولة لتعيين موضع الدجاجة عن طريق الاستدلال.

- انهب لبعث عنها.. صرخت أمي.

ذهبت إلى الأرض الغلاء ومجهر الجير والبردة والمقلب.. دون جدوى.

أسفرت محاولة استجواب الجار (م) فيما يخص الدجاجة المفقودة عن تهازل مؤسف حيث رفضنى الجار (م) فى ردفى.

صياغة قانونى المسوقية الجدالية عن الأرض فى الأرداف فى ظروف القضاء التكني.

مقامسة (م) الحكم: ستان من الأشغال الشاقة فى مناجم أورانيوس.

صماء: للشمس تغرب وراه محطة متخ المياه، جلست والدتي على المصطبة ترثى للدجاجة المفقودة وتقول نادبة:

- آه يا عزيزتي.. لماذا الصرلت؟ ألم تمشي عيشة لائقة على؟ وهل ظلمتك



مرة؟ وهل فنت من ريشك حبة؟ وأنت أكثرهم هدوءاً! وأنت أكثرهم نكاهاً! وأنت أكثرهم بوضاً! وكيف تركلتني؟ ولأن أنت راقدة الآن؟ وأين أغضمت عيونك الجميلتين؟ وماذا سأفعل الآن بدونك؟

قيظ وتراب وذباب، مشاجرة في الأرض الفلاة عند كشك البصرة، مشربوا واحداً بالقدمهم.

ياليسكني أجبه إلى هذا ذات يوم وأنا متذكر واضع المكياج على وجهي.. أقترب من كشك البصرة.. هناك لابد أن يعاكسوني ويهينوني ويضربوني.. وفي اللحظة التي يهمن فيها يقتلني أسب من جوبى مدمما متقرشا عليه اسمي ومرسما بالذهب والأحجار الكريمة.

مخلوقات مفرقة لها الدجاج! لا تشرب الماء بقدر ما تفرق فيه!

(ر) و (ف) مستمران في التحدث عن البرنات.

الخيال أوشك على الانتهاء لكن الطماطم تتضج.

يتلاشى الماء بلا أثر في صندوق الأرض. تنظيف عذير القمح قبل تخزين قمح جديد.

العنبر يتأخم فناء الجيران، فتحة في جدار العنبر، الجارة تلمس بعض الملابس في طست، المسافان، عليك ألا تنظر من هذه الفتحة، عليك أن تكافح ذلك، تكافح وتكسر، تكافح وتكسر لم تجد نفسك عند الفتحة مرة أخرى، غروب الشمس، يفسج الليل، والحة البليسج والمراحيس.

تشكى والنسي من الصداق ومن قلة النرد، أخى يصنع وقته في مكان مجهول.

رياح شرقية.. بكل شيء يحترق ويهتز وينصهر. كل شيء حولنا متفقد بخان لاذع، في الجو الساخن تتروج جسيمات الصلب والقمح. قال أخى أثناء الغداء إنهم بدعوا تشييد فرن حال آخر في حديثنا وإنهم لن يلبثوا أن يخنقونا جميعاً هنا.

أجبت عليه فقلت إن لا داعي للشاؤم إذ إن جميع المدخن في المصانع ستزود قريباً بمرشحات ذات فاعلية قسوى.

أجابني أخى بكلمة بنينة.

قلت إن إجابته عبارة عن خشونة ولكنكم عن اتحاد الجوعر الإيجابي.

قذف بصماه للكرنب في وجهي.

أعتقد أنه ليس على حق، لا يحمصر الأمر في حصاه للكرنب مع أن واقعة سكب الحساء في الوجه كافية للتجريب، ولكن الأمر في شيء آخر أكثر جوهرية، إنه عدم وجود العصر الإيجابي، وهذا أهم من الحساء.

شرح (ر) و (ف) في صنع البرنات من الأبرونيت.

يجب عدم التفكير في ذلك، يجب النظر إلى الأمام والتفكير في أشياء سامية كريمة.

زرت مسرح السنية. تفتية عن صال صهر الصب. أثناء الاستراحة شربت كوباً من الحساء المعدنية «البشر الذهبية» وأكلت فطيرة بسطة كريبات.

مخلوقات ملعونة أبها للنجاج! ما إن نظفت العلى حتى وسختموه من جديد يا أصحاب الرذائل والفواش!

يجب ضبط النفس والامتناع عن الخشونة والفظاظة.

قيظ وتراب وذباب.

قامت جماعة من شباب البلدة بالاعتناء على عرض سيدة متأوبة في محطة متغ الصاء.

صياغة قانون الستورية الجذائية عن الاعتصاب في ظروف الفناء للكرني.

مكافحة الانجذاب للبيش، استسلمت.. ثم أسبر فذهبت إلى على النجاج وشربت بيوتنين طازجين.. باغتني أمي وأنا أقرب للثالثة. منجة وفصحية كان أخى يتحسم باسمهزاة.

حضررت حفلة مجانية للتوسيقى السمفونية في الحديقة العامة، كان المغرجون أقل من العازفين أما عدد انتهاء الحفلة فقد

بقيت لوحدي، على قانوني المستقبل أن يتمتع بشخصية متطورة تطوراً منجماً.

بعد الحفلة خذت من العازفين وأصريت لهم عن استماني، هف قائد الأوركسترا قائلاً:

— ما الذي تقول يا سيدى المحترم! بالعكس فنحن مكتون لك!

فأخذ العازفون يصقون لي.. شعرت بدوار الرأس وقصصت إلى البيت وأنا أطرب للنفس، حتى إنني سهوت من خطر التراجع في مشرقة المسافة السالفة إلى بلدنا فحضرمت لأعمال عائلية على هيئة رقسات ورسقات.

إن يريق السدس للشخصي الموضع بالذهب والأحجار الكريمة سوف يهسر عيونكم.. عيون الذئاب.. في يوم ما.

والدتي تتأفف مع جارتنا آخر أحجار البلدة. تتحدثان عن (ج) الذي صدم (ز) مؤرخاً بسيارته من طراز «جوجلوي».

— لن يطو مدة طويلة. تقول والدتي.

— سوف يلتددي برشوة.. ليست هي المرة الأولى— تجيب الجارة.

أقوم بإرواء الفتاة وأسرع كلامهما وأقول للنفس: ما معنى «أن يطو مدة طويلة»؟ ما معنى «يلتددي برشوة»؟

آه.. يا ما لديهما من الأمية المتوقفة ومحدودية الأفق والسذاجة!

قيظ وتراب وذباب.

(ر) و (ف) يوقمان بفتح البرنات.

أخذت بعض اللقرد من تحت الشمع ونهيت إلى المدينة حيث شاهدت فيلماً في موضوع الحماية اليومية لرجال المباحث الجبلانية والشرطة مرجعاً في الحقوق وشربت كوباً من عصير التفاح وأكلت فطيرتين بالحمص. اكتشفت والدتي لخنفاء اللقود وأثارت منجة. كنت متأهبا للاعتراف، لكن حالها كانت مخيفة لدرجة جعلتني أترجع عن الفكرة، ألتعت والدتي على أخى بالأسئلة.. أجابها قائلاً:

.. أتركبني وشأني.. مما لي ولعقرنك  
المنفعة! هناك قانوني في بيتنا.. فلماذا لا  
تكتفيه بإجراء التحقيق!

التحقيق والاستجواب ومقابلة نفسى  
تحت الجملون، أخذت نفسى خلف  
المرحاض، غير أننى استلعت عن إعدادى  
رميا بالرماض واستلكت بالعقوبة التصوى..  
فى اللحظة الأخيرة - خمس عشرة سنة،  
هربت من مكان الاعتقال فاضلجت فى  
الغابات - أى بين شجيرات الطماطم، ثم فى  
الجبيل - أى خلف كومة للذرق، وقعت تحت  
مظلة المرحاض بمناوبة ذكرى آل ...

يجب تعلم المشية الجميلة والرقصة  
المستقيمة، لا يسمح إطلاقاً بأن تقف وساقك  
متباعثان! عليك أن تتقن صمود الدراج  
بخفة وجمال وللزول بهذا الجمال نفسه عليك  
أن تتسطيع الجولس بشكل جميل، لا داعى  
للإنسراط فى رفع رأسك إلى أعلى كما  
لا داعى للإسقاط به، وعلى كل حال لا  
يجب النظر شذرا إلى كل ما يحيط بك.

قال أخى أثناء الغذاء إن اشتاق الدرع  
فى أحد الأفران للمالئة أدى إلى إطلاق حديد  
الزهر المسائل من الفرسن وهلاكه بعض  
الضحايا، سأنته من أين جاء بهذه المعلومات  
إذ لم يرد أى خبر فى الجريدة أو الإذاعة حول  
هذه المسألة.

نظف بالحصاء فى وجهى.

مقال فى الجريدة حول كشف اللقاع عن  
أحد العلماء وقد اتضح أنه جاسوس.

جلسة المحكمة تحت الجملون.

إعدام الجاسوس رميا بالرماض خلف  
المرحاض.

خرجت بالليل لقضاء الحاجة وفجأة  
سمعت أنبا خلف الكابينة.

شعرت بالثوف.. أيقظت أخى. قال لى:

- باليسط زيت من المساكيمات  
والإعدامات .. عندئذ استمع ما يفوق ذلك  
رصعا.

توكل الدواجن بواسطة السكن والشوكة.  
أما الخوخ فتقطع ثمرته وهى على الطبق  
وزيل البخرة ثم تستخدم السكن والشوكة  
لإزالة الطبقة الخارجية الرقيقة، يبدأ تقشير  
البزقالة بمل قطنين على شكل الصليب، لا  
نقشر البزقالت أو اليوسفى حلزونيا!

قبط وتراب وذباب.

لنتمشى (ر) و (ف) من جلع البزقيات  
وشرعا يندريان على استخدامها بالمترب  
على جذع الشجرة.

أخى وبنيدة جميلة، من أين تأتى بهن؟  
وماذا يرضين بشرب خمر رخيصة معه  
تحت سقيتنا المصدأة؟

لم أقم جيدا.. فكرت فى النساء.

فى حلمى رأيت امرأة كان أسفل بطنها  
صارة عن قرن ساخن مزود بأبواب صغيرة.

عليك ألا تلطم إلى مستوى الأحلام  
الدنيئة السروقة، عليك أن تكافح مثل هذه  
الأحلام. يجب التفكير فى أشياء كريمة  
والاستعداد لحياة كريمة.

عشرت فى أحد الكتب لثنى قرأتها على  
فكرة رائعة: عندما ينظر الناس إلى بركة  
تكونت بعد الأمطار يرى البعض بركة ماء  
فقط، بينما يرى فيها بعض آخر انعكاسا  
للنجوم.

فكرة رائعة معقزة!

حكيت لأخى عنها، قال لى:

- أنت بذلك أصبحت مسلحا وخطورا  
جدا.

زرت مركز التجديد فى خصوص  
استوضحا مواعيد الحصول على أمر التصور  
إلى الكلية، وعند الاستفسار عن المسألة  
المعقدة صاغت شيئا من اللشونة من طرف  
وئيس المركز وقد أجاب عن سؤالى قائلا:

- لننظر! الأمر سيحل فى موعده! لا  
وقت عدلى لأضيقه منك!

قبط وتراب وذباب.

(ر) و (ف) يزلان حشريات على  
لشجرة بربنيزيا.

قل لثبات بلتهم الطماطم.

زرت المتحف العلوى بالمدينة، زرت  
صواحي البنية، صعدت إلى التل الموجود  
خلف محطة متح المياه ونزلت إلى الوحدة  
الكاثدة وراء المقبط.

تأملت حول الحياة.

جيدا لو غيرت اسمى المتصف بترع من  
البساطة والبذانة واتخذت نفسى اسما أكثر  
وقارا وكرامة، مثلا: إدوارد.. روبرت ..  
أرثر..

لنذهب! يجب استهباب الآتى: وشرب  
الكركيتل بجرع صغيرة مفردة بينها فترات  
من التوقف، الويسكى: مع الثلج أو المياه  
الغازية. التبويد وحصى من الكأس بكميات  
صغيرة، التبويد: بجرع صغيرة، الكرنياك:  
أيضا بجرع صغيرة لتعطشها فترات من  
التوقف يمكن أنقامها مسك الكأس باليد لأن  
الكرنياك يطالب التدفء، أما أشمبانيا وغيرها  
من الأصناف الرفيعة فيمتحسن شربها أفرأ  
مع أنه يجوز شربها بكميات قليلة أيضا.

وجدت فى القبر بعض الحرق من الإنجاج  
للزلاى.. شربت منه.. تقأبت فى المرحاض  
وراء المرحاض وفى عث الدجاج.

لحظات من الكتابة والحرز.

يجب مكافأة ذلك.

غروب الشمس.

جارنا من جهة اليسار، الذى أفرج عنه  
لثوء، يضرب فى الأرض خلف جارنا من  
جهة اليمين والذى سبق له أن سجن مرتين.

قمة التل الكائن خلف محطة متح المياه  
بها منخفض يشبه فوهة البركان من قمة التل  
تظهر السدينة والصنائع بمظهرها الشامل  
الجلول. الأرض حول التل مزروعة بحباد  
الشمس والذرة والدخن، لكنها ليست ببذاتات  
عباد الشمس والذرة والدخن! إنهم ملايين من  
اناس يتنمون إلى مخطف للدول والشعوب!  
أترجة إليهم من فرق قمة التل وأحاطهم:

.. أيها الناس! عيشوا في نزاهة! لا تشربوا الخمر! لا تصرفوا! لا تضربوا بعضكم بعضا! لا تعالوا النظام العام! حددوا لكم أسمى الأهداف واجتهدوا لإدراكها!

أخي لم يمت معا .. معا بمحضرة في الصباح واستلقى على الكتبة فطلب كوبا من الماء .. شرية ومائتي؟

.. كيف أمرك؟

.. طبعية .. أجبت .

.. أما زلت تكأهب للالتحاق بالكلية ؟

.. أجل .

.. هل تذكر كيف كنت أذنيك في طفولتك؟

.. أتذكر .

.. هل تذكر كل شيء؟

.. أجل .

.. حظي سة إذن - قال متلهذا .

.. لماذا ؟

.. كيف تقول لماذا ! أليس صحيحا أنك ستصبح من قريب شخصية مهمة على مستوى الدولة ؟ ماذا لو شعرت برغبة في أن تاملني بإيذاء معالي ؟

أجبت قائلا:

.. أظن أن ذلك لن يحدث .. فأولا ، ستكون حياتي مشبعة إلى آخر حد بأمر ومضاعف أهم من ذلك .. ثانيا فإن ...

.. طيب . إهد عني .. كفي ففانة - قال ذلك وأعضص صليبه .

قبض وتربط وذباب . إرواء المقادير صباحا ومساء وإيلا ، الاستعداد للاختبارات ، مكافحة السلوك الفشن والتكلم الفظ والفرديات القوية . يجب الاجتهاد في إغناء الكلام والذكورة بدعاصر كريمة ، يجب التمتع في ارتداء البذلة ومعرفة الوقت المناسب لتلك زرار السرة وكيفية التصرف وأنت في هيئة رئاسة الاجتماع وعلى التميز وفي حفل الاستقبال ، يجب معرفة معاملة المرأة بشكل صحيح ، يجب مراصلة سقل الفياقة والظفرة . يجب

التفكير في الأمور الجهورية والسلامية والكرمية ، يجب الاستحجال ، فالأمر بالمعروف سويل قريبا!

لأنه تكلف على الحجاج لم أسبر فشرت عددا من البيضات الطازجة للظفة ، مما أسفر عن قررة البطن الشديدة والإسهال، ليس الإسهال إنما اضطراب الهضم .. كم مرة كورت أنه يجب تقادي الأنفط الخفنة!

اضطراب الهضم يستمر، أشعر بقلق شديد، ماذا أواجه الأمر بالمعروف الآن ؟!

والذي لمعشرت نوعا من الشراب المفقوع .. شربت منه .. يبدو أن الحالة خست، غور أن آكلها ما زالت متبقية، أشعر بقلق شديد، إن ذلك سيغفلني عن الأفكار السامية، لا أكاد أركز على شيء رفيع حتى أشعر بالتملي وأهول إلى المرحاض، ولكن كفي الكلام عن ذلك .. كفي! كم مرة يمكن اجتراح الموضوع نفسه! يجب عدم التفكير في ذلك! ولكن كلما أفكر في عدم تروم التفكير فيه تعود القرقرة للمعولة إلى بطني .. آه بحق الشيطان .. آه بحق الشيطان .. طيب .. عليك أن تتخيل أنك لا تصرع إلى المرحاض إنما تقوم بمطاردة مجرم خطير جدا .. أن تتخيل أنك متريص في كمين .. أن تتخيل أن .. آه بحق الشيطان .. من جديد .. أيها الحجاج لضمعون! أنت الصبب في أنني أضيع وقتي للتمين .. يا بدلت الد ..

لما فكرة مراجعة العمادة فتعمرني بالخجل والخوف أيضا .. فمأذا لو أدخلوني المستشفى وفي هذا المين سيصل الأمر بالمعروف إلى الكلية!

شرب المفقوع، يبدو أن الحالة خست، قررت أن أترى معروض للرسامين الهواة بالمدينة، غور أنني بسبب الإسهال .. بسبب اضطراب الهضم لم أكمل المشاهدة ولم أجد وقتا لتدوين كلمات للفكر في سجل الزوار ...

زال الخطر! مهما يكن من أمر، ما أصعب العيشة إذا كان بطنك سليما! لا ترواغني أيها الحجاج على التهمة للباطلة! غروب الشمس والبنفسج والقمم والعمية! خبر في الجورية يلود برقم قياسي جديد في الإنتاج سجله

عامل صهر الصلب (ج) ولا تنسوا أنه من سكان بلدنا! قصيدة الشاعر (ش) في الجريدة مكرمة لترقم القياسي الذي أحرزه السكان (ج) .. ولا تنسوا أن الشاعر (ش) من سكان بلدنا هو الآخر! فما رأيكم بعد كل هذا في بلدة الفيت؟!

حكيت لأخي عن ذلك .. أجاب قائلا:

.. أهد عني يا جشاة الخبت!

.. آه يا أخي .. لماذا بهذا الشكل؟

كان أخي لكأه العشاء يسره يعلمنا التبع، علم الحقوق، ويسميه بالمقورولوجيا. لم أشعل حقد ففادتي الملعوج. كان يهتقه في ظهري.

جلست مشغولا بصياغة قانون السورلية الجنائية عن الشهادة الكاذبة في ظروف القضاء الكولي حين دخل أخي وقال لي:

.. هات!

نارلته الزقة المكتوب عليها نص القانون .. أتقى نظرة عليها وأبسم باستهزاء وقال:

.. هل تريد أن أعرفك على لغة لطيفة!

أصمتت رغبة في قول نعم، غور أنني أحببت قائلا بأنه في المرحلة الأرائنة لا يبدو التعرف بالفتاة ممكنا وذلك نظرا لانشغالي بالاستعداد لامتحانات الكلية العسكرية الحقوق.

.. أنت يا مدخن - قال مسعسا في استهزاء.

حجاج ملعن ومقاة ملعونة!

ملي سويل أخيرا الأمر بالمعروف؟

بعد صياغة قانون السورلية الجنائية عن إيمان السفدرات في ظروف القضاء الكولي وقفت أمام المرأة وألقيت خطابا بمناسبة تسلي جافزة الدرة لقاء إجازاتي في مجال علم الحقوق، بعد ذلك أقومت حفلة استقبال فحمة كنت فيها أشرب لشميلينا وأكل الأنناس وأرقص سيدات جميلات.

فجأة رأيت أخي في المرأة - قال في استهزاء:

.. ألا تزال تتمرن؟

قيظ وتراب وذباب، أعصرت أمي طنين  
من القسم: طنا من الأتروسايت وطنا من  
الذام، نقل القسم بالجراند إلى العبر،  
الأرض تصدع، (ر) و (ف) يستمران في  
إنقارن للضرب بالبورينات على للشجرة  
والمصطبة والجدران والأسوار.

مخاصمة بين والدتي والهارية. تحولت  
المخاصمة إلى قتال جسما لجسم. كانتا  
تصارعان ويدهما السور، أنزلت الهارية  
ضربة على رأس والدتي بجردل القمامة،  
فمت بالتفريق بينهما.

والدتي ذهبت إلى ضابط القسم تشكو  
الهارية، غير أنه لم يدا أن يسمع إليها وكان  
تصرفه نفا ومهينا.  
التأذيب للاحتجاج على أعمال ضابط  
القسم.

ذهبت إليه.  
كان جالسا عند المائدة يقرأ شيئا ويأكل  
الخبز بالبرتدول ويحسني سائلا ما من  
الزجاجة.  
قلت له:

- نهاركم سعيدا هنيئا!  
- هنيئا أو كرهها سيان.. ما الأمر؟  
- الأمر ليحصره إذا صح للتعبير، في  
واقع أن...

صرخ بصوت أشبه بالزئير:  
- توخ الاختصار!  
- لا.. لا شيء.. هديكا.. قلت ذلك  
واندفعت من المكاتب.

الدجاج يذرق والمقاة تتحرق،  
والدتي غادرت البيت في الصباح لئلا يكر  
لمحسوز حجازة في الدريف، وقد تركت لي  
رسالة على المائدة يوم فيها، وفقا لجدول  
صارم، بإطعام وإشرب الدجاج وإزواء  
المقاة. كانت كلمات الدجاج، والظف،  
والمعيب، والهاء و المقاة، بالذبح بحرف  
كبير، أما اسمي فمكتوب بأحرف صغيرة.

كنت أقوم بإزواء المقاة حين جاء أخى  
ومعه امرأة جميلة، اتخذنا لهما مقعدا تحت

للمقاة.. ناداني أخى فأقترت منهما، قال  
أخى:

- هاهو أخى ذا الصغير يا (نينا) .. إنه  
قللوني المستقل.. عالم حقوق.. رجل عظيم!  
ومعنا يصبح عظيمنا بالفعل سوفيتا معاه  
عقبا لخطايانا، إلى كوكبي غير ماهر!

أبصمت السيدة وقالت:  
- ماذا تقول.. إنه لن يفعل ذلك!  
- بل سوفعه بكل تأكيد! إنه يتأهب  
لذلك!

قالت:  
- لكنني أسبقه الآن فن فعله!  
ويكفني فعلا.. شعرت بحدار الرأس  
والارتعاش في رجلي.  
قالت السيدة:  
- صب له!

قال أخى وهو يداولي كوبا من اللبنة:  
- هذ .. لشرب! لحد يذبح! روحك  
القانونية.. لكلك تشفق علينا في يوم ما.  
لم أكن جيءا، كانت لتكوى تشوق ولقيى  
وخلق بشدة.

لا، لا، ومرة أخرى لا! لن تتمكروا من  
إزايكي، لن تتمكروا من تضليكي عن الطريق  
الصائب! لن تتمكروا من جرى إلى مصفقع  
للفساد وخواء لروح! مكنا وأنتم هالكون أن  
تهلكوني أن الآخر؟

قيظ وتراب وذباب، الاستمجد  
للاحتجاجات، اللطق، النظرة، للثقافة.  
زيت مخفف شقة رجل الدولة البارز  
(ش.) دونت كلمات الشكر في سجل الأذوار.

ويخط (ر) و (ف) لمهاجمة أي كان  
بالبولويات، لم تؤد محاولات صرقيها عن  
هذه اللذة إلى نتيجة حتى الآن.

بديوان للخروج إلى الشارع هذه اللذة  
بالبولويات لمهاجمة أي من المارة.

صرحت بأن أعمالها قد تكون مصحوبة  
بتجاوز، فقلعة صاح (ف):

- يا شرطي يا حقير! وضربني  
ببرولتو.

صداع مؤلم.

أشعر بقلق شديد.

قيظ وتراب وذباب وديخان، المقاة  
ذبلت، في البرميل المملوء بالماء المتصفن  
تكتفج ببطء فتاقيع خضراء ثم تنفجر، الجار  
من اليسار يحفر حفرة في مقاثته، الجار من  
اليمن يبق على شيء حديدى بالمطرفة،  
الجار في الأمام يحمرن على عزف أغنية  
«المسيات ضراحي موسكو» على الهرمونيك.  
تكملي قرقاة الحجاج من عشه، صداع.

في المساء ذهبت إلى الحرف، كان القمر  
يضئ الحرف ونهر الملق وبساتين المزرعة  
الحكومية في ضواحي المدينة والمساحات  
البيعية، هباء أوقفتي أحد.. كان هو ضابط  
القسم.

- ماذا لك ثق هذا؟.. سألني.  
- واقف فقط.. أجبت.  
- أرى أنك واقف.. لكن ماذا تفعل هذا؟  
- أليس لي حق في الوقوف هذا؟  
أجابني قائلا:  
- لك حق ولكن...

قلت له:  
- دهوني لأصرف إذ إن أعمالكم قد  
تكون مصحوبة بتجاوزات، كانت راحة  
الكل تفرح منه بشدة.  
هتف قائلا:

- إياك أن تعارضني.. يا حشرة! -  
ومسكني من يدى.  
أقلت من قبضته وفيرت هاريا نحو  
البلدة.

كنت أركض وألف وأتعد وأسقط على  
الأرض وأركض من جديد.. حتى اصطدمت  
بجماعة مشاهبي البلدة انطلقوا بطاردوني  
هانقين: «امسك القاتوني!»، «اشرب  
لشرطي الصغير أكلنا، لذت بالفرار...

واناس! الجودوني! أخى! أين أنت؟  
أنقذني! ■

# الآثار والتنبیحات

٢٧١ **أمريكا** روائيون أمريكيون، عبد الرحمن ابو عوض. تشومسكي،  
جون ليونر - ترجمة، زكريا محمود رضوان. الرواية الأولى للكاتب  
المسرحي آرثر ميللر، رافائيل رويرل - ترجمة، بثينة رشدي.  
**الشمس** كارل پوپر - أي ميراث، أنزو سير - ترجمة، كاميليا صبحي.  
**شمالا** الحرب الصليبية العربية، جيل كيل - ترجمة، ب.ر. الفيبيات في  
عالم اليوم، برنار ميشو - ترجمة، هالة عصمت القاضي.  
**شيلي** عشرون قصيدة حب وقصيدة يأس لبابلو نيرودا، إيناس رفعت.  
**إيطاليا** عن رحلات شارتيما أو الحاج يونس المصري، السماح عبد الله.

## الإشارات والتبوهات

الذى تحكم فى الاختيار.... فهو يركز على قضايا المجتمع فى الرواية.

فى مقدمة الكتاب المثقلة عن تاريخ وأوضاع الرواية الأمريكية الحديثة والمعاصرة يتوقف المؤلف عدد تعبير دال لهنرى جيمس يشير إلى النفعية والوصولية التى تشكل السمة المميزة لوظفه التى تقوض إتهام الفنان.. فى مؤلفه (المهمة التراجيدية) يركز هنرى جيمس على النزاع التاجرى بين صورة أفكار القادة المثقفين فى البلاد ومطالب الفن الحقيقى.

فما أكثر الحديث الذى يمكن إيراد به يخص المصانير المهرقة للأدب الأمريكى، فمعظم كتاب الرواية وأبرزهم (فوتسجيرالد) يعانون من تذبذب طاقتهم ومهبتهم على صفحات الصحف التى تدفع كثيراً لقاء الأدبيات السطحية والمخصصة للتسليية لا أكثر، ويقول (فوكلر) بمرارة (أمريكا ليست بحاجة إلى فنان، أمريكا لم تجد بعد مكاناً له)

□ وفى الثلاثينيات أظهرت المجزآت الكبيرة للأمريكيين فى مجال تطوير فن الرواية وقد أبدع الكتاب وقتذاك نوعاً من الموسوعة الفنية للحياة المثيرة بتتويعها ومهاراتها الأدبية واستعدادها لنقل الحقيقة عن الولايات المتحدة بكل جراءة، ويعان العديد من علماء الأدب فى أمريكا أنه نشأ وضع غير ملائم فى أمريكا بعد الثلاثينيات بالنسبة للرواية.. فى الأربعينيات والخمسينيات ساد أدب، لحد ما محافظ، مثل (هوق الهوة فى الجودا) نيسلجر، و(الغلا) لوفوكتر.

□ ويمكن الرجوع لأقوال الروائي الألماني (توماس مان) الذى أقام فى الولايات المتحدة تقريباً مجموع سنوات هجره من ألمانيا النازية، كتب (توماس مان) بعد الحرب (كان ثمة

وهم الحلم الأمريكى الضالع ونفعية وبراجماتية قيم الحياة والسلوك والعلاقات الاجتماعية وسطوة الملياريات وملوك أقال وهيمتهم على كل شيء وخاصة أجهزة الإعلام والنشر، وبالتالى تأثر الإبداع الأدبى والفنى وحصار حرية المبدعين فى حق النقد... مما جعل مواصفات الإبداع تخضع لمنطق البرصمة المالية وبالتالى تسيد التشويش والغربة والاستلاب... والأخطر هو هيمة العسكريين وبروز نوع من الفاشية والنازية الجديدة فى الحكم وما تبعها من آليات للظفر والقمع كل ذلك لئن الرواية الأمريكية وشكل مسارها وهويتها.

وترجع أهمية هذا الكتاب فى اعتقادى لعاملين أساسيين.

الأول: أنه يربطنا بالأعمال الأخيرة لكل من إرنست هينجواى وويليم فوكلر، وجون شتاينبك والى تشكل وصاياهم وأخيرة، فهو يعرض بالتفصيل آخر رواية لهينجواى نشرت بعد رحيله وهى تكشف عن مرارة ودوافع انتحاره الفاجع وتشكل خلاصة مركزة للملفته وفنيته فى الرواية العالمية المعاصرة.

أما العامل الثانى وهو الأهم فهو قيام المؤلف بالتعريف وعرض أعمال عدد من أبرز الروائيين الأمريكيين المعاصرين الذين لا تعرف عنهم هنا شيك ولم تترجم أعمالهم إلى العربية.. فهم مجهولون بالنسبة لنا وأبرزهم على التوالى:

- (١) جويس أوتس. (٢) جون أديك.
- (٣) هيرمان ووك. (٤) لارس لورانس.
- (٥) جوزيف هيلر. (٦) كورت فونيهوت.
- (٧) جون تشيفر.

وقد أغفل المؤلف ذكر كتاب آخرين مثل أرسكين كالدويل، وهنرى ميلر، ونورمان ميلر، وسالينجر وسول يلى.. ولعل منهجه الاجتماعى والأيدىولوجى هو

## أمريكا

## روائيون أمريكيون

كتاب ذريالون أمريكيون) للناقد (موريس مندلسون) والذى ترجمه زياد الملا، محاولة للتعريف السريع بأعمال واتجاهات أبرز وأهم كتاب الرواية الأمريكية فى القرن العشرين وبالتالى فى الفترة الزمنية من أوائل الثلاثينيات وحتى أواخر الستينيات.. إنه بالوراها مصفوفة لدراسة إجمالية ثقافتهم وتحتل بالمضامين والنزى الفكرية لكتاب الرواية الأمريكية، وتشير بصرحة واختصار مغل لقضايا الأسلوب التعبيرى والبناء الفنى وعناصر الجماليات للرواية الحديثة... ذلك أن مؤلف الكتاب لا يتجاوز فى عرضه وتحليله النقدي المنهج الاجتماعى التحليلى الذى يرمد جدل صراعات وتحولات المجتمع والواقع الأمريكى فى هذه الفترة الزمنية وانكاساتها على الرواية كمسجل واسع للأصداخ النفسية والاجتماعية والأنطولوجية، ومواقف الكتاب من الطبيعة المعقدة للحياة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية واندلاع الحرب الباردة بين المجتمع الشيوعى والرأسمالى ومأساة «المكاثرة»، وقهرها لحريات الكتاب والمثاقين ومأساة حرب فيتنام

## الإشارات والتبسيهات

والصدق وامتنلاك المهارة الفنية في عرض ماوراء السطور مما يتيح للمؤلف المجال كي يجعل ثلثه غنيا بالمضمون بشكل عجيب .

إن بعض سمات العصر العامة تجد تجسيدا لها فيما يتحدث عنه هيمنجواي في (جزر في المحيط) فالتراجيديا المترافقة مع جانب كبير من حياة الكاتب ويطله على حد سواء تصبح طريق حياة الناس الذين للوهلة الأولى لا يشبهون أبدا مبدع اللوحات الأدبية الهمنجواي نفسه، إذ أن السمات التي تخص خبرة الأبطال وهي القدرة على تحمل العبء والنكبات ببرجولة وإبداع (خسوف العذاب الإنساني) حسب قول (توتشيف) تتطابق كليا مع أحاسيس العديد من قراء أدب همنجواي،

وقد عبر الكاتب في هذه الرواية أيضا عن فكرة العدالة الكاملة والسفسري الإنساني للكفاح في أثناء الحرب العالمية الثانية ضد الفاشيين الألمان باستقامة وإخلاص وثبات نادر في الأدب الأمريكي المعاصر.

لقد برهن الكاتب على عظمة الناس القادرين على الصبر من أجل حياة لائقة، وإن مقرئ (الوصية) المصدرة في هذه الرواية يمكن في اللداه الموجه إلى كتاب أمريكا اليوم بأن لا يكون أولهاو للمبادئ السامية للواقعية فحسب، بل إبداع الاستعداد لكشف عن القدرات البطولية داخل البشر.

أما الفصل الخاص بوليم فوكندر فيحدث عن آخر رواية له وهي (الفيل) عام ١٩٥٩ صدرت قبل عدة سنوات من رحيله وهي الجزء الثالث من الثلاثية التي بدأت برواية (القرية الصغيرة) صدرت عام ١٩٤٠، ورغم هجوم النقاد على الرواية واتهامها بالثرثرة وأنها من الدرجة الثانية وأن ذروة فوكندر قد ولت، فإن المؤلف يجد في رواية (الفيل) أن الكاتب قد حكم فيها مثما هو في عدد

نحو (كبرمجورد) غير أن هذا الرد لم يلهمهم أبدا أمل بالطبع وفي الوقت نفسه يوصي نقاد الأدب الأمريكي بإصرار كبير بأنه لا يمكن للكاتب أن يتواجدوا في عالم الإبداع إلا إذا أبدعوا مؤلفات تحمل طابع الحداثة وخاصة العنيفة منها وتلك التي تنتمي إلى قائمة (الكافة السوداء) .

وقد لعب النقد الجديد دورا سلبيا في الأدب الأمريكي الذي ثبت مسدود المدرسة الشكلية... بيد أن بعض كتب للفنانين الأمريكيين المعاصرين يرتفعون إلى مستوى الفن الكبير ويتنصب الروايات الواقعية في مواجهة الحداثة،

وفيما يتعلق بالكاتب الذين ولجوا عالم الأدب بعد الحرب العالمية الثانية فإنه تظهر لدى أكثرهم.. حسب كلمات (وورين) تلك المشاعر الدالة على أن الإنسان يسطم الآن (بمجمع سادي) ،

وتتوقف بالناقشة مع بعض فصول الكتاب

في الفصل الخاص بهيمنجواي تجد الوصية الأدبية التي تركها بعد انتحاره وهي رواية لم يتمكن من إنجازها (جزر في المحيط) ولقد عبرت أمله بعد وقت قصير من انتحاره في حديثها مع بعض الأدياء السوفييت عن الشك بأن تشر هذه الرواية في وقت ما، إذ كانت جواربها الضعيفة جلبة للغاية.

والواقع أن يلته الرواية غير معالجة بالكامل ونقاط التماسك بين أجزائها هزيلة فهي عمل غير مكتمل وإن الشيء الأكثر أساسية هو أن هيمنجواي - ودع الحياة تاركا وراءه رواية رغبة تمت تعصف القدر، ومع ذلك فهي تضم صفحات مشرقة غير قليلة حول الحرب العالمية الثانية، ويتأثر القارئ ببروز صورة الإنسان الهمنجواي، المتصادمة مع قوى الشر، وفيها تبرز سمات الكاتب وهي النزعة السيكولوجية الدقيقة

زمان عندما كان إيماني بالرسالة العالمية لأمريكا مغريا جدا) غير أنه ما أسرع ما فقد الأمل وأعلن خيبة أملة بقوله: (إنها الواضحة أولى هلاكم الازدباب والتجسس الأيديولوجي والتعذيب السياسي) فهو يتلبأ بالمكارثية، وفي إحدى رسائله يقول (الحرب الباردة تحرق أمريكا جسديا ومعنويا وجاءت حرب فيتنام فكتبت مجلة (ساترداي ريفيو) البرجوازية سنة ٧٢ (أن الحرب في فيتنام قد غيرت مجتمعنا تغييرا عميقا) ولقد قال الشباب (لا للحرب غير الشريفة) وأعلنوا أن نظام الدولة بمجموعه يخدم مصالح السلاح والامتدادات الاحتكارية وهو شريك على المصالح الحيوية الجذرية للأمريكي السفول.

وقد خيم ظل قسائم على الأدب الأمريكي في العقود الأخيرة إذ انتصر هيمنجواي ومات فوكندر وكذلك شتابنك بعد تراجعهم عن بداياتهم التقدمية في الوقت نفسه وقعت صناعة النشر والطباعة تحت سلطة الاحتكارات وأصبحت طبيعة التفكير (البزنس الكبير) وأساليبه تراث تأثيرا متناميا في مهنة النشر والمطبوعات ككل، ولقد تم إغراءات مريحة لتأليف أعمال أدبية تافهة فنيا إلا أنها تضمن الترفيق المادي.

ولاحظ المؤلف تغفل الأفكار الوجودية في رواي أمريكا - بيد أن الشهرة الكبرى للألترجة الوجودية قد ترسخت سنوات مابعد الحرب، وبدأ مؤلفون أمريكيون آخرون في تمسهم انحاء لاحتطاط الحضارة الرأسمالية يرون أن مصدر تدهور العالم الأخلاقي والروحي بشكل عام والذي يضطر البشر للعيش فيه إنما يكمن حسب زعمهم في العيوب والفتاوس التي يتسم بها الإنسان منذ الأزل،

وفي البحث عن الإجابة عن مسائل الوجود المضنية شرع الروائيون بتجهون

## الإشارات والتبسيطات

القارئ بالرعب مما يجري في بلاده.. والكاتبة في مقالاتها وكتابتها (على حافة المستحيل: أشكال تراجيدية في الأدب) تبدو استعدادا لاقتفاء قواعد وقوانين الفلسفة الوجودية التي ترى عليها جبلها

غير أن إعادة تصوير مناخ العنف في رواياتها الواحدة تلو الأخرى لا يمكنه إلا أن يقلق حتى أولئك القراء الذين يؤمنون بتبريرات اهتمام الروائية الأمريكية بتلك الظواهر في الحياة الأمريكية مثل كثرة حوادث القتل، إن المطلق على أفضل رواياتها وهي (هولام) ١٩٦٩ هي قصة قتل - وإن الصلحات الأولى من كتاب (بلاد الصبايا) ١٩٧١ تجرنا أيضا على الإحساس بأن أمريكا هي بلاد العنف، وفي رواية (حديقة المسرات الأرضية) ١٩٦٧ القتل والقتل من جديد دون نهاية، وأما روايتها السياسية فاسمها (القتلة) ١٩٧٥

غير أنها كاتبة غير موهوبة فهي لا تتمتع بتلك الموهبة الغائبة التي نجدها في روايات (توماس فولف) وهي غير قادرة على المزج بين الأسس الثقافية والهجائية في كل واحد مثلما فعل شتاينيك في (شتاء الغضب) وليس لها القدرات الهلجوانية الرائعة في الربط بين النص و(مسابين (السطور) في كل واحد، وفي الوقت نفسه غريب عليها ذاك الذهول المتصنع الموجود لدى مثلي الحداثة،

ولننكسك لرواية (ظهور لأجل أبطال الرياضة) للروائي كورت فونسيوت، ومؤلفات هذا الكاتب محشوة بالتصورات القاتمة حول المصير القلبي للناس، ولكننا نجد فيها أساطير يتمصر مغزاها وكان كل شيء جيد

ولا يزعج هذا الروائي وجود المبدئية الكاملة والثبات في مواقفه الفكرية ويتزادى الشعور بأن حماس (فونسيوت) في فضح نمط الحياة المهيمن في الولايات المتحدة متناف مع طابع قرائه.

من الضروري مقارنة أسلوبه بأسلوب فوكتر قاصدا بذلك (الأمثلة)

ولعل أكثر فصول الكتاب دقة وكفاءة وأمانة هو ما يتعلق بأزمة الروائي جون شتاينيك حيث عرض بتركيز ومهارة المؤلف لقيمة وخطورة عطائه الروائي في بداياته وانتقاله إلى العمال الزراعيين في صراعهم ضد القهر والقمع لنظيفة الملاحة... وتوقف عند (عناقيد الغضب) طويلا ثم عرض لتراجعاته أمام لوحة مكاني واستنكاره لتاريخه القلبي - وموقفه المشين من حرب فيتنام وموقفه مع المؤسسة العسكرية، والتكلم الكاتب آخر أعماله التي تعكس وتصور أزمته رواية (شتاء الغضب) وفيها يرى شتاينيك على نسان بطله حفيد أجيال من المهاجرين - والذي يعمل الآن في محل بضاعة ولا يجد إلا الحذيت مع الضربات ويضائع الدكان عن ماضيه وقيمه وطموحاته ثم يرى قبره وانتساره؟ كذلك يتوقف عند رواية (الأتوبيس الجامع).

إن أهمية المساهمة التي قام بها مؤلف (شتاء الغضب) في أدب الولايات المتحدة الأمريكية وقيمة التراث الفكري والفني الذي تركه شتاينيك للجيل الجديد من الكتاب بصفته مبدعا لهذه الرواية بالذات لا يجوز التقليل منها، وكان من المعقول ألا تظهر رواية (حدث شيء ما) للكاتب هير في السبعينيات فيما لم يسبقها كتاب (شتاء الغضب).

إن هذه الرواية تدل على إدراك مؤلفها بوجود انحطاط أخلاقي لدى الأمريكيين - سترافق مع الانهيار الاقتصادي

وتتوالى فصول الكتاب لتعرفنا ولأول مرة في لغتنا بكتاب لعل أبرزهم الروائي (جوسين أوتس) وكل رواياتها تشكل علامة احتجاج على ذلك الاتجاه في الأدب الذي يهوده هيرمان فوك فهي تنهم

من رواياته الأخيرة، العمق المزعج للأزمة الداخلية التي اجتاحت المجتمع الرأسمالي في الولايات المتحدة الأمريكية، فالحساسية المتفردة تجاه التشوهات الأخلاقية التي تخف أمريكا قد أكتاحت الإمكانية لمؤثر كي يتشبع بالكارهية التي لا تطفئ ليس تجاه الفاشية فحسب، بل يشكل هام تجاه دعائم مجتمع المستهين وقواعد المجتمع البورجوازي المعاصر.

هذا ولم تبرز في داخل هذا الفنان قدرة المشاهد الجامعة الصاحبة للاستعجاب من القلب فحسب، بل كان الكاتب أيضا غنيا بالاعتراف الرائعة للعلام الذي كان يرسمه. إنه عالم المزارعين من الولايات الجنوبية ومن الجنوبيين أيضا وصالح البيض وهالم الأرستقراطية الجنوبية، هؤلاء النهر الذين لا يزالون بعد مئة عام من انتهاء الحرب الأهلية يعتقدون بأن فيهم بالذات تتجسد أفضل مثل البشرية،

وكتاب (الفيلا) صورة عن صراع الأفكار إنه رواية فلسفية إلى حد كبير، ومن المهم جدا أن تبرز أمانة رواية هير فيها فوكتر للقراء، وفي الوقت نفسه الروائيين الأمريكيين من الجيل الجديد على إدراك أن البشر جديرون بحياة أفضل، وهي تستحق الكفاح وتضمن الهموم والهلع وتقديم التضحيات وتشكل هذه الفكرة الرائعة جزءا جوهريا للغاية من التراث الفكري الذي تركه كاتب (الفيلا) للأدباء اللاحقين..

وفي رسالة لتوماس مان عن فوكتر يتحدث عن كفاءاته الكبيرة ويتناول (الأمثلة) التي تعتبر تجسيدا لمشاعر الكاتب الفاضلة للمعسكراتية، إن توماس مان معجب بصورة الحب الذي يكده الفنان للإنسان واحتجابه على المعسكراتية والحرب وإيمانه بالنصير الخبير في النهاية ورأى توماس مان أنه



## تشومسكي

المؤلف:

السورجون ليولتر هو عميد تريبيتي هول منذ عام ١٩٨٤، وهو من مواليد ١٩٢٢ وقد تعلم في كلية سان بيد في مانشستر، وكذا في كلية كراسيت كوليدج بكامبريدج حيث نال أول درجة علمية له في الآداب الكلاسيكية عام ١٩٥٢، ودبلوما في التربية عام ١٩٥٤، وبعد سنتين من الخدمة في البحرية الملكية، حيث تلقى تدريباً كمترجم للروسية، عاد إلى كامبريدج طالباً في قسم الدكتوراه عام ١٩٥٦، وفي العام التالي، حين محاضراً في الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن.

وفي عام ١٩٦١ شغل وظيفة محاضر في اللغويات العامة بجامعة كامبريدج ونال درجة الزمالة في الآداب الكلاسيكية بكلية كراسيت كوليدج، ومن عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٧٦ عمل السورجون أستاذاً للغويات العامة بأدينبره، ومن عام ١٩٧٦ إلى ١٩٩٤ عمل أستاذاً للغويات بجامعة ساكس. وقد شغل أيضاً وظيفته أستاذ زائر في عدد من الجامعات بالولايات المتحدة (بما فيها جامعة إنديانا، حيث قام بتدريس اللغويات، وعمل في مشروع بحث يتعلق بالترجمة الآلية في أعوام ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢)

وكذا في جامعة باريس. وقد ألقى السورجون محاضراته في كثير من البلدان المختلفة وقد نال في اللغويات من جامعة كامبريدج عام ١٩٨٧، كما نال الدكتوراه الفخرية من جامعات لوفان ورنج وأدنبره وفي اللغويات من جامعة كامبريدج عام ١٩٨٧، والسورجون زميل بالأكاديمية البريطانية وعضو فخري بجمعية اللغويات الأمريكية. وقد نال لقب فارس في عام ١٩٨٧ نظراً لخدمات التي قدمها لطول الحياة.

ورغم أن بعض المؤلفات (فوليوت) الصادرة في الستينيات تشهد على تدهور الكاتب الفكرية، فإن البعد الاجتماعي للفوليوت الساحر قد كشف عن التوجه نحو الاتساع. وهذا ماثل عليه مثلاً قصة (أرجوحة لأجل) فليها أحد نماذج الديكتاتوريين الأمريكيين الثلاثين الذين يحظون بدعم من واشنطن،

والروائي لارس لورانس في ملحمة البذخ حول الطبيعة العامة الأمريكية، والتي كتبها تنديدا لسيطرة الكارثية حيث كان عدد من الكتاب التقدميين ينادون بالسجون وسيطرة من العنصرية في الفمسينيات .. وقد حاول فيها أن يشير القارئ حول وجه الولايات المتحدة الأمريكية ككل وعن الكفاح الذي تقوضه القوى التطبيقية المتفادحة في المجتمع الأمريكي، ويستند لارس لورانس في تطوير لوهيته على الإنجازات الإبداعية لتسليم جوكي

وأخيراً فإن هذا الكتاب المركز يقدم صورة إجمالية عن اتجاهات الرواية الأمريكية المعاصرة ويشتمل الفصل الاجتماعي في البحث عن مدى تصوير هذه الرواية لصراع وتناقضات الحياة الأمريكية؛ حيث الجنس والقتل والعنف وهيمنة أباطرة المال والتجسس والمخدرات، ويحطم الصورة الوردية الفادحة التي تقدمها السينما الأمريكية والمسلسلات التلفزيونية عن الحلم الأمريكي... الذي يخذل الشعوب الفقيرة

إن مجتمع الرفاهية والغنى الأسطوري والذي يشهر شعوب العالم الفقيرة يقهر في الوقت نفسه المواطن الأمريكي ويقيبه وعيه ويسلبه قدراته وحرية وإنسانيته ■

عبد الرحمن أبو عوف

ولقد كان أول رئيس تحرير لمجلة Journal of linguistics (١٩٦٥ - ١٩٦٩) وضمن منشوراته (التي ترجم كثيرٌ منها إلى عدد من اللغات) الدلالات البنائية (١٩٦٣)، مقدمة في اللغويات النظرية (١٩٦٨)، اللغة وعلم اللغويات (١٩٨١)، اللغة، المعنى والنص (١٩٨١) والطبعة الثانية (١٩٩١)، واللغة الطبيعية والنحو العالمي (١٩٩١)، وهو متزوج وله ابنتان وخليتان.

لا يتميز موقع تشومسكي في علم اللغة بالتفرد في الوقت الراهن فحسب، بل من المحتمل أن يكون موقعه لم يسبق إليه أحد في تاريخ هذا العلم بمجمله. لكتابه الذي نشر عام ١٩٥٧: رغم كونه موجزاً وغير فني نسبياً - قد أحدث ثورة في الدراسة العلمية للغة. وقد تحدث سنوات عدة بسلطة لا تنازع في كل معالم النظرية النحوية، وليس معنى هذا بطبيعة الحال أن كل اللغويين أو حتى معظمهم قد قبلوا بنظرية النحو المتغير transformational grammar التي قدسها تشومسكي منذ حوالي عشرين عاماً في كتابه «البنى التركيبية Syntactic Structures»، إلهام لم يقبلوا بها. وهناك على أقل تقدير من المدارس اللغوية ما هو ذو تايل على نطاق العالم مثلاً كان قبل ثورة تشومسكي.

وسواء أكان تشومسكي محقاً أو مخطئاً فإن نظريته في النحو هي بلا شك الأكثر تأثيراً ودينامية، ولا يمكن لأي لغوي يريد أن يجاري التطورات الحادثة في مادته أن يتجاهل آراء تشومسكي النظرية، وتحت كل المدارس الأخرى في اللغويات في الوقت الراهن إلى تعرف موقفها بماله من علاقة بأراء تشومسكي في قضايا بعينها.

ومع ذلك فليست وضعية تشومسكي ومهتره بين اللغويين هما المسئولتان إلى هذا الحد عن جلته ساداً من سدة الفكر

## الإشارات والتنبيهات

وبالإضافة إلى ذلك فقد زعم أن المبادئ التي تتنصّر في البناء العقلي محددة وعالية الليرة بحيث يجب اعتبارها حتمية ببولوجية بمعنى إنها تكون جزءا مما نسميه «الطبيعة البشرية» وإنها تتنقل وراثيا من الآباء والأمهات إلى أطفائهم. وإذا كان هذا صحيحا وإذا كان هذا هو الحال كما يقول تشومسكى، فإن النحو المتأخر هو أفضل نظرية استخدمت حتى الآن لوصف وتفسير بناء اللغة البشرية وصفا منهجيا، فمن الواضح أن فهم النحو المتأخر شيء ضروري لأي فيلسوف أو عالم نفس أو عالم أحياء يريد أن يأخذ في الحسبان أسدرة الإنسان اللغوية. وترجع أهمية حصل تشومسكى بالنسبة لباحثي الفروع الأخرى في المقام الأول إذن إلى الأهمية المعترف بها للغة في كل مجالات النشاط البشري، ومن العلاقة ذات الصميمية الفاصلة التي يقال إنها تربط بين بناء اللغة والخصائص النظرية للذهن، أو العمليات التي يقوم بها، لكن اللغة ليست هي النوع الوحيد من السلوك المركب التي تتفرض فيه التكاليف البشرية، وهناك على الأقل احتمالية أن تثبت الأشكال الأخرى من النشاط البشري النموذجي (بما فيها بعض الملامح مما يسميه الإبداع الفني) إنها عرضة للوصف ضمن إطار الأنظمة الرياضية ذات البناء الخاص المناظرة للنمو المتغير أو حتى المؤسسة عليه. وهناك عديد من الباحثين من يعملون الآن في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانيات الذين يعتقدون أن الأمر على هذا النحو ومن وجهة نظرم فإن شكلاية تشومسكى للنظرية النحو توفر النموذج والقياس، وما قيل في الفقرات الأخيرة سوف يتبين أن تأثير تشومسكى هو الآن محصور في فروع مختلفة كثيرة من العلوم، ومع ذلك فحتى وقتنا الحالي فإن دراسة اللغة هي التي تأثرت تأثرا عظيما بـ «الثورة التشومسكية»، ويلمح تشومسكى معظم آرائه الفلسفية والنفسية الأكثر صومعية

مضمنا في الحديث أو الكتابة، وسواء أكان ذلك صحيحا أم خطأ فمن الواضح أن لغة أممية حيوية في جميع أوجه النشاط البشري، وأن تغير اللغة سيكون التواصل بجميع أنواعه ما عدا ذلك النوع البدائي ضريبا من المستحيل وإذا سلمنا بأن اللغة ضرورية للحياة البشرية كما نعرفها، فمن الطبيعي فقط أن تتساءل لماذا يمكن أن تصام دراسة اللغة في فهمنا للطبيعة البشرية، لكن ما هي اللغة؟ هذا السؤال يخطر على ذهن القلة، وكلنا يعرف معنى كلمة لغة، بمعنى واحد بطبيعة الحال، ويعتمد استخدامنا لهذه الكلمة في الحياة اليومية على الحقيقة التي تكوّن بأننا جميعا نفهمها كما نفهم الكلمات الأخرى التي نستخدمها بنفس الطريقة أو بطريقة مشابهة جدا، ومع ذلك فهناك فارق بين هذا النوع من المعرفة العملية التي لاخيال فيها لماهية اللغة، والفهم الأكثر منهجية الذي نود أن نسميه علميا، وكما سترى في الفصول التالية فإن المستهدف من اللغويات النظرية أن تجيب إجابة علمية عن السؤال ما هي اللغة؟ وأن تقدم بذلك البرهان الذي يستطيع الفلاسفة وعلماء النفس أن يبنوا عليه بنيانا في مناقشتهم للعلاقة التي تربط ما بين اللغة والفكر، لقد ابتعد نظام تشومسكى للنمو المتغير كما سترى إعطاء وصف دقيق دقة رياضية لبعض معالم اللغة الأكثر إثارة، وما له أهمية خاصة في هذه الرابطة هي القدرة التي يتمتع بها الأطفال في اشتقاق المتطوقات البدائية للفهم الأم - قواعدا التحوية - من خلال متطوقات أبائهم وأمهاتهم والآخرين من حولهم ثم قدّمهم على استخدام المتطوقات نفسها في بناء متطوقات لم يسمعو بها من قبل. لقد جادل تشومسكى في عديد من منشوراته بأن المبادئ العامة التي تحكم شكل القواعد التحوية في لغات بعينها مثل الإنجليزية والتركية أو الصينية لها صلة العمومية بالنسبة لكل اللغات البشرية لدرجة كبيرة.

الحديث، وعلى أية حال فإن اللغويات النظرية هي موضوع للاهتمام، سمح د قائل من الناس، وأكاد القليل منهم قد عرفوا أي شيء عنه إلى وقت قريب جدا. وإذا كان قد اعتُرف به كفهر من فروع العلم يستحق البحث ليس لذاته فقط لكن للإسهامات التي يمكن أن يقدمها للأفقر الأخرى كذلك، فإن الفضل في ذلك يرجع إلى تشومسكى بدرجة كبيرة جدا، ويقال أن ما يزيد على الألف من طلبة الجامعة ومدرسيها قد حضروا محاضراته عن فلسفة اللغة والعقل في جامعة أكسفورد في ربيع عام ١٩٩٩. وربما كان للغة منهم صلة ما سابقة باللغويات، ولكن يفترض أن جميعهم كانوا مكثّنين أو جاهزين للاقتناع بأن الأمر يستحق بذل الجهد العقلي المطلوب لمناهضة محاولة تشومسكى التي تتسم في بعض الأحيان بالمقنية الشديدة، وقد أذهبت المحاضرات على نطاق واسع في الصحافة القومية الأمريكية، وقد تتسائل القراء الذين ليس لهم علاقة بأصنام تشومسكى عن الرابطة المحتملة بين مجال حساس مثل النحو التخصصي أو المتغير وتلك الفروع المعروفة بشكل أفضل والتي لها أهمية واضحة مثل علم النفس والفلسفة وهذا سؤال سوف نطرحه للمناقشة بشيء من التفصيل في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب، لكن قد يكون من الجدير بنا أن نحاول أن نجد الآن إجابة أكثر صراحة.

لقد افترض في أحيان كثيرة أن الإنسان يتميز تميزا واضحا عن الأنواع الأخرى من الحيوانات ليس بخاصية الفكر أو الذكاء كما قد يتضمن التصديق السبائسي في علم الحيوان المعروف بـ «Homosapiens»، ويعني الإنسان بوصفه نوعا ببولوجيا، وإنما تميز الإنسان بقدرته على استوعاب اللغة وفي حقيقة الأمر فقد جادل الفلاسفة وعلماء النفس طويلا فيما إذا كان الفكر بالمعنى الصحيح لهذا المصطلح يمكن إدراكه سوى باعتباره

## الإشارات والتبهيئات

فإن الدفاع عن هذه القيم التقليدية متروكه في أحيان أكثر من اللازم للدارسين الذين يحد بهم التدريب الأكاديمي في اتجاه الجدل الذي يروج له «البراجماتيين، المترجمين، ولا يمكن أن يكتب عن تشومسكي في عجلة باعتباره «نبرانيا مشوق العقل». إنه مقروء في فلسفة العلم مثل خصومه سواء بسواء ويستطيع أن يتناول أدوات العلوم الاجتماعية بسهولة نفسها. وقد تقبل مجادلته أو ترفض، لكن تجاهلها أمر غير ممكن وإن أي شخص يريد أن ينتج هذه المعارف ويقيمها لابد أن يستعد لمقابلة تشومسكي على أرضية: اللغويات أو البحث العلمي لغة، فتشومسكي يؤمن (كما قلت آنفاً) إن بناء اللغة يتحدد بواسطة بناء العقل البشري، وإن شمولية خصائص معينة تميل اللغة لها برهان على أن هذا الجزم على الأقل من الطبيعة البشرية يشمل كل أعضاء هذا الجنس، بصرف النظر عن العصر، أو الطبقة، أو الفروق العقلية والشخصية التي لا مراء فيها، وهذا الاعتقاد تكلويد جدا (ويربط تشومسكي بشكل واضح كما سترى بين آرائه وتلك التي كان يعتنقها الفلاسفة للملايين في القرنين السابع عشر والثامن عشر) والجديد في الأمر هو الطريقة التي يجادل بها تشومسكي عن قضيتته والبرهان الذي يورده دما لها.

وإنه لمن السلام والمسأل لمكانته وتأثيره أن يكون السعد الذي نلذ فيه تشومسكي بحثه في بناء اللغة وخصائص العقل البشري هو تلك اللغة للعلم الحديث معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، لكن الآراء التي يعبر عنها في تلخيص بحثه يجب أن تكون تلك التي تميز أقسام الإنسانيات في جامعة تكاليف والتناقض قاهره فقط إذ إن عمل تشومسكي يفترض أن الحدود التقليدية بين الفن والعلم يمكن بل يجب زائلها.

**جون ليوتر**

ترجمة: زكريا محمود رضوان

طويل معارضا على الأقل للشكل الأكثر تطرفا من علم النفس السلوكي، السلوكية الراديكالية، التي تفسر كل المعرفة والعقائد البشرية من وجهة نظرها وكل «أنماط، الفكر والفعل التي يتميز بها الإنسان بكونها «عادات، وتم بناؤها كعملية لا تكيف، أطول وأكثر تعقيدا في تناسلها بدون شك لكنها لا تختلف اختلافا نوعيا عن العملية التي تتعلم بها الفئران في المختبر بنفسه أن تحصل على طعامها بالضغط على قضيب في القلص الذي وضعت فيه. وقد بدأ هجوم تشومسكي على السلوكية الراديكالية برعايته الطويلة وجيدة التوثيق كما كتبه سكين عن «السلوك الشفهي» في عام 1964 والتي ادعى فيها أن الطماطم الاصطناعية والإحصائية المؤثر الذي تغطي به النظرية السلوكية لم يكن سوى مظهر خادع يغطي عجز أصحابها عن تفسير حقيقة أن اللغة ببساطة ليست مجموعة من «العادات، وإنما تختلف جذريا عن أسلوب الحيوانات في التواصل. إنه نفس الاهتمام الذي وجهه تشومسكي في كتاباته السياسية لعلواء النفس والمسؤولين وعلماء الاجتماع الآخرين الذين تسعى الحكومة وراء مشورتهم «الخبيثة»، حتى لهم «محاولون محاولة بائسة أن يقلدوا المعالم السطحية للعلوم ذات المحتوى العقلي، متجاهلين في هذه المحاولة كل المسائل الأساسية التي يجب أن تكون محط اهتمامهم متحسين بالتقنيات البراجماتية والمنهجية.

إن قناعة تشومسكي هي أن الكائنات البشرية تختلف عن الحيوانات وأن هذا الفارق ينبغي أن يوضع موضوع الاحترام في كل من العلم والحكم وإن هذه القناعة هي التي تشكل الأساس والفهم الموحد لفلسفته وفكره السياسي واللغوي.

إن رسالة تشومسكي مألوفة بما فيه الكفاية، وسوف تجد استجابة قوية عند كل واحد من السامعين في الإيمان بأخوة الإنسان وكرامة الحياة البشرية. ومع هذا

عن طريق البحث في البناء الهوى للغة الإنجليزية واللغات الأخرى. لهذا السبب فإننا سنولى اهتماما كبيرا في الحيز الحالي للتخلفية القوية لفكر تشومسكي. لارجع شهرة وشعبية تشومسكي الحالية لفظ ولا حتى شكل رئيسي إلى عمله في اللغويات وما لهذا من تأثير على الأفرع العلمية الأخرى، ففي الستينيات أصبح معروفا على نطاق واسع كواحد من أشد منتقدي السياسات الأمريكية في فيتنام وأوصحهم نبرة ك «بطل من اليسار الجديد، تعرض لخطر السجن برفضه أن يدفع نصف ضرائبه وأعلى دحما وتشجيعا لشباب الدافعين للانحراف في الخدمة العسكرية في فيتنام ولا شك في أن شهرة تشومسكي الكبيرة جدا وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ترجع إلى كتاباته السياسية ونشاطه السياسي وإلى إدارته للإمبريالية<sup>(1)</sup> الأمريكية ولهؤلاء المستشارين الأكاديميين للحكومة الأمريكية اللذين نظرا لتفاهتهم بأنهم خبراء في مجال ليس فيه شيء من الخبرة العلمية بحيث كان يجب أن تسود اعتبارات القيم العامة قدر ارتكبا جرما بخداع الجمهور فيما يتعلق بطبيعة الحرب في فيتنام والتدخل الأمريكي في كوبا وقضايا أخرى.

ونقل كتابات تشومسكي السياسية لتثير الانتباه «القوة الأمريكية وكبار موظفي الإمبراطورية، لأسباب تخص الدولة».

«فتحة الغرف الخلفية، في حرب مع آسيا، سلام في الشرق الأوسط»، ولا يزال مؤيدا نشويطا للتغيير الاجتماعي الجذري في الولايات المتحدة ورغم أن هذا الكتاب يدور بصفة رئيسية حول آراء تشومسكي في اللغة، فربما يتوجب التأكيد هنا على أن لغة في اللغة وفلسفته السياسية لا ترتبطان بأي حال كما قد يبدو من النظرة الأولى وكما سترى في الفصل التالية فقد كان تشومسكي لدى

## الإشارات والتنبيهات

إنه يرى أن الأسس والمبادئ الثقافية للمجتمع هي التي تحكمه أكثر من السياسة العامة.

وهذه الصلات الثقافية التي يتمتع بها ميللر البولندي اليهودي الديانة والمهاجر إلى أمريكا، أرض اللجوء والتحدث ساعدته على اللجوء الفكري والسياسي.

ورداً على سؤال عما إذا كان في الممكن أن يحول إليه أسدرة لو لم يولد ويترعرع في نيويورك عند اندلاع الحروب العالمية في أوروبا وفي طغى الأم فأجاب :

«إنه كان سيواجه الموت المحتم،

وعندما أخذ الضلع إلى مسلط رأسه فسافر إلى بولندا فوجدتها تشبه القبور التي تنتمي من بنائها إصابة ذلك بالإحباط الشديد وتشكل حال الملايين المسرحيين الذين يعانون ويلات الحرب في هذا البلد المستعمر.

وهذه القصة المأساوية جعلته يشعر أن الله قد كتب له النجاة من هذه المذابح ومنحه الحياة من جديد، ويجب عليه ألا يهدر أي لحظة من حياته دون الاستفادة بها عن طريق العمل والإنجاز والنجاح. فطمس وجهه الأدبي وحلسه الأمريكي دفعه إلى كثير من العمل والتجارب فكتب مسرحياته الأدبية في جو عالمي غريب. كان والده رجل أعمال يجهل الكتابة لأنه حرم من المدرسة في سن صغيرة وكانت أمه تحب الثقافة، فحذا ميللر حذوها واختار الكتابة، فبدأه وتعديه جده بلقوى أسرته المتوسطة ويتلقى عليها، كان يعترف بفشل أمه ويرجع نجاحه إليها.

كان يقول إن أمه كانت تبحث عن النجاة والفلاح في القراءة والثقافة، لكنه يرى أن هناك قوة خفية كامنة داخله تكفه للكتابة.

يكن له كل حب واعتزاز. يتحدث عن المواطن الأمريكي قائلا :

«إن الشعب الأمريكي يعمل أكثر بكثير من أي شعب آخر، فالحياة تدور حول العمل أكثر من الراحة، وتوضح هذه العبارة: أن الشعب الأمريكي يحب الحركة الدائمة التي لا تجعله يشعر أبداً بالملل مما يثبت أن آرثر ميللر يكن محبة وهذا لا ينهيان لبلاده.

وقل ميللر يكتب بحث في بلاده التي كانت تدعى الشيوعية وكل المواطنين الذين يؤيدون أو يعتقدون مبادئها، وكان يتعاطف مع المناضلين الشيوعيين. لكنه كان لا يصرح بهذا أمام الجميع.

وكان يكره الكارثية، فحكم عليه عام ١٩٥٧ بعام سجن وغرامة قيمتها خمسة آلاف دولار، بسبب صدور كتابه «عمل في مجلس الشيوخ»، لكن المحكمة القيدرالية للاستئناف ألغت الحكم الصادر ضده.

اشتهر وذاع صيته بعد عشر سنوات من إخراج فيلم «كانوا جميعاً أولاد»، ونتيجة لامتهامة بالفكر اليساري، كانت بنية المجتمع يستهويه فكان يلقي الضوء على هذا المجال بجميع جوانبه في مسرحياته الواقعية وتحقيقاته الدقيقة التي كان يقوم بها قبل تأليفه رواية «مشهد على الجسر».

أثرت فيه الأحداث التي شهدتها بلاده خلال خمسين عاماً، فعاقل بها وأبرز هذا في أغلب كتاباته الفنية، فكان يقول إنه لم يكف فقط عن الاهتمام بالقضايا الاجتماعية فذهب مؤخراً إلى واشنطن وتعامل مع المسؤولين القيدراليين ليوضح لهم أن التقليل من الميزانية المخصصة للثقافة ضار جداً، لكنه لم يستطع إقناعهم برأيه، ويتسمتع ميللر بوضوح الرؤية والتفان في مواجهة الواقع دون الاستمرار في الأوهام، يستأنف حديثه قائلاً :

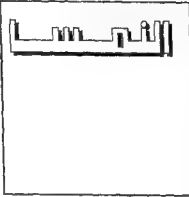
## الرواية الأولى للكاتب المسرحي آرثر ميللر

فاجتمع النقد على أنه كاتب مسرحي كبير، متعدد المواهب.. ترجمت كتاباته المسرحية إلى عدة لغات أشهرها «ساحرات سالم» يتجه آرثر ميللر الذي يبلغ من العمر، حالياً، ثمانين عاماً إلى كتابة الروايات التي تعتبر بمثابة محرك حقيقي لأعماله المسرحية.

اعتاد ميللر استخدام الملاحظات الواضحة داخل نصه المسرحي. وتاريخه الطويل في هذا المجال جعله رجل الفكر الأول في «هوليوود وريوداي». ولكنه يظل رغم ذلك خجولاً، مشغولاً بالقضايا العامة، مرجحاً بكل أنواع النقد الذي كان يوجه إليه في الصحف. فهو يصور شخصية الفرد الحر الذي لا يتغير ولا يريد أن يلعب أحد حريقه ولا يريد بالتالي قمع حرية الآخرين.

ورغبته في الإبقاء على كرامته وحرية نفسه تجعله سريع وكثير الغضب والانفصال عن المقربين له. فهو يبحث دائماً عن الاستقرار وراحة البال فيقيم في منزل جميل بدوية على مقربة من (نيويورك). ويقيم من حين إلى آخر ببعض الأسفاريين سبب واضح. سافر مؤخراً إلى باريس في شهر يونيو الماضي للاحتفال بصدور روايته: «أي فتاة والسلام»، وكان قد أتى إلى فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية. فخلقت صورة هذا البلد الحزين مطبوعة في ذاكرته. بل تحدث عن الحرب في فرنسا في سيرته الذاتية الصادرة عام ١٩٨٨ حيث قام بالمقارنة بين موطنه الأصلي (الولايات المتحدة) وبين فرنسا ووطنه الثاني الذي

## الإشارات والتبهمات



### كارل يوبر . أي مـيـرـاتـ

**ق**ارتبط فلسفة المجتمع عند كارل يوبر، والتي تعرض لها في حينها الفيلسوف جاك ميلر بالثق والتحول في «دوريات الشيوعية»، ارتباطاً وثيقاً بموقفه من العلم، وفي كتاب «المجتمع المفتوح وأعدائه» الذي لم تصدر ترجمته الفرنسية عن دار نشر «سوي»، إلا عام ١٩٧٩، تعرض الفيلسوف لفحوصية المجتمعات المظلمة، غير القادرة على إدراج الحرية الإنسانية ضمن مبادئها التنظيمية، ومن هذا المنطلق، نستطيع القول إنه كان له فضل السبق على فلاسفة التاريخ، ممن يعتبرون حركته أمراً متلقاً يقضي إلى نهاية حتمية مقررة سلفاً، وقد كان هذا النقد الشمولي وراء اصطدامه بالماركسية وببذرة لمظاهر غابته، وإرجاع فكر ماركس لمجرد نوع من التاريخ التي شد ما كان يملكها، وقد أصدر يوبر منذ بداية الخمسينيات عن دار نشر «بلون» كتاب بعنوان «عجز التاريخية»، وأعيد إصداره عام ١٩٨٨ عن دار نشر «بريس بوكيت»، وحيداً

(الظلمة) مذكورة في صفحة واحدة من الثورة، وكان موضوع روايته الجديدة «أي فتاة والسلام» يشغل منذ سنوات، لبطلة قصته (جانيس) الفتاة الأمريكية اليهودية الدانية تمتلك الشجاعة الكافية للانفصال عن الأشياء التي كانت تظن أنها أبدية ذلك للحصول على الراحة والسلام الداخلي، فزواجها من الشجاع «سام فرانك»، رجل الفضيلة المدافع عن الاتحاد السوفياتي الذي لم يستطع مقاومة ميله إلى الماركسية جعلها تغير كثيراً من اعتقاداتها السابقة.

فالحرب والمعاهدة الألمانية السوفياتية والتهيار كل أروام اليسار الأمريكي، جعلت الزوجين يتغلبان عن الحقائق الأيديولوجية ويتجهان إلى التطلعات الواقعية، ويتحدث الكاتب عن حياة سيدة شابة في طريقها إلى استيعاب الحياة السياسية والنضج الفكري.

ويتحدث الكاتب بأسلوب موجز، واضح ومليء بالبلاغة عن الآلام وعن الرضاء النفسي عندما يشير في قصته الذكريات السعيدة لزواج (جانيس) السابق من هذا الموسيقى الكفيف «سان فرانك». هذا العجز يجعله يشعر بأن حب زوجته له هو مجرد شفقة فكان سجين أفكاره، يصور ميلر حياة هذه البطلة الزوجية المضطربة، فيقوم بتحليلها نفسياً.

ويطرح الكاتب أفكاره على لسان «جانيس» البطلة التي ترى أن البحث عن الصرية وعن الحرية شيء صعب المثال مليء بالصعاب والخوف والقلق النفسي ■

### رافائيل ريدول

ترجمة: بثينة رشدي

عن جريدة لوموند للفرنسية

وبعد وفاة والديه، اضطر للعمل بالتجارة لكنه لم يستمر كثيراً في هذا المجال واتجه إلى المسرح لأنه يرى أنه من أنشط الفنون، فهو مكان للاتفاضة وإعادة النظر في جميع الأوضاع السائدة التي أصابت المواطنين بالإحباط.

وكان يتطلع إلى النجاح، منذ البداية، كان يريد أن يكون عمله متميزاً، وساعده طموحه على تطبيق حلمه فاشتهر وتزوج من نجمة الإغراء (مارلين مونرو) لكنه كان يرفض للجمعية وحب الظهور، لأنه كان يفضل أن يعمل في صمت فيقول إن إنتاجه الفني هو الذي يقدمه للجمهور وليس شيء آخر، فكان دائم الهروب من الأضواء والصحفيين، شعر بالسلام الداخلي عند ما عرفه الجمهور وذاع صيته، فأصبح شغفه الشاغل هو بقاء أعماله الأدبية بخلوها.

فكان يرى أن الفنان الحقيقي هو الذي يبدأ الجمهور استيعاب وفهم كتاباته بعد سنوات من تأليفها.

ويأمل ميلر أن يكون قد أسهم حالياً في تغيير الأشياء من حوله، لكنه دائم الشك في ذلك، فكان يذكر أن بعض المتكبرين كانوا يقولون له إن مسرحياته قد غرقت مجرى حياتهم بتأنيده حواراته قائلا إن المسرح لا يغير من طبيعة الأشياء لكنه يضيف بعض الصور الغريبة عن الواقع. وقرر ميلر أن يتجه إلى الكتابة الروائية وذلك ليمس هرباً من المسرح الذي كان يعرض من خلاله قضايا تشغل كثيراً من الجمهور ولكنه أراد أن يتقرب من الواقع عبر لغة مكثفة وأكثر بلاغة.

ويتمتع ميلر بأسلوب قصصي يجمع بين الرواية والقصة القصيرة، فهو يميل إلى الروايات القصيرة، لتصبح وسيلة لغاية للتقرب دائماً من المسرح، يؤكد أنه يحب الاقتضاب في الرواية، فقصته

## الإشارات والتنبيهات

لم يقف عن كمارك بوير أمر وضعه نصب عينيه منذ زمن، وجعل منه الافتراض عمل، وهو أن العلم ليس بحق ملكة اليقين، فلقد أكد أن النظرية لا تكون علمية إلا بعد إخضاعها للتجربة ومن ثم يصبح من الوارد دحضها، وبهذا التأكد، تجدنا أبعد ما تكون عن المفهوم التقليدي للعلم المبني على التأمّل والاستقراء الذي يؤدى إلى التعميم، وقد أثارت تلك الفكرة السائدة جدلاً واسعاً، فكيف للأسباب نفسها أن تُلَدى ذلك؟ وإلى كل الأحوال إلى النتائج ذاتها، مع ما يتضمنه هذا من مفهوم حتمية القوانين. إن العقل عند بوير لا يتجزأ، فإمّا أن يكون حراً أو لا يكون.

ذلك يتعارض مفهوم المعرفة العلمية لبوير ومفهومها عند «هكّة فيينا»، التي سعت منذ بداية هذا القرن تحت تأثير أكثر علماء المنطق والرياضيات والفيزياء حداثة في ذلك الوقت، إلى التمسك بشدة بضرورة إجراء التجارب كأساس وشرط لازم للتحقق لأي نص، فمن شأنه أن يكسبه صفة علمية.

وما لاشك فيه أن المفهوم الجديد للمعرفة العلمية الذى بلّوه كارل بوير في الجزء الأول من عمله قد أسهم في تراجع الرؤية الجازمة والفاصلة لمعرفة علمية مثبتة على أساس ما نسميه خطأ بـ «العلوم الدقيقة، أو الرياضيات والفيزياء». فبالأحداث يمكن أن تُزيف أي نظرية، وبالتالي فإن المعرفة التي تبدأ بنظرية لتصبح فعلاً إن تتأتى إلا بالقصاص الأخطاء، غير أن هذا لا يعنى أن كل نظرية قابلة للإصلاح ستكون علمية. فبوير لم يدعم أبداً هذا الفكر المتناقض كما فعل البعض، بل لقد حارب على طريقة «دون كيشوت»، طواحين الأفكار

بالمذكّر أن هذا الرجل السلمي الذى ينتمى للاشتراكية الديمقراطية والذى اعتبر الماركسية يوماً «حدثاً جديلاً» في حالة توافق وتطوره الفكري، ولكم استغفله المتشككون بالماركسية في الثمانينيات.

وبعد مضي أعوام عسرة، وفي حديث مع الفيلسوف الإيطالى جياتكارلو بوسيتي عام ١٩٩٢، ظل بوير بطرح تساؤلات مستمداً من كتاب «هجز التاريخ»، يقول: «أهذا يعنى أنه بعد انهيار المجتمع السابق ستكون السيطرة للطبقة المتعقلة في السلطة السياسية الجديدة؟ ثم يعود بوير فيوضح أن كارل ماركس قد أجاب ببساطة عن هذا التساؤل بالنفى، وهذا ما يأخذه عليه بوير إذ كيف يكتب بالنفى دون شرح أو دون أن يحاول على الأقل إرداء الأسباب وإجلاء ما يرتكز عليه في تأكيده كما كان حري به أن يفعل<sup>(١)</sup>. ثم يعود ويلقى في صفحات أخرى «أن انهيار النظم التي قامت على المشروع الماركسي لا يجب أن يدفعنا إلى الاستسلام للأيديولوجيات التي صارتها.

أو على الأقل ليست وهي على هذه الحالة التي ظلت عليها طوال لفترة المواجهة. وبالنسبة، علينا ألا نتجاهل حسية الأمل التي أصابت الفكر السياسي بشأن إمكانية ربط الاشتراكية بالحرية الشخصية، ولعل نكده «لديمقراطية حينما نتخذ كوسيلة للسيطرة على الشعب، بعد خير دليل هذا فقد ظل يلاذ حتى النهاية على ضرورة التمسك بالعمل الشعبي في «الدولة ذات القانون التي ستجعلنا تتعاطف مع فكرة التصور ونحدد أسس المواطنة.

دون كيشوت ضد العقائد والمفاهيم الجامدة

والمعائد الجامدة، وحديثه عن الحقيقة والعلم هو القاسم الأساسى في أعماله، ويتضح أفكاره في كتاب «منطق الاكتشاف العلمى، الذى صدر عام ١٩٩٤ في فيينا، والذى لم تتم ترجمته إلى الفرنسية إلا بعد أربعين عاماً وصدر عن دار نشر «بايو» ومن وجهة نظري، سيظل كارل بوير بصفته مفكراً في مباحث العلوم ومناهجها وتنائجها وغاياتها، واحداً من أهم الشخصيات التي أسهمت في جعل المطلقات والعقائد تتجه إلى النسبية والتاريخية، أما بشأن الرغبة في معرفة إذا كان البحث العالم للإنسانية عن الحقيقة يشهد تلاماً أم أفولاً، فالأمر يعتمد على وجهة النظر التي نتبناها، أي

إن كنا نلتصق لجماعة المحققين على القواعد القائمة أم أننا من أنصار تصدّد النوع الإنسانى، وعلى أية حال يمكننا القول إن كارل بوير بمفهومه عن قابلية التصحيح وقابلية التزييف قد كان له دور نشط ضمن مفكرين عظماء آخرين ينتمون لهذا القرن، ضد كل من يتمسكون بالعقائد الجامدة، وقد أسهم من هذا المنطلق في إعادة قراءة فلسفة كلاسيكيين عظام من أمثال أفلاطون وأرسطو وديكوتى وباكون وهوم وديجل، بل وربما ماركس أيضاً.

آرنو سيير

ت: كاميليا صبحي

الهامش:

١- «درس مستخلص من هذا القرن» لكارل بوير حديث مع جوتكارلو بوسيتي، بجمه «دراسات عن الحرية» و«الدولة الديمقراطية»، صدر عن دار نشر أتاتوربا، إصدار باللغة الفرنسية عام ١٩٩٣.

## الإشارات والتبهمات

أساليب قراءة أو كُتبي بعض البطولات التاريخية المرتبطة بالوطنيين الذين في الحكم أو بالمعارضة السياسية أو الإسلاميين ويجب، في هذا السياق، ذكر كتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد الذي أثار كثيراً من الجدل بين المؤرخين العرب.

ويبرز الفصل الخاص بالقدس أسلوب سيقان في توضيح أفكاره واستشهاده والمشكلات التاريخية التي يطرحها.

أصبح الصراع من أجل الحصول على القدس البلد المقدس والبارك للعرب، بعد حرب ١٩٧ مع إسرائيل موضوعاً حيوياً ذا أهمية مجرى فيلصهر من خلاله الدين الإسلامي يتعالميه مع هذا القضية العربية في بوتقة واحدة.

يستقل سيقان معرفته للتاريخ في توضيح قضية مدينة «القدس» في الدين الإسلامي التي أثارت وقتاً طويلاً عداءً كبيراً بين الطوائف في العصر العباسي (في بغداد عام ٧٤٨) الذين كانوا يرون في فكرة التقدّيس هذه، «تجديداً يستحقّ الذم» بالنسبة للعقيدة الإسلامية التي ليس لها حرمات شريفة إلا مذبقتي مكة والمدينة.

ولطهر فترة تقديس هاتين المدينتين أثناء الحروب الصليبية رداً على تقديس الصليبيين والمسيحيين لمدينة القدس وجعلها عاصمة ورمزاً للممالك الأوربية.

ويلمى هذا الموضوع الشعور بأن هناك عملية استقلال سياسية وأن الرؤية المعاصرة للقضية مدينة «القدس» ورغبة العرب المسلمين في الحصول عليها ليست إلا ملاحظة، وأثارت مسمة ودقة تحليل سيقان جدل المؤرخين فثار إعجاب كثير منهم.

لكن هناك تساؤل محير وهو لو كانت هناك أسطورة تاريخية عربية فسوف تكتب بلغة الأساطير السياسية وتصبح

ويصف كتاب عمانويل سيقان، استاذ التاريخ بجامعة القدس إلى إحصاء الأساطير الأساسية وإعادة بناء تكوينها الدلالي الداخلي منذ استقلال معظم الدول العربية، ثم تأليف تصوص أسطورية أساسية، تابعة لثلاثة أفكار أساسية وهي: - القومية والإسلام والمعارضة النصارية، فهذه الأساطير العربية الإسلامية تشمل أساساً على إضفاء الشرعية على الحروب الخارجية التي يشنها العرب ضد (الغرب، الاستعمار، إسرائيل والصهيونية... الخ) أو الحروب الداخلية ضد (الأعداء السياسيين) بنهمهم: معلوماً، أساساً في سياق القضية التي يتم الدفاع عنها قام عمانويل سيقان (الغرض المتخصص في الحروب الصليبية والذي تقتل على يد البروفيسور كلود كوهين بجامعة السوربون بملاحظة ومراقبة الأحداث التي تمر بالعالم العربي اليوم مراقبة دقيقة.

وتُشير كُتساب مسهم عام ١٩٨٥ بالوليات المتحدة حول الفتوحات الإسلامية عنوانه:

«الإسلام الرسمي/ علم اللاهوت في العصور الوسطى والسياسات الحديثة»

Radical Islam/ Medieval Theology and Modern Politics

ويتناول في هذه الدراسة التفاعل بين مجازات وبعانات اليوم وبين الرجوع إلى تاريخ هذه المفاسرات، ومن أهم صفات كتاب «الأساطير السياسية العربية» هي تقديم عمليات التاريخ التي تحولت إلى أيديولوجيات ونظريات.

والفصول الستة الأولى من الكتاب يتكون معظمها من مقالات نُشرت في إنجلترا لكن الكاتبة قسام بإعادة صياغتها، أما موضوع «الحروب الصليبية» و«القدس» فخصص لهما فصلان و الفصول الأربعة الأخرى تعرض

## فرنسا

### الحروب الصليبية العربية

فصل كل أمة وجودها صفة الشرعية بتأليف مجموعة من الأساطير الرئيسية التي تشمل على إضفاء طابع ضروري على الأحداث التي تصبح بمرور الأزمنة مجرد حواش تاريخية.

وهذه الأساطير متشابهة في كل مكان في العالم، فهي مكونة من حدة أحداث وبعض التفصيلات التي هي خلاصة للتسلسل التاريخي المستمر والتي تأخذ طابعاً نموذجياً نمطياً، ويتم تزويدها بدلالة لها قيمة بالنسبة للوقت الحاضر مع مراعاة العصر الذي ظهرت فيه باعتبارها مقارعة تاريخية.

فالشخصيات وهمية مثل البطل الفرنسي فرسا نجيتريريس بجرجوني وأكيسوام! تخيلها في فترة تاريخية محددة وتحولت إلى أسطورة سياسية أساسية للشعب الفرنسي حتى أصبح طلاب المدارس يطلقون عليها «أجدادنا الغاليون»

وشملت هذه الأساطير العالم العربي أيضاً، فإبداع مثل هذه الأساطير السياسية في أغلب الأمم الناشئة عرف انتشاراً واسعاً وغزيراً في إطار ثقافت مراكز القوى بين النخبة الحاكمة وتقدير الحدود بين البلاد ولشوب عدة حروب داخلية عربية وخاصة الحروب العربية الإسرائيلية.

## الإشارات والتنبهات

### الفهيبيات في عالم اليوم

**ف**اهم الفهيبيات يعطى إجابات وهمية لأشخاص يتوزون بالثق ويعجزون عن فهم المعنى الحقيقي لحياتهم. ولا يمكننا الإجابة عن تساؤلات هؤلاء الأشخاص عن طريق وضع الطائفت المبردة أمامهم ولكن يجب أن نساعدهم أيضاً على الفهم والاقتناع بها. وترتبط الفهيبيات بعدة ظواهر مختلفة تتمثل في قراءة الطالع، الإيمان بالخرافات والبدع، القلق المرضي والخوف الشديد، وجدير بالذكر أنه من الصعب فهم وادراك علم الفهيبيات لأنه يثير نوعاً من التشاؤم والقلق ويجعل بلوغ الصاعدة أمراً بعيد المثال.

بادق ذي بدء، ولعل أن نتناول هذا الموضوع بالبحث يجب أن نؤكد أننا لا نعرف أبداً بالفهيبيات وذلك حتى يتسنى لنا الحديث عنه بوضوح.

#### الفهيبيات بصفتها مسألة غير مفهومة ومثيرة للقلق:

تؤثر الفهيبيات على الفكر الإنساني بصفة عامة سواء أكان ذلك داخل الإنسان أو من ناحية سلوكه الخارجي إلا أنه يصعب إدراكه وتعتمد هذا التشاؤم، ففكرة وجود الأرواح تعنى ارتباط شيء بشيء آخر وعلم جراً، أما التأثير فهو موضوع يصعب تعديده، والإنسان يمكنه أن يحاول تغيير بعض الأوضاع وكذلك أن يبدل ببعض الآراء، أما مفهوم التفكير في حد ذاته فهو يشمل لدى البشر هذه المعاني مجتمعة.

وجدير بالذكر أنه مستقل هناك دائماً أشياء مجهولة في الحياة كما ستكون هناك أمور غير متوقعة وأشياء غامضة يصعب إدراكها. ولكن الأشياء التي تظهر لنا ليست غامضة تماماً، فحتى لو كانت هناك أشياء خفية أو صعبة الفهم إلا أننا لن نقتل غامضة إلى الأبد إذ إن المنطق يساعدنا

اليوم مختلفة عن الأساطير القديمة، فكيف نستطيع أن نحل فكرة الأسطورة التاريخية السياسية دون ذكر التاريخ الصهيوني للقدس، العاصمة الدائمة لدولة إسرائيل؟

وفي هذا السياق، تشمل الفصول الأربعة الأخيرة مجموعة من التفاصيل الدقيقة في هذا الموضوع لكنها تواجه وتستخدم بعض التناقضات الخاصة بالنظام اللاهوتي السياسي العربي.

فلنذكر على سبيل المثال، فكرة القومية العربية (التي انتشرت) التي ترجع إلى القائد صلاح الدين الأيوبي حيث ازدهرت أيضاً في عهده تصاليم الدين الإسلامي. فعمله العرب بطلا عربياً بعدما ألحق الهزيمة بالصليبيين ورفع راية الإسلام عالية على الأراضي العربية بالرغم من أنه كثر في الأصل، أما المسلمون، فعملوه التوحيد الأمثل للقائد الذي يدين بالديانة الإسلامية حيث لا تفرق بين عربي وأجنبي إلا بالتقوى. فكانوا يرون أنه هو الذي سوف يحل في طموحاتهم وأمانهم السياسية.

يلقى كتاب سبيلنا الضرع على المفاهيم موضع الجدال حالياً على الساحة العربية، فهو يعرض لنا الرؤى المتناقضة لدراسة التاريخ حيث تبرز لنا مسألة الشعوب باختلاف أصولها.

جدير بالذكر أن هذا الكتاب المتميز بالدراسات والتحليلات سوف يثير كثيراً من الجدل والفكر من الممكن أن يصل إلى حد الرقش وذلك سيكون خبر دليل على نجاح وتميز هذا العمل ■

### جيل كيبيل

#### ترجمة: ب. ر

أساطير سياسية عربية، للكاتب: - صليوويل سلطان ترجمة من اليهودية إلى الفرنسية؛  
نحوك لويل  
دار نشر: أهابان سلسلة البحر الميت، ١٩٩٦ م.

أحياناً على تفسير بعض الأمور، والدليل على ذلك هو أن مشاهدات التفسير الرزقي قد تجد أحياناً بعض التبريرات. وهكذا يفتنى من حياتنا القلق على الأشياء التي تؤثر بالسلب أو بالإيجاب على حياتنا والتي من أجلها يكون الفكر غير متوازن بصورة كاملة.

وتأتى بعد ذلك ضرورة النظر في موضوع الفهيبيات بصورة جادة من خلال محاولة فهم هذه الأشياء الغامضة وكذلك محاولة الربط بين الأمور المنطقية في الحياة وبين الأفكار التي يقودها العدم. أما إذا حاولنا فهم وجود الفهيبيات بصورة قاطعة فإننا بذلك نتهرب من كثير من الأسئلة التي تتعلق ببعض الأمور الغامضة الخاصة بالمجتمع وكذلك بعض الأمور التي تتعلق بنفسية الإنسان، ومن خلال محاولتنا لفهم الفهيبيات نجد أن هناك عديداً من الأسئلة التي تتبادر إلى الأذهان منها على سبيل المثال:

- لماذا نستفيد من خبرات الماضي فيما يتعلق بمستقبل حياتنا؟

- لماذا نلجأ عن التخلص من مشاكلنا بصورة واضحة المعالم؟

- لماذا يوجد نوع من التناقض الداخلي بالنسبة لمن يتطلعون إلى الشافية والتكامل؟

- لماذا نستبعد واستنكر بعض الأشياء بالرغم من كونها قريبة جداً منا؟

- وأخيراً لماذا لم يؤد التطور العلمي إلى إلغاء الخرافات؟

الفهيبيات بصفتها رد فعل طبيعي لفقدان معنى الحقيقة:

نحن نعلم تماماً أن التهجيب لا يوجد له على الإطلاق من الناحية الواقعية مدامت السماء الطاهرة لنا ليس لها مكان محدد مثل النجوم؛ وبناء على ذلك فإن محاولة إيجاد صلة بين تاريخ الميلاد وبين النجوم لا أساس لها من الصحة، لماذا إذن تنتشر فكرة قراءة الطالع إلا إذا كان لشاغبة الإنسان للبحث عن نظام ثابت بعيد عن



## الإشارات والتبهيئات



### عشرون قصيدة حب وقصيدة يأس بابلو نيرودا

قدم للمكتبة العربية مؤخرًا الناقد  
المترجم سامر البطوطي هذه  
الترجمة الجديدة لأعمال الشاعر الشيلي  
الظهير بابالو نيرودا.

(وقصائد هذا الديوان الشجية كتبها  
نيرودا في مكنتويل الصمري في سنواته  
العشرين تلك السنوات التي يخلط فيها  
كل شيء بصمائه على الروح فيشكل  
الملاحم الأصيلة التي تظهر دائما بعد  
ذلك في أعمال اللنان.

(يقول المترجم في تقديمه لهذا  
الكتاب:

(كتب نيرودا هذه القصائد إبان  
إقامته في «سنتياجو» عاصمة بلاده شيلي  
مستوحيا قصتين غراميتين، الأولى مر بها  
في صباه مع فتاة من مدينة «تيموكو»  
والأخرى مع زميلة من مستباحو كان يعقد  
عليها الآمال لم يخله بعد ذلك حين كتب  
لها لتلحق به في مقر عمله في الشرق  
الأقصى. فرفضت واضطرت بذلك إلى  
الزواج من أول فتاة صادفت هوى في  
نفسه هناك.

إن أشعار (عشرون قصيدة حب  
وقصيدة يأس) هي تطوير مكثف نحو

وقد أعرب المشاركون في مؤتمر  
إيدنبورج الذي عقد في عام ١٩٩٢ عن  
قلقهم تجاه النظرية الخاصة بالبيئة والتي  
تجاهل الإنجازات العلمية فيما يتعلق  
بمحاولات التعديل لتقديم النتائج الخاصة  
بدراساتهم وهي نتائج تثير الأسى. هؤلاء  
الأعضاء يستأخرون، ولهم الحق في ذلك،  
من الصور الخيالية الغادرة للعلاقات بين  
الإنسان والطبيعة. ولكن عليهم أن يدركوا  
أيضا كيف تكون العلوم معيارا للنتائج  
والتقدم بناء على النتائج الخاصة  
بالتقارب والتأخرات بهدف الوصول  
إلى المعاني للغامضة.

إدانة الغيبوبات ليست كافية للقضاء عليها:

جميع مناهج التفكير لديها آفاق تعذر  
على الإنسان فهمها، بالإضافة إلى أن  
أي نظام اجتماعي لا يمكن أن يشمل البشر  
جميعا، وإذا كانوا في الماضي قد نادوا  
بفكرة العقل الوحيد المصدق فإنهم الآن  
يستكثرون تفكير المعاصرين الذين يعتقدون  
في أسوأ الغيبوبات ويصنعون من بعض  
التعقيدات والصعوبات الاجتماعية.  
فالغيبوبات هي رد الفعل المثير الذي تلجأ  
إليه السلطات لتفسير بعض الأزمات  
الفكرية أو بعض التنظيمات، ولا يجب  
علينا أن نتوقف عن محاربة هذه الأوهام  
أو عن الخلط بين الأمور النفسية والفنية  
والدينية، ولكن يجب أيضا أن ندرسه ما  
يغسده هذا الخلط: فهناك الرغبة في  
تضخيم بعض الصائل في مواجهة الواقع  
القطعي، وهناك الرغبة في الربط بين  
القيم المختلفة والبحث عن بعض الرموز  
التي يعصب تصديدها وكذلك البدء في  
تحويلها إلى أفعال.

لهذا فنحن لاجبار الغيبوبات عن  
طريق دراسة بعض الواقع والحقائق ولكن  
عن طريق الرغبة في الفهم من أجلنا  
ومن أجل الآخرين وكذلك عن طريقة  
محاولة الوصول إلى تلمس مكنع لسلوك  
الإنسان. ■

برنارد ميشو  
ترجمة: هالة عصمت القاضي

الناس، قد يكون غامضا إلا إنه محدد وهو  
يخلف من قسوة بعض الأمور التي يصعب  
على الإنسان احتمالها ويحد من خوف  
الإنسان من المستقبل.

ونحن لم نتفهم جيدا علم الفلك، ولكن  
معرفة لن تؤدي إلى إلغاء التجنب تماما  
مثل علم الحساب الذي لا يلقى الأرقام،  
فالأكواب والحسابات لا تمثل سوى عوامل  
مساعدة، أما الفهم فيتمثل في فكر  
الذين يؤمنون بهذه الخرافات في حياتهم  
وفي بحث الإنسان عن الطاق من خلال  
الفلك والتجرب للإجابة عن بعض تساؤلاته  
إذ إن العلم وحده لا يساعد على فهم  
بعض المعاني الغامضة بالنسبة له.

وإذا ما حاولنا القضاء على الجهل  
والأفكار العلمية دون تبصر فإن ذلك لن  
يجعل الضمان صافية لأن الشخصية  
الاجتماعية والشخصية النفسية التي عبر  
بآزمات مختلفة يتم دراستها عن طريق لها  
قواعد ثابتة، وفي حقيقة الأمر فإن العلم  
والعقلية يوران على هذه الأفكار المسبقة  
إلا لهما لا يغيانها بصفة قاطعة.

التقدم العلمي يقسر كل ما هو  
غامض:

للاحظ أن العلوم هي حد ذاتها غير  
واضحة وتثير لدينا بعض المخاوف، ذلك  
أننا نهد أن هناك تغييرات مستمرة في  
النظريات العلمية وتقدمها هائلا في البحث  
العلمي وكذلك في الفكر الإنساني، وهذه  
التحولات الشديدة تؤكد أنه ليست هناك  
حقيقة موضوعية مطلقة كما كان الأمر في  
الماضي عندما كان البشر يعتقدون أن  
المسائل العلمية ثابتة.

وصفة عامة الحقائق الاجتماعية  
للعلوم تختلف بطبيعتها عن البحث  
العلمي فهي تعتمد على الناحية التطبيقية  
والتنظيمية وعلى توحيد النمط ودراسة  
البشر وفقا لمعايير علمية يصنعها نماذج  
موحدة للتأثير. أما عن التقدم فهو لم  
يصر حتى يومنا هذا صورة أخرى غير  
مجرد دراسة النتائج والآثار المتوقعة مما  
يجعله في حد ذاته غير مفهوم.

## الإشارات والتبهيّات

والتزوال السريع لكل ما هو حاضر. إنهما ترهبان الصوت وهو يطوى كل شيء وكل ما هو موجود، تذوّق هويته بقضى. لافرق في ذلك بين الشاعر وبين عوالم الطبيعة أو حتى الذكريات، الأشكال تختفى والتزيان لا يبقى منها سوى رماد ساكن.

إن أشجان الشاعر مستشارة على الدوام لرؤية كل شيء كل ما هو تصير قصير عن الصياء والوجود بنظري وقضى، والى عنده نيس حباً إلا لأنه يتحرك فراراً من الصوت وكل حركة يقوم بها هي خطوة جديدة نحو الفناء بل هي موت في حد ذاتها أيضاً.

والى قصيدته المفردة الياسية أنشودة الياس:

يقول نيرودا:

تبرز ذاكرتك في الليل الذي يلغى

ويتعد النهر والبحر في صرخة عنيدة

مهجور أنا كأمسلة الميناء عند الفجر

حانت ساعة الرحيل أبها المهجور

الساعة الهادمة الباردة

التي يخضع فيها الليل كل الأزمان لسلطوته

زئار البحر المضطرب يلف الذأطي

وتطلع نجوم باردة

وترحل بطيور سوداء

وليس غير الظلال الراجلة ينتنى بين يدي

أه بعيداً عن الجميع

أه بعيداً عن الجميع

لقد حانت ساعة الرحيل أبها المهجور.

ويعد

لقد كنا في حاجة ماسة إلى مطالعة هذا الديوان الجميل الذي صدرته طبعته رقم مليون بالإسبانية عام ١٩٩١ ■

إيناس رفعت

ويرى الناقد الإسباني أمانو أنونصو أن هذا الشجن والكآبة يشلان عملية تعويضية شاملة في نفس الشاعر فهو يلجأ في قصائده للاحتماص من أشجان الوجود والذكريات بالكآبة ولذلك فهي تنصع في كل حرف من حروف الديوان وتصيح في حالة يمر بها الشاعر بصفتها الخاصة، حتى حالات الفرجة.

ويتبين ذلك من عشرات الصور الفنية مثل عزلة الشاعر الدائسة، وحزنه المستمر المطلق والاستغراق في الفكر ودماء العذابات القديمة، والفراق عن حب والعزلة، تخترقها الأحلام والصمت، ثم ذلك الجو الذي يسيطر بالقصيدة الحاضرين، التي يجدر أن تسمى بحق قصيدة الأحزان.

في هذه القصيدة. يقول نيرودا:

استطيع أن أكتب أشد الأشعار

حزناً هذه الليلة

أكتب مثلاً: لقد ترصع الليل بالتجوم

وربعت الكواكب الزرق على البعد

استطيع أن أكتب أشد الأشعار حزناً

هذه الليلة

أحببتها، وهي أيضاً كانت تحبني أحياناً

كنت أضنها بين ذراعي في ليالي كهذه

وأقبلها تحت قبة السماء اللامتناهية

لم أعد بعد أحبها

ولكن ربما كنت مازلت أحبها

كم قصير هو الحب وكم رحيب هو النسيان

لأنني كنت أضنها بين ذراعي في ليالي كهذه

فإن روعي قللة لفقدائها

فليكن هذا آخر حزن تنسبه لي

ولكن هذه آخر سطور أخطأ لها في حياتي

ويتم المترجم ماهر البطوطي حديثه

عن بابلو نيرودا موضحاً عن رؤية نيرودا

في الفترة التي كتب فيها هذه القصائد

التي تصبر عن هذه الرؤيا تعبيراً وإيقاً

فقد شهد حين الشاعر مفتوحين على

الدوام لا يطبق لهما جفن ترهبان

وتخللان كل ما هو موجود وتفتتاتته

الذاتية المفرقة والهمد عن التركيبات الواقعية الموضوعية في الشعر وقد تطلبت تلك الذاتية إيجاد علاقات جديدة بين ما يشعر به المؤلف وبين التعبير عنه بطريقة مناسبة ولهذا فإن الفن الشعري عند نيرودا يقوم على الصور الفنية المفردة الغريبة التي تخلق علاقات جديدة لم يألفها الناس بين الأشياء وذلك كنتيجة طبيعية لتلك العلاقات الجديدة التي تنشدها، ومن بين ما يدل على ذلك صور مثل «جسد الفطر»، و «اللبن المتعطف الجامد»، و «الذراع التي لها شفاشية الأجراس»، واللبل الذي يركض على فرسه الممت، وما إلى ذلك من الصور.

يقول بابلو نيرودا في القصيدة الثامنة:

أه أبها الصموت

أطغى عينيك الصموتين

هناك يرفرف الليل

أه فتنبؤي جسك الرخاس الوجل من غلاته

....

هناك لهذا المواقف البيضاء

وقراءة من فراشات الظلال

تامت على صدرك

...

أبها النحلة البيضاء الغائبة

مازلت تلتزم وتظلم في روعي

تعاودين العيش في الزمن

أه أبها الصموت

وسطور القصائد التي بين أيدينا مؤلفة

بالشجن والكآبة، وتخرج منها رائعة

الوداع الأبدى لكل الأشياء التي يحبها

الشاعر وكانت له معها ذكريات وتكريات

كما يؤكد المترجم ماهر البطوطي وهو

يحاول بتصويرها وتجسيدها في أشعاره

على هذا التحول يحتفظ بها وهاجة في

ذاكرته فكانه يعيشها مرة ثانية. ويعد

صدى لذلك فيما ذكره الشاعر الإيطالي

أرجونو مونثالي الحاصل على جائزة نوبل

للآداب عام ١٩٧٥ من أن أشد لحظات

الوجود كشافة لا تكمن إلا في الذاكرة فقط.

## الإشارات والتبهيئات

- الذى يحيط بحياة رحالتنا غير أنه إجماع على أنه ولد فى رولاندا بإيطاليا وأنه رحل منها إلى البرنيزية، وقد ذكر هو فى رحلته أن والده كان طبيباً ويبيع بادجو إلى أنه كان عسكرياً لاهتمامه الكبير فى رحلته بوصف الأسلحة والتجهيزات العسكرية كما تعلم من حديثه أنه كان زوجاً وأباً.

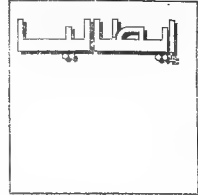
يؤكد المترجم فى تقديمه لهذا الكتاب أن معرفة الظروف التاريخية التى تمت خلالها الرحلة من الأمور الضرورية، لفهم الرحلة والاستمتاع بها فى أن لقد كان لاد لأوروبا فى أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر أن تعيد تقديم معارفها عن العالم الإسلامى، وأن تعيد ترتيب أورتانها لمواجهة أساليب جديدة قوامها العلم والمعرفة، بالإضافة إلى أسباب عملية منحة تلج على الأوروبيين لتعميق معرفتهم بالنظم السائدة فى العالم الإسلامى خاصة، فالتاريخ الأوروبى الحديث كما يذكر لورد آستون يبدأ تحت مطارق العثمانيين المسلمين، فالدور الإسلامى فى تشكيل التاريخ الأوروبى لم ينته بنهاية العصور الوسطى، وإنما استمر فاعلاً مؤثراً فى التاريخ الحديث، فقد أسهم المسلمون فى تشكيل التاريخ الأوروبى فى أوروبا ذاتها - بقدر قريب من إسهام الأوروبيين فى تشكيل تاريخنا الحديث، فبعد سقوط غرناطة ظهرت حركة مجاهدو البحر أو ما عرف بـ حركة القرصنة فى البحر المتوسط التى أثرت على اقتصاديات الدول الإيطالية وأسبانيا والبرتغال. لقد كان المسلمون بالنسبة للدول الأوروبية المطلة على البحر المتوسط هم مجاهدو البحر أو القراصنة، وكان هؤلاء هم سكان

أبرز المختصين بأبى الرحالة والذى قدم لنا من قبل صديقاً من هذا النوع من الكتابات، يقول:

لقد قام هذا الفارسى واسمه خوجة ذوالنور بالدور نفسه الذى قام به ابن ماجد بالنسبة لفاكودى جاما فإذا كان ابن ماجد قد دل دى جاما على الطريق إلى الهند دون أن يدري عواقب ذلك، فإن خوجة ذوالنور، قد قدم خدمات هائلة لرحالتنا فارتبما فهو الذى أتاح له التكفل فى المجتمعات الإسلامية فى الهند وقدمه مرة على أنه مملوك حاج، ومرة على أنه الحاج يونس المصرى، ومرة على أنه الحاج يونس العجمى، بل وقدمه أحياناً على أنه رجل صوفى أو درويش وجعل الناس يفتنون بديه وأحياناً يكتبه التماساً للبركة، ويفضل خوجة ذوالنور تحول فارتبما فى المراتى، والمعسكرات، ورصد الاستعدادات العسكرية وقدم كل ذلك - كما ذكر هو فى رحلته هذه - لنائب الملك البرتغالى فى الهند.

ورغم أهمية رحلة فارتبما فإننا لا نكاد نعرف عن حياته إلا النزر اليسير، وفى موسوعة التراجام العالمية فى القديم والحديث المطبوعة فى باريس سنة ١٨٢٧ تجد نصاً فرنسياً تعرف منه أنه رحالة إيطالى قام برحلة فى القرن السادس عشر، وأن هذه الرحلة مهمة جداً للمستغلين بتاريخ الجغرافيا، وللمؤرخين بشكل عام، وأنها إضافة حقة تعرفنا بالعالم من حولنا، ويعجب بادجو من أن المراجع التى كتبها أبناء جلدته (الإيطاليون) قد أغفلته أو كادت.

ومع كل هذا الغموض - يقرر عبد الرحمن عبد الله الشريخ مترجم الكتاب



## عن فارتبما أو الحاج يونس المصرى ورحلته الجاسوسية إلى الشرق

### فا عن المؤلف ومهمته:

هو لودفيكو دى فارتبما أو الحاج يونس المصرى، كما سعى نفسه (١٥٠٣ - ١٦٠٩) الذى كان مملوكاً بوصف عادات الشعوب التى يمر بها فى طريقه للهند، وفى الهند نفسها، وكتابة تقارير عن جيوشها خاصة ما يتعلق بالمدافع، وحصر منتجاتها الزراعية والصناعية، خاصة ذات القيمة فى التجارة العالمية وباختصار فإن مهمته كانت التجسس الشامل على كل الشعوب والجماعات التى يمر بها، خاصة الإسلامية منها.

وقد قدم فارتبما نفسه لأهل الحجاز واليمن وسكان الخليج العربى وبلاد فارس، باعتباره الحاج يونس المصرى الفارسى وذلك بمعاقبة صديق له فارسى كان قد تعرف به فى مكة المكرمة..

يقول مترجم هذا الكتاب الأديب النجاشي عبد الرحمن عبد الله الشريخ أحد

## الإشارات والتلميحات

نشرنا أشهرتنا في يوم ذي ريج  
مواتية، طالبين من الله المساعدة  
وأسلمنا أنفسنا لنحبر وعدما وصلنا  
للإسكندرية تطلعت لكل جديد، وكنت  
كشفاً طال انتظاره للماء العذب،  
وسرعان ما غادرت الإسكندرية فبى  
معروفة للجميع وعن طريق النيل اتخذت  
سبيلى للقاهرة.

وبصل قارئنا للقاهرة، ويحدثنا عنها،  
تري ما هو شكل هذه المدينة الشهيرة في  
القرن السادس عشر؟ يقول قارئنا:

عند وصولي للقاهرة وجدتها ليست  
كبيرة جداً كما أخبرتنا التقارير عنها قبل  
ذلك إخباراً كان بشير دهشتنا، فمحيط  
القاهرة يساوى تقريباً محيط روما إلا أنها  
على أية حال تضم مساحات أكثر بكثير من  
روما كما أن ساحتها أكثر عدداً ومنشأ  
الخطأ هو وجود قرى صغيرة مختلفة  
خارج أسوار القاهرة مما جعل بعض  
الناس يظنها ضمن دائرة القاهرة ذاتها.

وهكذا - كما يؤكد المترجم - يعتبر  
قارئنا القاهرة هي تلك الداخلة في حدود  
الصور لكنه لم يحدد لنا أى سور يقصد.  
ويذكر بادجو في تعليقه على هذه الأفكار  
أن الأوربيين يخلطون الأمر فيعتبرون  
مصر العتيقة (هي مصر القديمة الآن)  
هي القاهرة الأصلية، وقد يقصد قارئنا  
بالقرى المنصلة هنا هي بولاق الكبير.

وبواصل الرحلة وصله قالنا:

ولن أتحدث طويلاً عن مسكاند  
المصريين وعاداتهم لكل الناس يعرفون  
أن مصر يقطنها المسلمون والمماليك - قد  
يقصد المؤلف من هذا التلميح أن  
المماليك كما ذكر في موضع آخر من  
رحلته مستحيون تمولوا للإسلام - ويحكم

الاجتماعية والعادات والتقاليد لكل من  
مصر وسوريا ولبنان والسعودية  
واليمن والهند وغيرها.

وقد قسم الكتاب إلى ثمانية أسفار  
جاءت على النحو التالي:

السفر الأول: ملاحظات عابرة عن  
القاهرة وبيروت وطرابلس وحلب وحماة  
ودمشق.

السفر الثاني: عن بلاد العرب  
الصحرائية.

السفر الثالث: بلاد العرب السعيدة.

السفر الرابع: بلاد فارس.

السفر الخامس: (وهو السفر الأول  
عن الهند).

السفر السادس: (وهو السفر الثاني  
عن الهند).

السفر السابع: (وهو السفر الثالث عن  
الهند).

السفر الثامن: عن سواحل شرق  
أفريقيا.

يبدأ قارئنا وصف رحلته بالوقوف  
على الإسكندرية التي لا يطول وصفها  
فهي على حد قوله [معروفة للجميع] وهو  
يقصد بذلك الإطائيين عامة والبنادقة  
خاصة حيث يقول في مفتتح الكتاب:

إن الرغبة التي دفعت الآخرين  
لمشاهدة ممالك العالم المختلفة هي نفسها  
التي دفعتني للقيام برحلاتي هذه، ولما  
ماتت كل البلدان مطروقة على نحو كبير  
بالنسبة لشعبنا، فقد فكرت في أنه يجب  
على أن أرى البلاد التي لم يرها أهل  
البلد فية أو لم يترددوا عليها كثيراً، ولذا

الشمال الأفريقي، والأندلسيون، فكل  
مسلم بالنسبة لهم هو بربري أو مور  
[moon]، لذلك لاحظنا أن قارئنا يطلق  
هذا اللفظ على كل المسلمين دون  
استثناء. فمكتان مصر (مور) أي  
مسلمون، وسكان الحجاز وفارس والخليج  
ويعض مناطق الهند كلهم [moors].

فيإذا انتقلنا إلى الجناح الشرقي  
لأوروبا قبل قيام قارئنا برحلته  
وأثناءها، وجدنا الضغط العثماني قد بلغ  
أشده، فمضت سقطت القسطنطينية على يد  
محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ وحتى أيام  
قارئنا كان المسلمون العثمانيون  
يتغلبون في حق القارة الأوروبية، وقد  
وجد المسلمون واليهود المطرودون من  
أسبانيا في رحاب الدولة العثمانية ملائمة،  
فأوروبا كلها لم تتقبل اليهود المطرودين  
من أسبانيا، بينما استقبلتهم الدولة  
العثمانية وتعمداً في رحابها بالحرية  
الدينية، بل وصلوا فيها لمناصب عليا  
وراجت فيها تجارتهم، لقد كانت كراهية  
الأسبان والبرتغال موجهة أساساً لليهود إذ  
كانوا يعتبرهم أساس كل فساد ومنع كل  
رذيلة، كما كان الأسبان والبرتغال  
يعتبرون اليهود أحد أسباب خراب  
الاقتصاد في بلادهم، وقد انعكست هذه  
الأفكار وتلك المشاعر السائدة في أوروبا  
في ذلك الوقت على كتابات قارئنا الذي  
يصف اليهود بأكثر الصفات ويشبههم  
بالتنانير البرية.

عن المؤلف:

يعتبر هذا المؤلف (رحلات قارئنا)  
مرآة عاكسة لتجرباتها وتاريخ البلاد التي  
مر بها قارئنا، فلهذه تسجيل دقيق لشكل  
المتسمعات آنذاك وطبيعة العلاقات

## الإشارات والتنبهات

من مقاليتهم، وهم نوع من البشر يقال لهم البدو لقد كان عددهم يزيد على المائة وبمنا أربعة عشر رجلا واشتبكنا معهم في قتال استغرق حوالى الساعة حتى أن أربعة وعشرين رجلا منهم ماتوا في ساحة المعركة وشرع الآخرون في الانسحاب وكانوا عراة ولم يكن لديهم أسلحة إلا هذه المقابيع، وأخذنا كل ما استطلعنا من دجاج وعجول وثيران وغير ذلك مما هو صالح للأكل، وفى غضون ساعتين أو ثلاث بدأ الاضطراب والشغب يزدادان على هذا الساحل فندنا أكثر من ستائة وكنا مضطرين للانسحاب إلى سفيلتنا.

وفى النهار لغسه اتخذنا سبيلنا إلى جزيرة يقال لها كمران ويبدو أن محيطها يبلغ عشرة أميال أو اثني عشر ميلا ويقطنها حوالى مائتا أسرة من المسلمين، وبالجزيرة ماء عذب ولحم ورايت هنا أفضل أنواع (السلح) والجزيرة ممتدة بطل على الساحل المقابل للبحر الأحمر وهذه الجزيرة للسلطان أمير المؤمنين وهو سلطان بلاد العرب السعيدة وقد مكثنا فى الجزيرة يومين ثم اتجهنا صوب مخرج البحر الأحمر وقد وصلنا لـ «عدن» بعد مغادرتنا جزيرة باب المندب فى يومين ونصف اليوم وأنقص قليلا، وعدن هى أكثر المدن التى يمكن وصفها بأنها حصينة إذ ترى دائما فى مستوى الأرض وهى مسورة من جانبيين ويحميها من جانبيها الآخرين جبال هريضة وعلى هذه الجبال خمس قلاع وأرضها مستوية سهلة وتضم خمسة آلاف أو ستة آلاف أسرة ويعقد بها سوق فى الساعة الثانية ليلا تجنبا للحرارة الشديدة نهارا، وفور أن تصل السفينة للميناء يصعد إليها موظفو

مائة خطوة طولا، ومائتين عرضا، ويوجد بابان فى كل جهة من جهاته الثلاث أما جهته الرابعة فلا أبواب فيها وسقفه مغطى وبه أكثر من (٤٠٠) عمود من الأحجار للذاكرة قد ظلت جميعا باللون الأبيض، وبه حوالى (٢٠٠٠) مصباح وعند رأس المسجد ناحية اليمن يوجد برج مربع وقد غطى بالحديد وعلى بعد خطوتين حاجز معدنى مشبك جميل يلف الناس إزاءه لروية هذا البرج وعدد أحد البابين يوجد حوالى عشرون كتابا وعند الجانب الآخر خمسة وعشرون كتابا ويوجد إلى الداخل من هذا الباب الثانى قبر مصد وعلى أبهى بكر وعثمان وعمر وفاطمة، وقد كان مصد زعيما عربيا أما على فهو زوج فاطمة ابنة الرسول أما أبوبكر فيمكن وصفه بأنه كاردنيل وأنه كان يريد أن يكون بابا (papa) (يعنى المترجم د. عبدالرحمن الشيخ على مثل هذه العبارات بأن المؤلف يسقط ثقافته المسيحية على التاريخ الإسلامى، أما عثمان رضى الله عنه فقد كان أحد صحابته وكذلك عمر، وهذه الكتب التى أشرنا إليها تتناول كل صحابته وبسبب النزاع على اتباع أحد خلفاء الرسول يقوم هؤلاء الرعاع (Camaille) (يقصد المسلمين) بتمزيق بعضهم أربا أربا دون تخفيهم عقولهم فهم يقتتلون ويذبح بعضهم بعضا ذبح النيهام بسبب هذه الهرطقات مع أنها جميعا باطلة. يقول:

بعد رحيلنا من مدينة جيزان ظللنا لمدة أيام خمسة فى محاذاة البحر، وكان هذا البر عن يسارنا، وعندما رأينا بعض السكان على الساحل نزل منا أربعة عشر رجلا لثطلب منهم بعض المون مقابل النفود، فأجابوا طلبنا بقدف الحجارة علينا

مصر السلطان الكبير الذى يخدمه المماليك والمماليك بدورهم سادة (حكام) للمسلمين (العرب) Moors.

### بلاد العرب الصحراوية

وبلاد العرب الصحراوية التى يقصدها فارتيسا هنا هى: - السعودية - والتى يستمرن قائلا على حدودها:

نظرا لأننى كنت شغوقا بالاطلاع على المناظر والأوضاع المختلفة ولم أكن أعرف ما هو السبيل إلى ذلك، لذا فقد كونت صداقة عميقة مع القائد المملوك للفايلة لى بلبسى لباس المماليك وبطيشى حصانا جيدا وبعلمنى بصحبة المماليك الآخرين، وفى الطريق وجدنا وادى سدوم وعاموزاد حقا إن الكتاب المقدس لم يكتب، فالمرء يرى رأى العين أنهم قد خربنا تكالفا من الله (بسبب معجزة الرب) وادى أقول إنه توجد ثلاث مدن كانت فوق قمم ثلاثة جبال، لنى اعتقد بناء على ما رأيت أن شعبا شريفا كان هنا، فكل ما يهبط بهذه النجعة صحراء قاحلة والماء معدوم، وقد كانوا يعيشون على المن (manna) وقد عاقبهم الله لأنهم كفروا بأنعمه، وبعد وصولنا للمدينة المنورة - مدينة النبي - التى تضم حوالى ثلاثمائة منزل ويحيطها سور من الطين وقد شيدت جدران مساكنها من الحجارة وعلى مرمى حجرين خارج المدينة يوجد حوالى خمسون أو ستون نخلة فى بستان بأخرة قناة ماء، والآن، فإن أولئك الذين يقولون بأن رفات محمد صلى الله عليه وسلم معلق فى الهواء بمدينة مكة المكرمة كذابون يستحقون التوبيخ فقد رأيت قبره فى المدينة المنورة يبلغ طول مسجد النبي

## الإشارات والتنبهات

لم يكن في لشبونة فقد ذهبت للقائه في مدينة ألامادا المقابلة للشبونة وعندما وصلت إليها ذهبت لتقبيل يد عظمتة الذي أحاطني برعاية شائقة منه، واستبقاني عدة أيام في بلاطه ليسمع مني عن أمور الهند وبعد بضعة أيام، أظهرت له براءة (وثيقة) الفروسية التي منحتني إياها نائب الملك (نائبه) في الهند متوسلاً إليه - إذا رغب - أن يعتمدها، ويوقعها بيده ويختتمها بختمه، وعندما رأها ذكر لي أنه يسعده ذلك وتناول مني الوثيقة التي خطت على الجلد الرقيق (رق) ووقعها بيده ووضع عليها ختمه، وتم تسجيلها، ومن ثم أستأذنت عظمتة في الرحيل ووصلت إلى روما ■

السماح عبد الله

لقد قالوا: إنني جاسوس للمسيحيين إلا أن كون سلطان هذه الأنحاء لم يسبق له إعدام أي شخص جعل هؤلاء الناس يحترمون حياتي فأبقوني ستين يوماً وخمسة أيام مكمل القدمين بحديد يزن ثمانية عشر رطلاً.

وبعد مغامرات ومناورات يتجج قارتيما في الهرب إلى الهند، وهناك يواصل رحلته بنجاح حتى يعود سرّة أخرى إلى البرتغال وينهي قارتيما كتابه بهذه الفقرة:

وأتركك لتتصور - عزيزي القارئ - مدى السعادة التي غمرتنى والفرح الذي شملني عند وصولي للبابسة ولأن الملك

السلطان لم يعرفوا من أين أتت وما هي حملتها ومتى تغادر وهم عدد الأشخاص على متنها ويقومون بنزع أشربة السفينة وساريتها ودفعها ويحملون كل ذلك معهم مخافة أن يغادر الأشخاص دون دفع الرسوم للسلطان، وفي اليوم التالي بعد وصولي عدن قبض عليّ وكبلت بالحديد وكان ذلك بسبب أحد رفاقي الذي قال لي: أنت مسيحي كلب ابن كلب، وقد سمع بعض المسلمين ذلك القول ونتيجة سماعه هذا القول تم القبض عليّ بعنف شديد واقتادوني إلى قصر نائب السلطان وسرعا ما عقدوا اجتماعاً ليقرروا ما إذا كان يجب عليهم إعدامي نظراً لأن السلطان لم يكن موجوداً بالمدينة (عدن)



الغلاف الأخير

مجلد (١٧٧٠ - ١٨٣١)

بريشة الفنان : جودة خليفة

